

رَبُّ الْمَجْدِ

يسوع الفداء والرجاء



تأملات روحية يومية

تأملات روحية يومية

رب المجد

يسوع الفداء والرجاء

بقلم القس: فرنسيس صليبا

تصميم الغلاف: رودريغو سيزاري

تصميم الكتاب: كالايبى همبال



الشرق الأوسط
للنشر

مَقْدَمَةٌ

من أعظم الشخصيات التي ظهرت على الأرض وعبر تاريخها كان يسوع المسيح. تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وملأت أخباره صفحات العهد الجديد. حقق بمجيئه الكثير من النبوءات، وأثار جدلاً لا ينتهي حول شخصه الكريم. كانت له العديد من الألقاب: ابن الله، ابن الإنسان، ابن داود، الملك، المعلم، والمسيح. ذات يوم، سأل تلاميذه عما يقوله الناس عنه، فقدموا اجابات عديدة، بعدها وجه لهم السؤال بشكل شخصي وأنتم من تقولون إنني أنا. فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي" متى ١٦: ١٥-١٦

وُلِدَ في بلدة صغيرة بيت لحم من أم متواضعة نالت نعمة من الله، وعاش حياته يعمل نجاراً إلى أن بلغ سن الثلاثين. تنقل عبر أرجاء بلاده كواعظ متجول لثلاث سنين. لم يتلق تعليماً جامعياً، ولم يكتب كتاباً أو شغل منصباً رفيعاً. في سن ٣٣ ثار الرأي العام ضده، هجره تلاميذه، وسلم وحوكم بطريقة هزلية، سمر على الصليب بين لصين، ودُفن في قبر مُستعار. بعد ما يزيد عن ألفي سنة من صعوده للسماء ما زال الشخص المميز في السماء وعلى الأرض، وفاق تأثيره كل من عاش عليها.

عاش محبة الله بشكل عملي تجلت في حياته وتعاليمه، وفوق الكل، اختار أن يضحى بنفسه ويموت عن خطايا الجميع، كنتيجة لمحبه لهم. مثل يسوع رحمة ونعمة وقوة الله لأنه كان "الله ظهر في الجسد". صار الخلاص متاحاً للجميع. أراد كثيرون أن يعيشوا حياة التضحية والمحبة التي عاشها المسيح. نقرأ عن حياته في الكتاب المقدس أكثر الكتب رواجاً ومبيعاً في العالم، لكنه سُمي "الكتاب الذي لا يعرفه أحد".

يسوع حي اليوم، يقدم خلاصه لمن يقبله، ويغير حياتهم نحو الأفضل. يخاف كثيرون من مواجهته لأن نوره يفضح ظلمة حياتهم. تعاليمه هي أفضل ما قدم للإنسانية، وموته أشهر ما حدث في تاريخ العالم. أين نحن من يسوع اليوم؟ يشترك عالمنا في هذه الأيام الأخيرة إلى السلام والرجاء. لا نجد الرب يسوع في بيوتنا، حتى المدارس قد أهملت الحديث عنه. ألا يجدر بنا أن نتعرف على سيدنا يسوع المسيح، وما يعنيه لنا اليوم؟

كان فادينا الحبيب وما يزال مُخلص الإنسانية جمعاء. أملي ألا ننسى الرجاء الذي لنا في المسيح. لقد غير العالم قبل أكثر من ألفي سنة ولن يتوقف أبداً. صلاتي أن يكون هذا الكتاب "رب المجد" بركة لكل من يلتقي به من خلال صفحاته، ويقبله رباً ومخلصاً لحياته، استعداداً لعودته القريّة لعالمنا. "له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين" (أفسس ٣: ٢١).

جدول المحتويات

١	في البدء- الكلمة
٣٣	الله معنا
٦٣	المُعَلِّمُ الأعْظَمُ
٩٥	شافينا العظيم
١٢٦	صانع المعجزات
١٥٨	حمل الله
١٨٩	مثالنا في الصلاة
٢٢١	حي إلى الأبد
٢٥٣	كاهننا وشفيعنا الأعظم
٢٨٤	تعال ربِّي يسوع
٣١٦	المسيح في سفر الرؤيا
٣٤٧	ربُّ المجد

الفصل الأول

كانون الثاني "يناير"

في البدء - الكلمة



في البدء الله

"في البدء خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ." (تكوين ١ : ١)

في البدء- في بدء الزمن، عندما بدأت ساعة الزمن بالتحرك، بدأ الله بخلق الأشياء التي تُقاس بالزمن. قبل هذا الوقت كان الله ساكن الأبدية موجوداً. أمّا بالنسبة لنا، فيكفي أن نؤمن في البدء كان الله خالق الأكوان. أهم كلمات يبدأ بها الله كتابه المقدس. إذا أردت أن تعيش طريق الله في هذا العالم المليء بالخطيئة، عُدْ إلى البدء مع الله. تُخبرنا كلمة الوحي أموراً عديدة عن الله، العالم الذي خلقه، والناس الذين وضعهم على الأرض. إذ نعود إلى البداية نكتشف الله خالق الكل ونكتشف أنفسنا على حقيقتها، إلى جانب معنى وقصد حياتنا. أول ثلاث كلمات يستهل بها سفر التكوين تضع الله ليس أصل كل الأشياء وحسب، بل ومركزها أيضاً. فالله قبل كل شيء يعود له الفضل كخالق الكل. وكل تعريف لما هو حق وعدل يركز فيه. ولا عجب أن كون الله الرائع اتَّبَعَ في البدء طريق الله.

تذكرنا كلمة "في البدء" أن كل شيء بشري له بداية. فالله وحده يجلس على عرش الكون كسيد الزمن ليس له بداية أو نهاية. فمن وجه المقارنة يبقى الإنسان بشري زائل محدود في الزمن، بينما الله أزلي لا محدود. تحدّث كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن هذه المقارنة فقال "أنت يا رب، وضعت أساس الأرض في البداية. هي تَفْنَى، وأنت تبقى. ولكنك أنت الدائم الباقي، وسنوك لن تنقضي" ١٠-١٢. ففعلولنا المحدودة لا تستطيع التفكير في البداية بدون التفكير بالله لأنّه في البدء. فكل حكمة وكل عطية صالحة مصدرها الله. وإذا أردنا أن نكون على صورة جابلنا من جديد، ينبغي أن تجد حياتنا وخططنا بدايتها في الله. ولا عجب أن قال يسوع لنيقوديموس، - "لا يمكن أن يدخل أحد ملكوت الله إلا إذا وُلِدَ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ" (يوحنا ٣ : ٥).

إنّه لامتياز لنا أن نعيش بثقة ثابتة بأنّ "الذي بدأ فيكم عملاً صالحاً سوف يُتِمُّهُ إلى يوم المسيح يسوع" (فيلبي ١ : ٦). إن يسوع هو "رئيس إيماننا ومُكَمِّلِهِ". (عبرانيين ١٢ : ٢). دعونا ألا ننسى أبداً الحقيقة الرائعة المتمثلة بالكلمات "في البدء... الله" تؤكد الآية الأولى من سفر التكوين أن الله قبل الكل وهو الصانع الكل. تُعتبر هذه الآية الأساس بالنسبة للعالم المادي. كما تؤكد الحقيقة القائلة بعدم حاجة الله إلى مواد أولية لخلق السماوات والأرض. لم يكن الباري بحاجة إلى شيء سوى أن يقول "كُنْ فَيَكُنْ" كانت كلمته كافية ووافية. وفي هذا يقول صاحب المزامير "قَالَ كَلِمَةً فَكَانَ. وَأَمَرَ فَصَارَ". (مزمور ٣٣ : ٩). لا نعلم شيئاً عن الطريقة التي صنع بها الله الكل سوى كلمته التي نطق بها وحُكِمَ بأن ما صنعه كان حسناً. لا يمكن لأنسان محدود أن يشرح عمَل الخليقة عن طريق العلم لأن مقاصد الله أبعد ما تكون عن فهم الإنسان. قد يسأل البعض "متى خلق الله السماوات والأرض؟" يأتي جواب الكتاب المقدس "في البدء". وبعد ستة أيام من الخليقة يأتي السؤال "متى انتهى الله من عمله خالقاً؟" يأتي جواب الله "وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكُلِّ ما فيها. وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به" (تكوين ٢ : ١).

في بداية هذه السنة، التي هي صفحة بيضاء في سجل حياتنا، لنجعل الله الأول في حياتنا عندئذ لن تكون حياتنا ملكاً لنا. إذا كان الله في البدء وهو خالق كل الأشياء فكل ما يقوله هو حق وكل مع ما يتعارض مع كلامه هو باطل. كان آدم وحواء في جنة عدن في تواصل دائم مع الله وتعلماً الاعتماد عليه ودعم أحدهما الآخر. عِش في اعتماد دائم على الله، ولا تتردد في فحص حياتك في ضوء ما يُعلِّمُ الكتاب المقدس. جاء المسيح ليكون مُخلِّصنا، مات ليغفر لنا، وقام ليُحرِّرنا من عبودية الذات. ليُعطينا الرب يسوع نعمته لنعيش بحسب إرادته في البدء رغم خطايانا الكثيرة.

في البدء كان الكلمة

"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع الله. وكان الكلمة هو الله." (يوحنا ١: ١)

يتشارك سفر التكوين وإنجيل يوحنا بنفس البداية "في البدء" حيث يتم التركيز على أزيّة الخالق وخلق الإنسان سيّد وتاج الخليقة. في البدء كان الكلمة" فالكلمة هي واحدة من ألقاب السيّد المسيح. وكما كانت الكلمة واسطة اتصال الله بالناس، هكذا يسوع أظهر للناس صفات الله وكلمته المقدّسة. كان يسوع تجسيداً لكلمة الله المكتوبة والمنطوقة. في البدء، قبل الخليقة والزمن- كان المسيح مع الله طيلة أجيال الأبدية وكان الكلمة الله، لكن ما ميّز يسوع هو قبوله الطوعي ليأخذ جسد تواضعنا وقد أحبنا لبيد نفسه ذبيحة حيّة ويفتدينا من آثامنا.

"في المسيح ارتبطت الأسرة الأرضية والأسرة السماوية معاً. فالمسيح الممجّد هو أخونا. فلذلك تعترّ السماء بالبشرية، والبشرية تحتضنها المحبة غير المحدودة" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٣).

يستعمل البشير يوحنا الكلمة اليونانية "لوغوس" والتي تعني "الكلمة" لتقديم ألوهية السيّد المسيح الذي هو الحياة والنور. نرى نفس المعنى في صلاة رجل الله موسى "يا ربّ قبل أن أوجدت الجبال أو كوّنت المسكونة، أنت الله من الأزل وإلى الأبد" (مزمور ٩٠: ٢). في الآية الثانية من يوحنا ١ نقرأ عن يسوع أنّه "هو كان في البدء مع الله" فبالإضافة إلى كونه الله، يدعو يوحنا السيّد المسيح "الكلمة الأبدية".

في يوحنا ١: ٣ نقرأ أنّ بالمسيح "تكوّن كلّ شيء، وبغيره لم يتكوّن أي شيء مما تكوّن" تظهر هذه الآية ما قاله يسوع للمرأة السامريّة بأنّ "الله روح" أي أنّ الله الآب لا هيئة جسديّة له، نفس الشيء يمكن أن يقال عن الأقنوم الثالث الروح القدس حيث شرح السيّد المسيح لنيقوديموس عن أن الروح كالريح "الريح تهبّ حيث تشاء وتسمع صفيها، ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب" (يوحنا ٣: ٨). يبقى يسوع - الله الابن - الوحيد الذي تواضع وصار جسداً مثلنا. وفي الآية الرابعة من أنجيل يوحنا نقرأ، "فيه كانت الحياة، والحياة كانت النور للبشر" ثمّ يؤكد يوحنا بأن يسوع خالق كلّ شيء ومصدر النور ومُعطي الحياة وبهاء مجد الله نزل إلى عالمنا وحلّ في ربوعنا فادياً ومخلصاً.

"لقد أتى إلى عالمنا ليعلن هذا المجد، أتى إلى هذه الأرض التي قد سوّدتها الخطيّة وشوّهتها ليعلن نور محبة الله".

"لقد اختفت ألوهيته واحتجبت تحت رداء بشريته- اختفى مجده خلف جسده البشري الظاهر للعيان" (روح النبوة، مشتهى الأجيال صفحة ١٩). نرى هنا عظمة سرّ الله الكلمة الأزيّة الذي صار مثلنا كي يصير فادينا الحبيب. في هذا، يُشير الإصحاح الأوّل من إنجيل يوحنا الآية ١٤ إلى أنّ الله الكلمة صار بشراً وخيم بيننا" وصار "عمانويل - الله معنا".

تعلم كلمة الله أنّ "الرّبّ إلّنا ربّ واحد" (تثنية ٦: ٤). فسّر الثالوث الأقدس - الآب والابن والروح القدس- أبعد من فهمنا كبشر- يتجلّى في الله الواحد ولكلّ منهم دوراً خاصاً في خطة الفداء.

يُوضح كاتب الرسالة إلى العبرانيين في مُستهلّ رسالته المسيح الابن وكلمة الله في الإصحاح الأوّل والآيات ١-٣. فالله في الأزمنة الماضية كلّم آبائنا عن طريق الأنبياء بإعلانات وطرق مُتنوّعة. أما الآن في هذا الزمن الأخير فقد كلّمنا بالابن الخالق والوارث لكل شيء. إنّ ضياء مجد الله وصورة جوهره صاحب الاسم المُتفوّق على كل اسم. عظيم في تواضعه كي تجثو لاسمه كل رُكبةٍ مما في السماء وعلى الأرض. ذاك فاديك الحبيب يسوع الله الكلمة الذي خلق الكلّ وقادر أن يُعيد صياغة حياتك وحياتي من جديد. افتح قلبك له ودعه يضيف لحياتك النعمة والسلام. له المجد والكرامة أبد الدهور. آمين.

سقوط لوسيفر من السماء

"كيف هويت من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف طرحت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟"

(إشعياء ١٤: ١٢)

قبل أن يخلق الله السماوات والأرض، خلق الملائكة ومنهم لوسيفر الذي يعني اسمه "حامل النور أو زهرة بنت الصبح" حيث كان الكروب المظلل لعرش الله. يصف النبي حزقيال في الاصحاح ٢٨ والعشر الآيات الأولى ملك صور وفي الأعداد ١١-١٩ نجد وصفاً للوسيفر بأنه خاتم الكمال وكامل الجمال. الساكن على جبل الله المقدس، كان كاملاً في كل طرقة إلى أن وجد فيه إثم، فطرحه الله من جبل الله إلى الأرض. وإذ نسأل عن طبيعة الإثم نجده في الآية ١٧ "قد تكبر قلبك بسبب بهائك، وأفسدت حكمتك من جراء جلالك".

انبهر لوسيفر بجماله وحكمته ومركزه حتى بدأ يشتهي لنفسه المجد والكرامة اللائقين بالله وحده. شكّلت هذه الكبرياء بداية حقيقية للخطيئة بالكون قبل أن يخلق الله العالم. عشعشت الكبرياء في داخل لوسيفر وتأصلت الخطيئة فيه ورغم علمه بأبعاد الأمور، وضمن حرية الإرادة التي كان يتمتع بها، اختار طوعاً طريق العصيان ضد الله فتغير اسمه إلى الشيطان "أي المضلل والمشتكي". ولا عجب أن قال يسوع لتلاميذه "قد رأيت الشيطان يهوي من السماء مثل البرق" (لوقا ١٠: ١٨).

المصدر الثاني من كلمة الله الذي يذكر لوسيفر هو إشعياء ١٤ فالأعداد ٤-١١ نجد التركيز على ملك بابل، ثم الأعداد ١٢-١٧ تذكر إلى جانب ملك بابل وصفاً للوسيفر الذي أراد في كبريائه أن يكون إلهاً لنفسه لا سيما الخمس مرات التي يركز فيها على أنانيته - أنا - إنني "إن جمال وحكمة وقوة لوسيفر خلقها الله فيه، ولكنها قادته للكبرياء وأدت به إلى العصيان والسقوط مع ذلك فهو محتفظ بهذه الصفات والقوة إلى الآن. قاد لوسيفر ثورة كونية ضد خالقه ليرى من سيكون الله. اتبع استراتيجية ليضم الجنس البشري إليه عن طريق اغوائه ليختار نفس الطريق التي اتبعها وتستبد فيه الأناية فيصبح مستقلاً عن الله ويختار طريق العصيان.

إن جوهر امتحان إرادة آدم كان نفس ما مر به لوسيفر، لكن بقالب آخر. اختار الاثنان أن يكونا "إلهاً" لأنفسهما كان ذلك وما يزال قمة الخداع. تبنى الشيطان هذا الخداع عن طريق التستر خلف كائن آخر مثل ملك صور، أو ملك بابل أو الحيّة التي خدعت حواء. نحتاج أن نجيب عن السؤال: لماذا أراد لوسيفر أن يتحدى الله وينزع منه عظمته وعرشه؟ فكر أن يقاتل من هو أقوى منه معتقداً أن لديه القوة لمنازلة خالقه. لم المحاولة وهو عالم بأنه سيهزم في النهاية؟ عمت الكبرياء بصيرته ووصل إلى طريق مسدود رغم محاولة الله رده عن شره.

بادر الله لوضع حد لهذا العصيان حيث نقرأ في رؤيا ١٢ فقامت حرب في السماء بين المسيح وملائكته والشيطان وملائكته. انتصر المسيح فيها بالطبع. "طرح التين العظيم، الحيّة القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يضل العالم كله، طرح إلى الأرض، وطرحت معه ملائكته". (رؤيا ١٢: ٩).

بعد سقوط أبونا الأولين في الخطيئة أصبحنا جزءاً من الصراع العظيم بين المسيح والشيطان. ورغم إمكانية الشيطان وملائكته أن يظهروا أنفسهم بمنظر ملاك نور ويخدعنا، يبقى لنا أن نحصن أنفسنا طالبين إرشاد روح الله وفهم الحق كما علمنا إياه المسيح.

سمي لوسيفر زهرة أو كوكب الصبح، ومن ألقاب يسوع "كوكب الصبح المنير" هذا بالإضافة إلى ألقاب مشتركة مثل "أسد زائر يلتمس من يتلعه وأعطى سفر الرؤيا المسيح "أسد سبط يهوذا". لتذكر أعزائي أننا لا نستطيع مقارنة الخالق بال مخلوق. للشيطان حدود وقد هزمه يسوع على الصليب، يفوق الرب يسوع بإشراقه فهو النور الحقيقي المنير. هو الله المتجسد وقد استحق بجدارة أن ينال المجد والكرامة أبد الدهور. يسوع في تواضعه أقوى من كبرياء لوسيفر وعن قريب ستجثو أمام رب المجد كل ركلة مما في السماء وعلى الأرض. لك الحمد يا رب فادي ومخلصي إلى أبد الأبد.

قَوَّةُ كَلِمَةِ اللَّهِ

"لَأَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ." (عبرانيين ٤: ١٢)

تُحكى قِصَّةٌ عن رجل هندي كان عضواً في عصابة للسرقة. وفيما كان يسرق أحد البيوت، عثر على كتاب أسود مع شريط ذهبي فأخذه إلى البيت. في كل ليلة، كان يُمَرِّقُ صفحة من هذا الكتاب ليلف بها تبغ سيجارته. لاحظ في أحد الأيام أن اللغة المكتوبة كانت لَعْنَتُهُ هُوَ، فَفَرَّرَ أَنْ يَقْرَأَ الصفحة قبل أن يلف بها تبغه ويُدخنها. استمر على ذلك لعدة أسابيع، إلى أن جاء يوم تغيَّرَ فيه كلُّ شيء. لم يتمكن من لف سيجارته لأنَّ المكتوب في ذلك الكتاب أثار بَقُوَّةً في قلبه، رُكِعَ هذا الشاب على رُكْبَتَيْهِ وطلب من يسوع أن يُخَلِّصَهُ. ذهب لاحقاً إلى مركز الشرطة وسَلَّمَ نفسه واعترف بالسرقات التي قام بها. أودع السجن حيث قاد سُجَنَاءُ آخَرِينَ إلى يسوع. نعم، للكتاب المُقَدَّسُ قُوَّةٌ لتجديد حياتنا لنكون مع المسيح. حذَّرَ النبي إرميا مُعاصِرِيهِ لِسَنِينَ عديدة بالخراب الآتي عليهم بسبب خطاياهم وعبادتهم الأصنام. أهمل الذين سمعوه كلامه وظنُّوا أن سلام وأمان سيأتي عليهم غير أن نبوءة إرميا قد تحققت لذا قال على لسان الله في الإصحاح ٢٣: ٢٩ "أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمْطَرَقَةٌ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ؟" هُنَا وَجْهُ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ رِسَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذِبَةِ وَالنَّبِوءَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِأَرْمِيَا. فكما تحرق النار القش، هكذا الشَّعْبُ الذين سمعوا للأنبياء الكذبة. وكما تُحَطِّمُ المطرقة الصخر تتحطَّم معها كبرياء وعناد الإنسان.

ضرب الجيش البابلي كَنَارَ ومطرقة مدينة أورشليم ودمَّرها تماماً كما تنبأ إرميا. كلمة الله قادرة على هدم الحصون وكلِّ ما يعلو مُرتَفَعاً لمُقاومة معرفة الله، وأَسْرَ كُلَّ فِكْرٍ إلى طاعة المسيح (٢ كورنثوس ١٠: ٤). ولا عجب أنَّها تدخُلُ إلى أعماق الإنسان وتُمَيِّزُ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ. من المهم أن نعرف قُوَّةَ اللَّهِ في كلمته القادرة أن تُحَكِّمَنَا لِلخَلاصِ. في مَثَلِ الزَّارِعِ، قال يسوع إنَّ البَذَارَ المَزْرُوعَةَ هي كلمة الله. المقصود هُنَا هو أن الكلمة قادرة على النمو عندما تسقط على قلب مُطِيعٍ وصادقٍ وتُنتِجُ ثَمَاراً لصاحبها تعود بالخير على الآخرين. واحدة من أسباب صُمود المسيحية لألفي سنة هي قُدْرَةُ كَلِمَةِ اللَّهِ على التأثير في حياة تابعيها. أَكَّدَ الرَّبُّ يَسُوعُ ذلك بقوله "السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ" (لوقا ٢١: ٣٣). يُظْهِرُ التَّارِيخُ قُوَّةَ كَلِمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتَهَا على التَّغْيِيرِ. فمثلاً، سي س لويس كاتب لامع وبروفيسور في جامعة أكسفورد ببريطانيا. كان مُلْحِداً في شبابه لكن كلمة الله وروحه أحدثا التَّغْيِيرَ المطلوب فصار واحداً من أفضل اللاهوتيين في العالم المسيحي وسبب بركة لملايين المسيحيين حول العالم. أثبت اختبار قُوَّةَ كَلِمَةِ اللَّهِ على تجديد حياتنا الروحية. هناك الكثير من الأسلاك الكهربائية في بيوتنا، وإذا أردنا أن نُحَسَّ بِتَأْثِيرِهَا في إنارة البيت وتشغيل الأدوات الكهربائية، علينا التَّأَكُّدُ أَنَّهَا مَوْصُولَةٌ بِالتَّيَّارِ الكهربائي. ينطبق نفس الحال على كلمة الله وما لم نقرأ كلمة الله وتُصْبِحَ جُزْءاً من حياتنا اليومية فَمِنْ الصَّعْبِ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ وَنُحَسَّ بِتَأْثِيرِهَا الْقَوِيَّ فِي حَيَاتِنَا. كلمة الله هي مصدر غذائنا الروحي تمشيّاً مع قول يسوع "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ" (لوقا ٤: ٤).

وَصَلَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ إِلَى نَهَايَةِ عَظَمَتِهِ عَلَى الْجِبَلِ وَلَخَّصَهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أَشْبَهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ" (متى ٧: ٢٤). يقول يسوع لك ولي هُنَا "لا يكفي أن تسمعوا أقوالي بل ينبغي أن تجعلوها أساس أخلاقكم وطاعتكم. أَمَّا الْمَبَادِئُ الَّتِي قَدِمْتُمَا لَكُمْ فَسَتَبْقَى. فاقبلوني وابنوا بناءكم على أقوالي" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٩١). يا رَبِّي يَسُوعُ، سَاعِدْنِي أَنْ أَسْمَحَ لِقُوَّةِ كَلِمَتِكَ أَنْ تَمَلَأَ حَيَاتِي. هَبْنِي أَنْ أَطِيعَ وَصَايَاكَ وَأَدْعُ قُوَّةَ رُوحِكَ تَتَغَلَّغَلُ فِي شَرَايِينِي الرُّوحِيَّةِ فِي خِدْمَةِ حُبِّيَّةٍ لَكَ يَا مَسِيحِي الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ كِي تَتَحَقَّقَ صَلَاتُكَ أَنْ أَتَقَدَّسَ بِحَقِّكَ لِأَنَّ كَلَامَكَ هُوَ حَقٌّ وَقُوَّةٌ. آمِينَ.

أهمية كلمة الله

"فَتَشُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي." (يوحنا ٥: ٣٩)

هناك الكثير من البراهين لألوهية المسيح ودوره كفادي البشرية. يوحنا المعمدان أشار إلى يسوع حمل الله الحامل خطايا العالم. سَمِعَ صوت الله ونزل الروح القدس على يسوع عند معموديته. المعجزات والآيات العظيمة التي أجراها المسيح أعطت مصداقية لسُلطته الإلهية. لكن أعظم دليل نجده في الأسفار المقدسة بدءاً بموسى والأنبياء والأسفار التي كتبها بوحى من الله. فتشوا هذه الأسفار في بحثهم عن الحياة الأبدية و

لم يجدوا يسوع مع أن هذه الأسفار كانت تشهد لألوهيته وعمل الفداء العظيم الذي أنجزه. أُعْمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا يَسُوعَ وَصُمَّتْ آذَانُهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ مِنْ مَصْدَرِهِ الطَّرِيقِ وَالْحَقِّ وَالْحَيَاةِ. كم تلهج قلوبنا بالشكر والامتنان للمسيح الذي تَمَّمَ مطالب الناموس ووهب الخلاص لجميع الوثائقين به.

أَحَبَّ النَّاسَ قَدِيمًا كَلِمَةَ اللَّهِ وَأَطَاعُوهَا لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَنَ ذَاتَهُ بِوَسْطِطِهَا. أَخْبَرْنَا لَهُ الْمَجْدَ عَنْ ذَاتِهِ فِيهَا وَأَعْمَالَهُ فِي الْكَوْنِ وَفِي حَيَاةِ الشُّعُوبِ وَالْأَفْرَادِ، ثُمَّ أَرْسَلَ الْأَنْبِيَاءَ لِيَنْقِلُوا كَلِمَةَ إِرَادَتِهِ وَالَّذِي كَانَ آخِرَهُمْ مَلَاخِي النَّبِيُّ. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ أَرْبَعَةِ قُرُونٍ مِنَ الصَّمْتِ، ظَهَرَ يوحنا المعمدان الذي أَعَدَّ الطَّرِيقَ لِمَجِيءِ الْمَسِيحِ. كَانَ يَسُوعُ الْمُخْلِصُ هُوَ اللَّهُ الْمُتَجَسَّدُ - ضِيَاءُ مَجْدِ اللَّهِ وَحَافِظُ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ. بَعْدَ صُعُودِ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى التَّلَامِيذِ وَحَمَلَ مَسْئُولِيَّةَ إِتِمَامِ الْعَمَلِ عَلَى الْأَرْضِ فَسَكَنَ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلَنَ كُلَّ شَيْءٍ بِوَسْطَةِ الْكَلِمَةِ بَدَأَ بِيَوْمِ الْخَمْسِينَ وَإِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.

"إِنَّ دَرَاةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ تَسْمُو بِالْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ وَالْمَثَلِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ دَرَاةٍ أُخْرَى، وَتُكْسِبُ الْمَرْءَ ثَبَاتَ الْقَصْدِ وَالصَّبْرَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْجَلْدَ، وَتُطَهِّرُ الْخُلُقَ، وَتُقَدِّسُ النَّفْسَ. وَفِي هَذَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ "فَتُحْ كَلَامُكَ يُنِيرُ الذِّهْنَ، وَيَهْبُ الْبُسْطَاءَ فَهْمًا" (مزمور ١١٩: ١٣٠). (روح النبوة، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ١٠٥) لَا نَدْرُسُ كَلِمَةَ اللَّهِ لِنُصْبِحَ عُلَمَاءَ فِي الْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ، بَلْ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى صَدِيقِنَا يَسُوعَ الَّذِي بِمَعْرِفَتِهِ نَنَالُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

فِي أَفْسُسَ ٦: ١٧ يُشَبِّهُ الرُّسُولُ بُولُسُ كَلِمَةَ اللَّهِ بِ"سَيْفِ الرُّوحِ". كَيْفَ اسْتَخْدَمَ الرَّبُّ يَسُوعَ هَذَا السَّيْفَ؟ لَقَدْ وَاجَهَ كُلَّ هَجْمَةٍ مِنَ الشَّيْطَانِ بِكَلِمَةِ "مَكْتُوبٍ" وَالنَّتِيجَةُ أَنَّ الشَّيْطَانَ هَرَبَ مِنْ حَضْرَتِهِ. إِنَّهُ عَدِيمُ الْقُوَّةِ أَمَامَ كَلِمَةِ اللَّهِ. هَذَا هُوَ السَّلَاحُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَنَا لَصْدِ هَجَمَاتِ الشَّيْطَانِ وَالْعَالَمِ. عَلَيْنَا أَلَّا نَنْسَى أَبَدًا أَنَّهَا كَلِمَةُ اللَّهِ الْحَيِّ، لِذَلِكَ فَلَهَا قُوَّةٌ فِي ذَاتِهَا. إِنَّهَا سَيْفٌ ذُو حَدِيدَيْنِ تَصِلُ إِلَى أَعْمَاقِ النَّفْسِ فَتُبْكِتُ الضَّمِيرَ وَتَجْرَحُ وَالْحَدَّ الثَّانِي لِلْسَيْفِ يُدَاوِي وَيُعْزِي. فَكَلَامُ اللَّهِ هُوَ رُوحٌ وَحْيَاةٌ. يَجِبُ أَنْ نَمْتَحِنَ سُلُوكَنَا الشَّخْصِيَّ وَآرَاءَنَا الشَّخْصِيَّةَ بِوَسْطَةِ الْكَلِمَةِ. مَا أُرَوِّعُ أَنْ نَتَّقَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ.

كَلِمَةُ اللَّهِ عَوْنَا لَنَا كَمُؤْمِنِينَ حَيْثُ أَنَا لَسْنَا بِمَنْأَى عَنِ الضِّيقِ وَالتَّجَارِبِ. يِعَالِجُ الرُّسُولُ يَعْقُوبُ هَذَا الْأَمْرَ فَيُؤَكِّدُ فِي الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْمَحَنَ وَالتَّجَارِبَ قَدْ تَكُونُ سَبِيلًا إِلَى الْفَرَحِ الْكُلِّيِّ وَفِي الْآيَاتِ ٣ و٤ يَقُولُ "عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانِ إِيْمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ" مَا يُعْزِي هُوَ أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تَمْنَحُ الثَّبَاتَ وَالتَّعْزِيَةَ. كَمَا تَحْفَظُ كَلِمَةُ اللَّهِ طَهَارَتَنَا الدَّخْلِيَّةَ. لَا نَقْدِرُ عَلَى خِدَاعِ النَّاسِ وَالتَّظَاهَرِ بِالتَّقْوَى الْخَارِجِيَّةِ لِأَنَّ حَرْبًا تَدُورُ فِي عُقُولِنَا وَمِیُولِنَا وَرَغْبَاتِنَا عِنْدَمَا تَكُونُ بَعِيدَةً عَنِ اللَّهِ.

لِذَا أُعْطِيَ الْمَعْلَمُ الْأَعْظَمُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ حِينَ قَالَ "طُوبَى لِأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، فَإِنَّهُمْ سَيَرُونَ اللَّهَ" (متى ٥: ٨). قَالَ يوحنا بنیان كَاتِبِ سِيَاخَةِ الْمَسِيحِيِّ "هَذَا الْكِتَابُ يَحْفَظُكَ مِنَ الْخَطِيئَةِ، أَوْ أَنَّ الْخَطِيئَةَ تُبْعَدُكَ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ" قُوَّيَا رَبِّ إِيْمَانِي بِكَلِمَتِكَ وَأَعْنِي لِتَكُونَ دَوْمًا سِرَاجَ لِرَجْلِي كَلَامِكَ وَنُورَ لِسَيِّلِي. لَكَ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ أَبَدَ الدَّهْرِ.

مصادقية كلمة الله

"السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَرْوُلَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَرْوُلُ." (لوقا ٢١: ٣٣)

في هذا الزمن المُتَقَلِّبِ المليء بالشك والقلق، يبقى شيان ثابتان لا يتغيّران، الله وكلمته. يجلب هذا اليقين الراحة والأمان للذين يثقون بالله وكلمته المُقَدَّسَةِ التي تَعُدُّ خلاصاً بالرَّبِّ يسوع. فالعهد الذي قطعه الرب مع شعبه لا يتغيّر ولاّنه أزلّي فقد ثَبَّت وعده بقَسَم. يُعْطِي كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٦ مثلاً عن إبراهيم حيث يقول "فلَمَّا قَطَعَ لَهُ ذَلِكَ الْوَعْدَ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ" يُوَكِّد نفس الفكرة في آية ١٧ "ولِذَلِكَ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُؤَكِّدَ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ لَوَارِثِي وَعْدِهِ، أَنَّ قَرَارَهُ لَا يَتَغَيَّرُ أَبَدًا، ثَبَّتَهُ بِالْقَسَمِ" فوعد الله وكلمته هُما مصدر رجاء للحياة الأبدية ومرساة يقين وسط بحر الحياة الهائج.

ولا عجب أن قال النبي ملاخي في الأصحاح الثالث والآية ٦ "إِنِّي أَنَا الرَّبُّ لَا أَتَغَيَّرُ" فالله وكلمته لا ينفصلان عن بعضهما، وتشهد الأسفار المُقَدَّسَةِ بذلك "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ" (يوحنا ١: ١). تعكس كلمة الله إرادته وهذه حقيقة أبدية رغم أن أناساً خطأ كتبوها، لكن المؤلف الحقيقي هو الروح القدس الذي أوحى لهم بكتابتها.

تعني مصادقية الكتاب أن نتق بالله صاحب الكتاب وصدق كل ما جاء فيه. كلمة الله فريدة في تكوينها ووحدة رسالتها. كتبها أكثر من ٤٠ كاتباً مسوقين من الروح القدس من أماكن عديدة وخلفيات وثقافات مختلفة على مدى ١٥٠٠ سنة. فريدة في بيئتها وتقليدها، ومميّزة في توزيعها. يُوزَع الكتاب المُقَدَّس في العالم بأكثر من ٢٠٠٠ لغة ولهجة وهو الكتاب الأكثر مبيعاً في العالم. كُتِبَت الأسفار المُقَدَّسَة في البداية بخط اليد على ورق البردي ورقائق من جلود الحيوانات. مثلاً، وُجِدَت أكثر من ٥٠٠٠ نسخة من العهد الجديد بكامله باللغة اليونانية إضافة إلى ٨٠٠٠ آلاف باللغة اللاتينية.

لو نظرنا إلى كتابات مشاهير القدماء وعدد النسخ الموجودة لدينا منها لفاق عدد نسخ الكتاب المُقَدَّس أكثر بكثير منها أهمّها مخطوطات البحر الميت. مثلاً، يُوجَد لدينا ٧٠٠ نسخة من "اللياذة لهومر" وعدد قليل من كتابات "أرسطو".

كُتِبَ العهد الجديد خلال عقود قليلة من موت وقيامة وصُعود المسيح. رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس مثلاً قد كُتِبَت بعد ٢٥ سنة من صعود الرب يسوع للسَّماء. في الأصحاح ١٥ من هذه الرسالة يُرَكِّز بولس على قيامة المسيح مُؤَكِّدًا أن أكثر من ٥٠٠ شخص قد رأوا المسيح المُقَام. فالرُّسُلُ مثُل يوحنا كُتِبَ عَمَّا سَمِعَ ورأى بعينه ولمسته أيديه وتجلَّت أمامه حياة وتعاليم الفادي الحبيب فكتب بثقة عن محبة المسيح له ولنا. وعظ بولس وبطرس عن قيامة المسيح المجيدة وكانوا على استعداد لدفع حياتهم ثمناً لبشارة الإنجيل.

اقتبس المسيح الكثير من آيات العهد القديم وأكَّد في عظته على الجبل أنه لم يأت لينقض الناموس أو الأنبياء بل جاء لِيُكَمِّلَهَا. ودعم مصادقية الأسفار المُقَدَّسَة حيث قال "فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَرْوُلَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَرْوُلُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (متى ٥: ١٨). لذا دَعَمَ المسيح العهد القديم من حيث أصله الإلهي، ديمومته، سُلْطَتِهِ الْمُطْلَقَةُ، حَقَائِقِهِ الْمَعْصُومَةِ مِنَ الْخَطَا، وَمِصْدَاقِيَّتِهِ التَّارِيخِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ.

تكلَّم مع موسى ما أراد أن يقوله للشعب من شرائع وقوانين منها الوصايا العشر، ونرى داود يقول "تكلَّم روح الربِّ بَقَمِي، وَكَلِمَتُهُ نَطَقَ بِهَا لِسَانِي" (٢ صموئيل ٢٣: ٢) وارميا يقول "هكذا قال الربُّ" إلى جانب نبوءات وردت في الأسفار المُقَدَّسَة وتمت بالتفصيل كما نطق بها الأنبياء. مثلاً تُوجَد أكثر من ٣٠٠ نبوءة تمت بولادة يسوع وحياته وموته وقيامته وصعوده للسَّماء إلى جانب نبوءات مُتعلِّقَة بمجيئه الثاني. أقوى حجة لمصادقية كلمة الله تتجلَّى في علاقة المؤمن بالله الكتاب المُقَدَّس حيث يقود المؤمنين والمؤمنات لبناء إيمانهم على صخر الدهور يسوع الكلمة المُتَجَسِّدَة. يا رَبِّ إِنِّي أُوْمِنُ فَأَعْنِ عَدَمَ إِيمَانِي وَقُوَّتِي لِلْعَيْشِ بِمَوْجِبِ كَلَامِكَ الَّذِي هُوَ حَقٌّ وَحَيَاةٌ.

أحيا بالكلمة

"فَأَجَابَ وَقَالَ: "مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانَ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ."

(متى ٤: ٤)

اقتبس يسوع هذه الكلمات التي رددتها قبل أكثر من ألف وأربع مئة سنة عندما أطعم الشعب المن في البرية وكان القصد من هذه المؤونة أن يُعلّمهم الاتكال عليه والسير في طُرُقِهِ. "والآن ها هو المُخلّص يُمارس نفس الدرس الذي كان قد سَبَقَ وَعَلَّمَهُ لشعبه. إذ بكلمة الله قَدَّمَ القوت والعون لهم، وبِنفس الكلمة تُقدّم المعونة ليسوع الذي انتظر الوقت المُعيّن من الله لإرسال المعونة والنجدة" (روح النبوة، مُشتهى الأجيال صفحة ١٠٢).

مر أوروبى ملحد على رجل مسيحي كان قبلها من آكلي لحوم البشر ووجده يقرأ في الكتاب المقدس فقال له: "هل ما زلت في تخلفك تقرأ في هذا الكتاب الذي عفا عنه الزمن" فأجابه الرجل البربري: "لولا هذا الكتاب العظيم الذي غيّر حياتي لَكُنْتُ الآن سلقتك وأكلتك" يقرأ البعض الكتاب المقدس ككتاب أدب وحكمة وتاريخ أو كمرجع لمواضيع لاهوتية ويمرون على صفحاته مر الكرام دون أن يتأثروا بالروح والحياة التي وضعها الله في كلمته. لم يكن هذا حال عزرا الكاتب إذ عندما قرأ كتاب شريعة موسى أمام العائدين من السبي، "فهموا القراءة" بل بكوا عندما سَمِعُوا كلام الشريعة و "ابتهجوا للغاية" إن سماعهم كلمة الله حرك مشاعرهم ليعملوا بمقتضاها. إنها الكلمة "العاملة فيكم أنتم المؤمنين" "القادرة أن تبنيكم".

يعكس الكتاب المقدس خطة الله العجيبة لخلاص البشرية من خلال حياة يسوع وموته على الصليب، قيامته وصعوده للسماء. ورغم وجود المُشكّكين والمُلحدّين الذين ينتقدون كلمة الله، يبقى بُرْهان قُدرة هذه الكلمة على تغيير الحياة عظيماً ليس في حياة الأفراد وحسب، بل والأمم أيضاً. كم من شرائع ومبادئ الأخلاق استندت على وصايا الله العشر وبلورت مثلهم العليا لا سيما القاعدة الذهبية في معاملة الآخرين بأنفسنا. فالذين سمحوا للكلمة أن تُغيّر حياتهم نالوا قوّة من الله ليعيشوا حياة جديدة بالمسيح يسوع.

في رحلة التعرّف بالكتاب المقدس، نحتاج أن نكون جَدِّيْن في معرفة إله هذا الكتاب وكامل رسالته لكم ولي. وحين تلتقي كلّ التفاصيل فيه نصل معاً إلى نهاية مجيدة تُشير إلى الله الذي أرسل ابنه لخلّصنا ولفرحنا ولمجده. هذه الكلمة التي خَلَقَ بها الكلُّ مُهمّة لله وتخبرني عن صفاته كي أنمو في محبّته وأصل إلى ما يُريدني أن أكون. تُشبه كلمة الله المرساة التي أتمسكُ بها وتمنعني من الانجراف وراء تيارات العالم. لنقرأ كتاب الله يومياً لنحصل على تجديد عقليّ تمثلياً مع ما قاله الرسول بولس في رومية ١٢: ٢ "تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ".

نمرُّ بتحديات ومُنغصات يومية نشعر معها بالإحباط والغضب وتبدو رؤية الأشياء مُشوَّشة، فما أحوجنا إلى جرعة يومية من كلمة الله كي تُعطينا وضوحاً في الرؤيا وجرأة لتسليم كامل حياتنا بين يدي القدير. يشعر بعض الناس أن لا وقت لديهم لقراءة كلمة الله ولكني أسأل ما هي أولوياتكم في الحياة لا سيما الروحية منها؟ إذ نقرأ كلمة الله يزداد إيماننا ونجد شفاءً لأنانيتنا وكبريائنا حيث أن جرعة يومية تقتل الكبرياء فينا.

في كلّ مرّة تصل الكلمة إلى عقولنا تحقق قصد الله وتكون ثمرة كما أكد إشعيا "وتُحقّق ما أرغَبُ فيه وتُفلح بما أَعْهَدُ بِهِ إِلَيْهَا." (إشعيا ٥٥: ١١). يُريد الربُّ يسوع أن يتواصل معنا ويُقابلنا ويتكلّم معنا بواسطة روحه وكلمته، فهل نسعى لعلاقة حيّة معه؟ يسوع هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. كلمته أيضاً أبدية كتبت لتعليمنا وتجديد حياتنا. لنرضي مسيحنا البار ونتشبهه بأخلاقه السامية ونطلب منه أن يُغيّر حياتنا وقلوبنا لتكون بانسجام معه ونعيش بكلّ كلمة ينطق بها في كتابه العظيم.

خالق الكل

"فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ." (كولوسي ١: ١٦)

يُعطي الرسول بولس في هذه الآية وآية ١٧ تفاصيل عن كون المسيح خالق كل: ما في السماوات وما على الأرض "فيقدم ٣ أفكار (١) كل الأشياء خُلِقَتْ بالمسيح (٢) هو قَبْلَ الْكُلِّ (٣) المسيح حامل كل الأشياء بكلمة قدرته. كل الأشياء تَمَّتْ بالمسيح- كل الأشياء تدين بوجودها لرب المجد. فهو مصدر ومُعطي الحياة والذي يُحافظ على استمراريتها. "بالمسيح عَمَلَ الْآبَ فِي خَلْقِ الْكَائِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ. وللمسيح المُعَادِلُ لِلآبِ قَدَّمَ كُلَّ سَكَّانِ السَّمَاءِ وَلاَهُمْ" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٥٣٧). للمسيح سلطان على كل المخلوقات والملائكة وآية سُلْطَةِ أُخْرَى. أَقَرَّ اللَّهُ بِسْمُوِّ الْمَسِيحِ وَسُلْطَانِهِ حَيْثُ كَانَ مُمَيَّزًا لَيْسَ فِي حَيَاتِهِ وَحَسَبِ، بَلْ فِي مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ كَمَا نَقَرْنَا فِي كُولُوسِي ٢: ١٥ "إِذْ جَرَدَ الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جَهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ"

يَبْرُزُ الْمَسِيحُ يَسُوعَ كَمُخْلَصٍ وَرَبِّ حَيَاتِنَا، لَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ خَالِقُنَا. يُرَكِّزُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ بِقُوَّةٍ لَا سِيَّمَا مَا بَدَأَ يُوْحَنَّا إِنْجِيلُهُ الْعَظِيمَ لِلخَلَاصِ بِقَوْلِهِ، "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ" "بِهِ تَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ، كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَبِهِ تَكُونُ الْعَالَمُ" (يوحنا ١: ١ و ٣ و ١٠). نجد ثلاثة أمور هامة فيما قاله الحبيب يوحنا حول يسوع والآب: (١) يسوع كان في البدء (٢) تَمَيَّزَ يَسُوعَ حَيْثُ كَانَ مَعَ اللَّهِ مِنْ الْبَدْءِ حَاضِرًا فِي الْخَلِيقَةِ، فَهُوَ وَجَدَ أَرْثِيًّا مَعَ اللَّهِ (٣) يسوع هو بنفس طبيعة الله- فقد كان الله . نجد في هذه الآيات قصة حُبِّ بَيْنِ اللَّهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ. وَتُعِيدُ قِصَّةَ قَدِيمَةٍ مَعَ التَّرْكِيزِ عَلَى شَخْصِيَّاتٍ هَامَةٍ. تَبْدَأُ تِلْكَ الْقِصَّةُ بِالْكَلِمَاتِ "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" فَلَيْسَ مِنْ بَابِ الصُّدْفَةِ أَنْ نَرَى تَشَابُهًا بَيْنَ الْقِصَتَيْنِ. عِنْدَمَا بَدَأَ الرُّسُلُ وَالْمَسِيحِيُّونَ الْأَوَّلُونَ فَهَمَ شَخْصِيَّةُ يَسُوعَ وَمَنْ يَكُونُ، لَا بُدَّ وَأَنْ سَأَلُوا هَذَا السُّؤَالَ: كَيْفَ نَفْهَمُ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ وَجَدَ فِي ضَوْءِ مَجِيءِ ابْنِ اللَّهِ؟ كَانَ الْجَوَابُ الَّذِي شَفَى غُلِيلَهُمْ "كُلُّ شَيْءٍ تَمَّ فِي الْمَسِيحِ"

يَسْتَهْلُ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ فِي الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ: ٢ و ١١ بِالْحَدِيثِ عَنْ تَمَيُّزِ الْمَسِيحِ كَخَالِقِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ. صَدَقَ صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ إِذْ قَالَ: "لَكَ ذِرَاعُ الْقُدْرَةِ. قُوَّتُهُ يَدُكَ. مُرْتَفَعَةُ يَمِينِكَ. الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالْأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مزمور ٨٩: ١٣ و ١٤). كَانَ الْمَسِيحُ صُورَةَ جَوْهَرِ اللَّهِ الْآبِ مَعَ نَفْسِ الطَّبِيعَةِ. فَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْآبُ يَفْعَلُ الْابْنُ أَيْضًا وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ. كِلَاهُمَا فِي انْسِجَامٍ وَتَوَافُقٍ تَامِينَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ. الثَّالُوثُ الْأَقْدَسُ يُشَكِّلُ إِلَهَ وَاحِدَ فَقَطِ الرَّبِّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ". (تثنية ٦: ٤).

فمعرفة أن المسيح هو الله وله جميع مواصفات الله يُساعد في فهمنا أنه الخالق أيضاً. المسيح هو واسطة خليقة الله. فالعالم خُلِقَ مِنْ خِلَالِهِ. كَانَ لِلآبِ وَالابْنِ عَمَلُهُمَا الْمُمَيَّزُ فِي الْخَلِيقَةِ، مَعَ ذَلِكَ، عَمَلًا مَعًا لَخَلْقِ الْكَوْنِ. يَقُولُ يُوْحَنَّا ١: ٣ عَنْ الْمَسِيحِ "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ" كَمَا أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ الْأَقْنُومَ الثَّالِثَ فِي الثَّالُوثِ الْأَقْدَسِ كَانَ عَامِلًا فِي الْخَلِيقَةِ. فَالرُّوحُ وَالرِّيحُ وَالنَّفْسُ كَانَ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. نَرَى إِذَا نَشَاطُ الْأَقْنُومِ الثَّلَاثَةِ فِي الْخَلِيقَةِ. نَسْتَنْتِجُ أَنَّ الْآبَ هُوَ الْخَالِقُ وَخَلَقَ الْكُلَّ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الْابْنَ.

خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ، أَمَّا السَّبْتُ فَقَدْ خَلَقَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَحَيْثُ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ قَبْلَ السَّبْتِ فَلَا يُمَكِّنُ لِأَدَمَ أَنْ يَكُونَ رَبُّ السَّبْتِ لِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا. هُنَاكَ صِلَةٌ وَثِيقَةٌ نَجِدُهَا بَيْنَ الْخَلِيقَةِ -إِعَادَةِ الْخَلِيقَةِ وَالسَّبْتِ. شَفَى يَسُوعَ كَسِيحًا ل ٣٨ سَنَةً بِقَوْلِهِ "قُمْ أَحْمِلْ سُرِيرَكَ وَامْشِ" أَمَّا الشِّفَاءُ الثَّانِي يَوْمَ السَّبْتِ فَكَانَ لِأَعْمَى مُنْذُ وَلادَتِهِ حَيْثُ صَنَعَ يَسُوعُ طِينًا وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنِ الْأَعْمَى وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَغْتَسِلَ بَعْدَهَا فِي بَرَكَةِ سُلُوَامٍ. بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي جَبَلَ فِيهَا آدَمَ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ الْحَيَاةِ فَصَارَ نَفْسًا حَيَّةً. يَسُوعُ قَادِرُ الْيَوْمِ أَنْ يَخْلُقَ فِينَا قَلْبًا نَقِيًّا وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا إِذَا طَلَبْنَا مِنْهُ ذَلِكَ. الْمَجْدُ لَاسِمِ الْمَسِيحِ خَالِقِنَا الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ.

سيد وتاج الخليفة

"أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدْ امْتَرْتُ عَجَبًا. عَجِيْبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيْنًا."

(مزمو ر ١٣٩ : ١٤)

يرى داود نفسه مكشوفاً أمام الله العليم بكل شيء مالى السماوات والأرض ولا عجب أن يعرف عنه كل شيء فهو خالقه وجابله. الله خالقنا يعرف كل شيء عنا ويرانا حتى عندما نكون في الرحم، ألم يقل لإرميا في بداية دعوته "قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ". (إرميا ١ : ٥). فالمجد هنا بالكامل يُعطى للمسيح. يرفع داود الملك الحمد والمجد والتسبيح لاسم المسيح يسوع الذي أجرى في حياته مُعْجَزة عظيمة بحيث امتاز عجباً وأدرك أن ذلك من رحمة البار ونعمته الواسعة عليه.

هَيَّاَ اللهُ كُلَّ مُقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ فِي الْخَمْسَةِ أَيَّامِ الْأَوَّلَى مِنَ الْخَلِيقَةِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسِ خَلَقَ الْحَيَوَانَاتِ بِأَنْوَاعِهَا فَتَمَّ الْكُلُّ بِكَلِمَةِ اللهِ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ. أَمَّا آدَمُ فَقَدْ خَلَقَهُ بِطَرِيقَةٍ مُمَيَّزَةٍ وَشَخْصِيَّةٍ حَيْثُ نَرَى فِي تَكْوِينِ ١ : ٢٧ تَكَرُّرَ الْفِعْلِ "خَلَقَ" ٣ مَرَّاتٍ حَيْثُ تَمَّ أَجْمَاعُ اللهِ الْآبَ وَالْإِبْنَ وَالرُّوحَ الْقُدُّوسَ عَلَى صُنْعِ الْإِنْسَانِ عَلَى صُورَةِ اللهِ. "جَبَلَ آدَمُ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ وَأَعْطَاهُ أَوَّلَ قُبْلَةٍ حِينَ نَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" بعد ذلك جاء البارى بكل الحيوانات لآدم كي يعطيها أسماء ولاحظ آدم أن لكل حيوان رفيقة.

كان آدم ابن لله قادراً أن يُبادلَه المحبَّة، مع ذلك، لاحظ المبدع العظيم أن شيئاً ما كان ناقصاً وذلك الشيء هو حواء فقال "ليس جيداً أن يكون آدم وحيداً، سأصنعُ له مُشَابِهاً له. أوقعَ الربُّ سُبَاتاً على آدم وأخذَ أحدَ أضلاعِهِ وسدَّ مكانَهَا لحِماً وَمِنْ ذَلِكَ الضِّلَعِ عَمِلَ حَوَاءَ وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. كَانَتْ آخِرَ لِمَسَةِ رَائِعَةٍ وَفِي قِمَّةِ الرُّوعَةِ وَالْجَمَالِ. وَقَدْ سَدَّتْ حَوَاءَ فَرَاغاً فِي الْكُونِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيَمْلَأْهُ سِوَاهَا. هَكَذَا وَصَلَ الْخَالِقُ إِلَى نَهَايَةِ مَجِيدَةٍ فِي عَمَلِ الْخَلِيقَةِ خَتَمَهُ بِقَوْلِهِ "حَسَنٌ جَدًّا" مَا أَرَوْعَكَ رَبِّي يَسُوعُ فِيمَا أَبْدَعْتَ يَدَاكَ وَخَلَقْتَنَا لِمَجْدِكَ.

بعد أن يتأمل داود في المزمور الثامن بعظمة السماوات، القمر والنجوم وكيف رتب القدير مداراتها، يتساءل قائلاً "مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَهْتَمُّ بِهِ؟ ثُمَّ يَقُولُ فِي الْآيَةِ الْخَامِسَةِ "وَتَقْصُصُهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبِهَاءٍ تُكَلِّلُهُ" رغم ما تعكس السماوات والمجرات من مجد الله، إلا أنه نظر إلى الإنسان وأكرمه في الطريقة التي خلقه فيها. ولا عجب في ذلك، فآدم الثاني المسيح أخذ جسداً تواضعنا وصار واحداً منّا كي يفدينا على الصليب. لقد وضعَ الله ختمه على الجنس البشري الذين يحملون صورته. وهذا ما جعل للحياة قُدْسِيَّةً وَكَرَامَةً.

يُحِبُّ الْإِصْحَاحُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ عَنْ ثَلَاثِ أَسْئَلَةٍ هَامَّةٍ: "١" مَا قِيَمَةُ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ؟ لِمَاذَا خَلَقْنَا اللهُ؟ "٢" مَا مَعْنَى أَنْ نُخْلَقَ عَلَى صُورَةِ اللهِ؟ "٣" كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَتِمَّكَ مِنَ الْعَيْشِ مَعَا؟ يَبْدَأُ سَفَرُ التَّكْوِينِ بِاللَّهِ، ثُمَّ يَقُودُنَا تَدْرِيجِيًّا إِلَى الْإِنْسَانِ سَيِّدٍ وَتَاجِ الْخَلِيقَةِ. كَانَ اللهُ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْمُطْلَقَةُ الَّتِي بَدَأَ بِهَا الْكَوْنُ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْ لَاشَيْءٍ سِوَى كَلِمَتِهِ. مَا أَحْوَجُنَا إِلَى الْإِيمَانِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ١١ : ٣ "بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ اتَّقَنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يَرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" لَكُلِّ مَنَّا اخْتِبَارَاتُ مَاضِيَةٍ ذَاقَ فِيهَا جُودَ الرَّبِّ يَسُوعَ وَإِحْسَانَاتِهِ عَلَيْهِ، مِمَّا يَعْطِيهِ الثِّقَةَ بِأَنْ يَرَى قِيَادَةَ الرَّبِّ فِي حَيَاتِهِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ أَيْضًا. يَسُوعُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ. لَهُ الشُّكْرُ وَالْإِمْتِنَانُ لَوَاسِعٍ مَحَبَّتِهِ عَلَيْنَا.

مَنْ أَنَا؟ سُؤَالٌ كَبِيرٌ يَحَاوِلُ الْكَثِيرُونَ الْإِجَابَةَ عَلَيْهِ حَتَّى الْفَلَسَفَةُ مِنْهُمْ؟ لَكِنْ جَوَابُ الرُّسُولِ بُولُسُ يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ حَيْثُ يَقُولُ فِي أَفْسُسَ ٢ : ١٠ "فَإِنَّا نَحْنُ نُحْفَظُ مِنَ اللهِ، وَقَدْ خَلَقَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أَعَدَّهَا سَلَفًا لِنَسْلِكَ فِيهَا" أَنَا جَوْهَرَةٌ فِي تَاجِ الْخَلِيقَةِ. حَدِيقَةُ عَيْنِ اللهِ، ابْنُ وَابْنَةِ لَهُ. أَنَا كَنْزُ اللهِ الَّذِي لَا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ. أَنَا الْمَحْبُوبُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ خَالِقِي الْعَظِيمِ. سَيِّدُ تَاجِ الْخَلِيقَةِ. أَنَا نُحْفَظُ أَبَدِيَّتِي أَصَابِعَ الْمُبْدِعِ الْأَعْظَمِ لِأَعِيشَ لِمَجْدِهِ وَاعْتَرُ أَنِّي مِنْ صُنْعِ يَدَيْهِ وَهُوَ مَعِيَ كُلَّ الْأَيَّامِ وَإِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.

إِتِمَامُ الْخَلِيقَةِ

"بِكَلِمَةٍ مِنَ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةٍ فِيهِ كُلُّ مَجْمُوعَاتِ الْكَوَاكِبِ." (مزمو ٣٣: ٦)

خلق الله السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بكلمةٍ منه وليس من موادٍ أُولَيَّةٍ. هذه الكواكب - الشمس والقمر والنجوم هي مخلوقات الله وليست كي يعبدوها الناس كما فعلوا قديماً. كلمة الله هذه كانت من ألقاب المسيح في يوحنا ١ هي الكلمة التي تكلم بها الأنبياء قديماً منذ بدء العالم إلى أن جاء الكلمة الذي صار جسداً يسوع المسيح الخالق العظيم. هذه الكلمة هي بُرْهانُ لاهوت المسيح وسُمُو شخصه المبارك والذي استحقَّ عن جدارةٍ كي يكون مُخَلِّصَ الإنسانية جمعاء - أنتم وأنا. ليس لي إلى أن أضمَّ صوتي مع صاحب المزامير بتقديم التسبيح والعبادة له وأنا أُسَلِّمُ حياتي بكلِّ ثقة بين الأذرعِ الأبدية. تُنْهِي الآيات الثلاث الأولى من تكوين ٢ تسلسل أحداث الخليفة في ٦ أيام حيث نرى القوةَ الأبديةَ للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس حيث ما قام به كان عظيماً بامتياز. للرَّبِّ الأرض وملؤها من علوِّ قَمَمِها إلى أعماق مُحيطاتها. جُنْدُ السَّمَاءِ مِنَ الشمس والقمر والنجوم المتلألئة هي من عمل أصابع الخالق العظيم، الملائكة والجوقات السماوية التي رنمت على رُبِّي بيت لحم يوم ولادة خالقنا يسوع "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" لقد تَمَّتْ الخليفة الآن بأمر الله، "فأكملت السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وكلَّ جُنْدِها. ورأى الله كُلَّ ما عمله فإذا هو حسن جداً" (تكوين ٢: ١، ١: ٣١). وازدهت جنة عدن على الأرض وفتحت أزهارها، وكان لآدم وحواء كامل الحرية في الأكل من شجرة الحياة، ولهم أيضاً مسؤولية العناية بالأرض والمخلوقات عليها، ولم تكن هناك وصمة من وصمات الخطية ولا أثر لظل الموت ليفسد تلك الخليفة الجميلة، بل "ترنمت كواكب الصبح معا، وهتف جميع بني الله" (أيوب ٣٨: ٧). كان المسيح راضياً جداً عما أنجزه، وإذ نظر خالق الأكوان إلى ما أبدعت كلمته وأصابع يديه من جمال ونظام وكمال، استراح من عمله خالقاً ليس نتيجة تعب لأنَّ الربَّ كما قال إشعياء ٤٠: ٢٨ "إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الْأَرْضِ لَا يَكُلُّ وَلَا يَعْْيَا" بل ليكون اليوم السابع سبباً للإنسان ليستريح في تأمل روعة ما خلق المسيح له ويُشارك خالقه في تقديم الشكر والتسبيح له.

إنَّ فترة الستة أيام الحرفية للخليفة المؤلفة من ٢٤ ساعة عَرَفَها سفر التكوين بمساءً أَعَقَبَهُ صباح، فكان اليوم الأول. هكذا كان في كُلِّ يوم خليفة إلى اليوم السادس حيث كانت خطة الله وقصده واضحين في إعداد الأرض وما عليها لسكنى الإنسان. أما الأسبوع كوحدة زمن فلا يستند إلى حركات طبيعية للشمس أو القمر أو الأرض، بل هو فقط فترة الخليفة - فترة زمنية من ٧ أيام حرفية كما وردت في بداية سفر التكوين. لذا فكللمات يوم وليل، صباح ومساءً، نور وظلمة هي فترات زمنية مُحدَّدة لا يمكن أن تكون مدة طويلة كما يدَّعي البعض.

ففي ستة أيام تحوّلت الأرض من مُقفرة ومُظلمة إلى كوكب ينبض بالحياة مليء بالحيوانات والنباتات إلى جانب أبونا الأوّلين اللذان شاركا الملائكة ترانيم الحمد بجمال ما أبدع الله من خليفة. لم يُبقَ له المجد أي شيء ناقصاً، بل كانت خليفة رائعة ما نزال نحتفل بها اليوم في اليوم السابع من كلِّ أسبوع. نطق المسيح بكلمة الخليفة في جنة عدن، وصار الكلمة جسداً في بيت لحم، حيث أعاد الحياة للمرضى وأقام الموتى.

خالقي القدوس يسوع، ساعدني أن أتأمل بروعة ما خلقته رغم ما شوّهته الخطيئة، وأن أرى دوري في كونك الواسع كابن وابنة مخلوقين على صورتك ولمجديك. أبادلك الحُبَّ لأنَّك أحببتي أولاً. جمعت آدم وحواء برباط الزواج المقدس كي يكونا نواة صالحة للجنس البشري. اجمع قلبي كي ينطق بمجديك تماماً كما تعكس سماواتك ذلك. أعني أن أتممَّ ارادتك وقصدك في حياتي على الدوام. لك الحمد والمجد أبد الدهور.

على صورة الله

"فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ." (تكوين ١: ٢٧)

كان قرار الله خلق الإنسان ضمن ارادته وقصده وللتعبير عن جوده وقوته وبالطبع مجده. صحيح أن الإنسان خُلِقَ لمجد الله ليكون في علاقة وُدِّيَّة مع جالبه المبدع الأعظم، وفي هذا يتغنَّى زمور ١٠٠ بعبادة الله صانعنا حيث أننا شعبه وغنم مرعاه. أعدَّ البارى الأرض وكلَّ ما عليها لظهور الإنسان سيِّد وتاج الخليقة. يتميَّز الإنسان ذكراً وأُنْثى بكونه الوحيد الذي نال خطوة أن يُخلق على صورة الله كشبهه دُون باقي المخلوقات. كانت تلك نواة العائلة حيث جمعهما الله برباط الزواج المقدَّس.

كان الإنسان فريداً في قدرته الأخلاقية، كما زرع الخالق فينا بعضاً من صفاته لنختبر الحق بشكل شخصيٍّ ونتمتع بحرِّية الإرادة واختيار الصواب والمنطق. أبدى الله اهتماماً خاصاً بخلق الإنسان حين قرَّر الثالوث الأقدس قائلاً "لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" تعني هذه الصورة أيضاً أن نكون مسؤولين عن كلِّ الأرض وباقي المخلوقات ونرعاهم تحت سيادة الخالق العظيم الإله الأبديَّ صانع السماوات والأرض.

كوننا مخلوقين على صورة الله يُعطينا قيمة كبيرة، نرى هذه الفكرة عبر صفحات الأسفار المقدَّسة حيث ينهانا الرسول يعقوب ٣: ٩ عن لعن شخص آخر لأنَّه مخلوق على صورة الله. لنحترم واحداً الآخر لأنَّنا جميعاً من أب واحد هو آدم وصُنْعنا من دم واحد، لماذا إذاً نتكبَّر وندين بعضنا بعضاً؟ نرى أيضاً ما حدث بعد الطوفان أن الله قال لنوح وبنيه "سَافِكُ دَمِ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ يُسْفِكُ دَمَهُ. لَأنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الْإِنْسَانُ".

(تكوين ٩: ٦). "لقد خلق الله الإنسان على صورته، فلا غموض هنا، ولا أساس لافتراض كون الإنسان قد خضع للتطور في أطوار نمو بطيء، من الطور الحيواني المنحط. مثل هذا التعليم يحقر العمل العظيم الذي عمله الخالق ويحطه إلى مستوى فهم الإنسان الترابي الضيق" "وكان للإنسان أن يحمل صورة الله في الشبه الظاهر وفي الصفات أيضاً. وكانت طبيعته في وفاق وإرادة الله، وكان عقله قادراً على إدراك الأمور الروحية، وكانت عواطفه طاهرة، وأشواقه وانفعالاته النفسية تحت سيطرة العقل، وكان مقدساً وسعيداً لكونه يحمل صورة الله، وكان يقدم لله طاعة كاملة" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٢٥). عبر الله عن صلاحه بخلق الإنسان ليكون قادراً على التواصل معه والعيش لمجده.

كان قصد الله أن يعيش الإنسان للأبد، لكن سقوطه في الخطيئة جعله مخلوقاً فانياً بحاجة إلى ردِّ صورة الله له من جديد. هنا جاء دور المسيح الذي بطبيعته صورة الله الأبدية كما صوَّره كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١: ٣ "هُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ" إنه بالحقيقة "صُورَةُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُرَى". (كولوسي ١: ١٥). لذا، هُوَ بِنَفْسِهِ الخالق والصانع لصورة الله، مع أنَّ الثالوث الأقدس كان ضالِعاً في خلق الكلِّ. ما خسره آدم الأوَّل ربحه آدم الثاني المسيح يسوع الَّذِي اختار أن يأتي لعالمنا ليُعبدنا إلى حظيرة الخراف ويموت عنا ليفتدينا من لعنة الخطيئة.

هذا ما تحدَّث عنه الرسول بولس في ٢ كورنثوس ٥: ١٩ بقوله "أَيُّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِيْنَا كَلِمَةَ الْمُصَالِحَةِ". يصف بولس هنا عمل الله الجديد في العالم بالمسيح يسوع. كلُّ الذين يؤمنون بموت المسيح الكفاري عنهم سيُمنحون هبة النعمة ببرِّ المسيح. هذا هو الإنسان الجديد الذي تصالَح مع الله بعد أن محا موت المسيح العداوة لتحلِّ المُصَالِحَةُ بينهما من جديد. إذا كُنْتَ تتصارع لتجد مكانك في كون الله الفسيح، يأتيك الجواب فيما قام به المسيح لأجلك ولأجلي. أنت تُحفِّة الله بامتياز، خلقتك لتحقيق قصده لحياتك حاضراً ومُستقبلاً. قريباً سيأتي يسوع ليُرَدِّ اعتبارك كابن وابنة له. ثبَّتْ نظرك فيه في انتظار اللقاء به في ديار المجد، عندها ستكون صورته كاملة فيك وفي. لربِّ المجد كل حمد وتسبيح أبد الدهور.

جَنَّةُ عَدْنِ ١٢

"وَعَرَسَ الرَّبُّ إِلَهُ جَنَّةٍ فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ." (تكوين ٢: ٨)

ورد ذكر أول حديقة في الكتاب المقدس حيث غرس الربُّ الإله جَنَّةً في عدن شرقاً ووَضَعَ فيها آدم ليعملها ويحفظها. صمَّمَهَا الخالق للإنسان، لكنه خسرَهَا بسبب الخطيئة. مُعْظَمُ الجنائن في العهد القديم كانت تُزْرَع بالأشجار المثمرة. بعضها كان فيها بئر ماء أو سياج حولها. اختار يسوع بُسْتَانِ الجسمانية مكانه المفضل للتأمل والصلاة وفيها قام يهوذا بتسليمه للصلب. يعتقد البعض أن الاسم "عدن" يأتي من اللغة الأكادية بمعنى "سهل" كما أن معناها في اللغة الأصلية يعني "الفرح أو السعادة" وهذا ما نُطْلِقُهُ اليوم على موطن المفديين السعيد.

ارتبط هذا الاسم بالمكان التي غرس الربُّ فيه الجَنَّة. كانت البيت الذي اختاره الله لسكنى آدم وحواء والعناية بها. اشتهرت هذه الجَنَّة كمنبع لنهرين ما زالا موجودين الآن وهما دجلة والفرات، وفي وسطها شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة. ارتبط موقع هذه الجَنَّة بمنطقة "ما بين النهرين".

"أغدق الله عزير بركاته على أبويننا الأولين على شرط الولاء والطاعة لشريعته، فإن أطاعا نَعِمًا بالحياة، أمّا إذا عصيا فمصيبرهما الهلاك. ففي جَنَّةِ السَّلام كان يربُضُ المهْلِكُ مُتَأَهِّبًا للوثوب على فريسته" (روح النبوة، الآباء والأنبياء صفحة ٣٤). اختار ابليس الحيَّة وسيلة الإيقاع بحواء حيث بدھائه أقنعها بالشك في وصية خالقها الوحيدة بأن لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر وبأنها لن تموت وآدم كما حذرهما الله. راقب آدم ما يجري واختار طريق العصيان.

"عزم آدم على مُشاطرة حواء مصيرها، فإن ماتت مات معها. وتساءل في نفسه: ألا يمكن أن يكون كلام الحيَّة صادقاً؟ لم يبدو أية ظاهرة للموت، فعوّل على تحمّل كل نتائج العصيان. فأمسك بالثمرة المنهي عنها وجعل يأكل في اسراع" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٣٨).

بعد سُقُوطهما في الخطيئة، وقعتْ الإنسانيَّة تحت لعنة الخطيئة، وطردَ الله آدم وحواء من الجَنَّة ومنعهما من دخولها. بعد عصيانهما انفتحت أعينهما ليريا خزي ما قاما به وعُري الخطيئة. لُعنَت الأرض والحيَّة وبدا الشوق كبيراً لدى آدم وحواء للعودة إلى الجَنَّة المُستردَّة. جاء المسيح ليُطِلَّ العداوة نتيجة سُقُوط الإنسان وصار "عمانوئيل" الله معنا. "إن خطية أبويننا الأولين جلبت على العالم الجرائم والأحزان، ولولا صلاح الله ورحمته لطوح بجنسنا في هاوية يأس لا يرجى منها خلاص. لا يخدعن أحد نفسه، فإن "أجرة الخطية هي موت" (رومية ٦: ٢٣). إن شريعة الله لا تنتهك كرامتها بدون عقاب الآن، بل لم تزل الحال كما كانت حين حكم الله بالقصاص على أبي الجنس البشري "روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٤٢).

"بقيت جنة عدن على الأرض وقتاً طويلاً بعدما طرد الإنسان منها. وقد سُمِحَ لبني جنسنا الضال أن يروا، لمدة طويلة، موطن الطهارة، ولكن الطريق إليه كان مسدوداً إذ كان الملائكة يحرسونه. وعندما طغى على العالم طوفان الإثم، وأوجبت شُرور الناس الحكم عليهم بالهلاك بمياه الطوفان، فاليد التي كانت قد غرست جنة عدن نقلتها من الأرض. ولكن أخيراً عند أزمّة رد كل شيء حين يخلق الله "سماً جديدة وأرضاً جديدة". (رؤيا ٢١: ١) ستعود الجنة أجمل مما كانت، مزينة بأجمل مما ازدانت به في البداية" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٤٣).

تمّ الوعد بمجيء المسيح نسل المرأة الموعود الذي سحق رأس الحيَّة على الصليب. الخليقة تئن بانتظار الانعتاق من عبودية الخطيئة واسترداد ما خسرتة البشرية. عن قريب، سيصدرُ الحكم ضد الشرِّ والشرِّير. سيأتي المسيح بمجده ويخلق كلَّ شيء جديداً وسننعم برؤية شجرة الحياة في جَنَّةِ الله حيث الكل مدعو للأكل منها. سيرتنا هي في السماوات حيث سنعيش مع مسيحننا المبارك إلى أبد الأبد. آمين.

آدم أين أنت؟

"فَنَادَى الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: "أَيْنَ أَنْتَ؟" (تكوين ٣: ٩)

خلق الله آدم وحواء على صورته وأسكنهما في جنة غرسها لتكون بيتهما وأوصاهما بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر شارحاً لهما عواقب العصيان. صانع آدم وحواء هو أبونا أيضاً، فقد صَنَعَ مِن دم واحد كُلَّ الأُمَم. نحن أولاده وبناته بالخلقة والفداء. لكنَّ أزمة عصفت بالجنة وساكنتها حيث تمكَّن الشيطان من إيقاعهما بالخطيئة والشكَّ بالله وكلامه. انفتحت أعينهما للوقت ليريا خزي ما قاما به وعُري أجسادهما فخاطا لهما أوراق التين ليسترا عريهما وهربا واختبأ بين أشجار الجنة. رأى الله كُلَّ ما جرى، وكعادته عند هبوب ربح النهار، أتى ماشياً للتواصل مع أبونا الأولين لكنهما لم يكونا في مكانهما المعتاد.

نادى الربُّ آدم كونه المسؤول عن زوجته والمخلوقات كلها "أين أنت" أقصر سؤال في الكتاب المقدَّس لكن أبعاده تصل إلى يومنا هذا وحتى النهاية. يتساءل البعض كيف أنَّ الله العليم سيِّد الكون الذي خلق العالم بكلمة قُدْرته ووضع النجوم في أماكنها والشمس في مسارها يسأل آدم عن مكانه؟ لم يكن سؤال الله ليعرف شيئاً جديداً، بل ليعرِّف آدم وحواء بما قاما به من تعد على وصيته وليعطيتهما الفرصة للاعتراف بخطيئتهما قبل أن يُصدر حكمه على من عصوا كلامه. حطمت الخطيئة علاقة الإنسان مع خالقه، ولا عجب أن نرى آدم وحواء يهربان من الله خوفاً منه. تساءل داود في المزمور ١٣٩: ٧ إذا بإمكانه الهرب من وجه الله فقال "أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟". أدرك كما عرف آدم قبله عدم جدوى الاختفاء من وجه الذي كُلَّ شيء مكشوف أمامه حتى محاولة ستر عريهما بأوراق من تين بعيداً عن برِّ المسيح.

لم يعترف آدم وكذلك حواء بمسؤوليتهما عن كسرهما وصية الله، بل ألقي كل واحد منهما اللوم على الله، الزوجة والحيّة. ألقي آدم باللوم على المرأة وكأنه بطريقة غير مباشرة يضع اللوم على الله الذي خلق حواء. لقد اختار آدم عمل الخطيئة بمحض اختياره. ألا نعمل نحن الشيء نفسه كنسل آدم ونُلقي اللوم على الآخرين لتبرير وقوعنا في الخطيئة، ويكون لسان حالنا لسنا على خطأ بل نحن ضحايا الظروف المحيطة بنا والمجتمع الذي نعيش فيه. لم يشعر آدم بعار الخطيئة وخزي تعديه كلام الربِّ خالقه. يقودنا الندم إلى التوبة والمصالحة والتغيير.

بعد أن نطق بحكمه على المذنبين، قدَّم المسيح في الجنة أوَّل وعد بمجيئه من نسل المرأة حيث سيسحق رأس الحيّة أي الشيطان ويُعيد الأمل من جديد إلى آدم وحواء. تذكر قارئ العزيز أن يسوع أحبنا أوَّلاً لذا فهو الذي بادَرَ إلى المصالحة. نزل الله ليطلُب الخاطئ المذنب، جاء إلى الجنة ليُظهر عطفه على آدم وحواء ويعمل على إعادتهم إليه. يُحاول الناس ترقية مشكلة الخطيئة بأوراق تين غير مُدركين أنَّ حلول الناس واهية دون ثوب برِّ المسيح وذبيحته على الصليب الذي وفَّر الخلاص لجميع المؤمنين به.

لا يستطيع قبطان السفينة أن يجد طريقه في البحر دون الاستعانة بالبوصلة، هكذا نحن لا نستطيع أن نجد طريقنا في الحياة دون أن نسأل أنفسنا أين نحن؟ ونراجع ماضي حياتنا وأولوياتنا نحو الله وأفراد عائلاتنا. عندما نخسر هويتنا ونشعر بالضيق، تمتد يد فادينا الحبيب لتنتشلنا من هوة الخطيئة نتيجة تعدينا كلام الله. أين أنت؟ نفس السؤال موجه لكم ولي. يدعو الله كل واحد منّا باسمه، فهل نكون قريبين كي نعقد صلحاً معه؟

يسوع يبحث عنك وعنِّي لا ليُشهر بخطايانا، بل يدعونا ليقدم لنا تغيير القلب ويصالحنا لنفسه. لم يكن آدم وحواء مُستحقين عطف الله عليهما، لكنَّ مُخلصنا يسوع الذي جاء لكي يطلُب ويخلص ما قد هلك أنعم عليهما وصالحهما بموته مُظهراً عظيم محبتهم لهما ولنا جميعاً. الشكر لك يا ربِّ لأنك أنقذتنا من سلطان الظلمة ونقلتنا إلى ملكوت النعمة بالمسيح والمجد عن قريب. أين أنا؟ معك على الدوام يا مسيحي المبارك.

الرَّبُّ باني البيت

"إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلًا يَتَعَبُ الْبَنَّاؤُونَ." (مزمو ١٢٧: ١)

كلمات جميلة من الحكيم سليمان لدور الله في تكوين رباط الزواج المقدس الذي أرسى دعائمه بخلق حواء لتكون معينا ونظيراً لآدم ولحم من لحمه وعظم من عظامه. أوكل الله لآدم تسمية جميع الحيوانات فَدَرَسَ طبائعهم وأعطى لكل منهم اسماً ولاحظ أن لكل حيوان رفيقة ما عداه. قصد الله بهذا العمل أن يدرك آدم أن لا أحد من المخلوقات التي سمّاها تصلح لتكون نظيراً له بل يجب أن تكون على صورة الله مثله تماماً. أوقع الربُّ سُبَاتاً على آدم وأخذ ضلعاً من أضلاعه وسدّ مكانها باللحم وبني من هذا الضلع امرأة أحضرها إلى آدم. أخيراً، استطاع أن يرى شريكة حياته تُشبهه في الصفات والأخلاق ومُعِيناً أميناً له. كانت حواء أعظم هدية قدمها المسيح لآدم وبها توجّ خليقته بإنسانة، وفي تجسّده وُلِدَ بعد ٤ قرون من نسلها من المباركة مريم.

"لم تؤخذ حواء من رأسه لتسود عليه، ولا من قدميه لئلا يقمعها، لكن الضلع كان من جنبه لتكون متساوية معه، وقُرب قلبه ليحبّها ويرعاها بعطفه" كانا من جسد واحد مُكَمِّلَيْن أحدهما الآخر. لذا دُعِيَت حواء امرأةً لأنّها من امرئ أُخِذَتْ. "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصقُ بامرأته ويكونان جسداً واحداً". (تكوين ٢: ٢٤). بعد أن توجّ الله خليقته بحواء أمسك بيدها كأب سماوي وقادها إلى حيث كان آدم الذي قبل اختيار الله له بامتنان كهديّة منه واعترف بها كزوجة تقف إلى جانبه تحت بركة الربّ الخالق.

هكذا أسّس المسيح رباط الزواج المقدس في جنة عدن وأكرمه بأول مُعجزة قام بها يسوع في عرس قانا الجليل عندما حوّل الماء إلى خمر. إن هبة المسيح لوليمة العرس كانت رمزاً، فالماء يرمز إلى المعمودية لموته. أمّا الخمر فترمز إلى سفك دمه لأجل خطايا العالم. فإذ حضر يسوع هذه الوليمة أضفى على الزواج كرامة عظيمة على اعتبار أنّه دُستور إلهي. (روح النبوة، مُشتهى الأجيال، صفحة ١٢٩ و ١٣١).

بسبب أهميّة الزواج للربّ يسوع حيث هو مؤسسه وبانيه، يجب أن نقوم به حسب خطة وقصد مسيحنا الحيّ. في إنجيل متى ١٩ كان الزواج والسّيت ما أخذه أبونا الأوّلين معهما بعد طردهما من الجنة. جاء بعض الفريسيين ليجربوا يسوع بسؤال "هل يحل للرجل أن يطلّق زوجته لأي سبب؟ ذكّرهم بخلق الله لآدم وحواء واتحادهما بالزواج فيصير الاثنان جسداً واحداً. "فلا يفرّق الإنسان ما قد قرّنه الله". (متى ١٩: ٧).

نجد أن الزواج منذ البداية جزء من خطة الله وسيكون بركة دوماً إذا اتبعنا إرادته حسب ما جاء في كلمته المقدسة. نرى في هذه الكلمة قوّة العلاقة التي جمعت الرجل والمرأة، ففي سفر نشيد الأنشاد ٥: ١٦ تُشير المرأة إلى رجلها بنحو قائلة "هذا حبيبي، وهذا خليلي". يحث الرسول بطرس في رسالته الأولى ٣: ٧ الأزواج باحترام زوجاتهم "مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ".

يوفر الزواج مجالاً للعشرة والتواصل بين الإثنين. لذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته. الترك هنا ليس الإهمال بل تكوين أسرة مع زوجته. يلتصق معناها ارتباط الزوج والزوجة لتكوين اتحاد قوي بحيث يرتبط الواحد بالآخر مدى الحياة. يُقارن الرسول بولس في أفسس ٥: ٢٥ مفهوم الحب في الزواج بمحبّة المسيح للكنيسة فيقول "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَهَا".

هذا هو أسمى نوع من المحبة في استعداد الواحد أن يبذل الكل لإسعاد شريك أو شريكة حياته وأن يُحبا بتفان كما أحبا فادينا يسوع وبذل حياته ثمناً لردنا إليه ومنحنا الخلاص بدمه الكريم. يا ربّ بارك عائلاتنا وأعطنا روح التفاني في حبّ واحدنا الآخر وحبّك أنت يا باني بيوتنا وعمادها القويّ. العائلة على هذه الأرض هي جزء قوي من العائلة السماوية وأعظم بُرهان على إيماننا المسيحيّ لمجد مثالنا الأعلى في المحبة يسوع المسيح له التسبيح والكرامة إلى أبد الدهور. آمين.

الخليقة والإنجيل

"لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع." (١ كورنثوس ١٥: ٢٢)

يقارن الرسول بولس في هذه الآية ما آل إليه عصيان وسقوط آدم والنتيجة كانت الموت الذي بدت آثاره بعد خطيئة آدم وحواء حيث أثرت تلك الخطيئة على الجنس البشري، ونتائج حياة المسيح وموته الكفاري وقيامته المجيدة الذي به سيحيا الجميع. كل الناس عرضة للموت نتيجة خطيئة آدم وحياة الخطية التي عاشوها كما أثر الموت على كل الخليقة، لكن فقط الذين "في المسيح" سيشاركون النتائج الأبدية لقيامته المخلص.

خلق الله آدم وحواء على صورة الله دون أية شائبة خلقية وأعطاهما قوة الإرادة والاختيار ليختارا المحبة لله والآخرين. لكن بعد السقوط سقطا تحت تأثير الشيطان وسيطرة العدو. شكراً للرب يسوع الذي بتجسده دمر عمل الشيطان وحررنا من قوته. وفي هذا نقرأ عبرانيين ٢: ١٤ "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس". مات يسوع في مكاننا وصار خطيئة على الصليب لأجلنا. يؤكد بولس الرسول أن الموت سيكون آخر عدو يُبطل.

كان آدم وحواء على علم بنتيجة تعديهما حيث أن حواء ردت للحية ما قاله الله لهما. نفع أحياناً بالخطيئة مثلها عن طريق الخداع وأحياناً أخرى نخطيء مثل آدم عن قصد. على أية حال نحن خطاة ومُذنبين بالتعدي على ناموس الله. عرف الله أبونا الأولين بتفاصيل ما حدث، لكن قصده من المحاكمة إعطائهما مجالاً ليتحملاً مسؤولية أعمالهما. الخطوة الأولى كانت التوبة وتصحيح ما حدث. اعترفاً عن ماضٍ بما حدث. بالرغم من كونهما مُذنبين ورغم أن خطيئتهما أتت بنتائج فورية، فقد أعطى الله في الجنة أول وعدٍ بمجيء المخلص. نطق الله بحكمه على العصاة فصار الجنس البشري بحاجة إلى فداء المسيح

تؤكد رسالة الإنجيل بأكملها على مصداقية سفر التكوين الذي هو الأساس لبقية الأسفار المقدسة. تُعيننا الخليقة أن نرى قوة الله الأزلية وطبيعته المقدسة. كل الخليقة والخلق هي تحت لعنة الخطيئة. تعتمد رسالة الإنجيل على ما قام به، فهو خالق الكون ومن خلال موته على الصليب وموته وقيامته فقد فتح الطريق أمام الجنس البشري لينال الفداء. وعن قريب سيتزوج عمل الفداء عندما يعود ليأخذ خاصته حيث ستجثو أمامه كل ركبة مما في السماء ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو الرب، لمجد الله الأب". (فيلبي ٢: ١٠ و ١١).

ما يُعلّمه الكتاب المقدس عن الخليقة يتعامل مع إنجيل يسوع المسيح. يُخبرنا مُعتقد الخليقة أن الله الأزلي كوّن العالم بكلمة قدرته وكان ما عمله حسنٌ بامتياز. غير أن مبدأ الخليقة هو مثار جدال كبير في العالم المسيحي بين عدم الإيمان بالله الخالق والاختلاف حول عمر الأرض وطول أيام الخليقة. الله مصدر كل شيء وعاضد الكل فيه "نحيا ونتحرك ونوجد". نحن مسؤولون من نحوه ومن دون تلك المسؤولية، تتبدد الحاجة للنعمة والمغفرة. الكل مُتساوي أمامه. هو أبونا لذا لا يوجد في عالمنا مكاناً للفرقة والعنصرية. بعض النظر عن اختلافاتنا وقدراتنا، فنحن نعكس التنوع في كوننا مخلوقين على صورة الله.

يبدأ الطفل بتعلم الحروف الأبجدية بالإيمان، فيقبل ما يُعلّمه المعلم الذي بدوره تعلّمها بالإيمان. فكما يتعلم الطفل الحروف، علينا أن نقبل الحقائق الإلهية. بالإيمان نتعرف بيسوع الذي هو الألف والياء. الذي يبنى إيمانه على صخر الدهور مثل الباني الحكيم الذي بنى بيته على الصخر. روح العهد القديم هي روح المسيح الذي تنبأ ما كان ينتظر المسيح من آلام. قصة الخليقة تحتوي على الإنجيل الذي هو قوة الله للخلاص. لنعمل على تحقيق صلاة الرسول يهوذا "وَالْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاطِرِينَ، وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلَا عَيْبٍ فِي الْإِبْتِهَاجِ، إِلَهُ الْحَكِيمِ الْوَحِيدِ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الْآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ" ٢٤ و ٢٥

أصل السَّبْت

"وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللَّهُ خَالِقًا."

(تكوين ٢: ٣)

"في البدء استراح الآب والابن في يوم السَّبْت بعدما أتمَّ عَمَلَ الخلق. فَرَحَ الخالق وكلَّ الخلائق السَّمَاوِيَّةَ وَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ في ذلك المنظر المجيد". (روح النبوة، مشتهى الأجيال، ٧٢٨). كَانَ السَّبْتُ معروفًا وَمُصادقًا عليه من الملائكة ومن الله قَبْلَ دُخُولِ الخطيئة عالمنا. فعندما وُضِعَتْ أساسات الأرض وترنَّمت كواكب الصُّبح معًا، هَتَفَ جميع بني الله". (أيوب ٣٨: ٧ و٦). حينئذ وُضِعَ أساس السَّبْتِ.

أنهى الله عَمَلَ الخليقة في اليوم السادس وقال إن كلَّ شيء كان رائعًا بامتياز، وحيث أنه إله كامل نظر باعتزاز إلى ما صنعته يداه وأبدعته قوَّة كلمته، عندها حَانَ وقت الراحة والتأمل. قد نسأل أباسطُ السَّمَاوَاتِ والأرض يتعب؟ يُجِيبُ أشعيا ٤٠: ٢٨ "الله لا يكل ولا يتعب، حتَّى أَنْ مُنْتَظَرُ الرَّبِّ يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون". إِنَّهُ الخالق الأبدِي يعرف البداية إلى النهاية. إِنَّهُ القوَّة الأزلية الذي يحملنا على ذراعي محبته.

بارك الله القدير اليوم السابع يوم السَّبْت وَقَدَّسَهُ حيثُ أَنَّهُ استراح فيه من جميع عمله خالقًا. إِنَّ يوم السَّبْت وحفظه كانا أقدم وأكثر شيوعاً بنسبة قَدَمِ العالم نفسه. إذ تُراجِع أسبوع الخليقة نجد أن الأيام الستة ليس لها أسماء بل أعداد من اليوم الأوَّل إلى السادس ما عدا يوم السَّبْت. ما معنى هذا اليوم؟ الفعل سَبَتَ في اللغة العربيَّة يعني "توقَّف عن عمله أو استراح". فيوم السَّبْت هو يوم الراحة لغويًّا وكتابيًّا وهذا يتماشى مع الوصية الرابعة من الوصايا العشر والتي تأمر بحفظ السَّبْت. هذا اليوم هو يوم بركة وقداسة كما أراده المسيح الخالق أن يكون للإنسانية جمعاء. ما معنى أن يكون السَّبْت مُقَدَّسًا؟ يشمل عَمَلُ القداسة في إعلان الله هذا اليوم مُقَدَّسًا أي مُخصَّصًا لمقاصد مُقَدَّسة. بنفس الطريقة التي قدَّس فيها الله جبل سيناء يوم نَزَلَ عليه ونطق أمام الشعب بوصاياه وسلَّمها لموسى. فَعَمَلُ البركة والقداسة والراحة التي يميَّز بها يوم السَّبْت دون أي يوم آخر هو لأجل الإنسان. هذا ما أكَّده الرب يسوع حين قال "السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ". (مرقس ٢: ٢٧).

السَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَصَّصَ اللَّهُ يوم السبت للراحة والقداسة والبركة هو أَنَّهُ عَمِلَ على خلق الكلِّ في ستة أيَّام واستراح في اليوم السابع. فإذا كان خالقنا وجابلنا هو مثالنا الأكمل فيا له من امتياز أن نُشاركه اليوم الذي أفرزه للعبادة والسجود له. يسوع شريكنا في وقتنا حيث أعطانا ٦ أيام لعمل ما نريده، واليوم السابع نخصِّصه له، كي نعبده فيه. هذا الامتياز هو لمخلوقاته البشر الذين خلقهم على صورته ومثاله. السبت هو يوم العبادة حسَبَ ما أراده مسيحنا أن يكون وهو أيضاً يُطالبنا بحفظه يوم راحة نبتعد فيه عن أعمالنا اليومية لنقضي وقتاً مُقَدَّسًا معه وشركة محبة مع المؤمنين والمؤمنات به في كلِّ زمان ومكان. وفي قُدومه إلى عالمنا حفظ المسيح كعادته يوم السَّبْت إلى جانب الرُّسل وبقي السَّبْت يُحَفَظ من قَبْلِ البقية المؤمنة إلى يومنا هذا.

يؤكد لنا اشعيا النبي ٦٦: ٢٣ أن السَّبْت سيُحَفَظ في الأرض الجديدة إلى أبد الأبد. يُشير هذا إلى أن إرادة الله مُنْذُ الأزل أن يُحَفَظ سبته مُقَدَّسًا ولم يكن في نيَّته تغييره إلى أي يوم آخر. يُصبح يوم السَّبْت مُذَكِّرًا أُسبوعيًّا للخليقة، حيث أتذكَّر قوَّة الخالق ومدى امتناني لخالقي العظيم وعنايته بي وعظيم محبته لي. تقول روح النبوة في كتابها (الآباء والأنبياء، صفحة ٢٩٢). "إن السبت كتذكُّار لقوة الله الخالقة يشير إليه على أنه صانع السَّمَاوَاتِ والأرض. لهذا فهو شاهد على وجوده ومذكر بعظمته وحكمته ومحبته.

فلو قدَّسَ الناس السَّبْت دائماً لما وُجِدَ في الأرض مُلحد ولا عُبَاد وَثَنَ "أمر الرب واضح حيث يقول "وَقَدَّسُوا سُبُوتِي فَتَكُونَ عَلَامَةً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ". (حزقيال ٢٠: ٢٠). لم يكن السَّبْت لبني إسرائيل وحدهم، بل لكلِّ العالم لكم ولي. ساعدني يا خالقي يسوع أن أحفظ اليوم الذي أكرَّمته أنت. أنت مثالي الكامل أريد أن أكرمك بطاعتي لوصاياك وحفظ سبتك مُقَدَّسًا في هذا العالم ومعك في سماء قُدسِكَ يا خالقي البار.

وصية السبت

"أَذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتَقْدْسَهُ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبَتَ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ." (خروج ٢٠: ٨ و ١٠)

تبدأ الوصية الرابعة من وصايا الله العشر بكلمة "أذكر يوم السبت" ففي وسط مشاغل حياتنا العصرية، يصعب على الإنسان المحب للمال أن يتذكر خالقه المسيح. توصينا هذه الوصية بالعمل لسته أيام لكسب قوتنا اليومي وعمل كل ما يلزمنا القيام به. ومن محبة الله لنا، حرص على أن يعطينا يوماً في الأسبوع وهو اليوم السابع لنرتاح معه في يومه المقدس. يُريدنا الخالق أن نحفظ هذا اليوم مقدساً أي نخصص ساعاته لأغراض مقدسة بالتفكير بمخلصنا يسوع وعظيم المحبة والخلص العجيب الذي وفره لمحببيه وتركيز أفكارنا على الله القدوس في يومه المقدس. هذا ما قام به الله الخالق يوم أتم خليقته فتوقف عن عمله لينظر إلى جمال وكمال ما قد خلق وأسس في جنة عدن يوم السبت لأجل الإنسان.

نجد أيضاً في هذه الوصية "ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك". تخصيص يوم للرب من كل ٧ أيام، أي ٦ أيام لعمل الإنسان ويوم السبت اليوم السابع فهو للرب إلهنا. ليس ساعة عبادة في كل أسبوع بل يوم عبادة كاملاً للرب. تنص الوصية أيضاً على عدم مزاوله أية أعمال للريح المادي في يوم الرب وتجنب القيام بأعمال يمكن أن نقوم بها في ستة أيام العمل. تستند وصية السبت على راحة الله بعد الخليقة ليس لأن الله يكل أو يتعب، بل ليعطي للإنسان وقت شراكة روحية معه. هدية محبة أسبوعية قطعة من الزمن لا تتغير أبداً.

"لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدهس". (خروج ٢٠: ١١). لا نجد هذه البركة والتقديس في أي يوم آخر من أيام الأسبوع سوى السبت. عندما يفرز الله هذا اليوم ويباركه، يصبح هذا اليوم مليئاً بالبركات. جعل الله هذا اليوم مصدر بركة حيث التركيز هنا على مسيحننا المبارك. فالقداسة مشمولة بالبركة والبركة تُصاحبها القداسة. ليست السعادة في اقتناء المال، بل بإكرام وتقديس اسم الله مصدر غنانا الحقيقي.

قصد الله قبل دخول الخطية إلى العالم أن يكون يوم السبت مخصصاً للراحة. لذا يُريدنا المسيح أن نخصص السبت للتأمل فيه كخالق وفادي نفوسنا. الرائع في هذا اليوم، أن يسوع جعله مذكراً أسبوعياً لكل البركات الحقيقية التي تأتي من نعمته وليس من أعمالنا. كما أننا نحصل على البركة والقداسة بتركيز كل اهتمامنا على رب المجد يسوع في هذا اليوم. لذا جعل السبت لصون علاقة الإنسان بخالقه. فكما يحتاج الجسم ليوم راحة في كل أسبوع هكذا يحتاج العقل والقلب للبحث عن الله وإيجاده وتجديد قواه الروحية لمجد المسيح خالقه.

في سفر التثنية ٥: ١٥ نجد الخلاص من العبودية حيث نقرأ "وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر، فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب الهك أن تحفظ يوم السبت". ففي خروج موسى مع بني إسرائيل من مصر حيث كانوا عبيداً هناك سبباً آخر لحفظ السبت حيث أخرجنا الله من عبودية الخطية ونقلنا إلى خلاصه بره العجيب بالمسيح يسوع ربنا.

يركز الرسول بولس على هذه الحقيقة في رومية ٦: ١٦-١٨ "ألسنتم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة، أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبر؟ فشكراً لله، أنكم كنتم عبيداً للخطية، ولكنكم أطيتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها. وإذا أعفتم من الخطية صرتم عبيداً للبر".

يتحرر المؤمن من طغيان الخطية ويصبح عبد البار يسوع وينال الحرية التي يقدمها الخالق المحب. هكذا يذكرنا السبت بخلاص المسيح وإلى جانب كونه مذكراً أسبوعياً للخليقة يكون في الوقت ذاته علامة تقديسنا وفدائنا بدم كريم دم المسيح. هنيئاً لك بحفظ يوم الرب مقدساً في شركة معه ومع محبيه في هذه الحياة وفي السماء الجديدة عن قريب.

الشفاء في السَّبوت

"ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلُ؟" فَسَكَتُوا."

(مرقس ٣: ٤)

دخل يسوع إلى المجمع يوم السَّبْت وكان هناك رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ فصار الْفَرِيسِيُّونَ يُرَاقِبُونَهُ لِيرَوْا هَلْ يَشْفِي ذَلِكَ الرَّجُلَ فِي السَّبْتِ لَكِي يَتَّهَمُوهُ بِكُسْرِ وَصَايَا اللَّهِ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَدُهُ يَابِسَةٌ: قُمْ وَقِفْ فِي الْوَسْطِ". ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلِ الشَّرِّ يَوْمَ السَّبْتِ، فَظَلُّوا صَامِتِينَ. تَضَاقَى يَسُوعُ مِنْ قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمُ الَّذِينَ فَضَّلُوا تَرْكَ الرَّجُلِ يَتَأَلَّمُ مِنْ أَنْ يَكْسِرُوا تَقَالِيدَ النَّاسِ بِشَأْنِ السَّبْتِ.

تقول كاتبة مُلهمة "كان عند اليهود مبدأ يقول بأنَّ إهمال فعل الخير متى سَنَحَتْ الْفُرْصَةُ لِعَمَلِهِ مَعْنَاهُ عَمَلُ الشَّرِّ. وإنَّ إهمال تخليص النَّفْسِ هُوَ قَتْلٌ لَهَا. هكذا التقى يسوع بِالْمُعَلِّمِينَ فِي مِيدَانِهِمْ. وقال لِلرَّجُلِ مَدِّ يَدَكَ فَمَدَّهَا فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالْآخَرَى". (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٦١ و ٢٦٢).

قام المسيح بسبع مُعْجَزَاتٍ شِفَائِيَّةٍ يَوْمَ السَّبْتِ - هذا اليوم هو لِلشِّفَاءِ وَلِعَمَلِ الْخَيْرِ. يَوْمَ نَعْبُدُ فِيهِ الْمَسِيحَ وَنَشْهَدُ لَهُ بِكَلَامِنَا وَحَيَاتِنَا. ليست الْعِبَادَةُ تَرْنِيمُ تَرَانِيمٍ فَحَسْبُ، بل هي تَجْمِيدُ اسْمِ الْمَسِيحِ وَالْكَرَازَةِ بِاسْمِهِ وَعَدَمُ إِهْمَالِ عَمَلِ الْخَيْرِ. كَبَّلَ الْفَرِيسِيُّونَ يَوْمَ السَّبْتِ بِقِيُودِ كِي لَا يُعِيدُوا اخْتِبَارَ الْمَاضِي عِنْدَمَا عَبَدُوا الْأَوْثَانَ مِمَّا تَسَبَّبَ فِي سَبِيهِمْ إِلَى بَابِلَ لِسَبْعِينَ سَنَةً.

بناءً على ذلك، كانوا يَحْتَقِرُونَ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا فِي السَّبْتِ فَيَأْخُذُونَهُ لِلْفَرِيسِيِّينَ لِيُعَاقَبَ. مِثْلُ أَنْ يَحْمِلَ فَرَاشَهُ أَكْثَرَ مِنْ ٣٠٠٠ قَدَمٍ مِنْ بَيْتِهِ. تَقَالِيدُ الْفَرِيسِيِّينَ كَانَتْ مُجَرَّدَ قَوَانِينٍ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ تَرْتَكِزَ عَلَى أَعْمَالِ الْجَسَدِ دُونَ أَيِّ تَرْكِيزٍ عَلَى رُوحِ حِفْظِ النَّامُوسِ، كَانُوا بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ يَكْسِرُونَ وَصِيَّةَ اللَّهِ فِي تَتِيَّةِ ٤: ٢ و ١٢ الْقَاضِيَةِ بِعَدَمِ إِضَافَةِ آيَةٍ كَلِمَةٍ لَوْصَايَا اللَّهِ. اعْتَبَرُوا قَوَانِينَهُمْ فَوْقَ وَصَايَا اللَّهِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ جَمِيعًا. حَمَلُوا النَّاسَ أَحْمَالًا وَلَمْ يُحْرِكُوها بِأَصْبَعِهِمْ.

تَنَوَّعَتْ أَشْكَالُ الشِّفَاءِ مِنْ شِفَاءِ حَمَاةِ بَطْرُسَ مِنَ الْحُمَّى فَقَامَتْ فِي الْحَالِ وَخَدَمَتْهُمْ. كَمَا شَفَى أَعْمَى (يُوحَنَّا ٩: ١٦-١٨). هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ الشِّفَائِيَّةُ الْأُولَى لِشَخْصٍ شَفَاهُ يَسُوعُ حَيْثُ أُصِيبَ بِالْعَمَى مُنْذُ وَلَادَتِهِ. تَقَلَّ فِي التُّرَابِ، وَجَبَلَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْ الْأَعْمَى، وَقَالَ لَهُ: "اذهَبْ اغْتَسِلْ فِي بَرَكَةِ سَلُوَامٍ. فَذَهَبَ وَاغْتَسَلَ وَعَادَ بَصِيرًا" كَانِ وَاضِحًا أَنَّ الطِّينَ لَمْ تَكُنْ فِيهِ قُوَّةٌ شَافِيَةٌ وَلَا فِي بَرَكَةِ سَلُوَامٍ وَلَكِنْ الْقُوَّةُ الشِّفَائِيَّةُ كَانَتْ فِي الْمَسِيحِ نَفْسِهِ.

لَمْ يَكْسِرْ يَسُوعُ وَصَايَا اللَّهِ عِنْدَمَا شَفَى يَوْمَ السَّبْتِ حَيْثُ أَكَّدَ فِي عِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِيُلْغِيَ الشَّرِيعَةَ لَكِنَّهُ أَكْمَلَهَا. شَفَى لِأَنَّهُ رَأَى إِنْسَانًا مُتَأَلِّمًا بِحَاجَةٍ لِلشِّفَاءِ رُوحِيًّا وَجَسَدِيًّا. أَدَانَ الْفَرِيسِيُّونَ لَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ تَقَالِيدَ النَّاسِ وَلَئِنْ شَرَّاعَهُمْ جَعَلَتْ مِنَ السَّبْتِ حَمَلًا ثَقِيلًا عَلَى النَّاسِ. لِيَكُنْ عِنَادُ الْفَرِيسِيِّينَ دَرَسًا لَنَا لِنُضْعَ أُسَاسَ إِيمَانِنَا فِي انْسِجَامِ مَعَ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَلَا نَنْظُرْ إِلَى مَا يَقُومُ بِهِ بَعْضُنَا فِي يَوْمِ الرَّبِّ مِنْ أُمُورٍ لِمُسَرَّنَاتِنَا.

فِي شِفَاءِ يَسُوعَ لِمَرْضَى فِي السَّبْتِ ذَكَرَهُمُ بِالسَّبَبِ الَّذِي أُسِّسَ السَّبْتُ كِيَوْمٍ مُقَدَّسٍ. عُمَلُ السَّبْتِ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ وَتَجْمِيدِ اللَّهِ وَلِيُسَاعِدَ النَّاسَ عَلَى تَجْدِيدِ قَوَاهِمِ الرُّوحِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ بَعْدَ أُسْبُوعٍ عَمَلٍ. كَانِ شِفَاءُ يَسُوعَ فِي السَّبْتِ فِي انْسِجَامٍ مَعَ قِصْدِ اللَّهِ لِهَذَا الْيَوْمِ. أَظْهَرَ يَسُوعُ فِي مُعْجَزَاتِهِ الشِّفَائِيَّةِ الْعُنْصُرَ الْإِنْسَانِيَّ لِهَذَا الْيَوْمِ الْمُقَدَّسِ حَيْثُ أُسِّسَ كِيَوْمٍ رَاحَةٍ وَشِفَاءٍ وَفَرَحٍ. يَوْمَ نُظْهِرُ فِيهِ الرَّحْمَةَ لِجَمِيعِ الْمُتَأَلِّمِينَ. كَانِ الْكَهَنَةُ قَدِيمًا وَالْقُسُوسُ الْيَوْمَ يَعْمَلُونَ فِي الْوَعْظِ وَتَعْلِيمِ كَلِمَةِ اللَّهِ دُونَ شُعُورِ بِالذَّنْبِ. فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَاوَمَهُ فِيهِ الْفَرِيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ، نَالَ الْمَرْضَى الشِّفَاءَ وَقَامُوا يُمَجِّدُونَ اللَّهَ لِأَجْلِ هَبَةِ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ.

اسْتَغَاثُوا بِهِ فَشَفَاهُمْ وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَشْفِيَ أَمْرَاضَنَا الرُّوحِيَّةَ وَالْجَسَدِيَّةَ. لَوْ صَحِيحٌ أَنْ يَسُوعَ كَسَرَ وَصِيَّةَ السَّبْتِ لِصَارَ خَاطِئًا مِثْلَنَا لَكِنَّ الرُّسُولَ بَطْرُسَ يُؤَكِّدُ لَنَا "إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً وَاحِدَةً". تَبَارَكَ مُعْطِي الْوَصَايَا وَمَانِحُ كُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي تَحْنَنُ عَلَيْنَا وَأَنَارَ حَيَاتِنَا بِنُورِ مَجْدِهِ. يَسُوعُ يَعْرِفُ حَاجَتَنَا وَيَدْعُونَا لِنَكُونَ مَعَهُ بِرَاحَةٍ وَقِدَاسَةٍ فِي يَوْمِهِ الْمُقَدَّسِ. يَسُوعُ مِثْلَنَا لِنَعِشَ حَيَاتَهُ وَرَقَّةَ مَحَبَّتِهِ لَنَا جَمِيعًا.

السَّبْتُ لِلْإِنْسَانِ

"ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ، لَا الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ السَّبْتِ". (مرقس ٢: ٢٧)

في أحد السَّبُوت كان يسوع وتلاميذه عائدِينَ مِنْ مَكَانِ الْعِبَادَةِ وفي أَثْنَاءِ مُرُورِهِمْ فِي الْحُقُولِ ابْتَدَأَ التَّلَامِيذُ يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ الْقَمْحِ وَيَفْرَكُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَأْكُلُونَهَا. وَسُرْعَانِ مَا اعْتَرَضَ الْبَعْضُ قَائِلِينَ لِيَسُوعَ "هُوَذَا تَلَامِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فَعَلَهُ فِي السَّبْتِ". وَجَوَاباً عَلَى اتِّهَامِهِمْ ذَكَرَهُمُ الْمَسِيحُ بِمَا عَمَلَهُ دَاوُدُ وَالَّذِينَ مَعَهُ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ الرَّبِّ وَأَكَلَ مِنْ خُبْزِ التَّقْدِمَةِ الَّذِي يَحِلُّ أَكْلُهُ فَقَطْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ وَقَالَ لَهُمْ "إِنَّهُ أَعْظَمُ مِنَ الْهَيْكَلِ. إِنَّ التَّلَامِيذَ فِي قِيَامِهِمْ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ كَانُوا يَخْدُمُونَ اللَّهَ. وَمَا كَانَ لَزَماً لِاتِّمَامِ هَذَا الْعَمَلِ كَانَ مِنَ الصَّوَابِ عَمَلُهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ". (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٦١).

أَكَّدَ مُعْطَى السَّبْتِ يَسُوعُ مُنْذُ الْخَلِيقَةِ أَنَّهُ جَعَلَهُ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ كَيْ يَجِدَ وَقْتاً كَافِياً لِحُضُورِ خِدْمَاتِ الْعِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ بِالتَّسْبِيحِ وَتَقْدِيمِ الْمَجْدِ لاسْمِهِ. لِأَجْلِ رَاحَةِ جَسَدِهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ كَمَا اسْتَرَاحَ اللَّهُ عِنْدَمَا أَنْهَى عَمَلَهُ خَالِقاً. خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَحَوَاءَ أَوَّلًا ثُمَّ خَلَقَ السَّبْتَ لِأَجْلِهِمْ وَلِخَيْرِهِمْ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ كُلَّ الْوَصَايَا الْعَشْرِ هِيَ أَيْضاً لِفَائِدَةِ وَبَرَكَةِ الْإِنْسَانِ. لِنَتَذَكَّرَ مَا قَالَهُ الرُّسُولُ يَعْقُوبُ ٢: ١٠ "لَأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرَماً فِي الْكُلِّ". يَقْصِدُ الْمَسِيحُ بِالْإِنْسَانِ الْإِنْسَانِيَّةَ جَمْعاً. الرَّبُّ فِي رَحْمَتِهِ جَعَلَ مَطَالِبَهُ مَعْقُولَةً وَفِي انْسِجَامٍ مَعَ جُودِهِ وَسُمُو أَخْلَاقِهِ.

يَذْكُرُنَا السَّبْتُ بِمَا حَبَا اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِالتَّوَّاصُلِ مَعاً وَالمَقْدَرَةِ عَلَى مَحَبَّةٍ وَرَعَايَةٍ وَتَعَاطُفٍ مَعَ إِخْوَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ. وَحَسَبَ وَصِيَّةِ الرَّبِّ يَكُونُ السَّبْتُ رَاحَةً وَمَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. يَتَذَكَّرُ الْمُرْتَمِدُ دَاوُدَ رُوعَةَ الشَّرِكَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فَيَقُولُ "هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الْإِخْوَةُ مَعاً!". (مزمور ١٣٣: ١). كَانَ دَاوُدَ مُطَارِداً مِنَ الْمَلِكِ شَاوُلَ فَلَجَأَ إِلَى مَغَارَةِ عَدْلَامَ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ إِخْوَتُهُ وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ. شَعَرَ دَاوُدَ بِالْأَمَانِ بِوُجُودِ إِخْوَتِهِ إِلَى جَوَارِهِ وَأَصْبَحَ الْكَهْفُ مَكَاناً لِتَسْبِيحِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ.

هَكَذَا يَشْعُرُ الْعَابِدُونَ وَالْعَابِدَاتُ بِوُجُودِهِمْ مَعاً فِي شَرِكَةِ مُقَدَّسَةٍ بِحُضُورِ الرَّبِّ يَسُوعَ بِرُوحِهِ فِي وَسْطِهِمْ. كَانَ الْمَسِيحُ يُحِبُّ الْجَمَاعَةَ وَالْإِلْفَةَ مَعَ آدَمَ وَحَوَاءَ يَوْمِيّاً حَسَبَ عَادَتِهِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ. بَعْدَ دُخُولِ الْخَطِيئَةِ حَدَثَ خَلَلٌ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا. وَعِنْدَ تَجَسُّدِ الْمَسِيحِ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ جُمُهورِ الْعَابِدِينَ كَعَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ.

"وَرَأَى اللَّهُ جَوْهَرِيّاً أَنْ يَجْعَلَ لِلْإِنْسَانِ سَبْتاً، حَتَّى وَهُوَ فِي الْفَرْدُوسِ، فَلَقَدْ كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَلْقَى جَانِباً مَصَالِحِهِ الْخَاصَّةَ وَمَطَالِبَهُ لِمُدَّةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، حَتَّى يَكُونَ لَدَيْهِ وَقْتُ كَافٍ لِلتَّفَكُّرِ فِي أَعْمَالِ اللَّهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي قُوَّتِهِ وَصَلَاحِهِ. كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى سَبْتٍ لِيَذْكُرَهُ بِاللَّهِ وَيُوقِظَ فِي قَلْبِهِ رُوحَ الشُّكْرِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ وَيَمْلِكُهُ جَاءَتْهُ بِهِ يَدُ الْخَالِقِ السَّخِيَّةِ الْكَرِيمَةِ" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٢٩).

"إِنَّ السَّبْتَ تَذْكَارٌ لِعَمَلِ الْخَلْقِ إِذَا فَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ وَقُدْرَتِهِ. لَقَدْ أَعْلَنَ اللَّهُ أَنَّ السَّبْتَ "عَلَامَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدَّسُهُمْ". (حزقيال ٢٠: ١٢). مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَ إِنَّ حِفْظَ السَّبْتِ هُوَ "عَهْدٌ أَبَدِيٌّ". (خروج ٣١: ١٦). "وَمَثَلُ الْعَهْدِ مَبْنِي عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لَشُعْبِهِ، هَكَذَا السَّبْتُ، كَعَلَامَةٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ، عَلَامَةٌ لِلْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ". (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٤٢٦).

يُضْمِنُ هَذَا الْعَهْدُ رَعَايَةَ رَبَّنَا الْمَسِيحِ لَشُعْبِهِ الَّذِينَ حَرَّرَهُمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ إِبْلِيسَ وَالْخَطِيئَةِ وَهُمْ يَسْتَجِيبُونَ بِرُوحِ الطَّاعَةِ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ وَفَدَاهُمْ بِدَمِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. يُعْطِينَا الرُّسُولُ بَطْرُسُ صُورَةَ عَنِ مَسِيحِنَا الْمُبَارَكِ الَّذِي سَمَّنَا سُلَالَةً وَأُمَّةً اخْتَارَهَا اللَّهُ وَكَرَّسَهَا لِنَفْسِهِ شُعْباً مُمَيَّزاً لِنُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمُ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي يَرْتَبِنُ بِنَا بِفَادِي نَفُوسِنَا حَيْثُ نَلْتَقِي تَحْتَ ارشَادِ رُوحِهِ وَشَرِكَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحْنُ نَعْبُدُهُ بِفَرَحٍ فِي يَوْمِهِ الْمُقَدَّسِ حَاضِراً وَمُسْتَقْبَلاً. لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ بِهِ.

السَّبت والقداسة

"وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا سُبُوتِي لِتَكُونَ عَلَامَةً بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لِيَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدَّسُهُمْ."

(حزقيال ٢٠: ١٢)

في نهاية أسبوع الخليقة، توقّف الله عن أعماله ليس لأنّه تعب- حاشا لباسط السماوات والأرض أن يكلّ أو يتعب، بل ليجعل لنا مثلاً لتبعه. هكذا خصّص الربُّ يوم السَّبت وأفرزه للقداسة كي يُقدّس شعبه ممّا ميّز يوم السَّبت عن باقي الأيام الستة. ليس السَّبت مُلكاً لنا لنقضيه في أعمالنا ورياضاتنا وتسلياتنا، بل هو بالكامل مُلك الله وحده وله القرار بكيفية قضاء يومه المُقدّس. هذا لا يعني أن ليس لنا دور في هذا اليوم، بل على العكس فالسَّبت هو أهم يوم في الأسبوع للمسيحيين حيث يُقوّي علاقتنا بالله على أفضل صورة.

مثلاً، عندما نُقرّر ارجاع العُشور للربِّ الذي هو أصلاً من حقّه وليس مُلكنا، بنفس الطريقة في حفظنا للسَّبت تُصبح فترة ال ٢٤ ساعة لهذا اليوم وقتاً مُقدَّساً نقضيه مع المسيح في عبادته بالروح والحقّ. فكما أن يسوع شريكنا فيما نملك، هو أيضاً شريكنا بوقتنا عندما نُخصّص يوم سبته للعبادة حسب ما أوكلنا بحفظه له مُقدَّساً. الوصية الرابعة من وصايا الله العشر التي تقضي بحفظ يوم السَّبت تعود جذورها إلى إتمام الخليقة قبل أن تكون أمة على الأرض لذا فهي ليست مُلكاً لشعب مُعيّن بل للإنسانية جمعاء.

توجّ الله فعاليّات الخليقة بيوم الراحة أي الجانب الرُّوحي للخليقة مما يُؤكّد أن الجسد أي الأعمال وحدها لا تُعطي نوعية الحياة الروحية التي يُريدها الله لنا. يلعب السَّبت دوراً عظيماً في ازدهار حياتنا الروحية حيث يقول الله لنا من خلاله: "أنظر إلى ما خلقت حيث أنني لم أُنْته بعد فأنا أُنتج نفسي ليكون بإمكانك أن تكون جزءاً من خليقتي الروحية". نعيش في عصر ماديّ يُجاهد الإنسان فيه لجمع الأموال وكثيراً ما نجد صعوبة في الاهتمام بالأمور الروحية ضمن طاحونة انشغالنا بأعمالنا اليومية. يهيبُ بنا المسيح أن نجد وقتاً للراحة تأمل فيه قصد الله من خلقنا ومدى تطبيقنا لهذه القصد. نسمع من حولنا آراء كثيرة حول مصير هذا العالم الذي يمضي دون أي رجاء للمستقبل. يأتي ردُّ الله على هذه الآراء بجعل يوم السَّبت النواة التي تتبّع منها العبادة الحقّة وتنمو فيها استجابتنا لله. ففي حياة التقديس التي ننمو فيها يومياً وتدوم مدى الحياة، نتحوّل لتصبح مثل الذي دعانا قائلاً "كونوا قديسين لأنني أنا قُدوس".

السَّبت علامة عهد خاص بين الله وشعبه أي كنيسته اليوم. هذا ما أكّده الرسول بولس في غلاطية ٦: ١٦ عندما يقول إن من المهم أن يصير المسيحيّ خليفة جديدة يتحلّى فيها بالسلام والرحمة. من خلال السَّبت يعرف المؤمن أن الله هو الذي يُقدّسه. اختار الله قطعة من الزمن ٢٤ ساعة أضفى عليها صفة القداسة يجتمع فيها شعبه في كل مكان يتقدّسوا فيه وتكون علامة انتمائهم له.

يُوفّر السَّبت فرصة للعابدين للتعرف بمسيحنا المبارك والشهادة لعظيم محبته لهم وإدراك أسرار ملكوته العجيب. بحفظنا يوم السَّبت نشهد بحياتنا وإيماننا أن المسيح خالقنا ومصدر قداستنا بحيث ندخل إلى المقدس السماويّ ونتقدّم بثقة من عرش النعمة لننال رحمة وعوناً في حينه. القداسة هي للجميع حيث ينمو من يقبلها في المسيح كل يوم. قدّس الله شعبه قديماً قبل أن يُعطهم الوصايا العشر وبعد أن سمعوا صوته ينطق بهذه الوصايا وعدوا جميعاً بالطاعة لها وحفظها. وإذ طالّت مدة بقاء موسى في الجبل طلبوا من هرون أن يصنع لهم عجلاً ذهبياً ليعبدوه. هكذا كانوا بين مُطيعين ومُتمردين رغم أن الله قدّم لهم ولنا الخلاص. لنا اليوم دروساً عظيمة نتعلّمها من اختبارهم. كنّا قبلاً عبيداً للخطايا وإذ يُقدّسنا يسوع نصبح من رعية القديسين أبناء وبنات نور. خلق الله الإنسان كاملاً لكن الخطية جعلته عاجزاً عن بلوغ هذا المجد والقداسة. صلاتي أن يجتذب الربُّ قلوبنا إليه لنسلك بقداسة في سُبُلِه ونطيع وصاياه بمحبة وفرح طول أيام حياتنا.

رَبُّ السَّبْتِ

"إِذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا." (مرقس ٢: ٢٨)

تُذكر عبارة "رَبُّ السَّبْتِ" في ٣ أماكن من الإنجيل نبدأها بإنجيل متى ١٢: ٨ حيث نقرأ عن تلاميذ يسوع الذين مروا في حقل مزروع بالقمح فصار التلاميذ يقطعون سنابل ويفركونها ليأكلوا القمح. ثار الفريسيون واتهموا التلاميذ بكسر يوم السبت. ذكرهم المسيح كيف أن داود عندما جاع دخل بيت الله وأكل ومن معه من خبز التقدمة المفروض لأغراض مقدسة الذي يحل أكله للكهنة فقط.

فإذا كان ذلك مُحللاً فما قام به التلاميذ كان على وفاق مع روح السبت حيث أن الغاية من عمل الله هي فداء الإنسان. "وبعد ذلك توجَّس يسوع حُجَّتَهُ بإعلانه عن نفسه أنه "رَبُّ السَّبْتِ" - كَمَنْ هُوَ فَوْقَ كُلِّ تَسْأُلٍ وَكُلِّ قَانُونٍ. فهذا القاضي الأعلى يُرى تلاميذه من كل لوم إذ لجأ إلى نفس الوصايا التي كانوا مُتهمين بكسرها". (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٦١). المسيح كخالق هو رَبُّ السَّبْتِ الأصلي وله سُلطة فوق الطقوس التي أثقل فيها الفريسيون كاهل الناس حيث وضعوا ٣٩ مجموعة من النشاطات الممنوع القيام بها يوم السبت. الله ظَهَرَ في الجسد له السُلطة فوق تقاليد الناس وقوانينهم لأن الخالق دوماً أعظم من المخلوق. ليسوع السُلطة والحرية لأنه رَبُّ السَّبْتِ أن يُقرر كيف يُحفظ يومه المقدس خصوصاً في أعمال الخير والشفاء والرحمة.

لم تكن نية المسيح أن يجعل من يومه عبئاً ثقيلاً لحافظيه في وقته وإلى النهاية حيث في حديثه عن الراحة قال بأن نيره هين وحمله خفيف. هكذا سببت تقاليد الناس مواجهة حادة بين يسوع والفريسيين الذين من قساوة قلوبهم صاروا يفكرون في القبض عليه وصلبه. صدق المسيح بقوله عنهم "مُبطلين كلام الله بتقليدكم". (مرقس ٧: ١٣). تذكر الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل ٥٤ مرة يوم السبت، ومن دراسة هذه الآيات نجد أن المسيح بحياته وتعاليمه لم يُغيّر من قُدسية السبت وحفظه. "في أثناء خدمته على الأرض أكد المسيح على المطالب المُلزِمة بحفظ السبت مُشدداً عليها، وفي كل تعاليمه أبدى إجلاله للشرعية التي قد سنّها بنفسه. ومع أن المُعلِّمين كانوا يلاحقونه بعداوتهم التي لا تعرف الرحمة فلم يكن يبدو عليه أنه امتثل لمطالبهم. بل حافظ على قُدسية السبت حسب شريعة الله". (روح النبوة، الأنبياء والملوك صفحة ١٥٥ و١٥٦).

يُخبرنا البشير لوقا في الاصحاح الرابع عن ذهاب يسوع إلى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت للصلاة. أملي أن تكون هذه عادتنا للذهاب إلى الكنيسة كما كانت عادة سيّدنا ومثالنا الأعظم يسوع. لم يتغيّر الأمر من وقت إعطاء الله لوصاياه حتى زمن يسوع وسيبقى الأمر كذلك إلى المنتهى، يوم الربّ باق كما أعطي منذ الخليقة وإلى الأبد. وفي حديثه عن الصلاة قال فادينا بأن الصلاة الفردية تكون بالدخول إلى غرفتك واغلاق بابها والصلاة لأبيك السماوي الموجود في كل مكان.

لكن ما يُميّز يوم السبت هو اجتماع العابدين معاً للعبادة وسماع كلمة الله وتسبيح اسمه القدوس. نتذكر في عبادتنا يوم السبت أن المسيح هو فادينا وخالقنا الذي يقدس حياتنا بحضوره معنا بروحه القدوس. يوم نقرأ فيه كلمة الله كما قرأها يسوع عندما زار المجمع في الناصرة.

في المعجزات الشفائية التي قام بها المسيح في لوقا ٦ نجد شفاء رجل في المجمع كانت يده اليمنى يابسة مما جعل حياته صعبه. جال الفريسيون بأنظارهم ليروا إذا كان يسوع يشفي هذا الرجل ليتهموه بكسر السبت. قرأ يسوع أفكارهم ومارس سُلطته كربّ السبت وحرّر الرجل من قبضة المرض لينعم بالصحة كاملة. أكد المسيح أن روح السبت هي لفعل الخير وتخليص نفس هذا الإنسان. عظيم أنت ربّي في سعيك الدائم لخلاص ما قد هلك. أعني لأحفظ يومك بنفس الروح التي علّمتني إياها كربّ السبت بمثالك يا خالقي البار والقدوس.

الراحة الإلهية

"أَمَّا نَحْنُ، الَّذِينَ آمَنَّا بِالْبَشَارَةِ، فَسَوْفَ نَدْخُلُ الرَّاحَةَ الْإِلَهِيَّةَ." (عبرانيين ٤: ٣)

بعد أن أنهى الله عمله خالقاً، أسَّس نظام الراحة والبركة والقداسة المتمثل بيوم السبت. كان ذلك اليوم الذي استراح فيه آدم وحواء والأجيال المتلاحقة الذين بقوا أمناء للمسيح ووصاياه. وإذ خرج الشعب بقيادة موسى من أرض العبودية كانت وصية السبت والراحة التي أوصى بها المسيح من نصيب الذين أطاعوا كلامه وعملوا بموجبه. وبعد دخول الشعب بقيادة يشوع أرض الموعد وما واجهوه من ضيق ومقاومة لم يتذوقوا طعم الراحة الإلهية نتيجة عدم إيمانهم وعصيانهم أمر الله.

هذا الدرس في الأمانة لله وصدق مواعيده هو ما أراد كاتب الرسالة إلى العبرانيين توضيحه في الإصحاحين الثالث والرابع وحث المؤمنين والمؤمنات على ضرورة المثابرة والأمانة في الحياة المسيحية لكي تكون الراحة التي وعد بها ربُّ المجد من نصيبهم.

يُوجد ارتباط وثيق بين راحة الله في نهاية أعمال الخليفة. (تكوين ٢: ٢). وما جاء في عبرانيين ٤: ٣ عن وصية السبت التي أسَّسها الخالق العظيم مما يُعطي راحة السبت بُعداً كونياً وأبدياً. هذه الراحة هي أساس كل سلام وطمأنينة وهي جزء من هدف الخليفة. وعد يسوع براحة لشعبه في أرضه وراحة في هيكله لكن قلة الإيمان حالت دون تحقيق الراحة حسب ما جاء في مزمور ٩٥: ١١ "فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: "لَا يَدْخُلُونَ رَاحَتِي". الله في محبته لم يترك شعبه قديماً دون بشارة ومواعيد حيث أكد لهم عن جليل صفاته في قوله لموسى "الرَّبُّ إِلَهُ رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَفاءِ. غَافِرُ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيئَةِ". (خروج ٣٤: ٦ و٧).

ماذا عن الواثقين براحة المسيح في أيامنا هذه؟ نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور والذين آمنّا ببشارة الإنجيل فسوف ندخل الراحة الإلهية. هذا الراحة ممكنة الآن في المسيح يسوع وهي متاحة منذ أن سنَّ الله وصية السبت وإلى نهاية الزمن. نقرأ في عبرانيين ٤: ٩ "إِذْ، ما زالت الراحة الحقيقية الكاملة محفوظة لشعب الله". هذه الراحة لم تتحقق في العهد القديم والتي يمثّلها السبت كراحة الله الحقيقية.

لا نوجد في الرسالة إلى العبرانيين أية إشارة لحلول راحة الخلاص مكان راحة السبت أو أن المسيح ربُّ السبت لم يجد ضرورة لحفظه مقدساً أو استبدله براحة أخرى. للدخول إلى راحة المسيح يلزمنا الأمانة والمثابرة والتوقف عن أعمالنا وليس رفض الطاعة لوصية السبت. تأملوا يسوع ولا تُقسُّوا قلوبكم كما فعل شعب الله قديماً.

لنتمسك بالإله الحي ولنجاهد كي لا نفشل بالدخول إلى راحة مُخلصنا الحبيب الذي يدعونا اليوم قائلاً "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ". (متى ١١: ٢٨). الراحة متوافرة اليوم وما زالت لنا لندخل فيها. التركيز على الدخول في الراحة في الحاضر لا يلغي تطبيقها في المستقبل. الجميع في المسيح واحد وحسب الموعد ورثة. الراحة متاحة لكل واحد يقبل المسيح والراحة التي يُقدِّمها. الطريقة الوحيدة لفهم الراحة الحقيقية هي العودة إلى أول سبت حيث نظر البارى إلى خليقته وأعلن أنها حسنة. بعد ذلك، بارك الله يوم السبت وقُدَّسه. الراحة التي دخل فيها الإنسان حافلة بأعمال الخير والرحمة والشفاء. هكذا المسيح وهو على الصليب صرَّح "قَدْ تَمَّ".

بعد إتمام عمل إعادة الخليفة وقبل أن يستريح في القبر يوم السبت. نقرأ عن راحة المسيح ما يلي "هي راحة النعمة لمن هم على استعداد لتقديم خدمة أمينة ومُخلصَة وحيية كي يحصلوا على الراحة الروحية في هذه الحياة والحياة القادمة. العمل بأمانة يأتي بالسلام والفرح في سعادة الروح القدس". (روح النبوة، مخطوطة ٤٢، ١٩٠١). أدرك ربِّي يسوع أن أعماله حتى الصالحة منها لن تدخلني في راحتك، لكن ما قُمتَ به من فداء لأجلي ووفرت خلاصك العجيب لجميع الواثقين فيك يا مصدر الخير والراحة والسلام.

السَّبْت والولاء للمسيح

"قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "خَافُوا اللَّهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دِينُونَتِهِ، وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَبِنَايِيعِ الْمِيَاهِ." (رؤيا ١٤: ٧)

تُنادي رسالة الملاك الأوّل في رؤيا ١٤ بتقوى الله وتقديم المجد له. هذه الرسالة هي جزء من أخبار الإنجيل السّارة التي ينبغي أن يسمعها أهل الأرض وكلّ أمة وقبيلة ولسان وشعب لأنّه قد جاءت ساعة دينونته. منذ خريف سنة ١٨٤٤م وبحسب ما جاء في دانيال ٨: ١٤ "فأجابه: "إلى ألفين وثلاث مئة يوم ثمّ يتطهر الهيكل". دَخَلَ يسوع إلى قُدُس الأقداس السّماويّة معلناً بدء الدينونة الحقيقيّة حيث يثبت بمصير كلّ واحد قبل رجوع المسيح ثانية. شاهد الرائي يوحنا تابوت عهد الله الذي يحتوي على وصايا الله العشر.

ما يميّز مسيحيّ الأيام الأخيرة أنّهم يحفظون وصايا الله وعندهم إيمان يسوع. كلّ الوصايا هامة ومن يكسر واحدة منها يكون مجرماً في الكلّ. مع ذلك، فقد ميّز الله وصيّة السّبت التي تعمل كختم لشرية الله. تحتوي الأختام عادة على ثلاثة عناصر: اسم مالك الختم ولقبه الشرعيّ ونطاق سلطته. تحتوي وصيّة السّبت عناصر الختم الحيويّة. إنّها الوحيدة التي تُحدّد هويّة الإله الحقيقيّ بإعطاء اسمه: "الربّ إلهك" ولقبه: الصانع أو الخالق، ونطاق سلطته "السّموات والأرض". (خروج ٢٠: ١١ و١٠ و١٤: ٧). إنّ ختم الله هذا المرتبط بشريعته كميّنة عن مصداقيّته وقوّته الملزمة.

يكشف الكتاب المقدّس بأنّ العالم بأكمله سوق يُقسّم إلى فئتين قبل مجيء المسيح ثانية: "أولئك الأمناء الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع"، وأولئك الذين يسجدون للوحش ولصورته". (رؤيا ١٤: ١٢ و٩). في ذلك اليوم سيتعظّم حقّ الله أمام العالم وسيُتّضح للجميع أنّ الطاعة في حفظ سبت الكتاب المقدّس تُعطي البيّنة على الولاء للخالق. ستأتي قوّة مضطّهدة تُحاول تغيير يوم العبادة إلى الأحد علماً أنّه لا توجد آية كتابية لحفظ هذا اليوم. في النهاية، ستنتهي الدينونة هذه القوّة على نحو حاسم. (دانيال ٧: ٢٦ و٢٢ و٢٦).

سيتمّ دَخَلَ المسيح لصالح شعبه ويُخلّصهم (دانيال ١٢: ١-٣). يدعو الله شعبه إلى ترميم الثغرة التي حدثت في جدار شريعة الله. هذا ما تعلنه رسائل الملائكة الثلاث في رؤيا ١٤. وهذه هي مهمّة كنيسة الله الأخيرة قبل عودة مسيحنا البار داعية كلّ إنسان للاستعداد للدينونة.

تقود وصيّة السّبت الناس إلى العبادة الحقيقيّة للخالق، وهي اختبار يتضمّن تكريم النصب التذكاري لعملية الخلق، أي سبت الربّ، الذي رسمه عند الخلق وثبته في الوصايا العشر. "سيكون السّبت الاختبار العظيم للولاء لأنّه نقطة الحقّ المُختلف والمتنازع عليها بوجه خاص. فعندما يتّضح الاختبار الأخير لدى الناس ويقولون كلمتهم، حينئذ يُوضع حدّ فاصل بين من يعبدون الله ومن لا يعبدونه. ففي حين أنّ حفظ السّبت الزائف إطاعة لشرية الدولة خلافاً لما تأمر به الوصيّة الرابعة هو مجاهرة بالولاء لسلطان مُضاد لسلطان الله، فإنّ حفظ السّبت الحقيقيّ إطاعة لشرية الله هو بُرهان الولاء للخالق.

وفي حين أنّ فريقاً بقوله رمز الخُضوع للسلطات الأرضيّة يقبل سمة الوحش، فالفريق الآخر إذ يختار علامة الولاء لسلطان الله يقبل ختم الله. وذاك المُضلع على كلّ قلب ومُختبر كلّ وازع لن يترك إنساناً يرغب في معرفة الحقّ ينخدع فيما يختصّ بنتائج الصراع. والأمر لن يُفرض على الناس من دون تبصّر. فكلّ واحد سيُعطي النور الكافي ليتخذ قراره عن فهم وتبصّر". (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٦٥٦).

لمن سيكون ولائنا؟ هل لمسيحنا الحيّ الذي خلّصنا بدمه وفدانا على الصليب لنحفظ وصاياه دليل على محبّته لنا؟ أم نُطيع وصايا الناس وننال دينونته القادمة؟ الخيار لنا. لنعيش لمجده حاضراً ومُستقبلاً ونكرمه بطاعته.

معنى الفداء

"لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ."

(مرقس ١٠: ٤٥)

أوشكت الحرب الأهلية في الولايات المتحدة على الانتهاء، حيث كان شاب يحتضر في ساحة المعركة. رآه جندي وهب لتقديم العون له. رطب شفاه بقليل من الماء، وأسند رأسه في وضع مريح. قال الشاب المحتضر: "أبي ميسور الحال في ديترويت، لو كانت لي القوة لكتبت له ملاحظة كي يكافئك على حسن صنيعك معي" بصعوبة كتب الشاب ملاحظة يقول فيها "أبي العزيز، حامل هذه الرسالة جعل آخر لحظات حياتي سهلة، وساعدني لأموت، اقبله وساعده لأجل خاطر شارلي". بعد أن انتهت الحرب، انطلق الجندي بملابسه الرثة في طلب الأب بديترويت. رفض الأب استقباله بسبب منظره ورداءة ملابسه. لكن الجندي قال له: "معني ملاحظة قد تهكمك" وأعطاه ورقة ملطخة بالتراب، عندما وقعت عينا الرجل الغني على اسم ابنه، تغير موقفه في الحال. حضن الجندي وقربه إلى قلبه وأغدق عليه أموالاً كثيرة. غير اسم ابنه سلوكه. إذ نقف على أرض الفداء أمام الله باسم يسوع، يستقبلنا بفرح لانتمائنا إلى رب المجد مسيحننا المبارك.

كانت حياة يسوع تجسيدا لحقيقة هذه الكلمات. كان ملك الملوك ورب الأرباب ابن الله الأزلي، وقد أُعطي له كل سلطان في السماء وعلى الأرض، ومع ذلك لم يكن ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين. تواضع حتى الموت- موت الصليب ليدفع ثمن خطايانا ويفتدينا بدمه. ترى ماذا يعني الفداء؟ يعني الفداء رد أو شراء شيء فقدته مؤقتا وارجاعه إلى صاحبه الأصلي مثل دفع فدية وشراء عبد من عبوديته.

اشترى المسيح حريتنا فلم نعد عبيدا للخطية حيث دفع المسيح ثمن حريتنا بدمه على الصليب وموته. كما يعني الفداء أيضا تحريرنا من العبودية والأسر والأغلال. يسوع من خلال موته الكفاري اشترانا من عبودية الخطية والموت وحررنا إذ دفع ثمن فدائنا بدمه الثمين مُنقذاً إيانا لنعيش لمجده حياة الانتصار.

في سفر راعوث يتابع الله اهتمامه بشعبه في الوقت الذي نسوا فيه جوده ورحمته. هنا تتجلى الحقيقة أن الله أمين في محبته لنا رغم عدم أمانتنا له. فالمحبة في قلب هذه القصة والفداء هي محور هذا السفر. تظهر كلمة فادي وفداء في هذا السفر ٢٣ مرة. نرى في هذه القصة أمانة الله في عمل الفداء ممثلاً بالمحبة بين راعوث وبوعز. نجد معنى الفداء واضحاً في قصة راعوث. لم يكن بوعز مضطراً ليفتدي راعوث، لكنه اختار ذلك طوعاً مهما كلفه الأمر. رأى المسيحيون لآلاف السنين في أمانة بوعز صورة عن يسوع ومحبته لنا، فهو فادينا واشترانا بدمه الطاهر.

نرى في قصة راعوث روعة محبة المسيح الفادية الذي فدانا من آلامنا ومُفشلاتنا وهمومنا لقصده السامي وفرحنا الأكبر. عندما تظن أنه بعيد عنك، أو لا يسمع لك، تبقى الحقيقة أن يسوع يضع لحياتك قصداً أعظم مما يمكن تصوُّره. تذكرنا راعوث بالفداء الذي لنا بالمسيح وتُظهر أيضاً أن هذا الفداء يشمل كل جانب من حياتنا لمجده العظيم. هكذا تحولت كل مرارة في حياة ناعمي إلى بركة حيث جاء لراعوث ونعمي ابن هو الجد للملك داود الذي من نسله ولد يسوع فادي الإنسانية. يُصور الكتاب المقدس الله الذي يفندي شعبه من الخطية والعبودية والموت. الفداء هو عمل نعمة الله في انقاذ وتجديد شعبه قديماً وحديثاً. نرى في الفداء أيضاً المصالحة بين متخاصمين. لقد صالحنا الله بالمسيح يسوع ربنا. يوضح الرسول بولس معناً آخر للفداء ألا وهو التبني حيث نقرأ في غلاطية ٤: ٥ "لِيفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِيَّ".

جاء يسوع في ملء الزمان ليُحررنا من لعنة الناموس. جاء لفداء الذين تحت الناموس أي لينقذهم ويحررهم لأننا كنا عبيداً للخطايا ويسوع اشترانا لنفسه لكي ننال التبني أبناء وبنات لله ننتمي إلى رعية المؤمنين والمؤمنات. يلي الفداء التبني يتحقق فيه وعد الفادي المسيح "أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً". أبناء وبنات ملك المجد. لك عظيم الشكر إلهي المحب من أجل روعة الفداء بالمسيح يسوع.

رَبِّ الْفِدَاءِ

"الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ." (أفسس ١: ٧)

تُشير هذه الآية إلى الثمن الذي دفعه المسيح بدمه. كان موته على الصليب ثمناً كافياً لخطايا الذين آمنوا حيث حرَّهم من عبودية الخطيئة. لم تكن هذه الحرية مجانية بل كانت بموت المسيح وسفك دمه حيث دفع حياته ثمناً ليفتدينا. أعطى يسوع الكل ليفتدينا من عبودية الخطيئة والشرير. أوضح يسوع في يوحنا ٨: ٣٤ "أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ".

المسيح هو المصدر الوحيد للحق الروحي وجميع الذين يقبلونه سيحرَّهم من عبودية الخطيئة حيث أن الخطيئة هي اختيار أمور العالم فوق كنوز السماء، اختيار الظلمة بدلاً من النور. يُحبُّ المسيح الخاطئ، لذا سيُعطيهِ فُرص التوبة ما لم يُمعن في الخطيئة ويصرَّ على ارتكابها. يوضح الرسول بولس أن الفداء صار ممكناً بموت يسوع الكفَّاري الذي ذاق الموت لأجل كل واحد. وفَّر يسوع لنا الخلاص الذي عجزنا نحن على إنجازه بأنفسنا.

الله كلي القدرة ليكون فادياً ومخلصاً وقد سبقت أعمال فدائه علاقة عهد مع شعبه الذي افتداهم. في سفر الخروج ١٣: ١٧، وحرقيال ٢٠: ١٢ و ٢٠: ٢٠ إشارة إلى يوم السبت كعلامة لسيادة الرب الإله على شعبه ومقدسه. وفي ذات العلاقة بالشريعة، نجد أن قوة الله الفادية تمثَّلت في تخليص شعبه من عبودية المصريين. يبقى السبت علامة للفداء وذكرى للخلقة. الذين فداهم المسيح يستطيعون إدراك وفهم معاني الخليقة.

يبقى مثال الله لفداء شعبه قديماً حافزاً يقود أذهاننا إلى الفداء الذي صار ممكناً بحياة وموت وقيامه المسيح يسوع. ذاك الفداء جعل أعمال الخلاص قديماً وحديثاً فعالة وذات معنى. نحن الآن ملَّكُ في الخليقة والتبني وقد قبلنا مؤكداً أننا لسنا عبيداً بل أحبَّاء في محبوبنا المسيح، الذي شاركنا في اللحم والدم وأعطانا القوة لنعيش مُنتصرين في فدائه العظيم. عن قريب سيكتمل هذا الفداء بعودة يسوع ثانية ليأخذنا للديار السماوية لننعم بمواطنة ملكوت السماوات. لك يا ربي العزيز شكر القلب على عظيم فدائك لي، أعني لأعيش لمجدك.

تظهر قوة الله وحكمته وجوده في أعمال الخليقة، لكنَّها أكثر بُعداً ومجداً في عمله لفداء البشرية، والتي تشعُّ فيها محبته بأعظم قوة في فداء عالمنا الضال. في مشورات الأبدية وقبل خلق العالم تمَّ اختيار المسيح ليفتدي شعبه. أعطاه هدية مجانية لجميع المؤمنين به. لم تُعادلها أية هدية أخرى جمالاً وأهميَّة. يسوع المسيح هو هدية الآب- هدية ثمينة حقاً لعالم ضائع. فدى الله العالم بإرسال ابنه الأوحد ليموت عن الخطاة.

الله محبة، وما الفداء إلا أثراً من تلك المحبة، التي تُحيط بالثالوث الأقدس. يوضح الحبيب يوحنا في ١ يوحنا ٤: ١٠ و٩ "بهذا أظهرت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا". ليس لمحبتك ربي بداية فهي أبدية مثلك. لم تمنعك كل أمجاد السماء كي تفتدي جنسنا الخاطئ رغم عدم وجود أدُّرُع حنونة لتحضنك.

نعم، رغم أننا خطاة، نزل مسيحنا المبارك محمولاً على أجنحة المحبة ليفتدينا ويفتح لنا الطريق كخطاة لنجد خلاصنا بدم المسيح فادينا. ما أعظم محبتك لي يا صديق الخطاة. ما أروعك يا ربي سيبقى لساني يلهج بالحمد والامتنان لك على فدائك العجيب من أجلي، لك المجد أبد الدهو

فداني بدم كريم

"عَالَمِينَ أَنْكُمْ افْتَدَيْتُمْ... بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ."

(١ بطرس ١: ١٨ و ١٩)

يَعْتَبِرُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْقُدَّاسَةُ، بِلَا رَجَاءٍ وَبِلَا إِلَهٍ حَيْثُ فَصَلَّتْ الْخَطِيئَةُ الْإِنْسَانَ عَنْ خَالِقِهِ. الْكُلُّ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ. كَمْ نَشْكُرُكَ رَبِّي يَسُوعَ أَنْكَ جِئْتَ لِتَفْدِيَنَا وَتَسْتَرِدَّ مَا خَسَرَهُ الْإِنْسَانُ بِسَبَبِ عَصْيَانِهِ. لَمْ يَكُنْ هَذَا الْفِدَاءُ بِأَشْيَاءٍ تَغْنِي مِثْلَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ دَمِ الْمَسِيحِ.

كُنَّا مُبَاعِينَ لِلْعُبُودِيَّةِ وَعَصِيَانٍ وَصَايَا اللَّهِ الَّذِي وَحَّدَنَا لِنَفْسِهِ بِرِبَاطِ الْمَحَبَّةِ. الْمَسِيحُ بِنِعْمَتِهِ فَدَانَا وَبِمَحَبَّتِهِ اسْتَرَدَّنَا إِذْ دَفَعَ أَغْلَى ثَمَنٍ-دَمَهُ الْكَرِيمَ كَيْ يَمُنَحَنَا حَيَاةَ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالشَّرِّيرِ. مَا أَعْظَمَ تَضَحِيَّتِكَ يَا مُخْلِصِي. لَكَ الشُّكْرُ عَلَى الدَّوَامِ.

تَعَرَّضْتُ سَارَةً لِحَادِثٍ حَيْثُ نَزَفْتُ دَمًا كَثِيرًا مِمَّا اضْطَرَّ الْأَطْبَاءُ لِلْبَحْثِ عَنْ مُتَبَرِّعٍ لِيُعْطِيَهَا دَمًا. كَانَ أَخُوهَا الشَّخْصَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَحْمِلُ فَصِيلَةَ دَمِهَا. سَأَلَهُ الطَّبِيبُ إِذَا كَانَ مُسْتَعْدَدًا لِلتَّبَرُّعِ مِنْ أَجْلِ مُسَاعَدَةِ أُخْتِهِ. بَعْدَ فِتْرَةٍ صَمَتٍ طَوِيلَةٍ وَافَقَ. لَاحِظَتِ الْمُرْمُضَةُ فِي عُرْفَةِ الْإِنْعَاشِ الدَّمُوعَ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنِي الْأَخ. فَقَالَتْ الْمُرْمُضَةُ لَهُ "لَنْ يُؤْلَمَكَ هَذَا" أَجَابَهَا الْأَخُ "أَعْرِفُ ذَلِكَ، لَكِنْ مَتَى سَأَمُوتُ؟" اعْتَقَدَ الْأَخُ أَنَّهُ إِذَا تَبَرَّعَ بِدَمِهِ لِنَقَازِ حَيَاةِ أُخْتِهِ سَيَمُوتُ.

لَمَّا اسْتَوْضَحَ الطَّبِيبُ مِنْهُ عَنِ الْأَمْرِ قَالَ لَهُ "كَانَ قَرَارِي مَصِيرِي: حَيَاتِي مُقَابِلَ حَيَاةِ أُخْتِي" أَعْطَى الْأَخُ لِسَارَةَ مَا يُقَارِبُ نِصْفَ لِيْتَرٍ مِنَ الدَّمِ، لَكِنْ يَسُوعَ قَدَّمَ كُلَّ دَمِهِ لِفِدَائِنَا. كَانَ قَرَارُهُ مَصِيرِيًّا: حَيَاتِي مُقَابِلَ خَطَايَا الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ.

بَعْدَ أَنْ أَخْطَأَ آدَمُ وَحَوَّاءُ خَاطَا لِنَفْسَيْهِمَا مَلَابِسَ مِنْ أَوْرَاقِ التِّينِ، لَكِنَّ اللَّهَ صَنَعَ لَهُمَا أَقْمَصَةً مِنْ جِلْدِ الْحَمَلِ. كَانَتْ تِلْكَ أَوَّلُ ذَبِيحَةٍ قَدَّمَهَا اللَّهُ عَنْ خَطِيئَةِ الْإِنْسَانِ. حَيْثُ أَنَّهُ بَدُونَ سَفَكَ دَمٍ لَا تَحْصُلُ الْمَغْفِرَةُ. كَانَ الْخَاطِيءُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْحَمَلِ وَيَعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ فَتَنْتَقِلُ خَطَايَاهُ رَمْزِيًّا إِلَى الْحَمَلِ الْبَرِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِذَبْحِهِ تَكْفِيرًا لَخَطَايَاهُ. كَانَ الْحَمَلُ رَمْزًا لِحَمَلِ اللَّهِ يَسُوعَ مُخْلَصِ الْبَشَرِيَّةِ.

كَتَبَ إِشْعِيَاءُ قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ ب ٧٠٠ سَنَةٍ فِي ٥٣: ٧ "ظَلَمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً. كَشَاةً تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَعَجَجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً". وَلَا عَجَبَ أَنْ قَالَ يوحنا عَنْ يَسُوعَ عِنْدَمَا رَأَاهُ "وَفِي الْعَدَدِ نَظَرْتُ يَوْحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "هُوَ ذَا حَمَلِ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ". أَعْلَنَ يوحنا لِتَلَامِيذِهِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الذَّبِيحَةُ الْكَامِلَةُ وَالْمَقْدَسَةُ الَّتِي تَنْبَأُ الْأَنْبِيَاءُ عَنْ مَجِيئِهِ لَخَلَاصِ الْبَشَرِيَّةِ وَغُفْرَانِ خَطَايَاهَا.

يُقَدِّمُ الرِّسُولُ بُولُسُ الشُّكْرَ لِلَّابِ الَّذِي أَهْلَنَا لِشَرَكَةِ مِيرَاثِ الْقَدِيسِينَ فِي النُّورِ، وَأَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ. يُتَابَعُ قَائِلًا فِي كُولُوسِي ١: ١٤ "الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا". يَسُوعَ مَصْدَرُ فَدَائِنَا إِذْ خَلَّصَنَا مِنْ بَرَاثِنِ الْخَطِيئَةِ وَوَهَبَ حَيَاتِهِ ثَمَنًا كَرِيمًا وَغَالِيًا وَأَبَدِيًّا كَيْ نَعِيشَ مُنْتَصِرِينَ بِهَذَا الْخَلَاصِ الْعَجِيبِ. فَدَى الْإِنْسَانِيَّةَ جَمْعَاءَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ. أَعْطَانَا رَجَاءَ عَظِيمٍ بِحَيَاةِ أَبَدِيَّةٍ وَكَانَ الثَّمَنُ دَمُ ابْنِ اللَّهِ. سَفَكَ الْمَسِيحُ دَمَهُ طَوْعًا كِبْرُهُانَ لِمَحَبَّتِهِ لِمَنْ فَدَاهُمْ. هَذَا هُوَ الْحُبُّ الْعَظِيمُ أَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ لِأَجْلِ أَحِبَائِهِ.

دَفَعَ يَسُوعَ بِدَمِهِ ثَمَنَ خَطَايَانَا عَلَى الصَّلِيبِ. بِمَوْتِهِ اسْتَرَدَّنَا وَفَدَانَا عَلَى تِلَّةٍ جُلُجَتْ لِكَيْلَا نَكُونَ عِبِيدًا لِلْخَطِيئَةِ بَلْ عِبِيدًا لِلْبَرِّ. لَنَا الْغُفْرَانُ بِدَمِهِ إِذْ حَرَّرَنَا مِنَ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ وَقَصَاصِهَا. لَكَ الشُّكْرُ يَا مَسِيحِي الْبَارِ مِنْ أَجْلِ هَبَةِ الْفِدَاءِ الَّتِي لَا يُعْبَرُ عَنْهَا. مَهْمَا كَانَتْ خَطَايَاكَ فَطَرِيقَ الْخَلَاصِ مَفْتُوحَةٌ. هَذَا الْفِدَاءُ مُقَدَّمٌ لَكَ فَهَلْ تَقْبَلُهُ؟ لَقَدْ حَرَّرْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ. تَعَالَى وَذُقْ أَفْرَاحَ فَدَائِهِ الْعَجِيبِ.

سَيَكُونُ هَذَا الْفِدَاءُ مَصْدَرُ فَرَحٍ لِلْمَغْدِينِ حَيْثُ يُرَنَّمُونَ "مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخُرُوفِ الْمَذْبُوحِ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَهَ". (رُؤْيَا ٥: ١٢). أَنْظُرْ إِلَى صَلِيبِ جُلُجَتْ وَقَابِلِ فَادِيكَ هُنَاكَ. لَقَدْ ضَمِنَ لَكَ فِدَاءً أَبَدِيًّا وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَأْتِي لِیَأْخُذَكَ إِلَى دِيَارِ الْمَجْدِ. لَكَ يَا رَبِّي كُلُّ تَسْبِيحٍ وَحَمْدٍ.

ثواب الفداء

"الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لَأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيََنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالِ حَسَنَةٍ." (تيطس ٢: ١٤)

تُشير هذه الآية إلى عمل المسيح الذي قدّم نفسه لأجلنا ومات على الصليب بأجل حياتنا لأجل خطايانا. لا يعتمد خلاصنا على أي شيء نقوم به نحن، بل يعتمد بالتمام على استحقاقات الرب يسوع وما أتمه على الصليب. خلاصنا هو هبة مجانية من إله النعمة لجميع الذين يؤمنون بالرب يسوع المسيح - بالنعمة من خلال الإيمان فيه. كان قصد ذبيحته يتمثل بأمرين حسب ما نراه في هذا الآية.

الأول: يُنقذ المؤمنين من كل إثم. الثاني: يقدر أن يطهر أو يُنقى - أي يُحررنا موت المسيح من الخطيئة ونتأبها. هذه الطهارة هي "لنفسه" لخدم الله كأناس أو رعايا في ملكوته مواطنين في ملكوت النعمة. لذا بعد تحررنا من الخطيئة وقوتها نكون غيورين لأعمال حسنة. لتكن لنا ثقة وإيمان بما حققه مُخلصنا المسيح على الصليب ونعتمد على عمله الخلاصيّ إذ مات وقام لأجل جميع الوثائق به. لقد اشترينا بثمان فلنُعش بيقينية عُفرانه ورحمته ونؤمن بروعة خلاصه العجيب. قدّم نفسه كي يفتدينا من كل آثامنا ويُطهر لنفسه شعباً غيوراً لعمل كل ما هو صواب. نحتاج أن نضبط أنفسنا وطبيعتنا الجسدية كي نعيش حياة الطهارة ولا نلتهى بأمور الجسد وشهوات العالم بدلاً من التفكير بالمسيح. لنُعش بالتقوى مُنتظرين وطلابين سرعة مجيء الرب يسوع عن قريب على سحاب المجد. لو تأملنا شناعة الخطيئة والظلم الباهظ الذي دفع لفدائنا، لأدركنا أن المسيح وحده هو القادر أن يستردنا ويُخلصنا.

بعد أن يذكر الرسول بولس أن الكل أخطأوا وأعوزهم مجد الله يتكلم عن التبرير المجاني بالفداء الذي لنا بربنا يسوع المسيح. يُكمل قائلاً في رومية ٣: ٢٥ "الذي قدّمه الله كقارة بالإيمان بدمه، لإظهار برّه، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله". قدّم الله ابنه يسوع كذبيحة كقارة لخطايانا. أي أن الله عبر عن غضبه البار ضد خطايانا ووضعها على المسيح المصلوب حتى الموت، دافعاً مديونيتنا بالكامل. ذبيحة يسوع كانت هبة للتكفير عن خطايانا وقبولنا هذه الذبيحة هي الطريقة الوحيدة لتبريرنا أمام الله كأعضاء في عائلته السماوية.

نصل إلى سؤال هام: ما الذي دفع الله للقيام بهذا العمل لأجلنا؟ يُجيب الرسول بولس عن السؤال بسبب برّ الله أو عدالته. لم يقل الله "خطاياكم ليست مهمة، سأهمل البث فيها". لقد وضع عدالته ضد الخطيئة على يسوع الذي كان بلا خطيئة ليكون ذبيحة كفارة للخطيئة على الصليب. الخطايا السالفة كانت جزءاً من ذبيحة مسيحنا البار ودفع ثمنها بموته وقيامته. الإنسان عاجز بنفسه عن دفع استحقاق خطاياه كمتعدي على الناموس ونيل المصالحة مع الله، جاء هنا دور المسيح المحبوب الذي أنعم علينا بالفداء وعُفران خطايانا حَسَبَ غنى نعمته في المجد. دفع بدمه ثمن تعدياتنا وأنقذنا من عبودية الخطيئة وقصاصها.

في أفسس ١: ٩-١٢ يذكر الرسول بولس حكمة الله وفطنته في تدبير خطة الخلاص التي عرّفنا بها حسب قصده ومشيتته. وإذا جاء ملء الزمان أتى يسوع فادينا طوعاً كي يسترد ما أضاعه الإنسان عند سقوطه في الخطيئة. هذا هو إنجيل النعمة الذي نعيش نتائجه اليوم. ما أروعها من أخبار سارة عبّرت بحق عن محبة الله للجنس البشري حيث لم يتركه في ظلام الجهل والخطيئة، بل فتح له طريق الخلاص وانتشلنا من أحوال خطايانا.

يا لها من نعمة وما أعظمها من محبة تستحق منا كل الحمد والامتنان لخلاصه العجيب. ما هو موقفنا من هكذا نعمة وحب عظيم؟ جاء يسوع وقدّم لنا الفداء ليس لأننا نستحقه بل بمقتضى رحمته أنعم به علينا كثواب باستحقاق دم الحمل. تعال عزيزي إليه واقبله مُخلصاً شخصياً لحياتك. وعن قريب ستلتقي به حيث يُرحّب بك في أمجاده السماوية. لك المجد والحمد يا ربي البار والقدوس.

بشارة الفداء

"لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّي." (غلاطية ٤: ٥)

وعد الله إبراهيم أبي المؤمنين أن يكون أباً لجمهور كبير وبه تبارك كل الشعوب. كانت المشكلة في كون سارة زوجته عاقراً. ضحك إبراهيم وكذلك سارة لفكرة أن يكون لهما ولداً في سني شيخوختهما متناسين أن ما هو مُستحيل عند الإنسان مُستطاع لدى الله. الخلاص دوماً من عند الرب.

أخذ الله زمام المبادرة وأرسل في الوقت المناسب وفي ملء الزمان يسوع الحبيب مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدي حياتنا من أحوال الخطيئة ويدفع ثمن تعدياتنا وخطايانا بدمه الكريم. نجد تكرار الوعد بمجيء الفادي منذ الخليقة إلى أن صار تحقيق الوعد بالمسيح يسوع فادينا ومخلصنا القدوس.

حسب قصده، وضمن خطة الأبدية أرسل الله ابنه الأوحد مولوداً من امرأة تحت الناموس إلى عالم مظلم ومُتعطش وضائع روحياً في عداوة مع الله. كانت تلك خطة الله النابعة من نعمته ورحمته ليخلص الإنسانية ويمنحها العُفْران والفداء. تنازل عن عرشه السماوي وتسيب الملائكة ليخلي نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس كي يخلص الذين تحت الناموس ويُعطيه الحياة الأبدية. ابن الله صار ابن الإنسان عاش ومات حياة كاملة صار وهو البريء خطيئةً لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه ويمنحنا التبني في رعويته.

المسيح هو رجاء الفداء، وإذا أردنا إذاعة هذه البشارة علينا أن نعظ عن المسيح الذي هو خلاصنا. لا يمكننا أن نفصل الخلاص عن يسوع لأن اسمه يعني الخلاص حيث يخلص شعبه من خطاياهم. أكد حقيقة الخلاص بالمسيح كلا من بطرس ويوحنا حين قالا "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمٌ آخَرٌ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ". (أعمال ٤: ١٢).

كان تجديد شاول الطرسوسي حدثاً مُميزاً حين قابل يسوع على طريق دمشق وبعد قبول المسيح مُخلصاً شخصياً لحياته صار اسمه بولس رسول الجهاد المسيحي. تحول من مُجرم إلى قديس ومن مُضطهد إلى مُضطهد. كان في البدء بعيداً عن الله، ميّ بالذنوب والخطايا، غير قادر أن يخلص نفسه بنفسه. يسوع أحبه وسعى لخلاصه فصار سبب خلاص الكثيرين. باشر باسترداده لصورته التي شوّهتها الخطيئة. أرسل الله ابنه ليصير ذبيحتنا الكاملة وأنعم علينا بالمحسوب الذي لم يعرف خطيئة ليموت ويدفع ثمن خطايانا على الصليب.

نقرأ عن استعداد رسل المسيح لمشاركة أخبار الفداء مع الناس "وَكَاُنُوا لَا يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ". (أعمال ٥: ٤٢). لدينا أعزائي قصة لنروها - قصة يسوع الذي اقتدانا من ظلمة الخطيئة وصالحنا مع الله بموته. أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. صار يسوع واحداً منّا فصارت قصته قصتنا لنعيش كما عاش ونموت عن خطايانا لننعم بحياة جديدة. نروي بحياتنا قصة الفداء ونُخبر عمّا يعمل به المسيح معنا ومن خلالنا. لن يُوقف يسوع عمل النعمة العجيب في حياتنا.

بدلاً من أن يرانا المسيح خطاة كما نحن، ينظر إلى ما سنكون عليه عندما نقبله مُخلصاً شخصياً لحياتنا ونقبل عُفْرانه ونعزم بمعونة روحه القدوس أن نعيش لمجده يومياً. إن حياة وموت وقيامه المسيح ليست قصة في الكتاب المقدس وحسب، بل هي قصة حياتنا وما يُعطيه معنى خاص. نُشارك عمل الفادي يسوع في حياتنا في تعاملنا مع الآخرين فقد نكون نحن وتصرفاتنا الإنجيل الوحيد الذي يراه الناس.

كانت آخر كلمات يسوع على الصليب "قد اكمل". دُفع ثمن خلاصنا، ودُفع دين الخطيئة وتم عمل الفداء. عن قريب سنشارك المفديين ترنيمة الخلاص "مُستحق أنت الذي اشتريتنا بدمك أن تأخذ الكرامة والمجد أبد الدهور" فهل أنت وأنا نضم أصواتنا ونشارك الجوقة السماوية بتقديم الحمد والتسبيح لمسيحنا المبارك؟

عظمة الفداء

"مُتَبَرِّرينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي يَسُوعُ الْمَسِيحُ." (رومية ٣: ٢٤)

يحتاج كل شخص منا إلى فداء المسيح لأن طبيعتنا تتميز بالذنوب حيث يقول الرسول بولس إن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. ففداء يسوع يُحررنا من الذنوب حيث يُبررنا مجاناً بنعمته بالفداء الذي ييسوع المسيح. يعتمد الخلاص بكامله على النعمة حيث يعود الفضل أولاً وأخيراً إلى فادينا المسيح الذي يستحق كل المجد. إذ تبررنا، وتقدسنا وافتدينا بالمسيح يسوع. يأتي الفداء في النهاية للتركيز على أنه الأساس للبر والقداسة.

لقد افتدانا يسوع وحرر عبوديتها القاسية. في تيطس ٢: ١٤ يتكلم الرسول بولس عن يسوع الذي بذل نفسه لأجلنا كي يفدينا من كل إثم. يُشير في هذه الآية إلى موت المسيح على الصليب، باذلاً نفسه كذبيحة عن خطايانا. وينقسم هذا الفداء إلى قسمين: الأول لكي يفدينا من كل إثم أو خطية، والثاني لكي "يظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة". كأبناء وبنات الله، نحن عائلة روحية ومواطنون في الملكوت الجديد. لنعيش لمجد من فداننا وبذل نفسه لأجلنا ونمجد اسمه القدوس.

في رسالة الرسول بطرس الأولى نجد ٣ مراجع كتابية تؤكد أهمية موت المسيح مع تركيز كل واحد على جانب هام من هذا الفداء العظيم. في ٢: ٢٤ يؤكد بطرس على يسوع "الذي حملَ هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر". يذكر بطرس طبيعة موت يسوع الكفاري في ٣: ١٨ "فإن المسيح تألم أيضاً مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأئمة لكي يُقربنا إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن مُحيى في الروح".

في المرجع الثالث ١: ١٨-٢١ يُقدم بطرس طبيعة موت المسيح وفدائه لنا. ما أروع الأسماء التي تذكرها الأسفار المقدسة عن الرب يسوع: فهو -مخلصنا، راعينا الصالح، السيد، والصديق. قبل ما يزيد عن ٢٤٠٠ سنة مضت نطق البار أيوب بشهادة مجيدة ذكر فيها ربه بكلمة "فادي" الحي.

عند موت الرب يسوع على الصليب فقد فداننا بثلاثة مفاهيم. في سفك دمه على الصليب "١" اشترى من جديد ما خسرنه مؤقتاً حيث كُنَّا بالطبيعة مُباعين تحت الخطيئة ومُباعين لعبودية الشيطان وتحت دينونة الخطيئة. مات ليدفع ثمن تعدياتنا ويُحررنا منها. "٢" حررنا من عبودية حيث كُنَّا بالطبيعة عبيداً للخطيئة والشيطان. "٣" أنقذنا من خطر عظيم، من الموت والدينونة حيث صرنا نؤمن بالابن لنا حياة أبدية. كان مصيرنا هو جهنم، لكن موت يسوع أنقذنا من ذلك.

حسب ما ذكر الرسول بطرس في رسالته الأولى ١: ١٨-٢١ أربعة حقائق عن فداء المسيح لنا "١" افتدانا بأشياء تفتنى بفضة أو ذهب بل أعظم من هذه بكثير. "٢" افتدانا بدم كريم كما من حمل بلا عيب أو دنس دم المسيح. "٣" وُضعت خطة الخلاص قبل تأسيس العالم وظهرت في الأزمنة الأخيرة من أجلنا. "٤" للمؤمنين بالله أقامه من الأموات وأعطاه مجداً كي ندرك أن إيماننا ورجائنا هما في الله.

ما أروع أن نكتشف محبة الله وعدالته للجنس البشري، الذي خلقه على صورته وشبهه. أرسل ابنه الأوحد ليكون ذبيحة كاملة لفداننا. نتصالح مع الله إذا آمنا بأن يسوع سَفَكَ دمه وقدم حياته لأجلنا. هناك فداء لكل الخطاة الذين يلتمسون بفرح ليجدوا فداءً كاملاً بالمسيح. يا لرحمة مسيحنا العظيم وأروع نعمته. تعال أيها الخاطيء، تعال وذُق أفراح فدائه العجيب. أنظر إلى صليب جُلجثة وقابل فاديك هناك، تعرّف إلى عظمة الفداء.

ضمن لك ولي فداءً أبدياً وعن قريب، سيعود ليأخذنا إلى ديار المجد. تعال إلى فاديك يسوع آمن به لتنال غفران خطاياك وتحصل على الحياة الأبدية. الفداء هو أعظم انتصار ناله بنعمة فادينا المسيح العظيمة. عيش هذه الحياة وانعم ببركات مُعطي النعمة والمحبة والسلام والرب معك ويقويك لمجده على الدوام.

تأثير الفداء على حياتي

"وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هَذِهِ تَكُونُ، فَانْتَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لِأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ." (لوقا ٢١: ٢٨)

يسرد الرب يسوع علامات المنتهى في لوقا ٢١ حيث يتحدث عن خراب أورشليم على أيدي الرومان سنة ٧٠ م ثم ينتقل إلى أيامنا حيث يشرح العلامات في الشمس والقمر والنجوم وحالة الخوف التي تسيطر على الناس. ويقول "متى ابتدأت هذه تحدث أمام عيونكم يكون الوقت للوقوف ورفع رؤوسنا. لم يقل لتلاميذه ولنا". "حاولوا أن تخلصوا أنفسكم أو اذهبوا إلى الجبال لتجدوا ملاذاً هناك" لكنه أكد على حالة التأهب في الوقوف منتصبين رافعين رؤوسنا عالياً. يكون فدائنا بالإيمان والثقة بما عمله المسيح لأجلنا. "لقد أمر المسيح شعبه أن يراقبوا علامات مجيئه ويفرحوا حين يرون علامات ملكهم الآتي". (روح النبوة، الصراع العظيم صفحة ٣٤٤).

إن كل اختبارنا المسيحي يجب أن يؤسس على ما أنجزه المسيح من فداء لنا في تضحيته العظيمة. الطريقة الوحيدة لله كي يفترسنا من كل جانب من جوانب الخطيئة هي أن يوحد ابنه الفادي يسوع بطبيعتنا الخاطئة التي تحتاج للفداء. ولا عجب أن بشرية المسيح لها أهمية عظيمة بالنسبة لنا. يوضح الرسول بولس هذا الأمر في رومية ٣: ٢٢-٢٣ بقوله "إن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"، كلنا بحاجة إلى نعمة الله التي فاضت علينا بالمسيح يسوع ربنا. "بالنعمة أنتم مخلصون". تمم يسوع حياته الكاملة مطالب ناموس، وبموته الكفاري، تمم عدالة ناموس. لقد غيرنا من مرحلة الإدانة، التي ورثناها عن آدم، إلى حياة التبرير بنعمته.

نحتاج إلى إدراك أربعة أمور توضح مفهوم خلاصنا بكامله. "١" المسيح أحياناً روحياً بتجسده عندما اتحدت الطبيعة البشرية الخاطئة، التي كانت ميته روحياً، مع ألوهية ابن الله. هذا ما قاله بولس لمؤمني أفسس "أنهم بالطبيعة أمواتاً روحياً". هذا حالنا جميعاً الذي ورثناه عن آدم، لكن الله جعلنا أحياء مع المسيح حيث ولدنا من جديد روحياً. "٢" قهر المسيح حياته الكاملة ناموس الخطيئة. هذه القوة الكامنة في طبيعتنا الخاطئة تجعل من العيش حياة مقدسة مستحيلة بقوانا الخاصة.

جرب يسوع بنفس مبدأ طبيعة جسدنا الخاطئة التي كانت له عند تجسده. انبثقت هذه التجربة من بشرته، مع ذلك، قهر المسيح طبيعتنا الجسدية الخاصة بقوة الروح القدس الكامنة فيه. لذا قال بولس "بل البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات". (رومية ١٣: ١٤). "٣" فدى المسيح بموته البشرية من ذنب ودينونة الخطيئة. يأتي الذنب علينا نتيجة لخطايانا الخاصة، كما أننا ورثنا الذنب عن أبينا آدم لأننا جميعاً ولدنا خطاة. لذا "الكلمة صار جسداً". وقهر الخطيئة والموت في عقر دارهما بموته على الصليب.

"٤" بقيامه المسيح المجيدة، قام الجنس البشري الذي افتدي بالمسيح بأجساد ممجدة، تم تطهيرها من الخطيئة. أخذ الرب يسوع هذه البشرية الممجة إلى السماء ليُمثلنا في خدمته الكهنوتية في المقدس السماوي. فداء المسيح وخلصه تامين. عن قريب سيعود المسيح وهذا الجسد المائت سيلبس عدم موت والفساد عدم فساد وننعم بأجساد مجيدة خالدة إلى الأبد. كان قصد الفداء أن يعكس المسيح نتائج سقوط الإنسان في الخطيئة، ويفتدي طبيعتنا المباعة تحت الخطيئة. قام بذلك حيث صار واحداً منا لنصير متحدين معه بموته وقيامته وعن قريب بصعودنا معه إلى الأمجاد السماوية.

تبقى الحقيقة أحبائي أن المسيح افتدانا بالكامل من فرط محبته لنا فهو يقول لكم ولي "أنا خلقتك وفديتك لن أهملك ولن أتركك". لن يتركنا نتخبط بأحوال الخطيئة، بل مد يده وانتشلنا بخلصه العجيب. لا شيء عندي لأقدمه لك سوى أن آتي إليك كما أنا خاطئ بحاجة إلى غفرانك وفدائك لي. مات المسيح عني وأنا بعد خاطئ، شكراً لفادي المسيح الذي غير حياتي ونقلني من سلطان الظلمة إلى نوره العجيب. لك المجد والكرامة والسجود أبد الدهور ربّي وإلهي.

الفداء والتجديد

"إِذَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا." (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

خلق الله كل شيء غاية في الروعة، وأعطى الإنسان سلطاناً على الطبيعة والحيوانات وكان الكل ضمن علاقة حب بين الجنس البشري والخالق. إلا أن الإنسان عن طريق العصيان خلق هوة عميقة بينه وبين جابله العظيم وحطم العلاقة الأصلية بينهم. لم يعد الله مركز حياتهم، بل دبَّت الأنانية في الإنسان وصار تركيزه على نفسه مما أثر سلباً على العلاقات الإنسانية وحتى البيئة من حوله.

شكراً لفادينا يسوع أن تلك لم تكن نهاية القصة بل استمراريتها. فبعد الخليفة والسقوط تبعهما الفداء فالمسيح له المجد لم يشأ أن تبقى العلاقة مُحطمة بيننا وبينه، فعبر صفحات الأسفار المقدسة ومن خلال عصور التاريخ عمل على استردادنا لنفسه.

فمن سفر التكوين الإصحاح الثالث وإلى نهاية سفر الرؤيا نجد ترابطاً في قصة محبة الله الذي لم يتركنا في أحوال الخطيئة، بل عمل على فداننا. إذ ونحن بعد خطاة وعاصين لوصاياه ومُستحقين قصاص الدينونة مات المسيح لأجلنا. لقد عمل جاهداً للتواصل معنا وإظهار عمق مشكلة الخطيئة الكامنة فينا وتقديم الحل لها. تبقى الحقيقة أن الله يعمل على احتواء تأثير عصياننا ففي رحمته أرسل رسائل الإنذار عن طريق أنبيائه لينهى الأشرار عن الاستمرار في شرهم والعودة إليه تائبين.

نرى هذه القصة تتكرر باستمرار عبر صفحات الكتاب المقدس لينقذ الإنسان من براثن الخطيئة ويخلصه. هذا ما ندعوه الفداء بالمسيح يسوع حيث برهن بحياته التي عاشها وآلامه وموته سعي الله لإنقاذ الإنسانية وتقديم خلاصه العجيب لهم. يوضح الكتاب المقدس أن خطة الفداء قد أُعدت قبل خلق العالم وبعد سقوط لوسيفر ليصبح إبليس تطوُّع السيد المسيح ليأخذ جسده تواضعنا ويدفع بدمه ثمن خطايانا وتعدياتنا على الصليب. يا له من برهان ساطع لمحبة وعدالة يسوع لنا ويقين أكيد لبر الله حيث أرسل ابنه الأوحيد ليفتدي الجنس البشري ويُعيد ما خسرهُ آدم عند سقوطه في الخطيئة. هذا ما يؤكده الرسول بولس بقوله: "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لَأَجْلِنَا، لِكَيْ يُقْدِمَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ". (تيطس ٢: ١٤).

يذكر يوحنا الحبيب دور النعمة والحق في الكلمة التي صار جسداً "وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا". وفي نفس الإصحاح يقول "أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا". (يوحنا ١: ١٤ و١٧). أسس يسوع ملكوت النعمة حيث أصبحنا نحن مواطنين فيه، عن قريب سيكتب الفصل الأخير من قصة الفداء وسيكتمل تجديدنا بعودة رب المجد الذي سيخلق سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر إلى الأبد. في نظر المسيح نحن خلائق جديدة دُفْنَا معه في المعمودية وقُمْنَا في جِدة الحياة، لذا ينظر إلينا الرب لا كما كنا في الماضي، بل ما سنكون عليه بنعمته.

وكما قال الرسول بولس "إِذَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا". (٢ كورنثوس ٥: ١٧). حان وقت تذوق طعم حلاوة السير مع يسوع والعيش لمجده من جديد. لنعيش ما صلاه بولس في أفسس ١: ١٨ "مُسْتَنِيرَةً عَيْنُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غَنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ".

لنبق عيون أذهاننا مُثَبَّتة في الرجاء المبارك حين يكتمل تجديدنا في عودة رب المجد عن قريب. سيرحب بنا يسوع للدخول لملكوت السماوات حيث يكون كل شيء جديداً. رجاء جديد في موطن جديد بصحبة المفدين طيلة أجيال الأبدية السعيدة. ما أروع أن نكون جميعنا هناك وننعم بميراث القديسين في وطن المجد مع يسوع فادينا له كل المجد والكرامة أبد الدهور.

الفصل الثاني

شباط "فبراير"

اللَّهُ مَعَنَا



ملء الزمان

" وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ."

(غلاطية ٤: ٤)

أعطى الله بواسطة أنبيائه أكثر من ٣٠٠ نبوءة عن مجيء مسيا أي المسيح الآتي عبر صفحات العهد القديم. إن التفاصيل الدقيقة لإتمام هذه النبوءات تؤكد مصداقية كلمة الله مما يُعطينا الثقة بمواعيده ويزيد إيماننا استعداداً لمجيئه ثانية. فمُنذ الوعد الأول بمجيء يسوع الذي أعطاه الله لآدم وحواء بعد سقوطهما في الخطيئة، من أن نسل المرأة سيسحق رأس الحيّة أي الشيطان، تجددت هذه الوعود لأربعة آلاف سنة على لسان الآباء والأنبياء مثل إبراهيم وإسحق وداود وإشعيا وغيرهم. "ولكن كما تدور الكواكب في أفلاكها الوسيعة في مداراتها المُعيّنة فكذلك مقاصد الله لا تعرف عجلة ولا إبطاء" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٩).

إلى أن جاء يوحنا المعمدان الذي وُلِدَ بطريقة مُعجزية لزكريا الكاهن وأليصابات ليُعدّ الطريق لظهور المُخلّص يسوع. يقول البشير متى ٣: ٢١ "وَفِي تِلْكَ الْيָامِ جَاءَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرُزُ فِي بَرِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ". قَائِلًا: "تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ". ليس من باب الصدفة أن يبدأ يسوع خدمته العلنية بنفس الكلمات "توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السماوات" (متى ٤: ١٧). فكلّهما كانا دارسين للنبوءات بتدقيق وعرفا أن الوقت الذي أعده الله قبل خلق العالم لتخليص البشرية قد حان.

أخيراً دقت ساعة الزمن الخاصة ووصلت البشرية إلى ما دعاه الرسول بولس بملء الزمان أي مجيء يسوع المسيح إلى الأرض لتتميم وعد الله الذي كان قد أعطاه إلى إبراهيم والمُتعلّق بخلص البشرية وفدائها. جاء توقيت تجسّد المسيح في محلّه بحيث أعطى مُعاصريه فرصة لقبوله. يُتابع بولس في الآية أعلاه أنّ الوقت قد حان للذين كانوا تحت الناموس ليُولد فادي العالم "ليفندي الذين تحت الناموس لننال التبنّي".

وُلد يسوع من المُبَاركة مريم حيث حُبِلَ به فيها من الروح القدس مولوداً من امرأة تحت الناموس وكان الوحيد الذي استطاع أن يحفظ الناموس كاملاً وصرّح بأنه قد جاء ليُكَمِّلَ الناموس. دَفَعَ بموته على الصليب ثَمَنَ خطايانا وتعدياتنا وفدانا من لعنة الناموس. نشكر الله على هذه المحبّة العظيمة لنا في ذبيحة المسيح لأجلنا.

أرسل الله ابنه الأُوحد كي يفندي جميع المؤمنين فيه، ماضياً وحاضراً ومُستقبلاً ويمنّهم غُفران الخطايا ونوال الحياة الأبديّة. أرسله في الوقت المعين ليُخلّصنا من خطايانا. مع أنّ الله أبقى زمن تجسّده مجهولاً حتّى على الأنبياء، إلا أن كل الوعود المليئة بالرجاء لمُستقبل مليء بالبركة والسلام احتاجت إلى صبر ودراسة لتحقيقها.

أفكار الله ليست أفكارنا ولا طرقه طُرُقنا لأنّه يعمل بموجب توقيته الخاص ويقيس الزمن بطريقة مُختلفة عنّا. هذا ما يقوله بطرس في رسالته الثانية ٣: ٨ " وَلَكِنْ لَا يَخَفَ عَلَيْكُمْ هَذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ".

كثيرون منّا يرفضون السير مع الله بإيمان مع علمهم بأنّها الطريقة الوحيدة للنجاة. يدبُّ بنا الخوف من قصاص الله لأننا لم نعمل مشيئته. هذه فرصة الشيطان كي يزرع فينا بذور الشكّ بالمسيح ويحاول تشويه صفاته ومحبّته لنا. لكنّ يسوع له دوماً خطة لحياتك وحياتي. لقد وعد ألا يتركنا إذا أتينا إليه تائبين. نعم كما قال الحكيم "لكلّ شيء تحت السّماء وقت". هذا ملء الزمان لك اليوم، تعال إليه وانتظر بصبر تحقيق وعده لحياتك.

الله أمين بما وعد مهما طال الزمان. وكما اشتاق المنتظرون لمجيء المسيح جعلوا يتطلّعون مُترقبين ظهوره، هذا حالنا اليوم بانتظار عودته على سحاب المجد. أتى ليرفعنا من التراب ويخلق من جديد صفاتنا التي قد فَسَدَتْ لتكون على صفاته الإلهية وليجعلها بهيّة بمجده. تعال أيّها الرّب يسوع وحقّق وعدك في حياتنا لك المجد والكرامة أبداً الدهور وأعطنا الصبر والتعزية لنبقى لك أُمّاء مدى الأيام.

ظروف مجيئه

"قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ." (مرقس ١: ١٥)

كان زكريا الكاهن يخدم في الهيكل في أورشليم وفجأة ظهر له ملاك الرب وبشره بأن زوجته أليصابات ستلد يوحنا السابق للمسيح الذي سيُعد الطريق لظهوره. ومن فوق روابي بيت لحم، أعلنت جوقة الملائكة عن ميلاد مخلص البشرية. بعد أن رأى المجوس نجمه، أتوا من المشرق إلى أورشليم يطلبونه حاملين هدايا للملك المولود. وفي الهيكل، شهد سمعان الشيخ وحنة لألوهيته. تقاطر الناس لسماع رسالة المعمدان التي ركزت على التوبة واعتمدوا منه في نهر الأردن. حقاً قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله بظهور المسيح.

حيث أن الله إله ترتيب ونظام، فقد هيا الظروف المناسبة في القرن الأول ميلادي كي يأتي المسيح. ظهر توقُّع عظيم بين اليهود الذين كانوا يرزحون تحت وطأة حكم روما وتعطشوا لمجيء المسيح كي يُنقذهم. من الناحية الأخرى، وحدت الإمبراطورية الرومانية جزءاً كبيراً من العالم تحت سلطتها حيث ساد سلام نسبي، كما ربطت أجزاء حكمها بطرق جيدة مما سمح لأوائل المسيحيين أن ينشروا رسالة الإنجيل بسهولة.

بينما سيطرت روما عسكرياً، إلا أن الثقافة اليونانية كانت السائدة حيث كانت اليونانية اللغة المحكية ولغة التجارة في جميع أرجاء الإمبراطورية، هذا يشرح سبب كتابة العهد الجديد باليونانية كلغة رسمية آنذاك.

تميّزت العبادة الرومانية بالكثير من الآلهة الذين فشلوا في منح الناس الانتصار على حاكميهم الرومان وبالتالي توقّفوا عن عبادتها. في الوقت نفسه، انتشرت الفلسفة اليونانية التي فشلت أيضاً في تقديم العون الروحي للناس وتركتهم في ظلمة روحية. ينطبق نفس المبدأ اليوم على الناس الذين يتبنون الفلسفة والتقاليد والنظريات البشرية التي تزيد ظلامهم الروحي عمقاً. سادت في ذلك الزمن أيضاً ديانات غامضة تركز على إله-مخلص وتطلب من عابديها تقديم ذبائح دموية، جاعلة إنجيل المسيح الذي يشمل ذبيحة واحدة وشاملة فكرة مقبولة لهم. كما أن اليونانيين آمنوا أيضاً في خلود النفس "لكن ليس الجسد".

جند الجيش الروماني جنوداً من مختلف المقاطعات وزودهم بالثقافة الرومانية بالإضافة لإمكانية تقبلهم أفكاراً أخرى "مثل الإنجيل" التي لم تصل للمقاطعات المترامية الأطراف بعد. كان تقديم الإنجيل الأقدم لبريطانيا نتيجة لجهود الجنود المسيحيين الذين كانوا يخدمون فيها. الله في حكمته رأى الوقت ملائماً لتجسد ابنه فيها ضمن توقيت الله واختياره. سعى الله لوضع الأساس من خلال ناموسه لتحضير الناس لمجيء المسيح.

كان القصد من الناموس مساعدة الناس لفهم عمق خطاياهم وصعوبة حفظ الوصايا، لعلهم يكونوا أكثر استعداداً لقبول الشفاء لتلك الخطيئة بالمسيح يسوع ويقبلونه.

يقول بولس في غلاطية ٣: ٢٤ "إِذَا كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّباً إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ بِالْإِيمَانِ". قامت الشريعة بذلك من خلال الكثير من النبوءات المتعلقة بالمسيح والتي تممها يسوع بحياته وذبيحته وقيامته. كما أشار نظام الذبائح إلى الحاجة لذبيحة حمل الله الذي يرفع خطايا العالم. لا ننسى تاريخ العهد القديم والأعياد الدينية لا سيما عيد الفصح الذي يُشير للمسيح فصحنا. قدم الحمل كان يرمز لدم المسيح المُهراق ليُعطينا الغفران والخلاص.

من دراسة نبوءات دانيال ٩ الخاصة بالسبعين أسبوعاً والتي هي جزء من نبوءة ٢٣٠٠ سنة، نستنتج أن توقيت ذبيحة المسيح وخراب أورشليم أُعطي لدانيال قبل ٥٠٠ سنة من حدوثه ليتمّ بالتحديد بموت المسيح في فصح سنة ٣١ م ودمار الهيكل سنة ٧٠ م. الله عزيزي لا يؤخذ على حين غرة ولا تُفاجئه الأحداث فهو العليم الحكيم المُتسلط على الكل الذي تستطيع أن تثق به وتسلمه حياتك ليقودها إلى بر الأمان تحت ظل جناحي القدير له المجد والتسبيح أبد الدهور.

ذبيحة المسيح

"الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبَرِّ."

(١ بطرس ٢: ٢٤)

وَتَقَّ يَسُوعُ بِاللَّهِ وَعَدَالَتَهُ فَتَأَلَّمَ وَهُوَ الْبَرُّ وَلَمْ يُهْدَدْ وَسَلَّمْ نَفْسَهُ لِقَاضٍ عَادِلٍ. وَلَا عَجَبَ أَنَّهُ حَمَلَ خَطَايَانَا عَلَى الصَّلِيبِ وَدَفَعَ ثَمَنَ فِدَائِنَا وَمَاتَ الْمَوْتَ الَّذِي نَسْتَحِقُّهُ نَحْنُ. سَكَبَ الْآبُ جَامَ غَضَبِهِ عَلَى ابْنِهِ لِيَرْضَى ثَمَنَ خَطَايَانَا. تَحْمَلُ الْأَلَمَ كَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا. هَكَذَا وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَإِيمَانِنَا بِالْمَسِيحِ، لَنَا الْحُرِّيَّةُ مِنْ قُوَّةِ الْخَطِيئَةِ الَّتِي تُسَمِّمُ خِيَارَاتِنَا. بِفَضْلِ آلامِ يَسُوعَ، يُمْكِنُنَا أَنْ نَعِيشَ بِالْبَرِّ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا لَارْتِكَابِ الْخَطِيئَةِ، لَنَا الْحُرِّيَّةُ لِاتِّخَاذِ الْخِيَارَاتِ الصَّائِبَةِ الَّتِي تُرْضِي وَتُكْرِمُ مَسِيحَنَا الْمُبَارَكَ. أَلْقَى الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الضَّوءَ عَلَى ذَبِيحَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ قَبْلَ ٢٠٠٠ سَنَةٍ مِنْ حَدُوثِهَا مُمَثِّلَةً بِالقِصَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِإِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْحَاقَ. أَحَبَّ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ كَمَا يُحِبُّ أَيُّ أَبٍ أَرْضِي ابْنَهُ. انْتَظَرَ إِبْرَاهِيمُ وَزَوْجَتَهُ وَلَادَةَ ابْنِهِمَا سَيِّمًا أَنْ سَارَةَ كَانَتْ عَاقِرًا وَهِيَ وَإِبْرَاهِيمُ كَانَا مُتَقَدِّمِينَ فِي الْعُمُرِ. مَعَ ذَلِكَ، أَكَّدَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ أَنَّ مِنْ نَسْلِهِ سَتَتَبَارَكُ كُلُّ الْأَرْضِ. بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الْإِنْتَظَارِ دَامَتْ ٢٥ سَنَةً وَعِنْدَمَا كَانَ عُمُرُ إِبْرَاهِيمَ ١٠٠ سَنَةً وَسَارَةُ ٩٠ وُلِدَ إِسْحَاقُ. كَانَ مِيلَادُهُ الْمُعْجَزِي نَمَطًا لِلطِّفْلِ الْمُعْجَزَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

"لَقَدْ كَانَ إِسْحَاقُ هُوَ النُّورُ الَّذِي يَنْبُرُ جَوَانِبَ بَيْتِهِ وَعِزَّاءَهُ فِي شَيْخُوخَتِهِ، وَفَوْقَ الْكُلِّ، كَانَ إِسْحَاقُ هُوَ وَارِثُ الْبَرَكَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا، وَلَوْ مَاتَ مِثْلَ هَذَا الْبَنِ فِي حَادِثَةٍ أَوْ بِمَرَضٍ لَتَمَزَقَ قَلْبُ أَبِيهِ الْمَحَبِّ وَكَانَ رَأْسُهُ الْأَشْيَبُ يَنْحِنِي تَحْتَ ثِقَلِ الْأَحْزَانِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَسْفِكَ دَمَ ذَلِكَ الْبَنِ بِيَدِهِ. لَقَدْ تَرَأَى لَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْعَمَلَ مُسْتَحِيلٌ وَمُخِيفٌ" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٢٥). كَبُرَ إِسْحَاقُ وَصَارَ يَافِعًا عِنْدَمَا تَعَرَّضَ إِبْرَاهِيمُ لِمُتَحَانٍ صَعْبٍ بِتَقْدِيمِ ابْنِهِ إِسْحَاقَ ذَبِيحَةً سَبَبَ لَهُ عَذَابًا وَحُزْنًا كَبِيرَيْنِ، لَكِنَّهُ أَطَاعَ أَمْرَ اللَّهِ وَشَرَعَ فِي رَحْلَةٍ دَامَتْ ٣ أَيَّامٍ قَاسَى فِيهَا أَلَمَ فِرَاقِ الْبَنِ الَّذِي أَحَبَّهُ حُبًّا جَمًّا. حَاوَلَ الشَّيْطَانُ زَرْعَ الشَّكِّ فِي قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ لَكِنَّهُ قَاوَمَ التَّجَرِبَةَ وَسَارَ مَعَ ابْنِهِ وَاثْنَيْنِ مِنَ الْعُلَمَانِ إِلَى جَبَلٍ الْمُرْيَا حَيْثُ سَيُقَدِّمُ ابْنَهُ مُحَرَّقَةً لِطَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ. بَدَأَ مَعَ ابْنِهِ فِي صُعودِ الْجَبَلِ وَبَقِيَ بَانْتَظَارِ عَوْدَتِهِمَا. كَانَ إِسْحَاقُ يَحْمِلُ الْحَطَبَ وَلَا حَظَّ أَنَّ الْحَمْلَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فَسَأَلَ أَبَاهُ "أَيْنَ الْخُرُوفُ الْمُحَرَّقَةُ" فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ "اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ لِلْمُحَرَّقَةِ يَا ابْنِي". (تكوين ٢٢: ٨). كَانَ ذَلِكَ السُّؤَالُ بِمُثَابَةِ خَنْجَرٍ طَعَنَ قَلْبَ ذَاكَ الْآبِ الْجَلِيلِ. آمَنَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ إِسْحَاقَ لِكَيْ يُحَقِّقَ وَعْدَهُ لَهُ بِنَسْلِ. كَانَتْ رَغْبَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ بِطَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ بُرْهَانًا لِمَا مَرَّ بِهِ اللَّهُ الْآبَ عِنْدَمَا قَرَّرَ تَقْدِيمَ يَسُوعَ كَذَبِيحَةٍ لَخَطَايَانَا.

"أَخِيرًا بَعْدَمَا قِيلَتْ آخِرُ كَلِمَاتِ الْمَحَبَّةِ وَسَكَبَتْ آخِرُ دَمْعَةٍ، وَبَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الْمَعَانِقَةِ، يَرْفَعُ الْآبُ السَّكِينِ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ، وَلَكِنْ فَجْأَةً تَوَقَّفَتْ يَدُهُ، ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ الرَّبِّ نَادَى ذَلِكَ الشَّيْخَ قَائِلًا (إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!) فَجَاءَ الرَّدُّ سَرِيعًا يَقُولُ: (هَؤُلَاءِ) فَعَادَ الصَّوْتُ يَقُولُ لَهُ: "لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغَلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفُ اللَّهِ، فَلَمْ تَمْسِكْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٢٨).

وَقَدَّمَ الْكَبِشَ الَّذِي قَدْ أَعَدَّهُ اللَّهُ بَدَلًا مِنْ إِسْحَاقَ - حِينَئِذٍ أَلْقَى نُورٌ عَظِيمٌ عَلَى سِرِّ الْفِدَاءِ، وَحَتَّى الْمَلَائِكَةُ فَهَمُوا فَهَمًا أَعْمَقَ التَّنْدَبِيرِ الْعَجِيبِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِخُلَاصِ بَنِي الْإِنْسَانِ. اسْمُهُ هَارُونَ رَالِستون كَانَ يَهْوَى تَسْلُقَ الصَّخُورِ. إِذْ كَانَ يَنْزِلُ فِي جُرْفٍ صَخْرِيٍّ عَمِيقٍ عَلَقَتْ يَدُهُ بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ حَيْثُ قَضَى ١٢٧ سَاعَةً يُحَاوِلُ تَحْرِيرَهَا دُونَ جَدْوَى. نَقَذَ مِنْهُ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ فَسَجَّلَ عَلَى الْكَامِيرَا رِسَالَةً وَدَاعِيَةً لِأَهْلِهِ. أَخِيرًا اضْطُرَّ لِكَسْرِ عِظَامِ يَدِهِ وَقَطْعِهَا كَيْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتِ. خَرَجَ وَسَارَ مَسَافَةً طَوِيلَةً يَنْزِفُ دَمًا إِلَى أَنْ أَنْقَذَتْهُ طَائِرَةٌ مَرْوَحِيَّةٌ كَانَتْ تُفْتَشُ عَنْهُ وَنُقِلَتْهُ الْمُسْتَشْفَى حَيْثُ شُفِيَ. ضَحَّى هَذَا الشَّابُّ بِيَدِهِ كَيْ يَعِيشَ، أَمَّا يَسُوعُ فَقَدْ سَكَبَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ وَأَعْطَانَا الْخُلَاصَ كَيْ تَعِيشَ أَنْتَ وَأَنَا حَيَاةَ الْإِنْتِصَارِ بِذَبِيحَتِهِ. قَامَ بِكُلِّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَحَبَّنَا جَمِيعًا، فَالشُّكْرُ لَكَ رَبِّي عَلَى هِبَتِكَ الَّتِي لَا يُعْبَرُ عَنْهَا.

موته على الصليب

"الَّذِي لَمْ يُشْفَقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟"

(رومية ٨: ٣٢)

لم يكن ابناً عادياً بل كان مع الآب منذ الأزل، حلَّ فيه كلَّ ملء اللاهوت، إنه ابن الله الحبيب والأوحد. ربطتهما المحبة السامية، قد نتعجب كيف لله أن يرسله إلى عالم مُظلم وخطيئ ليبدل هذا الابن الذي احبَّه إلى أبعد الحدود. يكمن الجواب: قام بذلك من فرط حبه لك ولي. الخطيئة شيء مُرعب- إنها هجوم على الله- خطايانا- رفض لله وحقه وبره. الله لم يُشفق على ابنه البار وبذله كي يموت على الصليب لأجلنا أجمعين. الله الذي يُحبُّنا يعطينا كلَّ الأشياء الطيبة ليس لصالح فينا، بل من جوده. لك المجد يا مصدر كلَّ عطية صالحة.

عبر الملك داود بوحي من الله عن الضيقات التي مرَّ بها عند هروبه من شاول الملك في مزمور ٢٢ لتطبق بأكثر قوَّة على آلام المسيح على الصليب. سجَّل متى ومرقس صرخة يسوع في قمة عذابه على الصليب "إلهي إلهي لماذا تركتني". المأخوذة من مزمور ٢٢: ١ يسوع الذي لم يعرف خطيئة صار خطيئة من أجلنا لنصير نحن برَّ الله فيه.

صَبَّ الله جام غضبه على الابن الذي سَحَقَ من أجلنا كما يوضح إشعياء ٥٣ حيث سَرَّ الله أن يسحقه. انطبق هذا مع خطة الله منذ الأزل بأن يأتي المسيح ويموت لفداء الإنسانية. تُرِكَ يسوع تحت غضب الله وانتقامه. تحمَّلَ ذلك "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمَل الصليب مُستهيناً بالخزي فجلسَ في يمين عرش الله" (عبرانيين ١٢: ٢). عومِلَ كذلك ليس لأنَّه مُستحق، لكن لأننا نحن المُستحقين.

أراد يسوع بتبريد مزمور ٢٢ على الصليب أن يُخبرنا أنه مات لا كمُجرم يدفع ثمن جرائمه بل لأجلنا صار خطيئة حيث جاء في شبه جسد الخطيئة وأدان الخطيئة في الجسد. قام بذلك لنصير برَّ الله فيه. لم يكن إزالة دينونة خطايانا مُمكناً دون مخلص بار وكامل، ذاك هو المسيح. عانى يسوع آلاماً جسدية وعاطفية طويلة أيام حياته لكنَّ أقسى هذه الآلام تكبدها على الصليب.

لم يعرف فادينا معنى الانفصال عن أبيه السماوي من قبل، لكنَّ أقسى هذه الآلام أصابته أكثر من أي وقت مضى ولا عَجَبَ أنه شعر بالابتعاد عنه. كان حاله يُشبه الظلمة الحالكة التي أحاطت بتلة جُلجثة عند موته. كان يسوع باراً بدون خطيئة، لكنَّ الآب وضع خطايانا عليه وعاقبه لأجلها. شعر بثقل خطايانا وهو البار لكي يمنحنا غفران خطايانا ويموت في الوقت المناسب لأجلنا.

وصف المصلح الديني مارتن لوثر مزمور ٢٢ بهذه الكلمات "إنَّه جوهرة ثمينة ورائعة بين المزامير. يحتوي على عمق وقسوة آلام المسيح عندما تألَّم وسط رعب وسيات غضب الله والموت التي تفوق أي فكر بشري يُمكن إدراكه". لثلاث ساعات على الصليب احتضنت الأبدية حيث التفت المنطقة بسحابة من الظلمة. صمَّت السماء ووقف الوقت حين أدار الله وجهه عن ابنه الذي أحبه وسرَّ به. أحلك ٣ ساعات ظلمة في التاريخ البشري حين انفصل ابن الله الأزلي عن أبيه السماوي وصار خطيئة ولعنة لأجلنا.

تغلغلت لعنة الخطيئة في روحه وجسده بينما شَرَبَ كأس المرارة التي منحت البركة لجميع الذين ولدوا تحت لعنة الناموس. وقف يسوع كصخرة منيعة ضدَّ محيط التجارب الواسع الذي هاجمه بأواجه لتُصبح جزيرة خلاص لأرواحنا التي كانت مثل حُطام سفينة. مرَّ يسوع بكلَّ آلام الابن الذي شَعَرَ بتخلي الآب عنه. شعر بالعجز والانسحاق، بدت نفسه صغيرة لا قيمة لها. تعرَّض للهزء من الكهنة والرومان، كانت الشكوك من حوله بشأن قدرة الله على تخليصه رغم ثقته فيه. ثقبوا يديه ورجليه، سَكَبَ كالماء وصار قلبه كالشمع ذاب فيه.

وسَطَ كلَّ هذه الآلام نجد يسوع مثار إعجاب قائد المئة وتوبة أحد اللصين. كان الله مُصالحاً العالم بموت المسيح وشارك الرب يسوع آلام الأب لموت ابنه الحبيب. هناك نفوس تبكي على الخطيئة وتتوق لمخلص يُخلصها بدمه الكريم. تذكر عزيزي أنه مات لتُحيا أنت وأنا. فهل تعزم أن تعيش لمجده على أمل لُقياه عن قريب؟

لماذا مات يسوع؟

"لَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا." (رومية ٤: ٢٥)

بالحقيقة مات المسيح من أجل خطايانا، دُفِنَ وقام في اليوم الثالث. لقد أُسْلِمَ للموت من أجل تعديتنا، وأُقيمَ لأجل تبريرنا. يا لفرح أن نكتشف أخيراً أن البرَّ محسوب لجميع الذين آمنوا بالله، الذي أقام المسيح من الأموات - وذلك لكي نخلص بالإيمان فيه. مات المسيح ليدفع ثمن خطايانا لكي نحسب برَّ الله فيه. فمن خلال الإيمان في ذبيحته على الصليب وقيامته المجيدة نتبرر بنعمة الله الذي هو هبة الله لنا.

قد نتساءل: هل كان من الضروري أن يموت يسوع لأجلنا؟ علينا أن نكون حريصين كي لا نضع الله تحت المسائلة. لن نكون قادرين على فهم أفكاره وطرقه لأنها ليست مثلنا على الإطلاق، فخطة الخلاص التي أبدعها كانت كاملة وعادلة ومُستقيمة ولا يمكن لأحد أن يأتي بأفضل منها. تُرى ما الذي قام به المسيح من أجلنا؟ تألم يسوع ومات كي يُظهر محبته لأجلنا. لا يكن لديك أي شك بمحبة الله لك فالبرهان هو الصليب.

لم تكن المسامير التي ثبتت يسوع على الصليب، بل كانت المحبة. ربط الرسول بولس هذه المحبة بشكل شخصي حيث قال "الَّذِي أَحْبَبَنِي وَأُسْلِمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غلاطية ٢: ٢٠). كان موت المسيح عربون محبته لنا كما يقول بولس "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رومية ٥: ٨). مهما كانت ظروفك صعبة في هذه الحياة، انظر إلى الصليب وتذكر عمق محبته لك.

يصف إشعياء ٥٣ ما قاساه المسيح من أجلنا "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامَنَا عَلَيْهِ، وَبَحْبُورُهُ شَفِينَا" ابن الله البار والبريء سُحِقَ لأجل معاصينا وطُعنَ جسده لأجل آثامنا. نال ما نستحقه نحن كي نُشْفَى من خطايانا. يتابع إشعياء في الآية ١٢ قائلاً: "سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمَذْنُبِينَ".

أُحْصِيَ مع الخطاة والمذنبين كي يحمل خطايانا على الصليب. هو في الوقت ذاته شفيعنا العظيم وغافر ذنوبنا. بتقديم نفسه كذبيحة لأجلنا على الصليب، أخذ قصاص خطايانا بالتمام عليه مما أهله ليكون الذبيحة التامة مُتَمِّمًا مطالب الناموس العادلة لذا دُعِيَ "حَمَلَ اللَّهَ".

يقول الرسول بطرس عن ذبيحة المسيح لأجلنا "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكَيْ يَقْرِبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ" (١ بطرس ٣: ١٨). لن تكون حاجة فيما بعد لأي ذبيحة أخرى. لن نحتاج للقيام بعمل عظيم كي ننال عُفْران الله. مات المسيح لأجل خطايانا مرة واحدة كانت ذبيحة كافية وكاملة. دورنا هنا لنعترف بخطايانا ونتوب ونرجع إليه. كنّا غرباء وبعيدين عنه، لكن يسوع كان الطريق الذي أرجعنا إلى الله.

جاء يسوع ليصير خطية لأجلنا وفي هذا يقول بولس الرسول في ٢ كورنثوس ٥: ٢١ "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه". لم يمت لأجل خطايانا فحسب، بل صار خطايانا. أخذ طبيعتنا التي لوئثتها الخطية وصار خطية لأجلنا. لماذا؟ لنصير نحن برَّ الله فيه. أخذ مكاننا على الصليب كما لو أن لسان حاله يقول "سأحمل خطاياك علي وأعطيك بري".

ستُدعى بار و قدوس. ستكون محبوب الله "لماذا؟ لأنه ضحى بالكل من أجلك. افتحْ عِزِّي قلبك لله لتنال عُفْران الخطايا وتقبل خلاصه العجيب شاكرًا عظيم ما قام به كي تنال بنعمته النصيب الصالح معه في أمجاده السماوية عن قريب. في ذبيحة صليب يسوع ظهر بوضوح أعماق محبته لنا حيث سكب نفسه للموت لأجلنا. وفي قيامة المسيح نرى انتصار الله على الموت مُشيرًا إلى وعده بالحياة الأبدية. شكرًا لك ربِّي البار لأجل عطية الخلاص التي وفرت لنا حياة جديدة بنعمة من أحبنا وفدانا بدمه الكريم يسوع الحي إلى أبد الأبد.

المسيح العبد المتألم

"هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أُعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي" (إشعياء ٤٢: ١)

تعددت الآراء بشأن مَنْ يُرْمَزُ إليه بالعبد في هذه الآية، أهو كورَش الذي أصدر أمراً بعودة المسيبين من بابل أم بني إسرائيل أم المسيح؟ مع الآية الخامسة نجد وصفاً رائعاً لمُرسلية المسيح الذي هو نور الأمم والذي فَتَحَ أَعْيُنَ الْعُمَى وَأَطْلَقَ الْمَأْسُورِينَ أَحْرَاراً. إنها دعوة الابتهاج بقدوم المنقذ السماوي الآتي أطلقها النبي إشعياء قبل ٧٠٠ سنة من ولادة يسوع. اقتبس متى هذه الآية واصفاً عمل يسوع وكرارته في متى ١٨: ١٢ "هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الْأُمَّمَ بِالْحَقِّ".

ولا عجب أن يسوع ركَّز على عمله كخادم طيلة فترة تجسُّده، ففي مرقس ١٠: ٤٥ نقرأ "لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ". كانت أعماله خير دليل على معنى الخدمة الحقيقية للآخرين.

من أعظم نبوءات العهد القديم عن مجيء المسيح كخادم مُتَأَلِّمٍ نجدها في إشعياء ٥٣ وإصحاح ٥٣ والتي اقتبس كَتَبَةُ الْأَنْجِيلِ الكثير من آياته بدءاً من الآية الثالثة نقرأ "مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَمُخْتَبَرُ الْحَزَنِ، وَكُمُسْتَرٌّ عَنْهُ وَجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدْ بِهِ". وبعد أي يَصِفُ الْأَحْزَانَ وَالْأَوْجَاعَ الَّتِي تَحْمِلُهَا عَلَى الصَّلِيبِ نقرأ في الآية ٥ "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحَبْرِهِ شَفِينَا".

يلي ذلك حالة الضياع التي عشناها كغنم لا راعي لها والرَّبُّ وضع عليه إثم جميعنا. وفي الآية ٧ نقرأ روعة التسليم الكامل لله بصمت كنعجة أمام جازيها "ظَلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَدَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً. كَشَاةٌ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعَجَةٌ صَامِتَةٌ أَمَامَ جَازِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً".

يتابع إشعياء أنشودته بوصف ما قاساه يسوع وكيف قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ وَضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِنَا. ماتَ بَيْنَ مُجْرِمِينَ وَدُفِنَ فِي قَبْرِ رَجُلٍ غَنِيٍّ. كان بريئاً لم يعمل ظلماً بل مات دافعاً دَيْنَ خَطَايَانَا عَلَى الصَّلِيبِ. وفي الآيات الثلاث الأخيرة نرى كيف جعل يسوع نفسه ذبيحة إثم وَحَمَلَ آثَامَنَا حَيْثُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ. سيكون خادم الله عظيماً، لم يكن الموت نهاية هذا الخادم - لَأنَّه ماتَ لِخَطَايَا شَعْبِهِ.

لم يغلب الموت الخادم، بل من خلال موته فقد قَهَرَ الموت ذاته. سينال ميراثاً من الله: الذين ماتَ لِأَجْلِهِمْ سَيُرْفَعُ الْخَادِمُ مِنْ جَدِيدٍ حَيْثُ أَتَمَّ عَمَلَ الْفِدَاءِ. تحدَّثَ الرُّسُولُ بُولُسُ فِي فِيلِيبِّي ٢ عن تواضع يسوع حين صار عبداً في شبه الناس. تخلَّى المسيح طوعاً عن حالة العظمة والمجد التي كانت له مَعَ اللَّهِ مُنْذُ الْأَوَّلِ لِيَصِيرَ إِنْسَاناً آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ وَذَاقَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. أقامه الله من الموت وأجلسه عن يمينه في المجد ليتشفَّعَ لِأَجْلِ قَدِيسِهِ.

وعَدَ اللَّهُ دَاوُدَ بِأَنَّهُ سَيُقِيمُ مِنْ نَسْلِهِ مَلِكاً يَحْكُمُ إِلَى الْأَبَدِ. لن يخذل الله وعده لداود مهما طال الزَّمنُ. وكما تنبأ إشعياء وَلَدَ لَنَا وَكَانَتْ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَلَنْ يَكُونَ لِمَلِكِهِ نَهَايَةٌ. صَعَدَ الْمَسِيحُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْآبِ وَسَيَأْتِي عَنْ قَرِيبٍ كَمَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ. سيعود يسوع كظافر مُنْتَصِرٍ فَهُوَ مَمْسُوحٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ حَيْثُ أُعْطِيَ لَهُ عَمَلُ الْخِلَاصِ وَالْإِنْتِقَامِ، فَهُوَ لَيْسَ الْمَمْسُوحُ وَحَسَبَ، هُوَ أَيْضاً الْغَالِبُ الَّذِي سَيَأْتِي بِالْبَرَكَاتِ وَالْعَدْلِ عِنْدَ مَجِيئِهِ الثَّانِي عَنْ قَرِيبٍ لِيَدِينِ الْأَشْرَارَ وَيَخْلُقَ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيداً.

واحدة من أعظم الأمثلة عن تواضع يسوع عندما قام بعمل الخادم وَغَسَلَ أَرْجُلَ تَلَامِيذِهِ وَهُوَ السَيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ، ثُمَّ أَوْصَى تَلَامِيذَهُ وَنَحْنُ أَنْ تَتَّبِعَ خُطَوَاتِهِ. علينا أن نكون مُتَوَاضِعِينَ وَخُدَّاماً مُتَأَلِّمِينَ. ليس العبد أعظم من سيِّده والصليب يأتي قبل التاج. وكما تنبأ إشعياء سيعود السيِّدُ الرَّبُّ. إلى ذلك اليوم، لنَعِشْ بِالْإِيمَانِ. مهما بدت الأمور قاتمة، سيأتي يسوع يوماً ما عن قريب ونراه وجهاً لوجه. هناك في الديار الأبدية سِيلْبَسُنَا إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ وَنَجْثُو مَتَهَلِّلِينَ بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ لِخَادِمِنَا الْمُتَأَلِّمِ حَمَلَ اللَّهُ يَسُوعَ الَّذِي فِدَانَا وَمَنْحَنَا الْخِلَاصَ بِدَمِهِ الْكَرِيمِ.

قيامته وجلوسه عن يمين الآب

"لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا." (مزمو ١٦: ١٠)

يتكلّم داود في مزمو ١٦ عن قيامة يسوع الَّذِي قَهَرَ الموت. وعن طريق الإيمان به، فلنا نحن الذين آمنّا رجاء حيّ كي نقوم معه عند مجيئه ثانية. عاش المسيح حياة كاملة ومات طوعاً على الصليب حيث دَفَعَ ابن الله المتجسّد بالكامل ثَمَنَ خطايانا. إذ قامَ من الموت، فقد حَطَّم قبضة الموت لجميع الذين آمنوا باسمه.

نرى داود يُعلن بفرح في هذا المزمور أن الله الآب لن يترك نفسه في القبر بين الأموات، ولن يدع تقيّه القدوس يرى فساداً. اقتبس بطرس هذا المزمور- في يوم الخمسين حيث حلّ عليهم الروح القدس بحسب وعد المسيح لهم- وهو يعظ لرجال أتقياء حضروا إلى أورشليم من كُلِّ أُمَّة تحت السماء. وعظّ عن عجائب ومُرسلية السيّد المسيح وكيف أنّهم شهود بذلك ومع أنّهم صلبوه وقتلوه ولكن الله أقامه.

في الآية ٢٤ من أعمال ٢ يؤكد بطرس أن الله قد أقامه من الأموات لأنّه ربّ الحياة والقيامة والموت ليس له سلطان عليه. يقول بعد ذلك في الآية ٢٥ "لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا". بعدها يذكر كيف أن داود تنبأ وتكلّم عن قيامة المسيح قبل ألف سنة من حدوثها وفي آية ٣٢ نقرأ "فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لذلك".

شيئاً فشيئاً قُبِضَ على الرُّسل وماتوا كشهود عيان، لكن الله بروحه أوحى لهم بكتابة الأسفار المقدّسة التي هي أعظم بُرْهان على صدق النبوءات التي تحقّقت، والتي ننتظر تحقيقها عن قريب. أكّد لهم بطرس أن داود قد مات وقبره عندهم، المقصود هنا هو المسيح يسوع. ولا عجب أن سرّ قلب داود وتهلّل لسانه فرحاً لرجاء قيامة الربّ المجيدة. أذكروا ما حدث عند موت لعازر ومدى القلق التي شعرت به الأختان مريم ومرثا من أن لعازر له أربعة أيام في القبر لكنّ المسيح أكّد لهما في يوحنا ١١: ٢٥ "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا". هذا ما رآه الحبيب يوحنا في الرؤيا عندما كان في جزيرة بطمس وكتب عن يسوع الَّذِي تكلّم معه قائلاً "والحيّ وَكُنْتُ مَيِّتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ! آمِينَ. ولي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤيا ١: ١٨). الشكر لله أن قيامة المسيح قد دمّرت الموت لجميع الذين آمنوا فيه وأعطتنا امتياز أن نقوم معه عندما يعود لياخذنا معه.

عند صعود السيّد المسيح في سحابة إلى السَّمَاء حَقَّقَ نبوءتين من العهد القديم. الأولى من سفر دانيال ٧: ١٣-١٤ إذ شَاهَدَ دانيال في رؤى الليل مثل "ابن الإنسان" جاء إلى القديم الأيام فقربوه قُدَّامَهُ فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لَتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ بِمَلَكُوتٍ لَا يَنْقَرِضُ". "ابن الإنسان" من الألقاب المُحِبَّة التي استعملها السيّد المسيح لتذكير سامعيه بهذه الرؤيا التي شاهدها دانيال النبي. في الواقع، استعمل يسوع هذا اللقب ٨١ مرّة في الأناجيل المقدّسة. نقرأ في مرقس ١٦: ١٩ "ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَ مَا كَلَّمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. أَمَا الْمَلِكُ دَاوُدَ فَيَقُولُ فِي مَزْمُور ١١٠: ١ "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: "اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ". اقتبس المسيح هذه الآية للفريسيين ليُريهم أنّه المقصود بالجلوس عن يمين الله ليضع أعداؤه موطناً لقدميه. ثانياً: كان التلاميذ يُدركون أن يسوع الَّذِي صعد إلى السَّمَاء سيجلس عن يمين الآب لأنّه قد أكّد لهم ذلك.

أنهى يسوع عمل الفداء الَّذِي أتى لإتمامه. عاد إلى السماء ليجلس عن يمين الآب كما كان قبل تجسّده. نستنتج أن لقب "ابن الإنسان" له ثلاثة أبعاد: ١- ينطبق هذا اللقب على خدمة المسيح الأرضيّة، ٢- يُستخدم أيضاً لوصف آلام وموت وقيامته المسيح، ٣- ابن الإنسان له بُعد مُستقبلي حيث سيكون الديّان العادل الَّذِي سيأتي ليجمع الخراف والجداء عن يمينه ويساره. أعطنا يا ربّ أن نكون من الذين عن يمينك لننعم بصُحبتك مدى الأجيال.

نسل المسيح

"لأنه يُولدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيئًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا،
أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ." (إشعياء ٩: ٦)

كان مُخَلِّصُ الْعَالَمِ في اتحادٍ أَبَدِيٍّ مع الله في بشرية كاملة وقد أَيْدِ إِشْعِيَاءُ تلك الحقيقة في هذه الآية. وفي تجسُّده كواحد مِنَّا، وُلِدَ يَسُوعُ مِنَ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ كِي يُخَلِّصَ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ. كَأَقْنُومِ ثَانٍ مِنَ الثَّلَاثِ الْأَقْدَسِ، كَانَ الْمُخَلِّصُ الْإِبْنُ الْأَوْحَدُ لِلَّهِ، لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْمَحْبُوبَ لِيَكُونَ مُخَلِّصَنَا. فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ تَجَسَّدَتِ أَلْقَابُ اللَّهِ وَحِكْمَتُهُ. إِنَّ اسْمَهُ عَجِيبٌ حَيْثُ لَمْ يُضَارِعْهُ أَحَدٌ فِي رُوعَتِهِ، وَفِيهِ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْمَشُورَةِ. لِلَّهِ وَحْدَهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهًا الْقَدِيرَ، فَهُوَ الْآبُ الْأَبَدِيُّ الَّذِي وَحْدَهُ فِي شَخْصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، سَفَكَ دَمَهُ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ لِيَكُونَ لَهُمْ فِيهِ سَلَامٌ. هَذَا إِلَهٌ الْعَجِيبُ وَالْمُشِيرُ إِلَهٌ الْقَدِيرُ وَالْأَبَدِيُّ رَئِيسُ السَّلَامِ - مُثَلًّا فِي شَخْصِ الْمُبَارَكِ يَسُوعَ، وَضَعَ مَجْدَهُ جَانِبًا وَوُلِدَ فِي جَنْسِنَا الَّذِي خَلَقَهُ وَصَارَ ابْنُ الْإِنْسَانِ. الرَّبُّ يَسُوعُ هُوَ الْإِبْنُ الَّذِي وُلِدَ، وَأُعْطِيَ لَنَا لِنَنَالَ بِهِ الْخَلَاصَ.

أَوَّلُ وَعْدَ بِمَجِيءِ يَسُوعَ أَعْطَاهُ اللَّهُ لِحَوَاءِ وَآدَمَ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ فِي تَكْوِينِ ٣: ١٥ حَيْثُ وَعَدَ بِمَجِيءِ الْمُخَلِّصِ الَّذِي سَيَسْحَقُ رَأْسَ الْحَيَّةِ. سَيَكُونُ مِنْ نَسْلِ سَامِ بْنِ نُوحٍ حَسَبَ وَعْدِ اللَّهِ. لَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ الْعَائِلَاتِ الْأَرْضِيَّةِ عَائِلَةَ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي بِالْمَسِيحِ مِنْ نَسْلِهِ تَبَارَكَ كُلُّ الْأَرْضِ، وَلَا عَجَبَ أَنَّ مَتَّى بَدَأَ سِلْسِلَةَ أَنْسَابِ يَسُوعَ "كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ". (مَتَّى ١: ١). وَأَكَّدَ الرَّسُولُ بُولُسُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ حِينَ كَتَبَ "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ: "وَفِي الْأَنْسَالِ كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: "وَفِي نَسْلِكَ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ" (غَلَاطِيَّة ٣: ١٦).

كَرَّرَ اللَّهُ وَعْدَهُ لِإِسْحَقَ الَّذِي أَبْرَمَهُ مَعَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ يَلِدَ الْمَسِيحَ مِنْ نَسْلِهِ "وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِيَ نَسْلِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَتَبَارَكَ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ" (تَكْوِينِ ٢٦: ٤). فِي آخِرِ أَيَّامِهِ، دَعَا يَعْقُوبُ أَوْلَادَهُ لِيُخْبِرَهُمْ بِمَا يُصِيبُهُمْ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ، حِينَ وَصَلَ إِلَى ابْنِهِ الرَّابِعِ يَهُوذَا تَكَلَّمَ عَنْ صَوْلَجَانِ الْمُلِكِ الَّذِي لَا يَزُولُ مِنْ يَهُوذَا فَقَالَ "لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رَجُلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ" (تَكْوِينِ ٤٩: ١٠).

تُشِيرُ هَذِهِ النُّبُوءَةُ إِلَى أَنَّ سُلْطَةَ الْحُكْمِ سَتَنْتَقِلُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ الْمَلِكُ الْآتِي يَسُوعَ الَّذِي سَتَخْضَعُ لَهُ شُعُوبٌ. كَلِمَةُ "شَيْلُونُ" لَا تُشِيرُ إِلَى اسْمِ مَدِينَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ، بَلْ هِيَ اسْمُ الْمَسِيحِ الْآتِي الَّذِي سَيَأْتِي بِالرَّاحَةِ وَالسَّلَامِ ابْنُ دَاوُدَ - ابْنُ إِبْرَاهِيمَ - أَبِي إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ - أَبِي يَهُوذَا وَأَخِيهِ. إِنَّهُ أَسَدٌ سَبَطُ يَهُوذَا الَّذِي حَطَّمَ أَغْلَالَ الْخَطِيئَةِ وَالشَّيْطَانِ - رَئِيسَ السَّلَامِ وَالْإِيمَانِ. اخْتَارَ اللَّهُ دَاوُدَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أَبْنَاءِ يَسَّى لِيَكُونَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ وَوَعَدَهُ بِأَنْ الْمُبَارَكَ الْمَسِيحُ سَيَأْتِي مِنْ نَسْلِهِ عَلَى لِسَانِ نَاثَانَ النَّبِيِّ فِي ٢ صَمُؤِيلَ ٧: ١٢ "مَتَّى كَمَلْتَ أَيَّامَكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثْبِتُ مَمْلَكَتَهُ".

نَرَى أَنَّ لِهَذَا الْوَعْدِ تَطْبِيقَ قَصِيرَ الْأَمَدِ بَتَثْبِيتِ مُلِكِ سُلَيْمَانَ ابْنِهِ بَانِي الْهَيْكَلِ الَّذِي بَعْدَ مَوْتِهِ انْقَسَمَتِ مَمْلَكَتُهُ وَضَاعَتِ مَعَ الزَّمَنِ، وَتُشِيرُ أَيْضًا إِلَى الْمَسِيحِ الَّذِي دُعِيَ بِابْنِ دَاوُدَ. أَعْطَاهُ اللَّهُ كُلَّ سُلْطَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَثَبَّتَ مَمْلَكَتَهُ إِلَى الْأَبَدِ لِيَحْكُمَ وَيُدِينُ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ.

عِنْدَمَا بَشَّرَ الْمَلَاكُ الْمُبَارَكَةَ مَرْيَمَ بِمِيلَادِ الْمُخَلِّصِ، أَكَّدَ لَهَا أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَسَيُعْطِيهِ الرَّبُّ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ. وَحَيْثُ أَنَّ يَوْسُفَ الْبَارَّ وَالْعَذْرَاءَ مَرْيَمَ كَانَا مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ ذَهَبَا إِلَى مَدِينَةِ بَيْتِ لَحْمِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا دَاوُدَ لَتَكُونَ مَكَانَ وَلَادَةِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ. كَانَ عَظِيمًا فِي كَوْنِهِ ابْنُ اللَّهِ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ رَائِعًا فِي نَسْلِهِ الْمَلُوكِيِّ. هُنِيئًا لَنَا بِالْإِتْسَابِ إِلَيْهِ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا لَهُ كُلِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ إِلَى أَبَدِ الدَّهْرِ.

ميلاد يسوع

"وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّا نُؤِيلَ"

(إشعياء ٩: ١٤)

كانت هذه العلامة في السماء وعلى الأرض حيث جاء الملاك وبَشَّرَ العذراء مريم بأنّها ستحبل من الروح القدس، وستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخلص شعبه من خطاياهم. وُلِدَ المسيح من نسل داود ومن عذراء طاهرة كما تنبأ إشعياء النبي، وصار اسمه "عمانوئيل" الذي تفسيره الله معنا. كان المسيح في الحقيقة إله كامل وإنسان كامل حيث اتحدت الطبيعتان في ابن الله وابن الإنسان، ولا عجب أن يقول بولس "وَبِالْإِجْمَاعِ عَظِيمٍ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلَائِكَةٍ، كُرِّزَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، أُوْمِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ" (١ تيموثاوس ٣: ١٦). لم ينحدر المسيح من نسل داود إتماماً لنبوّة إشعياء النبي وحسب، بل وُلِدَ يسوع في نفس البلدة بيت لحم التي وُلِدَ فيها الملك داود. حضرت المباركة مريم مع يوسف للاكتتاب إلى مدينتهما بحسب أمر أوغسطس قيصر، وهناك تمت أيامها لتلد مُخلّصنا. كانت بيت لحم تعج بالناس الذين عادوا إليها للاكتتاب، ولا عجب أن مريم ويوسف لم يجدا لهما موضع في المنزل.

جاء الرعاة ليسجدوا للطفل المولود بعد أن ظهر لهم الملاك وبشّره بميلاد ملك المجد. "وَوَظَّهَرَتْ بَعْتَةٌ مَعَ الْمَلَائِكِ جُمُهورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ". (لوقا ٢: ١٣ و١٤). "يا ليت الأسرة البشرية تعرف هذه الأنشودة اليوم. إن ذلك الإعلان وتلك الأنشودة التي ترنم بها الملائكة ستظلّ ترن وتنتشر إلى أقصاء الدهر" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٣٨).

وُلِدَ المسيح بعد فترة ٤٠٠ سنة من الصمت لم يُسمع فيها أي صوت أو رسالة نبويّة، وتعرّض شعبه لحكم أمم عديدة بما فيها الرومان الذين وُلِدَ المسيح أبان حكمهم. نفس تلك الفترة كان فيها بنو إسرائيل تحت عبوديّة المصريين وصلّوا إلى الله طالبين الخلاص إلى أن جاء المنقذ موسى وحرّره. كانت نفس النظرة سائدة في زمن يسوع حيث توقّعوا منه تحريرهم من نير الرومان، ولم يَقم بذلك إذ أكّد لهم أن مملكته ليست أرضيّة بل سماويّة ودعا سامعيه ليكونوا مواطنين في ملكوت النعمة، وعن قريب ملكوت المجد عند عودته الوشيكة.

كَبَرِ يسوع وكان يتقدّم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس. نظراً للظروف المُصاحبة لميلاده فقد تعرّض يوسف ويسوع لتعيير الناس بدى ذلك في زيارته للناصرّة حيث كان يُعلّم في مجمعهم وبُهِتوا من الحكمة والقوّة وتساءلوا "أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تَدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبُ وَيُوسِي وَسَمْعَانُ وَيَهُوذَا؟".

(متى ١٣: ٥٥). قاسى البار يوسف الكثير من الصراع النفسي نتيجة عادات وتقاليد مجتمعه عندما اكتشف أن خطيئته مريم حاملاً وأراد تخليتها سرّاً، لأنّه لم يُرد أن يُعرضها للأذى لأن ذلك يُعتبر زنى، لكن ملاك الربّ ظهر له في حلم وأوضح دور الروح القدس في ذاك الحمل وانتماء المولود السماوي. اعتنى يوسف بزوجه مريم والطفل يسوع وباقي الأبناء مُعطيّاً لنا مثلاً رائعاً لأبوة صادقة حقّاً.

نُلاحظ من قصة الميلاد وجود تشابه بين ولادة يوحنا المعمدان ويسوع حيث نرى مُعجزة إلهيّة وبشارة ملاك الربّ في ميلادهما. لم يلد يسوع في ٢٥ كانون الأوّل أو ٧ كانون الثاني كما هو المُتبع في العالم المسيحي منذ سنة ٣٣٦ م، بل يتفق علماء اللاهوت أنّه وُلِدَ في بداية الربيع حيث تلد الخراف الحملان ويسهر الرعاة عليهم. الربّ في حكمته أبقى يوم ميلاده سرّاً. يا ربي يسوع، لم تجد أمك مريم والبار يوسف مكاناً في المنزل، أفتح لك قلبي لتسكن فيه لأشعر بالأمان في دفء محبّتك. وُلِدْتَ لنعطيني حياة جديدة ورجاء أكيد أنني سأراك عن قريب، وأنعم بصحبتك مدى أجيال الأبدية ربّي القدوس والبار.

أَهْمِيَّةُ مِيلَادِهِ

"فَسْتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ." (متى ١: ٢١)

قيلت هذه الآية على لسان ملاك الرب ليوسف الذي كان مُزْمَعاً أن يترك العذراء مريم سراً مؤكداً له أن الذي حُبِلَ به فيها هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. هذا الطفل هو ابن الله ويحمل اسم "مُخَلِّص" لأن هذا معنى اسم يسوع. يُتَابِعُ الْمَلَكُ قَائِلاً "لَأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ". جاء يسوع إلى خاصته والبعض منهم قَبِلُوا رِسَالَتَهُ وَأَمَنُوا بِهِ مُخَلِّصاً شَخْصِيّاً لِحَيَاتِهِمْ، أما البعض الآخر فرفضوه وصلبوه وماتوا في خطاياهم. هنيئاً للذين آمَنُوا بِاسْمِهِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمْ أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ وَبَنَاتِ اللَّهِ فِي سِيرِهِمُ الْيَوْمِي مَعَ الْحَبِيبِ يَسُوعَ.

إِنَّ أَعْظَمَ حَدَثٍ أَهْمِيَّةٍ مُنْذُ الْخَلِيقَةِ هُوَ عِنْدَمَا اخْتَارَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى عَالَمِنَا فِي هَيْئَةِ طِفْلٍ وُلِدَ فِي مَدُودٍ لِيُعَلِّمَنَا أَنْ التَّوَاضُّعُ هُوَ مَفْهُومُ الْعِظَمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. نَمَى فِي مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ وَتَعَلَّمَ مِهْنَةَ النِّجَارَةِ لِيُعِيلَ أُمَّهُ الْمُبَارَكَةَ وَأَهْلَهُ وَيَكُونَ بَرَكَةً لِكَثِيرِينَ فِيمَا أَبْدَعَتْهُ يَدَاهُ. أَخيراً إِذْ قَارَبَ عَمْرُهُ الثَّلَاثِينَ سَنَةً وَضَعَ عِدَّةَ النِّجَارَةِ جَانِباً وَانْطَلَقَ لِيُغَيِّرَ الْعَالَمَ وَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ خَطَايَاهُمْ.

يحتفل الناس بميلاد المسيح دينياً وتجارياً كل بمفهومه الخاص وطريقته. يُفَضَّلُ الْبَعْضُ الْآخَرَ لِحِفْظِ بَقِيَاةِهَا لَأَنَّهَا فِي نَظَرِهِمْ أَهَمُّ بِكَثِيرٍ مِنْ مِيلَادِهِ. هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ قِيَامَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ وَلَادَةً؟ حَدِثَانِ رَائِعَانِ لِكُلِّ مَنْهُمَا دَوْرُهُ الْمُمَيِّزُ فِي خُطَّةِ الْخَلَاصِ.

اختلف الناس عَمَّنْ يَكُونُ الْمَسِيحُ، الْبَعْضُ ظَنُّوا أَنَّهُ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ قَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، آخَرُونَ إِيْلِيَا النَّبِيُّ، إِرْمِيَاءُ أَوْ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. رَأَوْهُ غَافِرَ الْخَطَايَا، مُتَكَلِّمٌ بِتَجَادِيفٍ أَوْ كَاسِرِ السَّبَبِ فِي نَظَرِهِمْ، فِي الْمُقَابِلِ صَانِعُ عَجَائِبٍ حَتَّى الرِّيحُ وَالْبَحْرُ يُطِيعَانِهِ. إِنَّهُ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ، ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ، فَادِينَا وَمُخَلِّصُنَا. لَنَرَى مَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ بُولَسَ عَنْ هَذَا الطِّفْلِ الْعَجِيبِ فِي مِيلَادِهِ فِي كُولُوسِي ١: ١٥-١٧ "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بَكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عَرُوشاً أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. لِّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ".

يسوع الأَقْنُومُ الثَّانِي مِنَ الثَّلَاثِ الْأَقْدَسِ وَاحِدٌ مَعَ الْآبِ مُنْذُ الْأَزَلِ كَمَا قَالَ يَسُوعُ "الَّذِي رَأَى رَأَى الْآبَ. أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ". هُوَ صُورَةُ اللَّهِ الْمَرْتَبَةِ لِإِلَهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ. جَاءَ لِيُرِينَا الْآبَ فِي مَحَبَّتِهِ حَيْثُ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ. كُلُّ هَذِهِ الْمَوَاصِفَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا الرَّسُولُ بُولَسَ تَعَكِّسُ صِفَاتَ طِفْلِ بَيْتِ لَحْمٍ، عَظِيمٍ فِي مَنْزِلَتِهِ، أَزَلِيٍّ فِي وَجُودِهِ، خَالِقُ مُحِبٍّ جَسَدَ الْمَحَبَّةِ فِي مَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ حَيْثُ وَضَعَ حَيَاتِهِ لِأَجْلِ أَحِبَائِهِ.

"لَقَدْ حَمَلَ الْمَسِيحُ إِثْمَ خَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ. وَكَفَايَتِنَا لَا تَوْجَدُ إِلَّا فِي تَجَسُّدِ ابْنِ اللَّهِ وَمَوْتِهِ. لَقَدْ انْتَصَرَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ رَبَّنَا نِيَابَةً عَنِ الْبَشَرِ إِذْ احْتَمَلَ جَزَاءَ الْخَطِيئَةِ الْعَادِلَ وَعَقَابَهَا. وَقَدْ أَحْرَزَ بِهَذَا الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ بَيْنَمَا أَكْرَمَ الشَّرِيعَةَ وَمَجَّدَهَا" "روح النبوة، رسائل مُخْتَارَةً، صَفْحَةٌ ٣٠٢". هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْأَبَدِيَّةُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا.

اخْتَارَ أَنْ يَأْتِيَ كَطِفْلٍ كِي يَفْتَدِينَا وَيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا. "إِنَّا نَنْدَهَشُ مِنَ التَّضَحِّيَةِ الَّتِي قَدْ أَقْدَمَ عَلَيْهَا الْمُخَلِّصُ إِذْ أَبْدَلَ عَرْشَ السَّمَاءِ بِالْمَذُودِ، وَعَشْرَةَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا يُسَبِّحُونَهُ وَيَتَعَبَّدُونَ لَهُ بِالْبَهَائِمِ فِي حَظَائِرِهَا. وَلَكِنَّ اللَّهَ بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِيَلْقَى أَقْسَى مَرَارَةٍ. وَلِيُقَدِّمَ عَلَى مُخَاطَرَةٍ أَشَدَّ هَوَلاً حَتَّى تَنْكَشِفَ مَعَالِمُ طَرِيقِ الْحَيَاةِ أَمَامَ صِغَارِنَا. "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ" أَنْدَهَشِي أَيْتُهَا السَّمَاوَاتُ وَتَحِيرِي أَيْتُهَا الْأَرْضُ" (روح النبوة، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَتَا ٣٨ وَ ٣٩). اخْتَارَ الْآبُ مَرْيَمَ الْمُبَارَكَةَ وَالْبَارِ يَوْسُفَ وَمَاذَا كَانَتِ النَتِيجَةُ. لَا تَسْتَصْغِرُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلَ بِحَيَاتِكَ. الْمِيلَادُ وَقْتُتُ اللَّهِ الْكُلِّيُّ الْقُدْرَةُ كِي يُبْرِهِنَ عَظِيمَ مَحَبَّتِهِ لَكُمْ وَلِي. مِيلَادُهُ كَانَ مِيلَادِي وَضَمَانُ حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ. يَسُوعُ هَذَا قَدْ غَيَّرَ الْعَالَمَ وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُجَدِّدَ حَيَاتَكَ الْيَوْمَ وَكُلَّ يَوْمٍ لِمَجْدِهِ عَلَى الدَّوَامِ.

لماذا وُلِدَ يسوع؟

"صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا." (١ تيموثاوس ١: ١٥)

إذ نتذكر ماضي شاول والعنف الذي مارسه في شبابه ضد أتباع المسيح، نراه في نضوج إيمانه يرى نفسه على حقيقتها. يرى بولس الآن نفسه أول الخطاة بحاجة ماسة لنعمة المسيح. جاء يسوع لعالمنا ليخلص الخطاة. حقيقة صادقة وأمانة نستطيع أن نثق بمصداقيتها حيث أن مصدرها هو الله. نقبل بالإيمان هذه الحقيقة المجيدة والمهمة لخلاصنا ومصيرنا الأبدي. ستبقى حقيقة أبدية مهما طال الزمن. المسيح وحده في طهارته يستطيع أن يفقدنا من عبودية الخطيئة. إنه إله كامل وإنسان كامل، الله المتجسد - وحده المستحق ليكون مُخلصنا وغافر خطايانا، الذي صالحنا بدمه مع الله. جاء ليخلصك ويخلصني.

من يستطيع النظر إلى طفل بيت لحم في ليلة الميلاد ليرى طفلاً مَقْمَطاً مُضْجَعاً في المذود ويدرك أنه مُخلص البشرية؟ أو من تخيل أن المولود قد وُلِدَ ليموت عن خطايا العالم أجمع؟ أو من حدّق في وجه يسوع الطفل المجيد وعرف أنه جاء إلى العالم ليخلص الخطاة؟ جاء ليُجسّد محبة الله الذي بذل ابنه لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. كان قصد ميلاد المسيح هو خلاص جنس عاص ميت بالذنوب والخطايا، أعداء الله، ومحكوم عليهم بالموت. خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكّبه بغنى بالمسيح يسوع مُخلصنا. هكذا دخل الله إلى عالمنا وعاش بيننا وبذل نفسه لأجلنا.

أتى يسوع كي يعلن ويظهر الله لنا. يُخبرنا يوحنا أن الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبر. وكما يُخبرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين في بدء الإصحاح الأول أن الله كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي هو الوارث وخالق الكل، ويتابع في الآية ٣ "الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهري، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته". يسوع في ميلاده هو بهاء مجد الله ورسم جوهري. كيف نعرف الله حقاً؟ أنظر إلى يسوع الذي هو والآب واحد.

جاء المسيح ليفتدي الجنس البشري. يُخبرنا بولس الرسول في غلاطية ٤: ٤ و٤: ٥ "ولكن لما جاء ملء الرمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني". وُلِدَ يسوع ليستردنا بالفداء من عبودية الخطيئة ويحررنا. يعني الميلاد أن يسوع وُلِدَ إلى عالمنا ليبدّل نفسه ذبيحة ويسكب دمه ليشترى حريتنا. بموته استردنا إلى عائلة الله. جاء يسوع ليُدمر أعمال الشيطان.

هذا ما أوضحه يوحنا بقوله في الرسالة الأولى ٣: ١٨ "من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس". يعني الميلاد أن قوة الشيطان قد كسرت. حاول إبليس أن يقضي على الطفل يسوع عن طريق الملك هيرودس وفيما بعد بتجربته في البرية. هزم الشيطان على الصليب وكانت قيامة المسيح انتصاره الكامل على قوى الظلمة.

في مقابلة نيقوديموس مع يسوع تحدث عن الولادة الجديدة وعميق محبة الله لنا إذ بذل ابنه الأوحده لفدائنا. ثم استطرد قائلاً "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" (يوحنا ٣: ١٧). جاء يسوع ليطلب ويخلص ما قد هلك. ليس إرادة الله أن يهلك أحد، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. يرغب المخلص أن يُعطيك الحياة الأبدية. اقبل هذه الهبة الرائعة منه وآمن بكل قلبك واشكره على عظيم المحبة التي فداك بها.

أتمنى أن تولد يسوع في حياتي من جديد اليوم وتُعطيني امتياز العيش معك في ملكوت المجد عن قريب.

تساويح الميلاد

"الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ." (لوقا ٢: ١٤)

يصف الطبيب لوقا في الانجيل وصول المَباركة مريم ويوسف البار إلى بيت لحم بموجب أمر أوغسطس قيصر بعودة كل واحد إلى مدينته للاكتتاب، هُناك تَمَّت أيامها لتلد فولدت يسوع مُخلَّصنا. بالقرب من بيت لحم يقع حقل الرعاة حيث ظهر الملاك لهم وبشَّرههم بفرح عظيم بميلاد المسيح الرَّبِّ. وبعد أن أزال خوفهم، أعطاهم العلامة "تجدونَ طفلاً مُقَمَّطاً مُضْجِعاً في مذود".

لم يتوقع الرعاة شيئاً غير عادياً في تلك الليلة فخافوا من ملاك الرَّبِّ والنور من حولهم، لكنَّ خوفهم تحوَّل إلى فرح. كمؤمنين، لا نستغرب موقف الرعاة في تلك الليلة، بدلاً من أن يهربوا، بقوا في أماكنهم احتراماً للملاك وفرح تلك اللحظة، وبدلاً من إهمال الرسالة التي حملها الملاك، تأملوا بعمق في معناها وصاروا كارزين لما رأوا وسمعوا.

كُتِبَت ترانيم كثيرة ممَّا غنَّاه جمهور من الجُند السَّماوي في تسبيح الله عند ولادة مسيح الأجيال. القسم الأوَّل من نشيد الملائكة يصف استحقاق الله لنيل الكرامة والتقدير والتسبيح في السَّماء وعلى الأرض. علينا أن نجعل الله مركز حياتنا، ويكون تسبيحه أبداً على لساننا. رغم أن أصوات الملائكة كانت عالية في تلك الليلة، إلا أن رسالتهم جلبت العزاء والنعمة للرعاة. هكذا نحن كشعب الله، علينا أن نكون واثقين أن الرَّبَّ سيمنحنا سلامه مهما كانت ظروف حياتنا صعبة. "المجدُ لله في الأعالي". أوحى بكتابة ١٠١ ترنيمة تُمجِّد اسم الله، أملي أن يلهج لساننا بحمد الرَّبِّ القادر على كلِّ شيء، صاحب المجد ومُعطي السلام والمسرة للناس.

أنشودتنا الثانية في انجيل لوقا ١: ٦٨-٧٩ على لسان زكريا الكاهن الذي دخلَ إلى هيكل الرَّبِّ فظهر له ملاك وبشَّره بولادة زوجته العاقر أليصابات لابن تسميه يوحنا الذي سيكون عظيماً ويُعد الطريق لمجيء المسيح. شكَّ زكريا بكلام الملاك حيث هو شيخ وامراته مُتقدِّمة في أيامها. أعطاه الملاك علامة بأنَّه سيكون صامِتاً إلى ميلاد المَعمدان. بعد ولادة يوحنا انفتح فمه وتكلَّم وبارك الله. هذه الترنيمة هي لإعطاء فرصة ثانية لزكريا وزوجته وكان كلاهما بارَّين أمام الله.

رغم أن زكريا كان في حضرة الرَّبِّ، لكنَّه شكَّ في تحقيق وعده له. هذا حالنا عندما نضعف أمام التجارب لكن إلهنا المُحِبُّ يُعطينا فرصة ثانية ليُثبت صدق وعده. هذه الترنيمة أيضاً كانت بركة حيث افتقد الله شعبه وصنع لهم فداءً بقدم قرن خلاص يسوع مُخلَّصنا من نسل داود. يقول الله: هذه البركة تشمُل فادي من نسل ملوكي ليصنع رحمه ويذكر عهده المُقدَّس. عزاء زكريا وأليصابات كان ما قام به يوحنا بالمُنادة بالتوبة والاستعداد لقبول حمل الله مسيحنا المُبارك. الترنيمة الثالثة "تُعظِّم نفسي الرَّبَّ" هي أنشودة تسبيح للمَباركة مريم أثناء زيارة نسيبتها أليصابات لوقا ١: ٤٦-٥٥ حيث ارتكض يوحنا في بطن أمه وامتلاً من الروح القُدُس. تُعبِّر هذه الترنيمة عن إيمان العذراء العظيم بالله القدوس الذي نظر إلى تواضعها ورحمها بعنايته. قبلت أن تكون أماً ليسوع وسلَّمت الكلَّ لإرادة الله. درس عظيم لنا اليوم نتعلَّمه أن يكون لنا إيماناً عظيماً بالله، وأن نختبره في عنايته بشعبه على مدى الأجيال، نشكره ونُعظِّم اسمه في كلماتنا وحياتنا.

التسبيحة الرابعة كانت عندما ذهبت أم يسوع والبار يوسف إلى الهيكل في أورشليم لتقديم يسوع للرَّبِّ ومعهما ذبيحة. كان في الهيكل سمعان الشيخ ينتظر تعزية الرَّبِّ وقد أوحى الروح القُدُس له بأنَّه سيرى المسيح، فحملَ الطفل يسوع على ذراعيه وبارك الله الذي سمَّح له قبل أن يموت برؤية نور الأُمم المسيح. فَرَحَت أيضاً حنة النبية وسبَّحت الرَّبَّ. نحن ننتظر مجيء المسيح ثانية، فهل نشعر بفرح وتهلُّل أنَّه بعد طول انتظار سيأتي الآتي ولا يبطئ له كلُّ المجد إلى مدى الأَيَّام. نعم، آمين تعالَ أيُّها الرَّبُّ يسوع.

نبوءات تحققت بالميلاد

"أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ". (لوقا ٢: ١١)

لَمَّا جَاءَ مَلَأُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنَ الْعَذْرَاءِ الْمُبَارَكَةِ مَرْيَمَ. عَمَّ الْفَرْحَ أَجْوَاءُ السَّمَاءِ فَنَزَلَ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ وَبَشَّرَ الرِّعَاةَ بِمِيلَادِ الْمُخَلِّصِ مُؤَكِّدًا لَهُمْ أَنَّ الْمَوْلُودَ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ الَّذِي تَنَبَّأَ الْأَنْبِيَاءُ بِوِلَادَتِهِ "الْمَسِيحَ" أَيْ الْمَسِيحَ الْآتِي. لَمْ يَأْتِ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَهَنَةِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَ الْهَيْكَلَ، بَلْ جَاءَ إِلَى الرِّعَاةِ طَبَقَةً مِنْبُودَةً اجْتِمَاعِيًّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ ظُهُورَ مَسِيحِ التَّارِيخِ وَالْأَجْيَالِ. جَاءَ لِيُقَدِّمَ الْخَلَاصَ الْكَامِلَ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ مُعْطِيًّا إِيَّاهُمْ الْإِنْتِصَارَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ وَالشَّرِّيرِ. لِذَا عَمَّ الْفَرْحَ أَجْوَاءُ السَّمَاءِ حَيْثُ حَانَ الْوَقْتُ لِمِيلَادِ خَالِقِ الْكَوْنِ، مَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ، مَسِيحِ اللَّهِ لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ أَبَدَ الدَّهُورِ.

عَاشَ النَّبِيُّ مِيخَا فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ الْمِيلَادِ فِي نَفْسِ وَقْتِ مُعَاصِرِيهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَامُوسَ وَهَوْشَعَ وَإِسْعِيَاءَ وَمِيخَا قَدْ تَنَبَّأَ عَنْ مَكَانٍ وَلَادَةِ يَسُوعَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ. مَدِينَةُ دَاوُدَ هِيَ بَيْتُ لَحْمٍ، وَدُعِيَتْ بَيْتُ لَحْمٍ أَفْرَاتِهِ (مِيخَا ٥: ٢)، وَهِيَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ غَرْبِي أُورُشَلِيمَ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ كِيلُومِتَرَاتٍ، وَهِيَ فِي أَرْضِ سَبْطِ يَهُوذَا وَلِذَلِكَ دُعِيَتْ أَيْضًا "بَيْتُ لَحْمٍ يَهُوذَا" (قُضَاةُ ١٧: ٧).

سَكَنَتْ فِيهَا رَاعُوثُ الْمَوَابِيَّةُ (رَاعُوثُ ١: ١٩). وَوُلِدَ فِيهَا دَاوُدُ الْمَلِكُ (١ صَمُؤِيلُ ١٦: ١). فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُوَلَدَ فِيهَا ابْنُ دَاوُدَ، وَدُعِيَتْ بَيْتُ لَحْمٍ الْيَهُودِيَّةُ، أَوْ يَهُوذَا تَمَيِّزًا لَهَا عَنْ قَرْيَةِ "بَيْتُ لَحْمٍ" الَّتِي فِي أَرْضِ زَبُولُونِ (يَشُوعُ ١٩: ١٥). الَّتِي تَبْعُدُ نَحْوَ إِحْدَى عَشَرَ كِيلُومِتَرًا غَرْبَ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ.

"وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّا نُؤْيِيلَ". (إِسْعِيَاءُ ٧: ١٤). يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ إِسْعِيَاءُ أَنَّ يَسُوعَ سَيُولَدُ مِنْ عَذْرَاءٍ حَيْثُ صَارَ اللَّهُ مَعْنَاً مِمَّا يُشِيرُ إِلَى الْوَهْيَةِ. أَمَّا مَزْمُورُ ٧٢: ١٠ وَ ١٠٩: ١ فَيَذْكُرُ أَنَّ مَلُوكًا فَيَسْجُدُونَ لَهُ وَيَقْدِمُونَ لَهُ الْهَدَايَا وَكُلُّ الْأُمَمِ سَتُخْدَمُهُ. يَكْتُبُ مَتَّى الْبَشِيرِ فِي الْإِنْصِحَاحِ الثَّانِي عَنْ زِيَارَةِ الْمَجُوسِ عِنْدَ وَلَادَةِ يَسُوعَ الْمَلِكِ حَيْثُ جَنُوتُوا وَسَجَدُوا لَهُ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَاهُمْ "ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا".

يَعْتَقِدُ الْيَهُودِيُّونَ أَنَّ هَذِهِ الْهَدَايَا كَانَتْ لَهَا رَمُوزٌ خَاصَةٌ. فَالذَّهَبُ هُوَ رَمْزٌ لَكُونِ الْمَسِيحِ مَلِكًا، وَاللُّبَانُ يَرْمِزُ إِلَى الْوَهْيَةِ وَكَهَنُوتِهِ، أَمَّا الْمُرُّ فَكَانَ رَمْزًا لِمَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ. تَبَقِيَ الْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الْهَدَايَا كَانَتْ عَوْنًا لِتَغْطِيَةِ مَصَارِيفِ هَرْبِ أُمِّ يَسُوعَ وَالْبَارِ يَوْسُفَ إِلَى مِصْرَ هَرْبًا مِنْ بَطْشِ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ. تَنَبَّأَ النَّبِيُّ هَوْشَعَ ١١: ١ عَنْ زِيَارَةِ يَسُوعَ فِي طُفُولَتِهِ لِمِصْرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي".

تَنَبَّأَ إِرْمِيَاءُ النَّبِيُّ ٣١: ١٥ قَبْلَ مَا يُقَارَبُ ال ٧٠٠ قَبْلَ الْمِيلَادِ عَنْ بُكَاءِ نِسَاءِ بَيْتِ لَحْمٍ لِقَتْلِ هِيرُودُسَ لِأَنبِيَائِهِمْ ظَنًّا مِنْهُ بِأَنَّهُ يَقْتُلُ الطِّفْلَ يَسُوعَ فَيَقُولُ "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: صَوْتُ سُمْعٍ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ، بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِلٌ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا، وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلَادِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ". يَذْكُرُ مَتَّى أَنَّهُ عِنْدَمَا سَخِرَ مِنْهُ الْمَجُوسُ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ أَرْسَلَ جُنُودَهُ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَقَتَلَ كُلَّ صَبِيٍّ مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ وَمَا دُونَ.

يَبْرُزُ النَّبِيُّ إِسْعِيَاءُ فِي سِفَرِهِ كَوَاحِدٍ قَدَّمَ أَوْضَحَ صُورَةَ نَبِيَّةٍ مِنْ بَيْنِ أَسْفَارِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. شَمِلَتْ النُّبُوءَاتُ صُورَةً كَامِلَةً عَنْ حَيَاةِ الْمَسِيحِ، قُدُومِهِ، مِيلَادِهِ مِنْ عَذْرَاءٍ، الْبَشَارَةَ بِالْأَخْبَارِ السَّارَةِ، وَمَوْتِهِ الْكَفَّارِيِّ.

رَأَيْنَا أَنَّ يَسُوعَ قَدْ تَمَّ النُّبُوءَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِمَجِيئِهِ حَيْثُ وُلِدَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ وَفِي مَدِينَتِهِ أَيْضًا وَقَدْ جَاءَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ. تَمَّتْ هَذِهِ النُّبُوءَاتُ دُونَ تَدْخُلِ بَشَرِيٍّ وَقَدْ تَمَّتْ بِطَرِيقَةٍ مُعْجَزِيَّةٍ. كُلُّ هَذِهِ النُّبُوءَاتِ كَانَتْ بُرْهَانًا عَلَى أَنَّهُ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ، ابْنُ اللَّهِ وَمُخَلِّصُ الْعَالَمِ. اللَّهُ صَادِقٌ فِي وَعُودِهِ بِأَنَّهُ سَيَأْتِي ثَانِيَةً لِيَأْخُذَنَا مَعَهُ إِلَى بَيْتِنَا السَّمََاوِيِّ. أَمَلِي أَنْ نَكُونَ مِنَ الَّذِينَ سَيُرْحَبُونَ بِهِ وَيَتَهَلَّلُونَ بِلُقْيَاهِ بِشَوْقٍ وَحَنِينٍ.

ليلة الميلاد

"فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ."

(لوقا ٢: ٧)

نُحِبُّ أَنْ نُفَكِّرَ فِي الْمِيلَادِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي نَلَفُ فِيهَا هَدَايَاَنَا بِوَرَقِ بَرَّاقٍ. وَلَكِنْ أَحْدَاثُ الْمِيلَادِ الْحَقِيقِيَّةِ تَخْتَلِفُ عَنْ تَصَوُّرَاتِنَا. لِنَبْدَأَ مَعَ أَلَمِ الْمَخَاضِ دَاخِلَ مَبِيتٍ لِلْمَاشِيَةِ بَعِيداً عَنِ الْبَيْتِ، وَلَدَتْ الْمُبَارَكَةَ مَرْيَمَ طِفْلَهَا يَسُوعَ. سُمِّيَ يَسُوعَ ابْنُ مَرْيَمَ الْبَكْرَ فِي طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفِي طَبِيعَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ، هُوَ الْإِبْنُ الْبَكْرُ لِلَّهِ. بَعْدَ مِيلَادِهِ مُبَاشَرَةً، قَامَتْ أُمُّهُ الْمُبَارَكَةُ مَرْيَمَ بِقَطْعِ حَبْلِ الصُّرَّةِ لَغِيَابِ طَبِيبٍ أَوْ قَابِلَةٍ قَانُونِيَّةٍ، وَغَسَلَتْهُ ثُمَّ لَفَّتَهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ.

لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ. افْتَقَرْنَا مِنْ أَجْلِنا وَهُوَ الْغَنِيُّ لَكِي نَسْتَغْنِي بِبِرِّهِ وَخِلَاصِهِ الْعَجِيبِ. كَانَ مِيلَادُ رَبِّ الْمَجْدِ فِي مَغَارَةٍ تَحْنُو عَلَيْهِ مَخْلُوقَاتِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي جَوْ بَارِدٍ. هَكَذَا نَزَلَ الْمُخْلِصُ لِعَالَمِنَا مِنْ أَمْجَادِ السَّمَاءِ إِلَى ظُلْمَةِ الْأَرْضِ. أَعْنَا رَبِّي أَنْ نَرَى رَوْعَةَ قُدُومِكَ لِعَالَمِنَا وَتَوَاضَعَكَ الْعَجِيبِ.

قَدْ نَتَسَاءَلُ عَنْ تَوْقِيتِ وَلَادَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَقَتِ الْاِكْتِتَابِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ أَوْغُسْطُسُ قَيْصَرُ، أَوْ لِمَاذَا جَاءَ الرَّعَاءُ وَحَدُّهُمْ لَزِيَارَةِ الطِّفْلِ يَسُوعَ؟ أَوْ لِمَاذَا سَمَحَ اللَّهُ بِقَتْلِ أَطْفَالٍ أَبْرِيَاءَ عَلَى يَدِ هِيرُودُسَ؟ الزَّائِرُ لِكَنِيسَةِ الْمَهْدِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ الرَّبُّ يَسُوعَ، يَرَى غُرْفَةً تَحْتَوِي عَلَى جَمَاعٍ مِنْ أَطْفَالٍ تَعُودُ إِلَى أَمْرِ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ بِقَتْلِ كُلِّ الْأَطْفَالِ مِنْ سَنَتَيْنِ وَمَا دُونَ اعْتِقَاداً مِنْهُ أَنَّ يَكُونُ يَسُوعَ بَيْنَهُمْ. رَغْمَ الْأَلَمِ وَالْحُزْنِ وَالْمَوْتِ، يَبْقَى الْمِيلَادُ مَصْدَرُ فَرَحٍ لِمِيلَادِ رَئِيسِ السَّلَامِ الَّذِي وُلِدَ لِيُدْفَعَ ثَمَنَ خَطَايَاَنَا بِالْكَامِلِ عَلَى صَلِيبِ جُلُجَّةٍ. وَقَدْ عَرَّفَ الْمَسِيحُ مَفْهُومَ الْحَبِّ الْحَقِيقِيِّ عِنْدَمَا قَالَ فِي يُوْحَنَّا ١٥: "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْثَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ". بُورِكَ هَذَا الْحَبُّ مِنْ إِلَهٍ الْمَحَبَّةِ. يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي كَلِمَاتِ تَرْنِيمَةِ "لَيْلَةِ الْمِيلَادِ".

"ليلة الميلاد تدفن الحرب. ليلة الميلاد بنيت الحب."

فِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ، وَهَبْنَا رَبُّ الْمَجْدِ هَبَةَ الْمَحَبَّةِ- أَصِيلَةً، عَظِيمَةً، وَإِلَهِيَّةً. خَالِقُ الْكَوْنِ الْقَدِيرُ وَضَعَ جَانِباً قُوَّتَهُ الْعَظِيمَةَ وَمَجْدَهُ وَأَخَذَ جَسَدَ تَوَاضَعْنَا لِيَأْتِيَ بِالْخِلَاصِ لِلْعَالَمِ. أَكَّدَ ذَلِكَ يَسُوعَ فِي حَدِيثِهِ مَعَ نِيْقُودِيْمُسَ حَيْثُ قَالَ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ٣: ١٦ "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْآبَدِيَّةُ". غَسَلَ الْمَسِيحُ خَطَايَاَنَا وَنَقَّائِصَنَا بِمَحَبَّتِهِ الْكَامِلَةِ لِكِي نَكُونُ مَعَهُ إِلَى الْأَبَدِ. وَفِي حِكْمَتِهِ اللَّامْحُودَةِ، اخْتَارَ اللَّهُ أَنْ يُحَبِّبَنَا رَغْمَ أَنَّنَا لَمْ نَفْعَلْ شَيْئاً لِنَسْتَحِقَّ هَذِهِ التَّضَحِّيَةَ وَالْمَحَبَّةَ.

فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا يَسُوعَ، مَنْحْنَا اللَّهُ سَلَاماً- عَظِيماً، كَامِلاً، وَلَيْسَ لَهُ نَهَايَةٌ. إِذْ ظَهَرَ الْمَلَائِكَةُ لِلرَّعَاءِ وَبَشَّرَهُمْ بِمِيلَادِ الْمُخْلِصِ، ظَهَرَ فَجْأَةً مَعَهُ جَوْقَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةِ". يَسُوعَ، رَئِيسَ السَّلَامِ، أَخَذَ عِقَابَ خَطَايَاَنَا عَلَى الصَّلِيبِ كَيْمَا نَنَعَمَ بِالْوَحْدَةِ وَالسَّلَامِ مَعَ اللَّهِ. وَلَا عَجَبَ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ بُولُسُ "فَإِذَا قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رُومِيَّةُ ٥: ١). طَمَآنِينَةٌ دَاخِلِيَّةٌ تَتَّبَعُ مِنْ ثَقَةٍ بِعِلَاقَةِ شَخْصِيَّةٍ مَعَ الْمَسِيحِ هِيَ سَلَامٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ سِوَاهُ أَنْ يُعْطِيَنَا. وَكَمَا تَقُولُ التَّرْنِيمَةُ: "عِنْدَمَا تَمُوتُ فِي رُوحِ الْاِتِّقَامِ أَكُونُ فِي الْمِيلَادِ"

فِي لَيْلَةِ مِيلَادِ الْمَسِيحِ، أَعْطَانَا اللَّهُ فَرَحاً- غَامِراً، أَصِيلاً، لَا يُعْبَرُ عَنْهُ. بَعْدَ خَوْفِ الرُّعَاةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ لَهُمْ "لَا تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أَبْشَرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ" (لُوقَا ٢: ١٠). هَذَا الْفَرَحُ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ هُوَ تَطْبِيقُ حَقِيقَتِي يَكُونُ مَصْدَرُهُ ثَقَةٌ وَرَضَى فِي الرَّبِّ. يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَلِكِ دَاوُدَ فِي مَزْمُورِ ١٦: ١١ "تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شَبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعَمٌ إِلَى الْأَبَدِ". الْفَرَحُ الْحَقِيقِيُّ أَبَدِيٌّ يَوْمَ يُبْنَى عَلَى عِلَاقَةِ شَخْصِيَّةٍ بِفَادِينَا يَسُوعَ الَّتِي فِي حَدِّ ذَاتِهَا مَعِينٌ لَا يَنْضَبُ مِنَ السُّرُورِ. الْمِيلَادُ يَعْنِي الْمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ وَالْفَرَحَ. لِنَعِشْ هَذِهِ الْفَضَائِلَ فِي حَيَاتِنَا اسْتِعْدَاداً لِعُودَةِ مَسِيحِنَا الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ.

ميلاده ميلادي

"وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيْنَهُ يَسُوعَ" (لوقا ١: ٣١)

ما أحلى اسم يسوع الذي يعني "الرَّبُّ خلاص" كما أوضح الملاك بأن يسوع سيخلص شعبه من خطاياهم. نعلم بأنه جاء إلى خاصته لكنها لم تقبله، لكن الذين قبلوه من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب، فتح أمامهم أبواب الخلاص بنعمته لكل مَنْ يُؤْمِن. كونه "مسيح الله"، فقد تباركت كل شعوب الأرض به، الذين يثقون به كمخلصهم أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. وُلِدَ يسوع في العالم، لكنه ليس من العالم. هُوَ الله المتجسد - جاء بهيئة إنسان من السماء. كانت حياته أقدس وأكمل حياة علمنا فيها التواضع.

يقول الرسول بولس واصفاً ميلاده في حياتنا بهذه الكلمات "يَا أَوْلَادِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ". (غلاطية ٤: ١٩). كما جاء يسوع إلى التاريخ البشري من خارج عالمنا، كذلك يجب أن يأتي لحياتي من الخارج. هل سمحت لحياتي الشخصية أن تكون مكان ولادة ابن الله؟ لا يمكن لي أن أدخل ملكوت الله ما لم أُولَدَ بالكامل من فوق ليس ولادة الجسدية كما أوضح يسوع لنيقوديمس "لَا تَتَعَجَّبْ أَ قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقُ" (يوحنا ٣: ٧). إنَّ بُرْهَانَ الولادة الجديدة هُوَ أَنْ أُسَلِّمَ حياتي لله بالكامل كي "يتصوّر فيّ المسيح"، حيث تبدأ طبيعته بالحال بالعمل من خلالي، ويصير هذا ممكناً لكم ولي من خلال فداء المسيح الأبدي للجنس البشري.

لننظر معاً ما قاله البعض عن الميلاد "نظرت المباركة أم يسوع إلى وجه ابنها، وربّها، وإلى جلاله. كانت مريم عذراء في صباها فهمت من هُوَ الله، وكانت شجاعة لتقول للملاك "ليكن لي بحسب قولك". تذكّرت كلامه يوم قال لها "لن يكون لملكه نهاية". جلال وسط هذه الدنيا، قداسة وسط مغارة تبيت فيها الماشية، والوهية دخلت العالم عبر مذود ورَحْمَ فتاة في مُقْتَبَلِ عُمرها بحضور يوسف النجار" (ماكس لوكادو).

"ميلاد يسوع كان شروق شمس الكتاب المقدس. نحو هذا الحدث، تركّزت آمال الأنبياء وترانيم المزامير اتجهت كما تتجه الأزهار نحو الفجر" (هنري فان دايك). "بدا قدوم يسوع عن طريق مذود بيت لحم غريباً ومدهشاً. لكن عندما تأخذه من المذود وندعوه إلى قلوبنا، عندئذ، وتزول الغرابة، ويصبح المعنى واضحاً" (نيل سترات).

وقالت (كوري تان بوم). "لو وُلِدَ يسوع ألف مرة في بيت لحم ولم يُوَلَدَ فيّ لَكُنْتُ مَا زِلْتُ ضائعة". "جاء إلى الأرض ليزوق أحزاننا، الذي أمجاده لا تعرف حُدوداً، بحياته جاء إلينا بالسُرور، فادينا، راعينا الصالح وصاديقنا. ترك أمجاداً لا حد لها، ووُلِدَ في مغارة الماشية، يا للعجب الأبدي، وُلِدَ المسيح ربّ الجميع" (تشارلز وسلي).

"خلال سني الحرب الطويلة، كان ولد ينظر إلى صورة أبيه على الطاولة الذي ترك للحرب بينما كان صغيراً. بعد عدة سنوات، نشي الولد هيئة والده فكان ينظر إلى الصورة مراراً ويقول "آه لو يتمكن أبي من الخروج من الصورة وأراه حقاً بعيني". يعني الميلاد أنه في يوم حزين من الخطية عندما كاد الإنسان أن ينسى الله، جاء إلى عالمنا بهيئة ابن المجد لك أيها الطفل المولود.

كما اشتاق الولد لرؤية أبيه، اشتاق لك لتوَلَدَ في قلبي وحياتي من جديد. أراك في ابتسامة طفل حُرِمَ من حنان والديه، ليجد في بيتك ملاذاً من الحنان والمودة. أراك في تقديم وجبة طعام لمُشَرَّدٍ لم يدق الطعام لأيام عديدة. كُنْتُ المحبة المتجسدة، أزرع في قلبي وحياتي محبتك، ساعدني أن أدعوك الآن لتوَلَدَ من جديد في كياني. غير قلبي لينبض حباً لإخوتي في الإنسانية ولك فوق الكل. عن قريب، سيصبح الحلم واقعاً وأراك آتياً لتأخذني إلى ديار المجد لأعيش حياتي بصحبة مسيحي المبارك. فهل أراك هناك؟

ولادة يوحنا المعمدان

"فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "لَا تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لَأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلْيَصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا" (لوقا ١: ١٣)

دعا الملك زكريا باسمه فقد كان معروفاً لديه وأوصاه ألا يخاف. وحيث كان هوَ وزوجته متقدمين في أيامهما، فقد قطعَ كلَّ أمل أن يكون لهما وَلَدٌ، لكنَّ الملكَ أَكَّدَ له أن صلاته قد استجيبَت وستلد زوجته أليصابات العاقر ابناً. قد تُستجاب الصلاة في الحال، أو قد تأخذ وقتاً كبيراً لامتحان إيمان القديسين. سيكون اسم المولود يوحنا "الذي تفسيره الله حَنَّان" اسم يليق بمن امتلأ بنعم الروح كي يكون سابقاً للمسيح.

كانت ولادة يوحنا معجزة. فقد وَلِدَ لزوجين كبيرين في العُمُر لم يستطيعا أن ينجبا أولاداً من قَبْل (لوقا ١: ٧). أعلن الملك جبرائيل لزكريا، الكاهن من سبط لاوي، أنه سيكون له ابن - وهو الخبر الذي تلقاه زكريا بعدم تصديق (الآيات ١٨-٨). قال جبرائيل ما يلي عن يوحنا: "لأنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ ... وَمَنْ بَطْنُ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهُمْ. وَتَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحٍ إِبْلِيًّا ... لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدَّاً" (الآيات ١٥-١٧). وبحسب كلمة الله، وَلِدَت أليصابات، زوجة زكريا التي كانت بارّة مثل زوجها، ابنها يوحنا. وفي مراسم الختان قال زكريا ما يلي عن ابنه: "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيٌّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعَدَّ طَرِيقَهُ" (لوقا ١: ٧٦). كان في ذلك الوقت ما يُقارب العشرين ألف كاهناً، لذا كانوا يستخدمون القرعة لاختيار مَنْ سيُكهن في هيكل الرَّبِّ ويُخَرَّ فوقعت القرعة على زكريا، والتي كانت تدوم من ظهر السَّبْت إلى ظهر السَّبْت الذي يليه، بينما كان جمهور الشعب يصلون في الخارج. كان البخور يُقدَّم أمام الرَّبِّ صباحاً ومساءً، وهذا يحدث مرة واحدة في العُمُر. ذلك الاختيار كان امتيازاً كبيراً وفرصة عُمُر لزكريا. كان البخور يرتفع مع صلوات القديسين حيث وقف زكريا يرفع الشعب وطلباتهم أمام الله بالصلاة. في تلك اللحظات المقدسة، ظهرَ له ملك الرَّبِّ وبشّره بولادة يوحنا ابنه وَسَطَ دُهول زكريا وعدم تصديقه.

كأنَّ لسان حال زكريا يقول: "لا أعلم ما الذي تتكلّم عنه، أنا لم أصل لابن حيث زوجتي وأنا مُتقدّمين في أيامنا. كُنْتُ أَصِلِي مِنْ أَجْلِ خلاص شعبي وأنَّ الله يُرسل المسيا الموعود". لم يعلم زكريا أن الله قادر على تحقيق كل الصلوات في وقت واحد، وأن يستخدم ابنه المعجزة ليكون جزءاً للتحضير لمجيء المسيا المنتظر.

أراد زكريا تصديق الوعد، ولكنه كان يحمي نفسه من خيبة الأمل. فكان هذا بالنسبة له حلماً صعب المنال، فلم يملك أية توقعات. وهذا ما فعله بأنفسنا أحياناً، نسلبها من معجزات كثيرة لأننا نفكر بنفس الطريقة. نظر زكريا إلى الظروف أولاً، ووضع ما يمكن أن يفعله الله آخرًا. وهذا يعتبر تفكيراً منطقياً بالنسبة لنا. ولكن إن كان الله حي في حياتنا، فليس من المنطقي أن نضع الظروف قبله.

هكذا، بعد ٧٠٠ سنة من نبوءة إشعياء ٤٠: ٣ "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوْمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا لِإِلَهِنَا". نبوءة عن يوحنا المعمدان الذي أعدَّ الطريق لِقُدوم المسيح، و٤٠٠ سنة من الصَّمْت من وقت آخر أنبياء العهد القديم ملاخي، وَلِدَ المعمدان، من نسل كهنوتي، إتماماً للنبوءة في سَنَةِ ٤ قبل الميلاد كحلقة وَصَل بين العهدين حيث سُمِعَ الصَّوْتُ النّبَوِيُّ من جديد. كان ذلك في عهد الملك هيرودس الكبير.

يوحنا أكبر من يسوع بستة أشهر وكان قريباً له عن طريق أليصابات والعذراء مريم. يُثبِت ميلاد المعمدان صدق مواعيد الله وتحقيقها مهما طال الزمن. عَمِلَ ليُخبر الناس عن مجيء حَمَلِ الله ومُخلِّصِ العالم. لنا امتياز أن نُخبر الناس عن عودته الوشيكة على سحاب المجد ونعد الطريق كما فعل المعمدان.

مَنْ هُوَ الْمَعْمَدَانُ؟

"فَقَالُوا لَهُ: "مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟" (يوحنا ١: ٢٢)

يُنْهِي لوقا الإصحاح الأول من الانجيل بقوله عن يوحنا المعمدان "أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِيِّ إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ". (لوقا ١: ٨٠). هَرَبَ يوحنا إلى البراري من بطش هيرودس حين بدأ بقتل أطفال بيت لحم، وعاش هناك حياة التقشف التي يكشف عنها البشير متى ٣: ٤ بقوله "وَيُوحَنَّا هَذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الْإِيلِ، وَعَلَى حَقْوِيهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا".

يُذَكِّرُ الجراد كرمزًا للدمار كما حَدَّثَ في الضربات العشر التي أنزلها الله على مصر، حيث كانت الضربة الثامنة التي حَمَلَتْ الرِّيحَ الشَّرْقِيَّةَ الجرادَ وَغَطَّى وَجْهَ الْأَرْضِ وَلَمْ يَبْقَ شَيْئًا أَخْضَرٌ وَلَا فِي عُشْبِ الْحَقْلِ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (خروج ١٠: ١٤ و ١٥). كما تُشَبِّهُ جيوش الأعداء بالجراد المدمر. يبقى السؤال هنا "هل أكل المعمدان الجراد؟" كان أكل الجراد معروفًا بين الآسِينِيِّينَ الَّذِي كَانَ يَنْتَمِي إِلَيْهِمْ يوحنا في منطقة قُمران. بالنسبة للغة اليونانية التي كُتِبَ بها العهد الجديد فالكلمة التي تُرْجِمَت "الجراد" تعني أيضًا ثمر الخرنوب الذي كان الابن الضال يشتهي أن يملأ بطنه به.

يبدو أن يوحنا قد أكل الخرنوب بدلًا من الجراد. ذاع صيت المعمدان في رسالته وتعميده للناس معمودية التوبة، فأرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوا يوحنا "مَنْ أَنْتَ؟" فاعترف وأقرَّ بأنه ليس المسيح. كان البعض منهم قد دَرَسَ نبؤة ال ٧٠ أسبوعاً من سفر دانيال وظنوا أن المعمدان قد يكون المسيح الآتي. وعندما أنكر أن يكون المسيح، "فسألوه إذاً ماذا. إيليا أَنْتَ؟" (يوحنا ١: ٢١). لاحظوا حياة التقشف التي عاشها يوحنا ودعوته للتوبة والعودة لله. كان مثل النبي إيليا التشبي في جُرأته ورسالته التي دانت الشر والخطيئة.

وقف إيليا ضدَّ آخاب الملك وزوجته الشريرة إيزابل وتحدى أنبياء البعل على جبل الكرمل وأثبت أن الربَّ هو الله. في متى ١١ في سياق قول يسوع عن المعمدان أقرَّ بأنه أفضل من نبي وأنه أعظم المولودين بين النساء. ثم قال في الآية ١٤ "وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي". جاء المعمدان بروح وقوة إيليا.

ثمَّ سألوه "النَّبِيُّ أَنْتَ". فأجاب لا. سألهم عن النبي يُشير إلى ما تنبأ عنه موسى في تثنية ١٨: ١٥ "يَقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ". كان اليهود يعتقدون أن النبي هو إرميا، لكن ما أشار إليه موسى هو الربَّ يسوع. أجاب يوحنا "لا" فقالوا له: "مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟" لم يكن المسيح ولا إيليا أو نبي قام من بين الأموات، إذا أخبرنا مَنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ جَوَابًا لرؤساء الكهنة الذين أرسلونا؟". انتهت الآن توقعاتهم وحين وقت إجابة يوحنا عن أسئلتهم.

"أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشْعْيَاءُ النَّبِيُّ". أجابهم يوحنا بأنه الصوت النبوي الذي دَوَّى بعد ٤٠٠ سنة من الصمت. كان بالحقيقة يُعد الطريق لنسل المرأة، المسيح الآتي لشعبه تحقيقاً لوعده الله لإبراهيم وموسى الذي يجلس على عرش داود إلى الأبد. كان السابق للمسيح مُبَشِّرًا بِالْمُخْلَصِ الآتي، بحمل الله الذي يرفع خطيئة العالم، بابن الله المتجسد الذي سيأتيهم بكلمات الحياة الأبدية. إنه صاحب رسالة الدعوة للتوبة والمُنَادِي بِالْمَلِكِ الآتي، الذي هو الآن في وَسْطِهِمُ الَّذِي سَيُؤَسِّسُ مَلَكُوتَ اللَّهِ.

نادى يوحنا مثل إيليا وإشعيا بتجديد حياة الناس وتوبتهم ليقبلوا مسيح الله لكن شعبه لم يرضوا بأن يحكمهم فصلبوه رافضين الدعوة لدخول ملكوته. لكن اليوم آت حين تكرر دعوته بالاستعداد لرجوعه عن قريب كملك الملوك وربِّ الأرباب، فهل سنسمع النداء ونتوب عن خطايانا ونقبل خلاصه العجيب الذي أعدّه لمحبيّه. حالياً، تُذاع رسالة الاستعداد لكل قبيلة ولسان وشعب قائلة "خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينوته". فهل يكون جوابنا "نعم، آمين، تعال أيها الربُّ يسوع".

هوذا حَمَلُ اللَّهِ

"وَفِي الْعَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!"

(يوحنا ١: ٢٩)

بعدما أرسل الكهنة واللاويين رُسُلًا يسألون المعمدان عن هويته بيوم، نظر يوحنا يسوع مُقْبِلًا إليه وقال لسامعيه "هوذا حَمَلُ اللَّهِ". كانت تلك الزيارة بعد معمودية يسوع وتجربته في البرية. هذه رابع شهادة يشهد بها المعمدان عن المسيح، والأولى من بين سبعة "شهود" في انجيل يوحنا. هؤلاء شهدوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله. كانت الحُمْلان ذبيحة سنوية تُطَلَب من كل عائلة في زمن يسوع. هذه الذبيحة خُصِّصَتْ لاحتفالات عيد الفصح، حيث ينظر الناس إلى زمن الخروج عندما وُضِعَ دم الحُمْلان على أبواب بيوت بني إسرائيل، كي يعبرُ الملاك المُهْلِك عَنْهُمْ. كما تنبأ إشعياء ٥٣: ١٢ بأن المسيح "سيحمل خطايا كثيرين".

سنة بعد أخرى كان يُؤْتَى بِحَمَلٍ بَرِيٍّ ليكون ذبيحة الفصح يتذكَّر بها العابدون خلاص الله لشعبه من أرض العبودية في مصر. سنة بعد أخرى، كان حَمَلُ الْفَصْح يرمز إلى حَمَلِ اللَّهِ الْآتِي. كان ذاك الحَمَل يُفْحَصُ لِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ لِلتَّأَكُّدِ بِأَنَّهُ سَلِيمٌ وَبَلَا عَيْبٍ، لِأَنَّ الحَمَلِ الْحَقِيقِيَّ يَسُوعَ الَّذِي سَيُقَدَّمُ لِلَّهِ، يكون طاهرًا وبلا عيب. بعد فحص الأربعة أيام يصدرُ الحُكْمُ "فَقَالَ بِيلاطُسُ لِرُؤُسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: "إِنِّي لَا أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا الْإِنْسَانِ".

كل جانب لحَمَلِ الْفَصْح من اختياره، إلى فحصه، لسفك دمه، لشويه وأكل لحمه كان يُشِيرُ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ لِحَمَلِ اللَّهِ الْحَقِيقِيَّ يَسُوعَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لِيُدْفَعَ ثَمَنُ خَطَايَانَا وَيَمُوتَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ الْيَهُودُ فِيهِ يُقَدِّمُونَ خُرُوفَهُمْ عَلَى مَذْبَحِ الْهَيْكَلِ. أوصى الله موسى بأن يُقَدَّمَ خُرُوفَانِ وَاحِدٍ لِتَقْدِمَةِ الصَّبَاحِ وَالْخُرُوفِ الثَّانِي تُقَدِّمُهُ فِي الْعِشِيِّ وَهِيَ نَفْسُ السَّاعَاتِ الَّتِي قَضَاهَا الْمَسِيحُ عَلَى الصَّلِيبِ قَبْلَ مَوْتِهِ.

يرمزُ الحَمَلُ إِلَى الْوَدَاعَةِ وَالْجَمَالِ وَالْبَرَاءَةِ وَالصَّبْرِ - هذه فضائل رائعة لترمز إلى فادي الإنسانية مسيحنا الحي. حَمَلُ يَسُوعَ خَطَايَانَا طَوْعًا عَلَى نَفْسِهِ وَتَحَمَّلَ الْعَدَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ حِينَ أَخَذَ خَطَايَانَا وَحَمَلَهَا فِي جَسَدِهِ إِذْ صُلِبَ عَلَى خَشْبَةِ الصَّلِيبِ. لَقَدْ دَمَّرَ وَأَبْطَلَ لَعْنَةَ الْنَامُوسِ وَقَصَاصِهَا، كَمَا يُشِيرُ لِقَبِ الْمَسِيحِ "حَمَلُ اللَّهِ" إِلَى شَخْصِهِ الْكَرِيمِ كَابِنِ اللَّهِ فِي قُوَّةِ شَفَاعَتِهِ كَشْفِيعٍ وَوَسِيطٍ فِي الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ. أَنْظُرْ وَتَأَمَّلْ، نِعْمَةً وَمَحَبَّةَ الْمَسِيحِ لَنَا، إِذْ أَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ وَحَمَلَ خَطَايَانَا وَرَفَعَهَا لَيْسَ لِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ بَلْ إِلَى الْأَبَدِ. أَنْظُرْ إِلَيْهِ بِالْإِيمَانِ دَائِمًا، تَأَمَّلْ خِلَاصَهُ الْأَبَدِيَّ، أَحْبَبْهُ وَاعْطِهِ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ أَبَدَ الدَّهْرِ.

سَمِعَ يُوَحَنَّا بَعْدَ أَنْ عَمَّدَ يَسُوعَ صَوْتَ اللَّهِ قَائِلًا: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ" "وَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ" مَتَّى ٣: ١٦ و ١٧ كانت هذه العلامة ليوحنا أن يسوع هو مسيحُ النبوَّة وفادي العالم الموعود به، ثم قدَّم شهادته لشخص قريبه يسوع فقال: "وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقَرًّا عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يوحنا ١: ٣٣ و ٣٤).

يُخْبِرُ يُوَحَنَّا سَامَعِيهِ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي عَرَفَ فِيهَا الْمَسِيحُ ابْنَ اللَّهِ. هَذَا مَا تَنَبَّأَ بِهِ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ فِي أَصْحَاحِ ٥٣ عَنْ مَوْتِ الْمَسِيحِ الْكَفَّارِيِّ حَيْثُ يَصِفُ يَسُوعَ رَجُلًا أَوْجَاعَ الَّذِي حَمَلَ أَحْزَانَنَا وَتَحَمَّلَ أَوْجَاعَنَا وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.

فَهَمَّ سَامَعُو الْمَعْمَدَانِ حَدِيثَهُ عَنْ تَقْدِمَةِ الحَمَلِ كَذَبِيحَةٍ لَخَطَايَاهُمْ، لَكِنَّهُمْ فَشَلُوا فِي إِدْرَاكِ أَنْ يَكُونَ الحَمَلُ شَخْصًا. دُعِيَ الْمَسِيحُ "حَمَلُ اللَّهِ". لِأَنَّهُ الحَمَلُ أَوْ الذَّبِيحَةُ الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ وَقَبِلَهُ كَحَامِلٍ خَطَايَا الْعَالَمِ الْحَقِيقِيِّ وَالْوَحِيدِ. لَمْ تَكُنْ لَهُمْ الْبَصِيرَةُ الرُّوحِيَّةُ لِيَرَوْا مَا عَنَاهُ الْمَعْمَدَانِ عِنْدَمَا أَشَارَ إِلَى الْمَسِيحِ حَمَلُ اللَّهِ. عَمَّدَ يُوَحَنَّا بِمَعْمُودِيَةِ التَّوْبَةِ، لَكِنْ يَسُوعَ هُوَ غَافِرُ خَطَايَا الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ. هَلْ تَشْكُرُهُ مَعِيَ الْيَوْمَ لِأَنَّهُ غَفَرَ خَطَايَاكَ وَرَمَاهَا فِي بَحْرِ النِّسْيَانِ؟ ثِقْ بِهِ وَسَلِّمْهُ حَيَاتِكَ لِتَشْعُرَ بِسَلَامِهِ يَمْلَأُ قَلْبَكَ وَحَيَاتَكَ.

يوحنا يشهد للمسيح

"وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ." (يوحنا ١: ٣٤)

يشهد المعمدان من جديد بأن يسوع هو الموعود به، كما يُشدد على تسميته بابن الله. كانت لديه معرفة شخصية بقريبه المسيح، لا سيما بعد أن أعطاه الله علامة عن نزول الروح عليه، فهذا هو الذي يُعمد بالروح القدس. حَدَثَ ذلك عندما عمّد يوحنا المسيح في نهر الأردن، ورأى بأَم عينيه الروح نازلاً مثل حمامة فاستقرَّ عليه. كان المعمدان الشاهد الأوّل عن يسوع القائم في وَسَط الشعب، الذي يأتي بعده قد صار أمامه، هو أعظم منه بحيث اعتبر نفسه غير مُستحق أن يحلّ سيور حذائه.

مع أن يسوع وُلِدَ بعد المعمدان في بشريته، إلا أنه موجود قبله في ألوهيته. إنه حَمَلَ الله الذي يرفع خطيئة العالم، ابن الله الأبديّ الذي جاء في ملء الزمان وأخذ طبيعتنا وامتلاً بالروح واستقر عليه مُتَبَتّاً شخصه الكريم وطبيعة الرسالة التي جاء ليحملها. لم يكن بإمكان إنسان عادي أو ملاك أن يقتدي الجنس البشري. لكي يكون المسيح حَمَلَ الله ويرفع خطايا العالم، كان يجب أن يكون إنساناً كي يموت، وإلهاً كي يكون كاملاً بلا خطيئة.

في معرض ردِّ يسوع على شفاء مريض يوم السَّبْت، أكّد لليهود أن ما قام به كان ينسجم مع أعمال الرحمة في يومه المقدس، وهو دوماً يطلب مشيئة الآب الذي أرسله. في يوحنا ٥: ٣١-٣٧، يقول يسوع "إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً". لذا استشهد بثلاثة شهود حسب مُتطلبات الشريعة ليُثَبِتَ أن ما قاله هو الحقُّ بالله والآب واحد. أوّل شهادة كانت شهادة المعمدان للحقّ حين أخبرهم عن قدوم المسيح المجدِّ مُخلِّص الإنسانيّة وابن الله. في الآية ٣٥ نقراً ما قاله يسوع عن المعمدان "كَانَ هُوَ السَّرَاجُ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهْجُوا بُنُورَهُ سَاعَةً". عندما بدأ المعمدان بكَرْز، تقاطر إليه الناس من مُختلف طبقات المُجتمع ليسمعوا رسالته ويعتمدوا على يده.

أثار ما قام به المعمدان ضجةً حتّى أن رؤساء الكهنة أرسلوا وفداً ليعرفوا مَنْ هو والدوافع خلف خدمته. ظنَّ الكثيرون أنه قد يكون المسيح الموعود به، لكنّه أوضح طبيعة عمله، وشهد للمسيح. كان المعمدان السراج المنير المُوقد الذي شهد للنور الحقيقيّ ألا وهو يسوع له المجد. الشاهد الثاني هو الأعمال التي قام بها التي تشهد له. الشاهد الثالث هو الآب نفسه الذي أرسله. كلُّ مَنْ يَعْرِفُ يسوع ويسلم حياته له (كما فعَلَ يوحنا المعمدان) يُصبح سراجاً يضيء بالحقّ كما هو بالمسيح. ولا عجب أن قال يسوع "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متّى ٥: ١٦).

يوحنا المعمدان كان إنساناً شَهِدَ للنور. كانت شهادته انسجاماً مع رسالة الإنجيل بأكمله- لكي يُؤمن الجميع بيسوع من خلاله. شهادته للنور كانت لزيادة وعي الناس إلى أن الحياة والنور التي نحيا بهما تعكس نعمة الله علينا. وإذ عاش في البريّة مثل شعب الله قديماً، تعلّم المعمدان في صمتها وانعزاله عن العالم أن يكون قريباً من الله. إن وعظه فَتَحَ أذهان الناس لحضور الله في شخص المحبوب يسوع، منبع الحكمة والحقّ، الذي تجسّد وصار واحداً مِنَّا كي يُخلّص ما قد هَلَكَ. لَمْ لَا تَشْهَدْ بحياتك وكلماتك مثل المعمدان الذي شَهِدَ للملأ بأن يسوع هو الله.

وقَفَ المعمدان شاهداً لله ودان الخطيئة باسمها دُونَ محاباةٍ مِمَّا سَبَبَ غضب هيرودس الذي أمرَ بقطع رأسه. قَفَّ عزيزي للحقّ ثابتاً، وركّز أنظارك على شخص المحبوب يسوع. كُنْ لَهُ أُمِيناً وستنال عن قريب إكليل الحياة. كان المعمدان ينتظر علامة من الله بخصوص كون المسيح ابن الله. كان الجواب حلول الروح القدس عند معموديته. علامات المُنتهى على الأبواب، أسمح لروح الله أن يقود حياتك، ويهبك القوّة لتُرحّب به في مجيئه ثانية على سحاب المجد. الربُّ يُعويك لمجده ويحفظك أُمِيناً له.

يوحنا وإتمام النبوءة

"صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوْمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا لِإِلَهِنَا. " (إشعيا ٤٠: ٣)

نجد إشعيا يتنبأ في هذه الآية عن شخص يظهر في البرية كي يُعِدَّ طريق الرب. بنفس الطريقة التي كان الجنود يُعدُّون الطُّرُق ويُمهِّدونها قَبْلَ سَفَرِ الْمَلِكِ كي يسير عليها. تَمَّتْ هذه النبوءة بعد ٧٠٠ سنة في حياة يوحنا المعمدان، الذي كان له دوراً هاماً في إعداد الطريق لمجيء مُخَلِّصِنَا يسوع ومُرْسَلِيته. وُلِدَ يسوع بعد المعمدان بوقت قصير. ذَكَرَ الإنجيل تفاصيل عن المعمدان الذي وَعَظَ في البرية عن المسيح حَمَلَ اللَّهُ وابنَ اللَّهِ، وكان يُعَمِّدُ الناسَ هُنَاكَ.

نقرأ في سفر ملاخي ٣: ١ "هَآنَذَا أُرْسِلُ مَلَائِكِي فِيهِئُوا الطَّرِيقَ أَمَامِي". يستند ملاخي على سابقه إشعيا في وصفه عَمَلِ ومُرْسَلِيَةِ المعمدان، ويعتقد عالم لاهوتي أن "ملاكي" ترمز إلى عدد من الأنبياء أولهم إيليا- الذي وَرَدَ ذكره في ملاخي ٤: ٥ في سِرِّ الحديث عن الإعداد للنهاية". وانتهاءً بيوحنا المعمدان آخر وأعظم الأنبياء. في حديث يسوع عن المعمدان قال في لوقا ٧: ٢٦ "بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لَتَنْظُرُوا؟ أَنْبِيَاءٌ؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: وَأَفْضَلُ مِنْ نَبِيٍّ!".

كان يوحنا يلبس مثل قُدماء الأنبياء داعياً الناس إلى التوبة، وحلقة وَصَلَ بين العهدين القديم والجديد. عاش وعَلَّمَ في برية قاحلة تُشبه إلى حد بعيد حياة النَّاسِ الروحية في وقته. كَتَبَ المؤرخ فلافيوس يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول عن المعمدان فقال "يوحنا، المدعو المعمدان، كان رجلاً صالحاً، حَثَّ شعبه على مُمارَسة الفضيلة والبرِّ نحو بعضهم البعض، والتقوى لله، دعا النَّاسَ للمعمودية حيث أنَّ غسل الماء مقبول لديه، ليس لمحو الخطيئة فحسب، بل لتطهير الجسد أيضاً، ظَنَّا مِنْهُمْ أَنَّ النَّفْسَ تُطَهَّرُ بِالْكَامِلِ سَلَفًا بِالْبَرِّ".

تنبأ ملاك الرب جبرائيل لزكريا الكاهن بينما كان في الهيكل بأورشليم بميلاد ابنه يوحنا الذي سيكون عظيماً أمام الرب نذيراً له. انطلق المعمدان إلى برية يهوذا يعظ للناس مُنادياً بدينونة الله واقتراب ملكوت الله، ودعا الناس للتوبة حيث مارس معمودية التوبة عن طريق التغطيس الكامل بالماء رمزاً للتطهير. في المقابل، نجد أن زكريا وأليصابات وسمعان الشيخ وحنة النبية لهم دورهم النبوي في مجيء المسيح والتحوُّلات التي صنعها في تاريخ الخلاص.

أمَّا دور المعمدان فكان نبياً مَسَحَ المسيح والمَلِك. يجدرُّ بالذكر أن ميلاد يوحنا سابق المسيح بمُعْجَزة قد مَهَّدَ الطريق لميلاد يسوع بمُعْجَزة أيضاً. هُنَاكَ تشابه بين زكريا وأليصابات وإبراهيم وسارة في ميلاد كُلِّ مِنْ إِسْحَقَ وَيُوحَنَّا والظروف التي صَاحَبَتْ بِشَارَةَ الْمَلَكِ بميلادهما كأبناء الموعود. بِإِسْحَقَ ونسله تَحَقَّقَ وعدُ اللَّهِ بولادة يسوع بالجسد بركة لجميع الأُمَم، وبالمعمدان كانت البركة روحية حيث أنَّ ميلاده كان رمزاً لدخول الأُمَم إلى رعية كنيسة المسيح.

عَرَفَ اللَّهُ الوقت اللازم لميلاد المعمدان، مع أن أباه وأمه شعرا بأنَّ الوقت غير مُناسب. كانت أليصابات عاقراً لسنين عديدة ومُتقدمة في أَيَّامها مثل زوجها زكريا. وَحَمَلَتْ به في شيخوختها، مع ذلك، توقيت اللَّهُ كان دقيقاً ليس مُبكراً أو مُتأخراً، كان الوقت المُناسب. عَرَفَ أن سابق المسيح سيلد في وقت مُحدَّد من التاريخ. صَمَّمَ له المجد توقيت ميلاده والعائلة التي سيُولد فيها المعمدان الذي كان قريب يسوع. يذُكِّرُ البشير لوقا زيارة المُباركة مريم لنسيبتها أليصابات وهي حامل حيث ارتكض يوحنا وامتلاً من الروح القدس في بطن أمه.

حَتَّى قَبْلَ ميلاده، كانت مقاصد اللَّهِ واضحة لحياته. تُرى ما هو توقيت اللَّهِ لحياتك عزيزي، هل تثق به وتُسَلِّمُه حياتك حاضراً ومُستقبلاً. لقد قَدَّسَكَ مِنَ الرَّحْمِ كما عَمَلَ مع إرمياء. قَدَّمَ المعمدان حياته يشهد للمسيح والحق الذي يُمثِّله. بَارَكَ الرَّبُّ حياتك وأنت تعيش لمجد فاديك القُدوس يسوع.

شكوك المعمدان

"قَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَسُوعَ قَائِلًا: "أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟"

(لوقا ٧: ١٩)

مَرَّتْ سَنْتَانِ عَلَى كِرَازَةِ يُوحَنَّا فِي الْبَرِّيَّةِ تُحِيطُ بِهِ جَمَاهِيرُ النَّاسِ الَّذِينَ جَذَبَتْهُمْ شَخْصِيَّتُهُ وَتَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِكَلَامِهِ. وَقَفَّ لِلْحَقِّ شَامَخًا كَالطُّودِ، وَدَانَ الْخَطِيئَةَ بِاسْمِهَا الْحَقِيقِيِّ. وَبَحَّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ لِأَنَّ الْمَلِكَ اغْتَصَبَ زَوْجَةَ أَخِيهِ وَتَزَوَّجَهَا رَغْمَ أَنَّ أَخَاهُ كَانَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَبَتَحْرِيسٍ مِنْ هِيرُودِيَا الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا بَاطِلًا، أَمَرَ بِسَجْنِ الْمَعْمَدَانِ فِي قَلْعَةٍ مَخِيرُوسَ فِي بَيْرِيَّةٍ حَيْثُ بَقِيَ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ.

كَانَ هِيرُودُسُ نَفْسَهُ وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا كِرَازَةَ الْمَعْمَدَانِ وَدَعْوَتَهُ لِلتَّوْبَةِ. يَصِفُ الْبَشِيرُ مَرْقَسُ ٦: ٢١ مَوْقِفَ هِيرُودُسَ مِنْ يُوحَنَّا "لَأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقَدِيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَّ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ".

كَانَتْ حَيَاةُ الْمَعْمَدَانِ عَامِرَةً بِالنَّشَاطِ، وَالْآنَ هَا هُوَ فِي ظِلَامِ السَّجْنِ وَبَيْنَ جُدْرَانِهِ الْكَثِيْبَةِ بَلَا عَمَلٍ مِمَّا سَبَّبَ لَهُ أَلَامًا نَفْسِيَّةً شَدِيدَةً. مَعَ أَنَّهُ فِي السَّجْنِ، كَانَ تَلَامِيذُهُ يَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهِ وَيُخْبِرُونَهُ بِمُعْجَزَاتِ الْمَسِيحِ لَا سِيَّمَا إِقَامَتَهُ لِابْنِ وَحِيدٍ لِأَرْمَلَةٍ نَائِيْنٍ وَتَقَاطُرِ الْجَمَاهِيرِ مِنْ حَوْلِهِ لِسَمَاعِ أَقْوَالِ يَسُوعَ وَتَعَالِيْمِهِ.

مَرَّتِ الْأَسَابِيْعُ بِطَءٍ دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ يُذَكِّرُ مِمَّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالشَّكِّ وَالْيَأْسِ. حَتَّى أَنَّ تَلَامِيذَهُ أَنْفَسَهُمْ بَدَأُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ السَّبَبِ لِعَدَمِ تَدَخُّلِ يَسُوعَ لِإِنْقَازِ يُوحَنَّا وَإِطْلَاقِ سِرَاحِهِ إِذَا كَانَ هُوَ حَقًّا الْمَسِيحُ، وَلِمَاذَا تَرَكَ سَابِقَهُ وَخَادِمَهُ الْأَمِينَ مُحْرُومًا مِنَ الْحُرِّيَّةِ وَحَيَاتِهِ فِي خَطَرٍ؟ مِثْلُ هَذَا الشَّكِّ مِنْ جَانِبِ تَلَامِيذِهِ أَزْعَجَ يُوحَنَّا كَثِيرًا.

"كَانَ الْمَعْمَدَانِ فِي الْمَاضِي قَدْ أَعْلَنَ اعْتِبَارَهُ وَشِدَّةَ حُبِّهِ لِلْمَسِيحِ، وَهُوَ لَا يَرْتَابُ فِي حُبِّ الْمَسِيحِ لَهُ - فَكَيْفَ لَا يَسْأَلُ الْمَسِيحَ عَنْهُ فِي سَجْنِهِ هَذِهِ الْأَشْهُرَ الطَّوِيلَةَ؟ أَلَيْسَ هُوَ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ بِهِ، نَصِيرُ الْمَظْلُومِ؟ فَأَيُّ ظُلْمٍ أَفْطَعُ مِنْ هَذَا الَّذِي أَصَابَهُ، بِسَبَبِ صِلَاحِهِ وَغَيْرَتِهِ عَلَى الصَّلَاحِ؟ فَكَيْفَ لَا يَمُدُّ لَهُ الْمَسِيحُ نَسِيْبُهُ وَحَبِيْبَهُ، يَدَهُ الْقَدِيرَةَ لِيَنْتَشِلَهُ مِنْ هَذَا الضِّيقِ وَالْخَطَرِ، وَلَوْ اقْتَضَى الْأَمْرُ إِجْرَاءَ مُعْجَزَةٍ؟ وَلَعَلَّ يُوحَنَّا كَانَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَكُونَ مَلَكُوتُ الْمَسِيحِ زَمْنِيًّا، مُحَاطًا بِالْمَجْدِ: أَيْنَ هَذَا الْمَلَكُوتُ الَّذِي بَشَّرْتُ أَنَا بِاقْتِرَابِهِ؟ وَأَيْنَ الْمَحَبَّةُ وَالرَّأْفَةُ الَّتِي يَنْتَظَرُ ظَهْرُهَا فِي الْمَسِيحِ مَلِكِ هَذَا الْمَلَكُوتِ؟

وَلَمَّا كَانَ الْمَعْمَدَانِ بَشَرًا مُعْرَضًا لِلْسَّقُوطِ فِي الْخَطَا، فَلَا بُدَّ أَنْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الشَّكُّ وَالْقَنُوطُ أحيانًا فِي مَرَارَةِ ظُرُوفِهِ الْمُتَغَيِّرَةِ، خُصُوصًا بَعْدَ كُلِّ مَا كَانَ لَهُ مِنَ الْحُرِّيَّةِ وَالسُّطُوَّةِ وَالْعِظْمَةِ. وَبِصَعْبٍ جَدًّا عَلَى رَجُلٍ فِي عَزِّ قُوَّتِهِ أَنْ يُقَيَّدَ بَلَا عَمَلٍ، بَعْدَ سَنْتَيْنِ كُلِّهَا عَمَلٍ بِهَمَّةٍ وَنَشَاطٍ. فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَارَ عَزْمُهُ وَفَرَّغَ صَبْرُهُ، فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ الْأَمْنَاءِ إِلَى الْمَسِيحِ لِيَسْأَلَاهُ إِنْ كَانَ هُوَ حَقًّا الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ بِهِ، أَوْ أَنَّ الْمَسِيحَ الْحَقِيقِي سَيَأْتِي بَعْدَهُ" (كَلِمَةُ الْحَيَاةِ - عَقَائِدُ - حَيَاةُ الْمَسِيحِ جُزْءٌ ٤).

لَمْ يُفَرِّطْ يُوحَنَّا بِإِيْمَانِهِ بِالْمَسِيحِ. أَلَمْ يَرِ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ عَلَى يَسُوعَ بَعْدَ مَعْمُودِيَّتِهِ وَيَسْمَعُ صَوْتَ اللَّهِ آتِيًّا مِنَ السَّمَاءِ يُظْهِرُ سُرُورَهُ بِابْنِهِ الْمَسِيحِ؟ لَكِنَّ ظُرُوفَ السَّجْنِ الْقَاسِيَةِ دَفَعَتْهُ لِلْيَأْسِ، إِلَى جَانِبِ أَنْ تَوْفُّعَاتِ الْمَعْمَدَانِ لِمَلَكُوتِ الْمَسِيحِ كَانَتْ تَخْتَلِفُ عَمَّا نَادَى بِهِ الرَّبُّ يَسُوعَ. لَمْ يَأْتِ الْمَسِيحُ لِيُنْهِيَ بَطْشَ الرُّومَانِ بَلْ لِيُوجِّهَ فِكْرَ سَامِعِيهِ إِلَى الْعَيْشِ بِمُوجِبِ مَبَادِي مَلَكُوتِ النِّعْمَةِ الَّتِي جَاءَ لِيُؤَسِّسَهُ. عَلِمَ الْمَعْمَدَانِ أَنَّ نَهَايَتَهُ قَدْ اقْتَرَبَتْ فَأَرَادَ أَنْ يَنْزِعَ الشَّكَّ مِنْ قُلُوبِ تَلَامِيذِهِ، فَأَرْسَلَهُمْ بِهَذَا السُّؤَالِ: "أَنْتَ هُوَ الْآتِي".

كَيْ يُدْرِكُوا شَخْصِيَّةَ الْمَسِيحِ وَيُرَوِّعُوا عَنْ كُتُبِ أَعْمَالِ الرَّحْمَةِ وَالشِّفَاءِ وَيَضَعُوا كَامِلَ ثِقَتِهِمْ بِرَبِّ الْمَجْدِ يَسُوعَ. وَلَا عَجَبَ فَقَدْ انْضَمَّ تَلَامِيذُهُ وَصَارُوا مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ. عَادَ الرُّسُلَانِ بِالْجَوَابِ الَّذِي مَلَأَ قَلْبَ يُوحَنَّا بِالسَّلَامِ لَا سِيَّمَا التَّوْبِيخِ الرَّقِيقِ لَهُ "وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعَثُرُ فِي". افْتَحْ قَلْبَكَ عَزِيزِي وَأَمِنْ بِالْمَسِيحِ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا لِحَيَاتِكَ. لَتَكُنْ صَلَاتُكَ الْيَوْمِيَّةَ "يَا رَبُّ أَوْمِنْ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيْمَانِي" الرَّبُّ يَحْفَظُكَ بِعَنَائَتِهِ وَسَلَامِهِ أَمِينًا لَهُ مَدَى الْأَيَّامِ.

روح المعمدان

"يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنْيَ أَنَا أَنْقُصُ." (يوحنا ٣: ٣٠)

توافد الناس لسماع أقوال يسوع، فجاء تلاميذ يوحنا المعمدان يُخبرونه عن انتشار شعبية المسيح، وكيف أن الجميع يأتون إليه. يتحدث البشير يوحنا عن إجابة المعمدان لسؤالهم بدءاً بالآية ٢٧ وإلى نهاية الاصحاح الثالث. أقرَّ المعمدان أن تأثير يسوع وسلطانه قد أعطيا له من السماء. أنا صرَّحتُ على مسامعكم أنني لستُ المسيح، أنا اشبين العريس وصديقه الذي أعددتُ الطريق أمامه وفرحتُ أن العريس يسوع يزداد قوَّة وما أسمع منكم قد كَمَل فرحي.

"لقد شبَّه يوحنا نفسه بصديق العريس الذي يُمثِّل دورَ رسول بين الخطييين ويُمهد الطريق للزفاف. فعندما يأخذُ العريس عروسه تنتهي مهمَّة الصديق" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١٥٧).

جاء المعمدان كي يُعِدَّ النَّاسَ لاستقبال المسيح الآتي. مع مرور الوقت، زاد أتباع يسوع وقلَّ أتباع يوحنا. لم يكن في ذلك أية مُشكلة على الإطلاق. لم يكن من خطأ في رسالة المعمدان أو خدمته. كان سبب وعظه أن يُشجِّع الناس على اتباع المسيح الآتي. وعندما صار ما وعظ به حقيقة، فرح وتهلَّل لأنه ساند المسيح. علِمَ المعمدان أن النَّاس لا يستطيعون أن يكونوا أتباعه وأتباع يسوع في الوقت ذاته.

ولو فهم النَّاس رسالته على حقيقتها لتركوه وتبعوا الفادي الحبيب يسوع. يحدث هذا في قيادة الكنيسة حيث خدام الإنجيل مثل يوحنا يحترقون كأنوار ساطعة، كي ينقصون تدريجياً ليشع ويزداد مجد المسيح في حياة من يعملون لأجلهم. سما المعمدان إلى قِمَّة روح إنكار الذات حيث قال "ينبغي أن يتألَّق المسيح بأكثر ضياء ومجد، وأنِّي أنا أنقص". ركَّز أنظار سامعيه إلى حَمَلِ الله فادي الإنسانية وابن الله. أمَّا عن نفسه فهو ليس أكثر من صوت صارخ في البرية. كانت خدمته على وشك الانتهاء، وقد برهنَ على ادراكه التام لصلته بقريبه المسيح، لقد فرح بنجاح عمَلِ المخلص. ها إنَّ المعمدان قد أدَّى رسالته على أكمل وجه، وحقق الهدف الذي جاء لأجله، والآن هو يقبل بفرح أن يصمت صوته كي تتجَّه أنظار الجميع إلى النور الحقيقي يسوع. جاء المسيح من فوق وقد نزل من السماء لذا هو فوق الجميع، والفرق بينهما هو في علو السماء عن الأرض.

قصَدَ البشير يوحنا أن يذكر حوار المعمدان وتلاميذه مباشرة بعد لقاء يسوع بنيقوديمس ليلاً، وتركيزه على أهميَّة الولادة من فوق من الماء والروح. شارك الرب يسوع محبة الله لجنسنا البشري وبذله ابنه الأوحَد كي لا يهلك كلُّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. كان موقف المعمدان وتلاميذه، كما هو الحال مع نيقوديموس، أن يختاروا أتباع يسوع كمخلص شخصي لحياتهم وليس يوحنا. امتلك المعمدان كلُّ برهان ليعرف الحق في المسيح، ويوجَّه تلاميذه لمن يزيد نوراً ومجداً يوماً بعد آخر رغم تمسُّكهم به كمعلِّمهم، وتردِّدهم في معرفة الحق، لكنَّه أصرَّ وقال "ينبغي أن يزداد المسيح وأنا أنقص".

بهذا القول، شهدَ للحق كي يسمعه تلاميذه ويؤمنوا به بقلوبهم. "كذلك نحن طالما بقينا على ولائنا للحق لا بُدَّ أن نبذل كلَّ جهد في تجنُّب ما يؤدي إلى النزاع أو سوء التفاهم". (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١٥٩). عندما نُعطي المسيح مكانه الحقيقي في حياتنا، نكون على يقين أننا ضمن مشيئة الله ونحقق قصده من وجودنا على هذه الأرض. بعض النظر من نكون، وما هو دورنا في رعوية المسيح، ومهما يكن حجم خدمتنا في حقله- يكون شعار حياتنا "ينبغي أن يزيد المسيح وأنا أنقص".

قدَّم المعمدان حياته ليقدِّم المسيح للعالم، هل هذه شهادتك أيضاً. أشكر أبانا السماوي من أجل حياة وخدمة المعمدان وشهادته لحق إنجيل المسيح. ساعدني أن أسلِّك بتواضع أمامك كلَّ أيام حياتي، كي يزداد يسوع إشراقاً ومجداً إذ أقبله مخلصي الشخصي وأشارك ضياء مجده وأنا انتظر رجوعه ثانية بفرح عن قريب.

معمودية المسيح

"وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً." (لوقا ٣: ٢١)

بعد أن تَعَمَّدَ جميع الشعب، جاء يسوع أخيراً إلى ضفاف نهر الأردن ليعتمد من سابقه يوحنا- النبي الأخير والكاهن الذي أَعَدَّ الطريق لِقُدُومِ المسيح الآتي. لم يكن يسوع جزءاً من معمودية يوحنا فحسب، بل كانت معموديته خاتمة عَمَلِ المعمدان، مما يعني ازدهار خدمة يسوع ونقصان خدمة يوحنا. لم يعتمد يسوع بمعمودية التوبة التي نادى بها المعمدان، لأنَّ القُدُوسَ حَمَلَ اللهُ كان بلا خطيئة.

جاء يسوع كي يُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ، وما يطلبه الناموس لمنصب كاهن الله الأعظم- مثل هارون قبله كان عليه أن يغتسل بالماء قَبْلَ مسح بزيت مما يؤهله لمنصب رئيس الكهنة الملوكي على رتبة ملكيصادق. عاش يسوع في صباه في مدينة الناصرة، أما المعمدان فنشأ في برية اليهودية. كانا من أبناء الخوالة، سَمِعَ يوحنا عن زيارة يسوع إلى الهيكل والمناقشة التي دارت بينه وبين الكهنة. كان لديه الإيمان بأنه لا بُدَّ أن يكون هو المسيح الآتي، وظلَّ ينتظر بإيمان بأنَّ كلَّ شيء سيُصْبِحُ واضحاً في وقت الله المُعَيَّن.

أُوْحِيَ إليه بأنه سيأتي ليعتمد منه بحيث تُعْطَى له علامة على صفته الإلهية ليكون قادراً على تقديمه للشعب. تُعْطَى السَيِّدَةُ هَوَايَ وصفاً لِقُدُومِ يسوع للمعمودية فتقول "ولما أتى يسوع ليعتمد استطاع يوحنا أن يرى فيه نبلا وطهارة لم يرهما في أي إنسان من قبل. ولقد كان جو حضوره مقدسا وموجبا للتهيب. فلما طلب يسوع من يوحنا أن يعمره تراجع قائلاً: "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلي!" فأجابه يسوع بسلطان ثابت إنما بكل رقة قائلاً: "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (متى ٣: ١٤، ١٥)

إن يسوع قد قبل المعمودية لا على اعتبار أنها اعتراف منه بخطية ارتكبتها، ولكنه وحد نفسه مع الخطاة، وسار في نفس الخطوات التي علينا أن نسير فيها، وقام بنفس العمل الذي وجب أن نقوم به. كما أن حياة الآلام والصبر والاحتمال التي عاشها بعد عماده كانت أيضاً مثالا لنا" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٩١).

لنتوقَّف لحظة لنعرف ما يقصده البشير متى من البرِّ. أولاً: يستعمل متى هذه الكلمة لوصف شعور القلب العميق وطاقته المُخْلِصَة لله. إذ سَمَحَ يسوع ليوحنا أن يُعَمِّدَ لإظهار نفسه الابن الصالح والمُطِيع لإرادة الله بالكامل. ثانياً: لندرك ما تعنيه "التوبة". نادى المعمدان في بداية كرازته "توبوا، لأنَّه قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ". كانت دعوة مُلْحَّة لتغيير قِيَمِنَا وعاداتنا وتفكيرنا وكلماتنا استناداً لمبادئ الملكوت الآتي.

بكلمات أخرى، تعني التوبة أن يُصْبِحَ الشخص تلميذاً للمسيح. لم يكن يسوع بحاجة للتوبة كما نحتاجها نحن، بل في مفهوم تكريس نفسه بالكامل لإرادة الله على الأرض. كان المعمدان ذاك الصوت الصارخ الأخير لإذاعة قُدُومِ الْمَلِكِ الآتِي، والآن يأتي يسوع اتماماً لهذا القصد والسماح ليوحنا بمعموديته.

في إنجيل متى ٣: ١٣ - ١٧ نجد ٤ نقاط هامة في معمودية يسوع. ١- كانت معمودية المسيح دعماً لخدمة المعمدان. كان يوحنا يُواجه انتقادات من جانب القادة الدينيين في أورشليم وحتى الملك هيرودس نفسه. فكان في قُدُومِ يسوع ليعتمد تأييداً لمُرسَلِيَةِ المعمدان. ٢- تَمَّتَ معمودية يسوع بالتغطيس وكانت ترمز إلى موته وقيامته، مُعلنًا أنه سيموت عن خطايانا ويقوم في اليوم الثالث مُمَجِّداً. أكمل بموته وقيامته كلَّ بر.

٣- تُعْتَبَرُ معموديته مثالا لكلِّ المؤمنين حيث يُعلنوا جهاراً قبولهم المسيح مُخْلِصاً لحياتهم. وقد أوصى المسيح تلاميذه بالتلمذة والتعميد. ٤- بمعموديته، بدأ يسوع خدمته العلنية حيث بعد حلول الروح القدس عليه، انطلق إلى البرية لِيُجَرِّبَ مِنْ إبليس. يسوع هو مثالنا في كُلِّ شيء، في معموديته وانتصاره على التجارب. لنعطه قلوبنا ونُسَلِّمَ حياتنا ونعزم بنعمته أن نكون له أُمْنَاءَ مدى الأَيَّام.

سبب المعمودية

"فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "اسْمَحْ الْآنَ، لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ". حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ."

(متى ٣: ١٥)

سافر يسوع من الجليل كي يعتمد من يوحنا في نهر الأردن، لكنها لم تكن معمودية التوبة، لكن كي يكمل كل بر. كان المسيح الله ظهر في الجسد، الذي في تواضعه حفظ ناموس الله المقدس، فكان في معمديته يكمل متطلبات بر الله. حاول يوحنا أن يمنعه قائلاً "أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي". عرف المعمدان أن يسوع كامل بينما هو خاطئ. لذلك أجابه يسوع "اسمح الآن، يليق بنا أن نُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ". قصد المسيح بمعمديته أن يدعم عمل ومرسلية قريبه يوحنا. هناك أسباب عديدة تبين أهلية يوحنا أن يعتمد المسيح في بداية خدمته العلنية. كان المخلص على وشك بدء عمله الخلاصي العظيم، فكان من المناسب أن يقدمه سابقه المعمدان للناس بشكل علني. فإذ عمده، أعلن يوحنا أن يسوع هو المسيح المنتظر، ابن الله، الذي تنبأ عنه "أنه سيعمّدكم بالروح القدس ونار" (متى ٣: ١١).

كما تأخذ معمودية يسوع من قبل يوحنا بعداً آخر عندما نعلم أن المعمدان كان من سبط لاوي الذي هو مباشرة من نسل هارون كما أكد البشير لوقا ١: ٥ كانت واحدة من واجبات الكهنة في العهد القديم تقديم الذبائح أمام الرب. يمكن رؤية معمودية يوحنا ليسوع كتقدمة كهنوتية للذبيحة العظمى. ولا عجب أن كلمات يوحنا في اليوم الذي تلى المعمودية لها بعداً كهنوتياً حيث قال "هُودَا حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ".

أظهرت معمودية يسوع تعاطفه مع الخطاة. رمزت معمديته معمودية الخطاة في بر المسيح، الذين يموتون معه ويقومون أحراراً من الخطية ليسلكوا في جدة الحياة. إن بر المسيح الكامل يكمل كل مطالب الناموس للخطاة، الذين لن يكونوا قادرين على الإطلاق تحقيق ذلك بأنفسهم. عندما تردد يوحنا بأن يعتمد يسوع أجابه الرب يسوع "يليق بنا أن نُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ". بقوله هذا، أشار المسيح إلى البر الذي يعطيه لجميع الذين يأتون إليه تاركين خطاياهم لقاء برّه. هذا ما يؤكد الرسول بولس بقوله "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

أظهر يسوع بقدومه ليوحنا دعمه لمعمديته، شاهداً بأنها من السماء وقد نالت رضى الله عليها. كان لهذا العمل أهميته للمستقبل، عندما يبدأ آخرون بالشك في سلطة المعمدان بعد أن قبض عليه هيرودس. لعل أهم الأسباب يكمن في أن معمودية يسوع تم تسجيلها للأجيال القادمة لإظهار مجد السماء ومشاركة الثالوث الأقدس بها. جاءت شهادة الآب من السماء بصوته حيث أظهر سروره بابنه الحبيب، كما حل الروح القدس على يسوع بعد معمديته بشكل حمامة، نرى هذه الصورة الجميلة لطبيعة الثالوث الأقدس.

كما أظهرت أيضاً عمل الآب والابن والروح القدس في خلاص الذين جاء يسوع ليخلصهم. فالآب يحب مختاريه قبل تأسيس العالم، فأرسل ابنه يطلب ويخلص ما قد هلك، كما أن الروح يبكّت على خطيئة، ويجذب المومن إلى الآب من خلال ابنه. تجلّت في المعمودية حقيقة رحمة الله من خلال المسيح يسوع.

وسط حيرة المسيحيين عبر العصور الماضية لكون يسوع البار بدون خطية أن يعتمد ويكمل كل بر، يأتي رأي اللاهوتيين بأن المعمودية كانت صورة لتضحيتة بنفسه على الصليب من أجل خطايا البشرية.

يراها آخرون مثلاً لجميع أتباعه ليحذو حذوه، ومفتاحاً للانضمام لعضوية رعية الإيمان. لهذا قرن يسوع التعليم بالحق والإيمان بالمعمودية عندما أعطى الأمور بالكراسة إلى العالم أجمع. يسوع أحبائي مثالنا الأكمل في تواضعنا ومحبتنا ونحن نقبله مخلصنا وفادياً لحياتنا، له كل المجد والكرامة أبد الدهور. آمين.

المعمودية الكتابية

"مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أَقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانٍ عَمَلِ اللَّهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ." (كولوسي ٢: ١٢)

بعد أن أنهى الرسول بولس حديثه عن الختان، وكيف أنه لم يعد مطلوباً، أكد أن معرفة المسيح من خلال الإيمان هو المهم روحياً وليس أعمال الجسد. هنا يربط بولس قصد الختان للعهد القديم، بقصد المعمودية للعهد الجديد، حيث أن كلاهما مظاهر خارجية للعلاقة التي تربط الله بالإنسان.

فكما مات المسيح وقام، نجد المعمودية رمزاً لموت الإنسان العتيق، وبداية الحياة الجديدة. تبقى المعمودية خطوة هامة لكل مسيحي بعد تجديده. كما تُشير إلى الخلاص بالمسيح بالإيمان، الذي يأتي بقوة الله وليس منّا نحن. لقد أقام الله يسوع من الأموات بعد موته بثلاثة أيام. هذه جميعها نقاط هامة في فهم رسالة الإنجيل.

كانت المعمودية تُقام في التقاليد اليهودية لأسباب عديدة. أولاً كانت ضرورية لأُممي يُريد اعتناق الديانة اليهودية. يذكر الانجيل أن يوحنا المعمدان استعمل المعمودية كعلامة خارجية لقلب تائب. لكن يسوع كان كاملاً وبدون خطية، فلم يكن بحاجة للتجديد أو التوبة وعندما اعترض المعمدان أجابه يسوع "اسمَح الآن، لأنّه يليق بنا أن نكمّل كلَّ برّ". فكان البرّ من خلال موت يسوع على الصليب.

عَنَتِ المعمودية ليسوع تخصيص حياته لعمَل الخلاص وتكريسها لخدمته كمسيح الأجيال. لذا، ترمز المعمودية إلى الانفصال عن حياة الماضي أو ما يُسميه الرسول بولس "الإنسان العتيق" وقَبُول الحياة الجديدة بنعمة المسيح. المعمودية في المسيحية لها معنى مُميّز بتجسّد وحياة وموت المسيح الذي حقّق خلاص الله، والمعمودية باسم المسيح تُشير إلى مشاركة المؤمنين في هذا الخلاص بالإيمان بالمسيح.

المعمودية بالماء كانت تتم بالتغطيس، نقرأ عن معمودية يسوع في متى ٣: ١٦ " فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعَدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ". يُضيف الرسول بولس بعداً جديداً للمعمودية يرتبط بحياة وموت وقيامه يسوع من الأموات في رومية ٦: ٤ و٣ " أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، دُفِنًا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟".

ما يُشير إليه بولس هنا يجد قيمته الحقيقية بالمعمودية بالتغطيس فقط. ما قام به المسيح لأجل الخطاة على صليب الجلجثة، يُصبح واقعا في اختبار كلّ مُتجدّد في معموديته. في المعمودية يموت المسيحيون مع المسيح ويُصلبوا معه ويقوموا مع يسوع لبدء الحياة الجديدة. المعمودية بالتغطيس هي الدفن مع يسوع وعند الخروج من الماء يقومون لجدة الحياة في المسيح يسوع.

كما نعتمد بالمسيح، كذلك نعتمد في جسد واحد جسد المسيح أي كنيسته كما نقرأ في ١ كورنثوس ١٢: ١٣ "لأنّنا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، يهوداً كنّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقِينَا رُوحاً واحداً". نعتمد باسم المسيح "الآب والابن والروح القدس" فنحن ننتمي إلى المسيح وجزء من رعيّة القديسين ونُعلن للجميع وأمام الكون بأسره أننا قبلنا المسيح مُخلصاً شخصياً لحياتنا.

بعد حلول الروح القدس في يوم الخمسين وعظة بطرس لسُكّان زوّار أورشليم، نُخسوا في قلوبهم وقالوا "ماذا نصنع أيّها الرجال الإخوة. فقال لهم بطرس" توبوا وليعتمد منكم على اسم يسوع المسيح". فالتوبة والمعمودية يسيران يداً بيد. ليبارك الربّ القدير حياتنا ونحن نسير معه في الحياة الجديدة التي وعد جميع أحبائه. وإذا لم تقبله بعد مُخلصاً شخصياً لحياتك فلماذا تتوانى، يسوع بانتظارك فاتحاً ذراعي المحبة لاستقبالك وليبارك حياتك؟

المعمودية والروح القدس

"أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الْأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ." (لوقا ٤: ١)

في بشارة الملاك جبرائيل للعدراء المباركة مريم، أكد لها قائلاً "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ". (لوقا ١: ١٥) مِنْ هُنَا نَجِدُ دَوْرَ رُوحِ اللَّهِ الْقُدُوسِ فِي تَجَسُّدِ وَحَيَاةِ وَخِدْمَةِ يَسُوعِ الْأَرْضِيَّةِ مَرُوراً بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. كَانَ الثَّلَاثُ الْأَقْدَسُ حَاضِراً فِي مَعْمُودِيَّةِ الْإِبْنِ يَسُوعِ، وَسُمِعَ صَوْتُ اللَّهِ قَائِلاً "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرَرْتُ". أَمَّا الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَدْ "نَزَلَ عَلَيْهِ بِهَيْئَةٍ جَسْمِيَّةٍ". بَعْدَ ذَلِكَ قَادَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيُجَرِّبَ. ثُمَّ إِنْ عَادَ إِلَى الْجَلِيلِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ، جَاءَ إِلَى بَلَدْتِهِ النَّاصِرَةِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَرَأَ مِنْ سِفْرِ إِشَعْيَاءَ عَنْ نَزُولِ الرُّوحِ عَلَيْهِ. كَانَتْ تِلْكَ بَدَايَةُ الْمَعْجَزَاتِ وَالْعَجَائِبِ وَإِخْرَاجِ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا.

فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ نَجِدُ أَنَّ هَبَّةَ الرُّوحِ مُرْتَبِطَةٌ بِمَعْمُودِيَّةِ الْمَاءِ، فَبَعْدَ أَنْ ظَهَرَ يَسُوعُ لِشَاوُلَ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ، أَرْسَلَ لَهُ حَنَانِيًّا لِيَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ لِيُبْصَرَ وَيَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَأَبْصَرَ وَقَامَ وَاعْتَمَدَ. كَمَا فِي حَالَاتٍ أُخْرَى كَانَ مَنَحَ الرُّوحِ الْقُدُسِ يَسْبِقُ الْمَعْمُودِيَّةَ مِثْلَ مَا حَدَّثَ عِنْدَمَا أَرْسَلَ كَرْنِيلْيُوسَ يَسْتَدْعِي بُطْرُسَ إِلَى قَيْصَرِيَّةِ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَ كَرْنِيلْيُوسَ وَأَنْسَبَاءَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ عَنِ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا فِي يَافَا حَيْثُ أَدْرَكَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. وَفِي أَعْمَالِ ١٠: ٤٤ و ٤٧ نَقَرْنَا "فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ. أَتَرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَعْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا؟". فَالْمَعْمُودِيَّةُ كَمَا أَوْضَحَهَا يَسُوعُ لِنِيقُودِيمُوسَ تَكُونُ بِالْمَاءِ وَالرُّوحِ.

بَعْدَ أَنْ اعْتَمَدَ يَسُوعُ وَخَرَجَ مِنَ الْمَاءِ وَإِذْ كَانَ يُصَلِّيَ انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جَسْمِيَّةٍ مِثْلَ حَمَامَةٍ وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. كَانَتْ تِلْكَ عَلَامَةٌ لِلْمَعْمَدَانِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ هَيَّأَ الْمَسِيحَ فِي بَشَرِيَّتِهِ لِيَكُونَ فَاذِينَا. مِنَ الرَّائِعِ حَقًّا قَارِئِي الْعَزِيزِ، إِدْرَاكُ أَنَّ الْمَسِيحَ فِي بَشَرِيَّتِهِ اعْتَمَدَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ بِشَكْلِ مُسْتَمَرٍّ فِي مُرْسَلِيَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ. اَمْتَلِئْ كَثِيرًا بِالرُّوحِ. كَانَ بَارًّا بِدُونِ خَطِيئَةٍ. يُذَكِّرُنَا حُلُولُ الرُّوحِ الْقُدُسِ بِهَيْئَةٍ جَسْمِيَّةٍ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ اللَّهِ لِيَكُونَ مُهَيَّأً لَخِدْمَتِهِ، بَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ ضَرُورِيًّا قَبْلَ أَنْ يُمَثِّلَ اللَّهَ أَمَامَ شَعْبِهِ. أَلَسْنَا نَحْنُ بِحَاجَةٍ لَذَلِكَ قَبْلَ تَكْرِيسِ أَنْفُسِنَا لَخِدْمَةِ مَنْ أَحَبَّانَا؟ كَمَا كَانَ نَزُولُ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَى يَسُوعَ بَعْدَ مَعْمُودِيَّتِهِ أَعْظَمَ تَشْجِيعَ لِلْمَسِيحِ وَسَطِ الضَّيِّقَاتِ الَّتِي وَاجَهَهَا فِي خِدْمَتِهِ لِيَتَذَكَّرَ انْفِتَاحَ السَّمَاءِ وَسُرُورَ اللَّهِ الْآبِ بِهِ. يُذَكِّرُنَا بِأَهْمِيَّةِ هَذَا السُّرُورِ كَاتِبِ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ١٢: ٢ "نَظَرِينَ إِلَى رَّبِّيسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهْيِئًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ". احْتَمَلَ صَلِيبَ الْعَارِ لِأَنَّهُ عَرَفَ مُسَبِّقًا أَنَّ انْفِتَاحَ السَّمَاءِ هُوَ تَوَقُّعُ الْمَجْدِ. فِي ذَلِكَ أَيْضًا دَرَسَ لَنَا إِذْ نَعْمَلُ مَعَ اللَّهِ لَخَلَاصِ النُّفُوسِ، أَنْ نُدْرِكَ حَاجَتَنَا إِلَى دَعْمِ رُوحِ اللَّهِ الْقُدُوسِ وَلَيْسَ عَلَى مَوَاهِبِنَا أَوْ تَحْصِيلِنَا الْعِلْمِيَّ وَشَهَادَاتِنَا الْجَامِعِيَّةِ، كُلِّ ذَلِكَ رَغْمَ أَهْمِيَّتِهِ، غَيْرَ كَافٍ بِدُونِ حُضُورِ اللَّهِ مَعَنَا بِرُوحِهِ.

رَأَيْنَا مَعًا دَوْرَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي تَجَسُّدِ يَسُوعَ وَمَعْمُودِيَّتِهِ، كَمَا كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي وَعْدِهِ لِتَلَامِيذِهِ بِإِرْسَالِ الْمَعْرِيِّ وَهَذَا مَا حَدَّثَ بِالْفِعْلِ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ. حَيْثُ نَزَلَ الرُّوحُ بِالسَّنَةِ مِنْ نَارٍ اسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. أَلَمْ يَقُلِ الْمَعْمَدَانِ أَنَّ يَسُوعَ سَيُعَمِّدُهُم بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ؟ يَسُوعَ حَسَبَ وَعْدِهِ مَعَنَا كُلِّ الْيَّامِ وَإِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. كَانَ انْسِكَابُ رُوحِ اللَّهِ أَعْظَمَ دَعْمٍ لِاتِّبَاعِهِ مِنْ سَيِّدِهِمِ الْمَسِيحِ لِيَحْمِلُوا رِسَالَتَهُ وَيَكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلخَلِيقَةِ كُلِّهَا. تَنَبَّأَ النَّبِيُّ يُوْنِيلُ بِنَزُولِ رُوحِ اللَّهِ بِغَزَاةٍ عَلَى جِيلِ النِّهَايَةِ كِي يُعَدَّ حَصَادًا وَفِيرًا لِعُودَةِ رَبِّ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ. فَهَلْ سَتَكُونُ عَزِيزِي عَامِلًا مَعَهُ لِرَبْحِ نَفُوسٍ لِمَلَكُوتِ الْمَجْدِ بِصُحْبَتِهِ عَنْ قَرِيبٍ؟

الشیطان یجربُ المسيح

"ثُمَّ أَصْعَدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. " (متى ٤: ١)

بعد المعمودية يسوع على يد يوحنا في نهر الأردن، نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية على شكل حمامة ومسحه ليبدأ خدمته العلنية حيث سمع صوت الآب يظهر سروره بابنه الحبيب. نفس هذا الروح الذي استقر عليه ملا يسوع بالهبات والنعم قاده إلى البرية ليُجرب من إبليس. يُشير البشير مرقس ١: ١٢ إلى تلك الواقعة فيقول "وَلَوْفَتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ".

قام بذلك طوعاً وإرادته، حيث كان هناك في ذلك المكان المُقفر حيث صام ٤٠ يوماً و٤٠ ليلة وحيداً مع الوحوش في منطقة جبلية يُجرب من الشيطان. بدى لعدو النفوس البشرية الحية القديمة المُشتكي على الإخوة المدعو إبليس أن الفرصة مواتيه له ليوقع يسوع في التجربة. استمرت تجارب الشيطان حيث بدت في أوجها على الصليب. لم يُجرب يسوع ليثبت قبول الآب له، فقد نال ذلك عند سماعه صوت الله من السماء في معموديته قائلاً "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ" (متى ٣: ١٧). قاد الروح الرب يسوع ليثبت انتصاره على إبليس عدو نفوسنا. كان اختبار تجارب البرية برهاناً أن الشيطان سيكون عدواً مهزوماً إلى الأبد. وحيث انتصر المسيح على مكائد إبليس، نستطيع نحن أن نتصر عليه أيضاً. انتصارنا أكيد من خلال المسيح، لأن انتصاره هو انتصارنا. كما أن تجارب المسيح في البرية هيأته ليكون كاهننا الأعظم الشفوق، الذي جرب في كل شيء مثلاً، لكن بلا خطية.

وبالنسبة لنا ولأجلنا، تغلب على الشيطان وطرقه الشريرة. لقد دمر قوة إبليس، والخطيئة والموت في حياتنا، ولأننا ننتمي للمسيح، فإن قوة حياته بالروح قد حررتنا من قوة الشيطان. الشكر لله، الذي يمنحنا الانتصار بالمسيح يسوع ربنا. تركزت تجارب الشيطان على ثلاثة أمور لخصها البشير يوحنا في رسالته الأولى ٢: ١٦ بهذه الكلمات "شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعتظم المعيشة". مقابل ٣ فضائل على المسيحي أن يتحلى بها وهي: الإيمان والرجاء والمحبة التي تربطه مباشرة بالله الذي هو الحق والجمال والخير. يُخبرنا متى ولوقا أن المُجرب طلب من يسوع بعد أن صام ٤٠ يوماً وأخيراً جاع أن يُحوّل الحجارة إلى خبز ليسدّ جوعه، أجاب المسيح عن التجربة الأولى بقواه "لا يستطيع الإنسان أن يحيا بالخبز وحده، لكنه بحاجة إلى كل كلمة من فم الله".

في التجربة الثانية طلب الشيطان من المُخلص أن يُلقي بنفسه من جناح الهيكل حيث ستحملة الملائكة آمناً. أجابه المسيح "مكتوب أيضاً لا تُجرب الرب الهك". أخيراً، في التجربة الثالثة، قدم الشيطان ليسوع كل ممالك العالم ومجدها إن خر وسجد له" أجابه المسيح "مكتوب للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد".

في التجربة الأولى، واجه يسوع مُعضلة استعمال قواه لصنع المعجزات لأغراض أنانية أم لخير الآخرين. قاوم يسوع فرصة سدّ جوعه، حتى بعد صيام ٤٠ يوماً و٤٠ ليلة، واختار الطعام الروحي المُعطى له من الله بدلاً من الماديات. في التجربة الثانية، استعمل الشيطان كلمة مكتوب حيث كان التحدي سوء استعمال قوته، وأيضاً اثبات أنه المسيح والله حقيقة يعتني به. تعامل المُخلص في خدمته لنفس السؤال مرّات عديدة بشأن هويته وسلطانه.

السجود للشيطان كانت تجربة ولاء يسوع لله ورغبته في القوى السياسية، لكن يسوع لم يرغب في تأسيس مملكة أرضية، بل طلب ملكوت الله وبره أولاً. كم نشكرك يا ربي من أجل انتصارك على الشيطان، ساعدني إذ أواجه تجارب الحياة، أن أتمسك بكلمتك المقدسة المكتوبة التي هي سيف الروح كسلاح روحي ضد مكائد إبليس وأنتصر كما انتصرت أنت. كي تتحقق صلاة يسوع فينا "ولا تُدخلنا في تجربة. لكن نجنا من الشرير" آمين.

اللَّهُ لَا يُجَرِّبُ أَحَدًا

"لَا يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِبَ: "إِنِّي أُجَرِّبُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ"، لِأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرِّبٍ بِالشَّرِّ، وَهُوَ لَا يُجَرِّبُ أَحَدًا." (يعقوب ١: ١٣)

يبحث الرسول يعقوب في بداية رسالته المسيحيين على النظر لتجارب حياتهم كأمر نافعة بل بالأحرى سبب فرح. الضيقات في حياتنا الأرضية هي فُرص للثقة بالله بأكثر عمق. كما يُمكن أن تكون أعداءاً لتتوقف على الثقة بمسيحنا المبارك والبُعد عنه. قد نظن أنه لا يملك القُوَّة لسدِّ احتياجاتنا، وليس حنوناً كي يعطف على آلامنا، ونبدأ بالتساؤل هل الله صالح؟ هل هو مُحِبٌّ، وهل هو قدير؟

يتحدَّث يعقوب عن كيفية الإجابة عن هذه الأسئلة عن الله في الأوقات الصعبة. فلو قلنا بأنه ليس أميناً، فقد نختر عدم طاعته والثقة بأنفسنا. لو كان قرارنا بأنه جدير بالثقة، سنقترب منه طالبين العون والتواصل معه.

يُوضح يعقوب أيضاً، بأننا عندما نلوم الله بتجربتنا أن نرفضه عن طريق السماح للتجارب أن تعصف بحياتنا، فذاك ليس منطقياً. لن يُخطئ الله أحداث حياتنا، على الإطلاق، بقصد إبعادنا عنه، بل يسعى دوماً لتقريبنا إليه. فقصد التجارب هو ليس إبعادنا عن المسيح، بل جذبنا إليه بالمحبة.

لا يوجد أي ضمان أن حياة المؤمنين ستكون أسهل من غير المؤمنين، فصدقتنا لله كما أوضح يسوع ستجعلنا أعداء مع العالم لأننا لسنا منه. ستأتي الضيقات لتمتحن إيماننا، لكن التجربة بأن نهجر أمانتنا لله وقت الضيق ليس مصدرها الله. الربُّ صالح وقد انتصر على الشرير، ولا يُجرب أحدًا لعمَل الشرِّ.

إنَّ كُلَّ مُشكلة على المستوى الشخصي أو الجماعي نجد لها جذوراً في الخطيئة. لكن ما سبب الخطيئة؟ إنها الرغبات الخاطئة التي نراها في الجميع على كُلِّ المستويات. فمن بداية الزمن، ألقى الخطاة اللوم نتيجة خطاياهم على الآخرين. فالشيطان لام الله، وحواء لامت الشيطان، وآدم ألقى باللوم على حواء. حاشا لله أن يكون سبب الخطيئة. تجذب الخطيئة الإنسان من خلال رغباته، التي إذا صاحبته طويلاً، تتغلغل بعمق في أفكاره وتقودنا لأعمال الجسد، بالمقابل، إذا تمَّ ضبطها بنعمة المسيح تقودنا للطاعة وتسليم حياتنا بالكامل لله.

يصف الرسول بولس حربنا ضدَّ الخطيئة في الجسد في ٢ كورنثوس ١٠: ٥٤ ويقول "إِذْ أَسْلَحْتُ مُحَارَبَتَنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلُوٍّ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ". الحاجة هنا هي إلى قضاء وقت مع فادينا يسوع بدراسة كلمة الله والصلاة كي نأسر أفكارنا ونسمو بها لطاعة المسيح.

ما أسهل علينا لَوْمَ الله والشكَّ في عنايته عندما نقع في التجربة ونُخطأ، وكأنَّ لسان حالنا يقول "الله علمني هكذا وكان عليه ألاَّ يسمَح بتجربتي، أو نقول كانت التجربة أكبر مِنِّي وَلَمْ أَسْتَطِعْ مُقاومتها" وهل تناسينا أن كُلَّ شقاء العالم، والشرِّ المحيط بنا متأصل في الخطيئة. فلا نقول أبداً "أَنَا نُجَرِّبُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ"، فهو له المجد مصدر كُلِّ عطية صالحة، أبي الأنوار ونبع كُلِّ حكمة وخير وبنعمة، بينما إبليس هو أبي الظلام الذي يُوقعنا بكُلِّ أنواع الشرِّ والتجارب كي نُخطأ ونبتعد عن طريق الله.

تُوضح الأسفار المقدَّسة الفرق بين التجارب والضيقات. يستخدم الله الضيقات لفائدتنا وتعليمنا دروساً روحية هامة تجعلنا قادرين على النمو في النعمة ومعرفة فادينا المسيح، بينما يُوقعنا الشيطان في التجارب لتدميرنا وزرع الشكَّ في قُدرة ومحبة يسوع لنا. أُملي أن نرى أن ضيق هذا العالم لا يُفَارَن بِثِقَلِ المجد الذي سيُسْتَعْلَنُ فينا عن قريب. ليت نور المسيح يشعُّ في حياتنا لنرى جود الربِّ وثق به إذ نُسَلِّم له حياتنا في طاعة حُبِّية بفرح لا يُنطق به ومجيد إذ نراه آتياً سريعاً.

يسوع يبدأ خدمته في الجليل

"وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ، وَخَرَجَ خَبْرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ." (لوقا ٤: ١٤)

يصف النبي إشعياء في الاصحاح ٨: ٢٢ و٢١ حالة مَنْ يتحول إلى السحر عوض الثقة بالله. فحيثما ينظر أولئك يرون "شِدَّةً وَظُلْمَةً، قَتَامَ الضِّيْقِ، وَإِلَى الظُّلَامِ هُمْ مَطْرُودُونَ". (إشعياء ٨: ٢٢). وبالمقارنة المتباينة مع هذه الحالة سيأتي وقت "لَا يَكُونُ ظُلَامٌ لِلَّتِي عَلَيْهَا ضِيْقٌ". (إشعياء ٩: ١). فسكان منطقة الجليل التي ترمز إلى أرض زبولون وأرض نفتالي هم الذين تتحدث عنهم الآية هنا على أنهم ينالون بركة خاصة، وهذه البركة هي النور العظيم (إشعياء ٩: ٢). فالأمة سيتضاعف عدد سكانها وستتهف فرحاً لأن الله كان سيكسر عنها "قَضِيبٌ مُسَخَّرُهَا" (إشعياء ٩: ٤).

أما لماذا جاء الحديث هنا عن منطقة بحيرة الجليل، فالسبب يرجع إلى أن هذه المنطقة كانت من بين أول المناطق التي استولى تَعَلَّثَ فَلَاسِرَ الثالث على منطقة الجليل وعبر الأردن، وأخذها من مملكة إسرائيل الشمالية استجابة لطلب الملك آحاز للمساعدة، كما أنه أسر بعض السكان، وحوّل تلك المنطقة كلها إلى ولايات آشورية (٢ ملوك ١٥: ٢٩). وهكذا جاءت رسالة النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ بأن المنطقة التي هزمت أولاً ستكون أيضاً الأولى في الحصول على الإنقاذ. تُرى مَنْ الَّذِي استخدمه الله لِيُنْقِذَ شعبه؟

نقرأ في إشعياء ٩: ٦ و٧ نبوءة عن مجيء المسيح "لأنّه يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرَّيَّاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيئًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ. لِنُمُو رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبَّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبَرِّ، مِنْ الْآنَ إِلَى الْأَبَدِ".

"وقد سُمِحَ للنبي إشعياء أن ينظر عبر الأجيال إلى وقت مجيء المسيا الموعود به. ففي بادئ الأمر رأى فقط "شِدَّةً وَظُلْمَةً قَتَامَ الضِّيْقِ" ولكن سرعان ما تغير المشهد وانكشفت لعيني النبي رؤيا عجيبة. فقد رأى يسوع - شمس البر يشرق والشفاء في أجنحته" (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٣١٢).

اقتبس البشير متى ٤: ١٢-١٦ نبوءة إشعياء ٩: ١-٢ "أَرْضُ زَبُولُونَ وَأَرْضُ نَفْتَالِي، يُكْرَمُ الْأَخِيرُ طَرِيقَ الْبَحْرِ، عِبْرَ الْأُرْدُنِّ، جَلِيلَ الْأُمَمِ. أَشْعَبُ السَّالِكِ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظُلَالٍ الْمَوْتُ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ". ليصف كيف رجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل ليبدأ خدمته منها وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة. ليس من قبيل الصدفة أن تكون خدمة المسيح المبكرة في منطقة الجليل، حيث قدّم الرجاء للناس بإعلانه عن الأخبار السارة المتعلقة بملكوت الله، وبتقديم الشفاء للناس، بما في ذلك تحرير المجانين من عبودية السحر والشعوذة (متى ٤: ٢٤).

ففي مدينة الناصرة بشر الملاك العذراء مريم بميلاد يسوع. وفي مجمعها قرأ عن مسح الله له ليكرز ببشارة الإنجيل. وفي الجليل ذاع صيته وهو يشفي كل مرض وضعف في الشعب. كما انطلق يسوع من مدينته الناصرة في بداية خدمته إلى كفرناحوم. كثير من تلاميذه أتوا أيضاً من منطقة الجليل. والنساء الذين رافقنه عند صلبه وموته كن من الجليل.

كان الرب يسوع مثلاً كاملاً إذ سار بالروح والحق. وهو نائب الإنسان الذي برهن لكم ولي كيف يمكن أن نحيا حياتنا، لأن حياته كانت مُحاطة بالروح القدس وطاعة حُبِّيَّةَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ - حياة صلي فيها بقوة الروح وعاش في الفكر والكلمة وعَمَلَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَمِعَهَا مِنَ اللَّهِ - كما قاده الروح لِمَجْدِ الْآبِ. فكل ما قاله الرب يسوع وعمله كان لتسبيح ومجد الله. كان المسيح الشخص الوحيد الذي عاش حياته في اعتماد كُلِّيٍّ عَلَى أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ - مُبْرِهِنًا لَنَا كَيْفَ يَرِغِبُ اللَّهُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَنْ يَعِيشُوا. أَبَانَا السَّمَاوِيِّ، شُكْرًا لَكَ أَنْ يَسُوعَ عَاشَ حَيَاتَهُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَمَثَالِي الْكَامِلِ.

أعني ربي أن أسير بالروح والحق، وأسلمك حياتي مُعْتَمِدًا عَلَيْكَ بِالْتِمَامِ. أَصْلِي أَنْ تُعِينَنِي مِنَ الْيَوْمِ وَصَاعِدًا أَنْ أُخْتَارَ طَوْعًا السَّيْرَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، كَمَا يَقُودُنِي الرُّوحُ وَيُقَوِّنِي لِمَجْدِهِ عَلَى الدَّوَامِ. لَكَ التَّسْبِيحُ وَالْكَرَامَةُ أَبَدَ الدَّهُورِ. آمِينَ.

الفصل الثالث

آذار "مارس"

والمُعَلِّمُ الأعْظَمُ



فريد في تعليمه

"أَجَابَ الخُدَّامُ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ!" (يوحنا ٧: ٤٦)

يُمَثِّلُ جواب الخُدَّام هنا صِراعَ الناسِ خلالَ ٢٠٠٠ سنة بالنسبة لتعاليم السيِّد المسيح وتأثيرها على التاريخ العالمي، وليس هذا فحسب، بل قلق رؤساء الكهنة والفريسيين من ازدياد شعبية يسوع وتأثيره على حياة الناس الروحية. لذا أرسلوا مجموعة من الخُدَّام ليمسكوا المسيح، لكنهم عادوا فارغي اليدين. فغضب عليهم رؤساء الكهنة وسألوهم عن السَّبَب فأجابوا "لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ". حَتَّى هَؤُلاءِ الخُدَّامُ أُعْجِبُوا كَثِيرًا بِيسوع. تَرَى ماذا تعني تعاليم السيِّد المسيح لَكُمْ ولي اليوم؟

كلمات يسوع مليئة بالحكمة، خُذ مثلاً مفهومه للحكومة المدنية حيث قال "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله". (متى ٢٢: ٢١). وتركيزه على ملكوت الله. أو ما قاله للمرأة السامرية عَنْ الله "اللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يوحنا ٤: ٢٤). أَمْ ما تَكَلَّمَ به عن الوصية العظمى حيث قال "تَحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَفَرِيكَ مِثْلَ نَفْسِكَ" (لوقا ١٠: ٢٧).

أَمَّا عَنْ وصفه الله بِالآبِ، ففِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَّمَنَا أَنْ نَخَاطِبَ اللَّهَ "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". لَنْ نَجِدَ عَلَى الإِطْلَاق مَنْ سَمَّى اللَّهَ بِالآبِ مِثْلَ مَسِيحِنَا حَيْثُ رَكَّزَ عَلَى عِلَاقَةِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا الْآبُ مِنْ نَحُونَا. لِنَتَأَمَّلَ مَعًا مَا يُعْرَفُ بِالْقَاعِدَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِي تَعَامُلِنَا مَعَ الْآخَرِينَ بِقَوْلِ السَيِّدِ الْمَسِيحِ "فَكُلُّ مَا تَرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ" (مَتَّى ٧: ١٢).

مَنْ السَّهْلَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْسَى كَيْفَ غَيَّرَتْ تَعَالِيمُ الْمَسِيحِ الْعَالَمَ لَا سِيَّامَا هَذِهِ الْآيَةُ. عَلَّمَ مَعْلَمُو الْيُونَانِ الْقَاعِدَةَ الذَّهَبِيَّةَ لَكِنْ بِشَكْلِ سَلْبِي "لَا تَعَامَلْ أَيْ شَخْصَ بِطَرِيقَةٍ لَا تُرِيدُهُ أَنْ يُعَامَلَ بِهَا". أَضْفَى يَسُوعُ عَلَيْهَا مَفْهُومًا إِبْجَائِيًّا حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ مِنْ شَعْبِهِ أَنْ يُعَامِلُوا الْآخَرِينَ كَمَا يُرِيدُوا أَنْ يُعَامَلُوا. يَنْطَبِقُ هَذَا عَلَيْنَا إِذْ نَنْمُو بِالنِّعْمَةِ وَنَتَعَلَّمُ أَنْ نَحِبَّ كَمَا أَحَبَّنَا يَسُوعُ وَبَذَلَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِنَا. يَبْقَى هَذَا الْمَبْدَأُ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ حَيْثُ نَعْمَلُ الْكُلَّ لِمَجْدِ اللَّهِ.

كَانَ يَسُوعُ الْمُعَلِّمُ الأعْظَمُ بِاعْتِرَافِ كِبَارِ الْمُعَلِّمِينَ فِي زَمَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. أَهَمُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ عَاشَ مَا عَلَّمَ. نَتَذَكَّرُ جَمِيعَنَا مُعَلِّمِينَ تَأْتَرْنَا بِهِمْ وَأَحْدَثُوا فَرْقًا كَبِيرًا فِي حَيَاتِنَا. تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِبِقِينِيَّةٍ وَسُلْطَانٍ وَيُؤَكِّدُ الْبَشِيرَ مَرْقَسَ ١: ٢٢ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فَيَقُولُ "فَبَهْتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ".

تَكَلَّمَ بِسُلْطَانٍ حَيْثُ أَكَّدَ لَتَلَامِيذِهِ قَائِلًا "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ". وَأَعْطَاهُمْ أَمْرَ الْكَرَازَةِ بِالْإِنْجِيلِ. كَمَا اسْتُخْدِمَ أَيْضًا تَكَرَّارَ الْفِكْرَةِ عِنْدَمَا تَحَدَّثَ عَنْ قُبُولِ مَلَكُوتِ اللَّهِ كَطِفْلٍ وَأَمَرَ تَلَامِيذَهُ أَنْ يَدْعُوا الصِّغَارَ لِلْقُدُومِ إِلَيْهِ كَمَا دَعَى بَطْرُسَ لِاسْتِهْوَاءِ بِنِ كَلِمَةِ اللَّهِ كَطِفْلٍ وَهَذَا دَرَسٌ عَظِيمٌ لَنَا أَيْضًا.

رَكَّزَ الْمَسِيحُ فِي تَعَالِيمِهِ أَيْضًا عَلَى تِلَاوَةِ الْقِصَصِ مِثْلَ قِصَّةِ الْابْنِ الضَّالِّ الَّتِي تُمَثِّلُ الْعَيْشَ الْمُسْرِفَ وَمَحَبَّةَ اللَّهِ لَنَا رَغْمَ بُعْدِنَا عَنْهُ. انْتَهَزَ الْمَسِيحُ كُلَّ فُرْصَةٍ لِيُعَلِّمَ فِكْرَةَ جَدِيدَةٍ عَنْ أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ، حَدَثَ ذَلِكَ، عِنْدَمَا جَاءَ أَحَدُهُمْ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُ لِيَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، أَجَابَهُ يَسُوعُ بِأَنْ يَحِبَّ اللَّهَ وَقَرِيبَهُ، وَلَمَّا سُئِلَ عَمَّنْ يَكُونُ الْقَرِيبَ حَكَى لَهُ قِصَّةَ السَّامِرِيِّ الصَّالِحِ. كَمَا اسْتَعْمَلَ الْمُعَلِّمُ الأعْظَمُ كَلِمَاتَ شَائِعَةٍ وَحَكَمَ كَيْ يَفْهَمُ السَّامِعُ الدَّرْسَ الرُّوحِيَّ خَلْفَ ذَلِكَ الْقَوْلِ. مِثْلُ قَوْلِهِ "إِذَا كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطُ كِلَاهُمَا فِي حُفْرَةٍ".

اسْتَطَاعَ الْمَسِيحُ فِي عَظَمَتِهِ عَلَى الْجِبَلِ أَنْ يُلَخِّصَ مَبَادِئَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ الَّذِي جَاءَ يُعَلِّمُ عَنْهُ. طُوبَى لَنَا الَّذِينَ نَبْنِي حَيَاتِنَا عَلَى صَخْرِ الدَّهْورِ يَسُوعَ، بِحَيْثُ لَا نَكُونُ سَامِعِينَ لِلْكَلِمَةِ فَحَسْبَ، بَلْ عَامِلِينَ بِهَا أَيْضًا. أَمْلِي أَنْ نَسْمَحَ لِلرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ يُعَلِّمَنَا رُوعَةَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي جَاءَ لِيَجْسِدَهَا فِي حَيَاتِنَا لِنَعِيشَهَا لِمَجْدِهِ قَلْبًا وَقَالِبًا لِنَفِيضَ فِي حَيَاةِ الْآخَرِينَ أَيْضًا. كَانَ فَرِيدًا فِي تَعَالِيمِهِ، أَقْبَلْهُ فِي حَيَاتِكَ، تَعَرَّفْ بِهِ وَاسْلَمْ، لِأَنَّ فِي مَعْرِفَتِهِ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

مقدمة: عظة الجبل

"وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ. فَفَتَحَ فَاهُ وَعَلَّمَهُمْ قَائِلًا."

(متى ٥: ١ و ٢)

قضى يسوع شهوراً عديدة في الجليل يعظ عن قُرب مجيء ملكوت الله، ويشفي كل مرض في الشعب. إذ كان يسوع منفرداً فوق إحدى الجبال القريبة من بحر الجليل، قضى الليل كله في الصلاة لأجل الذين اختارهم. وعند الفجر دعا تلاميذه إليه ووضع يديه عليهم وباركهم إذ أفرزهم لخدمة الإنجيل. وفي الصباح الباكر تجمع جمع غفير من كل مكان من يهود ووثنيين "إذ سمعوا كم صنع أتوا إليه". وحيث أن الشاطئ كان ضيقاً ليتسع جميع الذين أتوا لسماعه، اقتاد يسوع الجموع إلى سفح الجبل، وإذ وصل إلى بقعة واسعة يمكن لجمع كبير من الناس أن يجتمع فيها، جلس على العشب فجلس تلاميذه والجمع كذلك.

على سفح ذلك الجبل، اختار الملك بقعة هادئة يحيطها الهواء النقي، حيث جلس يُعلم حقائق تسمو بأفكار سامعيها إلى مبادئ سماوية ليس من فوق منبر عال، بل وسط ما خلق من طبيعة جميلة وسط تطلعات التلاميذ وسماعيه إلى ما سيقله. تتحدث الأسفار المقدسة عن الجبال كأماكن للعبادة واستلام إرشادات من الله. فمن قمة جبل المريا جاء أمر الله إلى إبراهيم بتقديم ابنه اسحق ذبيحة هناك. أمّا موسى، فاستلم وصايا الله العشر من فوق جبل سيناء. ومن قمة جبل الكرمل، أظهر إيليا مجد الله بنزل نار من السماء. كل هذه الجبال كانت بمثابة جسر قاربت السماء نحو الأرض، وعلى ذلك الجبل المشرف على بحيرة طبريا، جذب المسيح بتعاليمه السماء إلى الأرض وأعطى الجمع لمحات من الأبدية. علمهم كيف يكونوا ملح الأرض ونور العالم لمن حولهم، ويعتمدوا على نعمة المخلص القادرة أن تجعلهم رعايا في ملكوت السماوات.

تطلع يسوع إلى الجمع فتحن عليهم فقد كانوا كقطيع بلا راعي فسارع إلى نجدتهم. كان الجمع متشوقاً لسماع كلمات النعمة الخارجة من فم المعلم الأعظم، كانوا يتوقعون أن يؤسس يسوع ملكوته الأرضي، حيث يتسلطوا على الرومان، يأخذوا مجد وغنى الإمبراطورية العظميين. تلك كانت فرصة المسيح ليشارك مع الجموع روعة مبادئ ملكوت النعمة الذي جاء ليؤسسه. كان صيت يسوع في أوجه حيث شفى كل أنواع المرض والمرضى، غير أنه في العظة على الجبل رأى الحاجة لتعليم تلاميذه عن قُرب. نفس الحاجة والاهتمام نجدهما في أتباع يسوع اليوم وهم يقرأون كلمات ابن الله ويُطبقوها في حياتهم اليوم.

جلس يسوع ومعهم تلاميذه والجمع، ففتح فمه وابتدأ يُعلمهم. كان الله يسير بينهم وكلماته عكست ألوهية ابن الله الذي شاركهم حمل قلبه. وما ميز تلاميذه هو اهتمامهم بما قاله وسماعهم بشوق لكلماته. هل تغير الحال اليوم، وهل نصغي لكلمات المسيح في الكتاب المقدس بشوق واهتمام مثل تلاميذ المسيح؟ كما أن العظة لم تكن مجموعة قوانين دينية عليهم أن يطبقوها، بل أظهرت اهتمام الآب السماوي بنا كخطاة أعوزنا مجد الله بحاجة لمحبة وخلصه ونعمته. لقد علمنا في التطويات كيف نُصلي ونعيش نعمته ونحن نختبر بركات التشبه به، لأننا بدوننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً. لم يأت يسوع لينقذ الناموس والأنبياء، بل جاء ليكملهم. كان الجمع معتاداً على تطبيق قوانين وتقاليد من صنع القادة الدينيين. هكذا وقعت كلمات يسوع على سامعهم لتمنحهم رجاء ولادة جديدة بالمسيح. فأعطاهم سلامه بحيث لا يكون الطعام والشراب اهتمامهم الأول، لأن الله يعتني بهم كما يعتني بطيور السماء. لما انتهى يسوع من أقواله، "بهتت الجموع من كلمات الحكمة التي تكلم بها سلطان".

حيث كل كلمة نطق بها شهدت لابن الله. كانت العظة وتعاليمها لنا نحن أيضاً الذين نتوق لنراه ثانية عن قريب، وننعم بتحقيق مبادئ ملكوته في ديار المجد. هنيئاً للذين يسمعون أقواله ويعملون بها، ليكونوا أبناء وبنات رب المجد آمين.

أقسام العظة

"وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: "طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ، لِأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللَّهِ." (لوقا ٦: ٢٠)

قدّم يسوع هذه العظة على الجبل لتلاميذه وللجمع الذي أتى لسماع أقواله. وقد أدهشهم بما قاله حيث وصف صفات تلميذ الله الحقيقي. في البداية، يصف أولئك الفرحين والمباركين، الذين يحزنون على خطاياهم ويرونها على حقيقتها هم الجوع للبر. المسيحيون الحقيقيون فقط هم القادرين أن يكونوا ودعاء وصانعي السلام، رُحماء وأنقياء القلوب، مُستعدين لتحمل الهُزء والاضطهاد من أجل ما يؤمنون به.

كما أظهر المسيح في عظته التعاليم والممارسات الخاطئة التي وضعها المسؤولون الروحيين في زمانه. فيخبرنا أننا نقتل في قلوبنا عندما نبغض أخانا، ونرتكب الزنى عندما نشتهي امرأة قريبنا، وعلينا أن نُحب قريبنا كنفسنا. تُعتبر العظة على الجبل أطول ما وعظَ المسيح وعلمَ ونجدها في إنجيل متى أصحاحات ٥-٧ وإنجيل لوقا الأصحاح السادس، وقد لخصَ سيدنا يسوع فيها كيف نعيش ونخدم كأعضاء في ملكوت الله. وتمثل هذه العظة المثل العليا للحياة المسيحية، حيث علمَ المسيح فيها عن مواضيع مثل الصلاة والعدالة، الاهتمام بالفقراء وتطبيق الناموس. إلى جانب حديثه عن الطلاق والصوم وإدانة الآخرين، والخلاص والقداسة. تحتوي عظة الجبل أيضاً على التطويات والصلاة الربانية.

يُمكن فهم هذه العظة بأقسامها الثلاث: ١- "الوصايا الجديدة" متى ٥: ١-١٦ تبدأ هذه الوصايا بالتطويات العشر يليها التعليم عن الملح والنور كتحذير للمؤمن أن عليه ألا يُشارك التعليم الذي أخذه من يسوع فحسب، لكن عليه أن يعيش حياة مثالية مثل قوله "لا يُمكن أن تُخفى مدينةٌ موضوعةٌ على جبل". يُعلّمهم أن يسعوا جاهدين للحياة الفضلى لأنهم على مرأى من الجميع، وعليهم بسلوكهم ألا يكونوا حجر عثرة للآخرين.

٢- عليهم فهم الوصايا الجديدة بمفهوم العهد القديم متى ٥: ١٧ - ٦: ٢٤ حيث علمَ التلاميذ أنه قد أتى ليُكمل ويوضح الناموس لا أن ينقضه، وأن يزيد برهم عن الكتب والفريسيين مما يتطلب منهم مبادئ سامية. مثل قوله بأن عليهم ألا يقتلوا بل أيضاً ألا يغضبوا، وأن لا ينظروا بشهوة إلى امرأة غيرهم، وأن يُعطوا ويصوموا ولا يدينوا غيرهم لأننا جميعاً خطاة. وأن أهم ما يطلبونه هو ملكوت الله وبره والباقي يُزاد لهم.

٣- القسم الثالث هو التحذيرات متى ٧: ١-٢٧ عليهم أن يُعطوا أولادهم عطايا جيّدة لأن الآب السماوي يهبُ خيرات للذين يسألونه، يلي ذلك القاعدة الذهبية التي تُنادي بمعاملة الآخرين بمثل ما نُحبُّ أن نُعامل. ثم يُخبرنا الرب يسوع عن طريقين أحدهما واسع يُؤدي إلى الهلاك والآخر ضيق يقود إلى الحياة. الخيار لنا لتتبع أحد هذان الطريقان. ينتقل المسيح بعد ذلك إلى الثمار التي تعكس قوة إيماننا فيقول "من ثمارهم تعرفونهم".

يُنهي المعلم الأعظم عظته بفكرة الباني الحكيم الذي بنى بيته على صخر الدهور يسوع، يسمع كلامه ويعمل بموجبه مُقابل الباني الجاهل الذي بنى إيمانه على رمال هذا العالم فلم يصمد أمام التجارب وكان سقوطه عظيماً. في متى ٧: ٢٨ و٢٩ نجد موقف السامعين حيث نقرأ " فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بُهتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لَأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ".

هل ما زالت كلمات يسوع تُدهشك بجمالها، ولا عجب، فهي زادنا الروحي اليومي وسيف الروح الذي يخترق أعماق كياناتنا. يدعونا المسيح لكي نتبعه لأنه خالقنا الذي أحبنا وفدانا بدمه الكريم. رجاؤنا ليس في هذا العالم وكنوزه ومُغرباته، لذا دعانا يسوع لننظر إلى فوق حيث أعد لنا منازل سماوية. لقد ترك لنا مبادئ ملكوت السماوات لنكون بمعونته مواطني ملكوت المجد عن قريب. لقد حيّانا بتحية السماء ودعانا لنثق به فادياً ومُخلصاً بار وقدس له المجد والكرامة الآن ومدى أجيال الأبدية.

التطويات - ١

"طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ." (متى ٥: ٣)

تعني كلمة "طوبى" "مبارك أو سعيد". تبدأ كل تطوية بإشارة إلى سلوك أو ميول مُعَيَّنَة. الفكرة هنا في عظة المسيح تعني إدراك شيء جيد في حياة الشخص الذي يسير في الطريق القويم في أفكاره وأعماله. يقول يسوع "طوبى للمساكين بالروح". الذين يُدركون عدم قُدْرَتِهِمْ على أن يكونوا صالحين أو أبراراً بقواهم الخاصة. يُدركون افلاسهم الروحي للصالح الحقيقي أو استحقاقهم لنيل ملكوت السماوات. ما يعنيه يسوع، أنهم مُباركين لأن ملكوت السماوات هو من نصيبهم ضمناً لا بسبب استحقاقهم هم. يوضح السيّد المسيح في سياق عظته أن لا أحد يأتي إلى الآب إلا من خلال الإيمان به لمغفرة الخطايا.

هكذا، سيمتلاً ملكوت السماء بأناس متواضعين في أرواحهم من غير أن يكونوا عنيفين، يرون أنفسهم على حقيقتها خُطاة بأمس الحاجة إلى الله. "مهما يكن نوع اختبارك الماضي، ومهما تكن ظروفك الحاضرة مفسّلة فإن أتيت إلى يسوع كما أنت، ضعيف وعاجز وبائس، فهو سيلاقيك من بعيد ويُطوّفك بذراعي المحبة ويكسوك برداء برّه" (روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٤٢٨). "طُوبَى لِلْحَزَانِ، لَأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ." (متى ٥: ٤).

تقول هذه التطوية هنيئاً للحزاني. الحزاني، عادة، لا يشعرون بالسعادة، لكن يسوع يُريد من تابعيه إدراك أن الحزاني ليسوا بدون رجاء. قد يحزن الحزاني نتيجة خطاياهم الخاصة، أو خطايا شعبهم، حيث أن سامعي يسوع اختبروا الحزن والقهر تحت سلطة الرومان. كان ذلك نتيجة خطاياهم وعدم أمانتهم لله. وعظ كل من يوحنا المعمدان والمسيح عن ضرورة التوبة والحزن على خطاياهم والاعتراف بها. كثير من الحزن الذي نخبره ناتج عن كوننا نعيش في عالم الخطيئة هذا. من بين كل الحزاني، الذين يحزنون بالمسيح هم فرحين الآن، ومُتحررين من الحزن في الأبدية.

"إن قلب يسوع مفتوح لكل أحزاننا وأوجاعنا وتجاربنا. وهو سيرفع النفس فوق الأحزان والارتباكات اليومية إلى مملكة السلام." (روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٤٤٢). لنرى أنفسنا في ضوء كلمة الله ويُعوزنا مجد الله. لنحزن بحسب مشيئة الله وتوب توبة الخلاص. "طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لَأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ" (متى ٥: ٥). يُشير مفهوم الوداعة باليونانية إلى القوة المُصاحبة لضبط النفس. يستعملها العهد الجديد لوصف من كرّس قوّته لخدمة الله. "يضع المسيح الوداعة بين أولى المؤهلات لملكوته. وقد كَشَفَتْ حياته وأخلاقه عن الجمال الإلهي لهذه النعمة الثمينة" (روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٤٤٤).

ما معني الودعاء يرثون الأرض؟ الله مالك هذه الأرض، والذين يُطيعون المسيح يصيرون أبناء وبنات الله ووارثون مع المسيح. الله يسد كل احتياجاتنا فلنفرح ببركاته علينا. ميراثنا روحي حيث إننا واثقين ومواطنين ملكوت النعمة، وننتظر ملكوت المجد بعودة يسوع لنا. لنعيش بصبر ونحتمل السيئات، ونتعلّم الوداعة والتواضع من ربّ المجد. "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطَاشِ إِلَى الْبَرِّ، لَأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ" (متى ٥: ٦). يُشير اللاهوتيون إلى احتمالين لمعنى "البر" في هذه الآية. أولاً، يسوع يتكلّم عن أناس يتوقون في دعوتهم بالأبرار وهم يعملون مشيئة الله ويثقون بعُفْوان المسيح لخطاياهم. ثانياً، الذين يجوعون ليروا البرّ مُنتصراً والعدل مُنتشراً، حيث أن ملكوت السماوات سيُنهي الظلم. تنطبق هذه التطوية على المؤمنين في كل عصر إلى يومنا هذا. نحن خُطاة، لكن المسيح برّنا الذي ناله من الله كمؤمنين.

ليكن اشتياقنا ليس لبرّنا الذاتي فهو كُتُوب عَدَة، لكن إلى برّ المسيح. "لا حاجة بنا أن نحاول إطفاء ظمئنا من البنايع الضحلة، لأن النبع العظيم فوقنا ويمكننا أن نشرب بكل حُرِيّة من مياهه الغزيرة إذا كنّا نرتفع قليلاً صاعدين في طريق الإيمان" (روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٤٥٠). لِيَقْوِي الرَّبُّ شَهِيدَنَا الرُّوحِيَّةَ لنصير مثل المسيح، ونعكس صفاته في حياتنا. سيعود البار يسوع عن قريب، ليجمع مُتَّقِيهِ من كل عصر ومكان، ليعيشوا معه كأبرار مدى أجيال الأبدية السعيدة. هنيئاً لنا في مسيرتنا الرُّوحِيَّةَ مَعَهُ اليوم وكل يوم.

التطويات - ٢

"طُوبَى لِلرَّحَمَاءِ، لَأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ." (متى ٥: ٧)

يُصِفُ يسوع في هذه التطوية الخامسة الرُّحَمَاءَ إلى قائمة مَنْ يروا أنفسهم مُبَارَكِينَ. إن صِفَةَ اللَّهِ أَبِي المَرَّاحِمِ هِيَ أَنَّهُ يُظْهِرُ رَحْمَتَهُ لِلرُّحَمَاءِ الَّذِينَ نَالُوا مِنْهُ الرَّحْمَةَ وَيُظْهِرُهَا نَحْوَ الْآخَرِينَ، الَّذِينَ هُمْ رُحَمَاءُ الْآنَ، سِينَالُونَ الرَّحْمَةَ مِنْ مَلِكِ السَّمَاءِ عِنْدَمَا يَأْخُذُ الْعَرْشَ. الرَّحْمَةُ هِيَ تَقْدِيمُ الْعَوْنِ لِمَنْ هُمْ فِي ضَيْقٍ، وَتَلْبِيَةُ احتِياجاتِهِمْ ومَسَامِحَةٌ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا. أَظْهَرَ اللَّهُ رَحْمَتَهُ لَنَا إِذْ بَمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا، فَهُوَ أَيْضاً كَاهِنُنَا الرَّحِيمِ الَّذِي يَرِثِي لضعفَاتِنَا. وَعَدَ الرَّحْمَةَ يَشْمُلُ حَاجَاتِنَا الجَسَدِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ وَالْمَالِيَّةَ أَيْضاً إِذْ نَكُونُ قَنَوَاتٍ نَنْقُلُ رَحْمَتَهُ لِلْآخَرِينَ.

لكي نَنُمُو فِي عَمَلِ الرَّحْمَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَرَى أَنْفُسَنَا خُطَاةَ مُذْنِبِينَ وَلَا نَدِينَ غَيْرَنَا بَلْ نُحِبُّهُمْ. "يُوجَدُ سَلامٌ عَذِبٌ تَتَمَتَّعُ بِهِ الرُّوحُ الرَّحِيمَةُ، وَشَبَّحَ مَبَارَكَ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي تَنْسَى نَفْسَهَا فِي خِدْمَةِ الْآخَرِينَ وَلِخَيْرِهِمْ". (رُوحُ النُّبُوَّةِ، الْمُعَلِّمُ الأعْظَمُ، صَفْحَةُ ٤٥٣). تَبْدَأُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعْمَلُ فِي حَيَاتِنَا عِنْدَمَا نُؤَلِّدُ مِنْ جَدِيدٍ وَنَعِيشُ لِمَجْدِهِ.

"طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لَأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" متى ٥: ٨ يُرَكِّزُ يسوع عَلَى قُلُوبِ سَامِعِيهِ، بَدَلًا مِنْ حِفْظِ شَكْلِيَّاتِ النَامُوسِ. الْمُهْمُ فِي الْأَمْرِ هُوَ الْحُبُّ الْحَقِيقِيُّ لِلَّهِ، لِذَا فَأَنْقِيَاءُ الْقُلُوبِ هُمُ الَّذِينَ يُرَكِّزُونَ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ. يَعِدُ يسوع الدَّاخِلِينَ لِلْمَلَكُوتِ، أَنَّهُ عِنْدَ وُصُولِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَالَّذِينَ هُمْ أَنْقِيَاءُ فِي تَكْرِيسِهِمْ لَهُ سَيَرَوْنَ اللَّهَ. تَبْقَى الْحَقِيقَةُ أَنَّ الَّذِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ قَدْ أَعْطَوْا قَلْبًا نَقِيًّا كَهَبَةِ مَجَانِّيَّةٍ لِنِعْمَةِ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ وَقَدْ لَبَسُوا بِرَّ الْمَسِيحِ بِالْإِيمَانِ أَيْضاً، وَاسْتَبَدَلُوا الْقُلُوبَ الصَّخْرِيَّ الْخَاطِئَ بِقَلْبٍ نَقِيٍّ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ لِبَرِّ فَعَلْنَاهُ، بَلْ مَا قَامَ بِهِ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا بِمَوْتِهِ الْكَفَّارِيِّ وَقِيَامَتِهِ الْمَجِيدَةِ. يُصْبِحُ الْقَلْبُ نَقِيًّا مِنْ خِلَالِ عَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ فِي حَيَاتِنَا حَيْثُ نَرْتَبِطُ بِاللَّهِ بِعَلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ. يَا لِسَعَادَتِنَا نَحْنُ الَّذِينَ تَطَهَّرْنَا مِنَ الدَّاخِلِ بِرُوحِ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، وَقَدْ رَأَيْنَا اللَّهَ فَعَلًا فِي وَجْهِ الْمَحْبُوبِ يسوع. "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لَأَنَّهُمْ أُنْشَأَ اللَّهُ يُدْعَوْنَ" (متى ٥: ٩). السَّعْيُ نَحْوَ السَّلَامِ وَتَصَالُحُ فَرِيقَيْنِ مُتَحَارِبَيْنِ هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ صَانِعُ السَّلَامِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا جَوْهَرُ رِسَالَةِ الْمَسِيحِ الَّذِي صَنَعَ سَلَامًا بَيْنَ اللَّهِ وَالَّذِينَ قَبِلُوهُ بِالْإِيمَانِ. أَوْضَحَ الرَّسُولُ بُولُسُ فِكْرَةَ كَيْفَ يَكُونُ الْمَسِيحُ سَلَامَنَا فِي أَفْسَسَ ٢: ١٤ وَ ١٧ "لَأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطَ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلَامٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ".

صَالِحُنَا يسوع بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، لِذَا كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَى اللَّهِ مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ وَالصَّلِيبِ يَجِدُ أَنْ لَهُ سَلَامًا مَعَ اللَّهِ. صَانِعُو السَّلَامِ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتُوا بِالْمُصَالِحَةِ لِعَالَمٍ خَاطِئٍ سَعِيهِمْ مِنْ خِلَالِ إِيْمَانِهِمْ بِالْمَسِيحِ لِيُصَالِحُوا الْخُطَاةَ، وَيُعِيدُوا لَهُمُ السَّلَامَ الْحَقِيقِيَّ مَعَ اللَّهِ. صَدَقَ مَنْ قَالَ "سَلَامِي أَتْرُكُ لَكُمْ، سَلَامِي أُعْطِيكُمْ". أَعَانَا اللَّهُ لِنَكُونَ سُفْرَاءَ سَلَامٍ لَهُ فِي عَالَمٍ مَلِيءٍ بِالْحُرُوبِ مِنْ خِلَالِ خِدْمَةِ الْمُصَالِحَةِ بِالْمَسِيحِ رَبَّنَا.

"طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (متى ٥: ١٠). رَغْمَ أَنَّ الطُوبَى تَعْنِي الْفَرَحَ، لَكِنْ هُنَا بَعْضُ النَّاسِ يَشْعُرُونَ بِالْأَسَى نَتِيجَةً ظُرُوفَ مَرُوءٍ بِهَا مِنْ طَرْدٍ وَتَعْيِيرٍ وَاضْطِهَادٍ. يَقُولُ يسوع إِنَّ الْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ سَعْدَاءُ وَجُزءٌ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. عَمِلُوا مَا هُوَ صَحِيحٌ وَاخْتَارُوا طَرِيقَ يسوع الضَّيِّقِ عَنْ طَرِيقِ أَكْرَامِهِ فَوْقَ الْكُلِّ، لِذَا وَاجِهُوا التَّعْيِيرَ وَالطَّرْدَ وَالْكَرَاهِيَّةَ نَتِيجَةً وَلَهُمْ لِلْمَسِيحِ. وَقَفَ اسْتِفَانُوسُ أَوَّلُ شَهِيدٍ فِي الْمَسِيحِيَّةِ شَاهِدًا لِلْمَسِيحِ وَمَا قَالَهُ وَرَأَاهُ أَنْارَ قَلْبٍ شَاوِلٍ الَّذِي أَصْبَحَ بُولُسُ وَرَبَّحَ كَثِيرِينَ لِلْمَسِيحِ.

"افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لِأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ". إِذَا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا الْمَسِيحَ نَتِيجَةً كَرَاهِيَّتِهِمْ لَهُ، وَالتَّلْمِيزِ لَيْسَ أَعْظَمُ مِنْ مُعَلِّمِهِ. هُنَيْئًا لَنَا لِأَنَّ مَسِيحَنَا الْحَيَّ مِثَالَنَا الْكَامِلَ وَعَدَنَا بِمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَنْ قَرِيبٍ، لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ أَبَدَ الدَّهْرِ.

فليضي نوركم

"فَلْيُضِيْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكِي يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ." (متى ٥: ١٦)

يدعونا الرسول بولس "لنكون بلا لوم وبُسطاء أولاد الله بلا عيب في وَسَطِ جِيلٍ مَعَوَّجٍ وملتو لنكون كأَنوار في العالم". (فيلبي ٢: ١٥). ولأنَّكم كأَنوار تَمَسَّكُوا بِسِرَاجِ نور كلمة الحياة. يُضِيْفُ الرسول بَطْرُسُ تَحَدَّ آخر أَمَامَنَا "لنُخْبِرَ بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَانَا مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. (١ بطرس ٢: ٩). دَعَانَا مَسِيحُنَا الْمُبَارَكُ قَائِلًا "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ". فَمَا لَمْ نَعِشْ وَنُضِيءِ بِنُورِ الْمَسِيحِ، يُصْبِحُ النُّورُ عَدِيمُ الْفَائِدَةِ تَحْتَ الْمِكْيَالِ. هُنَا يَنْصَحُنَا الرَّبُّ أَنْ نَرْفَعَهُ عَالِيًا عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ.

يُقَدِّمُ الرَّبُّ نَفْسَ الْفِكْرَةِ ثَانِيَةً فَيَقُولُ "فليضي نوركم". ينطلق كون المسيحي نور العالم وملح الأرض من مفاهيم ثلاث: ١- دُعُ كَلِمَاتِ الْمَسِيحِ تَعِيشُ مَعْنَاهَا فِي حَيَاتِكَ، فَالْمِلْحُ عَمَلُهُ أَنْ يَكُونَ مِلْحًا وَصِفَتُهُ الْأَسَاسِيَّةُ هِيَ الْمُلُوحَةُ، كَمَا أَنَّ مِيزَةَ النُّورِ هِيَ الْإِضَاءَةُ. هَلْ تَمَسَّكُ بِهَذَا التفسير البسيط أم ننسى الصفات الأساسية للملح والنور؟ يوضح يسوع أَنَّ قِيَمَةَ السِّرَاجِ هِيَ فِي إِضَاءَتِهِ لِمَنْ هُمْ فِي الْبَيْتِ. فَتَعْرِيفُ الْمَسِيحِ لِلْمَسِيحِيِّ كَوْنُهُ نُورٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأَسَاسُ وَلَا تَعْرِيفَ آخَرَ لَهُ. ٢- عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِثْلَ مَدِينَةٍ مَوْضُوعَةٍ عَلَى جَبَلٍ أَيْ إِنَّ الْمَسِيحِيَّ الْحَقِيقِيَّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُخْفَى، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرِينَ وَاضِحٌ. مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ كَيْفَ نَتَوَقَّعُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يُوقِدَ سِرَاجًا، ثُمَّ يُخْفِي نُورَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ. إِذَا كَانَ الْقَصْدُ أَنْ يُنِيرَ، كَيْفَ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُخْفِي نُورَ الْمَسِيحِ فِي حَيَاتِهِ، وَيَحْجَبَ النُّورَ عَنِ السِّرَاجِ؟ يَقُولُ الْمَسِيحُ لَنَا "أَنَا خَلَقْتُكُمْ لِتَكُونُوا نُورًا مِثْلَ مَدِينَةٍ مَوْضُوعَةٍ عَلَى جَبَلٍ ظَاهِرَةً لِلْجَمِيعِ فَهَلْ تُحَاوِلُوا طَمَسَ مَعَالِمِ هَذَا النُّورِ؟".

٣- إِنَّ مُحَاوَلَةَ إِخْفَاءِ النُّورِ عَمَلًا يُوصِلُ إِلَى نَتِيجَةٍ عَقِيمَةٍ. فَعِنْدَمَا يَفْقِدُ الْمِلْحُ مُلُوحَتَهُ لَا يَصْلُحُ لَشَيْءٍ وَلَا فَائِدَةٍ مِنْهُ. فَالزَّهْرَةُ فِي جَمَالِهَا وَعَبِيرُ شَذَاهَا تَفُوحُ جَمَالًا لِمَنْ يَرَاهَا، لَكِنْ عِنْدَمَا تَذْبَلُ وَتَمُوتُ، تُصْبِحُ عَدِيمَةُ الْفَائِدَةِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ سَمَادًا لِلتُّرْبَةِ. وَكَمَا الْمِلْحُ هَكَذَا النُّورُ، فَخَاصِيَّتُهُ الْإِنَارَةُ وَإِذَا فَقَدَ هَذِهِ الْخَاصِيَّةَ فَقَدْ قِيمَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ. إِنَّ وَاقِعَ الْكَثِيرِينَ الْيَوْمِ يُمَثِّلُ هَذِهِ الصُّورَةَ، وَلَا عَجَبَ أَنْ وَصَفَهُمُ الرَّسُولُ بُولُسُ "لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ قُوَّتَهَا".

مِثْلُ الْمِلْحِ الَّذِي فَقَدَ مُلُوحَتَهُ أَوِ النُّورِ الَّذِي فَقَدَ ضِيَاءَهُ. مِثْلُ هَذَا الْوَاقِعِ يَضَعُ أَصْحَابَهُ فِي صِرَاعٍ هَائِلٍ بَيْنَ مَطَالِبِ اللَّهِ وَعَادَاتِ الْعَالَمِ، فَهُمْ لَيْسُوا فِي الْعَالَمِ تَمَامًا، وَلَيْسُوا مَعَ اللَّهِ بِالْكَامِلِ. أُنْتَجَتِ الْكَنِيسَةُ عَبْرَ الْعُصُورِ رِجَالًا وَنِسَاءً عَظْمَاءَ قَدِيسُونَ عَاشُوا النُّورَ وَشَارَكُوا نُورَ مَحَبَّتِهِ مَعَ الْآخَرِينَ. الْمَسِيحِيُّ إِذَا مُمَيِّزًا ظَاهِرًا لِلْعَيَانِ لَا يُخْفِي حَقِيقَةَ كَوْنِهِ مَسِيحِيًّا، لِأَنَّ سَبَبَ كَوْنِهِ مَسِيحِيًّا يَكْمُنُ فِي نُورِهِ، وَلَيْسَ فِي اخْفَائِهِ بِالْمِكْيَالِ.

عِشْ عَزِيزِي نُورُكَ مَهْمَا تَكُنِ الْأَسْبَابُ الْمُوجِبَةُ عَكْسَ ذَلِكَ. نَصِلُ الْآنَ إِلَى السُّؤَالِ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَضْمَنَ أَنَا مِلْحُ الْأَرْضِ وَنُورُ الْعَالَمِ؟ يَتَحَدَّثُ الْمَسِيحُ عَنْ اسْتِحَالَةِ إِعَادَةِ الْمُلُوحَةِ إِلَى الْمِلْحِ مَتَى فَقَدَ مُلُوحَتَهُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلنُّورِ، فَنَحْتَاجُ إِلَى الرِّيتِ وَالْفَتِيلَةِ مَعًا لِإِعْطَاءِ النُّورِ. يُوضِحُ مِثْلُ الْعِشْرِ الْعَذَارَى ضَرُورَةَ الرِّيتِ، إِذْ بَدُونِهِ لَا تَكُونُ الْأَنْوَارُ. نَحْنُ نُورُ الْعِلْمِ عِنْدَمَا نَسْتَمِدُّ النُّورَ مِنْ شَمْسِ الْبَرِّ الْمَسِيحِ. هَلْ أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ حُصُولِي عَلَى الرِّيتِ - الْحَيَاةِ الَّتِي بِإِمْكَانِ الرُّوحِ الْقُدُسِ أَنْ يَمْنَحَنِي إِيَّاهَا؟ أَمَّا الْفَتِيلَةُ الْعَنْصَرُ الثَّانِي فِي الْإِضَاءَةِ، فَقَدْ قَلَّ اسْتِعْمَالُهَا بِشَكْلٍ كَبِيرٍ مَعَ وُجُودِ الْكَهْرِبَاءِ، لَكِنْ فِي وَقْتِ الْأَزْمَاتِ نَجِدُ التَّهَافُتَ عَلَى شَرَائِهَا كَبِيرًا. كُلَّمَا بَدَى دُخَانُهَا وَاضِحًا، تَدْعُو الْحَاجَةَ إِلَى قِصِّهَا وَتَعْدِيلِهَا. هَكَذَا الْمَسِيحِيُّ بِحَاجَةِ لَتَذْكِيرِ نَفْسِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَتَكْرِيسِ حَيَاتِهِ بِكَامِلِهَا لِلَّهِ فِي أَوَّلَى لِحَظَاتِ الْيَوْمِ، كِي يَعِيشَ مَسِيحِيَّةً بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ. كَمَا أَنَّ يَسُوعَ نُورُ الْعِلْمِ، لِيُعْطِنَا أَنْ نَحْسِبَ بِنُورِهِ يُضِيءُ جَنَبَاتِ ظُلْمَةِ قُلُوبِنَا، لِكِي يَتِمَّجِدَ فِي حَيَاتِنَا وَحَيَاةِ أَهْبَاءِهِ، الَّذِينَ قَبَلُوهُ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا لَهُمْ، مَعَ بَرَكَاتِ رَبِّ الْمَجْدِ مَعَكُمْ.

الباني الحكيم

"فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أَشْبَهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ."

(متى ٧: ٢٤)

يصل يسوع بالعظة على الجبل إلى نهايتها عن طريق توضيح الفرق بين الأنبياء الحقيقيين وأتباعه المزيفين الذين يعملون أعمالاً عظيمة باسمه. ويُركِّز على أنَّ البرَّ الحقيقيَّ يبدأ بالقلب ويلاحظه الله وحده. بهذه الطريقة يُصبح تعبيراً عن الإيمان الحقيقيِّ بكلمة الله. يرسم يسوع صورةً كلاميةً ليُري الفرقَ بين الذين يعملون بموجب تعاليمه، والذين يستمرون في السير بموجب تعاليم الأنبياء الكذبة. ويقول المسيح إنَّ العيشَ بموجب تعاليمه يُشبه رجلاً بنى بيته على أساس صخري، والذي أثبتَ صموده أمام العواصف مُقارنةً بالباني الجاهل الذي بنى بيته على الرَّمْل، فانهارَ أمام عواصف الحياة وتجاربها. يُوضِّحُ البشير لوقا هذه الصورة فيقول "كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلَامِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبَهُ. يُشْبَهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا، وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الْأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُرْغَزَعَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلَا يَعْمَلُ، فَيُشْبَهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دُونِ أُسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالًا، وَكَانَ خَرَابٌ ذَلِكَ الْبَيْتَ عَظِيمًا!" (لوقا ٦: ٤٧-٤٩).

الباني الحكيم هو الَّذِي يَسْمَعُ الكلمةَ ويعملُ بموجبها، وينمو بقوة مُعطيها ليكونَ أحدَ رعايا ملكوت النعمة الَّذي أرسى دعائمه مُخلِّصنا يسوع. وهذا الباني الحكيم يبني أُسَاسَ بيته على الصَّخر كي يصمُدَ أمام العواصف والأمطار، ويبقى راسخاً أمام عوامل الطبيعة، لأنَّه تأسَّسَ على الصَّخر. الباني الجاهل هو الَّذِي يَسْمَعُ الكلمةَ لكنَّ غُرورَ العالم ومسرَّاته تسلب الكلمةَ من قلبه، فتعصفُ به التجارب ويسقطُ صريعاً بعد أن خسرَ اعتماده على الله، وصدَّتْ توسُّلاتُ روحه القدوس. أي نوعٍ من البناء الروحي تبنيه لحياتك اليوم؟

وصَفَ النبي حزقيال الناس في زمانه حيث قلبهم ذاهب وراء مكسبهم، يسعون للحصول على أوفر قسطٍ من أمور العالم. وحيث أننا لا نقدر أن نخدم سيِّدين: الله والمال، يذهب المال وما يُشير إليه من غنى زائل على هذه الأرض، ويبقى الله خالقنا وفادي نفوسنا خير ضامنٍ لهذه الحياة والحياة الأبدية. فهل سنُصغي لكلمته المُحيية، ونعمل بموجب مبادئها السماوية؟

هناك غايتان من سماعنا لكلمة الله. ١- أولاً لنرى قُصورنا ونرجع إلى الرَّبِّ لنجد هدف حياتنا السَّامي، لتنتعش قلوبنا فنزداد حُبًّا لِمَنْ فداننا. لا تُسجِّل الملائكة كم خدمة عبادة حضرناها، أو كم ساعة صرفناها في قراءة كلمة الله، بل نوعية التأثيرات التي تنطبع في عقولنا، حسنة كانت أم رديئة، وكيف نسلِك تجاهها. إذا كان اختصاصي القلب مُصاب بهذا المرض، ولم يستطع أن يُعالج نفسه، فكيف يكسب ثقة الآخرين به. تبقى الحقيقة أنَّه إذا أردنا الاستفادة مما نقرأه أو نسمعه من كلمة الله، علينا الخضوع لمطالبها، والعمل بها في حياتنا.

٢- غاية أخرى من سماع كلمة الله هي نوال البركة ممَّن هو الكلمة. تأتي البركة نتيجة الطاعة والعمل بما يقوله مسيحننا الحيِّ. ولا عَجَبَ أَنْ قال يسوع "ليس كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ مَنْ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". (متى ٧: ٢١). قدَّمَ المسيح نفسه بالتمام كي يفتدينا، فهل يرضى مِنَّا بِإِصْلَاحِ جُزْئِي أو ولاء مُنْقَسِم؟ وهل نُكرِّس له من فَضَلَاتِ وقتنا وأموالنا؟ كُنْ عزيزي بان حكيم عاملاً بموجب ما تسمعه من كلمة الله. ستنتعش هذه الكلمة قلبك وتُجدد حياتك لتنال بركة القدير في كُلِّ شيء. كَرِّسْ نفسك بالتمام لمجده.

تلذَّذْ بِالرَّبِّ وَكُنْ آمِيناً لَهُ فِي الْقَلِيلِ كِي يُقِيمَكَ عَلَى الْكَثِيرِ فِي فِرْدُوسِ النِّعَمِ عَنْ قَرِيبٍ. ليكن ما نبنيه ذا تأثير عظيم لحياتنا الروحية لمجد مَنْ أَحَبَّنَا ومات من أجلنا يسوع، وخلص كثيرين لملكوت المجد حيث نسمع ترحيب يسوع بنا قائلاً: "أهلاً بك إلى فرح سيِّدك أنت وأهل بيتك".

تأثير عظة الجبل على حياتي

"السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَرْوُلَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَرْوُلُ." (متى ٢٤: ٣٥)

أكد يسوع في عظته على الجبل أنه جاء لكي يكمل الناموس والأنبياء، ثم قال كلمة الحق "إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (متى ٥: ١٨). كلمة الله باقية إلى الأبد، لأنه الكلمة الأزلية، الذي تجسد في شبه إنسان وصار واحداً منا. إن كل جزء من كلمة الله متأصل في شخص وعمل الرب يسوع - ابن الله فادينا.

صحيح أن السماء والأرض ستزولان عن قريب، ويؤكد هذه الحقيقة الرسول بطرس في رسالته الثانية ٢: ٧ "وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ الْكَائِنَتَانِ الْآنَ، فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنَهَا، مَحْفُوظَةٌ لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلَاكِ النَّاسِ الْفَجَّارِ". سيصنع الرب سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر، كما أكد يسوع الجالس على العرش الصادق والأمين ذلك في سفر الرؤيا. تعتبر عظة يسوع على الجبل أعظم عظة قُدمت عبر التاريخ، وجاء فيها أشهر آيات تم التركيز عليها في الكتاب المقدس. رغم مرور ما يزيد عن ألفي سنة منذ أن سمعها تلاميذ المسيح، يأتي سؤال هام وهو: "هل تنطبق مبادئ وتعاليم وأخلاقيات هذه العظة على حياتي اليوم؟". تأثر كثيرون بكلمات يسوع في هذه العظة من غير المسيحيين مثل غاندي وغيره حتى بعض الملحدِين، وقد أبدى غاندي إعجابه بالمسيح وتعاليمه بينما انتقد تطبيق المسيحيين لها.

بينما "توماس جيفرسون" - رئيس أمريكي سابق - رأى في هذه العظة أعظم مقياس من المثل العليا قُدم للبشرية. يقول دكتور "لويد جونز" لاهوتي كبير ومؤلف كتاب عن العظة على الجبل "لو أن أحداً قرأ العظة على الجبل بعقل مفتوح لجثا على رُكبتيه صارخاً "أقذني يا الله من العظة على الجبل".

في النص لهذه العظة في انجيل متى اصحاح ٥-٧ نجد التركيز الأول في التطويبات على ما نحن عليه مُقابل ما نقوم به من أعمال، كما يتكلم المسيح عن علاقته بالناموس، وعلاقتنا بالله وإخوتنا وأخواتنا في الإنسانية، أمام أنظار وأسماع العالم. تُرينا العظة على الجبل كيف نعيش حياة مُكرسة مليئة بالمحبة والنعمة والحكمة والفطنة لإرضاء الله. أكرم المسيح الزواج وأدان الزنى، حتى بنظرة الشهوة للمرأة، وتأثير ذلك على مصير الشخص الروحي. كما غير مفهوم الانتقام في زمانه الذي نادى "عين بعين وسن بسن". بمفهوم آخر يقول "لا تقاوموا الشر وسر الميل الثاني أي سامح واغفر وأحب حتى الأعداء". تُذكرنا العظة على الجبل أيضاً بالعطاء في الخفاء، بحيث لا تعرف شمالك ما أعطت يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء وأبوك السماوي يُجازيك علانية. كما علمنا يسوع كيف نُصلي وأعطانا مثالا رائعا من الصلاة بكلمات رب المجد المسيح سُميت بالصلاة الربانية. ما ميّز هذه العظة، كان التركيز على الكنز السماوي، حيث الذهب والفضة على الأرض ينالها الصدأ، لذلك لا يمكن للمال أن يكون لنا صنماً.

الكنز السماوي هو أبدِي، بينما الأرضي معرض للنهب والسرقة. فلا نفقد ثقتنا بمحبة ورعاية الآب السماوي الذي يود أن يُعطينا عطايا صالحة أكثر مما يُعطي الآب الأرضي صغاره. المهم في الأمر، هو طلب ملكوت الله وبره، والأمور الباقية تُزاد لنا. يدعونا يسوع إلى مراقبة ما تراه أعيننا حيث أن "سراج الجسد هو العين". فليكن ما نراه ونملاً به عقولنا دوماً لمجد نور العالم وشمس البر المسيح. صلاتي لك قارئ العزيز أن تعيش مبادئ وأخلاقيات ما علم به مسيحنا المبارك، كي تعيش الإنجيل في حياتك، ومن يدري، فقد تكون أنت الإنجيل الوحيد في حياة شخص تقابله على درب هذه الحياة.

إذ تكلم روح الله لحياتك في كلمات يسوع، فهل ستكون كلماته زادك الروحي اليومي، وتحقق رغبة الفادي في أن تكون مواطناً في ملكوت المجد عن قريب. نعماً لك أيها العبد الصالح والأمين.

حقائق عن الأمثال

"هَذَا كُلُّهُ كَلَّمَ بِهِ يَسُوعُ الْجُمُوعَ بِأَمْثَالٍ، وَبَدُونَ مِثْلَ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ." (متى ١٣: ٣٤)

تُشَكِّلُ أمثال يسوع ثلث تعاليمه المُدَوَّنة في كلمة الله، وتُعتبر جزءاً هاماً من الأناجيل، مثل إنجيل متى ومرقس ولوقا. استطاع المسيح بحكمته أن يُبسِّطَ حقائق روحية هامة أراد أن يُشاركها مع الناس على شكل قصص يسهل فهمها. فالمثل إذاً هو قصة أمر بسيط، عامي وشائع، يوضح درساً أخلاقياً ذات عمق روحي. ومصدر الكلمة "مَثَلٌ" هي وضع شيئين جنباً إلى جنب بقصد المقارنة.

يبدأ كتاب الإنجيل المثل أحياناً بهذه الكلمات "يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَثَرًا مُخْفًى فِي حَقْلٍ، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمَنْ فَرَحَهُ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ" (متى ١٣: ٤٤). وقد يستخدم يسوع المثل ليُقدِّم مثلاً من واقع الحياة يوضح حقيقة روحية، مثل ما ورد في مثل "السامري الصالح" ليركِّز على الرحمة والمحبة، أو مثل الصديق الذي جاءه ضيف في مُنتصف الليل ليُرينا الإلحاح في الصلاة.

بعد أن كَلَّمَ يسوع الجُمُوعَ بِمِثْلِ الزَّارِعِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ وَسَأَلُوهُ "لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ؟" فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: "لأنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا لِأُولَئِكَ فَلَمْ يُعْطَ" وأكد لهم السبب في ذلك فقال "مِنْ أَجْلِ هَذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ، لِأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لَا يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ".

هكذا تَمَّتْ فِيهِمْ نبوءة إشعياء النبي ٨: ١٠-١٠ "تَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُونَ، وَبُصِيرِينَ تُبْصِرُونَ وَلَا تَنْظُرُونَ. لِأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلَطَ، وَأَذَانُهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعًا. وَعَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِكَيْ لَا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِأَذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ". (متى ١٣: ١٠: ١٤). أوصى الله نبيه إشعياء بِحَمْلِ رسالته إلى الشعب بِمُضمونها لكنهم لم يفهموها. طَبَّقَ يسوع هذه النبوءة على مُعاصريه، الذين سمعوا تعاليمه ورأوا معجزاته ولم يؤمنوا.

كان جواب يسوع- أَنَّهُ يُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ حَتَّى لَا تَفْهَمَ الْجُمُوعُ مَعْنَى المثل بالكامل- غريباً لِعُقُولِ تلاميذه. في الوقت ذاته، علَّم يسوع الكثير من المبادئ المسيحية في عظته على الجبل، إلى جانب علامات المنتهى ومجيئه الثاني على سحاب المجد. كانت هذه القصص وسيلة للتعليم، وفي الوقت ذاته، حجبت عن سامعيه فهماً كاملاً لأسرار ملكوت السماوات. أُعْطِيَ للتلاميذ أن يفهموا الأمثال، بينما لم تستطع غالبية الشعب فهمها نظراً لعصيانهم وعنادهم وعدم رغبتهم في الإيمان بالمسيح، مما أعمى أبصارهم وعقولهم عن سماع الحق.

الأمثال هي قصص قصيرة أو إيضاحات القصد منها إظهار حقائق أكبر، واستعملها يسوع أيضاً لوصف ملكوت السماوات. كانت الأمثال أحياناً صعبة على التلاميذ لكن يسوع شرحها لهم بناء على طلبهم كما كان الحال في مثل الزارع. علَّق اللاهوتيون عن كَوْن الأمثال تبدو بسيطة، لكنها تُعْطِي رسائل عميقة ومركزة في تعاليم السيد المسيح. كثيراً من هذه الأمثال تغطي أموراً حياتية بسيطة مثل امرأة تضع خميرة في الطحين لتعمل الخبز أو مسافر تعرّض للضرب والسرقة في طريقه بين أريحا والقدس، لكنها تتعامل مع مواضيع دينية هامة مثل: نُمُو ملكوت الله، أهمية الصلاة ومعنى المحبة.

لقد أعطى المسيح تلاميذه عطية التمييز الروحي التي بها تتضح لهم الأمور الروحية. ولأنهم قبلوا الحق من المسيح، فقد أُعْطِيَ لهم المزيد من الحق. وهذا ينطبق اليوم أيضاً على المؤمنين الذين أعطوا عطية الروح القدس الذي يرشدنا إلى كل الحق (يوحنا ١٦: ١٣). لقد فَتَحَ أعيننا لنور الحق وأدانا لكلام الحياة الأبدية. ربّي، أعني كي أفهم رسالتك لي والحق الحاضر لهذه الأيام الأخيرة كي أكون في ملكوت المجد معك عن قريب، وتكون حياتي نوراً يُضيء درب التائبين في ظلمة هذه الحياة. افتح عيني كي أرى بنورك شمس البر يسوع، وأعيش لمجده حياتي بنعمتك فاديّ القدوس. آمين.

مَثَلُ الزَّارِعِ

"فَكَلَّمَهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ قَائِلًا: "هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ." (متى ١٣: ٣)

نجد مَثَلُ الزَّارِعِ يتكرر في انجيل متى ومُرقس ولوقا، ولأنَّ له أهمية خاصة، أراد الله أن يُعلِّمنا دروساً روحية عميقة من هذا المَثَل. اجتمع جمعٌ غفير من كُلِّ مدينة بجانب بحر الجليل ليرى يسوع ويسمعه منهُ المرضى والباطسين. وإذ زاد عدد الناس، طلبَ يسوع من تلاميذه أن يبعدوا عن البرِّ وجعلَ يُخاطبُ الجموع على الشاطئ فقال "خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زرعهُ، وفيما هو يزرع سقطَ بعضٌ على الطريق، فانداس وأكلته طيور السماء. وسقطَ آخرٌ على الصخر، فلما نبتَ جَفَّ لآثِه لم تكن له رطوبة. وسقطَ آخرٌ في وَسْطِ الشُّوكِ وَخَنَقَهُ. وسقطَ آخرٌ في الأرضِ الصَّالِحَةِ، فلما نبتَ صَنَعَ ثَمَراً مئة ضعفٍ" من له أذنان للسمع فليسمع" (لوقا ٨: ٤-٨). يتحدث هذه المَثَل عن سماع الكلمة وإدراك الخيارات المتاحة.

بعد أن سأل التلاميذ عن معنى المَثَل، شرَحَ لَهُم يسوع معنى مَثَلُ الزَّارِعِ كما يلي " وَهَذَا هُوَ الْمَثَلُ: الزَّرْعُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، ثُمَّ يَأْتِي إبْلِيسُ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِئَلَّا يُؤْمِنُوا فَيَخْلُصُوا. الَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمُ الَّذِينَ مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ بَفَرَحٍ، وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ، فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ، وَفِي وَقْتِ التَّجَرِبَةِ يَزْدُون. وَالَّذِي سَقَطَ بَيْنَ الشُّوكِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ فَيَخْتَنِقُونَ مِنْ هُمُومِ الْحَيَاةِ وَغَنَاهَا وَلَذَّاتِهَا، وَلَا يُنْضِجُونَ ثَمَراً. وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ، هُوَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ، وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ" (لوقا ٨: ١١-١٥).

الزَّارِعُ الزَّرْعُ الْجَيِّدُ هو ابن الإنسان. فالمسيح قد أتى لا كملك بل كزارع. لقد تركَ المدينة السماوية وعبادة الملائكة، وجاء لأرض تسودها الخطيئة حيث السارقون والمجرمون. خاطَرَ بحياته كي يزرع البذار. تركَ المجد الذي كان له قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ، وعاش فقيراً حياة كَدٍ حيث امتهن لمدة ١٨ عاماً مهنة النجارة كي يعولَ أمه وأفراد العائلة. خَرَجَ مُنفَرِداً لِيَزْرَعَ بِالذُّمُوعِ، وليروي بدمه بذار الحياة للعالم الهالك. تَصَفُّ كَاتِبَةً مُلْهِمَةً عَمَلَ الْمَسِيحِ كزارع فنقول "لقد جاء المسيح ليزرع كلمة الحق في العالم. أتى من عالمٍ أسمى ليزرع بذار الحق. ينطبق مَثَلُ الزَّارِعِ على خدمة المسيح الشخصية والعَمَلِ الذي ثَبَّتَهُ بِكَيْفِيَّةٍ خَاصَّةٍ" (روح النبوة، المُعَلِّمُ الأعظم، صفحة ٢٥-٢٦).

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْبَذَارُ. لنتذكر أن كلمة الله "حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وتدوم إلى الأبد". هكذا نحن عندما ننضم للمسيح بغرس بذار الإنجيل مُعْتَمِدِينَ عَلَى أَقْوَالِ الْمَسِيحِ فِي كَلِمَتِهِ الَّتِي تُجَدِّدُ النَّفْسَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. ماذا عن التربة؟ هناك ٤ أنواع من التربة في هذا المَثَل. "إِنَّ الزَّرْعَ الْمَزْرُوعَ عَلَى الطَّرِيقِ يُمَثِّلُ وَيُصَوِّرُ كَلِمَةَ اللَّهِ إِذْ تَسْقُطُ عَلَى قَلْبِ إِنْسَانٍ غَيْرِ مُنْتَبِهٍ إِلَى مَا يَسْمَعُ مَشْغُولاً بِمَسَرَّاتِ الْعَالَمِ، لِذَا لَا يُحْسُ بِمُحَبَّةِ الْمَسِيحِ وَرِسَالَةِ نِعْمَتِهِ" (روح النبوة، المُعَلِّمُ الأعظم، صفحة ٣٢).

المزروع على الأماكنِ المُحَجَّرَةِ هُمُ أَنْاسٌ يَمْلِكُونَ اخْتِبَاراً دِينِيّاً الْيَوْمَ دُونَ أَنْ تَرَاهُ غَدًا. مَثَلُ هَذَا الْإِنْسَانِ يَشْعُرُ بِنَشْوَةِ عَاطِفِيَّةٍ عِنْدَ حُضُورِ اجْتِمَاعَاتِ انْتَعَاشِيَةٍ لَتَعُودَ الْأُمُورَ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى مَاضِي عَهْدِهَا. أَمَّا الْبَذَارُ الَّتِي سَقَطَتْ بَيْنَ الْأَشْوَكَ، فَمَا لَمْ يَحْدُثْ تَغْيِيرٌ أَدْبِي فِي الْقَلْبِ الْبَشَرِيِّ، يَتَخَلَّصَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةِ، وَهُمُومِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَلَذَّاتِهَا، وَحَيَاةِ الْخَطِيئَةِ، فَسَتَنْمُو الْأَشْوَكَ وَتَخُوقُ بَذَارَ الْحَقِّ. النوع الرابع من البذار سقطَ في الأرضِ الْجَيِّدَةِ. القلبُ الْجَيِّدُ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُ حَيَاتِهِ لِلْمَسِيحِ وَيَعْتَرِفُ بِحَاجَتِهِ إِلَى النُّمُو اليومي من الزَّارِعِ السَّمَاوِيِّ. يَقْبَلُ الْكَلِمَةَ وَيَفْتَحُ ذَهَنَهُ وَقَلْبَهُ لِقُبُولِهَا. يَتَوَقَّعُ بِالصَّبْرِ أَنْ تُثْمِرَ كَلِمَةُ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ. "فَعَمَلُنَا هُوَ أَنْ نَقْبَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَنَتَمَسَّكَ بِهَا خَاضِعِينَ بِالتَّمَامِ لِسُلْطَانِهَا وَحِينَئِذٍ يَتِمُّ غَرْضُهَا فِينَا" (روح النبوة، المُعَلِّمُ الأعظم، صفحة ٥٢).

عزيزي، ما نوع تربة قلبك؟ هل هي أرض مُحَجَّرَةٌ أم على قارعة الطريق أو بين أشواك الخطية وتجاربها؟ كُنْ أَنْتِ الْأَرْضُ الْجَيِّدَةُ الَّتِي تَحْمِلُ ثَمَارَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ لِمَجْدِ الْحَبِيبِ يَسُوعَ "واحد ٣٠ وآخر ٦٠ وآخر ١٠٠".

مثل الابن الضال

"ولكن كان ينبغي أن نفرح ونُسِرَ، لأنَّ أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد."

(لوقا ١٥: ٣٢)

في إنجيل لوقا الاصحاح ١٥ نجد ثلاثة أمثال عن الخروف الضائع والدرهم الضائع والابن الضال وبهجة أصحابها عندما وجدوا ما أضاعوا. في الأعداد ١١-٣٢ من الاصحاح نجد محبة الآب السماوي للخطاة ورغبته في مسامحتهم وقبولهم كخطاة تائبين. يُسمَّى هذا المثل أيضاً "بالآب الرحيم، أو الغفور، الابنان الضالان" في هذه القصة الآب يُمثل الله، والابن يُمثل البشرية التي هي مُنفصلة عن الله.

كان الآب يبحث عن ابنه الضائع، ويشتاق ليكون معه دوماً. يعرض هذا المثل أماننا مُعاملة الربّ مع مَنْ قد عرفوا محبة الآب من قَبْل، ومع ذلك فقد سمحوا للمُجرب بأن يقودهم أسرى لإرادته.

"إنسان كان له ابنان، فطلب الابن الأصغر نصيبه من ميراث أبيه". كاسراً بذلك القيود حيث أن تقسيم الميراث يتم بعد وفاة الآب، حيث يرث الابن الأكبر ضعف ما يرثه هو. رغم قسوة طلب الابن الذي كان مدفوعاً بالحماسة والطمع، وعدم احترام الأخ الأكبر، أعطاه الآب ما أراد فأخذ نصيبه من المال وسافر بعيداً حيث أنفق أمواله باللهو والطيش. صار الآن فريسة الجوع وأدرك ما ظنّها سعادة، صارت سبب بؤسه ودماره.

لقد أضاع سني الحياة الغالية، وبذّر قوى عقله وقلبه ونفسه، وعمل على جلب الإفلاس الأبدي لنفسه. وسط حالة الضياع والشقاء "رجع الابن الضال إلى نفسه". ووجد رجاء في اقتناعه بمحبة الآب وعقد العزم على الرجوع لبيت أبيه مُعترفاً بجُرمه.

تصف روح النبوة في كتاب المُعَلِّم الأعظم صفحة، ١٩٣ حالة الابن في رجوعه لأبيه "وها هو الشاب يترك قُطعان الخنازير والخرنوب ويتجه إلى بيته. وإذ هو مُرتجف من الضعف وخائر القوى بسبب الجوع، يتقدّم في طريقه بشوق وحنين. إنه لا يجد شيئاً يستر به أسماله ولكن شقاءه انتصر على كبريائه، فأسرّع ليسأل أن تُعطى له منزلة أجير في البيت الذي كان به ابناً". لم يفكر هذا الشاب المُستهتر ما تركه من ألم في قلب أبيه، ولم يكن يعرف أن شخصاً ينتظر رجوعه بفارغ الصبر. يقول يسوع في هذا المثل "إذ كان لم يزل بعيداً عرفه أبوه".

عينا المحبة سريعة وحادة البصر. لم يكن ألم الفراق وحالة الفقر والجوع التي كان عليها الابن أن تخفيه عن عيني أبيه فعرفه في الحال. "تحنن وركض ووقع على عنقه". في عناق طويل مليء بالمحبة.

أعلن الابن توبته وندمه عمّا فعل قائلاً "يا أبي أخطأت إلى السماء وقدأماك ولست مُستحقاً بعد أن ادعى لك ابناً". أراد الابن أن يكون واحداً من الخدام. "هنا لم يُعطه الآب الفرصة ليُكمل طلبه كخادم، فأتى به إلى البيت وأكرمه وصنّع له وليمة وأعاد اعتباره، واعترف به كابن. نجد هنا مجد الله في خلاصه الذي تمثّل في عمل الآب الذي فتح ذراعيه واستقبل ابنه الضال بفرحة غامرة، لم يرفضه وغفر له كلّ خطايا. يا لروعة الآب السماوي، الذي يُبدي استعدادة لقبول خاطئ تائب مثلي؟

لنرى معاً موقف الأخ الأكبر في المثل فكان في الحقل يعمل حين عاد أخاه الضال إلى البيت. لم يُشارك احتفال الآب برجوع الضال، واعتبر الكرامة المقدّمة لأخيه إهانة له. فكّر أنّه لو كان في مكان أبيه لما قبل رجوع أخيه التائب. أكّد له الآب أن كلّ ما يملك هو له. يرمز الابن الأكبر إلى غير التائبين في عهد المسيح، الذين تمتّعوا بامتيازات خاصة من الله، لكنهم رفضوا ابن الإنسان وصلبوه.

عزيزي، قم واذهب إلى أبيك وهو سيُلاقيك من بعيد، ويسرع ليحتضنك ويُقيم لك فرحاً في السماء عندما تعود إليه تائباً. سينزع عنك ثياب العار ويلبسك ثياب برّه. يسوع يُحبك وينتظر عودتك إليه، قائلاً "ارجع إليّ لأني فديتك" فلا تتردد واقبله مُخلصاً لحياتك واستعد لملاقاته عن قريب لتكون من رعايا ملكوت المجد بصُحبة ربّ المجد يسوع".

مثل الكرامين

"كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَّاحٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعَصْرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافِرٍ." (متى ٢١: ٣٣)

"كانت خدمة يسوع تقترب من نهايتها فجاء إلى الهيكل فتقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم قائلين بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان". (متى ٢١: ٢٣). عندما تحدى رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب السيد المسيح، رد عليهم بسؤال عما إذا كانت معمودية يوحنا من الناس أم من السماء؟ أجابه لا نعلم فرد عليهم يسوع ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا". بعدها قال لهم مثل الكرامين الأردباء الوارد في متى ٢١: ٣٣-٤٤.

بالمقابل، هناك وصفاً في إشعياء النبي ٥: ٢١ "عن كرم على أكمة خصبة. نقب صاحب الكرم حقله وغرسه كرم وبنى برجاً في وسطه ونقر معصرة وانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً".

يتابع يسوع هذا المثل فيقول "بعد أن غرس رب البيت كرمًا وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر". وعند وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذوا حصته من الثمر. فجلدوا بعضاً منهم وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، فأرسل صاحب الكرم عبيداً آخرين أكثر من الأولين فنالهم نفس المصير. فقال أرسل ابني لعلمهم بها، لئلا يهلكوا لكن الكرامين لما رأوا الابن قالوا فيما بينهم "هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. بنفس الكيفية صلب يسوع خارج مدينة أورشليم. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ أجابوا "يهلكهم هلاكاً رديئاً ويسلم الكرم إلى آخرين يعطونه الأثمار في وقتها". نطق رؤساء الكهنة بحكم الدينونة على أنفسهم دون أن يعلموا. لنرى معاً معاني رموز هذا المثل: صاحب الكرم - الرب الإله. الكرم هو بيت إسرائيل. الكرامون هم رؤساء الكهنة المسؤولين روحياً عن الشعب. العبيد هم الأنبياء، والابن هو يسوع. الكرامون الآخرون هم الكنيسة وأتباع المسيح في كل عصر وزمان. "كان الله يتوق لأن يجعل شعبه إسرائيل تسبيحة ومجداً. فقد أعطى لهم كل امتياز روحي. فإله لم يمنع عنهم شيئاً موافقاً أو مساعداً لتكوين الخلق الكفيل بأن يجعلهم نواباً عنه؟" (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ٢٨٣).

كانت طاعتهم لوصايا الله مرتبطة ببركات الرب وحمائته لهم، وكل ما كانوا يملكونه قد أعطاهم صاحب الكرم ليستخدموه لأجله. لكنهم لم يهتموا للإنذار، وخصصوا البركات لأنفسهم دون أن يباركوا بها العالم. أسس الله عهده مع شعبه قديماً حين أعد الكرم وأرسل الأنبياء فكان مصيرهم القتل فأرسل ابنه الحبيب فصلبوه ونطقوا بالحكم قائلين "دمه علينا وعلى أولادنا". جاء الخراب على يد الرومان سنة ٧٠م. تحولت كل الامتيازات إلى أتباع المسيح إلى يومنا هذا. ينطبق مثل الكرم على كنيسة المسيح ولنا فيه درساً. لقد منح يسوع كنيسة ميزات وبركات عظيمة، وأعلن لهم حقائق كلمته مجدها وسموها، كي تذيب بشاره الملكوت وتعد شعباً مستعداً لرجوع رب المجد عن قريب.

تقول الأخت هوايت في وصف امتياز المؤمنين وواجبهم من نحوه فتقول "يريدنا الرب أن نقدر تدبير الخلاص العظيم، وأن نستوعب امتيازنا السامي كأولاد الله وأن نسلك أمامه في طاعة بحمد وشكر. وهو يريدنا أن نخدمه في جدة الحياة بفرح في كل يوم" (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ٢٩٥).

أنهى المسيح المثل مؤكداً إياهم بأنه حجر ورأس الزاوية ومصدر الحق الكامل صخر الدهور. يطلب الرب يسوع منا ثماراً تليق بالتوبة، ثمار المحبة والوداعة والخدمة المضحية. وعن قريب، سيعود السيد المسيح صاحب الكرم ليطالب من الأثمار فكيف سنقابله؟ أملي أن نكون من أتباعه الأمناء الذين نحمل بأمانة ما أوصانا به ونرفع أصواتنا بالحمد والتهليل ونحن نسمع صوته العذب يقول لنا "نعماً أيها العبد الأمين، كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير، أدخل إلى فرح سيدك".

مَثَلُ السَّامِرِيِّ الصَّالِحِ

"وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَأَهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ." (لوقا ١٠: ٣٣ و٣٤)

تصدَّى أحدُ علماء الشريعة للسيد المسيح بسؤال كي يُجربَه فقال "يا مُعَلِّمُ، ماذا أَعْمَلُ لَأُرثَ الحياةَ الأبديةَ" أجابه يسوع "ماذا كُتِبَ في الشريعة وكيف تقرأها؟". أجابَ خبير الشريعة حيث اقتبسَ أعظم وصيتين من (تثنية ٦: ٥ و لاويين ١٩: ١٨) "أَحَبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَأَحَبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ". استعملَ المسيح نفسَ جوابِ الناموسي في متى ٢٢ ومُرُقُس ١٢. أثنى يسوع على جواب الشاب، لكنَّهُ أرادَ تبريرَ نفسه فسألَ المسيح "وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟". سَرَدَ المُعَلِّمُ الأعْظَمُ مَثَلُ السَّامِرِيِّ الصَّالِحِ رَدًّا على السؤال. ظَنَّ هذا الناموسي أن عليه أن يعملَ شيئاً للحصول على الحياة الأبدية. ركَّزَ المُخْلِصُ في جوابه على علاقاتنا وما معنى أن نُحِبَّ.

تتلخَّصُ هذه القصة بإنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فَوَقَعَ بِأَيْدِي لصوص، فانتزعوا ثيابه وماله وجرحوه، وتركوه بين حيٍّ ومَيِّتٍ. مرَّ كاهن في تلك الطريق، فراهَ ولكنَّهُ جاورَهُ إلى الجانب الآخر كي لا يُقَدِّمَ له العون. بطبيعة عمله، كان من المفروض أن يكون عطوفاً ومُحِبًّا. إذا كان من شخص يفهم وصايا محبة الله، فإنه يكون الكاهن بالتأكيد. لم تكن المحبة وللأسف تعني في مفهومه تقديم العون لشخص مجروح على جانب الطريق.

وكذلك مرَّ واحدٌ من اللاويين، فلَمَّا وَصَلَ إلى ذلك المكان نظَرَ إليه، ولكنَّهُ جاورَهُ إلى المكان الآخر تماماً كما عَمَلَ الكاهن دون إبداء أي عطف نحو الجريح. كلاهما كان لهما مركزاً مرموقاً في الأوساط الدينية في زمنهما، وحَسَبَ الشريعة، كان لَمَسِ دم جراح الملقى على الأرض يتطلَّبُ مراحل تطهير قد تُعيق عملهما في خدمة الله.

يُتابعُ يسوع هذا المَثَلُ فيقول "إِلَّا أَنْ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَأَهُ، أَخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِ" (لوقا ١٠: ٣٣). كان السامريون مُحْتَقَرِينَ في نَظَرِ اليهود لأنَّهُم كانوا من نسل اليهود الذين بقوا في السبي البابلي وتزاوجوا من قبائل أخرى من غير اليهود، وَلَمْ يَحْفَظُوا كُلَّ الشريعة. لم يُفَكِّرْ هذا السامريُّ بجنس أو ديانة هذا الجريح الملقى على الطريق. رآه إنساناً متألماً بحاجة للمساعدة، فقدمها له دون أي تردد. رَبطَ جراحه وصَبَّ عليها زيتاً وخمراً وأركبَهُ على دابته وأوصله إلى الخان، واعتنى به جسدياً وتكفل بمصاريف علاجه واقامته بالخان.

رأى السامريُّ قريبه كأي شخص يحتاج للعون. وحيث أن السامري كان صالحاً، يُقَارَنُ يسوع بشكلٍ قويٍّ بين مَنْ يعرفون الوصايا وبين مَنْ يُطَبِّقونها بشكلٍ واقعي في نمط حياتهم وسلوكهم.

خَتَمَ يسوع المَثَلُ بسؤال العالم بالشريعة "فأي هؤلاء الثلاثة يبدو لك قريباً للذي وَقَعَ بِأَيْدِي اللُّصوص؟" فأجاب: "إِنَّهُ الَّذِي عَامَلَهُ بِالرَّحْمَةِ!" فقال له يسوع: "اذهَبْ، واعْمَلْ أَنْتَ هَكَذَا". يُخْبِرُنَا يسوع أن تتبَّعَ مِثَالَ السَّامِرِيِّ في تصرفاتنا الخاصة، ونُظْهِرَ محبةً وعطفاً لِمَنْ تضعه العناية الإلهية في طريقنا كلَّ يوم. نُحِبُّ الآخرين بغض النظر عن جنسهم ولونهم، ونُعْطِيهِمْ بسخاء دون مُقَابَلٍ.

يُعَلِّمُنَا هذا المَثَلُ دروساً ثلاث: ١- لنترك تعصُّبنا جانباً ونُظْهِرَ المحبة والعطف نحو الآخرين. ٢- قَرِيبُنَا هُوَ أي شخص نُقابله، جميعنا أبناء وبنات خالق واحد وعلينا أن نُحِبَّ الجميع كما علَّمنا يسوع. ٣- حفظ الناموس كاملاً بقصد تخليص أنفسنا هو أمر مُستحيل، نحتاج إلى مُخْلِصٍ أَلَا وَهُوَ المسيح. قصة السامري الصالح هي قصة يسوع. نزل الشيطان وأغوى آدم وحواء فجرحهما فحاولا ستر عُريهما بأوراق من تين. وبموجب خطة الخلاص جاء يسوع وأعطانا ثوب برِّه وتحنَّن علينا وافقدانا بدمه، صعد إلى السماء ووعد أن يأتي وأجرته مَعَهُ لِيُجَازِيَ الجميع كُلَّ حَسَبِ أعماله. هنيئاً للمنتظرين والمستعدين بفرح رجوع ربِّ المجد ليأخذنا إلى ديار النعيم عن قريب. آمين.

مثل شجرة التين العقيمة

"وَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ: "كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةٌ تَيْنٌ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ"

(لوقا ١٣: ٦)

في قصة الخليفة تُذكرُ شجرة التين كثالٍ شجرة بعد شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر، ومن أوراقها خاطا آدم وحواء مآزر لستر عريهما بعد سقوطهما في الخطيئة. وفي العهد الجديد تكلم السيد المسيح في الأمثال عن شجرة التين العقيمة. أمّا في زمن الملك سليمان، فكانت التينة دليل الغنى حيث عاش الجميع بأمان وسكنوا "كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، مِنْ دَانَ إِلَى بَثْرَ سَبْعٍ، كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ" (١ ملوك ٤: ٢٥).

رَبَطَ الْمَسِيحُ فِي تَعْلِيمِهِ دَعْوَةَ الرَّحْمَةِ بِالْإِنْذَارِ بِالْدِينُونَةِ. هذه الرحمة وعلاقتها بَعْدَلِ اللَّهِ وَدِينُونَتِهِ، نَجَدُهَا مُصَوَّرَةً فِي مَثَلِ التَّيْنَةِ الْعَقِيمَةِ. ذَكَرَ الْمَسِيحُ سَامِعِيهِ بِأَهْمِيَّةِ التَّوْبَةِ، ثُمَّ بَدَأَ يَسُوعُ الْمَثَلَ "كَانَ عِنْدَ أَحَدِهِمْ شَجَرَةٌ تَيْنٌ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ". عَمَلَ الْمَزَارِعُ كُلُّ مَا يُلْزَمُ مِنْ أَعْدَادِ التُّرْبَةِ وَتَسْمِيدِهَا حَوْلَ الشَّجَرَةِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ جَاءَ صَاحِبُ الْكَرَمِ يَطْلُبُ ثَمَرًا ثَلَاثَ سَنِينَ دُونَ جَدْوَى. فَتَرَةً الثَّلَاثَ سَنِينَ لَهَا أَهْمِيَّةٌ خَاصَةٌ حَيْثُ كَرَّرَ الْمَعْمَدَانِ وَيَسُوعُ ٣ سَنِينَ دَاعِينَ النَّاسَ إِلَى التَّوْبَةِ.

هُنَاكَ ٣ شَخْصِيَّاتٍ فِي هَذَا الْمَثَلِ لَهَا دَلَالَاتٌ رَمْزِيَّةٌ: ١- صَاحِبُ الْكَرَمِ هُوَ اللَّهُ، الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ الْحَقِّ أَنْ يَطْلُبَ ثَمَرًا مِنَ التَّيْنَةِ وَهُوَ صَاحِبُ الْقَرَارِ بِقَطْعِهَا أَوْ تَرْكِهَا لِسَنَةِ أُخْرَى. ٢- الْمَزَارِعُ أَوْ الْكِرَامُ الَّذِي يَعْتَنِي بِالْأَشْجَارِ مِنْ سَقْيٍ وَتَسْمِيدٍ كِي تَحْمِلَ أَثْمَارًا كَثِيرَةً - ذَاكَ يَرْمُزُ إِلَى الْمَسِيحِ الَّذِي قَدَّمَ الطَّعَامَ الرُّوحِيَّ وَالْمَاءَ الْحَيَّ لِشَعْبِهِ.

٣- التَّيْنَةُ نَفْسُهَا تَرْمُزُ إِلَى الْأُمَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَإِلَيْنَا كَأَفْرَادٍ. مَنَحَ اللَّهُ شَعْبَهُ قَدِيمًا امْتِيَازَ مَعْرِفَتِهِ عَنْ طَرِيقِ كَلِمَتِهِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَمَّا جَاءَ مَلَأَ الزَّمَانَ تَجَسُّدَ الْمَسِيحِ وَنَصَبَ خِيْمَتَهُ فِي وَسْطِهِمْ وَبَذَلَ دَمَهُ لَخْلَاصِهِمْ وَخَلَاصَنَا جَمِيعًا. وَلَنَا الْيَوْمَ الَّذِينَ نَعِيشُ فِي أَوَاخِرِ الدَّهْرِ، قَدَّمَ الْمَسِيحُ لَنَا امْتِيَازَ الْعِيشِ لِمَجْدِهِ وَالْإِسْتِعْدَادَ لِمَجِيئِهِ الثَّانِي عَنْ قَرِيبٍ، وَإِذْ يَأْتِي لِحَيَاتِنَا طَالِبًا ثَمَرًا مَحَبَّتِهِ، فَهَلْ نَحْمِلُ ثَمَارَ الرُّوحِ فِي حَيَاتِنَا لِيَرَى الْآخَرِينَ فِيْنَا نِعْمَةً وَنُورَ الْمَسِيحِ؟ صَحِيحٌ أَنَّ اللَّهَ صَبُورٌ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، لَكِنْ وَقْتُ الدِّينُونَةِ آتٍ حَيْثُ تَظْهَرُ عَدَالَتُهُ وَاضِحَةً وَأَكِيدَةً.

وَفِي هَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ "أَمْ تَسْتَهِينُ بِنَعْيِ لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنْاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" (رومية ٢: ٤). إِذَا عَشْنَا مُنْذُ مَعْمُودِيَّتِنَا دُونَ ثَمَرٍ فَهَذَا يَعُودُ إِلَى صَبْرِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ، لَعَلَّنَا نَجِدُ طَرِيقَنَا نَحْوَ التَّوْبَةِ مُتَذَكِّرِينَ أَنَّ عَمَلَ التَّقْدِيسِ يَدُومُ مَدَى الْحَيَاةِ. "إِنْ صَاحِبُ الْكَرَمِ وَالْكِرَامُ مُتَّحِدَانِ فِي اهْتِمَامِهِمَا بِشَجَرَةِ التَّيْنِ. كَانَ الْمَسِيحُ يَقُولُ لِسَامِعِيهِ إِنَّ فُرْصًا أَكْثَرَ سَتُعْطَى لَهُمْ. وَكُلُّ وَسِيلَةٍ أَمَكَّنَ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ أَنْ تَبْتَكِرَهَا سَتَعْمَلُ حَتَّى يَصِيرُوا أَشْجَارَ الْبَرِّ يَتِمُّونَ لِيُبَارِكُوا الْعَالَمَ" (روح النبوة، الْمُعَلِّمُ الْأَعْظَمُ، ٢٠٧). كَانَ لِلصَّلِيبِ وَمَوْتِ الْمَسِيحِ أَشْهُرًا قَلِيلَةً فَيَا لِرُوعَةِ صَبْرِ الْمَسِيحِ وَشَفَاعَتِهِ لِأَجْلِ شَعْبِهِ وَلِأَجْلَانَا. "اتْرَكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا".

لَعَلَّ النَّاسَ يَرُونَ مَزِيدًا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ لَا سِيَّمَا إِقَامَةَ لِعَازَرٍ مِنَ الْمَوْتِ فَيَقْبَلُونَ الْخَلَاصَ الْعَجِيبَ الَّذِي ضَمَّنْتَهُ بِدَمِي. وَإِذْ وَصَلَ إِلَى نَهَايَةِ خِدْمَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، بَكَى يَسُوعُ بِحَرَارَةٍ عَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رَغْمَ مُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةٍ لِتَخْلِيصِهِمْ كَمَا بَكَى عَلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِنَا، فِي تَقْدِيرٍ عَظِيمٍ مَا قَامَ بِهِ مِنْ أَجْلَانَا. جَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي قُطِعَتْ فِيهَا الشَّجَرَةُ وَأَحَاطَتِ الْجِيُوشُ الرُّومَانِيَّةُ بِأُورُشَلِيمَ وَتَمَّ دِمَارُ الْمَدِينَةِ وَالْهَيْكَلِ حَيْثُ تَحَقَّقَ مَا طَلَبُوهُ "دُمُّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا". كَانَ دِمَارُ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ نَمُودَجًا مُصَغَّرًا لَدِمَارِ الْعَالَمِ عَنْ قَرِيبٍ عِنْدَ عَوْدَةِ الْمَسِيحِ، وَأَجْرَتُهُ مَعَهُ لِيُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا. يَدْعُوكَ الرَّبُّ يَسُوعُ قَائِلًا "ارْجِعْ إِلَيَّ، أَنَا فَادِيكَ وَمُخَلِّصُكَ أَرَقْتُ دَمِي كِي تَعِيشَ مَعِيَ رُوعَةَ خَلَاصِي، فَهَلْ تَرْفُضُ مَحَبَّتِي أَمْ تَقْبَلُهَا؟ يَمْنَحُنَا رَبُّ الْمَجْدِ فُرْصَةً جَدِيدَةً لِنَعُودَ إِلَيْهِ وَمَا أُرْوَعُ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ وَقَبُولَ خَلَاصِهِ الْعَجِيبِ. الْآنَ هُوَ وَقْتُ مَقْبُولٍ، الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ خَلَاصٍ. لِيُبَارِكِ الرَّبُّ قَرَارَكَ لِتَكُونَ بِجَانِبِهِ الْيَوْمَ وَطِيلَةَ أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ السَّعِيدَةِ وَتُثْمَرَ لِمَجْدِهِ عَلَى الدَّوَامِ.

إنسان ليس عليه ثياب العرس

"فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لِبَاسًا لِبَاسِ الْعُرْسِ."

(متى ٢٢: ١١)

يبدأ يسوع مثلاً "المدعوين إلى عرس ابن الملك" بهذه الكلمات "يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لِابْنِهِ". (متى ٢٢: ١). نجد تشابهاً بين هذا المثل ومثل "الإنسان الذي صَنَعَ عِشَاءً عَظِيمًا". في (لوقا ١٤: ١٦-٢٤). لكنَّ صاحب الدعوة في المثل الأوَّل هو الملك والعريس هو ابنه الأمير. مثلاً هذا العرس المُلوكي يَتَطَلَّبُ احتفالاً مُلوَكياً أيضاً. يبقى السؤال مَنْ يُدْعَى لِمِثْلِ هَذَا مُنَاسَبَةً؟ "إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْعُرْسِ هِيَ دَعْوَةُ مَلِكٍ. فَهِيَ مُرْسَلَةٌ مِنْ قِبَلِ مَنْ هُوَ مُزَوَّدٌ بِسُلْطَانٍ لَأَنْ يَأْمُرَ. وَهِيَ تَمُنِّحُ كَرَامَةً عَظِيمَةً" (روح النبوة، المُعَلِّمُ الأعْظَمُ، صفحة ٣٠٥).

أرسل الملك عبيده ثلاث دَعَوَاتٍ: الأولى أرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا. أوكل الأنبياء بتقديم رسالته وحقه لشعبه قديماً، خصوصاً يوحنا المعمدان الذي أعد الطريق لمجيء المخلص، ومنحهم امتيازات أن يكونوا أنواراً وَسَطَ عَالَمٍ مُظْلَمٍ، ومعها أتت مسؤولية مشاركة هذا النور مع الأمم المحيطة بهم. إلا أنهم رفضوا المسيح وصلبوه وقسَّو قلوبهم لقبول رسالة الإنجيل.

فأرسل الملك دعوة ثانية حيث أرسل عبيداً آخرين قائلاً للمدعوين "ها أنا قد أعددت وليمتي من ثيران وعُجول مُسَمَّنَةً وكلَّ شيء جاهز فتعالوا إلى العرس. ولكنَّ المدعوين تهاونوا وانشغل كلُّ منهم بأموره وتجارته الخاصة".

تأكد الملك يسوع من إبلاغ رسالته عن طريق تلاميذه وبولس الرسول، وحيث أن المدعوين لم يكونوا مُستَحَقِّين، أصروا على رفض رسائل الرحمة مما أغضب الملك وأدى إلى دمار أورشليم وهيكلها على يد جنود تيطس سنة ٧٠ م.

أمَّا الدَّعْوَةُ الثَّالِثَةُ فأرسل الملك عبيده إلى مفارق الطُّرُق ليجمعوا مَنْ يَجِدُونَهُ أَشْرَارًا كَانُوا أَمْ صَالِحِينَ. لم يُرد الملك أن تكون وليمته بدون مدعوين فدعا جميع الذين سمعوا الدعوة ولَبُّوها حتَّى امتلأت قاعة العرس بالضيوف. يُؤكِّد هذا المثل على دور النعمة، حيث أن الذين سمعوا الدعوة لم يكونوا مُستَحَقِّين لها ولحضور وليمة عرس ابن الملك. دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الضُّيُوفَ فَوَجَدَ إِنْسَانًا لَا يَلْبَسُ ثَوْبَ الْعُرْسِ، فَقَالَ لَهُ: "يَا صَاحِبِي، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَأَنْتَ لَا تَلْبَسُ ثَوْبَ الْعُرْسِ؟ فَظَلَّ صَامِتًا".

اختلف اللاهوتيون بالنسبة لرمز ثوب العرس، فمنهم مَنْ اعتقد أن الملك قد زوَّد كلَّ ضيف بثوب على نفقته لحضور وليمة عرس ابنه. كانت هذه العادة مُتَّبَعَةً بَيْنَ قُدمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي زَمَنِ الْمَسِيحِ. يَقُولُ سِيبِرْجُونُ أَمِيرُ الْوَاعِظِينَ عَنْ مَعْنَى أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ بَدُونَ لِبَاسِ الْعُرْسِ "جَاءَ لِأَنَّهُ دُعِيَ، لَكِنْ حُضُورُهُ كَانَ شَكْلِيًّا. كَانَتِ الْوَلِيمَةُ عَلَى شَرَفِ ابْنِ الْمَلِكِ، لَكِنْ هَذَا الْإِنْسَانُ لَمْ يَعْنِهِ ذَلِكَ شَيْئًا. جَاءَ لِأَكُلٍ مِنْ أَطْيَابِ الْمَلِكِ، لَكِنْ قَلْبُهُ كَانَ خَالِيًّا مِنْ حُبِّ الْمَلِكِ أَوْ ابْنِهِ الْحَبِيبِ". لم تُلَاقِ دَعْوَةُ الْمَلِكِ أَيَّ صَدَى مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ، فَجَاءَ بِمَلَابِسٍ غَيْرِ لَائِقَةٍ بِالْمُنَاسَبَةِ وَتَصَرَّفَ عَلَى هَوَاهُ، فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّهُ طُرِحَ فِي الظَّلَامِ الْخَارِجِي حَيْثُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ. يُبْرَهُنُ هَذَا الْمَثَلُ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ بِالْإِنْجِيلِ وَالَّذِينَ يُقَاوِمُونَهُ وَلَا يَسْمَحُوا لِمَبَادِئِ الْإِنْجِيلِ بِتَغْيِيرِ حَيَاتِهِمْ - جَمِيعٌ هَؤُلَاءِ يُلَاقُونَ نَفْسَ الْمَصِيرِ وَلَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ حُضُورِ وَلِيمَةِ عُرْسِ الْخُرُوفِ.

يؤكد الرسول بولس في ٢ كورنثوس ٥: ٢١ أن شروط حضور وليمة الملك هو لَمَنْ يَلْبَسُ ثَوْبَ بَرِّ الْمَسِيحِ حَيْثُ أَصْبَحَ يَسُوعُ بَرَّنًا. هل سنختار قبول دعوة المسيح اليوم لنكون معه في وليمة عرس الخُرُوفِ في أورشليم السَّمَاوِيَّةِ، أَمْ سَنَرْفُضُ دَعْوَتَهُ وَنَنَالُ مَا نَسْتَحِقُّهُ؟ لَنَتَكَّرَ أَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلُونَ يُنْتَبَخُونَ.

هياً المسيح كلَّ شيء لخلاصنا فهذه فُرْصَتُنَا الْآنَ لِاتِّخَاذِ قَرَارِنَا إِلَى جَانِبِ الْمَسِيحِ. الْيَوْمَ يَوْمَ مَقْبُولٍ وَالْآنَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ. لَنَلْبَسْ ثَوْبَ بَرِّ الْمَسِيحِ وَنَسْتَعِدْ لِلذَّهَابِ مَعَهُ عَنْ قَرِيبٍ إِلَى سَمَاءِ النِّعَمِ بِصُحْبَةِ رَبِّ الْمَجْدِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ قَرَارِنَا لَنَكُونَ ضِيُوفًا فِي عِشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ لِمَجْدٍ مِّنْ أَحِبَّنَا وَفَدَانَا لَهُ كُلِّ الْمَجْدِ. آمِينَ

مَثَلُ الْعَشْرِ الْعَذَارَى

"حِينَئِذٍ يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ."

(مَتَّى ٢٥: ١)

بعد أن أنهى الربُّ يسوع حديثه عن علامات المنتهى، شبه ملكوت السماوات بعشر عذارى أخذن مصابيحهنَّ وخرجنَّ للقاء العريس. لا يُخبرنا المثل عن العروس حيث لا يذكرها أبداً. كما لم يُحدد مكان انتظار العريس، فمحور تركيز المثل هو على العريس يسوع ومجيئه في وقت المنتهى. أمّا المصباح فكان سراجاً أو مشعلاً صغيراً تكون له فتيلة صغيرة مع بعض الزيت ويُربط على عامود في البيت أو يُحمل باليد لإنارة درب السائرين في الليل.

كانت العذارى خمس منهنَّ حكيماً حملنَّ معهنَّ ما يكفي من زيت في أوعيةٍ تحسباً لتأخر العريس، وخمس منهنَّ جاهلات أخذن مصابيحهنَّ دون زيت. كان الاحتفال بالعرس يدوم عادةً سبعة أيام ويبدأ بموكب العذارى لابسات الحُلل البيضاء وهنَّ يُحِينَ العريس ويسرنَّ أمامه حاملات المصابيح ليُضنَّ الطريق أمامه عند وُصوله. كانت العذارى العشر مُنتظرات قدوم العريس لكنه تأخر في القدوم.

يتكلم الكتاب المقدس عن الزواج لوصف علاقة الله بشعبه قديماً وحديثاً. يتهجُّ اشعيا النبي حقاً بالربِّ وخلصه فيقول "لأنَّه قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلَّاصِ. كَسَانِي رِداءَ الْبَرِّ، مَثَلُ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمَثَلُ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا" (١٠: ١). أمّا الرسول بولس فيصف الكنيسة الطاهرة بعذراءٍ عفيفةٍ للمسيح: "فَإِنِّي أَعَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللَّهِ، لِأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لِأَقْدِمَ عَذْرَاءً عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ" (٢ كورنثوس ١١: ٢). وفي مَثَلِ العذارى العشر يُشَبِّهُ المسيح رجوعه بحفلة عرسٍ يعود فيها العريس ويا له من فرحٍ عظيم. بعض من مُنتظره كانوا مُستعدين، والبعض الآخر لم يتمكنوا من مُلاقة العريس وخسروا بالتالي حياتهم الأبدية.

يُعتَبَرُ تَوَقُّعُ انتظار مجيء المسيح مُهمّاً في حياة المسيحيّ بحيث تُشكِّل هذه المعرفة حياته. لم يُحدد يسوع في حديثه عن علامات المنتهى اليوم أو الساعة التي يرجع فيها، لذا أعطانا هذه النصيحة: "لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ" (مَتَّى ٢٤: ٤٤). رسالة السهر والاستعداد هي فحوى مَثَلِ العشر عذارى في مجيئه كما في حالة تأخر قدومه أيضاً كما كان حال العذارى الخمس الحكيما.

وما يُمَيِّزُ هذا المثل أيضاً تركيزه على تأخر قدوم العريس، وما أعدَدَن لهذا التأخير حيث يأتي في ساعة لا تَظُنُّون. قد يبدو من الصعب على البعض تَوَقُّعُ مجيء المسيح لأنهم توقَّفوا عن الانتظار نظراً لتأخر مجيئه.

سمَّيت عذارى لأنهنَّ يعترفنَّ باعتراف الإيمان النقيّ. ترمز المصابيح إلى كلمة الله، والزيت رمز للروح القدس. كما كانت حال العذارى هكذا ستكون الكنيسة قُبيل مجيء المسيح ثانية. سَمِعَ الجميعُ الرسالة وانتظروا ظهوره بثقة. لكن فترة انتظار تسبُّق المجيء ومعها يُجَرَّبُ الإيمان، وعندما يَسْمَعُ الصُّرَاخُ "هَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ فَارْجِعْنَ لِلِقَائِهِ". سيكون كثيرون غير مُستعدين وبعد أن يُغْلَقَ الباب يسمعون قول المسيح "إِنِّي لَا أَعْرِفُكُمْ".

علينا أن نُضِيءَ الطريق ونُشرق بنورنا في ظُلُمَةِ الْعَالَمِ. "فَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ مجيء العريس، عليهم أن يُعلنوا مجد المسيح، ويجب أن يُشرق نور شمس البرِّ في الأعمال الصالحة وفي أقوال الحقِّ وأعمال القداسة" (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ٤١٩). المسيح آت بقوة والدعوة لنا هي لنستنير بنور مجد الله ونستعد بقوة الروح القدس لنكون كالعذارى الحكيما ندخل مع يسوع إلى وليمة عشاء عرس الخروف. يُنهي يسوع هذا المثل بقوله "فاسهروا إذن، لأنكم لا تعرفون اليوم ولا السَّاعَةَ".

لنكن كاللبناني الحكيم الذي بنى بيته على صخر الدهور يسوع لنصمد أمام تجارب الأيام الأخيرة. لنرفع أنظارنا إلى فوق ونرى بأعين الإيمان مجيء عريسنا يسوع. أعطانا ربُّ المجد امتياز المشاركة في أفراح السماء، واعداد أنفسنا وآخرين لنصعد معاً إلى ديار النعيم، حيث سنطرح أكاليلنا عند قَدَمِي المخلص وننضم لجوقة الملائكة في تسبيح عريسنا المسيح إلى أبد الدهور. آمين.

مَثَلُ الْوَكِيلِ الْأَمِينِ

"فَقَالَ الرَّبُّ: "فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الْأَمِينُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟ طُوبَى لِدَلِكِ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا!" (لوقا ١٢: ٤٢ - ٤٣)

في لوقا ١٢ نطق يسوع بمَثَلِ العبيد الأُمْناء الذين كانوا ينتظرون عَوْدَةَ سَيِّدِهِمْ سَاهِرِينَ، وَإِذْ يَفْرَعُ الْبَابَ يَفْتَحُونَ لَهُ حَالاً، مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ يَنَالُونَ ثَوَابَ سَيِّدِهِمْ. أَنهَى يَسُوعُ الْمَثَلَ "فَكُونُوا أَنْتُمْ مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَيَعُودُ فِي سَاعَةٍ لَا تَتَوَقَّعُونَهَا" فَسَأَلَهُ بُطْرُسُ: "يَا رَبُّ، أَلَا تَضْرِبُ هَذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ عَلَى السَّوَاءِ".

أَجَابَ الْمَسِيحُ عَلَى سُؤَالِ بُطْرُسَ بِسَرْدِ مَثَلِ الْوَكِيلِ الْأَمِينِ. مَعَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعُ قَالَ هَذَا الْمَثَلَ لِحَثِّ الْجَمِيعِ عَلَى السَّهَرِ لِعَوْدَتِهِ ثَانِيَةً، إِلَّا أَنَّهُ رَكَزَ أَيْضاً عَلَى تَلَامِيذِهِ وَرُسُلِهِ وَخُدَّامِ الْإِنْجِيلِ إِلَى وَقْتِ الْمُنْتَهَى، هَؤُلَاءِ عَائِلَةُ الْمَسِيحِ عَلَى الْأَرْضِ الَّذِينَ أَوْكَلُ إِلَيْهِمْ كَوَكَلَاءَ أُمْنَاءَ حَمْلَ بَشَارَةِ الْإِنْجِيلِ بِأَمَانَةٍ وَحِكْمَةٍ، بِلِيَاقَةٍ وَحَسَبِ تَرْتِيبٍ، كَمَا يَلِيقُ بِهِمْ كَأَبْنَاءَ وَبَنَاتِ أَبِيهِمُ السَّمَاوِيِّ الَّذِينَ تَنْطَبِقُ أَقْوَالُهُمْ عَلَى حَيَاتِهِمْ، إِيمَانُهُمْ، وَتَصَرُّفَاتُهُمْ أَيْضاً. لَنَرَى مَعاً شَخْصِيَّاتَ هَذَا الْمَثَلِ: الْوَكِيلُ الْأَمِينُ الْعَاقِلُ هُوَ وَكِيلُ الْمَسِيحِ الَّذِي وَضَعَهُ عَلَى كَنِيسَتِهِ.

السَّيِّدُ هُوَ الْمَسِيحُ. الْعَبِيدُ هُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَيِّدِهِمُ الْمَسِيحِ. تَقْدِيمُ الْحَصَّةِ مِنَ الطَّعَامِ: رِعَايَةُ الْقَطِيعِ وَتَغْذِيَتُهُ رُوحِيًّا. الْوَقْتُ الْمُحَدَّدُ: هُوَ رُجُوعُ الْمَسِيحِ. كُلُّ مَمْتَلِكَاتِهِ: النِّصِيبُ الصَّالِحُ فِي مَمْلُوكَاتِ السَّمَاوَاتِ. يَقُولُ فِي قَلْبِهِ: اقْتِنَاعَاتُ حَقِيقَةٍ أَوْ نَقْصِهَا. تَأَخَّرَ مَجِيءُ السَّيِّدِ فِي نَظَرِ الْوَكِيلِ الشَّرِيرِ: كَسَلُ الْعَبْدِ وَعَدَمُ إِيمَانِهِ. يَضْرِبُ رَفَقَاءَهُ الْعَبِيدَ: أَسَاءَ اسْتِغْلَالِ الْمَرْكَزِ الَّذِي أَوْكَلَهُ إِيَّاهُ السَّيِّدُ. يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكُرُ: اسْتِسْلَمَ لَشَهَوَاتِ الْجَسَدِ. يَرْجِعُ السَّيِّدُ فِي يَوْمٍ لَا يَتَوَقَّعُهُ وَسَاعَةً لَا يَعْرِفُهَا: رُجُوعُ يَسُوعَ يَكُونُ مَفْاجَأَةً لِكَثِيرِينَ. يَمُرُّقُهُ وَيَجْعَلُ مَصِيرَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ: نَزُولُ دِينُونَةِ اللَّهِ وَقِصَاصِهِ الْعَادِلِ لِغَيْرِ الْأُمْنَاءِ. يَخْتِمُ الْمَسِيحُ الْمَثَلَ قَائِلاً "فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً، يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيراً، وَمَنْ أُودِعَ كَثِيراً، يُطَالَبُ بِكَثْرٍ". مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطَالَبُ بِمَسْئُولِيَّةٍ أَكْبَرَ. يَنْبَغِي لِتَابِعِي الْمَسِيحِ أَنْ يَكُونُوا دَائِماً مُسْتَعِدِّينَ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ الَّتِي يَمُرُّونَ فِيهَا.

وَقَدْ شَبَّهَهُمْ يَسُوعُ بِعَبِيدِ رَبِّ الْبَيْتِ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ رُجُوعَ سَيِّدِهِمْ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَخْتَارُ فِيهِ أَنْ يَعُودَ. وَنَظَرًا لِسَهَرِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ فِي الْقِيَامِ بِمَا أَوْصَاهُمْ بِهِ، يُقِيمُهُمْ عَلَى جَمِيعِ مَمْلُوكَاتِهِ وَيُقِيمُ لَهُمْ وَلِيْمَةً وَيَجْعَلُهُمْ يَتَكُونُونَ وَيَقُومُ بِخِدْمَتِهِمْ. كَمَا رَكَزَ عَلَى ضَرُورَةِ السَّهَرِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَجِيئِهِ عَنْ قَرِيبٍ بِتَوْضِيحٍ مَا يَقُومُ بِهِ رَبُّ الْبَيْتِ كِي يَمْنَعُ مُدَاهِمَةَ اللَّصِّ لِبَيْتِهِ. وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى وَقْتِ دِمَارِ أُورُشَلِيمَ وَانْتِهَاءِ الْعَالَمِ أَيْضاً. وَحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَقْتُ قُدُومِ اللَّصِّ، نَجِدُهُ يَسْهَرُ كِي يَحْمِي بَيْتَهُ مِنَ النَّهْبِ. إِلَى جَانِبِ السَّهَرِ وَالِاسْتِعْدَادِ، أَرَادَ الْمَسِيحُ مِنْ كَنِيسَتِهِ - كُلِّ وَاحِدٍ مِّنَّا أَنْ يُقَدِّمَ بَشَارَةَ الْإِنْجِيلِ الْأَبَدِيَّةِ بِأَمَانَةٍ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ، وَيُشْرَحَ الْحَقَّ الْحَاضِرَ الْخَاصَّ بِأَيَّامِنَا الْآخِرَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُنْتَهَى.

يُوجَدُ ٣ دُرُوسٍ نَتَعَلَّمُهَا مِنَ الْوَكِيلِ الْأَمِينِ: ١- الْخَادِمُ الْجَيِّدُ يَمْتَازُ بِالْأَمَانَةِ وَلَدِيهِ الْيَقِينَ بِعَوْدَةِ الْمَسِيحِ فَنَرَاهُ يَقُومُ بِوَاجِبِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ وَيُطِيعُ مَا أَوْصَاهُ بِهِ سَيِّدُهُ بِصَبْرٍ وَسَهَرٍ وَتَرَقُّبٍ مَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ. ٢- الْخَادِمُ الصَّالِحُ يَسْتَعِدُّ لِرُجُوعِ سَيِّدِهِ وَلَا عَجَبُ أَنْ يَقُولَ يَسُوعُ "طُوبَى لِدَلِكِ الْعَبْدِ الَّذِي يَقُومُ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ فِيُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ مَمْلُوكَاتِهِ". ٣- الْوَكِيلُ الْأَمِينُ يَنَالُ الْمَكَافَأَةَ مِنْ سَيِّدِهِ. نَرَى ذَلِكَ وَاضِحاً فِي كَلَامِ الْمَسِيحِ فِي التَّطَوُّيَّاتِ "طُوبَى لَكُمْ مَتَى أَهَانَكُمُ النَّاسُ وَاضْطَهَدُوكُمْ، وَقَالُوا فِيكُمْ مِنْ أَجْلِ كُلِّ سُوءٍ كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، فَإِنَّ مَكَافَأَتَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ عَظِيمَةٌ".

أَوْكَلُ الْمَسِيحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَّا مَسْئُولِيَّةَ طَاعَةٍ مَا أَمَرَنَا بِهِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ، فَهَلْ نَحْنُ أُمْنَاءٌ فِي الْقِيَامِ بِوَاجِبِنَا الرُّوحِيِّ وَإِذَاعَةِ أَخْبَارِ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ بِأَقْوَالِنَا وَحَيَاتِنَا؟ لِنَفْرَحْ وَنَهْتَلِلْ حَيْثُ يَجِدُنَا الرَّبُّ سَاهِرِينَ وَمُسْتَعِدِّينَ وَأَعْيُنُنَا إِلَى الْعُلَى. سَيَعُودُ سَيِّدُنَا الْمَحْبُوبُ وَمَعَهُ الْمَكَافَأَةُ فَنَصْعَدُ مَعَهُ إِلَى أَمْجَادِهِ السَّمَاوِيَّةِ مَعَ أَحِبَّائِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا عَلَى رَجَاءِ الْقِيَامَةِ. هَنِيئًا لَنَا فِي ثَقَاتِنَا بِرَبِّ الْمَجْدِ وَأَمَانَتِنَا لِعَمَلِ كُلِّ مَا يَطْلُبُهُ مِنَّا إِلَى أَنْ يَعُودَ عَنْ قَرِيبٍ.

يسوع يكمل عمله بعد قيامته

"الَّذِينَ أَرَاهُمْ أَنْفُسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينٍ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَطْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنْ الْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ." (أعمال الرُّسُل ١: ٣)

بعد قيامته المجيدة ظهر أولاً لمريم المجدلية، بقي يسوع على الأرض أربعين يوماً، وأرى نفسه لتلاميذه وأتباعه حياً براهين كثيرة. ظهر أيضاً لإثنين من تلاميذه على طريق عمواس، ثم لعشرة من تلاميذه في العليّة ولم يكن توما معهم. بعد ذلك للعشرة مع توما حيث أراه يديه وجنبه وحنّته أن يكون مؤمناً به وبكلامه. ناهيك عن ٧ من تلاميذه عند بحر الجليل ولخمس مائة منهم على أحد الجبال بالقرب من بحيرة طبريا. أراد المسيح أن يبرهن لهم ولنا أنه حي وأن قيامته لم تكن أسطورة بل حقيقة سنقوم نحن بقوتها للحياة الأبدية عند مجيئه ثانية. كانت محور الأمور التي خص بها تابعيه هي ما يتعلق بملكوت الله حاضراً ومستقبلاً.

يُسجّل الاصحاح الأول من سفر أعمال الرُّسُل آخر مُحادثة بين المسيح وتلاميذه وجهاً لوجه حيث سأله سؤالاً هاماً في الآية السادسة قائلين "يا رب، هل في هذا الوقت تَرُدُّ الْمَلِكُ إِلَى إِسْرَائِيل؟". هذا السؤال يرنّ صده إلى يومنا هذا، ونحن نتأمل بما قام به يسوع في الماضي وما سيقوم به عن قريب.

هؤلاء التلاميذ أنفسهم لم يفهموا قبل الصليب ما تحدث به يسوع عن قرب موته وقيامته. هذا ما لم يستطع تلميذا عمواس إدراكه بعد قيامته فابتدأ يسوع يوضح ما يقوله العهد القديم عن هذه القيامة. احتاج هذان التلميذان إلى مزيد من الإيضاح عما يجب عمله بعد إدراكهم لقيامة المسيح، وهذا ضروري لنا نحن أيضاً اليوم.

لم يشرح لهم يسوع بالتفصيل جواب سؤالهم، بل طلب منهم البقاء في أورشليم بانتظار إتمام وعد الآب بأرسال الروح القدس الذي سيؤهلهم ليكونوا "شهوداً له في أورشليم، وفي كل اليهودية والسامرة، وإلى أقصى الأرض". فبدلاً من الدخول في تفاصيل ما سيحدث بعد ذلك، استعمل المسيح لغة ذكرتهم بتعليماته لهم على جبل في الجليل الواردة في إنجيل متى ٢٨: ١٨-٢٠ "فَتَقْدَمُ يَسُوعُ وَكَلَمَهُمْ قَائِلاً: "دَفَعْ إِلَى كُلِّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" آمِينَ.

كانت تعليمات يسوع في هذه المأمورية صريحة وواضحة "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم في كل مكان". وقبل أن يصعد إلى السماء كرّر نفس المهمة بأخر كلمات نطق بها "وتكونون لي شهوداً إلى أقاصي الأرض". هذه هي تعليماته الأخيرة التي لم تشمل تابعيه آنذاك، بل تشملنا نحن أيضاً اليوم.

لهذه المأمورية قيمة خاصة عندما نجد تركيز يسوع في خدمته الأرضية على ٣٠ و ٠٪ من أرضنا المأهولة بالسكان. شملت مرسلتيه بقعة صغيرة من أرضنا الواسعة، وعند صعوده ترك مجموعة من صيادي السمك وجُباة الضرائب الذين أمام الضيق والاضطهاد لم يبدؤ عليهم القدرة على حمل بشارة الإنجيل وتلمذة الناس ل ٩٧، ٩٩ لما تبقى من مساحة الأرض المأهولة. كانت مخاطرة كبيرة لهم. لكن الروح القدس زوّدهم بما احتاجوه من قوة.

بعدما خلق الله آدم وحواء باركهما وقال "اثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض واخضعوها". لكن سقوطهما في الخطيئة منعهما من اطاعة أمر الخالق. وها يسوع يريد من تلاميذه أن يذهبوا إلى العالم ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. فكان لسان حال المسيح يقول "الرسالة التي رأيتموني أعلمها في اورشليم وبيت عنيا والجليل، احملوها يا تلاميذي وشاركوها مع سكان الأرض كلها".

عني حلول الروح القدس مسح التلاميذ وتأهيلهم لحمل بشارة الملكوت إلى العالم أجمع، ولنا سيحل روح الله بغزارة قبيل المنتهى ويؤهلنا لإتمام ما أمرنا به المسيح، ونكون له شهوداً في حياتنا وكرازتنا لأخبار الإنجيل السارة استعداداً لرؤياه عن قريب.

الإنجيل الذي وعظه يسوع

"وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوْحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبَشَارَةِ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَقُولُ: "قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ". (مرقس ١: ١٤ و ١٥)

بعد أن أودع الملك هيرودس يوحنا المعمدان السجن بسبب توبيخه له لزواجه من زوجة أخيه وهو على قيد الحياة، جاء يسوع إلى الجليل يكرز بملكوت الله. كلمة "إنجيل" في اللغة اليونانية تعني "أخبار سارة" ورغم وجود أربعة أناجيل لكن كتابها تناولوا حياة وتعاليم ومعجزات وموت يسوع وقيامته من أربعة جوانب مختلفة وكتبوا إنجيل حقيقي واحد. نجد في الإنجيل رسالة الخلاص لملكوت النعمة الذي جاء يسوع ليؤسسه، ودورنا في المشاركة في مبادئ السماوية. هذه الأخبار السارة لملكوت المسيح قائمة على البر والسلام والفرح بدم المسيح، والتبرير المجاني بخلاص تام فيه. ولما جاء ملء الزمان وتحققت العديد من النبوءات ظهر المسيح مبتدأ خدمته العلنية، داعياً الناس ليكونوا مواطني ملكوت السموات، ويتوبوا ويؤمنوا برسالته.

لكل كاتب من كتاب الإنجيل قصد وكتبه لجمهور مختلف. فمن بين كل ما قاله وعمله مُخلصنا يسوع، كان على الطبيب لوقا أن يبحث ويختار ما هو يقين كي يؤمن العزيز ثاوفيلس بما رآه وسمعه خدام الكلمة "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندها، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاً نيين وخدماً للكلمة" (لوقا ١: ٢١). نرى إذاً أن البشير لوقا رفيق الرسول بولس في رحلاته الكرازية، ركز على بشرية المسيح وعطفه على المرضى والمتألمين والمنبوذين في مجتمعهم. وفي نهاية إنجيله كتب لوقا ما قاله يسوع لتلاميذه قبل صعوده للسماء "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم: أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (لوقا ٢٤: ٤٤). ثم فتح أذهانهم ليفهموا الكتب.

كان متى جابي ضرائب عندما دعاه يسوع ليكون تلميذاً له، ترك كل شيء وتبعه. ركز في إنجيله على أن يسوع هو المسيح كما تنبأ عنه أنبياء العهد القديم. كان معيناً للأحداث في تنقلاته مع يسوع، فكتبها في الإنجيل. أما مرقس الذي رافق الرسول بولس وشارك إلى جانب برنابا في الوعظ والكرازة، فقد كتب شهادة بطرس الذي كان واحداً من ثلاثة تلاميذ مقربين من يسوع. ركز مرقس على معجزات يسوع بشكل تفصيلي.

أما الحبيب يوحنا فقد كان صياداً للسمك عندما قدم له المسيح الدعوة ليكون له تلميذاً. ركز في إنجيله على ألوهية المسيح وما رآه في الأيام والساعات الأخيرة لحياة يسوع على الأرض. كما ذكر سبب اختياره ما كتبه في الإنجيل في يوحنا ٢٠: ٣٠ و ٣١ فقال: "وآيات أخر كثيرة صنع يسوع فدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه".

في سفر الرؤيا ١٤ نجد رسائل الملائكة الثلاث حيث تذكر الأولى ملاكاً يطير في وسط السماء، معه بشارة أبدية يبشر بها أهل الأرض جميعهم، وهو ينادي عالياً: "اتقوا الله ومجدوه، فقد حانت ساعة دينوته. اسجدوا لخالق السماء والأرض والبحر والينابيع". تُعتبر هذه الرسائل تجديداً وكرازة لبشارة الإنجيل الأبدية. ولا عجب أن المسيح قال "ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى" (متى ٢٤: ١٤).

ستكون هذه آخر بشارة أبدية تشمل جميع الساكنين على الأرض، تهيب بهم العودة لعبادة الله الخالق وحفظ سبته مقدساً. إنها رسالة رجاء ومحبة من خالق محب لعالم غارق في الخطيئة. الرب يناديك كي تؤمن بعظيم الفداء الذي حققه بموته على الصليب من أجلك. سيعود عن قريب ليأخذ جميع المؤمنين به إلى ديار المجد. فهل ستعيش مبادئ البشارة الأبدية، وتؤمن بإنجيل المسيح للأيام الأخيرة، وتتضم لجوقة المفدين في تسبيح رب المجد الآتي ملك الملوك ورب الأرباب له كل تسبيح أبد الدهور آمين.

دروس عملية علّمها المسيح

"فَأَجَابَهُ سَمْعَانُ بَطْرُسُ: "يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ." (يوحنا ٦: ٦٨ و ٦٩)

بعد أن تكلم يسوع عن أنه الخبز الحيّ النازل من السماء وأنّ مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، تابع قائلا: "والخبز الذي أقدمه أنا، هو جسدي، أبذله من أجل أن يحيا العالم". أثار هذا الكلام جدلاً عنيفاً بين اليهود وتساءلوا "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكله؟". دُهِلَ الجميع من جواب المسيح "الحق الحق أقول لكم: إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم".

حتى التلاميذ وجدوا هذا الكلام صعباً وكثير من الجمع هجره، نظر إلى تلاميذه وقال لهم "وأنتم أتريدون أن تذهبوا مثلهم؟" أجابه بطرس "يا رب، إلى مَنْ نذهب، كلام الحياة الأبديّة عندك، وقد آمنا أنك المسيح ابن الله الحي". لم يفهم أي واحد من التلاميذ ما قاله يسوع عن معنى الخبز والجسد والدم بالكامل إلا بعد قيامته. كان جواب بطرس عملياً، من حيث أن المسيح هو الحق بعينه والمخلص الوحيد وغير ذلك يكون مثل مَنْ يحفر لنفسه آباراً مُشَقَّقه لا تضبط ماءً. ولا عجب أن قال المخلص "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله". يسوع وحده يُشبع جوعنا الروحي ويروي ظمأ نفوسنا المتعطشة إلى الماء الحيّ.

جاء يسوع كي يمنحنا السلام ويعطينا الحياة الأفضل، حيث نطبق مبادئ ملكوته على حياتنا ونسير معه يومياً. سنكون مع خمسة دروس عملية من تعاليم فادينا الحبيب يسوع: ١- أحب الله وقريبك. عندما سؤل السيد المسيح عن أعظم وصيّة أجاب "أحب الرب إلهك بكل قلبك ونفسك وفكرك، وأحب قريبك كنفسك". نحتاج أن نستبدل الكراهية بالمحبة، والغضب باللطف، كي نشعر بقربنا من الله ونجد مزيداً من السلام في حياتنا.

٢- عش القاعدة الذهبية. علّم يسوع مبدأ القاعدة الذهبية في عظته على الجبل حيث نقرأ: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ، لَأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ" (متى ٧: ١٢). يوصينا يسوع بالمحبة بعضنا لبعض في مبدأ واحد شامل يتناول كل العلاقات البشرية، على يقين محبة الله لنا. "إنَّ القاعدة الذهبية هي مبدأ المُجَامَلَةِ واللُّطْفِ الحقيقي، وأصدق تفسير لها يرى في حياة يسوع وصفاته" (روح النبوة، المعلم الأعظم صفحة ٥٧٠).

٣- ليكن لك إيمان بيسوع المسيح ربّ المجد. في الآية الذهبية يوحنا ٣: ١٦ نقرأ "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". بذل الله ابنه الأوحَد في محبة لا مثيل لها، وبه قدم الخلاص للجنس البشريّ بذبيحة دمه على الصليب. في هذا اندهشي أيتها السماوات وتحييري أيتها الأرض.

٤- تواصل بإخلاص مع الله. أظهر يسوع بمثاله وحياته ضرورة الصلاة إلى الله أبينا السماوي الذي يُحبُّنا، ويظهر استعدادَه ليقف إلى جانبنا ويُعيننا. تحدّث إلى الله بالصلاة وعبر عن امتنانك له لأجل حسن صنيعه معك، وقدم طلباتك له أمام عرش النعمة. ٥- اغفر بلا حدود. سأل بطرس ذات مرّة المسيح: "يا رب، كم مرّة يُخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرّات؟" قال له يسوع: "لا أقول لك إلى سبع مرّات، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ" (متى ١٨: ٢٠ و ٢١).

أراد بطرس أن يكون كريماً فذكر رقم الكمال سبعة، لكن جواب المسيح أكّد له أن لا حدود للغفران. غفر يسوع لأعدائه على الصليب كي يُعلّمنا معنى الغفران الحقيقي. لنغفر ونسامح كي نسمح لفرح السماء وغفران المسيح بأن يكون من نصيبنا. أملي أن نعيش هذه الدروس العملية من تعاليم المسيح في حياتنا كي نكون من مواطني ملكوت النعمة الآن، ورعايا ملكوت المجد عند رجوع فادينا في السماء عن قريب لنعيش في صُحبته أجيال الأبدية السعيدة. هذه صلاتي لكم باسم المسيح. آمين.

عاش المسيح ما علّمه

"فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ." (متى ١٤: ١٤)

انطلق يسوع مع تلاميذه بالقرب من كفرناحوم إلى مكان خال طلباً للراحة بعد يوم حافل من الوعظ وشفاء المرضى. عَرَفَ الناس المكان الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُخْلَصُ فساروا على الأقدام إلى بيت صيدا على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحر الجليل حيث قابلوا يسوع هناك. رغم تَعَبِ اليوم بكامله، يقول البشير متى "ولمَّا نَزَلَ يَسُوعُ إِلَى الشَّاطِئِ، رَأَى جَمْعًا كَبِيرًا، فَأَخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ". أَرَانَا الْمَسِيحُ الْآبَ فِي رَقَّتِهِ وَعُطْفِهِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ الْمُتَأَلِّمَةِ. وفي هذا يقول الرسول بولس: "مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعَزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا" (٢ كورنثوس ١: ٣-٤). لن يَرُدَّ الْمُخْلَصُ أَيَّ نَفْسٍ تَطْلُبُهُ.

رغم ضغط الجُمُوع على يسوع طالبين الشفاء، وَجَدَ لَهُ الْمَجْدُ الْوَقْتُ وَالْمَكَانَ الْمُنَاسِبَيْنِ لِيَتَوَاصَلَ مَعَ اللَّهِ عَلَى انفراد بالصلاة. نَقَرْنَا فِي إِنْجِيلِ مَرْقَسِ ١: ٣٥ "وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جَدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ". يتحدث مرقس عن عادة يسوع في الصلاة حيث قضى ٤٠ يوماً في البرية في خلوة روحية مع أبيه السَّمَاوِيِّ قبل أن يُجَرِّبَهُ إبليس. وَفَرُبَ نَهَايَةِ خِدْمَتِهِ الْأَرْضِيَّةِ، نَرَاهُ يَقْضِي الْوَقْتَ وَحِيداً يُصَلِّي فِي بُسْتَانِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِي أَصْعَبِ الْأَوْقَاتِ قَبْلَ تَضَحِيَّتِهِ بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. نَحْتَاجُ الْيَوْمَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى إِلَى قُوَّةِ رُوحِهِ فِي التَّأْمُلِ وَالصَّلَاةِ لِإِتِمَامِ عَمَلِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ. جَانِبٌ آخَرٌ مِمَّا عَاشَهُ الْمُخْلَصُ هُوَ تَرْكِيزُهُ عَلَى الْمَحَبَّةِ بِلَا تَمْيِيزٍ حَيْثُ عَلَّمَنَا فِي عِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ قَائِلاً: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعْنِيَكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْآبَرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (متى ٥: ٤٣-٤٥).

أشار يسوع في هذه الآيات إلى روح المحبة الغافرة التي هي البرهان الذي يدل على أن أولاد وبنات الآب السَّمَاوِيِّ مدفوعين بدوافع أسمى حتى من دوافع العشارين والخُطاة للذين يحتقرونهم. فَالْعَالَمُ بَكُلِّ مَنْ فِيهِ مِنْ أَشْرَارٍ وَأَبْرَارٍ يَتَمَتَّعُ بِشَمْسٍ مَحَبَّةٍ.

تصف كاتبة مُلهمة روعة هذه المحبة فتقول "إن أولاد الله هم شركاؤه في طبيعته. فليس المقام الأرضي ولا المولد ولا القومية ولا الامتياز الديني هو الَّذِي يُبْرِهن على أننا أعضاء في أسرة الله، ولكنها المحبة- المحبة التي تحتضن كل البشرية" (روح النبوة، المُعَلِّمُ الأعْظَمُ، صفحة ٥٠٨).

مثال آخر للمحبة غير المُميَّزة تظهر في وليمة أقامها متى ليسوع تلاميذه وكان فيها عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ مِمَّا أَثَارَ انتقاد الفريسيين فسألوا التلاميذ: "لماذا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْجُبَاةِ وَالْخَاطِئِينَ؟". وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعَ كَلَامَهُمْ قَالَ "لَيْسَ الْأَصْحَاءُ هُمْ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى الطَّبِيبِ، بَلِ الْمَرْضَى" "فَإِنِّي مَا جِئْتُ لِأَدْعُو أَبْرَاراً بَلِ خَاطِئِينَ" (متى ٩: ١٢ و١٣). فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ٨ وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ أَحْضَرَ إِلَيْهِ مُعَلِّمُو الشَّرِيعَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ امْرَأَةً ضَبَطَتْ بِالزَّنى وَقَدْ أَوْصَى مُوسَى بِرَجْمِ أَمْثَالِهَا بِالْحِجَارَةِ وَسَأَلُوا يَسُوعَ عَمَّا يَقُولُهُ بِقَضِيَّتِهَا.

أما المسيح فانحنى وبدأ يَكْتُبُ بِإصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. بَعْدَ أَنْ أَلْحُوا عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَقَالَ لَهُمْ "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ". وَانْحَنَى ثَانِيَةً يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ. بَعْدَ سَمَاعِهِمْ مَا قَالَهُ يَسُوعُ انْسَحَبُوا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخَرِ وَبَقِيَ يَسُوعُ وَالْمَرْأَةُ الزَّانِيَةُ فَسَأَلَهَا "أَلَمْ يَحْكَمْ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ" أَجَابَتْ "لَا أَحَدٌ يَا سَيِّدُ" فَقَالَ لَهَا: "وَأَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَيْكَ. اذْهَبِي وَلَا تَعُودِي تُخْطِئِينَ". رَائِعٌ أَنْتَ رَبِّي فِي نَظَرْتِكَ إِلَى إِنْسَانَةٍ خَاطِئَةٍ، تَحْتَنُّ عَلَيْنَا وَاشْفِ أَمْرَاضَنَا الرُّوحِيَّةَ وَالْجَسَدِيَّةَ وَارْفَعْنَا إِلَى مَا تُرِيدُنَا أَنْ نَصِلَ إِلَيْهِ بِمَعُونَةِ رُوحِكَ الْقُدُّوسِ. لَقَدْ عَشَتْ بِحَيَاتِكَ وَتَعَالَيْمِكَ رُوعَةَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرْتَهَا عَلَى الصَّلِيبِ كِي نَحْيَا مَعَكَ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا. لَكَ كُلُّ الْمَجْدِ أَبَدَ الدَّهْرِ. آمِينَ.

مارس ما وَعَظَ بِهِ يسوع

"لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضَى، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ."

(كولوسي ١: ١٠)

يُصَلِّيُ الرُّسُولُ بولس أن يتقوى إيمان مؤمني كولوسي ونحن بالرَّبِّ يسوع المسيح، ويسيروا بموجب روحه وبحسب كلمته لكي يكونوا أهلاً لدعوة الله العليا إذ دعاهم بنعمته للمعرفة والمجد. وعند حصولهم على المعرفة، أن يسلكوا بهديها ويعيشوا بموجبها. عمل يسوع وعاش بحسب مشيئة الله ولمسرتة، عاش المحبة متجسده ولا عجب في ذلك فالله محبة. أُنْقِيَاءُ الله هم أشجار البر، غرس الرب، والأعمال الصالحة هي الثمر الذي ينمو بتأثير النعمة الإلهية ويثمر من كل نوع حيث يُطَعَّمُ الكل في المسيح الكرمة الحقيقية. لنعيش مثال المسيح وهو يعمل ما يُرضي الله حيث يقول: "الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الْآبُ وَحْدِي، لِأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ" (يوحنا ٨: ٢٩). لِيُبَارِكِ المسيح حياتنا ونحن نعمل مشيئته على الدوام.

هل تساءلت عن السبب الذي جعل يسوع فعلاً في الوصول إلى الناس ومساعدتهم واستعدادهم لسماع ما يقوله ونوال ثقتهم؟ لقد تقاطر الناس عليه من عشارين وخُطاة وزواني طالبين الشفاء الجسدي والروحي. كان على علم تام بالإسفار المقدسة، واستعملها لمواجهة حاجات من أتى إليه طالباً العون. إن طيبة يسوع هي التي جعلت خدمته فعالة. ازدادت شعبية المسيح نتيجة كلمات الحكمة التي نطق بها، ومضمون الرسالة التي علمها مما جعل السامعون يتساءلون بأية سلطة كان يُعلم ويشفي؟ لقد عاش يسوع صدق التعاليم التي وعظ بها، وكانت أعماله وكلماته خير دليل لعطفه على الأم الناس من حوله، فبكى مع الباكين واهتم بالأعمى والأبرص أيضاً.

توضّح الأسفار المقدسة أن الخدمة الجيدة تنبع من حياة صادقة ودوافع نبيلة ومشورة صالحة إذا كان المقصود منها إكرام المسيح ونفع الآخرين الشخصي. فاقد الشيء لا يُعطيه، فلا يمكننا مساعدة الآخرين على التقرب إلى الله، ما لم نحافظ نحن على سير أوثق مع المسيح. يكون الناس أكثر رغبة في سماع ما نقوله إذا تأكدوا من محبتنا لهم. فصلاح الإنسان يكون خلفه دوافع صادقة، فالشخص الذي يحاول مساعدة الآخرين وتشجيعهم، عليه أن يقوم بذلك بدافع الخير لهم دون أية منفعة شخصية. الصلاح هو استثمار شخصي لمجد الله، والذي يفيض برغبة صادقة في مساعدة الآخرين للتقرب من المسيح، مهما كانت التحديات في الوصول لهذا الهدف. يا ربّي البار، ساعدني أن أعيش بركة لمن حولي على درب الحياة.

قال يسوع في سياق عظته على الجبل "مَنْ ثَمَارَهُمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشُّوكِ عَنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟" (متى ١٦: ٧). يُحذّر يسوع من الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان وهم من الداخل ذئاب خاطفة، هذه دعوة من ربّ المجد كي يكون تابعوه ناضجين في إيمانهم. فلا نستطيع الحكم على المظهر الخارجي مهما بدا رشيقياً وجذاباً، علينا ألا نحكم على ظاهر الإنسان، بل ملاحظة حياتهم ومقارنته ما يُعلمونه بكلمة الله. القنوات الفضائية مليئة بوعاظ يُهروننا بطيب الكلام والوعود البراقة بعد أن تصلهم تبرعاتنا، المقياس هنا هو "هكذا قال الرب" - إلى الشريعة وإلى الشهادة".

لاحظوا نمط الحياة التي يعيشونها ليس على الشاشة الصغيرة فحسب، بل في حياتهم الخاصة. سيروا أعزائي بمحبة وطهارة، بإيمان وسلام. لنثبت بالمسيح كما تثبت الكرمة بالأغصان. هذا ضمان لنا لنأتي بثمر ويدوم ثمرنا كي يتمجد المسيح فينا. ليت ما نعط به يطابق ما نؤمن به. لنكرس حياتنا ووقتنا كي نشارك معرفة مسيحنا الحي مع عالم يعيش في ظلام روحي. الربُّ آتٍ وسنسمع منه كلمات رائعة "نعماً أيها العبد الصالح والأمين، قُمتَ بواجبك بأمانة وعشتَ لمجدي، ادخل إلى فرح سيّدك". هنيئاً لنا بفرح سيّدنا في سماء المجد عن قريب.

تعاليم المسيح في حياتي

"إِذَا إِن كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا." (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

عندما يُسَلِّمُ الإنسان حياته للمسيح، يُصْبِحُ بالإيمان فيه إنساناً جديداً بإرادة الله، يختلف عما كان عليه في الماضي، مخلوقاً جديداً بكل ما تعنيه هذه الولادة يُدْرِكُ دوره في الحياة الروحية الجديدة حيث مات عن حياة الخطية الماضية. يؤمن بمبادئ جديدة من النعمة والقداسة، بعواطف وميول جديدة، بقلب وروح جديدين، يرى الأشياء بعيون الإيمان الجديدة. لا يعيش لإرضاء نفسه، بل يعيش لتمجيد فاديه الحبيب يسوع. لا يسير بحسب مقاييس العالم، بل بنهج جديد من الإيمان والقداسة- يركّز آماله وتطلعاته في بيته السماوي من إعداد ربّ المجد يسوع حيث يكنز له كنوزاً هناك- هذا هو الإنسان الجديد في المسيح يسوع حيث الكل قد صار جديداً، الآن هو عضو في العائلة الروحية ومواطن في ملكوت النعمة الذي أسسه المخلص على الأرض.

قابل يسوع الكثير من الناس خلال خدمته الأرضية، والعديد منهم بعد تلك المواجهة، تغيرت حياتهم للأفضل. نذكر منهم الرجل ساكن القبور الذي كان فيه روح نجس، والمرأة السامرية التي تغيرت حياتها فشهدت لأهل قريتها عن يسوع. بنفس الطريقة الـ ١٢٠ شخصاً المجتمعين في العلية بعد حلول الروح القدس عليهم أضرموا نيران الكرازة بالإنجيل العالم من حولهم.

عانت جنيفر من عادة الإدمان على المخدرات واليأس والعذاب وبعد أن قابلت يسوع تحررت من ادمانها حيث بقيت ٤ سنوات في مصحة مسيحية تعلّمت فيها عن المسيح الذي غير حياتها وصارت كارزة له في العديدة من البلدان. نمت حياتها روحياً بفضل العبادة والصلاة ودرس كلمة الله. يأخذ يسوع أناساً مُحطَّمين ويشفيهم ويؤهلهم بروحه لحياة الخدمة المضحية وحمل أخبار الإنجيل السارة إلى العالم أجمع كما أوصاهم المعلم الأعظم.

هذا ببساطة مفهوم الإنجيل: جاء الله إلى العالم في شخص المحبوب يسوع المسيح. ليس أي واحد منا مؤهلاً ليكون في حضرة الله، مهما بدا أنه صالحاً. الله كامل ومقدس فجاء يسوع بمثابة الجسر والوسيط بينه وبيننا. مات على الصليب وحمل خطايا العالم على نفسه ودفع الثمن ليُعطينا به إذا آمنا فيه. وحيث غطّانا بهذا البر جعلنا راسخين في المسيح. ترك المسيح انطباعاً عظيماً في نفسي. إنه صديقي للأبد، وقد قبلت خلاصه في حياتي. أرى حياتي تتغير يوماً بعد آخر بثبات واستمرار وبفضل روحه أصل إلى المقياس الذي يريدني أن أصل إليه. مرّ في حياتي تحولات مؤثرة كبيرة كان لها تأثير في نفسي. أنقذني الرب من حادث سير مروّع كاد يقضي عليّ. كنت في مواقف عديدة أتساءل إذا كان الله موجوداً، وما هو قصدي في هذه الحياة؟ لكنني عملت بنصيحة صاحب المزامير ٨: ٣٤ حيث يقول: "دُوقُوا وَانظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبُّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ".

كلمة الرجل تشمّل هنا الإنسان بشكل عام. ومع تأملاتي الروحية في شخص المحبوب يسوع، نمت إيماني وتقوى وأنا أسير معه بإيمان كل يوم. يسوع لن يتركني ولن يهملني كما وعد وهو معي إلى انقضاء الدهر.

قارئي العزيز، هل تدوّقت ما أطيب الرب وما أروع أعماله في حياتك، وهل قبلته مُخلصاً شخصياً لحياتك؟ وهل تعلّمت أن تثق به وتُحبّه في كل ظروف الحياة؟ أنت بفضل نعمته إنساناً جديداً وُلدت بالماء والروح، بعد أن دفنت حياة الخطيئة وقمت لحياة جديدة بقوة روحه القدوس. يسوع يُحبُّك ويريدك أن تكون معه أنت وجميع أحبائك في ديار المجد في مجيئه الثاني عن قريب. هنيئاً لك وأنت تعيش مبادئ تعاليم المسيح في حياتك. وبركة القادر على كل شيء تقويك لمجده على الدوام. آمين.

عِشْ مَا تَعِظُهُ

"أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي." (فيلبي ٤: ١٣)

يُلَخِّصُ أَحَدُ اللاهوتيين وَيُدْعَى "أَلْك مَوْتِير" ثَلَاثَةَ أَفْكَارٍ رَئِيسَةَ لِرِسَالَةِ بُولُسَ إِلَى مُؤْمِنِي فِيلِبِّي: ١- وَحْدَةُ الْكَنِيسَةِ ٢- شَخْصَ الْمَسِيحِ وَمَا حَقَّقَهُ بِخِدْمَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ ٣- دَعْوَةَ لِلْعِيشِ حَيَاةً تَسْتَحِقُّ الْإِنْجِيلَ. الْفِكْرَةُ الثَّلَاثَةُ هِيَ مَا سَنُرَكِّزُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ. رَغْمَ الْعُزْزِ وَالْمُعَامَلَةِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي لَاقَاهَا بُولُسُ فِي السَّجْنِ، فَإِنَّهُ يُعَبِّرُ بِفَرَحٍ عَنْ ثِقَتِهِ بِاللَّهِ الَّذِي سَمَحَ لَهُ بِتَحْمُلِ مَا جَرَى لَهُ. تَعَكَّسَ كَلِمَاتُ بُولُسَ فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ مَا عَلَّمَهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فِي قَوْلِهِ "عِنْدَ اللَّهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ" (مَتَّى ١٩: ٢٦). كَمَا أَعْلَنَ فِي رُومِيَّةِ ٨: ٣١ "مَا دَامَ اللَّهُ مَعَنَا، فَمَنْ يَكُونُ عَلَيْنَا؟".

مَا عَنَاهُ بُولُسُ بِقَوْلِهِ "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي". هُوَ قُدْرَةُ الْمَسِيحِيِّ عَلَى احْتِمَالِ الصَّعَابِ وَالِاضْطِهَادِ وَلَيْسَ انْجَازَ أَيْ عَمَلٍ بِبَسَاطَةٍ لِأَنَّهُ مُخَلَّصٌ. فَالرَّغْمَ مِنْ آلامِهِ وَفَقْرِهِ، فَإِنْ فَرَحَهُ لَا يَنْبُعُ مِنْ حَلِّ هَذِهِ الْمَشَاكِلِ، بَلْ يَأْتِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِالْمَسِيحِ. حَتَّى خِلَالِ الْأَزْمِنَةِ الصَّعْبَةِ، يَسُوعُ يُقَوِّي وَيُرْشِدُ وَيُقَوِّدُ وَيُعْطِي التَّشْجِيعَ. وَلَوْ خَسِرْتَ وَظِيفَتَكَ أَوْ عَجَزْتَ عَنْ دَفْعِ الْإِجَارِ، فَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ فَرَحِكَ حَلَّ هَذِهِ الْمَشَاكِلِ.

تَعَلَّمَ بُولُسُ أَنْ يَكُونَ قَنُوعاً فِي الرِّخَاءِ وَالضِّيقِ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ الَّتِي مَرَّ بِهَا. إِذَا كَانَ فَرَحُنَا فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، حَتَّى لَوْ وَصَلْنَا إِلَى الْحُضِيِّضِ، يَكُونُ لَنَا الْفَرَحُ. هَذَا مَا عَنَاهُ بُولُسُ فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ. لَيْكُنْ يَسُوعُ مَصْدَرُ فَرَحِنَا فِي كُلِّ حِينٍ، نَعْتَمِدُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يُقَوِّينَا وَنُسَلِّمُ لَهُ الْكُلَّ فِي طَاعَةِ حُبِّيَّةٍ.

قَدْ نَسَمِعُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ لَنَا: "لِمَاذَا لَا نَعِشُ مَا تَعِظُ بِهِ؟". وَرَدَّ تَحْذِيرٌ مِنْ يَسُوعَ فِي مَتَّى ٢٣ بِشَأْنِ مُعَلِّمِي الشَّرِيعَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ مُرَائِينَ فَقَالَ لِسَامِعِيهِ "افْعَلُوا كُلَّ مَا يَقُولُونَهُ لَكُمْ وَعَمَلُوا بِهِ، وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُوا مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ". ثُمَّ نَطَقَ بِالْوَيْلِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ "يَبْدُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَاراً، وَلَكِنَّهُمْ مِنَ الدَّخْلِ مُمْتَلِئُونَ بِالرِّبَا وَالْفِسْقِ". الْمُرَاوُونَ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ شَيْئاً وَيَعْمَلُونَ عَكْسَهُ.

يَدْعُونَ أَنَّهُمْ بِذَاتِ الْأَهَمِّيَّةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِينَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ. يَتَصَرَّفُونَ فِي مَوْقِفٍ مُعَيَّنٍّ وَيَعْمَلُونَ شَيْئاً مُخْتَلِفاً فِي مَوْقِفٍ مُخْتَلَفٍ. مِنَ الْمَهْمِ لَنَا كَمَسِيحِيِّينَ، أَنْ تَتَبَعَ مِثَالَ الْمَسِيحِ، بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَكُونُ فِيهِ أَوْ الْأَشْخَاصِ الْحَاضِرِينَ. لَتَكُنْ الْكَلِمَاتُ الَّتِي نَنْطِقُ بِهَا وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي نَتَصَرَّفُ بِهَا هِيَ انْعِكَاسٌ لِإِيمَانِنَا.

مِنْ السَّهْلِ أَنْ نُخْبِرَ النَّاسَ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكَيْفَ يَعْيشُوا وَنَجِدَ صُعُوبَةً فِي تَطْبِيقِهَا عَلَى أَنْفُسِنَا. لِنَسْأَلْ أَنْفُسَنَا هَذَا السُّؤَالَ: "لِمَاذَا مِنَ الْمَهْمِ لَنَا أَنْ نُمَارِسَ مَا نَعِظُ بِهِ؟". الْجَوَابُ هُوَ فِي أَصَالَةِ إِيْمَانِنَا، نَحْنُ جَسَدُ الْمَسِيحِ لِلْعَالَمِ. سَمَّانَا يَسُوعُ فِي الْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ". لِذَا، يَنْجَذِبُ النَّاسُ إِلَى نُورِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي نَعِيشُ بِهَا وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي نَنْطِقُ بِهَا. شَيْئاً أَمْ أَبِينَا، يُرَاقِبُنَا النَّاسُ لِيَرَوْا كَيْفَ نَتَصَرَّفُ فِي وَقْتِ الرِّخَاءِ وَالضِّيقِ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ.

يُرَاقِبُ الصِّغَارُ الْكِبَارَ وَيُقَلِّدُونَ مَا يَرَوْنَهُ وَيُرَدِّدُونَ مَا يَسْمَعُونَهُ. هَلْ كَلِمَاتُنَا وَأَفْعَالُنَا مَا نُرِيدُ أَنْ نَرَاهُ يَتَكَرَّرُ فِي صِغَارِنَا؟ الْأَصْدِقَاءُ وَالْجِيرَانُ وَزَمَلَانُنَا فِي الْعَمَلِ وَطَلَّابُ صَفِّنَا يَرَاقِبُونَنَا عَنْ كَثْبٍ. أَيْ بُرْهَانٌ نُقَدِّمُهُ عَلَى صَدَقِ إِيْمَانِنَا؟ يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ فِي ١ كُورِنْثُوسَ ٤: ٩ "لَأَنَّا صَرْنَا مَنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ". تَعْنِي كَلِمَةُ "مَنْظَرًا" مَسْرَحًا أَوْ مَلْعَبًا رِيَاضِيًّا يُرَاقَبُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ كَيْفَ نَعِشُ إِيْمَانِنَا تَحْتَ كُلِّ الظُّرُوفِ. يَقِينُنَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشَاهِدُونَنَا الْآنَ كَيْفَ نَسْلُكُ وَنَسِيرُ فِي الْحَيَاةِ. وَهَذَا الْوَضْعُ لَا يَدَّ مِنْ أَنْ يُوَثِّرَ فِينَا وَفِي الْقَرَارَاتِ الَّتِي نَتَّخِذُهَا.

اللَّهُ يَرَاقِبُنَا وَمَلَائِكَتُهُ أَيْضًا يَتَابِعُونَ حَرَكَاتِنَا بِاهْتِمَامٍ. وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ فِي مَسْرَحِ الْعَالَمِ مَعْرُضًا لِلْبَشَرِ وَالْمَلَائِكَةِ جَمِيعًا. إِنَّا نَعْرِفُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَرَاقِبُونَنَا، وَعِنْدَمَا تَتِمُّ عَلَامَاتُ الْمُنْتَهَى وَيَعُودُ مَسِيحُنَا الْمُبَارَكُ، كَمْ نَتَمَنَّى لَوْ كُنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْمَعَهُمْ وَهُمْ يَحْيُونَا وَيَشْجَعُونَنَا وَيَرْحُبُونَ بِنَا إِلَى دِيَارِ الْمَجْدِ.

يسوع أَرْسَلَ ١٢ تَلْمِيزاً

"وَدَعَا الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَابْتَدَأَ يُرْسِلُهُمْ اِثْنَيْ اِثْنَيْنِ، وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ."

(مرقس ٦: ٧)

زار يسوع بلدته الناصرة وأخذ يُعَلِّمُ في مجمَعها فدهش كثيرون من أقوال الحكمة التي نطقَ بها، بينما البعض منهم شكوا فيه. تعجَّب المُخْلِصُ من عَدَمِ إيمانهم، ثُمَّ أَخَذَ يَطُوفُ بِالْقُرَى الْمَجَاوِرَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ. بينما كان التلاميذ نائمين في أسفل الجبل، قضى المسيح الليل يُصَلِّي مِنْ أَجْلِهِمْ. وفي الصباح وفي مكان هادئ وعلى جبلٍ بالقرب من بحر الجليل "دعا يسوع تلاميذه ليكونوا وليعلنوا للعالم ما قد رآوه وسمِعوه منه، فكانت خدمتهم أجلَّ خدمة أُسندت إلى بني الإنسان وفي المرتبة الثانية بعد خدمة المسيح نفسه. أن يكونوا عاملين مع الله لأجل خلاص العالم. وكما أن الاثني عشر الأولين في العهد القديم وقفوا نواباً عن العبرانيين، كذلك كان على الرُّسُل الاثني عشر أن ينوبوا عن كنيسة العهد الجديد" (روح النبوة، مُستَهَي الأجيال، صفحة ٢٦٧).

أمَّا عن سَبَب اختياره إرسال اثنين اثنين من تلاميذه ليكرزوا ويشفوا وأعطاهم سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ، فيعود إلى القُوَّة في عَمَلِ الْاِثْنَيْنِ معا كفريق تدريبي يُسَاعِدُ وَيُشَجِّعُ وَاحِدُهُمَا الْآخَرَ. سَبَبٌ آخَرُ أن شهادة اثنين تُعْتَبَرُ ذات قيمة ومصدقية. يؤكد سفرُ التثنية ١٩: ١٥ أن شهادة شخص واحد في نزاع أو جريمة ليست كافية حيث نقرأ "عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءٍ يَقُومُ الْأَمْرُ". أَكَّدَ يسوع هذه الحقيقة بقوله "لأنَّ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اِثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (متى ١٨: ١٩).

هناك قُوَّة يمنحها يسوع في عَمَلِ الْاِثْنَيْنِ معا، ويؤكد هذه الحقيقة سليمان في سفر الجامعة ٤: ١٢ و٩ "اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ، لَأنَّ لَهُمَا أَجْرَةٌ لَتَعْبَهُمَا صَالِحَةٌ. وَإِنْ غَلَبَ أَحَدٌ عَلَى الْوَاحِدِ يَقِفُ مُقَابِلَهُ الْاِثْنَانِ". أخيراً دُعِمَ وَاحِدُهُمَا لِآخَرِ في الكرازة له مكافأة خاصة في الشهادة عن تعاليم ومُعْجَزَاتِ رَبِّ الْمَجْدِ يسوع. هذا الدعم والعَمَلُ معاً هما سرُّ نجاح الكنيسة. أَرْسَلَ يسوع تلاميذه الاثني عشر وزوَّدهم بتعليمات في رحلتهم الكرازية نقرأ عنها في الإصحاح ١٠ من إنجيل متى. أوصاهم أن لا يذهبوا إلى الأمم ولا إلى مدينة سامريَّة، بل إلى خراف بيت إسرائيل الضَّالَّةِ قائلين "قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" لا تحملوا في أحرمتكم ذهباً ولا فضةً ولا نحاساً "كونوا مُتَنَبِّهِينَ كَالْحَيَّاتِ وَمُسَالِمِينَ كَالْحَمَامِ".

ثُمَّ أَكَّدَ حُضُورَهُ مَعَهُمْ وَعَنَايَتَهُ بِهِمْ فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ لِلْخَوْفِ. اشفوا المرضى، أقيموا الموتى، طهروا البُرْصَ، أجروا مُعْجَزَاتٍ، مَجَّاناً أَخَذْتُمْ مَجَّاناً أَعْطَاوْا. اسْتَلَمْتُمْ قُوَّةَ الشِّفَاءِ مِنِّي مَجَّاناً، فَقَدِّمُوهَا مَجَّاناً أَيْضاً. كان الهدف من إرسالهم كي يُعَدُّوا الطريق للصليب وتأسيس ملكوت النعمة، ملكوت روحي وليس مملكة أرضية. سَمَحَ لَهُمُ الْمَسِيحُ أَنْ يَذْهَبُوا لِلْأُمَمِ وَإِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ بعد قيامته وحلول روحه في يوم الخمسين. يُخْبِرُنَا الطَّيِّبُ لَوْحًا فِي الْإِصْحَاحِ الْعَاشِرِ أَنَّ يسوع أَرْسَلَ اِثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ آخَرِينَ وَأَرْسَلَهُمُ اِثْنَيْنِ اِثْنَيْنِ كَحَمَلَانِ بَيْنَ ذُنَابٍ لِيَكْرِزُوا قَائِلِينَ "قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ". قَصَدَ يسوع أَنْ يَخْدِمَ تَلْمِيذَهُ فِي أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ بَدَلًا مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَأَرْسَلَهُمْ بِسُلْطَانٍ كِي يَتَكَلَّمُوا بِاسْمِهِ كَمُمَثِّلِينَ عَنْهُ أَمَامَ الْعَالَمِ.

كان ذلك نموذجاً مُصَغَّرًا لِلْمَأْمُورِيَّةِ الْعُظْمَى التي تركها المُخْلِصُ مع تلاميذه قبل صُعوده لِلسَّمَاءِ. اختار يسوع تلاميذه الذين دعاهم رُسُلًا مِنْ خَلْفِيَّاتٍ وَمَهَنَ مُخْتَلِفَةٍ. فَمِنْهُمْ كَانَ الصَّيَادُ وَجَابِي ضَرَائِبٍ. والرائع في هذه الدعوة أن جميعهم تركوا مهنتهم السابقة وتبعوا يسوع. لم يكن طريقهم سهلاً فَقَدْ حَمَلُوا أَخْبَارَ الْإِنْجِيلِ السَّارَةَ إِلَى الْعَالَمِ وَمَاتَ مُعْظَمُهُمْ لِأَجْلِ إِيْمَانِهِمْ بِسَيِّدِهِمُ الْمَسِيحِ الَّذِي سَكَبَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ لِأَجْلِهِمْ. لَكِنَّهُ وَعَدَ بِأَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ بِرُوحِهِ إِلَى مُنْتَهَى الدَّهْرِ.

في هذه الأيام الأخيرة، تصلنا دعوة يسوع من جديد قائلاً "اذهبوا وكرزوا برسالة الاستعداد لعودتي الوشيكة على سُبْحِ السَّمَاءِ". سَأَسْكُبُ رُوحِي بِغَزَاةٍ لِدَعْمِ عَمَلِكُمْ كِي تَعْمَ بِشَارَةَ الْخَلَاصِ. يدعوك الربُّ له تَلْمِيزاً فَهَلْ تُكْرِمُهُ بِقَبُولِكَ وتقول للمسيح "ها أنا أُرْسِلُنِي". لِيُبَارِكَ اللَّهُ الْقَدِيرَ قَرَارَكَ لِخَلَاصِ نَفْسِكَ وَآخَرِينَ.

كَرَزَ الرُّسُلُ بِرِسَالَةِ الْمَسِيحِ

"لَا تَنَّا نَحْنُ لَا يُمْكِنُنَا أَنْ لَا نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا." (أعمال الرُّسُل ٤: ٢٠)

تضايقَ بعضَ الكَهَنَةِ، وقائد حَرَسِ الهيكل والصدوقيين من شجاعة بطرس ويوحنا بتعليمهما حقيقة قيامة المسيح، فقبضوا عليهما وألقوهما في السجن. وفي الصباح اجتمع رؤساء اليهود والشيوخ والكتبة واستدعوا بطرس ويوحنا وسألوهما "بأية قُوَّة وباسم من فعلتُمَا هذا؟" فامتلاً بطرس من الروح القدس وأجابهم "باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، وأقامه الله من بين الأموات" (أعمال ٤: ١٠). "فتعجب المجتمعون من جرأة بطرس ويوحنا، لما عرفوا أنَّهما غير متعلِّمين، وأنَّهما من عامة الشعب، فأدركوا أنَّهما كانا مع يسوع" ثمَّ أمروهما ألا ينطقا باسم يسوع ولا يعلمَّا النَّاسَ به". وبعد التأكيد بأنَّهما يُطيعان أمر الربِّ قبل النَّاسِ تابعا يقولان "لَا تَنَّا نَحْنُ لَا يُمْكِنُنَا أَنْ لَا نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا". مرَّ تلاميذ المسيح بظروف مؤلمة أثناء القبض على يسوع حيث لم يكونوا يتوقَّعون ذلك، فتركوه وهربوا وبقي وحيداً يذوق عذاب الصليب من أجلهم وأجلنا. دَمَّرَ موت سيِّدهم المسيح كُلَّ آمالهم وتركهم فريسة الخوف واليأس. على سبيل المثال بطرس، الذي أنكر سيِّده قبل أسابيع قليلة، نراه يقف أمام مجلس رؤساء الكهنة يُجاهر أمامهم باسم يسوع الناصري. ما الذي حَدَّثَ للتلاميذ وما الذي غيَّرهم لدرجة أن رؤساء الكهنة والمجلس أمروا بجلدهم "لكنَّهم اعتَبَرُوا أَهْلًا لِأَنْ يَلْقُوا الإِهَانَةَ مِنْ أَجْلِ اسْمِ يَسُوعَ؟" (أعمال ٥: ٤١).

رَكَزَ بطرس ويوحنا على جانبين في جوابهما بحيث يكون الصَّمْتُ مُستحيلاً: أولاً "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من النَّاسِ". وثانياً لا يُمْكِنُهما أن يصمَّتا تجاه الأشياء التي رأياها وسمعاها من مُعلِّمهم المحبوب يسوع. كيف لا يُشاركون أخبار تعاليم ومُعْجَزات المسيح، موته وقيامته، وكُلِّ ما رآوه وسمعوه على مدى أكثر من ٣ سنوات؟ الكنيسة الصامِتة التي لا تُشارك أخبار الإنجيل السَّارة هي كنيسة ميَّتة وكذلك الحال مع المسيحيِّ.

قُبيل صعود المسيح إلى السَّماء، أخبر تلاميذه بأن يكونوا شهوداً له في أورشليم واليهودية والسَّامرة وإلى أقصى الأرض. وقد ركَّز بطرس في أعمال ٨ على العمل لخلاص السَّامريين وفي أعمال ١٠ على الأُمَم أيضاً. وأوضح لهم بأنَّهم أثناء كرازتهم سيواجهون الاضطهاد من السُّلطات وذكرهم بأن لا يخافوا من الذي يقتل الجَسَدَ، لكن أرواحهم هي ملك الله. وسيبقى أميناً لمن هم أُمَناء له وسيعترف بهم أمام الآب السَّماويِّ.

وَصَلَ بطرس ويوحنا وباقي الرُّسُل بقوة الروح القدس إلى المكان الذي أراد لهم المسيح أن يَصِلَا، فكان مصيرهما الأبديُّ أكثر قيمة من حياتهما الأرضية. كان أمر يسوع لهما أقوى من تهديد رؤساء الكهنة فجأهرها باسم يسوع هم وباقي الرُّسُل الذين اسْتُشْهِدُوا وَهُمْ يَكْرِزُونَ بِرِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ.

رَكَزُوا على قيامة يسوع كحقيقة أكيدة وَهُمْ شُهُودٌ بِذَلِكَ، وصُعد السيِّد المسيح إلى السَّماء وحُلُولُ الروح القدس بغزارة في يوم الخمسين وما تَبَعَ ذَلِكَ من انضمام الآلاف إلى المسيحية في يوم واحد. وعظوا عن يسوع ابن الله، الذي مات وقام في اليوم الثالث. هكذا حَمَلَ الرُّسُلُ رسالة المسيح عَبْرَ العُصُور بِكُلِّ أمانة رغم الضيق والاضطهاد.

في سفر يوثيل النبي ٢: ٢٨-٣٢ وعد بانسكاب الروح على كُلِّ بَشَرٍ في أيامنا الأخيرة حيث تتحوَّلُ الشَّمْسُ إلى ظلام قَبْلَ مجيء يوم الربِّ العظيم المُخِيف. والوعدُ بحلول روح الله ستكون له نتائج أعظم مما كانت في يوم الخمسين. وكما حَمَلَ الرُّسُلُ رسالة إنجيل المسيح، ستمحَلُ البقية الباقية أنتم وأنا رسالة المسيح قَبْلَ مجيئه ثانية. ليمنحنا القدير القُوَّة كي نكون صوت المسيح يهيب بالناس التوبة والاستعداد لمُلاقاة ربِّ المجد بفرح لا يُنطَقُ به ومجيد. هنيئاً لنا في مُشاركتنا ما رأيناه وسمِعناه عن محبة الله لنا وللعالم أجمع. آمين.

الرُّسُلُ يَنْشُرُونَ الْمَسِيحِيَّةَ

"فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ." (متى ٢٨ : ١٩)

أكَّد السيِّدُ المسيحُ لتلاميذه عندما تقابلَ معهم بعد قيامته، أنَّ له سُلطانَ في السَّماءِ وعلى الأرض، وأعطاهم أمرَهُ بالذهابِ وتَلْمِذَةِ جَمِيعِ الْأُمَمِ بِاسْمِ الثَّالُوثِ الْأَقْدَسِ وتعليمَهُمْ جَمِيعَ ما أوصاهُم به. ووعدَ بأن يكونَ مَعَهُمْ إلى انقضاءِ الدَّهْرِ. تشمُلُ الآيةُ أعلاه أربعة أفعالٍ " اذهبوا، تلمذوا، عمِّدوا وعَلِّموا. أطاعَ تلاميذُ المسيحَ أمرَ سيِّدِهِم وانطلقوا يكرزون في كُلِّ مكانٍ وبعدَ أن يُتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ أن يُعَمِّدُوهُمْ. فالتلمذة تسبقُ المعموديةَ بعدَ أن يختارَ المؤمنُ المسيحَ مُخْلِصاً شخصياً لحياته.

تعني التلمذة الأولية للمسيح في حياتنا فوق أي ارتباط عائليٍّ، إلى جانب انكار الذات والسير مع مُخْلِصنا يسوع. تتطلَّبُ التلمذة أيضاً الثبات في المسيح كما أكَّد ذلك ربُّ المجد " إِنَّكُمْ إِنْ تَبْتُمْ فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي " (يوحنا ٨ : ٣١). تعني كذلك تَرْكَ الْأَمْوَالِ وَعَدَمَ خِدْمَتِهَا كسيِّدٍ، حيث قال يسوع " لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً " (متى ٦ : ٢١). الشرط الأخير هو أن نأتي بِشَمرٍ كثير ونكون تلاميذ المسيح.

بدأت المسيحية بكَرَازَةِ يسوع وخِدْمَتِهِ عندما نادى بِاقْتِرَابِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وكان مَلَكُوتاً رُوحِيّاً أي مَلَكُوتِ النعمة حيث أن النعمة والحقَّ في يسوع المسيح صارا. أمَّا كنيسة الرُّسُلِ فقد بدأت عند انسكاب الروح القدس على ال ١٢٠ شخصاً المُجْتَمِعِينَ في العَلِيَّةِ في أُورُشَلِيمَ واستمرَّت حتَّى وفاة آخر رسولٍ مِنْهُمْ.

كانت البشارة بالمسيح الحيِّ الَّذِي أَقامه اللهُ مِنَ المَوْتِ هِيَ جوهرُ الرِّسَالَةِ التي نادى بها الرُّسُلُ أمام رؤساء الكهنة وفي الهيكل وأثارت الاضطهادَ ضَدَّهُمْ. وما مَيَّزَ تلكَ الفترة هي معموديةُ كَرْنِيلْيُوسَ قائدِ المِئَةِ وكان أوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وتجديد شاول الَّذِي أَصْبَحَ الرِّسُولَ بولسَ رسولَ الجهادِ المسيحيِّ وَالَّذِي حَمَلَ مَسْئُولِيَّةَ نَقْلِ الْإِنْجِيلِ إِلَى الْأُمَمِ. أمَّا عن مصير رُسُلِ المسيح الاثني عشر فجميعُنا يَعْلَمُ ما حدثَ ليهودا الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ بعد تسليمه المسيح. واختار الرُّسُلُ بِالْقُرْعَةِ مَتِّيَّاسَ بَدَلاً مِنْهُ. ذَهَبَ اندراؤُسُ إِلَى بُلْغَارِيَا وماتَ في أَخَائِيَّةِ بِالْيُونَانِ صَليباً. برثلماوس فَذَهَبَ إِلَى الْهِنْدِ وماتَ بِالصَّليبِ مُنْكَسِ الرَّأْسِ فِي أَرْمِينِيَا. ويعقوب بن حَلْفَى مُرْسَلٌ مَحَلِّيٌّ فِي أُورُشَلِيمَ حيث ماتَ رَجْماً بِالحِجَارَةِ هُنَاكَ. يعقوب بن زبدي كَارِزٌ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ ماتَ بِقَطْعِ رَأْسِهِ هُنَاكَ. يوحنا الحبيب ماتَ نَفِيّاً فِي بَطْمُس. مَتَّى ذَهَبَ كَارِزاً إِلَى إِيْرَانِ وماتَ هُنَاكَ. سِمْعَانَ بِطْرُسَ ذَهَبَ كَارِزاً إِلَى إِيْطَالِيَا حيث ماتَ مَصْلُوباً وَمُنْكَسِ الرَّأْسِ. فِيلِبُّسَ ذَهَبَ إِلَى تُرْكِيَا وماتَ مَصْلُوباً هُنَاكَ.

سِمْعَانَ الْغِيُورَ أُسْقِفَ أُورُشَلِيمَ بعد يعقوب. يهوذا أَخُو يعقوب فَذَهَبَ كَارِزاً إِلَى مَا بَيْنَ النَهْرَيْنِ. ذَهَبَ توما إِلَى إِيْرَانِ وَأَفْغَانِسْتَانِ حيث ماتَ طَعْنًا بِالرُّمْحِ. سَافَرَ رُسُلُ المسيحِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَجْزَاءٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْعَالَمِ بعد قيامته وصعوده إِلَى السَّمَاءِ، شَمَلَتْ أَجْزَاءً عَدِيدَةً مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ وَحَتَّى الْهِنْدِ. كانَ هَدَفُهُمُ الْأَسَاسِيُّ هُوَ نَشْرُ تَعَالِيمِ يسوع وتأسيس كنائسٍ مَحَلِّيَّةٍ بدأت بِكُنَائِسِ الْبُيُوتِ. أُطْلِقَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْمَسِيحِ اسْمُ "الطَّرِيقِ" وَقَدْ سُمُّوا مَسِيحِيَّينَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي أَنْطَاكِيَا. وبفضل انتقال البشارة إِلَى الْأُمَمِ عَنِ طَرِيقِ الرِّسُولِ بولس، ظَهَرَتِ كُنَائِسُ تَحْمِلِ أَسْمَاءِ الْمُدُنِ التي أُسِّسَ فِيهَا كُنَائِسٌ مِثْلَ غَلَاطِيَّةِ وَفِيلِبِّي.

وَمَعَ انْتِهَاءِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، انتقل الكارزون بالمسيحية كُمسَافِرِينَ أَوْ تَجَّارَ حَامِلِينَ مَعَهُمْ رِسَالَةَ الْمَسِيحِ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْأَمَاكِنِ بِمَا فِيهَا آسِيَا الصُّغْرَى، وَهُنَاكَ أُسِّسُوا الْكُنَائِسَ السَّبْعَةَ الَّتِي أَرْسَلَ لَهَا يسوع رِسَالَتَ فِي سِفْرِ الرُّؤْيَا. بعدَ ذَلِكَ، انتشرت المسيحية في بلادٍ أُخْرَى. كانت هذه البلاد هي نواة لانتشار الديانة المسيحية. قُوِّيَ بِرَبِّي شهادتي لمجد اسمِكَ الْقُدُوسِ.

مُرْسَلِيَّةُ بُولُسَ وَرِسَائِلُهُ

"لأنَّه إِنْ كُنْتُ أُبَشِّرُ فَلَيْسَ لِي فَخْرٌ، إِذِ الصَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لَا أُبَشِّرُ."

(١ كورنثوس ٩: ١٦)

تعني كلمة "إنجيل" بشارة أو أخبار سارة تُشاركها بفرح مع الناس من حولنا. الكرازة أمر مشروع في كلمة الله وهي حق وواجب على الجميع، بدءاً بالملائكة الذين بشرُوا العذراء المباركة مريم بأنها ستكون أم يسوع مُخلص العالم. وقد بشر الملائكة الرعاة بميلاد المسيح فادي الجنس البشري.

وفي بدء خدمة يسوع العلنية عاد إلى الجليل وبدء يُبشِّرُ قائلاً "توبوا، فَقَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (متى ٤: ١٦). وقبل صعوده إلى السماء أعطى يسوع أمره لتلاميذه "اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا الخليقة كلها بالإنجيل" (مرقس ١٦: ١٥). واستجابةً لأمر المُخلص يقول مرقس "وَأَمَّا هُمْ (أي التلاميذ)، فَانْطَلِقُوا يُبَشِّرُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ".

في أعمال الرسل الأصحاح ٩ قَابَلَ شَاوُلَ يَسُوعَ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ وَفَقَدْ بَصَرَهُ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ لَهُ يَسُوعُ بِنُورٍ ساطِعٍ، اقْتَادَهُ مِنْ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ حَيْثُ ظَهَرَ الرَّبُّ لِتَلْمِيذِهِ حَنَانِيَّا وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ وَيَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَيُبْصِرَ. ذَكَرَ حَنَانِيَّا يَسُوعَ بِمَا قَامَ بِهِ شَاوُلَ مِنْ اضْطِهَادٍ لِلْمَسِيحِيِّينَ، فَأَوْضَحَ لَهُ الرَّبُّ اخْتِيَارَهُ لِبُولُسَ وَمَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبَلًا "لِيَكُونَ إِنَاءٌ يَحْمِلُ اسْمِي إِلَى الْأُمَمِ". كان ذلك أفضل اختيار عاشه بولس في حياته وكرازته.

وعندما اكتشف بأن يسوع الناصري هو إلهه ومُخلصه، وذاق حقائق روعة الإنجيل بأن الخلاص هبة من الله وامتنياز مَمْنُوحٌ لجميع المؤمنين به، صارت رغبته بولس وهدف حياته أن يُخبر الآخرين عن هذا الخلاص العظيم. أراد أن يُشاركهم الرِّجَاءَ وَالْحُرِّيَّةَ اللَّذَانِ اسْتَمْتَعَ بِهِمَا بِإِيْمَانِهِ بِالْمَسِيحِ. شَعَرَ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُشَارِكَ مَعَ النَّاسِ أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ وَقُبِرَ وَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَبِالْإِيْمَانِ فِيهِ نَنَالُ غُفْرَانَ خَطَايَانَا، وَنَمُنَحُنَا بِنِعْمَتِهِ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

يُعتَبَرُ الرَسُولُ بُولُسُ الثَّانِي بَعْدَ الْمَسِيحِ فِي الْأَهْمِيَّةِ وَذَلِكَ لِدَوْرِهِ فِي نَشْرِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الْمِيلَادِيِّ الْأَوَّلِ حَيْثُ كَتَبَ رِسَائِلَهَا أَرْسَلَهَا لِلْكَنَائِسِ الَّتِي أَسَّسَهَا وَالَّتِي سَاهَمَتْ فِي تَرْسِيخِ دَعَائِمِ الْإِيْمَانِ، وَمُعَالَجَةِ مَشَاكِلِ لَاهُوتِيَّةٍ ظَهَرَتْ بَيْنَ مُؤْمِنِي هَذِهِ الْكَنَائِسِ. وَبِتَفْوِيضٍ مِنَ الْمَسِيحِ، نَظَرَ بُولُسُ إِلَى نَفْسِهِ فِي زَمَانِهِ كَنَبِيٍّ يَحْمِلُ رِسَالَةَ الْمَسِيحِ الْمَصْلُوبِ وَالْحَيِّ الْمَقَامِ لِلْأَمَمِ، وَقَدْ قَامَ بِذَلِكَ بِطَرِيقَةٍ مُدْهَشَةٍ.

رَكَّزَ فِي عَمَلِهِ عَلَى الْمُدُنِ، كَمَا رَكَّزَ لِلتَّجَارَةِ الْعَالَمِيَّةِ وَمَوَانِي هَامَةً يَلْتَقِي فِيهَا الْمُسَافِرِينَ، لِيُنْقَلَ لِسَاكِنِيهَا رِسَالَةَ الْخَلَاصِ بِالْمَسِيحِ وَحْدَهُ. اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْتُبَ لِمَسِيحِيِّ رُومَا بِأَسْلُوبٍ سَلِسٍ، وَكَانَتْ لَهُ الْجَرَاةُ أَنْ يَقِفَ عَلَى تِلْكَ مَارَسَ فِي أَثِينَا وَيُقْنَعَ الْيُونَانِيُّونَ بِالْمَسِيحِ الَّذِي سَمَّاهُ حَسَبَ مَفْهُومِهِمُ "الْإِلَهَ الْمَجْهُولَ".

اسْتَطَاعَ الرَسُولُ بُولُسُ أَنْ يُخَاطِبَ الْجَمِيعَ حَسَبَ إِيْمَانِهِ كِي يَرْبِّحَ الْجَمِيعَ، اسْمَعُهُ يَقُولُ: "فَصَرْتُ لِلْيَهُودِ كَيْهُودِيٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ لِلَّهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ لِأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ" (١ كورنثوس ٩: ٢٠ و ٢١).

مَارَسَ الرَسُولُ بُولُسُ أَرْبَعَةَ مَبَادِيٍّ فِي كُونِهِ وَاحِدًا مَعَ الْجَمِيعِ. ١- اسْتَمَعَ لِمَا يَقُولُهُ الْآخَرُونَ قَبْلَ أَنْ تَتَوَقَّعَ مِنْهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَكَ. ٢- كُنْ لَطِيفًا وَاسْمَعْ لِمَا يَقُولُهُ الرَسُولُ يَعْقُوبُ ١: ٢٠ و ٢١ "غَيْرَ مُتَسَرِّعٍ فِي الْكَلَامِ، بِطِيءِ الْعُضْبِ وَعَمَلِ الصَّلَاحِ الَّذِي يُرِيدُهُ اللَّهُ". ٣- كُنْ حَسَّاسًا لِعَادَاتٍ وَتَقَالِيدِ الْآخَرِينَ. ٤- تَعَامَلْ مَعَ التَّعَصُّبِ ضِدَّ غَيْرِكَ.

تَعَرَّضَ بُولُسُ لِأَخْطَارٍ كَثِيرَةٍ فِي عَمَلِهِ الْكَرَازِيِّ مِنْ ضَرْبٍ وَسَجْنٍ وَرَجْمٍ بِالْحِجَارَةِ إِلَى جَانِبِ انْكَسَارِ سَفِينَتِهِ وَغَرَقِهَا، لَمْ تَدْخُلْ هَذِهِ الْمَخَاطِرُ الْيَأْسَ إِلَى قَلْبِهِ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَقُولَ "جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، بَلَّغْتُ نَهَايَةَ الشُّوْطِ حَافِظْتُ عَلَى الْإِيْمَانِ وَبِتَنْظَرُنِي إِكْلِيلَ الْبَرِّ مِنْ فَادِيٍّ يَسُوعَ". أَمْلِي أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عَنِّي وَأُنَالِ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ أَيْضًا.

"احمل صليبك واتبعني"

"حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي."
(متى ١٦: ٢٤)

بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ عَنْ آلامِهِ وَمَوْتِهِ الْمَزْمَعِ أَنْ يَكُونَ وَبَعْدَ ٣ أَيَّامٍ يَقُومُ، قَالَ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِنَفْسِ الْمُعَامَلَةِ. فَلَيْسَ التَّلْمِيزُ أَعْظَمَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، فَإِذَا كَانُوا قَدْ اضْطَهَدُوا الْمَسِيحَ سَيُضْطَهَدُونَهِمْ أَيْضًا. لَنْ تَكُونَ لَهُمْ السَّيْطَرَةُ عَلَى حَيَاتِهِمْ الْخَاصَّةِ، لَكِنَّ هَمَّهُمُ الْأَوَّلُ هُوَ إِرْضَاءُ فَادِيهِمْ يَسُوعَ. وَعِنْدَمَا يُضْحُونَ بِالذَّاتِ أَوَّلًا، سَيَجِدُونَ مَعْنًى حَقِيقِيًّا لِلْحَيَاةِ. تَلَامِيذُ الْمَسِيحِ هُمُ الَّذِينَ سَلِمُوا حَيَاتَهُمْ لَهُ، وَكَانُوا مُطِيعِينَ لَهُ وَلَوْ قَادَهُمْ ذَلِكَ لِلْمَشَقَّاتِ وَالاضْطِهَادِ وَحَتَّى الْمَوْتِ. ثُمَّ تَطَرَّقَ إِلَى مَوْضُوعِ الصَّلْبِ خَاصَّةً لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، أَمَّا عَنْ صَلْبِهِ هُوَ فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهُ فِيمَا بَعْدَ. مَنْ يَعِيشُونَ لِأَنْفُسِهِمْ قَدْ يَرْبِحُوا مَا فِي الْعَالَمِ، لَكِنَّهُمْ يَخْسِرُونَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

أَنْتُمْ وَأَنَا الرَّاغِبِينَ بِالْعَيْشِ بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا الرِّغْبَةَ كَيْ نَعْرِفَهُ وَنَتَعَلَّمَ مِنْهُ وَنَسِيرَ مَعَهُ دَرَجَاتِ حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَتَّبِعُهُ. شَرَحَ يَسُوعُ أَنْ تَلْمِيزَهُ الْحَقِيقِيَّ لَا يُؤْمِنُ بِهِ لِلْخُلَاصِ وَالْمَغْفِرَةِ وَحَسَبَ، بَلْ يَثِقُ فِيهِ لِنَالِ الْقُوَّةِ لِتَحْطِيمِ قُوَّةِ الْخَطِيئَةِ فِي حَيَاتِهِ عَنْ طَرِيقِ نُكْرَانِهِ لِنَفْسِهِ، وَحَمْلِ الصَّلِيبِ وَإِتِّبَاعِ يَسُوعَ.

لَا يَعْنِي نُكْرَانُ الذَّاتِ التَّخْلِيَّ عَنْ أَشْيَاءَ فِي حَيَاتِنَا، بَلْ نُكْرَانُ نَفُوسَنَا بِالتَّمَامِ وَالْكَامِلِ وَتَسْلِيمِهَا لِرَبِّ الْمَجْدِ. لَا يَشْمُلُ نُكْرَانُ الذَّاتِ وَحَمْلُ الصَّلِيبِ أَحْمَالَنَا الْيَوْمِيَّةَ وَمَشَاكِلَنَا الَّتِي نَوَاجِهَ الْعَدِيدَ مِنْهَا، لَكِنْ أَنْ نَعِيشَ لِلْمَسِيحِ بِالْكَامِلِ وَنَثِقَ بِهِ كَامِلَ الثِّقَةِ وَنَكُونُ وَاعِينَ لِكُلِّ جَانِبٍ مَرَّ بِهِ مِنَ الرِّفْضِ وَتَحْمِلِ الْعَارِ وَالْأَلَمِ وَالْمَوْتِ. كَمَا يَعْنِي نُكْرَانُ الذَّاتِ أَيْضًا تَرْكَ حَيَاةِ الْمَاضِي فِي "الْإِنْسَانِ الْعَتِيقِ". وَالْعَيْشِ الْمُسْتَمِرِّ فِي الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِنَتَذَكَّرَ أَعْرَائِي أَنْ الْأَلَامَ الَّتِي نَحْمِلُهَا مِنْ أَجْلِ مُخْلَصِنَا سَيَتَّبِعُهَا الْمَجْدُ يَوْمًا مَا.

إِذَا أَفَكَّرَ فِي نَفْسِي بِشَكْلِ شَخْصِيٍّ، كَوْنِي أَنَا نِي بِالطَّبِيعَةِ، أَجْدُ صُعُوبَةً فِي التَّخْلِيِّ عَنِ الذَّاتِ، لِذَا فَالتَّحَرُّرُ مِنْ طُغْيَانِ الذَّاتِ هُوَ حَقِيقَةُ جَوْهَرِيَّةٍ فِي الْمَسِيحِيَّةِ. أَشْكُرُ رَبِّي يَسُوعَ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِ فِي قَلْبِي وَمَنْحِي الْإِنْتِصَارَ عَلَى الذَّاتِ يَوْمِيًّا. يَعْنِي أَنْكَارُ الذَّاتِ أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكُونُ لَنَا رَغْبَاتُ قُلُوبِنَا، عَلَيْنَا أَلَّا نَسْتَعْمِلَهَا بِطَرِيقَتِنَا الْخَاصَّةِ، بَلْ نَثِقَ بِالرَّبِّ لِيُحَقِّقَهَا بِطَرِيقَتِهِ هُوَ مُتَذَكِّرِينَ أَنْ أَفْكَارَهُ لَيْسَتْ أَفْكَارُنَا وَلَا طَرْقَهُ طَرُقُنَا.

يَتَطَلَّبُ اتِّبَاعُ يَسُوعَ صَلِيبًا. مَوْتُ عَنِ الذَّاتِ بِطَرِيقَةٍ حَقِيقِيَّةٍ بَحِيثُ تَسْتَطِيعُ الْقَوْلُ مَعَ الرَّسُولِ بُولُسَ "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِي" (غَلَاتِيَّة ٢: ٢٠). وَهَذَا يَعْنِي تَسْلِيمَ كَامِلَ حَيَاتِكَ لِلْمَسِيحِ بِحَيْثُ يَمْلَأُ يَسُوعُ حَيَاتَكَ فَتُصْبِحُ مَخْلُوقًا جَدِيدًا بِنِعْمَتِهِ. كَانَ الصَّلِيبُ أَبْشَعَ آلَةٍ إِعْدَامٍ وَحَشِيَّةٍ رُومَانِيَّةٍ يُقَاسِي فِيهَا الْمَصْلُوبُ احْتِقَارًا وَأَلَامًا فَظِيعَةً وَتَعْذِيبًا. هَذَا مَا قَاسَاهُ يَسُوعَ لِأَجْلِنَا. الْخُطْوَةُ الْأَخِيرَةُ هِيَ أَنْ تَتَّبِعَ يَسُوعَ، تَتَّبِعُهُ بِشَكْلِ جَدِّي. يَسُوعَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَيَقُولُ لَكَ بِشَكْلِ خَاصٍّ وَمُبَاشَرٍ "هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَتَّبِعَنِي"، وَهَلْ تَوَدُّ أَنْ تَسْتَمِعَ لَتَعَالِيمِي وَتَكُونَ لِي ابْنًا أَوْ ابْنَةً تَعِيشُ لِمَجْدِي" وَتَحْيَا بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ؟".

يَسُوعَ مِثَالُنَا الْأَكْمَلُ، كَانَ قِمَّةَ نُكْرَانِ الذَّاتِ وَتَنَازَلَ مِنْ عَلِيَاءِ سَمَائِهِ أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ صَائِرًا فِي شِبهِ النَّاسِ. وَمَا قَدْ نَمُرُّ بِهِ مِنْ أَلَمٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، لَا يُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا. وَعَدَ يَسُوعَ تَلَامِيذَهُ الَّذِينَ رَافَقُوهُ فِي خِدْمَتِهِ أَنْ يَرَوْا - خِلَالَ سِنِي حَيَاتِهِمْ - إِنْتِصَارَ مَمْلَكَةِ ابْنِ الْإِنْسَانِ الْمَجِيدَةِ.

عَنِ يَقُولِهِ هَذَا، انْتِشَارَ كَنِيسَةِ الْمَسِيحِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ وَصُعودِهِ لِلسَّمَاءِ. صَلَاتِي لَكَ عَزِيزِي قُبِيلَ رُجُوعِ يَسُوعَ ثَانِيَةً أَنْ تَتَّبِعَهُ عَنْ قُرْبٍ وَتَعِيشَ مِثْلَمَا عَاشَ حَيَاةَ نُكْرَانِ الذَّاتِ. اسْمَحْ لِرُوحِهِ الْقُدُّوسِ أَنْ تَمْلَأَ حَيَاتَكَ لِتَعِيشَ أَمِينًا لَهُ وَتَسْمَعَ مِنْهُ عَنْ قُرْبٍ "يَا مَنْ تَبِعْتَنِي وَأَنْكَرْتَ نَفْسَكَ وَحَمَلْتَ صَلِيبَكَ بِصَبْرٍ وَإِنْتِصَارٍ كَمَا حَمَلْتَهُ أَنَا. هَنِيئًا لَكَ فِي أَمَانَتِكَ ادْخُلْ إِلَى فَرْحِ سَيِّدِكَ". لِيُبَارِكَ رَبُّ الْمَجْدِ حَيَاتَكَ وَيَمْلَأَكَ بِهَجَّةٍ وَنِعْمَةٍ وَسَلَامًا. آمِينَ.

المأمورية العظمى

"وَقَالَ لَهُمْ: "اذهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا." (مرقس ١٦: ١٥)

أُعْطِيَتْ هذه المأمورية العظمى في بادئ الأمر لتلاميذ المسيح عندما اجتمع بهم في العليّة، وذكّرت عدّة مرّات في إنجيلي متى ومرقس والاصحاح الأوّل من سفر الرؤيا حيث أراد المُخَلَّص تأكيد أهميّتها لهم. وقَبْلَ موته، سبقَ لِيَسُوع أن حدّدَ زَمَان ومكان اجتماعه مَعَ عِدَدٍ أَكْبَرَ على أحد جبال الجليل.

لذا نرى الملاك عند القَبْرِ يُؤكّد على قيامة المسيح للمريّمات، ويُوصيهما أن تُخبرا التلاميذ أن يسوع سيسبقهم إلى الجليل وهناك يرونه. وفي الوقت المُعَيَّن اجتمع حوالي خمس مائة من المؤمنين في جماعات صغيرة على الجبل، حيث أخبر التلاميذ الجموع بقيامة المسيح وإذا به يظهر بينهم فجأة حيث أراهم آثار الصلب في يديه ورجليه فسجدوا له. كان ذلك اللقاء الوحيد بين يسوع وكثيرين من المؤمنين بعد قيامته. تصف روح النبوة في كتابها مُستَهْي الأجيال صفحة ٧٤٤ أهميّة البدء بأورشليم "وقد أوصى المسيح تلاميذه أن ينجزوا العمل الذي تركه أمانة بين أيديهم وأن يبتدئوا من أورشليم. لقد كانت أورشليم مسرح اتضاعه وتنازله المذهل لأجل الجنس البشري، وفيها تألم ورفض وحكم عليه بالموت. لقد ولد في أرض اليهودية، وهناك إذ أخذ جسما بشريا سارَ بين الناس، وقليلون من الناس كانوا يدركون إلى أي مدى اقتربت السماء من الأرض عندما عاش يسوع بين الناس. فينبغي للتلاميذ أن يبدأوا خدمتهم من أورشليم".

نقرأ النص الكامل لوصية المسيح للجموع على ذاك الجبل قبل صعوده للسماء في إنجيل متى ٢٨: ١٨-٢٠ "فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: "دَفْعَ إِلَيَّ كُلِّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" آمِينَ. وَأَوْصَاهُمْ فِي أَعْمَالِ الرُّسُلِ ٨: ١ "وَتَكُونُونَ لِي شُهَدَاءَ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ". كان عليهم أن يحملوا أخبار الإنجيل السارة عن يسوع إلى سائر بقاع العالم. كانت تلك وصيته الأخيرة وهي في الوقت نفسه رسالتنا وعملنا إلى أن يجيء.

أُعْطِيَتْ هذه الوصية لكلّ تابع يُؤْمِنُ بيسوع. إذا كُنْتُ تلميذاً للمسيح، فالأمر لي أن أذهب لعمل التلمذة للآخرين. أوضح لهم تعاليم المُخَلَّص، وبعد قبولهم يسوع مُخَلَّصاً شَخْصِيّاً لحياتهم، أن أعمدهم وأوصيهم أن يحفظوا جميع ما أوصانا به فادينا المسيح. عليّ أن أكون شاهداً للمسيح في مُدُننا (أورشليم) في بلادنا (اليهودية والسامرة) وفي أي مكان يُرسلني الربُّ إليه.

لم يمر بالبشرية ولن يمر بها حدث أعظم من هذا الحدث، لم يترك الربُّ للبشر ولن يترك مهمة أعظم من هذه المهمة لنشر بشارة الإنجيل الأبديّة إلى كُلِّ أُمَّة وقبيلة ولسان وشعب. هذه هي الإرسالية العظمى - أعظم خُطّة مُعْطَاة للبشر، من أعظم شخص عاش على الأرض، بشأن أعظم قوّة على الإطلاق، تشمّل أعظم وعد ناله إنسان.

يسوع -الذي يملأ مجده السماء والأرض، والمسيح الذي حقّق المُصَالِحَة بين السماء والأرض بدمه المسفوك على الصليب، وصُورَة الله غير المنظورة- قد تَرَكَ لَكُمْ ولي وصيّة الكرازة بإنجيل الخلاص للجميع. فَهَلْ أَطِيعُ أَمْرَهُ وَأَعْمَلُ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ؟ وكما تكرّس التلاميذ وامتلاؤا بقوة الروح القدس، فقد وعدنا المسيح أن يكون معنا ويُقَوِّينَا بروحه إلى انقضاء الدهر. المسيح أَحَبَّنِي ومات من أجلي، ويُرِيدُنِي في ساعة الدينونة هذه أن أذهب وأُساعد النَّاسَ كي يَسْتَعِدُّوا ليكونوا مَعَهُ في أمجاده السَّمَاوِيَّةِ عن قريب. نَعَمْ ستسمع كُلُّ أُمَّة الأرض إنجيل نعمته قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ. رَبِّي، استخدمني في هذا الجيل كي أكون الصوت الذي ينقلُ مَحَبَّتَكَ للعالم والنور الذي من خلالك يسطع شمس البر في حياتهم لمجد اسمك. آمين.

دوري في إنهاء عَمَلِ الرَّبِّ

"أَنَا مَجْدُكَ عَلَى الْأَرْضِ. الْعَمَلُ الَّذِي أُعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلْ قَدْ أَكْمَلْتُهُ." (يوحنا ١٧: ٤)

قال يسوع هذه الكلمات بعد أن تناول العشاء الرباني مع تلاميذه وقَبَلَ آلامه في بُسْتَانِ الجثسيماني. كان الصليب وشيكاً والنهاية صارت قريبة، وفي صلاته هذه، كان يقول ببساطة: "يا أبتاه، عشتُ لِمَجْدِكَ وأُنْهَيْتُ الْعَمَلَ الَّذِي أُعْطَيْتَنِي لِأَكْمَلْهُ". عندما نعيشُ لِمَجْدِ اللَّهِ، نَتْرُكُ هَذَا الْعَالَمَ وَنَدْخُلُ مَجْدَ اللَّهِ الْعَظِيمِ كَمَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الرَّسُولُ بولس: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَظَرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢ كورنثوس ٣: ١٨). هل في حياتنا عَمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى إِنْجَازٍ، أَمْ لَدِينَا أَعْمَالٌ لِإِنْهَائِهَا قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؟

تأمل معي ما أنجزه يسوع من خلاص لكم ولي حين قال على الصليب "قَدْ أَكْمَلْتُ". لَقَدْ أَخْطَأَ الْإِنْسَانُ وَأَعُوْزَهُ مَجْدُ اللَّهِ، وَكَانَ رَجَاؤُهُ الْوَحِيدُ فِي عَمَلِ الْخَلَاصِ التَّامِ مَا قَامَ بِهِ الْمَسِيحُ حَيْثُ مَاتَ الْمَوْتَ الَّذِي لَا يَسْتَحْقُّهُ، وَقَامَ مِنَ الْقَبْرِ وَضَمِنَ لِلْإِنْسَانِ الْعُفْرَانَ وَالْمُصَالَحَةَ مَعَ اللَّهِ الْآبِ. كَانَ عَمَلُ الْخَلَاصِ كَامِلًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَيِّ تَعْدِيلٍ. مَاذَا عَنْ إِنْهَاءِ خِدْمَتِنَا نَحْنُ الْعَامِلِينَ مَعَ اللَّهِ؟ هَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ مَعَ الرَّسُولِ بولس "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ" (٢ تيموثاوس ٤: ٧).

لنرى معاً خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ الَّتِي أُعْطَانَا الْمَسِيحُ لِإِتْمَامِهَا؟ تَحْكِي الْقِصَّةُ عَنْ رَجُلٍ مُتَزَوِّجٍ كَانَ عَلَى خِلَافٍ مَعَ أُمِّهِ وَأَبِيهِ فَأَخَذَ زَوْجَتَهُ وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِمَا سَعِيًّا لِحُلِّ سَوْءِ التَّفَاهُْمِ بَيْنَهُمْ. كَانَ وَالِدُهُ يُشَاهِدُ التِّلْفِزِيُونَ عِنْدَمَا وَصَلَ، فَأَخَذَ الرِّيمُوتَ وَأَطْفَالَ التِّلْفَازِ وَرَكَعَ أَمَامَهُمَا وَقَالَ "يَا أَبَا وَمَامَا، لَقَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكُمَا، ثُمَّ حَكَيْتُ بِالتَّفْصِيلِ طَبِيعَةَ الْمُسْكَلةِ بَيْنَهُمْ". بَعْدَهَا قَالَ وَالدَّمُوعُ تَنَهَّرَ مِنْ عَيْنَيْهِ: "لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكُمَا وَأَطْلُبُ مِنْكُمَا أَنْ تُسَامِحَانِي".

تَأَثَّرَتِ الْأُمُّ وَسَامَحَتْهُ، أَمَّا الْأَبُ فَلَمْ يَكْتَرِثْ وَعَادَ لِمُشَاهَدَةِ التِّلْفِزِيُونَ. أَخِيرًا قَامَ الزَّوْجُ وَمَسَحَ دَمُوعَهُ وَشَكَرَهُمَا لِأَنْهُمَا اسْتَمَعَا لَهُ، وَغَادَرَ الْبَيْتَ. كَمْ تَمَنَّى أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: "قُلْ لِي بِأَنَّكَ تُحِبُّنِي، قُلْ لِي بِأَنَّكَ فَخُورٌ بِي، صَلِّيْ مَعِي عَلَى الْمَنَبَرِ". بَعْدَ سَنَتَانِ حَانَ وَقْتُ رِسَامَةِ الشَّابِّ لِخِدْمَةِ الرَّبِّ، وَحَانَ وَقْتُ وَضْعِ الْأَيْدِي عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ شِيُوخِ الْكَنِيسَةِ، وَكَانَ الْأَبُ وَاحِدًا مِنْهُمَا. شَعَرَ بِبِدْ أَبِيهِ عَلَى رَقْبَتِهِ، فَاسْتَدَارَ الشَّابُّ لِيَسْمَعَ مِنْ أَبِيهِ كَلِمَاتِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّوْبَةِ. كَانَتْ تِلْكَ قِمَّةُ الْمُصَالَحَةِ. تَذَكَّرُوا أَعْزَائِي، كَانَ الْمَسِيحُ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ

الأعمال التي قام بها المسيح والوقت والمكان اللذان تَمَّ بِهِمَا الْعَمَلُ-تَشْهَدُ جَمِيعًا عَنْ أُلُوهِيَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ. يَشْكُرُ صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ الرَّبِّ فَيَقُولُ: "مَا أَعْظَمَ أَعْمَالُ الرَّبِّ! يَتَأَمَّلُهَا جَمِيعُ الْمَسْرُورِينَ بِهَا. صَنِيعُهُ جَلَالٌ وَبَهَاءٌ". (مزمو ١١١: ٣ و ٣٩٢). هَذَا أَرُوعُ مِثَالٍ لَنَا وَنَحْنُ نَعْمَلُ فِي إِتْمَامِ عَمَلِ الرَّبِّ. تَحَقَّلْ كَلِمَةَ اللَّهِ بِاخْتِبَارَاتِ أَنْاسٍ مِثْلِ زُرُوبَابِلِ الَّذِي رَغِمَ الْمَقَاوِمَةَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُنْهِيَ بِنَاءَ الْهَيْكَلِ بِوَسْطَةِ الْبَقِيَّةِ الْأَمِينَةِ مِنْ شَعْبِهِ.

مِنَ الْمُهْمِ إِبْقَاءُ الْعَمَلِ نَشِيطًا، وَالْأَهَمُّ هُوَ إِتْمَامُهُ. نَحْنُ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ الَّتِي أَوْكَلَنَا اللَّهُ أَنْ نُقَدِّمَ آخِرَ دَعَوَاتِ الرَّحْمَةِ إِلَى الْعَالَمِ. لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَبْقَى صَامَتِينَ مَهْمَا كَانَتْ الْعَوَاقِبُ. إِنَّ سُفْرَاءَ الْمَسِيحِ لَا شَأْنَ لَهُمْ بِالْعَوَاقِبِ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِوَاجِبِنَا تَارِكِينَ النَّتَائِجَ فِي يَدِ اللَّهِ.

كَانَ أَمْرُ الْمَسِيحِ صَرِيحًا وَوَاضِحًا "أَذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ وَارْكُزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا". لَكُمْ وَلِي دُورٌ فِي إِنْهَاءِ عَمَلِهِ عَلَى الْأَرْضِ. لَقَدْ وَعَدَ لَهُ الْمَجْدُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا إِلَى الْمُنْتَهَى وَصَاحِبُ الْوَعْدِ صَادِقٌ وَأَمِينٌ. إِنَّ أَجْنَادَ السَّمَاءِ سَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، وَالْمَسِيحُ يَقُولُ لِكُلِّ عَامِلٍ مُجْدٌ فِي حَقْلِهِ: "أَنَا عَنْ يَمِينِكَ لِأَعِينِكَ". هُنِيئًا لَكَ عَزِيزِي فِي مُشَارَكَتِكَ بِأَخْبَارِ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ، وَإِعْدَادِ آخَرِينَ لِمَلَاقَاةِ رَبِّ الْمَجْدِ فِي مَجِيئِهِ الثَّانِي عَنْ قَرِيبٍ. سَتَسْمَعُ مِنَ الْمَخْلُصِ كَلِمَاتِ التَّرْحِيبِ لَكَ لِلدَّخُولِ إِلَى الْأَمْجَادِ السَّمَاوِيَّةِ، وَقَضَاءِ الْأَبَدِيَّةِ بِصُحْبَةِ فَاذِيكَ يَسُوعَ.

الفصل الرابع

نيسان "أبريل"

شافينا العظيم



حقائق عن الشفاء

"وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لَّأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْضَى." (يوحنا ٦: ٢)

في إنجيل يوحنا الاصحاح الخامس، واجه يسوع انتقادات من رؤساء الكهنة لأنه شفى رجلاً عند بركة بيت حسدا يوم السبت. وبعد أشهر قليلة وعند بحر الجليل تبعه جمع كثير من الناس نتيجة معجزاته الشفائية التي جذبتهم إليه دون فهم الدرس الروحي، أو قصد المسيح من ورائها. كان واحد من أهداف هذه المعجزات جذب انتباه الناس إلى خدمة يسوع. يجذب الناس إلى المخلص لأسباب عديدة منها مشروعة، ومنها غير مشروعة، لكن فادي نفوسنا له دائماً قوة جاذبية لمختلف طبقات الشعب وثقافاتهم خصوصاً الأطفال. وجد هؤلاء الناس أن الآيات التي شاهدوها في معجزات المسيح الشفائية للمرضى قد نالت إعجابهم فتبعوه بأعداد كبيرة.

الأهم بالنسبة لنا هو أن الشفاء متأصل بالله وجزء من صفاته، نجد هذه الحقيقة في اختبار موسى مع الشعب حين توقّفوا وعطشوا ولم يقدروا أن يشربوا من الماء بسبب مرارته فتذمّر الشعب على موسى. صلى إلى الرب فأراه شجرة فألقاها إلى الماء، فصار عذبا. هناك وضع الرب فريضة أكد فيها على سماع صوت الرب وإطاعة وصاياه وفرائضه وأعطاه الوعد في خروج ١٥: ٢٦ "فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ".

الشفاء يشمل أجسادنا إلى جانب أرضنا. فبعد أن صلى الملك سليمان لتدشين الهيكل، تجلّى الرب لسليمان وأكّد له استجابة صلاته. ثم أعطاه الوعد التالي "فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِم الرَّدِيَّةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ" (٢ أخبار الأيام ٧: ١٤). الشفاء أيضاً لقلوبنا وأجسادنا. يؤكد ذلك زمور ١٤٧: ٣ "إِنَّهُ يَشْفِي مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ وَيُضَمِّدُ جِرَاحَهُمْ". كما أن الشفاء متأصل في آلام المسيح حيث نقرأ "تَأْدِيبٌ سَلَامَنَا عَلَيْهِ، وَبَحِيرُهُ شَفِينَا" (إشعياء ٥٣: ٥).

الشفاء متاح لأن المسيح تحنّ على الجموع، يُخبرنا البشير متى ١٤: ١٤ عن ذلك فيقول "فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ". استقلّ يسوع القارب مع تلاميذه بقصد إيجاد بقعة هادئة كي يرتاحوا، لكن الجموع سبقتهم إلى الشاطئ في بيت صيدا، وما أن رأى المسيح الجموع حتّى تحنّ عليهم وشفى مرضاهم، مُظهراً بعمله هذا صفات الأب السماوي. يُعطينا البشير مرقس ٦: ٣٤ سبب هذا الحنان فيقول "فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لَا رَاعِيَ لَهَا، فَأَبْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا". عندما دعا يسوع تلاميذه الاثني عشر، أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ليطردوها ويشفوا كلّ مريض وعلة.

أرسلهم نواباً عنه كي يعملوا نفس أعماله الشفائية، وزوّدهم بالقوة المطلوبة عن طريق روحه القدوس لإنجاز العمل. ولنا نحن الذين نعيش في أواخر الدهور، نفس القوة التي منحها المخلص لتلاميذه كي نذيع بشارة الملكوت إلى أقصى المسكونة استعداداً لرجوعه عن قريب. يتم الشفاء أيضاً عن طريق الإيمان والصلاة ووضع الأيدي كما أوصى الرسول يعقوب ٥: ١٤ و١٥ "ليدعو المريض شيوخ الكنيسة ليُصلُّوا من أجله ويدهنوه بزيت باسم الرب، فالصلاة المرفوعة بإيمان تشفي المريض". لنتذكّر أعزائي أن الشافي الأعظم هو يسوع ربّ المجد، وباسمه يتمّ الشفاء.

يحتاج من يُمارس مسح المرضى ألا يقوم بذلك متباهياً، بل مُعترفاً بخطيئته أولاً بحيث يقود المريض بأن يضع كامل ثقته بالمسيح. كان يسوع يتنقل في منطقة الجليل يُبشّر بالملكوت ويشفي كلّ مريض وضعف في الشعب. هذه رسالتنا اليوم أن نتنقل في محيطنا مُنادين بآخر رسالة الرحمة وقوة روحه وباسمه نشفي كلّ مريض جسدي وروحي. يسوع آت عن قريب وأجرته معه ليكافئ تعبنا خيراً وبركة عن قريب، ويُعطينا النصيب الصالح أن نكون معه من مواطني ملكوت المجد. لاسمه التسبيح أبد الدهور. آمين.

يسوع الشافي الأعظم

"فَعَرَفَهُ رَجَالُ ذَلِكَ الْمَكَانِ. فَأَرْسَلُوا إِلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ وَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْمَرْضَى، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطُّ. فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ." (متى ١٤: ٣٥ و ٣٦)

بعد أن أطعم يسوع الخمسة الآلاف بخمسة أرغفة وسمكتين، أمر تلاميذه أن يسبقوه بالقرب إلى الضفة المقابلة حيث ضربته الأمواج وَسَطَ الْبُحِيرَةِ. وبعد أن قضى مُعْظَمَ اللَّيْلِ فِي الصَّلَاةِ، أَتَاهُمْ يَسُوعُ مَاشِياً عَلَى الْمَاءِ فَخَافُوا، أَمَّا بُطْرُسُ فَطَلَبَ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ "تعال" ولما خاف وبدأ يغرق مدَّ الْمُخْلِصُ يَدَهُ وَأَمْسَكَهُ. وَمَا أَنْ صَعَدَ إِلَى الْقَارِبِ، حَتَّى سَكَنَتِ الرِّيحُ. عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى بَلَدَةِ جَنْسَارَتَ أَحْضَرُوا إِلَى يَسُوعَ جَمِيعَ الْمَرْضَى وَجَمِيعَهُمْ نَالُوا الشِّفَاءَ. كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَ الْمُنَاطِقَةِ عَرَفُوهُ، وَكَانَ لَهُمْ إِيمَانٌ أَنَّ الْمَسِيحَ قَادِرٌ أَنْ يَشْفِيَ لَيْسَ مَرْضَاهُمْ فَحَسَبَ، بَلْ مَرْضَى الْبِلَادِ الْمَجَاوِرَةِ أَيْضاً. أَرَادُوا أَنْ يُشَارِكُوا نِعْمَةَ الشِّفَاءِ مَعَ سُكَّانِ الْبِلَدَاتِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ. يَا لَهُ مِنْ مِثَالٍ رَائِعٍ لَنَا الْيَوْمَ! وَكَمَا نَالَتِ الْمَرَأَةُ النَّازِفَةُ الدَّمِ الشِّفَاءَ، عِنْدَمَا لَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِ الْمَسِيحِ، هَكَذَا، وَكَتَعْبِيرٍ عَنْ قُوَّةِ إِيمَانِهِمْ بِالشَّافِي الْأَعْظَمِ، طَلَبُوا مِنْهُ الْمَرْضَى أَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِلَمْسِ طَرَفِ رِدَائِهِ فَقَطُّ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ بِإِيمَانٍ نَالُوا شِفَاءً تَاماً. شَعَرُوا بِعَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِمْ كَيْ يَضَعَ يَسُوعُ يَدَهُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِيهِمْ، مِثْلَ مَا حَدَّثَ لِقَائِهِ الْمُنَّةُ الَّذِي قَالَ لِيَسُوعَ "قُلْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَيَبْرَأُ غُلَامِي". هَنِيئاً لِمِثْلِ هَذَا الْإِيمَانِ.

حينما يشعر الإنسان بالمرض في جسمه، يركض إلى الطبيب مُسرعاً لكي يعطيه الدواء الصحيح الذي يُعالج مكان المرض، القصد من زيارته هُوَ الشِّفَاءُ الْجَسَدِي، وَإِذَا أَخَذَ الدَّوَاءَ وَتَحَسَّنَ صِحَّتُهُ، يَشْعُرُ وَكَأَنَّ حَيَاتِهِ قَدْ بَدَأَتْ مِنْ جَدِيدٍ. أَمَّا مَرَضُ الْخَطِيئَةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى طَبِيبٍ أَخْصَائِيٍّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَأْصِلَ السَّرَطَانَ الرُّوحِيَّ الَّذِي يُهَاجِمُ الرُّوحَ وَالنَّفْسَ وَالْجَسَدَ، وَيَتْرَكَ الْإِنْسَانَ ضَائِعاً فِي ظِلْمَةِ هَذَا الْعَالَمِ. يَسُوعُ هُوَ الطَّبِيبُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ مُجَابَهَةَ الدَّمَارِ النَّاتِجِ عَنِ الْخَطِيئَةِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى غُفْرَانِ خَطَايَانَا وَتَجْدِيدِ حَيَاتِنَا بِنِعْمَتِهِ كَمَا قَالَ مَزْمُور ١٠٣: ٣ "الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ".

لَا يُوجَدُ أَيُّ سَجَلٍ فِي الْإِنْجِيلِ يَذْكُرُ أَنَّ يَسُوعَ رَفُضَ شِفَاءَ أَيِّ مَنْ أَتَى إِلَيْهِ طَالِباً الشِّفَاءَ، وَلَا نَجِدُ أَيُّ مَرَضٍ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ شِفَائِهِ، حَتَّى أَنَّهُ أَقَامَ مَوْتِي. كَانَ الْقَصْدُ مِنَ الشِّفَاءِ الْإِلَهِيِّ تَمْجِيدُ يَسُوعَ. نَجِدُ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ ثَلَاثَةَ حَقَائِقَ هَامَّةٍ وَهِيَ: "يَسُوعُ مَا زَالَ الشَّافِي، يَأْتِي الشِّفَاءُ مِنَ الْمَسِيحِ وَحْدَهُ، وَقَصْدُ الشِّفَاءِ الْإِلَهِيِّ دَائِماً هُوَ تَمْجِيدُ رَبِّ الْمَجْدِ. شَفَى يَسُوعَ الْمَرْضَى كَيْ يُثَبِّتَ بَأَنَّهُ الْمَسِيحُ. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ السُّلْطَةُ كَيْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا فَحَسَبَ، بَلْ شَفَى الْمَرْضَى جَسَدياً وَرُوحِيّاً إِذَا عَفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ. وَقَدْ تَرَكَ لِتَابِعِيهِ وَلَنَا الْقُوَّةَ كَيْ نَعْمَلَ أَعْمَالَهُ الشِّفَائِيَّةَ وَنَطْلُبَ لِمَنْ نَعْمَلُ مَعَهُمْ غُفْرَانَ خَطَايَاهُمْ بِاسْمِ يَسُوعَ وَرُوحِهِ.

عِنْدَمَا نُدْرِكُ مَنْ هُوَ الْمَسِيحُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ كَشَافِيٍّ أَعْظَمَ قَادِرٍ أَنْ يَشْفِيَ أَمْرَاضَنَا الرُّوحِيَّةَ وَالْجَسَدِيَّةَ، تَتَغَيَّرُ حَيَاتُنَا وَنَعِيشُ لِمَجْدِ مَنْ أَحَبَّنَا وَفَدَانَا بِدَمِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. وَتَبْدَأُ فِينَا الْحَيَاةَ الْأَفْضَلَ الَّتِي وَعَدَنَا يَسُوعُ بِهَا.

لَا تَجْعَلْ ثِقَلِ الْخَطِيئَةِ فِي حَيَاتِكَ تَتَرَاوَعُ عَنِ الْمَجِيءِ لِلْمَسِيحِ الطَّبِيبِ الشَّافِيِّ وَالْمَخْلُصِ وَالْغَافِرِ لِلْخَطَايَا، وَلَا تَسْمَحْ لَهُمَسَاتِ ابْلِيسَ أَنْ تَتَسَرَّبَ لِفِكَرِكَ وَقَلْبِكَ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُعِدَّكَ عَنِ السَّعَادَةِ الْحَقِيقَةِ، وَأَيْضاً يُرِيدُ لَكَ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ وَالْكَبْرِيتِ، فَالْخَطِيئَةُ تَغْشَى لَأَنَّهَا نَابِعَةٌ مِنَ الْكَذَابِ وَهِيَ قَوِيَّةٌ وَلَا تَتَرَاوَعُ "لَأَنَّهَا طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرَحَى وَكُلَّ قَتْلَاهَا أَقْوِيَاءَ" (أَمْثَالُ ٢٦: ٧).

فَمَا عَلَيْكَ عَزِيزِي سَوَى الْإِحْتِمَاءِ تَحْتَ يَدِي هَذَا الطَّبِيبِ بِالْمَجِيءِ طَالِباً التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمُعْتَرِفاً بِأَنَّ الْمَسِيحَ يُرِيدُ أَنْ يَشْفِيَ إِلَى التَّمَامِ. فَهَلْ تَأْتِي إِلَيْهِ؟

شفاء مريض بيت حسدا

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "قُمْ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَاَمْشِ." (يوحنا ٥: ٨)

جاء يسوع من الجليل إلى اورشليم لحضور أحد أعياد اليهود، وكان في المدينة بركة "بيت حسدا" يرقد فيها جمع كبير من المرضى من عُميان وعرج ومشلولين ينتظرون أن تتحرك مياه البركة، لأن ملاكاً كان يأتي من حين لآخر إلى البركة ويحرك ماءها، فكان الذي ينزل أولاً يشفى، مهما كان مريضه. رأى يسوع من بين المرضى مشلولاً منذ ٣٨ سنة راقداً هناك. تحنن عليه واقترب منه وسأله "أتريد أن تشفى؟".

اشتكى ذاك المريض حاله وقال للمخلص "يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء. وكم من مرة حاولت النزول، فكان غيري ينزل قبلي دائماً" فقال له يسوع: "قُمْ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاَمْشِ" (يوحنا ٥: ٨-١).

هذه المعجزة الشفائية ينفرد إنجيل يوحنا بسردها، وهي واحدة من تسع معجزات شملت الماء، وواحدة من سبع معجزات حدثت في يوم السبت. لم يطلب هذا المشلول من يسوع شيئاً، حيث لم يعرف من يكون المسيح، ولم تكن له رغبة قوية في الشفاء. حتى عندما سأله الفادي "أتريد أن تشفى؟". لم يجب بنعم، بل اشتكى ليسوع بعدم وجود إنسان يلقيه في البركة متى تحرك الماء. هنا تكمن قوة هذه المعجزة لشخص لم يطلب الشفاء ولم يرده، لكن يسوع شفاه بكلمة من عنده "قُمْ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاَمْشِ". وفي الحال شفي الرجل وحمل فراشه ومشى. يدل هذا الشفاء على قوة يسوع الإلهية، إلى جانب كونه صورة رائعة لعلاقتنا به.

يُعطي الرب يسوع ٣ أوامر للمشلول: قُمْ، احْمِلْ فِرَاشَكَ، وَاَمْشِ. يطلب من الناس أن يقفوا لتحمل المسؤولية- أن يقفوا إلى جانبه. كلما تبعنا يسوع، كلما ازدادت صفاتنا الروحية. أما الخطيئة بالمقابل، تُسبب لنا الضعف الروحي والعجز واليأس. شمل أمره الثاني "احْمِلْ فِرَاشَكَ". حيث أن المشلول الذي شفي لم يعد بحاجة إلى فراشه، عليه أن يُبعده عن البركة كي لا يعود إلى نمط حياته الماضية.

هذا حالنا عندما ندفن إنساننا العتيق في مياه المعمودية، ونقوم بإنسان جديد لنعيش في جدة الحياة. أعاد يسوع الصحة الكاملة للمفلوج بكلمة منه، ثم قال له "امش". كان حمل الفراش عملاً بالنسبة للقادة الدينيين حيث جرت المعجزة يوم السبت، لذا، كان همهم أن يعرفوا من المسؤول عن هذه المعجزة.

وجد يسوع الرجل الذي شفي في الهيكل فقال له "ها أنت قد عدت صحيحاً فلا ترجع إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ". ذهب الرجل إلى القادة الدينيين وأخبرهم أن الذي شفاه هو المسيح، فبدأوا يضايقون يسوع لأنه كان يعمل هذه الأعمال يوم السبت، وجعل نفسه مُعادلاً لله. أجابهم المسيح على اتهامهم حيث قال: "ما زال أبي يعمل إلى الآن. وأنا أعمل أيضاً". لهذا ازداد سعي اليهود إلى قتله.

يسوع مُتحد بالله عندما يقوم بأعمال الرحمة في يوم السبت، فلا يمكن أن يكسر وصايا الله وهو الذي أعطاه على جبل سيناء. عندما شفى يسوع يوم السبت، كان يعمل في انسجام تام مع إرادة الله. لقد أتى يسوع لكي "يعظم الشريعة ويكرمها". لقد أتى ليحرر السبت من تلك الأحمال العسيرة الحمل التي حولته إلى لعنة بدل كونه بركة.

قارني "إن المخلص ينحني نحو أولئك الذين قد اقتنأهم بدمه قائلاً لكلٍ منهما برقة وعطف لا يُعبر عنهما". "أتريد أن تُشفى". فالمخلص يأمرك أن تهض بصحة وسلام. فلا تنظر حتى تحس بأنك قد شفيت. فإذا آمنت بكلمته ستنال الشفاء. وإذ تطيع كلمته ستنال القوة. مهما كانت أعمالك شريرة، ومهما كانت الشهوات المتحكممة فيك والتي بسبب انغماسك فيها قد كبلت جسدك وروحك بقيودها، فالمسيح يقدر ويريد أن يحررك (روح النبوة، مُشتهى الأجيال، صفحة ١٨٠). قُمْ واثرك أحمالك مع يسوع لتنال الشفاء الجسدي والروحي وتعيش لمجده دوماً.

شِفَاء الْأَصَمِّ مَعْقُودِ اللِّسَانِ

"وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذُنَاهُ، وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيمًا." (مرقس ٧: ٣٥)

ترك يسوع نواحي صور بعد أن أخرج روح نجس من ابنة المرأة الكنعانية، وعاد إلى بحيرة الجليل، مروراً بصيدا في جنوبي لبنان وعبر حدود المَدُن العَشر التي كان يسكنها الأُمَم. قَطَعَ المُخْلَص مَعَ تلاميذه مسافة تُقارب ٥٧ كيلومتراً، كَانَتْ تِلْكَ السَّفَرَةُ أَقْصَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الرَّبُّ شِمَالِي فِلَسْطِينَ خَارِجَ نِطَاقِ خِدْمَتِهِ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ أَصَمَّ وَمَعْقُودَ اللِّسَانِ، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.

ينفردُ البشير مرقس بسرد هذه المعجزة الشفائية لسبب سنرى أهميته معاً. كان هذا الرجل محروماً من سماع صوت أفراد عائلته وضحكاتهم، مما جعل حياته حافلة بالمآسي. شعر بكثير من العزلة حيث لم يستطع التحدث مع الناس أو سماع ما يقولونه، كما لم يتوافر أي علاج لمشكلة هذا المريض في ذلك الوقت.

تذكرون في إنجيل مرقس الاصحاح الخامس كيف شفى يسوع إنساناً في نفس المنطقة كان يسكن بين القبور وأخرج منه روح نجس دخل في قطيع من الخنازير فهلك جميعهم. توسل الرجل بعد شفائه أن يرافق المسيح لكنه له المجد قال له "اذهب إلى بيتك، وإلى أهلِكَ، وأخبرهم بما عمله الرب بك ورحمك. هكذا انطلق وأخذ يُنادي في المَدُن العَشر بما عمله يسوع به، فتعجب الجميع". عَرَفَ النَّاسُ مِنْ شَهَادَةِ الَّذِي شَفَاهُ عَنْ أَعْمَالِ يَسُوع وَسُلْطَانِهِ عَلَى الْمَرَضِ وَالْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ . وبينما كان الفادي في المنطقة أحضر بعض الأصدقاء هذا الأصم معقود اللسان. لم يعرف أن يسوع في مدينته أو من هو بسبب انعزاله عن العالم. آمن الذين أحضره بقوة المسيح الشفائية فتوسلوا إليه كي يضع يده عليه يشفيه.

أخذه المُخْلَص جانباً بعيداً عن حشود النَّاس قَبْلَ أَنْ يَشْفِيهِ. فَمَنْ تَوَاضَعَهُ، لَمْ يُدْرَ أَنْ يُحْرَجَ هَذَا الْمُسْكِنُ أَمَامَ الْآخَرِينَ حَيْثُ كَانَتْ مُعْجَزَاتُ الرَّبِّ جُزْءاً مِنْ تَعَالِيمِهِ. اخْتَارَ الشَّافِي الْأَعْظَمَ لِمَسِ الْمَرِيضِ حَيْثُ وَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَقَلَّ وَلَمَسَ لِسَانَهُ. كَانَتْ تِلْكَ اللَّمَسَةُ لِفَائِدَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ كِي يَشْعُرَ بِحَنَانِهِ عَلَيْهِ لَا سِيَّما وَأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَوْ يَسْمَعُ. بَعْدَهَا رَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ كَعَلَامَةٍ لِاعْتِمَادِهِ عَلَى أَبِيهِ السَّمَاءِيِّ وَتَسْلِيمِ لِإِرَادَتِهِ.

تنهَّدَ الْمَسِيحُ كَتَبْعِيرٍ عَنْ حُزْنِهِ لِأَلَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي سَارَ طَرِيقَ الْأَلَمِ وَاخْتَبَرَ الْأَحْزَانَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "افْتَحْ أَيَّ انْفَتْحَ. أَعْطَى الرَّبُّ أَمْرَهُ إِلَى أُذُنِي الْمَرِيضِ كِي تَنْفَتْحَ حَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَ بِوُضُوحٍ، وَإِلَى لِسَانِهِ كِي يَسْتَطِيعَ الْكَلَامَ بِطَلَاقَةٍ. وَلِلْوَقْتِ انْفَتْحَتْ أُذُنَاهُ وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيمًا.

يا لها من مُعْجَزَةٍ شَفَائِيَّةٍ رَائِعَةٍ مِنَ الشَّافِي الْأَعْظَمِ شَمَلَتْ التَّخْلَصَ مِنَ الصَّمَمِ مَعَ إِمْكَانِيَةِ الْكَلَامِ بِطَلَاقَةٍ. صَارَ كُلُّ هَذَا بِكَلِمَةٍ مِنَ رَبِّ الْمَجْد. ثَرَى كَيْفَ اسْتَجَابَ الَّذِي شَفَى وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ لِهَذِهِ الْمُعْجَزَةِ، نَقَرُوا عَنْ ذَلِكَ: "فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ. وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيرًا" (مرقس ٧: ٣٦).

كثيراً ما أوصى يسوع الذين شفاهم أن لا يُخبروا أحداً كي يتفرغوا للتعليم وحتى لا يدخل في نزاع مع القادة الدينيين. كانت فرحة الذين شاهدوا الشفاء عظيمة، بحيث لم يستطيعوا السكوت، وشاركوا فرحتهم بما حققه المسيح. وَبُهِتُوا إِلَى الْعَايَةِ قَائِلِينَ: "نَهْ عَمَلُ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنًا! جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ".

قارئ العزيز، يسوع يُكْمِلُ دوماً العمل الذي بدأه بطريقة رائعة إلى يوم يسوع المسيح. يعملُ الرَّبُّ الْآنَ فِي حَيَاتِكَ كِي تُقْبَلَ إِلَيْهِ لِيَضَعَ يَدَهُ عَلَيْكَ وَيَشْفِيكَ بِالتَّامِ. حَقَّقَ الْمُخْلَصُ فِي هَذَا الشِّفَاءِ مَا جَاءَ فِي إِشْعِيَاءَ ٣٥ مِنْ أَنْ الْعُمَى يُبْصِرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ. أَثْبَتَ يَسُوعُ مِنْ جَدِيدٍ بَأَنَّهُ مَسِيحُ الْأَجْيَالِ.

يتكلم الفادي إلى قلبك الآن قائلاً: "افتحه لي" كي أدخل إليه وأُغَيِّرَ حَيَاتَكَ لِتَكُونَ فِي انْسِجَامٍ مَعَ عَظِيمِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّكَ بِهَا. تَذَكَّرْ أَنْ تَجْدِيدَكَ لِلْمَسِيحِ هُوَ أَعْظَمُ حَدَثٍ فِي حَيَاتِكَ، أَشْكُرُهُ مَعِيَ لِأَجْلِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا نَسْتَحْقُّهَا.

ثقي يا ابنة، إيمانك قد شفاك

"فالتفت يسوع وأبصرها، فقال: "ثقي يا ابنة، إيمانك قد شفاك". فشفيت المرأة من تلك الساعة." (متى ٩: ٢٢)

تبدأ قصة هذه المعجزة الشفائية في إنجيل متى الاصحاح التاسع عندما جاء رئيس يدعى يايروس إلى يسوع وسجد له قائلاً "إن ابنتي الصغيرة على آخر نسمة. لبتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا" (مرقس ٥: ٢٣). استجاب يسوع لطلبه ووافق أن يذهب معه. سار موكب يسوع وتلاميذه في طريقهم وإذا امرأة مسكينة كانت قد تألمت على مدى اثنتي عشرة سنة من نزف الدم. أنفقت كل ما تملك على الأطباء والعقاقير لوقف هذا النزيف، لكن دون جدوى، بل وازداد سوءاً حيث أجمعوا على أن نزيف الدم عديم الشفاء.

إلى جانب أنها كانت منبوذة اجتماعياً وغير طاهرة حسب الناموس الطقسي بسبب استمرار نزيف دمها. انتعشت آمال هذه المرأة عندما سمعت عن معجزات يسوع الشفائية فتبعته من مكان لآخر، لكن نظراً لضعفها وآلامها لم تستطع أن تشق لنفسها طريقاً وسط الناس الذين يحيطون بالمسيح من كل جانب. فبدأ اليأس يدب في نفسها، وإذا بيسوع الذي يقرأ القلوب ويعرف أنات كل شخص يقترب منها. حانت الآن الفرصة التي كانت تنتظرها، وهي في حضرة الطبيب الأعظم، لكنها لم تتمكن من التكلم معه نظراً لتزاحم الناس من حوله.

سلاحها الوحيد أمامها هو الإيمان، لذا اندفعت بكل قواها إلى الأمام قائلة لنفسها "إن مسست ولو ثيابه شفيت" فتقدمت منه واستطاعت أن تلمس هذب ثوبه. وفي تلك اللحظة، علمت أنها قد شفيت من مرضها. رائع وصف مرقس: ٢٩ لحال المرأة حيث يقول "فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت في جسمها أنها قد برأت من الداء".

وبشعور من الشكر والامتنان، حاولت المرأة بعد شفائها الابتعاد عن ذلك الحشد من الناس، لكن يسوع وقف في مكانه والتفت من حوله وسأل "من الذي لمسني؟" بدا سؤال المخلص غريباً بينما الناس يزحمونه من كل جانب. حتى تلميذه بطرس قال له باندھاش "يا معلم الجموع يضيقون عليك وتقول من الذي لمسني؟ فقال يسوع: "قد لمسني واحد لأنني علمت أن قوة قد خرجت مني" (لوقا ٨: ٤٦).

ميز المسيح بين لمسة الإيمان وتدافع الناس من حوله دون اكتراث. كانت تلك اللمسة برهاناً على معرفة يسوع وعلمه بما جرى ورائه. أراد له المجد أن يكلم تلك المرأة في إيمانها واتضاعها بكلمات العزاء، لتكون بركة لها ولأجيال من بعدها. أتجه الرب ببصره نحو تلك المرأة فلم تجد بداً من أن تأتي مرتعدة وتسجد أمامه وتُخبره بقصة آلامها ونيْلِها الشفاء بإيمانها فيه. فقال لها يسوع بصوته الرقيق "ثقي يا ابنة إيمانك قد شفاك اذهبي بسلام" (لوقا ٨: ٤٨). خاطبها كابنة، وزرع فيها الثقة من أن لمستها لم تُغضبه، بل أراد لها قوة الإيمان والسلام. مع أنها كانت نجسة، لكن كلّي القداسة والطهارة لم يتنجس بتلك اللمسة، بل منحها قوة الشفاء في الحال. أراد المسيح من هذه المعجزة تمجيد الله ومدح إيمان هذه المرأة وتقوية إيمان يايروس بقدرته على إقامة ابنته من الموت.

تقول روح النبوة في كتابها (مُشتهى الأجيال، صفحة ٣٢٣). "لا يكفي كوننا نؤمن عن المسيح، بل علينا أن نؤمن به. إن الإيمان الوحيد الذي يمكن أن ينفعنا هو الذي يُعانق يسوع ويقبله كمخلص شخصي، الإيمان الذي يُخصّص استحقاقات الفادي لأنفسنا. إن الإيمان الصحيح هو حياة، والإيمان الحي معناه مزيداً من النشاط والاتكال الواثق الذي بموجبه تصير النفس قوة غالبية".

لم تنل هذه المرأة الشفاء نتيجة لمسها يسوع فقط، بل لأن تلك اللمسة صاحبها الإيمان. عانت المرأة الكثير من الآلام الجسدية والنفسية نتيجة مرضها، لكنها سمعت عن حنان يسوع وقدرته على شفاء الكثيرين. كان إيمانها محور هذه المعجزة. لذا، فمعجزة حياتك عزيزي تعتمد على مقدار إيمانك. أُملي أن يكون إيمانك عظيماً بالمسيح صاحب المعجزات والقادر على شفاك روحياً وجسدياً له كل المجد. آمين.

يا سَيِّدِي أَنْ أَبْصِرَ

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ". فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ، وَتَبَعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ."

(مرقس ١٠: ٥٢)

بدأت رحلة المائة ميل ليسوع وتلاميذه وجمع غفير كانوا يتبعونه من الجليل إلى أورشليم مروراً بأريحا حيث حدثت أمور كثيرة خلالها. يُتابع البشير مرقس ١٠: ٤٦ أحداث هذه المعجزة "وَجَاءُوا إِلَى أَرِيحَا. وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلَامِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ، كَانَ بَارْتِيْمَاوُسُ الْأَعْمَى ابْنُ تِيْمَاوُسَ جَالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي". مدينة أريحا هي ملتقى طرق هام بالقرب من نهر الأردن، حيث يتوقف فيها المتجهون جنوباً وغرباً.

كان يسوع ومن معه على بُعد يوم ونصف سيراً على الأقدام من أورشليم، وما يفصل بينهما هو وادي ظل الموت. كانوا على وشك الخروج من أريحا عندما قابلهم ابن تيمائوس الأعمى.

لم يملك هذا الأعمى الكثير من المال سوى ما يجود به المحسنون على الطريق. سار نمط حياته اليومي هذا سنة بعد الأخرى، إلا أن جاء اليوم الذي سمع فيه وقع أقدام الكثير من المارة ولما سأل عن ذاك الموكب، قيل له بأن يسوع الناصري خارج من المدينة. ميّز ابن تيمائوس يسوع كال المسيح، وعرف أن لديه السلطان والقوة على الشفاء. وهذا كل ما أراده الأعمى. لم يطلب الشفقة من أحد، بل طلب الرحمة من المخلص.

أدرك أن بعض المال الذي يحصل عليه يحل مشكلة معيشته اليومية، لكن جوهر المشكلة هي عماه وهو بنفسه غير قادر على حلها. وما يمنعه من الوصول للمسيح هو تلاميذه والجمع المحيط به.

ومن يأسه، بدأ يصرخ "ويقول يا يسوع ابن داود ارحمني". هذه فرصته الذهبية وسيبقى يصرخ حتى يسمع. حاول كثيرون أن ينتهروه ليسكت، لكنه ازداد صرخاً. لاحظوا معي ما عمله المسيح، توقف عن المشي ونظر أبعد من الجمع من حوله ليسمح لشخص آخر أن يأتي إليه وقال "دعوه إلي". هؤلاء التلاميذ الذين قبل دقائق كانوا يحاولون منعه من الوصول للمسيح، نراهم يذهبون للأعمى قائلين "ثق. قم. هوذا يُناديك".

يقف الرب عند صراخ الذين يُنادونه بغض النظر عن جنسهم أو لونهم، فكل نفس غالية في نظره، وتبقى عمياء إلى أن تُقابل يسوع، وكل الذين يُقابلونه يستردون بصيرتهم الجسدية والروحية.

لم يرد ابن تيمائوس أي عائق يحول دون الوصول للشافي الأعظم، فطرح رداءه وقام وجاء إلى يسوع. سأله الرب قائلاً: "ماذا تريد أن أفعل بك؟" فأجاب الأعمى: "يا سيدي أن أبصر!". المسيح وحده قادر أن يهب نور الحياة ويفتح عيون العمى كي يرجعوا من ظلمات إلى نور. لو كان لابن تيمائوس أي شك عندما صرخ طالباً الرحمة لَبَقِيَ كفيفاً إلى الأبد.

اصرخ كما فعل بارتيمائوس الأعمى: يا يسوع ابن الله، ارحمني. سيقف لك الرب يسوع المسيح، أجل لك أنت شخصياً، كما وقف لأجل بارتيمائوس. سيقف ويعطيك ما أنت بحاجة إليه. عزيزي، إذا لم تصرخ للرب بروحك – أي أنت شخصياً – فلن تستعيد بصرك. فقال له يسوع "اذهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ". فلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ، وَتَبَعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ".

جلس ابن تيمائوس على طريق الحياة- وهو شحاذ أعمى- إلى أن مر به يسوع المسيح ومنحه نور العين وامتنياز السير معه حين تبع يسوع في الطريق. هذه حالنا قبل أن يفتح الرب عيوننا، ونُقابل فادينا يسوع حيث له المجد القادر على ملء حاجتنا الحقيقية. حدثت هذه المعجزة لأن ابن تيمائوس جاء إلى يسوع، بل لأن المسيح لاقاه في الطريق مثلما حصل ليعقوب حين ترك البيت ليستيقظ على الحقيقة ويصرخ "حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم" (تكوين ٢٨: ١٦).

وضع بارتيمائوس إيمانه كاملاً في يسوع المسيح وفي الحال سمع قول المسيح: "اذهب إيمانك قد شفاك" وفي الدقيقة نفسها أبصر، فماذا فعل، لقد تبع المسيح في موكبه العظيم، ولا يمكن لأي قلم أن يصف حال الرجل الذي تحولت الظلمة أمام عينيه إلى نور. ربّي امنحني نورك.

قُمْ واحْمِلْ فراشَكَ

"قَالَ للمفلوج لَكَ أَقُولُ قُمْ واحْمِلْ سَرِيرَكَ واذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ." (مرقس ٢: ١٠ و ١١)

تُظهِرُ مُعْجَزَةُ شِفَاءِ المفلوج بدايةَ صراعٍ مُسْتَمِرٍّ بين يسوع والقادة الدينيين. كان المسيح في كفرناحوم يُعَلِّمُ في بيت بطرُسَ حشداً كبيراً من الناس، عندما قاطَعَهُ أربعة رجال يحملون صديقاً لهم كي يشفيه المُخْلِص. كفرناحوم هي بَلَدَةٌ يسوع ومقر خدمته في الجليل حيث شفى فيها الكثير من المرضى، ومن بينهم حماة بطرُس من الحُمَّى فقامت وخدمتهم. ومنها كان ينطلق إلى البرية للصلاة. ذاعَ خَبَرُ وُصُولِ الرَّبِّ إلى هذه البَلَدَةِ، فاجتمعَ كثيرون حتَّى لم يُعَدِّ يَسْعُ ولا ما حَوْلَ الباب. فكان يُخاطِبُهُم بالكَلِمَةِ.

تُثِيرُ مُعْجَزَةُ شِفَاءِ المفلوج سؤالاً عَن دَوْرِ الأعمال لِمَن ليس بقادر على العَمَل. هذا المريض قَبْلَ شِفائِهِ، كان غير قادر على إعالة نفسه، لذا كان يعتمدُ على عَطْفِ مَنْ حَوْلَهُ في معيشتِهِ اليَوْمِيَّة. ما كان يصبو إليه هذا المريض، لم يكن هُوَ شِفَاءَ الجَسَدِ بقدر ما كان يتوق إلى الراحة من عبء الخَطِيئَةِ.

لذا تطَوَّعَ أربعة من أصدقائه لَحْمَلِهِ إلى يسوع مُظْهِرين روعَةَ الثِّقَةِ والرعاية لِمَن حُرِمَ منها. رأى المُخْلِصُ في إصرارهم ومحاولاتهم الوُصُولَ إِلَيْهِ كَعَمَلِ إيمان جماعي. أملي أن يكون عملهم حافزاً لنا لإحضار شخص ما للمسيح.

في هذه المُنَاسَبَةِ، شفى يسوعُ شَخْصاً بناءً على إيمان آخرين، وما عملوه عندما أحدثوا فتحة في السَّقْفِ ودلُّوا سرير المريض بحبال أمام المسيح، لعدم استطاعتهم الدُخُولَ من باب البيت لكثرة الناس فيه. "فلماً رأى يسوع إيمانَهُم قال للمفلوج يا بُنَيَّ مغفورةٌ لَكَ خطاياك" (مرقس ٢: ٥).

ظنَّ الناسُ في زَمَنِ الفادي أن المَرَضَ والإعاقة هُما عقاباً من الله نتيجة ارتكاب الخَطِيئَةِ. ذُهِلَ الفريسيُّونَ الحاضرون من يسوع، واتهموه بالتجديف في ادعائه بأنَّه الله أو يملك قوَّةَ الله. فكَّرُوا في قُلُوبِهِم متسائلين "مَن يَقْدِرُ أن يغفِرَ خطايا إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ". أراد ربُّ المجد إثبات قوَّته وسُلْطانه ليس بشِفَاءِ الجسد وحسب، بل إعادة علاقة الخاطئ مع الله.

شَعَرَ يسوع بروحه ما يدور في أذهانهم فقال لهم "لماذا تفكِّرون بهذا في قلوبكم. أيُّمَّا أيسرُ أن يُقالَ للمفلوج مغفورةٌ لَكَ خطاياك. أم أن يُقالَ قُمْ واحْمِلْ سَرِيرَكَ وامش. ولكن لكي تعلموا أن لابنَ الإنسانِ سُلْطاناً على الأرض أن يغفِرَ الخَطايا. قال للمفلوج. لَكَ أَقُولُ قُمْ واحْمِلْ سَرِيرَكَ واذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ".

مثل هذان السؤالان لا يستطيع أحد أن يجيب عنهما سوى الله. كما كان ليسوع المقدرة أن يغفِرَ الخطايا، فإن له القُدرةَ أيضاً أن يشفي المفلوج. يقول يسوع بأنَّ له السُلْطانَ على عُفْرانِ الخطايا، وأُثْبِتَ ذلك عن طريق شِفائِهِ للمفلوج. يُصْبِحُ عُفْرانُ الخطايا أمراً واقعياً لك إذ تُؤْمِن، وليس ظاهراً للعيان. لم يستطع المفلوج في القِصَّة أن يرى عُفْرانَهُ، بَلْ يُقَرِّرُ تصديق أن ما يقوله المسيح هو حَقِيقٌ. وفي إيمانه بذلك يُرْفَعُ حَمْلُ الذَّنْبِ والخَوْفِ عَن كُتْفَيْهِ، ليحلَّ مكانهما السَّلام والراحة. إنَّ فَرَحَ هذا الإنسانِ بنيله العُفْرانِ قد اختبرَهُ عن طريق الإيمان وليس العيان. أما كيف قام ومشى فكان طاعة لأمر الشافي الأعظم له.

نقرأ في مُرْقَس ٢: ١٢ خاتمة هذه المعجزة "فَقَامَ للوْفَتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الكُلِّ حتَّى بُهَتَ الجميعُ ومَجَّدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلاً هذا قَطُّ". لا يزال ربُّ المجد يملكُ القوَّةَ المانحةَ الحياة. إنَّ المَرَضَ الجَسَدِيَّ مَعَ أَنَّهُ كان مُمِيتاً ومُتَأَصِّلاً في ذاك الإنسان فَقَدْ شُفِيَ بِقوَّةِ المسيح. عَمَرَتِ الدهشةُ الحاضرين وهم يرون الرجلَ الَّذِي شُفِيَ يَحْمِلُ فراشه ويشقُّ لنفسه طريقاً وهو يُبارك الله.

عزيزي، هَلْ حياتك اليوم تشهدُ بأنَّ يسوع شافينا من أمراضنا الروحيَّة والجسديَّة قادر أن يشفيك منهما أيضاً؟ وهل تنضم لذلك الجَمْع وهو يتهاَمَس قائلًا "إننا قد رأينا اليومَ عجائب". ليُبارك القدير حياتك وأنت تُعْطِيهِ المجد والكرامة الآن وعلى الدوام.

اذهب ابْنك حي

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذهب. ابْنُكَ حَيٌّ". فَأَمَّنَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ، وَذَهَبَ."

(يوحنا ٤: ٥٠)

بقي يسوع يومان في السامرة حيث آمن به كثيرون، بعد ذلك ذهب إلى الجليل وهناك قبله الجليليون إذ عاينوا كل ما فعل في العيد في أورشليم. وجاء أيضاً إلى قانا الجليل، حيث كان قد حوّل الماء إلى خمر. سمع رجل من حاشية الملك، له ابن مريض أن يسوع قد وصل إلى قانا الجليل، فذهب إليه وطلب منه أن ينزل معه إلى كفرناحوم ليشفي ابنه المشرف على الموت. تربى يسوع في الجليل في مدينة الناصرة، وإلى الشمال منها على بُعد عشرة أميال تقع قانا الجليل حيث قام المخلص بأول أعجوبة عندما صنع من الماء خمرًا. وإلى الشرق منها بحوالي ١٥ ميلاً تقع كفرناحوم حيث عاش خادم الملك وابنه المريض.

جاء الأب المُعذّب إلى المسيح طالباً منه أن يرجع معه إلى كفرناحوم ليشفي ابنه المشرف على الموت. فقال يسوع: "لا تؤمنون إلا إذا رأيتم الآيات والعجائب". (يوحنا ٤: ٤٨). يقول يسوع هنا إن الناس ومعهم خادم الملك يريدوا أن يروا آيات وعجائب. انتقد في كلامه من كانوا حوله، الذين كانوا معه في العرس، ورأوا أولى الآيات التي عملها، وما فعله في أورشليم أثناء عيد الفصح. عانى هؤلاء بشكل عام من صعوبة الإيمان في زمن المسيح، ولسنا اليوم أفضل حال منهم. أراد المخلص توضيح الفرق بين المعرفة والإيمان.

يعني الإيمان الكتابي الثقة - فلا يكفي أن أعرف شيئاً، لكن عليّ أن أعتمد عليه واتصرف بموجبه. كان لما قاله يسوع قصد حيث هيئاً لذلك الأب تحدّ روحي: إذا كان على استعداد أن يتق حقيقة بالمسيح دون أن يرى البرهان أم لا؟ طلب أبو المريض أن يجري الفادي معجزة شفائية فقط، لكن رؤية هكذا معجزة ينتج عنه معرفة. في المقابل، يتطلب الإيمان الثقة. كان ما طلبه خادم الملك إيماناً أعمى فقد سمع عن يسوع وصدق أنه قادر على شفاء ابنه. ما طلبه يسوع منه، وما يطلبه منا هو أن نثق به. وإذا كان ابنه على وشك الموت، فلن يكون الوقت كافياً لرحلة ثانية إلى بيته.

كان أمامه خيار إما أن يثق أن يسوع قادر على شفاء ابنه عن بُعد، أم لا. أن يعود إلى بيته بدون يسوع عن يمينه، تطلب منه الثقة بقوة المسيح الشفائية وكلمته: "اذهب! إن ابنك حي". هذا أعزائي ما يعنيه الإيمان الكتابي بالحقيقة. كان لدى هذا الأب إيماناً بأن يسوع سيشفى ابنه، لذا نراه يؤمن بكلمة يسوع، وينصرف إلى بيته في الحال. عدّ إلى بيتك بسلام، ولا تقلق بهذا الأمر بعد الآن، أترك الأمر لي، لا داعي أن أذهب معك إلى كفرناحوم، ابْنُكَ حَيٌّ وقد شُفيَ بالتمام من مرضه. وثق الأب بكلام المسيح ورأى ثواب إيمانه.

نرى في هذه المعجزة شفاء الابن الذي كان مُشرفاً على الموت بالكامل، وأيضاً شفاء الأب من عدم الإيمان بحيث لم يعد مُصرّاً على نزول يسوع معه، لكنه آمن بقوة أن ابنه حي أيضاً. لبيّ إلهاً المبارك طلب الأب المُعذّب بطريقته الخاصة، وليس كما أراد هو.

بقي يسوع وتلاميذه في قانا الجليل، بينما انطلق خادم الملك عائداً إلى بيته في كفرناحوم. يقول البشير يوحنا: "وبينما كان نازلاً في الطريق لاقاه بعض عبيده وبشروه بأن ابنه حي". لاحظ أن كلمات عبيده شبيهة بكلمات الرب يسوع. سأل الأب عبيده عن الوقت الذي شفي الولد أجابوه "في السابعة مساءً البارحة، ولّت عنه الحمى إلى غير رجعة" أدرك عندئذ أنها نفس الساعة التي أكد له المسيح "إن ابنك حي" فأمن هو وأهل بيته جميعاً. كلمة يسوع لها نفس القوة اليوم، وقادرة أن تمنحك الشفاء الكامل. أقبل إليه، ثق به، وآمن به للخلاص أنت وأهل بيتك، استعد لملاقاته مع جميع الأعباء، وليبارك ربُّ المجد حياتكم لمجده على الدوام.

لَمَسَ أُذُنُهُ وَأَبْرَأَهَا

"فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: "دَعُوا إِلَيَّ هَذَا!" وَلَمَسَ أُذُنُهُ وَأَبْرَأَهَا. " (لوقا ٢٢: ٥١)

وَصَلَ يَسُوعُ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى ضِيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسِيمَانِي حَيْثُ طَلَبَ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَنْ يَجْلِسُوا هُنَاكَ كَيْ يَذْهَبَ لِلصَّلَاةِ. كَانَتْ نَفْسُهُ حَزِيْنَةً حَتَّى الْمَوْتِ، وَفِي ذَلِكَ الْبُسْتَانِ اسْتَوْدَعَ الْمُخْلَصَ نَفْسَهُ بِالْتِمَامِ لِإِرَادَةِ الْآبِ وَسَلَّمْ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ عَلَى الصَّلِيبِ كَقَارَةَ عَنْ خَطَايَانَا. بَعْدَ ذَلِكَ وَصَلَ يَهُودًا وَاحِدًا مِنْ تَلَامِيذِهِ لِيُسَلِّمَهُ بِقُبْلَةٍ. فَأَلْقَوْا عَلَيْهِ الْأَيَادِي وَأَمْسَكُوهُ. فَقَالَ تَلَامِيذُهُ "يَا رَبُّ أَنْضِرْ بِالسَّيْفِ". وَلَمْ يَنْتَظِرُوا جَوَابَ الْمَسِيحِ عَلَى سُؤَالِهِمْ، فَاسْتَلَّ بَطْرُسُ سَيْفَهُ مُحَاوِلًا الدَّفَاعَ عَنْ يَسُوعَ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَاسْمُهُ "مَلْخُس" فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى. طَلَبَ يَسُوعُ مِنْ بَطْرُسَ التَّوَقُّفَ عَنْ تَهْوِيرِهِ وَرَدَّ سَيْفَهُ إِلَى مَكَانِهِ "لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" مَتَّى ٢٦: ٥٢ "الْكَاسُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ أَلَا أَشْرِبُهَا؟" (يُوحَنَّا ١٨: ١١). ذَهَبَ الرَّبُّ يَسُوعُ إِلَى الرَّجُلِ الْجَرِيحِ وَأَرْجَعَ أُذُنَهُ الَّتِي كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِجِلْدِهِ إِلَى مَكَانِهَا بِلَمْسَةٍ مِنْهُ فَشَفَاهُ.

رَغِمَ الضَّعْفِ الَّذِي عَانِيَ مِنْهُ الْمَسِيحُ، فِي طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ، نَتِيجَةُ الصَّرَاعِ- عِنْدَمَا شَرِبَ كَأْسَ الْأَلَمِ وَالْمَوْتِ- حَتَّى صَارَ عَرَقُهُ كَقَطْرَاتٍ دَمٍ نَارِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنَّ كَانَتْ لَهُ الْقُوَّةُ كَيْ يَقُومَ بَأَخْرِ مُعْجَزَةٍ شِفَائِيَّةٍ قَبْلَ صَلْبِهِ. طَبَّقَ يَسُوعُ مَا قَالَهُ فِي عَظَمَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ بِالنِّسْبَةِ لِمَحَبَّةِ الْأَعْدَاءِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْنِيَكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مَتَّى ٥: ٤٤). هُنِيئًا لَنَا وَنَحْنُ نَحِبُّ حَتَّى أَعْدَائَنَا لَنَكُونَ أَبْنَاءَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ.

نَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ اسْتِخْدَامَ الْعُنْفِ مَرْفُوضٌ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ، فَحِينَمَا يَسْتَخْدِمُ الْإِنْسَانُ الْعُنْفَ فِي خِدْمَتِهِ تَحْتَ سِتَارِ الدَّفَاعِ عَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، يَكُونُ كَبُطْرُسِ الَّذِي يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ أُذُنَ الْعَبْدِ فَيَفْقِدُهُ الْاسْتِمَاعَ لَصَوْتِ الْكَلِمَةِ، مَنْ نَسْتَخْدِمُ مَعَهُمُ الْعُنْفَ نُعَلِّقُ أَمَامَهُمْ بَابَ الْإِيمَانِ، بَلْ كَلِمَاتُ الْعُنْفِ تَزِيدُهُمْ عُنَادًا.

سَمَحَ اللَّهُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ الشِّفَائِيَّةِ عَلَى لِسَانِ كُتَّابِ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ: إِظْهَارِ حُبِّ بَطْرُسَ، وَإِظْهَارِ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ وَقُدْرَتِهِ وَشِفَاؤُهُ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُلْقِيَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ، وَيُظْهِرَ بِالتَّالِيِ أَنَّهُ يُسَلِّمُ نَفْسَهُ بِإِرَادَتِهِ.

وَكَذَلِكَ دَرَسٌ لِلْجَمِيعِ أَنَّ السَّيْفَ لَيْسَ هُوَ طَرِيقُ الْمَسِيحِيِّينَ. لِهَذِهِ الْمُعْجَزَةِ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ بِالنِّسْبَةِ لِتَوْقِيتِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ وَالظُّرُوفِ الَّتِي تَمَّتْ بِهَا، أَعْطَاهَا وَضْعًا خَاصًّا وَمُمَيِّزًا حَيْثُ كَانَتْ آخِرَ لَمْسَةٍ شِفَاءٍ قَامَ بِهَا الشَّافِي الْأَعْظَمُ قَبْلَ مَوْتِهِ. إِنَّا هُنَا لَا نَعْجَبُ فَقَطْ بِقُدْرَةِ الرَّبِّ عَلَى إِتِمَامِ الشِّفَاءِ دُونَ اسْتِخْدَامِ أَدَوَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ، وَلَا إِجْرَاءِ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ.

مَا يَلْفُتُ حَقًّا انْتِبَاهَنَا هُوَ نِعْمَةُ الرَّبِّ. فَمَهْمَا تَلَبَّدَتِ السُّحُبُ فَوْقَهُ، يَظَلُّ قَلْبُ الْفَادِي الْحَبِيبِ يَسُوعُ نَابِضًا بِالْحُبِّ دَوْمًا. مَعَ أَنَّ خِدْمَتَهُ الْعَلَنِيَّةَ كَمَنْ يَجُولُ يَصْنَعُ خَيْرًا كَانَتْ قَدْ انْتَهَتْ، لَكِنَّ نِعْمَتَهُ لَمْ تَتَوَقَّفَ عَنِ الْعَطَاءِ حَتَّى لِأَعْدَائِهِ.

أَكَّدَ الْمَسِيحُ أَنَّ لَدَيْهِ الْقُوَّةَ كَيْ يَطْلُبَ مِنْ أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ فَيُرْسِلَ لَهُ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جِيشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَيْ يَحْمُوهُ مِنْ هَجْمَةِ الَّذِينَ جَاءُوا لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ، نَرَاهُ يَأْخُذُ زَمَامَ الْمُبَادَرَةِ، حَيْثُ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا تَلَامِيذَهُ يَمْضُونَ بِسَلَامٍ، وَأَرْجَعَ الْأُذُنَ الْمَقْطُوعَةَ إِلَى مَكَانِهَا. وَاتَّبَتْ لِمَنْ حَوْلَهُ قُوَّتُهُ كَابِنُ اللَّهِ وَمَقْدَرَتُهُ عَلَى الشِّفَاءِ كَمَسِيحِ الْخَلَاصِ. كَمَا سَبَقَ أَنْ أَنْبَأَ عَنْ تَرْكِ تَلَامِيذِهِ لَهُ حَيْثُ قَالَ "هُودًا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَى الْآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ، وَتَتَرَكُونَنِي وَحْدِي.

وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لِأَنَّ الْآبَ مَعِي" (يُوحَنَّا ١٦: ٣٢). رَائِعٌ أَنْتَ رَبِّي فِي اهْتِمَامِكَ بِنَا رَغْمَ ضَعْفَاتِنَا وَتَقْصِيرَاتِنَا. أَعْطَانَا مِنْ رُوحِكَ كَيْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَحِبَّ كَمَا أَحَبَّبْتَ أَنْتَ وَنَعِيشَ لِمَجْدِكَ بِانْتِظَارِ عَوْدَتِكَ عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ، لِتَأْخُذَنَا مَعَكَ إِلَى بَيْتِنَا السَّمَاوِيِّ عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

يوم في حياة يسوع الشافي

"وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سُقْمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلَفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ." (لوقا ٤: ٤٠)

بدأ يوم الرب المقدس السبت على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل وفي مدينة كفرناحوم، ذهب يسوع وتلاميذه إلى المجمع كعادته للصلاة، وكان في المجمع رجلٌ به روح نجس، حيث انتهره المخلص فخرج منه وسط دهشة الجميع. بعد ذلك دخل بيت سمعان وإذا بحماته مريضة بحمى شديد وطلبوا منه أن يشفيها. فوقف ولمسها وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت وصارت تخدمهم.

كان العديد من أفراد عائلة بطرس يسكنون في ذلك البيت الكبير - أخاه اندراؤس وزوجة سمعان وأُمها، كما كان مقر خدمة يسوع أثناء إقامته هناك. قام راهبان من الفرنسييسكان بحفريات من سنة ١٩٦٨ - ١٩٩١ حيث وجدوا آثار كنيسة تعود للقرن الخامس ميلادي وتحتها عثروا على بيت بطرس الواسع بمساحة ثمانية أمتار مربعة مع درج يقود للسقف.

وعند غروب شمس يوم السبت في مدينة يسوع - كفرناحوم، سارع الناس من كل مكان في المدينة، واجتمعوا عند باب بيت بطرس حيث قدموا إليه جميع المرضى، فوضع يسوع يديه على كل واحد منهم وشفاهم. لم يستخدم رب المجد أي دواء، بل وضع عليهم يديه، وبقوة منه شفى كل نوع من المرض، وأخرج الكثير من الشياطين من كثيرين وهي تصرخ وتقول "أنت المسيح ابن الله".

كان المسيح قادراً على الشفاء دون أن يضع يده على المرضى، لكنه استعمل اليدين ليلمس بشكل شخصي كل متألم، كما بارك حياة كل من لمسه في تلك الليلة. لم يسبق لهذه المدينة أن رأت يوماً كهذا، فقد امتلأ الجو بأصوات الفرح والامتنان وشكروا مانح الحياة على نعمة الصحة والشفاء التي أنعم بها على جميع المرضى والمتألمين في تلك المدينة. كما فرح المخلص بالقوة التي منحهم العافية والسعادة.

لم يتوقف يسوع عن ممارسة عمله حتى شفى آخر مريض في وقت متأخر من الليل، وساد سكون على بيت بطرس. لقد انقضى ذلك النهار الطويل المليء بأعمال الخير والشفاء، فطلب يسوع الراحة التي كان بأمرس الحاجة إليها. وفيما كان الناس نياماً أخبرنا البشير مرقس ١: ٣٥ "وفي الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلي هناك". كم نشكرك يا ربنا من أجل حياة الصلاة التي عشتها، ساعدنا أن نصلي مثلك وتكون لنا شركة مع الآب السماوي خصوصاً في هذه الأيام الأخيرة.

تصف روح النبوة في كتابها (مُشتهى الأجيال، صفحة ٢٣٤). الطريقة التي كان يقضي فيها الرب يسوع أيامه بهذه الكلمات "هكذا كان يسوع يقضي أيام حياته على الأرض. كان يتعب طول اليوم وهو يعلم الجهال ويشفي المرضى، ويفتح أعين العميان ويُسبغ الجموع، وفي وقت المساء أو في الصباح الباكر كان ينطلق إلى مقادس الجبال ليكون في شركة مع أبيه.

وكثيراً ما كان يقضي الليل كله في الصلاة والتأمل، ليعود في بكور اليوم لمزاولة عمله بين الشعب". إن مفتاح فهم الطريقة التي عاش بها يسوع هي إدراك أن تواصله مع أبيه السماوي يجب أن يسبق الخدمة. كان ذلك واضحاً عندما اختار تلاميذه الاثني عشر، وتجلّى بأوضح صورة في بستان الجثسيماني قبل آلامه وصلبه.

عزيزي، لم لا نُعين وقتاً في كل يوم لتقضيه مع الرب يسوع في التأمل والصلاة؟ ضع لخلوتك الروحية أولوية قصوى في حياتك. إبدأ بخمس دقائق يومياً ثم زد الوقت تدريجياً. اقرأ كلمة الله وتحدث معه بالصلاة،

وأطلب منه أن يقود حياتك. ستنمو روحياً وتستعد لملاقاته في مجده عن قريب. الرب يبارك حياتك ويقويك لتعيش حياة الصلاة التي عاشها يسوع مثالنا الأكمل لتكون بركة للآخرين لمجد حبيبنا يسوع. آمين

خطوات نحو الشفاء

"يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبِرُ كَسْرَهُمْ." (مزمو ١٤٧: ٣)

عندما تتجأح الصعوبات وتطغى المشاكل على حياتنا، ما أحوجنأ إلى كلمات التشجيع في الأسفار المقدسة - إلى وعد يُذكرنا بروعة وأمانة الله، الذي وعد أن يكون معنا في متاهات الحياة- مع التأكيد أنه ضامننا في كل الظروف. هناك راحة عجيبة يُعطيها الربُّ لأتقيائه، وفي وسط متاعب الحياة التي تُحوّل حياتنا إلى يأس- نحتاج أن نرتاح في ثقة يمنحها مُخلصنا العظيم لنا. راحة الإيمان التي لنا في المسيح- ونحن نسكن مطمئنين بين الأذرع الأبدية.

يبقى السؤال: "كيف تحصل أنت وأنا على "إيمان الراحة" عندما تتحوّل حياتنا إلى حطام، ونشعر أن قلوبنا مُنكسرة؟" نحتاج أن نذكر أن كلمة الله تأتي بالحياة والصحة وهي كاملة ونقية، ومواعيده تشفي القلوب المنكسرة وتُجبر الجروح والكسور.

جاء يسوع في بداية خدمته العلنية إلى المجمع في الناصرة يوم السبت حسب عادته وقام ليقرأ من سفر إشعياء النبي ٦١: ١ "روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب". روح الرب أرسلني لأصحاب القلوب المنكسرة بالروح وكلمة الله، الذين تواضعوا تحت إحساسهم بالخطية ونُخسوا في قلوبهم ويُعانون من آلام كثيرة- لكل هؤلاء- يتكلم المسيح بكلمات العزاء لهم ويُقدّم غفرانه المجاني لخطاياهم.

سنكون مع ٧ خطوات للشفاء الذي يُقدّمه ربّ المجد لكم ولي. "١" تعامل بجديّة مع المُعوقات. تأكد من تعاملك مع آية مُعوقات قد تمنع قوة الله الشافية. وأطلب من الروح القدس أن يُبكتك على قلة الإيمان والكبرياء والخوف وعدم التسامح والخيارات التي لا تُرضي الله. "٢" العبادة. تُساعدك العبادة على تركيز أنظارك في شخص المحبوب يسوع لتتألّ سلامه الكامل. المسيح رائد إيماننا ومُكملّه، لذا من المهم أن تبقى أنظارك عليه بدلاً من الاعتماد على قواك الخاصة.

"٣" صلي بحسب كلمة الله. أطلب من الروح القدس كي يقودك إلى مواعيد كتابية بالنسبة لصحتك. ردّد هذه المواعيد طيلة اليوم كي تتقوى بها عندما تشعر بالمرض أو التعب وتكون مُجرباً لتشعر باليأس بشأن صحتك.

"٤" خض حرباً روحية. كن يقظاً لأساليب الشيطان ليحرمك من نعمة الصحة، وتقلّد درع الله الكامل لتقاومه. أنت قادر على غلبة هجمات العدو بأسلحة الله الروحية التي زودك بها. تذكر عزيزي، أنك عندما تُسلم حياتك لسلطة الله، عندها تُقدر أن تقول للشيطان "ابعد من حياتي!"- وبالتأكيد سيهرب (يعقوب ٤: ٧).

"٥" اسأل الحكمة من الله. ينصحن الحكيم سليمان أن "نقتني الحكمة" (أمثال ٤: ٧) قد يكون لطبيبك أو الأصدقاء المقربون لك آراء عمّا تعملّه عندما تكون بحاجة للشفاء. لكن بدلاً من اتباع النصائح الصحية التي يُقدّمونها، لم لا تطلب توجيهات من الله كي يملك سلامه في قلبك.

"٦" المسّه بالإيمان. تذكر أن الربّ شافيك- الذي يشفي كل أمراضك. اتبع مثال المرأة النازفة التي لمسّت بالإيمان ثوب المسيح. اعلم أن يسوع إلى جانبك الآن. مُد يدك والمسّه طالباً الشفاء الذي تحتاجه.

"٧" سبّح اسمه على الشفاء. كما سبّح الملك يهوشافط الربّ على الانتصار قبل حدوثه، سبّح أنت القدير على انتصارك على المرض- حتّى قبل أن تراه يتحقّق.

ربيّ القادر على كل شيء، أشكرك على وعدك أن تشفي انكسار قلبي، وتُصمّد جروحي. ساعدني أن أسير بتواضع أمامك وكلّي ثقة بمواعيدك الثمينة عالماً أنك قادر أن تُعينني إلى نهاية الطريق وفي كل ظروف حياتي. وكما شفيت كثيرين، أنت قادر الآن على شفائي جسدياً وروحياً. لقد سَفكت دمك من أجلي على عُود الصليب كي أحيأ ببرك كل أيام حياتي. أطلب الكلّ وأشكرك من أجل الكلّ باسم المسيح. آمين.

ماذا يقول الكتاب المقدس عن البرص

"وَالْأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ، تَكُونُ ثِيَابُهُ مَشْقُوقَةً، وَرَأْسُهُ يَكُونُ مَكْشُوفًا، وَيُعْطَى شَارِبِيهِ، وَيُنَادِي:
نَجِسٌ، نَجِسٌ." (لاويين ١٣: ٤٥)

يُعرَفُ البرص بأنه مَرَضٌ جلدي خطير يَبْيَضُ فيه الجلدُ ويَصِلُ في بعض مراحله الخطيرة إلى تآكل بعض أطراف الجسم، وتشويه شكل الإنسان، بجانب خطورته في انتقال العدوى سريعاً. كان موسى نبي الله هو أول شخص أُصيبَ بالبرص، لكن أصابته لم تكن عقوبة من الله بل آية أعطاها الله لموسى بعد أن قال لله إن الشعب لن يصدقوا بأنه يكلمه فما لفم، ولن يسمعوا كلامه

. فقال له الله "أَدْخُلْ يَدَكَ فِي عُبَّكَ فَأَدْخُلْ يَدَهُ فِي عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرِجْهَا وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءُ مِثْلَ الثَّلْجِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبِّكَ فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرِجْهَا مِنْ عُبِّهِ وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ. فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لَصَوْتِ الْآيَةِ الْأُولَى أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتِ الْآيَةِ الْآخِرَةِ" (خروج ٤: ٦-٨).

أُصِيبَتْ مريم- وهي المرأة الوحيدة التي مرضت بهذا المرض- أخت موسى النبي وهارون بالبرص، عندما اشتركت مع أخيها هارون في التذمر على موسى، فقالت مع أخيها "هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يَكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟". فَضْرِبَتْ بِالْبَرَصِ وَايْبَضَّ جِلْدُهَا كَالثَّلْجِ. وبعد سبعة أيام، شَفِيَتْ بعد أن صَلَّى موسى لأجلها.

لذا، كان الشعب في العهد القديم يُؤْمِنُ بأن البرص هو عُقُوبَةٌ وَضْرِبَةٌ مِنَ اللَّهِ. ذَكَرَ الْكِتَابُ أَيْضًا إصَابَةَ جِيحْزِي خَادِمِ أَلِيشَعِ النَّبِيِّ بِالْبَرَصِ، نَتِيجَةً طَمَعِهِ وَأَخَذَهُ الْمَالُ مِنْ نَعْمَانِ السَّرْيَانِيِّ بعد أن شَفَاهُ أَلِيشَعُ مِنْ بَرَصِهِ. فَانْتَقَلَ الْبَرَصُ فِيهِ وَفِي نَسْلِهِ نَتِيجَةً مَحَبَّتِهِ لِلْمَالِ (٢ ملوك ٥: ٢٠ - ٢٧).

يَصِفُ سفر اللاويين ١٣: ٢ و٣ أعراضَ مَرَضِ الْبَرَصِ كما أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ: "إِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ نَاتِيًا أَوْ قُوبَاءً أَوْ لُمْعَةً تَصِيرُ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ ضَرْبَةً بَرَصَ، يُؤْتَى بِهِ إِلَى هَارُونَ الْكَاهِنِ أَوْ إِلَى أَحَدِ بَنِيهِ الْكَهَنَةِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهَنُ الضَّرْبَةَ فِي جِلْدِ الْجَسَدِ، وَفِي الضَّرْبَةِ شَعْرٌ قَدْ ائْبَضَ، وَمَنْظَرُ الضَّرْبَةِ أَعْمَقُ مِنْ جِلْدِ جَسَدِهِ، فَهِيَ ضَرْبَةٌ بَرَصَ. فَمَتَى رَأَى الْكَاهَنُ يُحْكَمُ بِنَجَاسَتِهِ". فَيُعْزَلُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ بَعِيداً عَنِ النَّاسِ.

كان الهدف من عزل الأبرص بعيداً عن عائلته وأولاده، وعن موضع تجمع الناس، هو منع انتشار المرض والعدوى، وما زال هذا المبدأ يُعْمَلُ بِهِ فِي كُلِّ مُسْتَشْفَايَاتِ الْعَالَمِ.

وحرصاً على عدم ملامسة الأبرص بدون قصد، والحظر من الدنو منه، كان الأبرص يميز نفسه بحيث أن مَنْ يراه من بعيد يحترز منه، وكانت علامات التمييز أن يشقَّ ثيابه ويكشف رأسه ويغطي شاربيه (بقطعة قماش)، ولزيادة الحرص خوفاً من اقتراب شخص غير منتهبه أو أعمى، كان الأبرص يُنَادِي "نَجِسٌ نَجِسٌ".

عندما يُشَاهِدُ أَيُّ إِنْسَانٍ فِي طَرِيقِهِ وَبِهَذَا لَا يَكُونُ الْاِبْرَصُ سَبَباً فِي نَشْرِ عَدْوَى الْمَرَضِ لِلْإِنْسَانِ السَّلِيمِ، فَكَانَتِ الْوَقَايَةُ ضَرُورِيَّةً جَدّاً لِتِلْكَ الْبِيئَةِ الْبَسِيطَةِ الْمَعْتَمِدَةِ عَلَى الزَّرَاعَةِ وَالرَّعْيِ.

يَبْقَى الْاِبْرَصُ مَنبُوداً مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَتِمَّ شِفَائُهُ حَيْثُ يَفْحَصُهُ الْكَاهِنُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، وَإِذَا وَجَدَ أَنَّ أَعْرَاضَ الْمَرَضِ قَدْ زَالَتْ، يَطْلُبُ مِنْهُ تَقْدِيمَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى. يُعْطِينَا سفر اللاويين ١٤ تفاصيل التَّقَدُّمَةِ لِلْاِبْرَصِ بعد شِفَائِهِ، وَهِيَ عُصْفُورَيْنِ حَيَّيْنِ، وَخَشَبَ أَرْزٍ، وَخِيطَ أَحْمَرَ وَبَاقَةَ زَوْفَا. يُذَبِّحُ أَحَدَ الْعُصْفُورَيْنِ وَيَغْمِسُ الْخَشَبَ وَالْخِيطَ وَالزَّوْفَا فِي دَمِ الذَّبِيحَةِ فَوْقَ مَاءٍ جَارِيٍّ، وَيُرْسِلُ عَلَى الْمُتَطَهِّرِ مِنَ الْبَرَصِ ٧ مَرَّاتٍ وَيُطْلِقُ الْعُصْفُورَ الْحَيَّ إِلَى الصَّحْرَاءِ.

يَغْسِلُ الْمُتَطَهِّرُ ثِيَابَهُ وَيَحْلِقُ كُلَّ رَأْسِهِ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ فَيَطْهَرُ. لَذَا، كَانَ يَسُوعُ يَطْلُبُ مِنَ الْاِبْرَصِ بعد أن يشفيه، أَنْ يُرِيَ نَفْسَهُ لِلْكَاهِنِ وَيُقَدِّمَ مَا يَطْلُبُهُ حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى. كَانَ الْبَرَصُ مَرَضاً شَنِيعاً وَلَا عَجَبَ أَنْ شَبَّهَ الْكِتَابُ بِالْخَطِيئَةِ. رَبِّي، سَاعِدْنِي كَيْ أَجِدَ طَهَارَتِي فِيكَ وَأَعِيشَ لِمَجْدِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي.

إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرَ أَنْ تُطَهِّرَنِي

"فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: "أُرِيدُ، فَاطْهَرُ!" (مرقس ١: ٤١)

كان المسيح يوماً يزور إحدى المدن عندما أتاها رجلٌ مُصاب بالبرص، بالرغم من الموانع الشرعية التي كانت تحول دون مجيئه. ولا بُدَّ أن يُشَتَّتَ مجيئه هذا جمهور الحاضرين خوفاً من العدوى فيُصبحوا نجسين. كانت هيئته كثيبة ورأسه ملحوقاً مكشوفاً، وثيابه مُمَرَّقة، وصوته أجش من تأثير المرض على حنجرتة، وهو يصرخ تحذيراً للجميع: "نجس! نجس!". وجهه بشع من اهتراء أنفه وأذنيه وشفتيه وجفنيه، لأنه كما يقول البشير لوقا: "مملوء برصاً". فلما رأى هذا الأبرص المسيح خرَّ على وجهه وسجد له.

ذَكَرَ الكتاب المقدس واحد وعشرون حالة برص فقط لا غير، تسعة منها ذكرها العهد القديم، واثنان عشر حالة ذكرها العهد الجديد. سَجَدَ هذا الأبرص أمامَ الرَّبِّ يسوع المسيح "وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرَ أَنْ تُطَهِّرَنِي". مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ هَذَا الْمَسْكِينَ سَمِعَ عَنِ الرَّبِّ يسوع وتعاليمه ومحبه للمرضى، فَأَمَّنَ بِهِ لدرجة أَنَّهُ سَجَدَ لَهُ، وَكَانَ مُهَذَّباً جِداً فِي طَلَبِ الشِّفَاءِ، فَتَرَكَ لِلرَّبِّ يسوع حُرِّيَّةَ الْإِرَادَةِ فِي شِفَائِهِ "إِنْ أَرَدْتَ".

لِذَلِكَ مَا أَرَوْعَ أَنْ نَقُولَ فِي نَهَايَةِ صَلَوَاتِنَا وَطِلْبَاتِنَا نَفْسَ الْجُمْلَةِ الَّتِي قَالَهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ عِنْدَمَا كَانَ مُعْلَقاً عَلَى خَشْبَةِ الصَّلِيبِ: "وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ". (لوقا ٢٢: ٤٢) وطلب هذه الإرادة الالهية من فمِ هذا الأبرص تَدُلُّ عَلَى مَدَى رُوحَانِيَّتِهِ، فَهِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي نَسْمَعُ بِهَا مَرِيضاً يَطْلُبُ إِرَادَةَ الْمَسِيحِ فِي شِفَائِهِ.

يُدهشنا إِيْمَانُ هَذَا الْأَبْرَصِ الْيَائِسِ، وَنَحْتَارُ فِي أَمْرِهِ - كَيْفَ تَوَلَّدَ فِيهِ هَذَا الْإِيْمَانُ؟ كَانَ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ الَّذِي أَحْضَرَ ابْنَهُ وَبِهِ رُوحَ نَجَسٍ لِتَلَامِيذِ الْمَسِيحِ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِخْرَاجَهُ: "إِنْ كُنْتُ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا" (مرقس ٩: ٢٢). مَعَ أَنَّ عَلْلَهُمْ لَمْ تَكُنْ بَعِيدَةً عَنِ الرَّجَاءِ كَعَلَّةِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ: "يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرَ أَنْ تُطَهِّرَنِي".

فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، أَعْلَنَ إِيْمَانُهُ أَنَّ الْمَسِيحَ قَادِرٌ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، لَكِنَّهُ لَتَوَاضَعَهُ لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَحْكُمَ هَلْ يَشَاءُ الْمَسِيحُ أَنْ يَشْفِيَهُ أَوْ لَا يَشَاءُ. وَمَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ أَحْتَرَمَ حُرِّيَّةَ إِرَادَةِ الْمَسِيحِ، فَاسْتَحَقَّ أَنْ يُكْرِمَهُ الْمَسِيحُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ.

وَبِنَاءً عَلَى مَا ظَهَرَ، لَمْ يَرِ الْمَسِيحُ مُوجِباً لِمَتَحَانِهِ بِتَأْجِيلِ الْاسْتِجَابَةِ إِلَى حِينَ، كَمَا امْتَحَنَ غَيْرَهُ، بَلْ أزالَ شَكوكَهُ حَالاً بِخُصُوصِ إِرَادَتِهِ أَنْ يَشْفِيَهُ، فَالْمَسِيحُ لَا يُؤْجَلُ دَقِيقَةً وَاحِدَةً طَلَبَ مَنْ يُرِيدُ الشِّفَاءَ مِنْ خَطَايَاهُ وَالْخُلَاصَ بِمَغْفَرَتِهَا. يَهْمُنَا أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ مَا دَفَعَ الْمَسِيحَ لِطَهْيَرِ هَذَا الْأَبْرَصِ لَمْ يَكُنْ لِحَاجَتِهِ (لأنه لم يكن لجوجاً)، وَلَا حُبِ الْاِفْتِخَارِ وَطَلَبِ الشَّهْرَةِ، (لأنَّ الْمَسِيحَ أَوْصَاهُ أَنْ يَكْتُمَ خَبَرَ شِفَائِهِ). لَكِنْ الْمَسِيحُ شَفَاهُ لِأَنَّهُ تَحَنَّنَ، وَإِظْهَاراً لِحَنَانِهِ "مَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ". تَقَرُّباً مِنْهُ.

وَفِي لَمَسِ الْمَسِيحِ لِلأَبْرَصِ أَعْلَنَ أَنَّ اللَّهَ مُحِبٌّ، وَأَبْهَجَ هَذَا الْأَبْرَصَ الْمَسْكِينَ بِلَمْسَةِ مِنْهُ، ثُمَّ زَادَهُ ابْتِهَاجاً وَمَلَأَ قَلْبَهُ وَفَمَهُ شُكْراً لِمَا أزالَ شَكوكَهُ بِخُصُوصِ إِرَادَتِهِ أَنْ يَشْفِيَهُ بِقَوْلِهِ: "أُرِيدُ فَاطْهَرُ". هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ صَيَّرَتَا الْأَبْرَصَ إِنْسَاناً جَدِيداً فِي الْخَارِجِ وَفِي الدَّخْلِ. رَأَى الْمَسِيحُ أَنَّ فِي انْتِشَارِ خَبَرِ شِفَاءِ الْأَبْرَصِ ضَرْراً، وَأَنَّ الرَّجُلَ مَتَحَمِّسَ ابْتِهَاجاً، وَرَاغِبٌ فِي نَشْرِهِ، فَأَوْصَاهُ: "لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ شَيْئاً".

لئلا يقول الناس إن المسيح قد تنجس بلمسه الأبرص، وهذا الخبر إن شاع يعطل عمله كثيراً. والسبب الآخر هو قصد المسيح ألا يزيد الازدحام الذي يقف في وجه عمله الأهم وهو الكرازة والتعليم.

أَلَحَّ عَلَيْهِ الْمَسِيحُ أَنْ يُسْرِعَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْكَهَنَةِ فِي أُورُشَلِيمَ، لِيَحْصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ الَّتِي تُعْلِنُ بَرَاءَتَهُ، وَتُعِيدَ لَهُ كَامِلَ حَقُوقِهِ بَيْنَ شَعْبِهِ. وَمَعَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ سَهْلاً وَلَا بَسِيطاً، فَقَدْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْهُ. لَكِنَّهُ خَرَجَ وَابْتَدَأَ يَنَادِي كَثِيراً وَيُذِيعُ الْخَبَرَ. يَا شَافِي نَفُوسِنَا وَأَجْسَادِنَا يَسُوعُ، زِدْنَا إِيْمَاناً وَثِقَةً بِعَظِيمِ الْفِدَاءِ وَالْخُلَاصِ بِدَمِّكَ الطَّاهِرِ.

يا يسوع يا معلّم ارحمنا

"فَنظَرَ وَقَالَ لَهُمْ: "اذْهَبُوا وَأَرَوْا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ". وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَّرُوا." (لوقا ١٧ : ١٤)

في آخر مرة ذهب فيها يسوع إلى أورشليم، والتي قادته إلى الصليب، اقترب من إحدى القرى حيث استقبله عشرة رجال مُصابين بداء البرص. كان البرص مرضاً جليداً خطيراً ومُعدياً لذا، عاشوا منبوذين اجتماعياً ودينياً، وحيث من الناحية الدينية اعتُبروا "نجسين" فلم يكن لهم إمكانية الاختلاط بالآخرين، أو زيارة الهيكل للصلاة وممارسة الشعائر الدينية، مما سبّب لهم آلاماً جسدية ونفسية وروحية.

سمع هؤلاء البرص أخباراً طيبة عن يسوع وعن العجائب التي أجراها في المناطق المجاورة، فانتظروا مجيئه بفارغ الصبر ليطلبوا منه الشفاء. لم تكن لهم الجرأة بسبب إصابتهم بهذا الداء المُعدي على الاقتراب منه، فوقفوا من بعيد ورفعوا أصواتهم قائلين "يا يسوع، يا معلّم، ارحمنا".

كافأهم المُخلص على إيمانهم وثقتهم به، وأمرهم بأن يذهبوا ويروا أنفسهم للكهنة، ما يعني أنهم سينالون الشفاء قبل وصولهم إلى هناك. امتلك الكهنة آنذاك صلاحية إعلان طهارة الرجال، والسّماح لهم بالدخول إلى المدينة والاختلاط مجدداً بأفراد عائلاتهم، وليكونوا أعضاء فعّالين بالمُجتمع.

هؤلاء البرص العشرة الذين التقاهم الرب يسوع، تسعة منهم كانوا يهوداً وواحداً سامرياً. لقد كان هناك خلافاً دينياً وعقائدياً بين اليهود والسامريين، لذلك يقول الكتاب: "كان اليهود لا يُخالطون السامريين" (يوحنا ٤ : ٩). إذ كان اليهود يعتبرون السامريين أنجاساً. ولكن في هذه المجموعة عاش اليهود مع هذا السامري، لقد وحدهم الألم وقرب بينهم فتركوا خلافاتهم العقائدية والدينية جانباً، واجتمعوا في مجموعة واحدة منبوذة، حتى يُعزّوا بعضهم بعضاً.

لقد آمن البرص العشرة بكلمة الرب يسوع فشُفوا جميعهم، ولكن واحداً منهم فقط عادَ وشكرَ فقالَ الخلاص. "قُم وامض إيمانك قد خلّصك". الإيمان قاد إلى شفاء الجسد، أما الشكر والسجود، فقادا إلى شفاء النفس وخلصها.

لقد كان سؤال الرب يسوع: "أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة؟ ألم يوجد من يرجع ليمجد الله إلا هذا الأجنبي؟ فيه شيء من العتب على التسعة الآخرين كونهم لم يأتوا ليشكروا من بعد أن نالوا طلبتهم. لم يكن لديهم أي إحساس بالشكر أو عرفان بالجميل، لقد كانوا "ناكري الجميل" فنالوا الشفاء من دون أن ينالوا الخلاص. أطاع البرص العشرة أمر الرب وانطلقوا إلى مسكن الكهنة. وفيما هم منطلقون طهروا بالتّمام من مرضهم.

أخذوا ينظرون إلى أجسادهم بدهشة، وقد زال منها كلّ ورم أو قرح. امتلكوا ثقةً كاملةً بقُدرة يسوع على الشفاء. لكن واحداً منهم فقط رجع مُسرّعاً، وقد رأى أنّه شُفي، ليقدّم كلّ المجد للرب، وسقط على وجهه عند قدمي يسوع يشكره على شفائه العجيب. كان سامرياً، أي شخصاً مرفوضاً ومكروهاً من اليهود، الذين لا يتوقعون أي شيء صالح من السامريين.

سأله يسوع "أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟". لم يفكر أحدٌ منهم بالعودة إلى يسوع ليمجّده ويشكره إلا هذا الغريب الجنس. فقال له يسوع "قُم وامض، إيمانك خلّصك". لم يشف يسوع الأبرص من مرضه فقط، بل غفّر له أيضاً خطايا، لأنّه آمن بأن يسوع هو المرسل من الله لفداء البشرية.

تعلمنا هذه القصة درساً جميلاً هو تمجيد الرب في حياتنا وشكره على كلّ عطاياه وبركاته. أحزن البرص التسعة يسوع لأنهم لم يمجّدوه أو يشكروه كإله. استفادوا من شفائه الجسدي، إلا أنهم لم يستفيدوا من شفائه الروحي لخطاياهم. ونحن بالتالي نخطئ إلى الله إذا تصرفنا مثلهم. لنشكره في كلّ حين لأن هذه هي إرادة الله لنا. لك الحمد والمجد أيّها القادر على كلّ شيء، فادينا ومُخلصنا لأجل خلاصك الذي أعدته لنا، وعودتك الوشيكة على سحاب المجد. آمين.

لَمَسَ مَنْ لَا يُلَمَسُ

"ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ، فَوَقَّفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: "أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!" (لوقا ٧: ١٤)

سافر المسيح من الناصرة إلى قرية نايين، وهي رحلة يوم كامل سيراً على الأقدام. والتقى رب الحياة بموكب من الناس يحمل على أكتافه جثة شاب وحيد لأمه، وهي أرملة. وما أعظم حزن الأم! لذلك تحرّك لحزنها كل سكان المدينة، وخرجوا معها ليدفنوا وحيداً على رجاء القيامة. فالتقوا بالمسيح الذي هو القيامة والحياة، والذي من أمامه يهرب ليس الموت فقط، بل أيضاً الذي له سلطان الموت، أي إبليس.

كانت العادة في الجليل أن النساء يمشين قدام النعش، لكن المسيح واجه الموكب وأوقفه. فلما رأى المسيح الأرملة المسكينة تحنّ عليها وقال لها: "لا تبكي". قصد المسيح أن يوقف بكاء هذه الأرملة، وأعطاه سبباً كافياً لذلك. فتقدّم ولمس النعش فوقف حاملون. وامتلكت هيبة المسيح كبار هؤلاء القوم مع صغارهم، فخضعوا له، وأوقفوا الموكب بانتظار ما يريد هو.

لماذا تأمر متطلّبات الشريعة أن لمس النعش يُسبب نجاسة؟ كما نقرأ في سفر العدد ١٩: ١١ "مَنْ لَمَسَ جُثْمَانَ إِنْسَانٍ مَيِّتٍ يَبْقَى نَجَساً سَبْعَةَ أَيَّامٍ". حيث أن أجرّة الخطيئة هي موت، والذي دخل إلى العالم بواسطتها، ويحكم بقوتها. لم يستطع الناموس قهر الموت، أو إبطاله، بينما يستطيع الإنجيل ذلك، حيث يأتي بالحياة والخلود إلى النور، ويُعطي بالتالي الرجاء الأفضل.

وكما أن رماد البقرة يرمز إلى استحقاقات المسيح، الذي يُقارَن بأنهار ماء حي، وبما قام به يطبق برّ المسيح لتطهيرنا. تظهر حالة الإنسان الخاطيء على حقيقتها بهذه الرموز، وهُنا نتعلّم عن طبيعة الخطيئة ونجاستها كي نتجنّب الوقوع بشرّها. نرى في لمس المسيح الأبرص أموراً هامة، فقد كافأه المسيح على إيمانه العجيب، إذ طيّب قلبه باقترابه ولمسه، بعد سني نفية وتجنّب الجميع (حتى أهله) له، وبعد عذاباته المتنوعة من هذا المرض الشنيع. فمَدَّ يده ولمسه قائلاً: أريد، فأطهر!". نعم الرب يريد أن يشفي الجميع، ويلمس الجميع دون خشية من النجاسة، فالقدوس لا يتجنس بل يُقدّس الخاطيء أو المريض المحسوب نجساً ويجعله طاهراً.

لقد اقترب المسيح من الأبرص ولمسه ليلخّص عمله الفدائي، الذي استوجب أن يرسل الله ابنه في شبه جسد الخطيئة، ويجعل "الذي لم يعرف خطيئة، خطيئةً لأجلنا، لنصير نحن برّ الله فيه" (٢ كورنثوس ٥: ٢١). عندما لمس يسوع الأبرص وشفاه، كان ذاك العمل بمثابة برهان آخر لألوهيته.

اكتشفت المرأة نازفة الدم في يسوع القدرة التي تحمل الخلاص والشفاء. "أن هذه المرأة لم تجسر أن تقترب من المخلص علانية، ولا أن تأتي إليه من أمامه، لأنها حسب الشريعة تُحسب نجسة، فجاءت من ورائه"، ولم يكن الازدحام مانعاً لها، بل اقتربت إلى وراء المسيح ولمست هذب ثوبه.

أمّا عبارة "لمست" فتشير إلى لمسة الإيمان التي أعادت الي المرأة النازفة الحياة بالرغم من أنها نجسة، ولا يحق لها أن تلمس إنساناً. فهي لا تحمل النجاسة (الموت) إلى يسوع، بل يسوع يحمل إليها الحياة.

تميّزت حياة المهاتما غاندي والأم تريزا بتركيزهما على الطبقة المعدومة والمعزولة اجتماعياً في الهند. قاما كلاهما بلمس من لا يلمس. كم نجد في عالمنا من حرمان للمسة حنان لملايين من ضحايا الأيدز، وفيروس داء الكورونا الذي منع التواصل الاجتماعي بين الناس. يسوع أعزائي هو مثالنا الكامل، حيث أعاد للبرص نعمة العودة لعائلاتهم، حيث احتضن هؤلاء الآباء أبنائهم بعد سنين من الحرمان. اشتهرت لمسة المسيح بالحنان والتطهير، هل سنتبع مثاله ونظهر الحنان والمحبة للمحرومين منهما وما أكثرهم من حولنا؟

"أراني الله أن لا أقول عن إنسانٍ ما نجس"

"فَفَتَحَ بُطْرُسُ فَاهُ وَقَالَ. بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ." (أعمال ١٠: ٣٤ و ٣٥)

يبدأ سفر أعمال الرُّسُل الإصحاح العاشر باختبار كرنيليوس قائد مئة في قيصرية، كان تقيًّا وخائفًا للهِ مَعَ جميع أهل بيته صانعًا حسنات كثيرة للشعب، ويُصلي إلى الله في كُل حين. تقع مدينة قيصرية الرومانية على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وكانت مقر الحاكم الروماني لمقاطعة اليهودية. اكتشف علماء الآثار حجرًا من مبنى في قيصرية منقوش عليه اسم بيلاطس البنطي. كان كرنيليوس ضابطًا في الجيش الروماني، وكان من الطبيعي أن يكره اليهودي المتعصب أمثاله. أصبح هذا القائد تقيًّا مؤمنًا بالله الواحد.

من الواضح أن كرنيليوس كان يتمتع بعلاقة حقيقة مَعَ الله بسبب الطريقة التي وَصَفَ فيها لوقا الكاتب حياته وقلبه. وفيما هُوَ يُصلي "رَأَى ظَاهِرًا فِي رُؤْيَا نَحْوِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ النَّهَارِ، مَلَاكَ مِنَ اللَّهِ دَاخِلًا إِلَيْهِ وَقَائِلًا لَهُ: "أَا كَرْنِيلْيُوسُ!" فَلَمَّا شَخَّصَ إِلَيْهِ وَدَخَلَهُ الْخَوْفُ، قَالَ: "مَاذَا يَا سَيِّدُ؟" فَقَالَ لَهُ: "صَلِّوَانَا وَصَدَقَانَا صَعِدَتْ تَذْكَارًا أَمَامَ اللَّهِ. وَالْآنَ أَرْسِلْ إِلَيَّ يَافَا رَجُلًا وَأَسْتَدْعِ سَمْعَانَ الْمَلَقَّ بِطْرُسَ."

إِنَّهُ نَازَلَ عِنْدَ سَمْعَانَ رَجُلٍ دَبَّاحٍ يَبْتَغِي عِنْدَ الْبَحْرِ. هُوَ يَقُولُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ". لَمْ يَعْرِفْ كَرْنِيلْيُوسُ غَالِبًا مَنْ يَكُونُ بُطْرُسُ لَكِنَّهُ أَطَاعَ أَمْرَ اللَّهِ وَأَرْسَلَ بَعْضَ خُدَامِهِ لَاسْتَدْعَاءِ بُطْرُسَ فِي يَافَا لِيُكْرَزَ لِهَذَا الْقَائِدِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

هذا ما يفعله الله عادة: يتكلم مع عدة أشخاص حول مسألة ما وليس مع شخص واحد فقط، ثم يوفر التأكيدات وهكذا تَتَبَّعَتْ كُلُّ مَسْأَلَةٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. لَنْ يَجْتَمَعَ رَجُلَيْنِ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ خَمْسِينَ كِيلُومِتْرًا إِلَّا إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ بِتَرْتِيبِ الْأَمْرِ. كَتَبَ "مُورْغَان" "وهذا ما فعله الله حينما أرسل ملاكًا إلى قيصرية، لأن عيناه دائماً على أولاده، وظهر لبُطْرُسَ في رُؤْيَا مُفْرَحَةٍ فِي مَدِينَةِ يَافَا بَيْنَمَا كَانَتْ مَشْغُولَةً بِتِجَارَتِهَا، وَقِيَصْرِيَّةً مَشْغُولَةً بِمَصَالِحِهَا فِي النُّقْلِ الْبَحْرِيِّ، وَدُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَاذَا كَانَ يَحْدُثُ. قَامَ اللَّهُ بِجَمْعِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ."

فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ صَعَدَ بُطْرُسُ عَلَى السَّطْحِ لِيُصَلِّيَ فَجَاعَ كَثِيرًا وَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ، وَبَيْنَمَا كَانُوا يُعِدُّونَ الطَّعَامَ لَهُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبَةٌ. فَرَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِنَاءً نَازِلًا عَلَيْهِ مِثْلَ مَلَأَةٍ عَظِيمَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ وَمُدَلَّاةٍ عَلَى الْأَرْضِ. وَكَانَ فِيهَا كُلُّ دَوَابِّ الْأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالرَّحَافَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتُ: "قُمْ يَا بُطْرُسُ، أَذْبَحْ وَكُلْ". فَقَالَ بُطْرُسُ: "كَلَّا يَا رَبُّ! لِأَنِّي لَمْ أَكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنَسًا أَوْ نَجَسًا". فَصَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا صَوْتُ ثَانِيَةً: "مَا طَهَّرَهُ اللَّهُ لَا تُدَنِّسُهُ أَنْتَ!" وَكَانَ هَذَا عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرْتَفَعَ الْإِنَاءُ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ" (أعمال الرُّسُل ١٠: ١١-١٦).

أَسْتَحْدِمُ اللَّهَ رُؤْيَا الطَّعَامِ لِيَتَحَدَّثَ إِلَيَّ بُطْرُسُ، فَكَانَ جَوَابُهُ "كَلَّا، يَا رَبُّ" مُنَافِيًا لِلْعَقْلِ، لَكِنَّهُ طَبِيعِي لَنَا نَحْنُ الْبَشَرُ. يَقُولُ الْوَاعِظُ "سَبِيرَجِين" "أَصْلِي أَنْ تُصْبِحَ أَقْلُ تَزِمَتًا إِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا هُوَ صَحِيحٌ بِسَبَبِ تَزِمَتِكَ. كَثِيرُونَ لَنْ يَخْلُصُوا بَيْنَمَا تَتَعَلَّمُ أَنْتِ كَيْفَ تُصْبِحُ أَكْثَرُ تَزِمَتًا". كَانَ مُسْتَحِيلًا عَلَى الْيَهُودِيِّ الْمَتَعَصِّبِ أَنْ يَدْعُو أُمَمِي إِلَى بَيْتِهِ وَأَنْ يَجْلِسَ مَعَهُ عَلَى نَفْسِ الطَّائِلَةِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ أَيُّ شَرِكَةٍ مَعَهُ، فَهَذَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ.

لَكِنَّ بُطْرُسَ طَلَبَ مِنْهُمْ الْمَبِيتَ عِنْدَهُ، وَفِي الصَّبَاحِ أَطَاعَ أَمْرَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَهَبَ مَعَهُمْ وَكَرَزَ لِكَرْنِيلْيُوسَ عَنْ يَسُوعَ وَكَانَتْ النَتِيجَةُ خَلَاصَ ذَاكَ الْبَيْتِ، وَمَعْمُودِيَّةَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا فِيهِ. فَهَمَّ بُطْرُسُ أَنْ الرُّؤْيَا لَا تَتَحَدَّثَ عَنِ الطَّعَامِ بَلْ عَنِ الْإِنْسَانِ. بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ (لَقَدْ فَهَمْتُ الْآنَ تَمَامًا أَنَّ اللَّهَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّاسِ): هَذَا هُوَ أَسَاسُ فَهْمِ بَطْرُسَ بِوُجُوبِ وَصُولِ الْبَشَارَةِ إِلَى الْأُمَمِ أَيْضًا. سَاعَدَنِي رَبِّي أَنْ أُعَامِلَ الْجَمِيعَ بِمَحَبَّةٍ يَسُوعَ الَّذِي خَلَقَ النَّاسَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ، وَمَاتَ لَخَلَاصِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ عَلَى حِدٍ سِوَا.

أصل الشيطان والشر

"كَيْفَ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهْرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعَتْ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الْأُمَمِ؟"

(إشعياء ١٤: ١٢)

يُعَلِّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ حِشْدًا كَبِيرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَبْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ. كَانَ سُكْنَى الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ حَيْثُ عَمِلُوا عَلَى تَنْفِيزِ أَوَامِرِ اللَّهِ، بَيْنَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِاسْتِمْرَارٍ كَمُرْسَلِينَ لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلَاصَ، عَامِلِينَ إِرَادَتِهِ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ. وَفِي كُلِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ، سَعَوْا لِتَسْبِيحِ وَعِبَادَةِ خَالِقِهِمُ الْعَظِيمِ. خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ مِثْلَ الْبَشَرِ صَالِحِينَ، لَكِنِ الْكِبْرِيَاءِ وَتَحْدِي اللَّهِ وَالطَّمَعِ فِي مَرْكَزِ الْمَسِيحِ فِي السَّمَاءِ، أَوْقَعَتْ قِسْمًا كَبِيرًا فِي الْخَطِيئَةِ وَالسُّقُوطِ. يَبْدَأُ سَفَرُ إِشْعِيَاءَ ١٤ بِوَصْفِ مَلِكِ بَابِلَ الَّذِي اشتهر بالقسوة والعُبودية، وَيَتَابِعُ وَاصِفًا كِبْرِيَاءَ الشَّيْطَانِ وَتَحْدِيهِ لِسُلْطَانِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَبِالتَّالِيِ سَقُوطِهِ إِلَى الْأَرْضِ مَعَ الْمَوَالِينِ لَهُ. تَصِفُ السَّيِّدَةُ هَوَايْتِ مَرْكَزَ لَوْسِيفَرِ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ سَقُوطِهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "إِنْ لَوْسِيفَرُ، "زهرة بنت الصبح" كان الأول بين الكروبيم المظلمين، مُقَدَّسًا وَبَلَا دَسَسَ. لَقَدْ وَقَفَ فِي حَضْرَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَكَانَتْ أَشْعَةُ الْمَجْدِ الدَّائِمَةِ الَّتِي تَغْمُرُ اللَّهَ السَّرْمَدِيَّ مُسْتَقَرَّةً عَلَيْهِ.

"هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلَأَنَ حِكْمَةً وَكَامِلَ الْجَمَالِ. كُنْتَ فِي عَدْنِ جَنَّةِ اللَّهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سَتَارْتِكَ. أَنْتَ الْكُرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمَظْلَلُ، وَأَقْمَتُكَ عَلَى جَبَلِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حَجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طَرَقِكَ مِنْ يَوْمِ خُلِقْتَ حَتَّى وَجَدَ فَيْكَ إِثْمٌ" (حزقيال ٢٨: ١٢-١٥). (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٤). بَدَأَ لَوْسِيفَرُ بِكُلِّ هَدُوءٍ يَزْرَعُ الشَّكَّ فِي عُقُولِ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ صِفَاتِ اللَّهِ وَعَدَالَتِهِ. حَاوَلَ الْمَلَائِكَةُ الْأَوْفِيَاءُ لِلَّهِ إِقْنَاعَهُ بِالْعُدُولِ عَنْ مَوْقِفِهِ. بَعْدَهَا جَمَعَ مَلِكُ الْكُونِ جُنْدَ السَّمَاءِ وَمُعَهُمُ لَوْسِيفَرُ وَأَعْلَنَ أَمَامَ سُكَّانِ السَّمَاءِ الْمُحْتَشِدِينَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَيِّ غَيْرِ الْمَسِيحِ ابْنُ اللَّهِ الْوَحِيدِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى مَقَاصِدِهِ، وَلَهُ أُعْطِيَ أَنْ يَنْفِذَ مَشُورَاتِ إِرَادَتِهِ الْقَوِيَّةِ.

غَيْرَ أَنَّ لَوْسِيفَرِ أَمَعَنَ فِي عَمَلِهِ الْمُدْمِرِ رَغْمَ صَبْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ طَوِيلًا. يَذْكُرُ سَفَرُ الرُّؤْيَا ١٢: ٧-٩ الْحَرْبَ الَّتِي دَارَتْ فِي السَّمَاءِ بَيْنَ الْمَسِيحِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالتَّيْنِ الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَمَلَائِكَتِهِ وَانْتَصَرَ فِيهَا الْمَسِيحُ حَيْثُ طُرِحَ الشَّيْطَانُ وَمَلَائِكَتُهُ وَهُمْ ثُلُثُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَرْضِ حَيْثُ خَدَعُوا آدَمَ وَحَوَاءَ بَعْدَ الْخَلِيقَةِ. نَعَمْ، إِنَّ أَعْظَمَ كَارِثَةٍ وَقَعَتْ فِي تَارِيخِ خَلِيقَةِ الْكُونِ كَانَتْ يَوْمَ تَحْدِي لَوْسِيفَرِ اللَّهِ، وَنَتِيجَةُ ذَلِكَ سَقَطَ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَيْهِ فِي عَصْيَانِهِ وَشَرِّهِ. وَمَا يَزَالُ يَواصِلُ تَمَرُّدَهُ وَأَعْمَالَهُ الْمَنَاوَةِ لِلَّهِ. يَبْدُو أحيانًا كَأَنَّ الشَّيْطَانَ سِيرِبِ الْحَرْبِ، إِذْ يَنْتَصِرُ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ الْهَامَّةِ، غَيْرَ أَنَّ نَهَايَتَهُ مُحْتَمَةٌ. فَلَسَوْفَ يَجِيءُ الْمَسِيحُ ثَانِيَةً بِسُلْطَةٍ وَقُوَّةٍ، يَوْمَئِذٍ يَدْحُرُ اللَّهُ قَوَاتِ الظُّلْمَةِ دَحْرًا تَامًا لَا قِيَامَ لَهَا بَعْدَهُ.

يُوضِحُ الرِّسُولُ يَهُوذَا فِي الْآيَةِ السَّادِسَةِ عَدَمَ رِضَى الْمَلَائِكَةِ السَّاقِطِينَ فَيَقُولُ: "الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفَظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقِيُودِ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظُّلَامِ". نَجِدُ إِذَا أَنَّ خَطِيئَةَ الْمَلَائِكَةِ السَّاقِطِينَ كَانَتْ عَدَمَ اقْتِنَاعِهِمْ بِوَضْعِهِمْ فِي السَّمَاءِ، وَرَغْبَتِهِمْ فِي أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ اللَّهِ، لَيْسَ فِي رُوحَةِ صِفَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، بَلْ أَرَادُوا أَنْ يَتَعَدَّوْا وَضْعَهُمْ كَمَخْلُوقَاتٍ. أَيُّ تَعْدِيٍّ مِنْ جَانِبِ الْإِنْسَانِ كَمَخْلُوقٍ وَعَصْيَانِهِ عَلَى جَانِبِ الْخَالِقِ يُعْتَبَرُ قِمَّةَ الْخَطِيئَةِ وَالشَّرِّ. يَصِفُ يَسُوعُ الشَّيْطَانَ بِأَنَّهُ "قَتَلًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدَنِ، كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يوحنا ٨: ٤٤). وَقَالَ أَيْضًا "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرَقِ مِنَ السَّمَاءِ". (لوقا ١٠: ١٨).

كَمَا أَوْضَحَ عَدَمَ وُجُودِ عِلَاقَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ بِقَوْلِهِ: "لَأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ". أَخَذَ الشَّيْطَانُ مَكَانَ آدَمَ بَعْدَ سَقُوطِهِ مَعَ حَوَاءَ فِي الْخَطِيئَةِ، لَكِنَّهُ بَعْدَ الصَّلِيبِ أَصْبَحَ عَدُوًّا مَهْزُومًا بِانْتِظَارِ نَهَايَتِهِ وَالشَّرِّ الَّذِي تَسَبَّبَ بِهِ. أُعْطِنِي رَبِّي أَنْ أَتَنْصَرَ بِمَعُونَتِكَ عَلَى كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَعِيشَ لِمَجْدِكَ بِطَاعَةِ حُبِّيَّةٍ كِي أَرَاكَ فِي مَجْدِكَ حَيْثُ سَتَنْتَهِي الْخَطِيئَةُ إِلَى الْأَبَدِ.

ما تَعَلَّمَهُ اللهُ عَنْ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ

"أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلْ امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ؟ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ." (١ يوحنا ٤: ١)

يُوصِي الرُّسُولُ يوحَنَّا بِامْتِحَانِ الْأَرْوَاحِ هَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ؟ وَفِي نَفْسِ الْإِصْحَاحِ يَتَكَلَّمُ عَنْ رُوحِ الْحَقِّ مُقَارَنَةً بِرُوحِ الضَّلَالِ. فَرُوحُ الْحَقِّ هُوَ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ، وَرُوحٌ ضِدَّ الْمَسِيحِ هُوَ رُوحُ الضَّلَالِ رُوحُ الشَّيْطَانِ الْمُضِلِّ الْأَكْبَرِ، مُمَثِّلَةً بِأَنْبِيَاءَ كَذَبَةٍ كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. وَيُعَرِّفُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ بِأَنَّهَا مَلَائِكَةُ وَشَيَاطِينُ. الْمَلَائِكَةُ هِيَ كَائِنَاتٌ رُوحِيَّةٌ تَخْدُمُ اللَّهَ بِأَمَانَةٍ. وَالْمَلَائِكَةُ أَرْبَابُ وَصَالِحِينَ وَمُقَدَّسِينَ. أَمَّا الشَّيَاطِينُ فَهُمْ مَلَائِكَةُ سَاقُطُونَ تَمَرَدُوا عَلَى اللَّهِ. الشَّيَاطِينُ أَشْرَارٌ وَخَادِعِينَ وَمَدْمَرِينَ. وَفَقْراً لِرِسَالَةِ كُورِنْثُوسِ الثَّانِيَةِ ١١: ١٤-١٥ فَإِنَّ الشَّيَاطِينُ تَظْهَرُ كَشِبِهِ "مَلَائِكَةُ نُورٍ" وَ"خِدَامُ اللَّبَرِّ". إِنْ الظُّهُورُ فِي صُورَةِ "أَرْوَاحٍ" وَتَشْخِصِ صُورَةِ الْأَمْوَاتِ بِالتَّأَكُّيدِ مِنْ قُدْرَاتٍ وَإِمْكَانِيَّاتِ الشَّيَاطِينِ. إِنْ أَقْرَبُ مِثَالٍ كِتَابِي لظُهُورِ الْأَرْوَاحِ مَوْجُودٌ فِي مَرْقُسَ ٥: ١-٢٠. حَيْثُ لَبِسَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ رِجُلًا وَسَكَنْتْ بِهِ بَيْنَ الْقُبُورِ. لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَرْوَاحُ أَمْوَاتٍ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ. بَلْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَةُ شَخْصٍ سَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ لِكَيْ تُرْعِبَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ. الشَّيَاطِينُ تَسْعَى فَقَطْ "لِتَقْتُلَ وَتَسْرِقَ وَتَدْمِرَ" (يُوحَنَّا ١٠: ١٠). سَوْفَ يَقُومُونَ بِكُلِّ مَا فِي وَسْعِهِمْ لِيُخَدِّعُوا النَّاسَ. وَضِمْنُ الصِّرَاعِ الْعَظِيمِ نَجْدٌ حَرْباً رُوحِيَّةً مُشْتَعَلَةً بَيْنَ قُوَى الْخَيْرِ وَقُوَى الشَّرِّ. وَلَعَدَمَ قُدْرَتِنَا عَلَى رُؤْيَةِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ، عَلَيْنَا أَنْ نَبْقَى مُتَيْقِظِينَ لِحِظَةٍ بَلِّحِظَةٍ لِكَيْلَا نَقَعَ فِي أَشْرَاقِهَا. وَفِي هَذَا يَقُولُ الرُّسُولُ يَعْقُوبَ ٤: ٧ "فَاخْضَعُوا لِلَّهِ. قَاوُمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرَبَ مِنْكُمْ".

الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ هِيَ مَلَائِكَةُ سَاقِطَةٌ كَمَا يُوضِحُ سَفَرُ الرُّؤْيَا ١٢: ٩ "فَطَرَحَ التَّنِينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانُ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طَرَحَ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَرَحَتْ مَعَهُ مَلَائِكَتُهُ". عِنْدَمَا سَقَطَ الشَّيْطَانُ مِنَ السَّمَاءِ أَخَذَ مَعَهُ ثُلُثَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ خَدَعَهُمُ الْمُضِلُّ الْأَكْبَرُ. يُخْبِرُنَا الرُّسُولُ يَهُوذَا أَنْ بَعْضاً مِنْ "هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ قَدْ حَفَظَهُمُ اللَّهُ إِلَى دِينُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقِيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلَامِ".

تَسْتَطِيعُ هَذِهِ الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ أَنْ تَسْكُنَ فِي جِسْمِ الشَّخْصِ إِذَا سَمَحَ لَهَا بِذَلِكَ وَتُسَيِّرُ عَلَيْهِ. أَمَّا تَابِعُ الْمَسِيحِ السَّاكِنِ بِرُوحِهِ فِيهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى التَّغْلِبِ عَلَى رُوحِ ضِدِّ الْمَسِيحِ "لِأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ" (١ يوحنا ٤: ٤). خِلَالِ خِدْمَتِهِ الْأَرْضِيَّةِ، وَاجِهَ يَسُوعُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ. وَبِالطَّبْعِ، لَمْ يَكُنْ أَيُّ مِنْهُمْ لِيُضَارِعَ قُوَّةَ الْمَسِيحِ. نَقْرَأُ عَنْ ذَلِكَ فِي مَتَّى ٨: ١٦ "وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الْأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ." فَسُلْطَانُ يَسُوعَ عَلَى الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ كَانَ إِحْدَى بَرَاهِينِ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ بِالْحَقِيقَةِ ابْنُ اللَّهِ.

وَالشَّيَاطِينُ الَّتِي وَاجَّهَهَا الْمَسِيحُ عَرَفُوا مَنْ هُوَ وَخَافُوا مِنْهُ كَمَا نَقْرَأُ فِي مَتَّى ٨: ٢٩ "وَإِذَا هُمَا قَدْ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: "مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَيْنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِنُعَذِّبَكَ؟". عَرَفَتْ الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ أَنَّ نَهَايَتَهَا سَتَكُونُ الْعَذَابُ وَالذَّمَارُ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ. مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ هُوَ دِمَارُ عَمَلِ اللَّهِ وَخِدَاعُ أَيِّ شَخْصٍ يَصِلُونَ إِلَيْهِ. تَصِفُهُمْ كَلِمَةُ اللَّهِ بِالْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ (مَتَّى ١٠: ١) وَالْأَرْوَاحِ النَّجَسَةِ (مَرْقُسَ ١: ٢٧) أَرْوَاحَ كَاذِبَةٍ، وَمَلَائِكَةَ الشَّيْطَانِ (رُؤْيَا ١٢: ٩). يَضِلُّونَ النَّاسَ وَيُفَاوِمُونَ الْمَلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ. هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ، لَكِنَّهُمْ أَعْدَاءُ مَهْزُومِينَ.

لَقَدْ "جَرَّدَ" الْمَسِيحُ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ" (كُولُوسِي ٢: ١٥). إِذْ نُسَلِّمُ حَيَاتِنَا لِلْمَسِيحِ وَنُقَاوِمُ الشَّيْطَانَ بِمَعُونَتِهِ، فَلَا يُوجَدُ مَا نَخَافُهُ، حَيْثُ أَنَّ الْمَسِيحَ فِينَا أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي بِالْعَالَمِ. هَبْنِي رَبِّي يَسُوعُ الْقُوَّةَ لِأَعِيشَ بِرُوحِكَ وَانْتَصِرَ بِمَعُونَتِكَ عَلَى الدَّوَامِ عَلَى كُلِّ تَجَرِبَةٍ وَخَطِيئَةٍ. لَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ أَبَدَ الدَّهُورِ. آمِينَ.

أُومِنْ يَا سَيِّدَ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيْمَانِي

"فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ: "أُومِنْ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيْمَانِي". (مرقس ٩: ٢٤)

يبدأ إنجيل مرقس الإصحاح التاسع بصعود يسوع ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا إلى جبل عال منفردين وحدهم. تغيّرت هيئة المسيح قدامهم، وظهر لهم موسى الذي يُمثل الأموات الأبرار الذين سيقومون عند مجيء المسيح ثانية، وإيليا الذي يرمز للأحياء الأبرار، الذين سيتغيرون عند عودة ربّ المجد. وجاء صوت من السحابة قائلاً "هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا". تُسمّى هذه الحادثة بتجليّ المسيح وترمز لمجيئه الثاني.

من قمة المجد على جبل التجليّ، نزل يسوع وتلاميذه الثلاثة إلى الوادي بينما شعر التسعة الباقين بخيبة أمل عندما أحضر أب ابنه به روح أخرس وأصمّ، ولم يقدروا على إخراج الروح النجس. كان المخلص قد أعطاهم من قبل قوة ليعملوا المعجزات، والآن، فشلوا نتيجة قلة إيمانهم مما زاد في عذاب الأب المسكين. تعاطمت خيبتهم في استهزاء خصومهم بين الجمهور، فباتوا في خجل عظيم. وزاد عذابهم لما حاورهم هؤلاء العلماء، وطرحوا عليهم أسئلة يعجز عن حلّها البسطاء نظيرهم.

شعر الناس باقتراب المسيح ورفقائه نازلين من على الجبل ومعهم جمهور كان قد استقبلهم قبل وصولهم إلى التلاميذ التسعة. ومع علم المسيح بما جرى، طلب من الكتبة أن يخبروه بموضوع محاورتهم مع تلاميذه. لكن أب الوالد المصاب لم يعطهم الفرصة للجواب، إذ تقدّم وجثا للمسيح وصرخ طالباً منه أن يفعل له ما عجز التلاميذ عن فعله. وقال للمسيح إن ولده وحيد وإن روحاً شريراً يسكنه، وحيثما أدركه يمزقه ويصرعه فيزبد ويصر بأسنانه ويبس ويتألم، وبالجهد يفارقه مسبباً له الألم، وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه.

كان مريض هذا الشاب من خرس وصمم ناتج عن سلطة شيطانية، لذا نرى حرص المخلص عن إزالة الأسباب أولاً، ثم أعراض المرض. استخدم أبو الولد فشل التلاميذ التسعة حجة ثانية لاستنجاده بالمسيح، فكان جواب المسيح توبيخاً عاماً للناظرين، يشمل الكتبة الذين حاوروا تلاميذه، ويشمل الذين فشلوا فيما باشره، ويشمل الأب الذي قصر في إيمانه. قال المسيح: "أيها الجيل غير المؤمن والملتوي، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟".

فأثر هذا الكلام في الأب ليتواضع، استعداداً لتوليد الإيمان في قلبه. لكن المسيح لم يتركه في ذلك، بل شجّع بقوله: "قدّم ابنك إلى هنا". أليس هذا صوت المسيح على الدوام لكل الآباء: "قدّم ولدك إلى هنا"؟ وهذا التقديم هو ما يفعله الوالدون عندما يأتون بأولادهم القاصرين إلى ربّ المجد يسوع. وهذا ما يفعله بالصلاة والإيمان كل مسيحي لخلاص ذويه الذين لا يزالون في قيود إبليس.

عمل المسيح على تشييط إيمان الأب، وإظهار محبته له بسؤال بسيط عن مدة استيلاء هذه المصيبة على ابنه. فدلّ جواب الأب على أنه لم يكن يعرف المسيح من قبل، ولا بدّ أنه فهم من التسعة أن المسيح أعطاهم سلطاناً كافياً لإخراج الأرواح. فلما وجدهم عاجزين عن شفاء ابنه، ظن أن المسيح سيعجز أيضاً.

لكن المسيح قال له: "كل شيء مستطاع للمؤمن". فكأنه يقول للرجل: "ليس الخلل في استطاعتي أن أشفي ابنك، بل في استطاعتك أن تؤمن". ففعل دواء هذا الطبيب فعله الشافي في هذه النفس العلية، إذ صرخ أبو الولد بدموع قائلاً: "أؤمن يا سيد، فأعِنْ عَدَمَ إِيْمَانِي". فأصاب في طلبه تقوية إيمانه.

صراخ هذا الرجل اليائس شعار مؤثر وصلاة جميلة لكل من يشعر بأهمية الإيمان وبتقصيره فيه، لأن الإيمان القلبي مفتاح الخيرات الإلهية والبركات من مخازن الله. وصارت دموع هذا الرجل مثلاً للتغيير الروحي في القلب الذي كان يرافق معجزات المسيح الشفائية. انتهز يسوع الروح النجس أن يخرج من الولد وألا يدخله أبداً. استسلم الروح النجس أمام سلطان يسوع وخرج. فأمسكه يسوع وأقامه فقام. ربّي زد إيماني.

أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ

"آه مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللَّهِ!"

(مرقس ١: ٢٤)

في الإصحاح الأول من إنجيل مرقس نقرأ عن خِدْمَةِ يوحنا المعمدان ومعمودية يسوع وتجربته في البرية. بعدها دخل يسوع خدمته العلنية باختيار أوائل تلاميذه على شاطئ بحر الجليل. ثُمَّ دخلوا كَفَرْنَاهُومَ وللوقت دخل المجمع في السَّبْتِ وصار يُعَلِّمُ. تَقَعُ قَرْيَةُ كَفَرْنَاهُومَ على الشاطئ الشمالي لِبُحِيرَةِ طَبْرِيَا. بَلَغَ عدد سُكَّانِهَا آنذاك حوالي ١٥٠٠ نَسَمَةً، وَيُعتَقَدُ أَنَّ المنزل الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى كَنِيسَةٍ على يد البيزنطيين كان مَنْزِلَ الرَسُولِ بُطْرُسَ. أَدْهَشَ الْمَسِيحُ بِتَعْلِيمِهِ إعْجَابَ الْعَابِدِينَ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ.

ومن جُمْلَةِ الْمُجْتَمِعِينَ لِلْعِبَادَةِ فِي ذَلِكَ الْمَجْمَعِ شَخْصٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، كَانَ يَسْكُنُهُ الشَّيْطَانُ وجعله يصرخ بصوت عظيم قائلاً: "آه. ما لنا ولك يا يسوع الناصري. أتيت لتهلكنا. أنا أعرفك من أنت، قدوس الله". فَظَهَرَ رُوحُ الْعَدَاوَةِ الشَّيْطَانِي فِي قَوْلِهِ: "ما لنا ولك؟". ودلَّ استعمال صيغة الجمع على أَنَّ فِيهِ المتكلم شخصاً آخر يتكلم فيه.

وفي القول: "أتيت لتهلكنا". اعترافٌ بِسَطْوَةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ وعلى الشَّيْطَانِ الْحَالِ فِيهِ. والقول الآخر: "أعرفك من أنت؟". يُظْهِرُ مَعْرِفَةً عَجِيبَةً لَيْسَتْ لِهَذَا الرَّجُلِ الْبَسِيطِ، بَلْ لِلشَّيْطَانِ الَّذِي يَفُوقُ أَكْثَرَ الْبَشَرِ فِي الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلِيَّةِ. أَقَرَّ الشَّيْطَانُ أَنَّ سُلْطَانَ الْمَسِيحِ هُوَ مِنْ أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ وَتَعْلِيمِهِ قَدْ جَاءَ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ.

هَجَمَ إِبْلِيسُ عَلَى الْمَسِيحِ فِي الْبَرِيَةِ أَثْنَاءَ تَجْرِبَتِهِ، وَهَاجَمَهُ أَيْضاً فِي تَهْيِيجِهِ أَهْلِي النَّاصِرَةِ عَلَيْهِ، وَبَقِيَ إِبْلِيسُ مُتَخَفِياً. أَمَّا الْآنَ فَهَجَمَ عَلَى هَذَا الْمَعْلَمِ الْجَدِيدِ هُجُومَهُ الْأَوَّلَ الْعَلَنِي. وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَسْكُتَ بَيْنَمَا كَانَ الْمَسِيحُ يُظْهِرُ الْحَقَائِقَ الرُّوحِيَّةَ، وَيُشْرَحُ طَرِيقَ الْخَلَاصِ، وَيُنَادِي بِمُلْكُوتِ اللَّهِ، وَيُوضِّحُ شُرُوطَ الدُّخُولِ فِيهِ. عَلِمَ إِبْلِيسُ أَنَّ الْمَسِيحَ قَدْ جَاءَ لِكِي يُحَارِبَهُ، وَيَنْقُضَ أَعْمَالَهُ وَيُدْمِرَ مُلْكُوتَهُ الْفَاسِدَ وَيَسْحَقَ رَأْسَهُ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْكُتَ؟ أَعْطَتْ شَهَادَةُ الرَّجُلِ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِ إِبْلِيسَ حَقِيقَةً مَنْ كَانَ يَسُوعُ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ.

قَدْ نَسْتَعْرِبُ لِشَهَادَةِ إِبْلِيسِ الصَّرِيحَةِ عَنِ الْمَسِيحِ بِأَنَّهُ "قدوس الله". لعلها كانت النتيجة الأولى من سطوة المسيح عليه ثم طرده من هذا الرجل. وبما أن لشهادة العدو قيمة مُضَاعَفَةً، أَرَادَ الْمَسِيحُ أَنْ يَعْتَرِفَ الْجُمْهُورُ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَيْضاً مُضْطَرٌّ أَنْ يَشْهَدَ لَهُ. هَذِهِ شَهَادَةُ الشَّيْطَانِ الْأُولَى لِلْمَسِيحِ أَمَامَ النَّاسِ وَلَكِنَّا لَيْسَتْ الْأَخِيرَةُ. حَالَمَا أَدَّى الْمَصَابَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ الْوَاضِحَةَ، انْتَهَرَ الْمَسِيحُ الشَّيْطَانَ قَائِلاً: "اخْرُسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ".

فانتظر الجمهور كله ليرى ماذا يحدث. ففي الحال صَرَخَ الشَّيْطَانُ الرَّجُلَ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ، وَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئاً - فَلَا عَجَبَ إِذْ وَقَعَتْ دَهْشَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَتَحَيَّرُوا كُلَّهُمْ. ظَهَرَتْ فِي ذَلِكَ الْمَجْمَعِ حَرَكَةٌ لَمْ تَحْدُثْ فِيهِ قَبْلًا. وَصَارُوا يَتَسَاءَلُونَ: مَنْ هُوَ هَذَا الشَّخْصُ الْمُقْتَدِرُ الَّذِي أَتَى لِيَسْكُنَ بَيْنَهُمْ؟ وَمَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ الْمَقْرُونُ بِمُعْجَزَاتٍ كَهَذِهِ؟ وَمِنْ أَيْنَ حَصَلَ ابْنُ النَّجَارِ عَلَى سُلْطَةٍ تُمْكِنُهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ الْأَرْوَاحَ الشَّرِِّيَّةَ تُطِيعُهُ؟

لَوْ تَسَاءَلْنَا عَنْ سَبَبِ اظْهَارِ الرَّجُلِ الْمَسْكُونِ بِالرُّوحِ الشَّرِِّيِّ شَخْصِيَّةَ الْمَسِيحِ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنْ خِدْمَتِهِ؟ قَامَ بِذَلِكَ لِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْكَلِمَةُ الْمُتَجَسِّدَةُ كَلِمَةُ اللَّهِ الْحَيَّةِ وَالْقَوِيَّةِ. كَلِمَةُ ذَاتِ سُلْطَةٍ عَلَى كَشْفِ خَبَايَا الشَّرِّ وَوَضْعِ إصْبَعِهَا عَلَى نَبْضِ الْبَشَرِيَّةِ السَّاقِطَةِ - فَكَلِمَةُ اللَّهِ أَمْضَى مِنْ سَيْفٍ ذُو حَدَّيْنِ. أَدْرَكَ الرَّجُلُ الْمَسْكُونُ بِالرُّوحِ النَّجَسِ قُدُّوسَ اللَّهِ، وَاعْتَرَفَ أَنَّ لَيْسَ لِلنُّورِ شِرَاكَةً مَعَ الظُّلْمَةِ. أَدْرَكَ أَنَّ الْبِرَّ لَا يَتَشَارَكُ مَعَ الْإِثْمِ لِأَنَّ قُدُّوسَ اللَّهِ.

إِنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ قُدُّوسُ اللَّهِ الَّذِي تَخَافُهُ الشَّيَاطِينُ، وَكَانَ مُعَلِّماً مُلْهِماً بِوَعْيٍ رُوحِيٍّ عَمِيقٍ. وَهُوَ اللَّهُ الْابْنُ الَّذِي جَاءَ لِيُدْمِرَ أَعْمَالَ الشَّيْطَانِ وَطُرُقَ خِدَاعِهِ الْعَدِيدَةَ رَغْمَ أَنَّهَا تُؤْمِنُ وَتَقْشَعِرُ. جَاءَ أَيْضاً لِيَفْتَدِيَ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ لِيُقِيمَ مُلْكُوتَ الْمَجْدِ وَيَضَعُ نَهَايَةَ حَتْمِيَّةِ لِلشَّرِّ وَالشَّيْطَانِ. أَعِنَّا إِلَهِي أَنْ نُؤْمِنَ فِيكَ، وَنَكُونُ أَدَاةً لِمَجِيدِ اسْمِكَ، وَنَسْتَعِدَّ لِرُجُوعِكَ الْوَشِيكَ يَا فَادِيَ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ بِاسْمِ الْمَسِيحِ. آمِينَ.

مُواجهَة يسوع مَعَ الأرواح الشريرة

"أخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك." (مرقس ٥: ١٩)

بَعْدَ أَنْ هَدَأَ سَيِّدُ الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَالسَّمَاءِ أَمْوَاجَ بَحْرِ الْجَلِيلِ وَحَمَى تَلَامِيذَهُ مِنَ الْعَرَقِ عِنْدَمَا أَوْشَكُوا عَلَى الْهَلَاكِ، وَصَلَ الْمُخَلَّصُ وَرَفَاقَهُ إِلَى الشَّاطِئِ. تَصَفُّ رُوحُ النُّبُوَّةِ فِي كِتَابِهَا (مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٢١٤). مَا حَدَّثَ: "وَهُنَاكَ وَقَعَتْ عَيْنُهُمْ عَلَى مَنْظَرٍ أَشَدَّ رَعْبًا مِنْ هَوْلِ الْعَاصِفَةِ ذَلِكَ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الْمَجَانِينِ خَرَجَا مِنْ مَخْبَأَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْقُبُورِ وَانْدَفَعَا صَوْبَهُمْ كَأَنَّمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَمُرَّقَا أَجْسَامَهُمْ أَرَبًا.

وَكَانَ لِحَمَهُمَا يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ إِذْ كَانَا قَدْ جَرَحَا نَفْسَيْهِمَا بِالْحِجَارَةِ الْحَادَّةِ. هَرَبَ التَّلَامِيذُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوْلِ الرَّعْبِ، بَيْنَمَا بَقِيَ يَسُوعُ وَاقِفًا مَكَانَهُ. وَإِذْ اقْتَرَبَا مِنَ الْمَسِيحِ رَفَعَ يَدَهُ فَوْقَهُمَا عَاجِزَيْنِ عَنْ عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ.

نَقَرْنَا عَنْ شِفَاءِ مَجْنُونِي بَلَدَةِ الْجَدْرِينِ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى ٨ وَمَرْكُسُ ٥ وَلُوقَا ٨. نَجَدْنَا فِي هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ صُورَةً لِمَا تَعْمَلُهُ الْخَطِيئَةُ فِي الْإِنْسَانِ وَتَقُودُنَا إِلَى الشَّفَقَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ الْخَاطِئِ وَالَّذِي جَعَلَتْهُ الْخَطِيئَةُ عَبْدًا أَسِيرًا لَهَا دُونَ أَنْ يُدْرِكَ ذَلِكَ. نَجَدْنَا أَعْرَاضِي أَنْ لَيْسَ جُنُونٌ أَفْظَعُ مِنَ الْجُنُونِ الَّذِي تُسَبِّبُهُ الْخَطِيئَةُ. كَمْ مِنَ الشَّبِيهِةِ حَطَّمَتِ الْخَطِيئَةُ وَالشَّهَوَاتِ الْجَنَسِيَّةِ حَيَاتَهُمْ، وَقَادَتْهُمْ إِلَى الْفَشْلِ وَالْيَأْسِ وَأَدَّتْ بِهِمْ إِلَى السُّجُونِ؟ كَانِ ذَانِكَ الْمَجْنُونَيْنِ غَيْرَ لَابَسِينَ ثِيَابًا.

بِهَذَا نَجَدُ عِلَاقَةً بَيْنَ الْعَرِيِّ وَالْعَارِ حَيْثُ نَقَرْنَا فِي سِفْرِ الرُّؤْيَا ٣: ١٨ "أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلَا يَظْهَرَ خَرْبُ عُرْيَتِكَ". وَكَمَا أَنَّ عَارَ الشُّعُوبِ هُوَ الْخَطِيئَةُ، كَذَلِكَ هِيَ عَارُ الْعَائِلَةِ وَأَفْرَادِهَا. حَقِيقَةُ مَعْرُوفَةٍ لَدَى الْجَمِيعِ حَيْثُ جَلَبَتِ الْعَارَ لِكَثِيرِينَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

حَاوَلْ أَهْلَ تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ رِبْطَ الْمَجْنُونَانِ بِسَلْسَلٍ لَكِنَّهُمَا فَشَلُوا فِي ذَلِكَ كَمَا يُخْبِرُنَا مَرْكُسُ ٥: ٤٣ "وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرِبْطَهُ وَلَا بِسَلْسَلٍ، لِأَنَّهُ قَدْ رِبِطَ كَثِيرًا بِقُيُودٍ وَسَلْسَلٍ فَقَطَّعَ السَّلْسَلِ وَكَسَرَ الْقُيُودَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْلَلَّهُ". لَا تَنْجَحُ السَّلْسَلُ فِي عِلَاجِ مَرَضِ الْخَطِيئَةِ، أَوْ تَشْفِي الْإِنْسَانَ وَتُخَرِّجَهُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ. فَحِينَ يَرْتَكِبُ الْإِنْسَانُ الْخَطِيئَةَ يُسَبِّبُ الضَّرَرَ لِنَفْسِهِ وَالْآخَرِينَ أَيْضًا. مَا أَكْثَرَ وَمَا أَقْسَى الْجُرُوحِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ.

جُرُوحُ نَفْسِيَّةٍ وَجُرُوحُ جَسَدِيَّةٍ وَجُرُوحُ مَادِيَّةٍ. لَنَسْتَمِعْ إِلَى مَا قَالَهُ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ: "كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ، وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ" (إِشْعِيَاءُ ١: ٥-٦). كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ فَقَدَ أَمْوَالَهُ وَكَرَامَتَهُ وَمَحَبَّةَ النَّاسِ لَهُ بِسَبَبِ خَطَايَاهُ؟

تَكَلَّمَتِ الشَّيَاطِينُ فِي الْمَجْنُونِينَ صَارِخَةً بِشِدَّةٍ "مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعَ اسْتَحْلِفُكَ أَنْ لَا تُعَذِّبَنِي". فَسَأَلَهُ يَسُوعُ عَنْ اسْمِهِ فَأَجَابَ "لَجُنُونٍ لَأَنَّا كَثِيرُونَ". وَطَلَبُوا مِنْ يَسُوعَ أَنْ يُرْسِلَهُمَا فِي قَطِيعٍ مِنَ الْخَنَازِيرِ كَانَ قَرِيبًا فَاَنْدَفَعَ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ وَاخْتَنَقَ وَمَاتَ. أَثَارَ هَذَا غَضَبِ سُكَّانِ الْمُنْطَقَةِ فَطَلَبُوا مِنَ الْمَسِيحِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تَحُومِهِمْ بَعْدَ خَسَارَتِهِمُ الْمَادِيَّةَ بِهَلَاكِ الْخَنَازِيرِ.

أَمَّا ذَانِكَ الْمَجْنُونَانِ فَكَانَا جَالِسَيْنِ لَابَسِينَ وَعَاقِلَيْنِ يُصْغِيَانِ إِلَى أَقْوَالِ يَسُوعَ وَيُجَدِّدَانِ اسْمَ الَّذِي حَرَّرَهُمَا وَشَفَاهُمَا. طَلَبَا مِنْ يَسُوعَ أَنْ يَذْهَبَا مَعَهُ بِالسَّفِينَةِ، لَكِنَّهُ أَمَرَهُمَا بِالذَّهَابِ إِلَى بَيْتِهِمَا وَأَهْلِهِمَا، لِيُخْبِرَا كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِهِمَا وَرَحِمَهُمَا. مِنَ الرَّائِعِ أَنْ يَذْهَبَ يَسُوعُ خَصِيصًا بِالسَّفِينَةِ لِيُقَابِلَ ذَانِكَ الْمَجْنُونَانِ رَغْمَ مَا فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ مِنْ مَخَاطَرٍ لِيُشْفِيَهُمَا وَيُعَلِّمَ تَلَامِيذَهُ دَرَسًا نَافِعًا فِي خِدْمَةِ الرَّبِّ. يَا لَهَا مِنْ قُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ! وَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ فَوْقَ نِعْمَةٍ! فَالَّذَانِ كَانَا يُرْعِيَانِ النَّاسَ أَصْبَحَا مَوْضُوعَ إِعْجَابِهِمْ حِينَ تَغَيَّرَا بِقُوَّةِ الْمَسِيحِ، فَصَارَا كَارِزَيْنِ لِلْمَسِيحِ بِحَيْثُ نَادِيَا فِي الْمُدُنِ الْعَشِيرَةِ بِكَمْ صَنَعَ بِهِمَا يَسُوعَ وَأَظْهَرَ لَهُمَا الرَّحْمَةَ. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. لِنَثِقِ أَحِبَّائِي بِيَسُوعَ فَادِينَا وَنُوصِلْ بِشَارَةَ الْخَلَاصِ كَرُّسِلَ الْبِرِّ لِمَنْ تَضَعُهُ الْعَنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي طَرِيقِنَا. وَنَسْتَعِدْ وَإِيَاهُمْ لِلِقَاءِ شَافِينَا الْأَعْظَمِ رَبِّ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ. لَهُ كُلُّ شُكْرٍ وَحَمْدٍ وَتَسْبِيحٍ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

استقامت ومجدت الله

"وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَدَّتِ اللَّهَ." (لوقا ١٣: ١٣)

سبب آخر في حياة الرب يسوع حيث ذهب كعادته إلى أحد المجمع وكان يعلم هناك. ومن بين اللواتي واطبن على حضور خدمات العبادة، عضوة أمينة في المجمع، امرأة سماها المخلص "ابنة إبراهيم". كانت ضحية روح شرير سماه الطبيب لوقا روح ضعف سكنها وأمرضها مدة ثماني عشرة سنة بحيث جعلها حذاء لا تقدر أن تنتصب أبداً. لم يخبر أحد يسوع عن سني الألم الطويلة التي عاشتها هذه المرأة التي خلقت على صورة الله أو كيف ربطها الشيطان عانت طويلاً من قبضته، لكن يسوع سمع صلواتها ورأى إيمانها وعدم شكها في قدرة الله على شفائها. لذا عزم أن يدخل إلى ذاك المجمع كي يقابلها.

سنوات عديدة كانت فيها منحنية الظهر مما سبب لها الكثير من الألم والخلل. لم تستطع فيها النظر إلى الشمس، أو نجمة في الليل تدخل البهجة إلى قلبها. كان وجهها باتجاه التراب مما خبي كل نور من حياتها. كان من الصعب عليها أن ترفع رأسها لترى من حولها، أو تطلب الشفاء من مرضها والتحرر من الروح الشرير. ربط الشيطان هذه المرأة وجعلها تنظر فقط إلى الأرضيات وحجب عنها زرقاء السماء وأفراح ورجاء السماء، وحرمتها من مواعيد وتعزيات السماء. لقد انحنى روحها ونفسها وجسدها بواسطة ربط الشيطان وجعلها أن تشغل في نفسها وهمومها، بدلاً من أن تشغل في قدرة الإله. أو ليس مكتوباً أن "العم في قلب الرجل يحنيه، والكلمة الطيبة تُفرّحه" (أمثال ١٢: ٢٥). إن كان العم واحداً من مسببات الانحناء، كذلك خطية واحدة من أقوى مسببات الانحناء التي تُنكس وتُخفّض الرأس، كما قيل عن العشار "لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء" (لوقا ١٨: ١٣). انتظرت المرأة المنحنية الظهر بدون تذمر وشكر وبالرجاء التام.

إن الله يتأنى على متيقه في جهادهم وعذاباتهم وينتظر عليهم كنوع من امتحان الإيمان. انتظر المرأة المنحنية الظهر بإيمانها السليم سلمت كامل مشيئتها للرب، وثقت بأن الرب يحبها أكثر من محبتها لنفسها، وأعطاهما ما تريد في الوقت الذي رآه مناسباً لها. طلبت الشفاء والخلص دون أن تدري أن المخلص يعلم إلى جانبها في المجمع. "فلما رآها يسوع دعاها وقال لها: يا امرأة، إنك محلولة من ضعفك" (لوقا ١٣: ١٢). لاحظ أن الرب هو الذي رأى المرأة، وهو الذي دعاها، وهو الذي قال لها. كان على المرأة فقط أن تلبّي النداء إثر دعوة المسيح لها. وهذا ما أرجوه لك قارئ العزيز. ووضع عليها يديه ففي الحال استقامت ومجدت الله. كانت هذه المرأة الوحيدة التي يضع يسوع يده عندما يخرج روحاً شريراً. ففي حنانه أظهر بلمسه للمرأة عظيم الاهتمام والرعاية. ففي الحال، رفعت رأسها واستقام عمودها الفقري ووقف منتصبه تعطي المجد والتسبيح لاسم المسيح شافيتها ومخلصها.

لقد رفعها من انحنائها وكان هو أول شخص تراه بعد أن حلت من رباطها وانحنائها. وعندما رآته رأت حب السماء وحنانها وتمسكت من جديد بمواعيد ورجاء السماء. ومع رؤيتها للرب اختفت غيوم العناء وظهرت لها شمس الشفاء. أجاب يسوع على انتقاد رئيس المجمع بأنه يحل في السبت تخليص نفس من رباط الشيطان مما أدخل الفرح إلى قلوب جميع الحاضرين، حيث أن ما قام به المسيح كان في انسجام تام مع روح السبت. عزيزي، تعال أنت أيضاً للرب لكي تحررك الرب من كل قيودك ولكي تقدر أن ترفع رأسك وتمجد الرب الذي دفع ثمن تحريرك على الصليب. سنرفع عن قريب رؤوسنا لنرحب برب المجد في مجيئه ثانية قائلين "هذا هو ربنا الآتي الذي انتظرناه طويلاً نفرح ونبتهج بخلاصه". أمني أن تضم صوتك في الترحيب بفادينا الحبيب معي.

خُضُوعُ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ لِيَسُوعَ

"وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ." (أفسس ١: ٢٢)

يبدأ الرسول بولس رسالته إلى مؤمني أفسس بالشكر لله الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، ويُعَدُّ كُلَّ النِّعَمِ التي أَنْعَمَ علينا في المحبوب يسوع. يتحوَّل بعدها لوصف عَظَمَتِهِ الفَائِقَةِ من نحنُ المؤمنِينَ حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ. وقد تجلَّى هذا العَمَلُ إِذْ أَقَامَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وأَجْلَسَهُ عن يَمِينِهِ في السَّمَاوِيَّاتِ.

لَقَدْ بَرَهَنَ اللَّهُ على سُلْطَانِهِ اللامحدودة وقُوَّتِهِ العظيمة، عندما أقام المسيح "بديل خطايانا" مِنَ الْأَمْوَاتِ، وأَجْلَسَهُ عن يَمِينِ مَجْدِهِ، فوق كُلِّ رِياسَةٍ وسيادة- ليس في هذا الزمان فحسب، بل للأبدية أيضاً.

فبمَوْتِهِ الكَفَّارِيِّ دَفَعَ المسيح قصاص خطايانا، لكنَّ قيامته المجيدة كَسَرَتْ قُوَى الخَطيَّةِ والموت في حياتنا. وبِعَمَلِهِ المُنْجِزِ على صليب جُلُجَّةٍ لم يُخْضِعْ كُلَّ رِياسَةٍ وسُلْطَانٍ وقُوَّةٍ وحَسَبٍ، بَلْ وَضَعَهُ اللَّهُ في مَنْصِبِ السُّلْطَةِ المُطلَقة في الكَوْنِ بأسره وأخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ الخَلِيقَةِ خاضعة لمسيحنا المُبَارَكِ، كما عَيَّنَّهُ أيضاً رَأْسَ الكَنِيسَةِ، لذا، فَسُمُو مَنْزِلَةِ يسوع مُهِمَّةٌ للمؤمن.

خَسِرَ آدَمُ الْأَوَّلُ سُلْطَانَهُ على الْأَرْضِ عِنْدَمَا سَعَى أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْلاً عن اللَّهِ وأخطأ، أمَّا يسوع آدَمُ الثَّانِي فسينجح في حُكْمِ كُلِّ الخَلِيقَةِ على مُستوى الكَوْنِ، حيث سيخضع الكُلُّ لِسُلْطَانِ مَسِيحِنَا المُمَجَّدِ عن قَرِيبٍ.

واحدٌ مِنَ العَوَامِلِ الرَّئيسِيَّةِ في تقديم الدَّلِيلِ القاطع على أَنَّ المسيحَ هو حَقًّا المَسِيحُ، هو أَنَّ يُبَيَّنُّ أَنَّهُ أَقْوَى مِنَ الْقُوَى غيرِ المَرئِيَّةِ في العَالَمِ الخارق للطبيعة، أي أَنَّهُ أَقْوَى مِنْ جُنْدِ الشَّيَاطِينِ. فَإِنْ كَانَ الرَّبُّ يسوعُ المسيحَ سَيَفْدي الْأَرْضَ حَقًّا، وَإِنْ كَانَ سَيَعَكِسُ اللَّعْنَةَ، وَإِنْ كَانَ سَيُحْكِمُ سَيِّطَرَتَهُ على البَشَرِيَّةِ الساقطة، يجب أن يكون قادراً على الانتصار على تلك القُوَى التي تُسيطر على كل تلك الأشياء الآن. وهذا يُشِيرُ، بكل تأكيد، إلى الشيطان وأعوانه.

لذلك فَإِنَّ الشَّخْصَ الذي سَيُرْدُّ كل ذلك ينبغي أَنْ يَهْزِلَ قُوَى العَالَمِ الخارقة للطبيعة. لذلك فَإِنَّا نَرَى المَرَّةَ تلو الأُخْرَى مِنْ خِلالِ رِوَايَةِ الْإِنْجِيلِ الذي يُقَدِّمُ لَنَا أَمْثَلَةً على قُدْرَةِ يسوع على طرد الشياطين. فهو قادِرٌ أَنْ يَفْعَلَ ذلك حَالًا.

وهو يَفْعَلُ ذلك بِسُلْطَانٍ، وَيَفْعَلُ ذلك بِكَلِمَةٍ، وَيَفْعَلُ ذلك بِسَهُولَةٍ مُقَدِّمًا لَنَا بِذلك بُرْهَانًا واضِحًا على أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَصِرَ على مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ. وَمِنْ المُدْهَشِ حَقًّا أَنَّ يسوعَ المسيحَ تَمَكَّنَ مِنْ مَقَاوِمَةِ الشَّيْطَانِ، إِذْ نَقَرْنَا فِي الإِصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى أَنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَ لِيَجْرِبَ الرَّبَّ.

وقد جَرَّبَهُ الشَّيْطَانُ في ثَلَاثِ تَجَارِبٍ مُحدَّدةٍ ورَّئيسِيَّةٍ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ، خَرَجَ الرَّبُّ مُنْتَصِرًا. لذلك فَإِنَّا نَعْلَمُ الْآنَ أَنَّ المسيحَ يَمْلِكُ القُدْرَةَ على مُقَاوِمَةِ الشَّيْطَانِ. وهو يَمْلِكُ القُدْرَةَ على دَحْرِ الشَّيْطَانِ. ويمكننا أَنْ نَقُولَ إِنَّا نَعْرِفُ الْآنَ أَنَّهُ وَاجِبُ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يَسْتَسْلَمْ وَلَوْ مَرَّةً. وَلَكِنْ قُدْرَتُهُ تَفُوقُ ذلك.

فالأمر لا يقتصر على أَنَّهُ قادِرٌ على دَحْرِ الشَّيْطَانِ، أو على منع الشَّيْطَانِ مِنَ القيام بشيءٍ ما أو مِنْ تحقيق شيءٍ ما. والأمر لا يقتصر فقط على أَنَّهُ لم يَسْتَسْلَمْ، بل إِنَّ الأمرَ يَتَعَدَّى ذلك لِأَنَّهُ جَعَلَ الشَّيْطَانَ وَأَعْوَانَهُ يَسْتَسْلِمُونَ لَهُ. فالأمر لا يقتصر على ما يعجز الشَّيْطَانُ عن القيام به، بل إِنَّهُ يَتَخَطَّاهُ إلى ما يستطيع يسوع أَنْ يَفْعَلَهُ بالشَّيْطَانِ. فَقَدْ خَضَعَ الشَّيْطَانُ والأَرْوَاحُ النَّجِسَةَ لِأَمْرِ يسوع وخَرَجُوا مِنَ الَّذِينَ سَيَطَرُوا عليهم.

وعندما أَرْسَلَ تلاميذه ليكرزوا بالإِنْجِيلِ، أعطاهم القُوَّةَ على الأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ لِيُخْرِجُوهَا بِاسْمِهِ. لَقَدْ أَحَبَّ المسيحُ كَنِيسَتَهُ- أَنْتُمْ وَأَنَا- وَبَدَّلَ دَمَهُ لِفِدَائِنَا. شُكْرًا لَكَ رَبِّي يسوع لِأَنَّكَ انتصرت على الخَطيئةِ والموت لأجلِي. سَاعِدْنِي أَنْ أُطِيعَكَ وَأَتَكَلَّمَ عَلَيْكَ لِأَخْتَبِرَ نِعَمَتَكَ وسَلَامَكَ في حياتي اليوم. لَكَ المجد والحمد أَبَدَ الدُّهُورِ. آمين.

فوائد إيماننا

"لِكَيْ تَكُونَ تَرْكِيَّةُ إِيْمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يَمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (١ بُطْرُس ١: ٧)

ما أروعَ إرادةَ الله لأجل أحبائه أن يكونوا فَرَحِينَ دوماً، ويُصَلُّوا بلا انقطاع، مُقَدِّمِينَ لَهُ الشُّكْرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَسَطَ أقسى التجارب التي يمرُّونَ بها. يستخدمُ الله الضيقات كَمِقياسٍ ليختبرَ ويزيدَ إيماننا فيه، ويمتحنُ قوَّةَ ثقتنا بكلمته المقدَّسة. فهذه التجارب لفترةٍ قصيرةٍ ليست عصا قصاصٍ لآله غاضبٍ على سيئاتنا، لكنَّها عُكاز تقويمٍ مِن أَيْنَا السَّمَاوِيِّ الْمُحِبِّ، الَّذِي أَحَبَّنَا كَثِيرًا بحيثُ أَرْسَلَ ابْنَهُ ليموتَ عَن خطايانا، ويُعطينا المغفرة والحياة الأبدية. وكما يَمْتَحَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ كي تُزَالَ كُلُّ الشوائبِ ليُصْبِحَ نَقِيًّا، هكذا إيمان كُلِّ واحدٍ مِنَّا يحتاج أن يكون نَقِيًّا طاهرًا وصادقًا، وهذا عَمَلُ الضيقات في تنقية قلوبنا، وتقوية محبَّتنا لِإلهنا القدير.

تُعَلِّمُنَا كَلِمَةُ اللَّهِ أَنَّ الإِيْمَانَ الْأَصِيلَ "أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي". لذا، مثل هذا الإِيْمَانِ "سَيُمْتَحَنُ بِالنَّارِ". فلا عَجَبَ أن تأتي الصُّعُوبات والضيقات لإِيْمَانِنَا، وأيضاً البركات. لتطوِّير هذا الإِيْمَانِ والتَمَسُّكِ به، سنرى معاً فوائد هذا الإِيْمَانِ. ١- يأتي الإِيْمَانُ بِالْخِلاصِ كما أَوْضَحَ الرَّسُولُ بولس "فإنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيْمَانِ" (أَفْسُس ٢: ٨). وأكد يسوع ذلك إذ قال "لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يُوحَنَّا ٣: ١٦).

"وَلَا يُحَاكَمُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، لِأَنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يُوحَنَّا ٥: ٢٤). ويُخْبِرُنَا رَسُولُ الْجِهَادِ الْمَسِيحِيِّ بولس "أَمَّا مَنْ تَبَرَّرَ بِالْإِيْمَانِ، فَبِالْإِيْمَانِ يَحْيَا" (رومية ١: ١٧).

٢- نجد بِالْإِيْمَانِ استجابة صلواتنا. يقول يسوع لَهُ الْمَجْدُ "وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ" (مَتَّى ٢١: ٢٢). وَحَيْثُ يُخْبِرُنَا الْمَسِيحُ بِأَنْ نُصَلِّيَ لِحُبْرِنَا الْيَوْمِي (مَتَّى ٦: ١١)، يكون الإِيْمَانُ إِذَا، مِفْتَاحَ الْبَرَكَاتِ الْمَادِيَّةِ.

٣- هكذا، نجد أَنَّ الإِيْمَانَ يَأْتِي بِكُلِّ مَزَايَا الْخِلاصِ فِي حَيَاتِنَا. وهذه تَتَضَمَّنُ الشِّفَاءَ، وَالبَهْجَةَ وَالفَرَحَ وَالمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ، إِلَى جَانِبِ الْإِنْقَازِ مِنَ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ، وَتَقْدِيسِ الْعَقْلِ وَالْعَوَاطِفِ (خِلاصِ النَّفْسِ) وَكُلِّ فَوَائِدِ أُخْرَى يَعِدُنَا بِهَا اللَّهُ.

٤- يَمُنَحُ الإِيْمَانُ قُوَّةً رُوحِيَّةً تُصْبِحُ مَعَهَا خِدْمَتُنَا لِلْمَسِيحِ فَعَّالَةً. فالإِيْمَانُ هُوَ مِفْتَاحُ رَيْشِيٍّ لِنَجَاحِ الْخِدْمَةِ. يَأْتِي بِكُلِّ مَا نَحْتَاجُهُ لِحِدْمَتِكَ، ويكون ذا تأثيرٍ لِلْآخَرِينَ مِنْ خِلَالِ حَيَاتِكَ وَكَرَارَتِكَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، بحيثُ يَتِمَكَّنُوا مِنْ اسْتِلَامِ بَرَكَاتِ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا. ٥- لِلإِيْمَانِ دورٌ فَعَّالٌ فِي خِدْمَةِ الشِّفَاءِ وَالْخِلاصِ. فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ "هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ".

يسْكُنُ فِي الْمُؤْمِنِ (عِبْرَانِيِّينَ ١٣: ٨ وَغَلَاتِيَّةَ ٢: ٢٠)، وَمِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِيِّ يُرِيدُ الْفَادِي أَنْ يُظْهَرَ قُوَّةَ الْخِلاصِ لِلنَّاسِ بِطَرِيقَةِ يَرْوَاهَا وَيَشْعُرُوهَا بِهَا. بهذه الطريقة، تكون كِرَارَتُنَا لِمَلَكُوتِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِالْكَلامِ، بَلْ بِالْقُدْرَةِ. (١ كُورِنْثُوسَ ٤: ٢٠).

لأولئك الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِقُوَّةِ الصَّلَاةِ وَفَعَالِيَّتِهَا، لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ شَكٍّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِأَنْ تَأْثِيرُهَا وَبُعْدُهَا الرُّوحِي الْعَمِيقُ لَهُ ارْتِدَادَاتٌ إِيْجَابِيَّةٌ عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ أَيْضًا. إِلَّا أَنْ لِلصَّلَاةِ بُعْدًا عِلْمِيًّا وَافِرًا بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّأْثِيرِ الرُّوحِي، إِذْ أَكَّدَ الْعِلْمُ الْحَدِيثَ وَالْعَدِيدَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَوَائِدَ الصَّلَاةِ، وَتَأْثِيرُهَا فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ وَوُضَائِفِهِ الْفِيْزِيُولُوجِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ.

لقد أَظْهَرَتِ الْأَبْحَاثُ بَدُونَ أَدْنَى شَكٍّ، أَنَّ الْإِقْتِرَابَ إِلَى اللَّهِ بِالصَّلَاةِ وَبِرُوحِ الْإِيْمَانِ بِشَكْلِ مُسْتَمَرٍّ، يُمْكِّنُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَتِمَتَّعَ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ طَوِيلَةِ الْأَمَدِ، كَمَا أَنَّهُ يَجْعَلُهُ فَرَحًا مَغْبُوطًا، وَيَزِيدُ مِنْ رَاحَتِهِ وَيُطِيلُ مِنْ عَمَرِهِ. صَدَّقَ الْحَكِيمُ إِذْ قَالَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: "الْقَلْبُ الْفَرِحَانُ يَجْعَلُ الْوَجْهَ طَلَقًا، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ تَنْسَحِقُ الرُّوحُ" (أَمْثَالُ ١٥: ١٣). قَوِّي يَا رَبِّي إِيْمَانِي وَأَنَا أَفْرَحُ بِخِدْمَتِكَ وَأَعِيشَ لِمَجْدِكَ إِلَى أَنْ نَلْتَقِيَ عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

الإيمان في الصلاة

"حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: "يَا امْرَأَةً، عَظِيمُ إِيمَانِكَ! لِيَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدِينَ". فَشُفِيَتْ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ." (متى ١٥: ٢٨)

تَرَكَ يسوع وتلاميذه نطاق خدمته، وأخذ يتجول في المنطقة اللبنانية الواقعة بين مدينتي صور وصيدا. كان سُكَّانها مِنَ الوثنيين، وكانت أخبار معجزات يسوع قد وصلت إليهم، وعرف الكثيرون منهم أَنَّهُ ابْنُ داود المسيح المُنتظر، وَمِنْ بينهم امرأة كنعانية كانت تَسْكُنُ هُنَاكَ.

"وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التُخوم صرخت إليه قائلةً ارحمني يا سيدي يا ابن داود. ابنتي مجنونةٌ جداً. فلم يُجِبها بكلمة. فتقدّم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا" (متى ١٥: ٢١-٢٣). يُخبرنا إنجيل يوحنا ١: ١١ و١٢ بأن يسوع "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. وأما كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ". جاء المسيح إلى خاصته الذين أعطاهم نبوءات في العهد القديم عن مجيئه، وأرسل تلاميذه كي يكرزوا برسالة الإنجيل لهم. لذا، أجاب يسوع على اعتراض التلاميذ لصياح تلك الأم المُعذبة: "لم أرسل إلا لخراف إسرائيل الضالة" "فأتت وسجدت له قائلة يا سيدي أعني".

كانت نظرة الناس في زمن يسوع إلى الوثنيين والأمم على أنهم كلاب. فأجاب المُخلص: "ليس حسناً أن يؤخذ خبرُ البنين ويُطرح للكلاب." "فقلت نعم يا سيدي. والكلاب أيضاً تأكل من الفُتات الذي يسقط من مائدة أربابها". إن هذه المعجزة التي شَبَّهتها المرأة الكنعانية بالفُتات التي يتساقط من موائد البنين تدل على أمرين هاميين وهما: سيطرة يسوع التامة على القوَّات الشيطانية، ومفعول الإيمان الحيّ في النفوس.

غير أن يسوع لم ينسى الوثنيين ولا يَهمَلهم، فإن لهم مكانهم المحدد في مخطّطه الخلاصي. فسيأتي يوم يُرسل إليهم تلاميذه ليطلعوهم على طريق الخلاص، ويكرزوا لهم بالإيمان والتوبة. ولذلك فإن كلامه لا يتضمّن أية إهانة للمرأة الكنعانية ولا للوثنيين عموماً. لا شك في أن جواب المرأة يدل على ذكائها الحاد وتواضعها العميق، واصرارها على عدم الاستسلام كأم ابنتها مسكونة بروح نجس.

ولكنه يُظهر بصورة جلية إيمانها الرائع بشخص يسوع، وقدرته الإلهية على قهر الشيطان، وبمخطّطه الإلهي في خلاص البشر. وهذا ما أدهش يسوع فصاح: "ما أعظم إيمانك أيتها المرأة". وكافأ إيمانها فقال لها: "فليكنْ لك ما تُريدِينَ". فكانت المكافأة أن الشيطان قد خرج من ابنتها، فعادت إليها الصحة وأصبحت فتاة طبيعية.

كان إيمان المرأة الكنعانية عظيماً في مقدرة يسوع على شفاء ابنتها. لنرى معاً مفاتيح تقوية الإيمان والصلاة، والتي تبدأ بالاستماع لكلمة الله. فالتركيز المُستمر على ما يقوله الله يُنتج إيماناً إذا أصغينا له بقلب وعقل مفتوحين. يُحثنا سفر الأمثال ٢٠: ٢٢ و٢٠: ٢٢ على سماع كلام الله فيقول: "يا ابني، أصغِ إليّ كلامي. أملِ أذنك إلى أقوالي. لأنها هي حياة للذين يجدونها، ودواء لكل الجسد". لدينا اليوم المجال لنسمع ما يقوله الله.

يؤكد لنا الرسول بولس أن الله "قسَمَ لكل واحد مقدراً من الإيمان" (رومية ١٢: ٣). لنستخدم ونُطور ما أعطانا الله من الإيمان. لنُطع وصايا الله وما يُرينا روحه من خلال الكلمة. لنبقى دوماً بروح الامتنان مُقدِّمين الحمد في كُلِّ الظروف. لا عَجَب أن يقول بولس "وكونوا شاكرين". (كولوسي ٣: ١٥).

الحمد هو جزء من الإيمان والعبادة هي تقدير لقوة الله وأمانته وعظيم محبته للجنس البشري. شارك إيمانك مع الآخرين كي ينمو إيمانك أيضاً. "اتَّبِع السَّلامَ مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحدُ الرَّبِّ" (عبرانيين ١٢: ١٤). تذكّر عزيزي أن الإيمان عامل بالمحبة، فشارك هذا الإيمان، وليضيء نورك هكذا قدام الناس كي يروا أعمالك الحسنة ويمجدوا أباك السماوي له كُلَّ المجد والتسبيح أبد الدهور. والرَّبُّ يَوقِيكَ لِمَجْدِهِ.

الصلاة وقوة الشفاء

"يَا رَبُّ إِلَهِي، اسْتَغْتُ بِكَ فَشَفَيْتَنِي." (مزمو ٣٠ : ٢)

يبدأ صاحب المزامير داود مزمو ٣٠ بتمجيد الربِّ لآلته انتشله من الضيقات ولم يجعل أعدائه يشمتون به. هذه صلاة شكر من داود لله الذي قبل توبته. هذا هو مزمو الخلاص لمحبِّي الله. يقول هذا المزمو لنا: "يا رَبُّ أَعَدَّتْ إِلَيَّ الْحَيَاةَ وَأَعْطَيْتَنِي الْخَلَاصَ، لِأَنَّ الْخَلَاصَ فِي النِّهَايَةِ هُوَ الْحَيَاةُ. عُدْتُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَبِحُضُورِهِ لِلْحَيَاةِ. الرَّبُّ هُوَ شَافِنَا الْأَعْظَمَ لَأَمْرَاضِنَا الْجَسَدِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، وَكَمْ مِنْ أَمْرَاضٍ جَسَدِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ بَلِ الْمَوْتُ نَفْسَهُ قَدْ لَحِقَتْ الْبَشَرِيَّةَ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ. يَتَذَكَّرُ دَاوُدُ حَيَاةَ الْمُؤْمِنِ الصَّعْبَةَ، لَكِنَّهُ يَأْتِي إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ لِتَقْدِيمِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لَهُ لِأَنَّهُ نَجَّاهُ مِنْ خَطَرِ الْمَوْتِ وَالانْفِصَالِ عَنِ اللَّهِ.

كَمْ مِنْ مَرَّةٍ صَرَخْنَا لِلرَّبِّ طَالِبِينَ لِمَسْتِهِ الشَّافِيَةَ لِحَيَاتِنَا وَأَجْسَادِنَا؟ أَوْ طَلَبْنَا مُعْجَزَةً شِفَائِيَّةً لَصَدِيقٍ أَوْ قَرِيبٍ أَصَابَهُ مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَنَسِينَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ لِمَسْتِهِ الشَّافِيَةَ فِي حَيَاتِنَا، أَوْ اسْتِرْدَادَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ؟ نَمْدَحُ مَهَارَةَ الطَّبِيبِ الَّذِي وَصَفَ الْعِلَاجَ الْمُنَاسِبَ. لَكِنَّا نَسْمَعُ دَاوُدَ فِي هَذَا الْمَزْمُورِ يَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَيَحْمَدُ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ لِأَجْلِ الصَّحَّةِ وَالْقُوَّةِ. اسْتَغَاثَ بِالرَّبِّ وَنَالَ الشِّفَاءَ.

روحُ الْحَمْدِ هَذِهِ قَادَتِهِ لِتَقْدِيمِ الْاِمْتِنَانِ لِلَّهِ فِي مَزْمُورِ ١٠٣ : ١-٣ "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيبَارِكِ اسْمُهُ الْقُدُّوسَ. بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلَا تَنْشِي كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ". هل يُمكنُ لصلاة عدد قليل من الناس أن تُعين شخصاً يواجه عملية قلب؟ كان "روي" على أبواب عملية قلب للمرة الثالثة حيث سيفتح الأطباء شرياناً تاجياً مُعلَقاً في قلبه، ويضعوا دعامة لتبقي الدم جارياً. تحمل مثل هذه العملية مخاطر تحت أفضل الظروف.

"تشمُلُ هذه المخاطر- الموت، والسكتة والجلطة القلبية" يقول الدكتور "كروكوف" أخصائي الأوعية الدموية بجامعة "ديوك" بولاية نيويورك. مع أن "روي" لم يكن مُتدنياً، وليس مواظباً على حضور خدمات الكنيسة، لكنه يؤمن بالله. فقال "أقدرُ جداً الصلوات التي رُفعت إلى الله من أجلي قبل وخلال وبعد العملية، وأنا الآن أشعرُ بتحسُّن كبير". كان "روي" جزءاً من دراسة دامت ١٠ سنين تناولت تأثير صلاة الآخرين على المرضى الذين يخضعون لعمليات ذات مخاطر صحيّة كبيرة. كما شملت أيضاً إيمان المرضى الديني أو صلواتهم الشخصية وتأثيرهما على تخفيف التوتر، قبل وبعد العملية خلال فترة النقاهة. وأظهرت هذه الدراسة وجود ارتباط بين المرضى والربِّ القدير حتّى على مُستوى أمراض السرطان والقلب.

كانت النتائج النهائية "أنَّ كلَّ الدراسات والأبحاث قد أظهرت فوائد صحيّة إيجابية لقوّة الصلاة، وتأثيرها الروحي على المرضى".

رَكَعَ قَسٌ فِي غُرْفَةِ مَرِيضَةٍ بِالْمُسْتَشْفَى عُمَرُهَا ٩٢ عاماً تُعاني من انتفاخ في الكلية وأمسك بيدها داعياً باسم الربِّ يسوع أن يشفيها لتكون قادرة على العودة لبيتها بأسرع وقت ممكن. قضى أسبوعاً في زيارة هذه المريضة يومياً. وعندما سُؤل عن سبب صلاته لأجل المرضى قال "أحبُّ أن أصلي لأجلهم لأنِّي أؤمن بفاعليّة الصلاة، وأي وقتٍ أجد فرصة لأشجع شخصاً ما وأصلي معه تكون أسعد لحظات حياتي".

إلهي السَّماويّ أشكرك من أجل يدك الشافية التي أعادت الصحة والعافية لكثيرين. ساعدني ألا أنسى تقديم طلباتي لك أولاً لشفاء الجسد والروح، وألا أنسى تقديم الشكر والتسبيح لك إذ تُرجع لي صحتي كاملة. أنت مانح الحياة ومُعطي الراحة للمرضى والمتعبين. لك وحدك يليق كل مجد وحمد أيها الشافي القدوس ولاسْمِكَ السُّجُود والإكرام أبداً الدهور يا فادي ومُخلّصي العظيم. آمين.

خطوات لتطوير الإيمان

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ". (مَرَقَس ٩: ٢٣)

كان يسوع الناصريّ يجول يَعْمَلُ الخير للناس، ويشفي كُلَّ مَرَضٍ وضعف في الشَّعْب، ويطرد الأرواح الشريرة التي تسلَّطت على كثيرين. عَمَلُ الْمُخْلِصِ على شفاء الجَسَدِ وَالرُّوحِ أَيْضاً. وَعِنْدَمَا جَاءُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ الشِّفَاءَ، أَكَّدَ الْفَادِي عَلَى مَصْدَاقِيَّةِ إِيْمَانِهِمْ فِيهِ. وَقِصَّةُ الْفَتَى الْمَسْكُونِ بِرُوحٍ شَرِّيرٍ وَالَّذِي أَتَى بِهِ وَالِدُهُ، تُؤَكِّدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بِطَرِيقَةٍ جَمِيلَةٍ.

أَحْضَرَ أَبَ مُعَذِّبُ ابْنِهِ الَّذِي سَيَطَرُ عَلَيْهِ رُوحٌ نَجَسَ إِلَى تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ شِفَائِهِ. وَمَا أَنْ نَزَلَ يَسُوعُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جَبَلِ التَّجَلِّي، أَسْرَعَ الْأَبُ بِابْنِهِ إِلَى يَسُوعَ قَائِلاً "إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعْنَا" فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ "إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ". لَمْ تَكُنْ مَقْدَرَةُ يَسُوعَ عَلَى الشِّفَاءِ هِيَ الْمَحَكُّ، فَهُوَ خَالِقُ الْكُلِّ وَالْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ الْمَسْأَلَةُ هِيَ إِيْمَانُ الْأَبِ فِي الْمَسِيحِ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ صَرَخَ "أُؤْمِنُ يَا سَيِّدُ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيْمَانِي". نَتِيجَةُ إِيْمَانِ الْأَبِ شَفَى ابْنَهُ. مَرَّ الْأَبُ بَعْدَ خَطَوَاتٍ لِيَتَقَوَّى إِيْمَانُهُ، سَنَكُونُ مَعَ خَطَوَاتٍ لِنَقْوِيَّةٍ وَتَطْوِيرِ إِيْمَانِنَا. نَبْدَأُ بِسَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ دَائِماً الَّتِي هِيَ مَنَبْعُ الْبَرَكَاتِ. لِذَا، فَاِمْتَلَاكُ كَلِمَةِ اللَّهِ يَعْنِي الْحُصُولَ عَلَى الْبَرَكَاتِ الرُّوحِيَّةِ. يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ١٠: ١٧ "إِذَا الْإِيْمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ". نَحْتَاجُ إِلَى سَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ يَوْمِيّاً وَبِاسْتِمْرَارٍ. وَكُلَّمَا اسْتَمَعْنَا إِلَى الْمَزِيدِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، كُلَّمَا زَادَ إِيْمَانُنَا حَيْثُ يَكُونُ تَرْكِيزُنَا عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ.

الْخُطْوَةُ الثَّانِيَّةُ فِي بِنَاءِ إِيْمَانِنَا بِاللَّهِ هِيَ قِرَاءَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَالتَّأَمُّلُ بِكَلِمَاتِهِ. أَوْصَى اللَّهُ يَسُوعَ لِيُخْبِرَ الشَّعْبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ "لَا يَبْرَحْ سَفَرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجْ فِيهِ نَهَاراً وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَقَّقَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لِأَنَّكَ حِينَئِذٍ تَصْلُحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ" (يَسُوعَ ٨: ١). إِذْ تَلْهَجُ بِالْكَلِمَةِ نَهَاراً وَلَيْلاً، تَنْفَتِحُ أَمَامَكَ آفَاقاً جَدِيدَةً مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَهَذَا يَبْنِي إِيْمَانَكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَيُجَدِّدُ ذَهْنَكَ لِتَعِيشَ بِرُوحِ اللَّهِ وَتَتَذَوَّقَ حِلَاوَةَ كَلِمَتِهِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ الْمَزْمُورُ ١١٩:

١٠٣ "مَا أَحْلَى قَوْلُكَ لِحَنِّكَ! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لَفَمِي".

الْخُطْوَةُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَنْ نَقْضِيَ وَقْتاً مَعَ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَتَسْبِيحِ اسْمِهِ الْقُدُّوسِ، وَبِالتَّالِي نَمُو فِي مَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِ طَرَفِهِ. قَضَى يَسُوعَ وَقْتاً طَوِيلاً فِي شَرَكَةِ مَعَ أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ بِالصَّلَاةِ وَأَحْيَاناً بَقِيَ اللَّيْلَ بِأَكْمَلِهِ يُصَلِّي. يُسَاعِدُنَا وَقْتُ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى فَهْمِ عَظِيمِ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ لَنَا فَيَنُمُو إِيْمَانُنَا وَنَزْدَادُ ثِقَةٍ فِيهِ وَحُبّاً لَهُ. وَفِي هَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ يُوحَنَّا "لَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرُقُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ" (يُوحَنَّا ٤: ١٨).

الْخُطْوَةُ الرَّابِعَةُ: مَارِسْ وَعِشْ إِيْمَانَكَ. قَبْلَ صُعودِهِ إِلَى السَّمَاءِ، أَعْطَى يَسُوعَ أَوَامِرَ وَوَصَايَا لِتَلَامِيذِهِ وَلَنَا أَنْ نُصَلِّيَ لِأَجْلِ الْمَرْضَى وَنَضَعُ أَيْدِيَنَا عَلَيْهِمْ وَنَطْلُبَ لِمَسَةِ شِفَاءِ الْمَسِيحِ لَهُمْ. لِمَاذَا لَا تُمَارِسُ السُّلْطَةَ الْمَمْنُوحَةَ لَكَ مِنْ رَبِّ الْمَجْدِ وَنُصْلِي مِنْ أَجْلِ عَزِيزٍ عَلَيْكَ عَلَى فِرَاشِ الْمَرَضِ؟ تَذَكَّرْ عَزِيزِي أَنْ "كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى الْمُؤْمِنِ". كُلَّمَا مَارَسْتَ إِيْمَانَكَ، كُلَّمَا أَزْدَادَ نُمُوّاً وَقُوَّةً.

الْخُطْوَةُ الْخَامِسَةُ: شَارِكْ إِنْجِيلَ الْخِلَاصِ كِي يَزْدَادَ إِيْمَانُكَ وَتَرْبَحَ نَفُوساً لِمَلَكُوتِ اللَّهِ. يُخْبِرُنَا الْبَشِيرُ مَرَقَسُ ١٦: ٢٠ أَنْ رُسُلَ الْمَسِيحِ "خَرَجُوا وَكَرَّزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلَامَ بِالْآيَاتِ الْتَابِعَةِ". أَمَلِي أَعْزَائِي أَنْ تَنْطَبِقَ صَلَاةُ الرَّسُولِ بُولُسِ فِي حَيَاتِنَا "طَالِباً أَنْ يَكُونَ أَشْتَرَاكُكَ مَعَنَا فِي الْإِيْمَانِ فَعَالاً، فَتُدْرِكَ إِلَى التَّمَامِ مَا فِينَا مِنْ كُلِّ صَلَاحٍ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ" (فَلِيمُون ١: ٦).

لَنَكُنْ لَا سَامِعِينَ الْكَلِمَةَ فَقَطْ بَلْ عَامِلِينَ بِهَا أَيْضاً. أَبَانَا السَّمَاوِي الْمُحِبُّ، زِدْ إِيْمَانَنَا فِيكَ وَامْنَحْنَا الْقُوَّةَ كِي نَتَّقُ فِي قُدْرَتِكَ عَلَى مُوَاجَهَةِ صِعَابِ الْحَيَاةِ حَاضِراً وَمُسْتَقْبَلاً وَزِدْنَا حُبّاً وَثِقَةً فِيكَ، مُتَذَكِّرِينَ وَعْدَكَ "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" آمِينَ.

تأثير الصلاة على الصحة

"أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ."

(٣ يوحنا ١: ٢)

يُهدي الرسول يوحنا رسالته الثالثة إلى غايوس الذي أحبه بالحق وكان تلميذاً محبوباً للرب يسوع. يبدو أنه كان متقدماً في العمر مثل الحبيب يوحنا. كان تجديدُه على يد تلميذ يسوع المحبوب يوحنا، ويؤكد في الآية الرابعة قَرَحَهُ أَنْ أولاده الَّذِينَ عَمِلَ مَعَهُمْ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْحَقِّ.

يُصَلِّي لَغَايُوسَ الْحَبِيبَ أَنْ يَكُونَ مُوَفَّقاً فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَأَنْ تَكُونَ صِحَّتُهُ الْبَدَنِيَّةُ قَوِيَّةً وَمُعَافَاةً كَصِحَّتِهِ الرُّوحِيَّةِ. تبدو حياة غايوس مُكَرَّسَةً لِلَّهِ وَمَلِيئَةً بِالنِّعَمَةِ وَالْمَحَبَّةِ، مِمَّا سَاعَدَهُ أَنْ يَكُونَ نَاضِجاً رُوحِيّاً وَيَعَكِّسَ أَخْلَاقَ الْمَسِيحِ، وَكَانَتْ حَيَاتُهُ تُكْرِمُ فَادِيَهُ يَسُوعَ.

تُستخدَمُ الصَّلَاةُ عَلَى نِطاقٍ وَاسِعٍ، وَلَهَا أَهْمِيَّتُهَا فِي الرِّعَايَةِ الصَّحِيَّةِ. يُؤَكِّدُ الدُّكْتُورُ "وِين جُوناس" "أَنَّ استطلاعات الرأْيِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ ٩٠٪ مِنَ الْمَرْضَى بِأَمْرَاضٍ خَطِيرَةٍ يَلْجَأُونَ إِلَى الصَّلَاةِ لِتَخْفِيفِ آلامِهِمْ أَوْ مَرَضِهِمْ". وَقَامَتِ بَاحِثَةٌ مِنْ مَعْهَدِ جُورْجِ وَاشْنُطُنَ لِلرُّوحِيَّاتِ وَالصَّحَّةِ الدُّكْتُورَةُ "كْرِيسْتِينَا بَكُولْسْكِ"، حَيْثُ أُثْبِتَ الْبَحْثُ أَنَّ الصَّلَاةَ هِيَ الْوَسِيلَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْأَكْثَرُ شُيُوعاً لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى الْأَلَمِ بِدُونِ اسْتِعْمَالِ الْأَدْوِيَةِ. تَشْرَحُ الْأُمُورَ التَّالِيَةَ تَأْثِيرَ الصَّلَاةِ عَلَى تَحَسُّنِ الصَّحَّةِ: تُسَاعِدُ الصَّلَاةُ عَلَى الْاسْتِرْخَاءِ الَّذِي بَدَوْرُهُ يَهَيِّطُ ضَغْطَ الدَّمِّ، وَعَوَامِلَ أُخْرَى يُثِيرُهَا التَّوَتُّرُ.

تُظْهِرُ الصَّلَاةُ وُجُودَ قُوَّةٍ أَعْظَمَ مِنَ الْمَرِيضِ نَفْسِهِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقَ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَهِيَ قُدْرَةُ يَسُوعَ عَلَى الشِّفَاءِ. كَمَا تُقَوِّي الصَّلَاةُ آمَالَ الشَّخْصِ وَتَوْفِيقَاتِهِ، وَبِالتَّالِي، يَكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ إِيْجَابِيٌّ عَلَى الصَّحَّةِ. تَمْنَحُ الصَّلَاةُ أَيْضاً إِحْسَاساً رُوحِيّاً يَنْتُجُ عَنْ مُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَالشُّعُورَ بِحُضُورِهِ مَعَ الْمَرِيضِ.

يَنْتُجُ عَنِ الصَّلَاةِ مَشَاعِرٌ إِيْجَابِيَّةٌ مِنَ الْإِمْتِنَانِ وَالْعَطْفِ وَالْعُفْرَانِ وَالرَّجَاءِ- هَذِهِ جَمِيعُهَا مُصَاحِبَةٌ لِلشِّفَاءِ وَالْعَافِيَةِ. أَمَّا عَنِ التَّرَابُطِ بَيْنَ - الْعَقْلِ وَالْجِسْمِ وَالرُّوحِ- عِنْدَ الصَّلَاةِ يَرْفَعُ أَوْ يَهْدَأُ تَدْفِيقُ الْكُورْتِيزُولِ وَهَرْمُونَاتٍ أُخْرَى، الَّتِي تُخَفِّضُ تَأْثِيرَ التَّوَتُّرِ السَّلْبِيِّ عَلَى جِهَازِ الْمَنَاعَةِ وَتُحَفِّزُ الشِّفَاءَ.

التَّجَارِبُ الْعِلْمِيَّةُ تُشِيرُ أَنَّ الصَّلَاةَ بِجَمِيعِ أَسَالِيِبِهَا وَصِفَاتِهَا لَهَا تَأْثِيرٌ خَاصٌّ عَلَى الدِّمَاغِ، وَجَمِيعُنَا يَعْلَمُ أَنَّ الدُّكْتُورَ أَنْدْرِيو نِيُوبَرِغَ طَبِيبَ الْأَشْعَةِ فِي جَامِعَةِ بَنْسَلَفَانِيَا الْأَمْرِيكِيَّةِ، دَرَسَ هُوَ وَفَرِيقُهُ مَجْمُوعَةً مِنَ الرُّهْبَانِ الْبُودِيزِيِّينَ الَّذِينَ مَارَسُوا التَّأَمُّلَ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ تَقْرِيباً. أَثْنَاءَ التَّأَمُّلِ يَفْقَدُ النَّاسُ إِحْسَاسَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَيَمْرُؤُونَ كَثِيراً بِتَجَرِبَةِ الْإِحْسَاسِ بِانْعِدَامِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا بِالضَّبْطِ مَا رَأَيْنَاهُ، وَمِنْ كَلَامِهِ نَسْتَنْتِجُ أَنَّ تَصْرِيحَهُ يَعْتَبَرُ دَلِيلاً عِلْمِيّاً يُوَكِّدُ أَنَّ الصَّلَاةَ تَعِيدُ تَنْظِيمَ الْبَرْمَجَةِ الدِّمَاغِيَّةِ.

تُخْبِرُ الدُّكْتُورَةُ "هِيلِين رُوزْفِير" وَكَانَتْ مُرْسَلَةً إِلَى زَائِرِ الْقِصَّةِ التَّالِيَةِ "جَاءَتْ أُمٌّ إِلَى عِيَادَتِنَا الطَّبِيبَةِ لِلْوِلَادَةِ. وَحَيْثُ كَانَ الْجَنِينُ غَيْرَ مُكْتَمَلٍ فَقَدْ مَاتَتْ أَثْنَاءَ الْوِلَادَةِ. حَاولْنَا وَضَعَ الْوَلَدَ فِي حَاضِنَةٍ لِإِبْقَائِهِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، لَكِنَّ زُجَاجَةَ الْمَاءِ السَّاخِنِ الْمَوْجُودَةَ فِي الْعِيَادَةِ كَانَتْ تَالِفَةً. طَلَبْنَا مِنَ الْأَطْفَالِ أَنْ يُصَلُّوا مِنْ أَجْلِ الْوَلَدِ وَأُخْتِهِ.

صَلَّتْ إِحْدَى الْبَنَاتِ هَذِهِ الصَّلَاةَ "إِلَهِي الْعَزِيزُ، أَرْجُوكَ أَنْ تُرْسِلَ زُجَاجَةَ مَاءِ الْيَوْمِ. لِأَنَّ عَدَاً قَدْ يَكُونُ الْوَقْتُ مُتَأَخِّراً وَيُمْكِنُ لِلْوَلَدِ أَنْ يَمُوتَ. وَيَا رَبِّي الْعَزِيزُ، أَرْسَلْ لِعَبَّةٍ لِلْأُخْتِ لِأَنَّهَا تَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ"

فِي بَعْدَ ظَهْرِ ذَاكَ الْيَوْمِ، وَصَلَ طَرْدٌ كَبِيرٌ مِنْ بَرِيطَانِيَا. فَتَجَمَّعَ الصِّغَارُ حَوْلَنَا وَنَحْنُ نَفْتَحُ الطَّرْدَ. وَلَدَهَشْتَهُمْ وَجَدُوا تَحْتَ بَعْضِ الْأَلْبِسَةِ زُجَاجَةَ مَاءٍ سَاحِنٍ. أَمَّا الْبِنْتُ الَّتِي صَلَّتْ فِيدَأَتْ فِي الْحَالِ التَّفْتِيشِ فِي أَسْفَلِ الصُّنْدُوقِ وَهِيَ تَقُولُ "بِمَا أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ الرُّجَاجَةَ، أَنَا مُتَاَكِّدَةٌ أَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ اللَّعْبَةَ أَيْضاً" كَانَتْ مُحَقَّةً فِي قَوْلِهَا. وَصَلَّتْ اللَّعْبَةُ أَيْضاً. كَانَ أَبَانَا السَّمَائِيُّ يَعْلَمُ مَا يَحْتَاجُهُ الصَّغِيرُ وَأُخْتُهُ وَأَرْشَدَ السَّيِّدَاتِ لَوْضَعِهِمَا دَاخِلَ الطَّرْدِ قَبْلَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ. هَبْنَا يَا إِلَهِي بَرَاءَةَ الْأَطْفَالِ وَعَظِيمَ ثِقَتِهِمْ بِكَ لِيَكُونَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ مِنْ نَصِيبِنَا. آمِينَ.

٧ خطوات للشفاء

"إِسْفِنِي يَا رَبُّ فَأُشْفَى. خَلِّصْنِي فَأَخْلَصَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ تَسْبِيحَتِي." (إرميا ١٧: ١٤)

نقرأ هنا صرخة النبي للخلاص. تعتمد صلاة إرميا على أمانة الله الذي وَحَدَهُ قَادِرٌ عَلَى الشِّفَاءِ وَالْخَلَّاصِ لأمراضنا الخُلُقِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، بالإضافة إلى الخلاص من الأعداء. حيثُ أنَّ "الخطيئة" هي أصل مَرَضِ الرُّوحِ، نجد أنه بسببها كُلُّ شيء صار مُلَوَّنًا. ليس هذا وَحَسْبُ، لكننا لا نستطيع تطهير أنفسنا من هذا المَرَضِ المدعو "خطيئة". لذا، أدرك الملك داود أن الخلاص مصدره الله القدير. فَكَتَبَ في مزمور ٥١: ٧ "طَهَّرْنِي بِالرُّؤْفَا فَأَطْهَر. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَ أَكْثَرَ مِنَ التَّلْجِ".

الله وَحَدَهُ يستطيع أن يطهرنا وينزع عنا خطايانا". حَقَّقَ يسوع هذا التطهير بدمه المَسْفُوكِ عَلَى الصَّلِيبِ. أَصْبَحَ المسيح تسبيحتنا لأنَّه مَنَحَ الشِّفَاءَ وَالْخَلَّاصَ لَأَرْوَاحِنَا. نُسَبِّحُ اسْمَهُ لِأَنَّهُ شَفَانَا جَسَدِيًّا وَجَدَدَ حَيَاتِنَا. لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ لِأَنَّ بِهِ وَمَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاع.

سنكون مَعَ ٧ خطوات للشفاء الرُّوحِي أَوَّلًا ثُمَّ الْجَسَدِي:

١- تَخَلَّصَ مِنْ كُلِّ الْمُعَوِّقَاتِ.

تعامل بجدية مَعَ أي عائق يحجب قُوَّةَ اللَّهِ عَلَى لِسْفَانِكَ أَوْ آيَةٍ بَرَكَاتٍ أُخْرَى. أُطْلُبْ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ أَنْ يُبَكِّتَكَ عَلَى أُمُورٍ مِثْلَ قَلَّةِ الْإِيمَانِ، وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْخَطِيئَةِ وَالْقَرَارَاتِ غَيْرِ الْمَسْئُولَةِ وَالْخَوْفِ وَعَدَمِ الْمُسَامَحَةِ.

٢- الْعِبَادَةُ

سَتُعِينُكَ الْعِبَادَةُ عَلَى التَّرْكِيزِ عَلَى شَخْصِ الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ وَالْحُصُولِ عَلَى سَلَامِهِ الْكَامِلِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ ٢٦: ٣ "ذُو الرَّأْيِ الْإِمْمَكَنُ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا، لِأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ". مِنَ الْمُهْمِ أَنْ تَتَأَكَّدَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى "رَئِيسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ" (عبرانيين ١٢: ٢). بَدَلًا مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى قُوَّتِنَا الْخَاصَّةِ.

٣- صَلِّ كَلِمَةَ اللَّهِ

اسأَلِ الرُّوحَ الْقُدُسَ أَنْ يَقُودَكَ إِلَى مَوَاعِيدِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِالنِّسْبَةِ لِصِحَّتِكَ. اقْرَأْ وَعِشْ هَذِهِ الْمَوَاعِيدَ طِيلَةَ الْيَوْمِ لَتَمْنَحَكَ الْقُوَّةَ عِنْدَ الْمَرَضِ وَالتَّعَبِ أَوْ الشُّعُورِ بِالْيَأْسِ تَجَاهَ صِحَّتِكَ.

٤- قُدَّ حَرْبًا رُوحِيَّةً

احْذَرِ الْأَعْيَابِ الشَّيْطَانِ لِسَلْبِكَ صِحَّتِكَ وَتَأَكَّدْ مِنْ لِبَاسِ دِرْعِ اللَّهِ الْكَامِلِ لَتُقَاوِمَهُ. سَتَغْلِبُ هَجَمَاتِ عَدُوِّ النُّفُوسِ إِبْلِيسَ بِأَسْلِحَةِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ الرُّوحِيَّةِ الْمَمْنُوحَةِ لَكَ. (٢ كورنثوس ١٠: ٤). تَذَكَّرْ: أَنَّهُ عِنْدَمَا تُسَلِّمَ حَيَاتَكَ لِسُلْطَةِ اللَّهِ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ لِلشَّيْطَانِ "ابْعِدْ عَن حَيَاتِي" وَعَلَيْهِ أَنْ يَهْرُبَ. (يعقوب ٤: ٧).

٥- أُطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الْحِكْمَةَ يَنْصَحُنَا الْحَكِيمُ سُلَيْمَانُ بِاقْتِنَاءِ الْحِكْمَةِ. (أمثال ٤: ٧). قَدْ يَكُونُ لَطِيبِيكَ وَالْأَصْدِقَاءُ رَأْيُهُمْ بِمَا تَحْتَاجُهُ لِلشِّفَاءِ. وَبَدَلًا مِنْ سَمَاعِ آيَةٍ نَصِيحَةٍ صَحِيَّةٍ، أُطْلُبْ تَوْجِيهَاتِ اللَّهِ، وَدَعْ سَلَامَهُ يَمْلَأُ قَلْبَكَ. (كولوسي ٣: ١٥).

٦- الْمِسْهُ بِالْإِيمَانِ. تَذَكَّرْ رَغْبَةَ اللَّهِ الْأَكِيدَةَ فِي شِفَانِكَ لِأَنَّهُ الشَّافِي لِكُلِّ أَمْرَاضِكَ. الْمِسْهُ مِثْلَ الْمَرَأَةِ الَّتِي لَمَسَتْ هَدَبَ ثَوْبِهِ بِالْإِيمَانِ فَشُفِيَتْ. يَسُوعُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ مَعَكَ، الْمِسْهُ طَالِبًا مَا تَحْتَاجُهُ مِنْ شِفَاءٍ.

٧- سَبِّحْ اسْمَهُ عَلَى الشِّفَاءِ. تَذَكَّرْ مِثَالِ الْمَلِكِ يَهُوشَافَاظَ فِي ٢ أَخْبَارِ الْإَيَّامِ ٢٠ شَكَرَ اللَّهُ مُقَدِّمًا مِنْ أَجْلِ النَّصْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ - قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ. الْمَجْدُ لَكَ يَا شَافِينَا الْأَعْظَمَ لِأَجْلِ هَبَةِ الْحَيَاةِ وَالصِّحَّةِ وَالشِّفَاءِ. آمِينَ.

الصلاة والتجديد

"قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللَّهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي." (مزمو ٥١: ١٠)

كان قلب داود مُشبعاً بالشهوة قبل أن يزني مع بثشبع ويقتل زوجها أوريا الحثي. وفي هذا قال الرب يسوع "مَنْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ لِيِشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ". (متى ٥: ٢٨). أدرك أنه قد عصى الله، لذا ركَّز في صلاة التوبة أن يُعْطِيَهُ اللَّهُ قَلْبًا جَدِيدًا يَنْبُضُ بِمَحَبَّةٍ خَالِقِهِ وَكَرَاهِيَةٍ لِلشَّرِّ. لَمْ تَأْتِ الْخَطِيئَةُ فِي قَلْبِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ، سِوَى الْحُزْنِ وَالذَّنْبِ وَالنَّدَمِ. طَلَّبَ دَاوُدَ عَمَلِيَّةَ رُوحِيَّةٍ فِي الْقَلْبِ وَاللَّهُ وَحْدَهُ قَادِرٌ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا.

قَرَأْتُ اخْتِبَارَ تَجْدِيدِ أُحِبُّ أَنْ أُشَارِكُهُ مَعَكُمْ. حُكِمَ عَلَى رَجُلٍ ب ٧٦ سنة في السِّجْنِ نَتِيجَةً عَدَّةِ جَرَائِمِ ارْتِكَابِهَا إِلَى جَانِبِ لَعِبِ الْقَمَارِ وَتَعَاطِيِ الْمَخْدَرَاتِ. طَلَّقَ زَوْجَتَهُ عِنْدَمَا كَانَ ابْنَهُ صَغِيرًا، فَكَبِرَ الابْنُ فِي غِيَابِ أَبِيهِ مِمَّا سَبَّبَ بَرُودًا فِي عِلَاقَتِهِمَا مَعًا. لَمْ يَكُنِ الْأَبُ الْمِثَالِي فِي نَظَرِ ابْنِهِ. افْتَقَدَ الابْنُ مَحَبَّةَ أَبِيهِ وَتَوَجَّهَ لِحَيَاتِهِ، فَصَارَ يُفْتَشُّ عَنْ أُمُورٍ تَمَلَأُ ذَاكَ الْفَرَاغَ، وَلَوْلَا صَلَاةُ بَعْضِ الْأَقَارِبِ، لَسَارَ فِي دَرْبِ أَبِيهِ فِي سَنٍ مُبَكَّرَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ.

اشْتَاقَ الابْنُ إِلَى حُضُورِ أَبِيهِ لِمُنَاسِبَاتٍ هَامَّةٍ فِي حَيَاتِهِ مِثْلَ حَصُولِهِ عَلَى رُخْصَةِ السِّيَاقَةِ، وَتَخَرُّجِهِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ، وَقِيَادَتِهِ لِأَوَّلِ سَيَّارَةٍ اشْتَرَاهَا. مِنْ أَيْنَ يَحْصُلُ عَلَى تَشْجِيعِ وَالِدِهِ وَدَعْمِهِ لَهُ، وَهُوَ قَابِعٌ فِي زَنْزَانَتِهِ فِي السِّجْنِ؟ كَانَتْ كُلُّ مُنَاسِبَةٍ غَابَ عَنْهَا الْأَبُ تَزِيدٌ مِنْ مَرَارَةِ الابْنِ، وَشُعُورِهِ بِالْيَأْسِ وَالسَّخَطِ. لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْمَلُ فِي حَيَاتِهِمَا، فَقَدْ أُرْسِلَ الْأَبُ إِلَى مُسْتَشْفَى تَابِعٍ لِلْسِّجْنِ الْفِدْرَالِيِّ لِيَقْضِيَ جُزْءًا مِنْ مَحْكُومِيَّتِهِ.

بَعْدَ وَصُولِهِ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ، دَعَاهُ بَعْضُ نَزَلَاءِ السِّجْنِ لِحُضُورِ خَدَمَاتٍ عِبَادَةٍ تَقُومُ بِهَا كَنِيسَةٌ مُحَلِّيَّةٌ. وَنَتِيجَةً شُعُورِهِ بِالْانْكَسَارِ وَالْأَلَمِ، وَافَقَ عَلَى الْحُضُورِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لِحُضُنِ أَحَدِهِمْ لَهُ وَعُطْفِهِ عَلَيْهِ.

بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، بَدَأَ يَسْتَجِيبُ لِنِدَاءِ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَبَدَأَ التَّجْدِيدَ يَأْخُذُ مَجْرَاهُ فِي حَيَاتِهِ. لَمْ يَذْهَبْ إِلَى مُسْتَشْفَى السِّجْنِ لِعَمَلِيَّةٍ جَرَّاحِيَّةٍ، لَكِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَامَ بِذَلِكَ عِنْدَمَا قَبْلَهُ مُخْلِصًا شَخْصًا لِحَيَاتِهِ. لَمْ يَعْرِفِ الْأَبُ أَنَّ الْقَرَارَ الَّذِي أَخَذَهُ كَانَ مُسْتَنَدًا عَلَى آيَةٍ فِي سَفَرِ يَشُوعَ ٢٤: ١٥ "وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ الرَّبَّ". - سَيُؤَثِّرُ عَلَى حَيَاتِهِ لِأَجِيَالٍ قَادِمَةٍ.

إِذَا زَادَتْ ثِقَةُ الْأَبِ بِيَسُوعَ وَسَلَمَهُ حَيَاتِهِ، بَدَأَ يُصَلِّي لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ، خُصُوصًا أَوْلَادِهِ الْاِثْنَانِ. كَانَتْ زَوْجَتُهُ تُحَدِّثُهُ بِالْهَاتِفِ عَنِ الصَّعُوبَاتِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا الْأَوْلَادُ فِي تَوْجِيهِ حَيَاتِهِمَا.

حَمَلَ آخِرَ عَلَى قَلْبِهِ، كَانَ أَبَاهُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ مُنْذُ ٣٠ سَنَةٍ. بَدَأَ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فَعَثَرَ عَلَى آيَةٍ فِي مَزْمُورٍ ١٢٨: ٨ "الرَّبُّ يَحَامِي عَنِّي. يَا رَبُّ، رَحْمَتُكَ إِلَى الْأَبَدِ. عَنْ أَعْمَالٍ يَدِيكَ لَا تَتَخَلَّ". فَكَانَتْ صَلَاتُهُ لِأَجْلِ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ بَسِيطَةً حَيْثُ قَالَ: "يَا اللَّهُ، أَرْجُوكَ أَنْ تُرْسِلَ أَحَدَ لِيُشَارِكَ مَعَهُمْ أَخْبَارَ الْإِنْجِيلِ السَّارَّةِ". أَرَادَ الْأَبُ أَنْ يَخْتَبِرَ أَحِبَّاءَهُ نَفْسَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَغْفَرَةِ الَّتِي اخْتَبَرَهَا هُوَ مِنْ خِلَالِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

بَدَأَتْ صَلَوَاتُهُ تَعْمَلُ بِبُطْءٍ فِي حَيَاةِ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ. كَانَتْ ثِمَارُ الرُّوحِ مِنْ مَحَبَّةٍ فَرَحٍ وَوِدَاعَةٍ تَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ رِسَائِلِهِ وَمَكَالِمَاتِهِ التِّلْفُونِيَّةِ وَزِيَارَتِهِمْ لَهُ. وَنَتِيجَةً لِسُلُوكِهِ الْحَسَنِ، تَمَّ الْإِفْرَاجُ عَنْهُ فِي غُضُونِ ٥ سَنَوَاتٍ. كَانَ لِلَّهِ خِطَّةٌ لِحَيَاتِهِ حَيْثُ سَمَحَ لَهُ أَنْ يَزُورَ السُّجْنَاءَ وَيُشَارِكَ إِيْمَانَهُ مَعَهُمْ. فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، بَدَأَتْ الْمَتَاعِبُ تَبْرُزُ فِي حَيَاةِ الابْنِ، حَيْثُ انْفَصَلَ عَنْ زَوْجَتِهِ وَوَجَّهَ صَعُوبَاتٍ مَالِيَّةٍ وَهُوَ يَخْدُمُ فِي الْبَحْرِيَّةِ.

وَفِي يَأْسِهِ، اتَّصَلَ بِوَالِدِهِ طَالِبًا مِنْهُ الْعَوْنُ كَيْ يُرْسِدَهُ أَيْنَ يَجِدُ السَّلَامَ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ. قَرَأَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا الْأَبُ، لَكِنَّ الْأُمُورَ اِزْدَادَتْ سُوءًا. وَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحَرْبِ، كَانَ الْأَبُ بَانْتَظَارِهِ حَيْثُ عَاشَا مَعًا وَاسْتَخْدَمَهُ اللَّهُ لِيُشَارِكَ مَعَهُ بِبَشَارَةِ الْإِنْجِيلِ. أَمَّا الْأَبُ الَّذِي لَمْ يَرَهُ مُنْذُ ٣٠ سَنَةٍ، فَقَدْ التَّقَى بِهِ وَتَصَافَتِ الْقُلُوبُ مَعًا مِنْ جَدِيدٍ. عَزِيزِي، إِذَا كُنْتَ بِحَاجَةٍ لِاخْتِبَارِ تَجْدِيدٍ، فَالْزَمِ يَسُوعَ يَفْتَحْ ذِرَاعِيهِ طَالِبًا مِنْكَ قُبُولَ دَعْوَتِهِ. تَعَالِ إِلَيْهِ وَانْعَمْ بِسَلَامِهِ دَوْمًا آمِينَ.

الفصل الخامس

أيار "مايو"

صانع المعجزات



أَظْهَرَ مَجْدَهُ فَأَمَّنَ بِهِ تَلَامِيذَهُ

"وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَأَمَّنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ." (يوحنا ٢: ١١)

دُعِيَ يسوع وأمه وتلاميذه إلى عُرْسٍ أَحَدِ الْأَقْرَبَاءِ. تَمَّ الاحتفال بالعُرْسِ في قانا الجليل، بعد أن دعا يسوع فيلبس وثناييل ليكونا من تلاميذه. ويُخْبِرُنَا إنجيل يوحنا ٢: ٢١ أَنَّ قانا الجليل كانت مَوْطِنَ ثَنَائِيل. لَاحَظْتُ الْمُبَارَكَةَ مَرْيَمَ أُمَّ يَسُوعَ أَنَّ الْخَمْرَ قَدْ قَرَعَتْ، فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا حَدَثَ، قَامَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِأَوَّلِ مُعْجَزَةٍ مِنْ أَصْلِ ٧ مُعْجَزَاتٍ يَذْكُرُهَا الْبَشِيرُ يُوْحَنَّا بِتَحْوِيلِ الْمُخْلِصِ الْمَاءِ إِلَى خَمْرٍ بِنَاءٍ عَلَى طَلَبِ أُمِّهِ. لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَا عَدَا مَرْيَمَ أُمَّ يَسُوعَ وَالْخُدَّامُ الَّذِينَ مَلَأُوا الْجِرَارَ بِالْمَاءِ أَصْلَ هَذِهِ الْخَمْرِ.

يبدأ الحبيب يوحنا الإصحاح الثاني "وفي اليوم الثالث كان عُرْسٌ في قانا بمنطقة الجليل". يُشِيرُ اليوم الثالث إلى قِيَامَةِ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَيُؤَكِّدُ الطَّبِيعَةَ الرَّمْزِيَّةَ لِهَذِهِ الْمُعْجَزَةِ. أَمَّا رَمَزُ الْعُرْسِ فَيُشِيرُ إِلَى بَدَايَةِ الْعَهْدِ الْمَسِيَانِيِّ لظُهُورِ الْمَسِيحِ. تَظْهَرُ هَذِهِ الصُّورَةُ بِوُضُوحٍ فِي سِفْرِ إِشْعِيَاء ٦٢: ١٩ وَ ٤٠: ٥ "لَأنَّ الرَّبَّ يُسَرُّ بِكَ، وَأَرْضُكَ تَصِيرُ ذَاتَ بَعْلٍ. لِأَنَّهُ كَمَا يَتَزَوَّجُ الشَّابُّ عَذْرَاءً، يَتَزَوَّجُكَ بَنُوكَ. وَكَفَّرَحَ الْعَرِيسُ بِالْعُرُوسِ يَفْرَحُ بِكَ إِلَهِي". نَجِدُ فِي الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ الزَّوْجِيَّةَ تَرْمُزُ إِلَى الْإِتِّحَادِ الْحُبِّيِّ الْمُقَدَّسِ الْكَائِنِ بَيْنَ الْمَسِيحِ وَشَعْبِهِ. فِي رُؤْيَا ١٩: ٧ يَقُولُ الرَّائِي يُوْحَنَّا "لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ! لِأَنَّ عُرْسَ الْخُرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَأَمْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا". هُنِيئًا لِلْمَدْعُوبِينَ إِلَى عِشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ.

فَلَمَّا نَفَذَتِ الْخَمْرُ. قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: "لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ خَمْرٌ!" فَاجَابَهَا: "مَا شَأْنُكَ بِي يَا امْرَأَةٌ؟ سَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بَعْدُ!". لَمْ يَكُنْ جَوَابُ يَسُوعَ لَأُمِّهِ يُعَبِّرُ عَنْ أَيِّ فَتُورٍ أَوْ خَشُونَةٍ، بَلْ كَانَ فِي وَفَاقٍ مَعَ عَادَاتِ الشَّرْقِيِّينَ، إِذْ كَانَ يُوجِّهُ إِلَى مَنْ يُقْصَدُ تَوْقِيرُهُمْ وَاحْتِرَامُهُمْ. لَقَدْ أَظْهَرَ نَفْسَ الْمَحَبَّةِ وَالاحْتِرَامِ لَأُمِّهِ عَلَى الصَّلِيبِ عِنْدَمَا أَوْكَلَ لِتَلْمِيذِهِ يُوْحَنَّا أَمْرَ الْإِعْتِنَاءِ بِالْمُبَارَكَةِ مَرْيَمَ.

وَلَا عَجَبَ فَالْمَسِيحُ أَعْطَى الْوَصِيَّةَ الْخَامِسَةَ مِنَ الْوَصَايَا الْعَشْرِ الَّتِي تُنصُّ عَلَى إِكْرَامِ الْآبِ وَالْأُمِّ. فَلِكِي يُكْرِمِ ثِقَةَ أُمِّهِ الْكَامِلَةَ فِيهِ، وَلِكِي يُقَوِّيَ إِيمَانَهُ تَلَامِيذَهُ، أَجْرَى يَسُوعَ مُعْجَزَتَهُ الْأُولَى.

فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَكَلَّمَ فِيهَا الْمَسِيحُ عَنْ "سَاعَتِهِ" كَانَ يُشِيرُ إِلَى زَمَنِ مَوْتِهِ الْفَاقِدِيِّ عَلَى الصَّلِيبِ وَالَّذِي يَشْكَلُ إِرْسَالِيَّةَ حَيَاتِهِ الْعُظْمَى (يُوْحَنَّا ١٢: ٢٧؛ ١٣: ١). فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، كَانَتِ الْخَمْرُ رَمْزًا لِلْفَرَحِ الْآتِيِّ وَالْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ مَعَ الْمَسِيحِ الَّتِي سَيُعْطِيهَا لِشَعْبِهِ عِنْدَ مَجِيئِهِ. عِنْدَمَا قَالَ الْمَسِيحُ أَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَأْتِ بَعْدَ، فَقَدْ كَانَ يَتَنَبَّأُ عَنِ الْخَمْرِ الرَّمْزِيِّ أَوْ فَرَحِ مَلَكُوتِ اللَّهِ الْآتِيِّ. إِنَّ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ حَيَاةِ الْمَسِيحِ عَلَى الْأَرْضِ كَانَ أَتِمَامًا لِتَدْبِيرِ اللَّهِ الْمَرْسُومِ مُنْذُ دُهورِ الْأَزَلِّ.

"إِنْ هَبَ الْمَسِيحُ لَوْلِيمةِ الْعُرْسِ كَانَتْ رَمْزًا، فَالْمَاءُ يَرْمِزُ إِلَى الْمَعْمُودِيَّةِ لِمَوْتِهِ، أَمَّا الْخَمْرُ فَتَرْمِزُ إِلَى سَفَكِ

دَمِهِ لِأَجْلِ خَطَايَا الْعَالَمِ. وَالْمَاءُ الَّذِي مُلِئَتْ بِهِ الْأَجْرَانِ أَتَتْ بِهِ أَيْدٍ بَشَرِيَّةٍ، وَلَكِنْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ وَحْدَهَا

أَعْطَتْهُ قُوَّةَ مُحْيِيَةٍ. وَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطُّقُوسِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى مَوْتِ الْمُخْلِصِ، فَبِقُوَّةِ الْمَسِيحِ وَحْدَهَا

الْعَامِلَةِ بِالْإِيمَانِ تَكُونُ فِيهَا قُوَّةٌ وَفَاعِلِيَّةٌ لِتَغْذِيَةِ النَّفْسِ" (روح النبوة، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ١٢٨).

نَرَى الْأَخْبَارَ الْمُفْرَحَةَ فِيمَا قَالَهُ رَئِيسُ الْمُتَكَأِ إِنَّ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ قُدِّمَتْ فِيمَا بَعْدَ أَيِّ مَا عَنَاهُ هُوَ أَنَّ عَرِيسَ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ هُوَ الْمَسِيحُ نَفْسَهُ، الَّذِي بظهوره أَظْهَرَ مَجْدَهُ حَيْثُ آمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ. وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَكْتَمِلُ فَرَحُنَا بِعُودَةِ رَبَّنَا يَسُوعَ حَيْثُ نَتَهَلَّلُ قَائِلِينَ "عَرِيسُنَا جَائِي يَا خُذْنَا لِلدِّيارِ السَّمَاوِيَّةِ" أَمْلِي أَنْ نَلْتَقِيَ هُنَاكَ عَنْ قَرِيبٍ.

أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا؟!

"فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: "أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيَّاحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعًا تُطِيعُهُ!" (متى ٨: ٢٧)

عاش تلاميذ السيد المسيح على مدى خدمته الأرضية جواً من الدهشة والإعجاب بشخصه الكريم. فبعد يوم حافل من المعجزات والتعليم، دَخَلَ يسوع السفينة وتبعه تلاميذه ليعبروا بحر الجليل. وإذ شعر المُخَلَّص بالتعب، نام في مكانٍ يَصْعُبُ فيه النوم على قارب يتمايل مع أمواج البحيرة. يبلغ طول بحيرة الجليل حوالي ٢١ كيلومتر وعرضها ١٢ كيلومتر، كما شهدت شواطئها الكثير من معجزات ربِّ المجد.

نرى في هذه المعجزة عاصفتان: واحدة على سطح بحيرة طبريا والثانية في قلوب وعقول تلاميذ المسيح. يقول البشير متى ٨: ٢٣ و ٢٤ "وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ تَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ. وَإِذَا اضْطَرَّابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الْأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، وَكَانَ هُوَ نَائِمًا". كان بحر الجليل معروفاً بعواصفه المفاجئة العنيفة. شدة هذه العاصفة كانت واضحة لأن التلاميذ اضطربوا (رغم أن الكثير منهم كانوا صيادين متمرسين بهذا البحر بالذات). وفيما هم سائرون نام: حقيقة أنه كان بحاجة إلى النوم تبهرنا، وتبين طبيعته كإنسان.

كان يحتاج لقسط من الراحة عندما شعر بالتعب، وكان يفعل ذلك عندما تسنح له الفرصة حتى في الأماكن غير المتوقعة. ويكتب لاهوتي يدعى "بروس" "كان نومه نوم شخصٍ مُنهَكٍ من زخمِ الحياة التي تُجهدُ الجسمَ والعقل". نتعجب من أنه كان قادراً على النوم وسط العاصفة.

ولكنه استطاع ذلك لأنه كان يتمتع بسلام تام وثقة كبيرة في محبة ورعاية أبيه السماوي. اشتدت العاصفة حتى كادت المياه أن تبتلع القارب. فأسرع التلاميذ إليه يوقظونه قائلين: "يا سيد نَجِّنَا! إِنَّا نَهْلِكُ!" (متى ٨: ٢٥).

فقال لهم يسوع: "لماذا أنتم خائفون، يا قليلي الإيمان؟". إذ نهض يسوع، لم يكن أول عمل قام به هو تخليصهم من العاصفة، بل سألهم لماذا هم خائفين وأين إيمانهم؟ كان قصده أن على التلاميذ أن يملكوا يقين أكبر بقدرته على خلاصهم ولا داعي لهم للخوف. وعندما تبعوه كان عليهم أن يثقوا به. لم ينزعج يسوع من العاصفة، بل انزعج من قلة إيمان تلاميذه. نكون أحياناً مثل هؤلاء التلاميذ ونصرخ "يا ربُّ أَلَا يَهْمُكُ أَنَّ نَهْلِكُ؟" ونضع آمالنا وأحلامنا في أمور أرضية لنجد أن سفينتنا تغرق. كم من المرات نشعر بالتوتر والقلق حيال مطالب الرب؟ ووسط العاصفة نتصور أن كل شيء على وشك الانهيار. وحينها سنسمعه يقول: "أَيْنَ إِيمَانُكُمْ؟" إلى أين وَلِمَنْ سَنَلْتَجأ لَطَلْبِ الإنقاذ؟ آمِن أن يسوع قادر أن ينتشلك بيمينه من أمواج الضيق ويمنحك سلامه.

"ثُمَّ نَهَضَ وَزَجَرَ الرِّيَّاحَ وَالْبَحْرَ، فَسَادَ هُدُوءٌ تَامٌ". شئنا أم أبينا ستكون عواصف في حياتنا، بعضاً من العواصف تكون بتخطيط من الله مثل التلاميذ في القارب، أي أن بعض العواصف تأتي من العصيان وبعضها من الطاعة. فَخَافُوا وَتَعَجَّبُوا: كَانَ يَجِبُ عَلَى الْبَحْرِ الْهَادئِ أَنْ يَمْلَأَهُمُ السَّلَامُ، وَلَكِنْ كَانَ خَوْفُهُمْ بَعْدَ الْعَاصِفَةِ مُشَابِهاً لِلَّذِي كَانَ خِلالَ الْعَاصِفَةِ. كَانَ رَدُّ فِعْلِ التَّلَامِيذِ الْخَوْفِ أَكْثَرَ مِنَ التَّعَجُّبِ، فَقَالُوا "أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا!".

هو حتماً الرب، الذي يملك كل السلطان والقوة: "يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ، مَنْ مِثْلُكَ؟ قَوِيٌّ، رَبُّ، وَحَقُّكَ مِنْ حَوْلِكَ. أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا" (مز ٨٩: ٨-٩). أصاب التلاميذ الدهول، وهذا السلطان القوي على الخليفة جعلهم يتساءلون: "مَنْ هُوَ هَذَا؟".

عزيزي، يعتقد بعض المؤمنين أن قاربهم سيغرق متناسين أن من له سلطان على الرياح والبحر معهم على القارب. أين إيمانك وسط أحداث الأيام الأخيرة التي نعيش فيها؟ يسوع صاحب كل سلطان في السماء وعلى الأرض، هو عن يمينك وقادر أن يرفع يده المباركة ويقول لأمواج حياتك ومخاوفك أن تهدأ. فيا رئيس السلام ازرع سلامك في حياتي، وأعطني أن أراك في مجدك أيها القادر على كل شيء آمين.

على كَلِمَتِكَ أَلْقِي الشَّبَكَةَ

"ابْعُدْ إِلَى الْعُمُقِ وَأَلْقُوا شَبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ." (لوقا ٥ : ٤)

جاءت الجُمُوع بأعداد كبيرة لسماع كلمة الله من الرب يسوع الذي كان واقفاً عند بُحيرة جنيسارت أي بحر الجليل. رأى هناك سفينتين والصيدادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك. فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان بطرس وسأله أن يُبْعِدَ قليلاً عن البر. ثم جلس وصار يعلم الجُمُوع من السفينة. وبعد أن أنهى عظته قال لسمعان "ابْعُدْ إِلَى الْعُمُقِ وَأَلْقُوا شَبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ".

"فَأَجَابَ سَمْعَانُ وَقَالَ لَهُ: "يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعَبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئاً. وَلَكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أَلْقِي الشَّبَكَةَ" (لوقا ٥ : ٥). ظَنَّ بَطْرُسُ أَنَّهُ سَيَفْشَلُ كَمَا كَانَ حَالُهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ. لَمْ يَفْهَمْ بَطْرُسُ تَمَاماً قُوَّةَ اللَّهِ فِي يَسُوعَ، إِذْ مَا زَالَ فِي بَدَايَةِ عَهْدِهِ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى قُوَّةِ الْخَالِقِ عِنْدَمَا يَأْمُرُ مَخْلُوقَاتِهِ.

حَاوَلَ بَطْرُسُ أَنْ يُوْضِحَ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَنَّ أَنْسَبَ وَقْتٍ لَصَيْدِ السَّمَكِ هُوَ اللَّيْلُ، وَكَوْنَهُ مَعَ بَعْضِ الرِّفَاقِ صَيَادُونَ مُحْتَرِفُونَ، قَدْ تَعَبُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ يَصْطَادُوا شَيْئاً. رَائِعَ أَنْتَ رَبِّي فِي تَعَالِيمِكَ وَمُعْجَزَاتِكَ، وَلَكِنْ مَهْنَتُنَا نَحْنُ هِيَ الصَّيْدِ الْيَوْمِي لِكَسْبِ قُوتِ عَائِلَتِنَا. كَأَنِّي بِبَطْرُسٍ قَدْ نَشِيَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى اللَّهِ. اسْتَدْرَكَ نَفْسَهُ وَقَالَ لِلْمُخْلِصِ "وَلَكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أَلْقِي الشَّبَكَةَ". هَذِهِ هِيَ مُعْجَزَةٌ فِيهَا مَعَانٍ كَثِيرَةٌ. "عَلَى كَلِمَتِكَ أَلْقِي الشَّبَكَةَ".

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَرَحَلَةِ الطَّاعَةِ لِلْكَلِمَةِ، حَتَّى لَوْ كَانَ بَدُونَ قَنَاعَةٍ كَامِلَةٍ. فَطَاعَةُ الْكَلِمَةِ تُدْخِلُنَا إِلَى مَرَحَلَةِ الطَّاعَةِ الْكَامِلَةِ وَالْقَنَاعَةِ الْكَامِلَةِ. مَا أَجْمَلَ أَنْ تَكُونَ أُمُورَ حَيَاتِنَا كُلِّهَا مَبْنِيَةً عَلَى كَلِمَةِ رَبِّنَا. "عَلَى كَلِمَتِكَ أَلْقِي الشَّبَكَةَ". عَلَى كَلِمَتِكَ أَيِ بَضْمَانٍ مِنْهَا. فَكُلُّ شَخْصٍ يُرِيدُ رَبَّنَا أَنْ يُوْجِهَ حَيَاتَهُ لَطَرِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ فَيَقُولُ "عَلَى كَلِمَتِكَ أَلْقِي الشَّبَكَةَ". تَعَبْتُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، حَاوَلْتُ بِفِكْرِي وَطَرِيقَتِي الْخَاصَّةِ، وَبِذَكَائِي، لَكِنِّي فَشَلْتُ. وَالْآنَ أَتَّكِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى كَلِمَتِكَ أَقُومُ بِمَا تَطْلُبُهُ مِنِّي. قَدْ جَرَّبْتُ مِنْ قَبْلُ مُسَاعَدَةَ شَخْصٍ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ عَادَةِ التَّدْخِينِ أَوْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَفَشَلْتُ. أَوْ صَلَّيْتُ مِنْ أَجْلِ عَوْدَةِ أَحَدِ أَحِبَّاءِكَ إِلَى الرَّبِّ تَائِباً وَلَمْ تَنْجَحْ مُحَاوَلَتُكَ. أَوْ عَجَزْتُ عَنِ التَّفَاهُظِ مَعَ ابْنِكَ الْمَرَاهِقِ وَكَسَبِ مَحَبَّتِهِ. هَلْ سَتَقُولُ لِلرَّبِّ تَعَبْتُ وَلَمْ أَنْجَحْ، تَمَسَّكَ عَزِيزِي بِمَوَاعِيدِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَقُلْ لَهُ: "وَلَكِنِّي عَلَى كَلِمَتِكَ سَأُحَاوِلُ مِنْ جَدِيدٍ؟". وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ، سَتَرَى الْمَسِيحَ يُحَقِّقُ لَكَ وَلِمَنْ تُصَلِّي مِنْ أَجْلِهِمْ أَشْيَاءَ لَمْ تَحَقِّقْ مِنْ قَبْلُ.

طَرَحَ بَطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ الشَّبَاكَ إِلَى الْبَحْرِ، وَصَادُوا سَمَكاً كَثِيراً جَدّاً، حَتَّى تَخَرَّقَتْ شَبَاكُهُمْ. فَطَلَبُوا مُسَاعَدَةَ شُرَكَائِهِمْ فِي الْقَارِبِ الْآخَرِ وَهُمْ زَبَدِي وَابْنَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا كَي يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتُوا، وَمَلَأُوا الْقَارِبَيْنِ كِلَيْهِمَا حَتَّى كَادَا يَغْرَقَانِ. كَانَ تَأْثِيرُ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ عَظِيماً عَلَى بَطْرُسَ "حَيْثُ رَأَى فِيهَا إِظْهَاراً لِقُدْرَةِ اللَّهِ".

"لَقَدْ رَأَى فِي يَسُوعَ شَخْصاً تَحَكَّمَ فِي الطَّبِيعَةِ وَسَيَّطَرَ عَلَيْهَا. فَاحْسَاسُهُ بِأَنَّهُ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ كَشَفَ لَهُ عَنْ نَجَاسَتِهِ. ثُمَّ أَنَّ حُبَّهُ لِمُعَلِّمِهِ وَخَجَلَهُ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِ وَشُكْرِهِ لِلْمَسِيحِ عَلَى تَنَازُلِهِ، وَفَوْقَ الْكُلِّ إِحْسَاسُهُ بِنَجَاسَتِهِ! فِي حَضْرَةِ الطَّهَارَةِ الْكَامِلَةِ- كُلُّ ذَلِكَ غَمْرَ قَلْبِهِ. وَإِذَا كَانَ رِفَاقُهُ يَجْمَعُونَ السَّمَكَ مِنَ الشَّبَكَةِ، سَقَطَ بَطْرُسُ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ وَصَرَخَ قَائِلاً: "أُخْرِجْ مِنْ قَارِبِي يَا رَبُّ لِأَنِّي إِنْسَانٌ خَاطِئٌ" (روح النبوة، مُسْتَهْيِ الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٢٢٠).

لَمْ يَخْرُجْ يَسُوعُ مِنْ سَفِينَةِ بَطْرُسَ، بَلْ قَالَ لَهُ "لَا تَخَفْ". وَأكَّدَ لَهُ أَنَّهُ مِنَ الْآنَ وَصَاعِداً "سَيَكُونُ صَائِداً لِلنَّاسِ لِمُلْكُوتِ اللَّهِ". هَلْ تَشْعُرُ عَزِيزِي مِثْلَ بَطْرُسَ أَنَّكَ لَسْتَ جَيِّداً لَتَكُونَ فِي حَضْرَةِ يَسُوعَ؟ لَيْسَ يَسُوعُ فَقَطْ حِكْمَةً، بَلْ هُوَ أَيْضاً مَحَبَّةً. لَا يَتَوَقَّعُ مِنْكَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً كَي تَكُونَ تَابِعاً لَهُ، تَعَالَى إِلَيْهِ كَمَا أَنْتَ خَاطِئٌ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى نِعْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ. وَتَمَتَّعَ بِسَلَامِهِ الَّذِي يَفُوقُ الْوَصْفَ وَالْإِدْرَاكَ. هَنِيئاً لَكَ فِي كَامِلِ ثِقَتِكَ بِرَبِّ الْمَجْدِ.

طلبوا إليه أن يرحل عن ديارهم

"فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: "إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا، فَأَذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ".

(متى ٨: ٣١)

أبحر يسوع وتلاميذه من شاطئ بحر الجليل بالقرب من كفرناحوم، إلى الجانب الآخر لمنطقة الجرجسيين في الجانب الجنوبي الشرقي لبحر الجليل ليستريح مع تلاميذه بعيداً عن الجموع. كان ذلك المكان معروفاً بمنطقة المدن العشرة حيث يسكنها الأمم. وإذ ترك يسوع القارب، وصل إلى منطقة بين القبور يسكنها رجُلان مسكونان منذُ زمان طويل بالأرواح الشريرة واقتربا منه. كانا هائجان جداً وزرعا الخوف في القلوب بحيث لم يكن أحدٌ يقدر أن يجتاز من تلك الطريق. كانت القبور أماكن نجسة من قبل بني إسرائيل.

للشر قوة هائلة في عالم اليوم من الصعب القضاء عليها. رغم أن يسوع واجه مقاومة منها، إلا أنه انتصر عليها في النهاية. أطلب معونتك ربّي يسوع كي لا أستسلم في صراعي مع الشر من حولي. نرى في هذه القصة صورة واضحة لحنان السيد المسيح لأناس مثلنا، وسيعمل جاهداً لتحريرنا من هذه الأرواح الشريرة.

لكلمات ربّ المجد يسوع قوة هائلة، قادرة على قهر مجموعة من الشياطين. نرى الشر من حولنا وحتى في قلوبنا. زدّ إلهي إيماننا لنبتق قريبين من يسوع كي لا نخاف من الشرير أو العالم بفضل قوته العاملة فينا.

يتابع البشير متى سرد أحداث هذه المعجزة فقال: "وفجأة صرّخا قائلين: "ما شأنك بنا يا يسوع ابن الله؟ أجيئت إلى هنا قبل الأوان لتعذبنا؟" وكان قطع كبير من الخنازير يركب على مسافة منهما. فقالت الشياطين ليسوع: "إِنْ كُنْتَ سَتَطْرُدُنَا، فَأَرْسِلْنَا إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ" فقال لهم: "اذهبوا!" فخرجوا وانتقلوا إلى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ، فاندفع القطيع مسرعاً من على حافة الجبل إلى البحيرة، ومات فيها غرقاً" (متى ٨: ٢٩ - ٣١).

كان لقب ابن الله يُشير إلى كونه ملكاً ممسوحاً تربطه علاقة وثيقة مع الله، ومسؤوليته كابن لله أن يستلم العرش ويحكم باسم الله ولمجده. اعترفت الشياطين بالوهية المسيح وأنهم سيهلكون على يده في انقضاء الدهر. في الوقت ذاته، طلبوا منه أن يتركهم وشأنهم، ونفس الطلب كان على لسان كل المدينة بأن يرحل عن ديارهم. فضّلوا أن يبقوا في آلامهم، بدلاً من قوة المسيح بينهم. هل أطلب لتفشي حُرّيّة داخلية لأسمح ليسوع بالدخول لحياتي؟

مع أن يسوع قد خلّصهم من الأرواح الشريرة التي أدخلت الرعب إلى منطقتهم، وبدلاً من أن يشكروه، طلبوا منه أن يرحل عن تخومهم. لم يستطيعوا أن يتعاملوا مع القوة الإلهية، فسألوه أن يتركهم وشأنهم. لقد سبّب شفاء المسكونين بالشياطين خسارة أهل المدينة لقطع كبير من الخنازير، فكروا بما خسروه من مال، بدلاً من الأبدية، لكن يسوع حقق انتصاراً على الشر وأثبت ألوهيته من جديد.

قد نعرف ربّ ونختبر نعمته، ومع ذلك، نطلب منه أن يتركنا وشأننا، وقد نسمح له بالدخول إلى قلوبنا في ساعة العبادة فقط. سؤالي لك عزيزي، هل تطلب من فاديك أن يتركك، أم تفتح له قلبك ليدخل إليه مالئاً حياتك بالبركة والسّلام؟ ذهب يسوع إلى منطقة مليئة بالقبور وخطر بحياته ليحرر أسيرين قيدتهما الشياطين وكانا بحاجة لمساعدته، لكنه واجههما وانتصر. إنه إله الناس بمختلف أجناسهم، وكان قصد حياته أن يعمل مشيئة الأب السماوي، ويشفي كل ضعف في الشعب، ويحرر الناس من سلطان الظلمة.

يا لها من صورة رائعة لمسيحنا المبارك في إنقاذه لنا. رغم أن أحد اللذين شفاهما رفضه، والآخر آمن به، كما رفضه أهل تلك المنطقة، لأنه اعتراهم خوف عظيم، إلا أن يسوع أعظم من كونه إنساناً، هو ابن الله حتى بشهادة الشياطين.

عزيزي، مهما كان انشغالك بأمور هذه الحياة بحيث لن تجد الوقت لتقصيه مع يسوع، لن يفرض المسيح نفسه على أحد، لكنه واقف على باب قلبك طالباً الدخول. لقد غفر لك خطاياك، وقدم لك الدعوة لتقضي معه الأبدية عن قريب. هنيئاً لك في قبولك المسيح ربّاً ومخلصاً لحياتك اليوم، وطيلة أجيال الأبدية. آمين.

تَشَجَّعُوا. أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا.

"فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا: "تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا. (متى ١٤: ٢٧)

بعد أن أطمع السيد المسيح الخمسة آلاف نسمة وأرادوا أن يُصبّوه ملكاً، ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع. أما يسوع فذهب إلى الجبل ليصلي وحده في الليل، بينما كان تلاميذه في السفينة، وقع اضطراب في البحيرة، إذ هاج البحر من ريح عظيمة.

وكانت السفينة مُعَذَّبة من الأمواج لأنّ الريح كانت مُضادة، لم يكن التلاميذ قد نسوا ما عمله المسيح في النوء قبل هذا الوقت بنحو نصف سنة، ولكنه كان وقتها معهم في السفينة. أما الآن فيخيفهم غيابه - فهل ظنوا يا ترى أن الذي يشفي العليل بكلمة، وعن بُعد، يستطيع أن يحفظ ويُعطي السلامة عن بُعد أيضاً؟

كان الصباح يلوح في الأفق، بينما ظلّ التلاميذ يُصارعون الأمواج دون أن يتمكنوا من الوصول إلى الجانب الآخر من البحيرة. عرف العليم بكلّ شيء مرارة صراعهم مع الأمواج وهو في مخدع الصلاة الهادئ على الجبل، فهبّ مُسرّعاً لنجاتهم من تلك العاصفة. نزل من الجبل ومشى على سطح البحيرة وفوق الأمواج كأنها اليابسة. إنه الكلمة "الذي كلّ شيء به كان" (يوحنا ١: ٣). أما البار أيوب فوصفه قائلاً: "الباسط السماوات وحده والمأشي على أعالي البحر" (أيوب ٩: ٨).

تصف كاتبه مُلهمة حال التلاميذ وسط العاصفة بهذه الكلمات: "أما يسوع فلم ينسهم. إن ذلك الرقيب الواقف على الشاطئ رأى أولئك الرجال المذعورين وهم يُصارعون تلك العاصفة الهائلة. إن تلاميذه لم يغيّبوا عن نظره لحظة واحدة. فكما تُراقب الأم طفلها الصغير في حنان وحب، كذلك كان السيد الرحيم يراقب تلاميذه.

وإذ أسرع يسوع لنجدتهم، ظنوه خيالاً يُنذر بهلاكهم فمن الخوف صرخوا، فتقدّم يسوع سائراً إلى الأمام كأنما يريد أن يتجاوزهم، ولكنهم إذ عرفوه صرخوا إليه في طلب العون. وهنا يلتفت إليهم معلمهم المحبوب وبصوته الرقيق يُسكّن مخاوفهم قائلاً لهم: "تَشَجَّعُوا أَنَا هُوَ لَا تَخَافُوا" (روح النبوة، مُشتهى الأجيال ٣٥٤).

ولا زال هذا الصوت الحنون المشجع، يُسمع حينما يُوجد مؤمن مُضطرب من جراء هُوم ومخاوف الحياة. ولا سيما متى كان انزعاجه نتيجة لِثقل خطاياه ومخاوف الابتعاد الأبدي عن الله. تمنى بطرس أن يتشبه بسيدته في المشي على الماء، فصرخ: "يا سيد إن كنت أنت هو، فمُرني أن آتي إليك على الماء". قال له المسيح "تعال". نجح بطرس في أول الأمر لأنه نزل من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى المسيح.

لما كان فكره ونظره متجهين إلى المسيح لم يكن خائفاً، لكن نجاحه أدّى إلى فشله، لأنه ابتدأ يفكر بذاته ويفتخر بعمل لم يسبقه إليه أحد، فحوّل فكره ونظره من المسيح إلى نفسه، فابتدأت الأمواج الهائجة تُرعبه، وحالاً أخذ يغرق، فصرخ: "يا رب نَجِّنِي". ففي الحال مدّ المسيح يده وأمسك به ونشله. ثم وبّخه بقوله: "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟". صدّق فيه كلام داود النبي: "تَشَلَّنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ" (مزمور ١٨: ١٦)..

. تبين لنا مُعجزة مشي يسوع على الماء وتهدئته للريح سُلطانه على عناصر الكون. أما عبارة "أنا هو" فهي عبارة تعارف بين يسوع وتلاميذه، يعودُ مصدرها الأساسي إلى ظهور الله لموسى في سيناء مُعرِّفاً عن اسمه قائلاً: "أنا هو الذي هو". (خروج ٣: ١٤). ولما دخل السفينة سكنت الريح وصار هُدوء وسجدوا جميعاً قائلين "بالحقيقة أنت ابن الله".

الله المُخلّص، حاضر معنا في أوقات الضيق قائلاً "أنا هو لا تخافوا" مهما عصفت رياح الشرّ ضدنا، نستطيع أن نصرخ مع بطرس "يا رب نَجِّنِي". هذه دعوة الله بطريقة شخصية لك عزيزي، ابق قلبك مفتوحاً على الرجاء بيسوع الحاضر معك وسط صعوبات الحياة، والرب يقويك لمجده.

نوال الطلب بإيمان

"وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ." (متى ٢١: ٢٢)

في إنجيل لوقا ١٣: ٦-٩ عَلمَ يسوع مَثَل شَجَرَةِ التين المغروسة في الكرْم. أتى صاحب الحقل - الَّذِي يَرْمُزُ إِلَى اللَّهِ فِي المَثَل - يَطْلُبُ فِيهَا ثَمراً وَلَمْ يَجِد. فَقَالَ للكَرَّام - الَّذِي يَرْمُزُ للمسيح - هَذَا ثَلَاثَ سَنِينَ أَتَى أَطْلُبُ ثَمراً فِي هَذِهِ التينة وَلَمْ أَجِدْ أَقْطَعُهَا. فَأَجَابَ أَتْرُكُهَا هَذِهِ السَّنةَ أَيْضاً حَتَّى أَتَقْبَّ حَوْلَهَا وَأَضَعُ زَبْلاً. فَإِنْ صَنَعْتَ ثَمراً وَإِلَّا ففِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا". كَانَتْ الشَّجَرَةُ تَرْمُزُ إِلَى خَاصَتِهِ الَّذِينَ جَاءَ إِلَيْهِمْ وَرَفُضُوهُ كَمَا تَرْمُزُ أَيْضاً إِلَيْنَا. هُنَاكَ ارْتِبَاطٌ بَيْنَ هَذَا المَثَلِ وَبَيْنَ شَجَرَةِ التين العَدِيمَةِ الثمر التي لَعَنَهَا المسيح، كَمَا وَرَدَتْ فِي إنجيل متى ٢١: ١٨-٢٢ بَعْدَ أَنْ طَهَّرَ السَيِّدُ المسيح الهَيْكَلَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، بَاتَ فِي بَيْتِ عَنِيَا، وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ جَاعَ. فَتَطَّرَ شَجَرَةُ تين وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا إِلَّا وَرَقاً فَقَطَّ.

بَدَتْ الشَّجَرَةُ مُتَقَدِّمَةً عَلَى كُلِّ الأشجار وَمُكْتَسِيَةً بِالوَرَقِ الَّذِي يُبَشِّرُ بِوُجُودِ الثمار الناضجة، لَكِنَّ مَظْهَرَهَا كَانَ خَادِعاً. وَقَدْ لَعَنَهَا المسيح لَعْنَةً يَبْسُتُهَا إِذْ قَالَ: "لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمراً بَعْدَ إِلَى الأَبَدِ. وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ" (مَرْقَس ١١: ١٤). وَفِي صَبِيحَةِ اليَوْمِ التَّالِيِ إِذْ كَانَ المَخْلَصُ وَتَلَامِيذُهُ سَائِرِينَ مَرَّةً أُخْرَى فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى المَدِينَةِ اجْتَذَبَتْ أَنْظَارَهُمُ الأَغْصَانُ المَضْرُوبَةُ والأوراق اليابسة. فَقَالَ بطرسُ: "يَا سَيِّدِي، انْظُرْ التينةَ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبْسَتْ!". بَدَأَ هَذَا التَّصَرُّفُ غَيْرَ مألُوفاً حِينَ لَعَنَ يسوع تِلْكَ التينة. جَاءَ ابْنُ الإنسانِ لِيُخَلِّصَ وَيُبَارِكَ، وَلَا يُسِرُّ اللَّهُ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ. وَلَا عَجَبُ أَنْ سَمَّى إِشْعِيَاءُ ٢٨: ٢١ عَمَلَ الهَلَاكِ بـ "فَعَلَ اللَّهُ العَرِيبَ". لَكِنَّهُ يَكْشِفُ لِلنَّاسِ عَنْ نَتَائِجِ حَيَاةِ الخَطِيئَةِ. تَوْضُحُ كَاتِبَةِ مُلْهَمَةٍ مَا قَامَ بِهِ المسيح بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ "لَقَدْ أَقْبَلَ يسوعُ عَلَى شَجَرَةِ التين وَهُوَ جَائِعٌ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا ثَمراً. وَكَذَلِكَ قَدْ أَتَى إِلَى إِسْرَائِيلَ وَهُوَ جَائِعٌ وَتَاتَقَ لِأَن يَجِدَ فِيهِمْ ثَمَارَ البِرِّ. لَقَدْ أَغْدَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَيْضِ هِبَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يُثْمِرُونَ ثَمراً بِهِ يُبَارَكُونَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، كَمَا أُعْطِيتْ لَهُمْ كُلُّ الفُرْصِ والامْتِيَازَاتِ.

وَفِي مُقَابَلِ ذَلِكَ، كَانَ الرَّبُّ يَنْتَظِرُ مِنْهُمْ أَنْ يَبْدُوا عَظْفَهُمْ عَلَى عَمَلِ نِعْمَتِهِ وَتَعَاوَنَهُ مَعَهُ فِيهِ. كَانَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَرَى فِيهِمْ صِفَاتِ التَّضْحِيَةِ والرَّافَةِ والغَيْرَةِ لِلَّهِ وَالْحَنِينِ القَلْبِيِّ العميقِ لِخَلَاصِ بَنِي جِنْسِهِمْ. فَلَوْ حَفَظُوا شَرِيعَةَ اللَّهِ، لَكَانُوا قَدْ عَمِلُوا نَفْسَ عَمَلِ المسيح الخَالِي مِنَ الأنَانِيَّةِ. وَلَكِنْ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَمَحَبَّةُ النَّاسِ طَغَتَ عَلَيْهِمَا الكِبَرِيَاءُ والاكْتِفَاءُ الذَّاتِي. لَقَدْ جَلَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ الوَيْلَ والدمارَ لكونهم رَفُضُوا خِدْمَةَ الآخَرِينَ. وَلَمْ يُشْرِكُوا الْعَالَمَ مَعَهُمْ فِي اقْتِنَاءِ كُنُوزِ الحَقِّ الَّتِي أودَعَهَا اللَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" (روح النبوة، مُشْتَهَى الأجيال، صَفْحَةُ ٥٤٨).

بَعْدَ أَنْ رَأَى التَّلَامِيذُ كَيْفَ يَبْسَتْ التينةُ فِي الحَالِ تَعَجَّبُوا، فَأَجَابَهُمُ يسوعُ: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلَا تَشْكُونُ، فَلَا تَفْعَلُونَ أَمْرَ التينة فَقَطْ، بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الجَبَلِ: انْتَقِلْ وَأَنْطَرِحْ فِي البَحْرِ فَيَكُونُ. وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ". (مَتَّى ٢١: ٢١ و٢٢). أُعْطِيَ الرَّبُّ يسوعُ فِي جَوَابِهِ دَرْساً فِي القُوَّةِ الكَامِنَةِ فِي الإِيمَانِ، كَمَا أَكَّدَ أَنَّ الإِيمَانَ بَدُونَ شَكٍّ لَهُ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ مَصْدَرُهَا اللَّهُ. وَالصَّلَاةُ المُنْسَجِمَةُ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ تُسْتَجَابُ، بِحَيْثُ تَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ أَكْبَرُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِيُنْجِزُوا عَمَلَ اللَّهِ مُسْتَقْبَلاً.

لِنَتَذَكَّرْ أَعْزَائِي، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الخَالِقُ وَنَحْنُ نَبْقَى أَبْنَاءَهُ وَبَنَاتِهِ بالإِيمَانِ فِيهِ. وَيَشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ لَنَا إِيمَانٌ لِنُسْتَجَابَ صَلَوَاتُنَا بِحَسَبِ مَشِيتِهِ. لِنَكُنْ لَنَا الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَقُوَّتُهُ لِإِتِمَامِ قَصْدِهِ فِي الْعَالَمِ وَفِي حَيَاتِنَا. لَقَدْ حَكَمَتِ الأُمَّةُ عَلَى نَفْسِهَا بِالْهَلَاكِ. سَيُقَدِّمُ لَنَا النُّورَ والرَّحْمَةَ، وَلَكِنْ إِذْ نَسْتَخِفُّ بِهَا سَيُحَكِّمُ عَلَيْنَا بِنَفْسِ الدِّينُونَةِ. يَسْكُبُ المسيح الدُّمُوعَ الغَزِيرَةَ لِأَجْلِكَ، وَالْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ، فَلَا تُقَشِّي قَلْبَكَ وَاقْبَلْ إِنْذَارَهُ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ. رَبِّي، قُوِّي إِيمَانِي فِي مَحَبَّتِكَ وَعَظِيمِ تَضَحِيَّتِكَ مِنْ أَجْلِي، لِأَكُونَ مِنْ مُوَاطِنِي مَلَكُوتِكَ عَنْ قَرِيبٍ.

يسوع أعظم مُعْجَزَة

"فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا." (متى ١٣: ١٧)

نرى في إنجيل متى ١٣ تسعة أمثال نطق بها الرب يسوع مما أثار سؤال لدى تلاميذه فسأله "لماذا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثال؟". أوضح يسوع لهم بأنهم قد أعطوا أن يعرفوا أسرار ملكوت السماوات لا سيما أن يسوع هو المسيح ابن الله. أما الشعب ورؤساء الكهنة فتتطبق عليهم نبوءة إشعياء النبي ٦: ٩-١٠ "سمعا تسمعون ولا تفهمون، ونظرا تنظرون ولا تبصرون". ووجه الكلام لتلاميذه، ولنا بالإيمان: "طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ما أنتم تبصرون، ولأذانكم لأنها تسمع. كم من أنبياء وملوك وأبرار تمنوا أن يروا ما أنتم ترون ويسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا؟". مثل "إبراهيم، ويعقوب وداود وسليمان" الذين عاشوا المواعيد بانتظار تحقيقها.

فالمُعْجَزَات التي أجراها المسيح تُظهر سُلْطَانَهُ في ميادين كثيرة، مثل سُلْطَانَهُ على الطبيعة وعلى الأمراض وعلى الشياطين وعلى الموت. وكانت هذه المعجزات تحقيقاً للنبوات عن المسيح في العهد القديم. وقد كتب الكثير من اللاهوتيين من ديانات مُخْتَلَفَةٍ عن مُعْجَزَاتِ رَبِّ الْمَجْدِ المسيح وتأثيرها على كافة المُستويات. فقال "بول ليتل" "كان للمسيح سلطان عظيم على الطبيعة، لا يمكن أن يكون إلا لله خالق قوى الطبيعة". ويقول "كلايف لويس" في كتابه المُعْجَزَات: "ستبقى كل أساسيات الديانات الأخرى لو نزعَت الجانب المُعْجَزِي منها. ولكنك لا تقدر أن تفعل هذا مع المسيحية، فإنها قصة المسيح، المعجزة العظيمة".

رافقت المُعْجَزَات خروج بني إسرائيل من مصر قديماً، وأُعْطِيَ النَّامُوسُ بالمُعْجَزَات، وصاحبت رسائل الأنبياء المعجزات، ويُتابع "برنارد رام" قائلاً "وجاء المسيح، لا واعظاً فقط، بل صانع معجزات أيضاً، وهكذا كان الرسل يصنعون معجزات. لقد برهنت المعجزات صدق الرسالة". ويمضي "فيليب شاف" ليقول: "كانت كُلُّ معجزات يسوع مظهراً لشخصه، فأجراها كُلُّها ببساطة كأعمال عادية يعملها كُلُّ يوم. وقد دفعه إلى عملها كُلُّها أطر الدوافع، لمجد الله ولخير الناس. إنها معجزات محبة ورحمة، عامرة بالتوجيهات والتعاليم المتسقة مع شخصيته ورسالته".

ويقول "جارفي": "تتفق المعجزات تماماً مع شخصية المسيح ورسالته، فهي ليست دليلاً خارجياً، بل هي جزء لا يتجزأ من إعلان محبة الأب السماوي ورحمته ونعمته في المسيح يسوع ابن الله الحبيب وفادي البشر الحنون الكريم". أما "ف. تشيز" فيؤكد قائلاً: "تذكر كل الأناجيل بمعجزات المسيح، لكن لو جمعناها معاً لاكتشفنا فيها وحدة غير مرسومة، ولوجدنا أنها تُجَدِّد كُلَّ نواحي حياة الإنسان، ليستعيد سلامه العقلي والروحي والجسدي".

ولا تعرض الأناجيل معجزات المسيح لتُظهر قُوَّتَهُ أو عظمتَهُ، ولو أنها فعلت ذلك لظهرت غير طبيعية. إنها تعبير عن محبته ورحمته للناس. كانت شخصية المسيح وما زالت حتى اليوم مُختلفة تمام الاختلاف عن أي شخصية وُجِدَتْ في هذا العالم. فهو شخصٌ مُحَيَّرٌ لِكُلِّ مُعَاَصِرِيهِ، فقد كان عظيماً في ميلاده من مريم العذراء، ورأى فيه رؤساء الكهنة شخصاً فوق مستوى الإنسان، وله سلطان يفوق كل طاقات البشر، ورأت فيه الجموع "النبي الذي من الناصرة".

ولكنه كان في نظر الجميع، يتكلم ويعمل بسلطان "لأن كلامه كان بسلطان". (لوقا ٤: ٣٢ و ٣٦). "لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج" وكانت تعاليمه تُذهل الجموع "وشهدوا له قائلين" لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان". (يوحنا ٧: ٤٦). وكان "الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه" (لوقا ٤: ٢٢). هذا هو المسيح الأجيال مُخلِّصُكَ وفاديك، سَلِّمْ له قلبك واقبله مُخلِّصاً لحياتك.

طعامنا الروحي

"الرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئًا. الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمَكُم بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحْيَاةٌ."

(يوحنا ٦: ٦٣)

يُعتَبَرُ الطعامُ عُنْصُرًا هامًا للصِّحَّةِ الجَسَدِيَّةِ، إذ بدونه يَضَعُفُ الجِسْمُ ولا يَعْمَلُ بِطَرِيقَةٍ سَلِيمَةٍ. لِذَلِكَ يَهْتَمُّ النَّاسُ بِأَجْسَادِهِمْ مِنْ خِلَالِ الْأَكْلِ الصَّحِيِّ، وَتَنَاوُلِ عُنَاوِرِ غِذَائِيَّةٍ جَيِّدَةٍ لَا لِكَيْ يَحْيُوا فَقَطْ، بَلْ لِتَنْتَعِشَ صِحَّتُهُمْ. يَنْطَبِقُ نَفْسُ هَذَا الْمَبْدَأِ عَلَى الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ أَيْضًا. يَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُ بِالْمَسِيحِ إِلَى غِذَاءٍ رُوحِيٍّ مُلَائِمٍ كَيْ يَنْتَعِشَ رُوحِيًّا فِي عِلَاقَتِهِ بِاللَّهِ. فَالْتَّغْذِيَةُ الرُّوحِيَّةُ بِانْتِظَامٍ هَامَّةٌ جَدًّا لِحَيَاةِ الْمَسِيحِيِّ، مِثْلَمَا الْغِذَاءُ الْجَسَدِيُّ لِلْجِسْمِ.

رَكَزَ الرَّبُّ يَسُوعُ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْغِذَاءِ الرُّوحِيِّ عِنْدَمَا أَجَابَ الشَّيْطَانَ عَلَى تَجَرِبَتِهِ الْأُولَى بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ" (متى ٤: ٤). الْإِنْسَانُ: جَسَدِيٌّ وَرُوحِيٌّ مَعًا، لِذَا فَالطَّعَامُ الرُّوحِيُّ بِذَاتِ الْأَهْمِيَّةِ مِثْلَ الْغِذَاءِ الْجَسَدِيِّ. الطَّعَامُ الرُّوحِيُّ هُوَ "كُلُّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ". وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ خِلَالِ كَلِمَتِهِ الَّتِي تَمْنَحُ الْحَيَاةَ. يَتَكَلَّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْغِذَاءِ الرُّوحِيِّ الَّذِي نَحْتَاجُهُ: وَيُسَمِّيهِ بَطْرُسُ "الْلَبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغَشَّ" (١ بطرس ٢: ٢).

وَالْخُبْزُ عَلَى لِسَانِ مُوسَى فِي (تثنية ٨: ٣)، أَمَّا صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ فَيَقُولُ فِي مَزْمُورِ ١١٩: ١٠٣ "مَا أَحْلَى قَوْلُكَ لِحَنِّكَ! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لَفْمِي". تَذَوَّقُ النَّبِيُّ إِرْمِيَاءُ ١٥: ١٦ حَلَاوَةَ كَلِمَةِ اللَّهِ فَقَالَ "وَجِدَ كَلَامُكَ فَأَكَلْتُهُ، فَكَانَ كَلَامُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي، لِأَنِّي دُعَيْتُ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ".

تُوضِّحُ الْأَسْفَارُ الْمُقَدَّسَةُ تَشْبِيهَ كَلَامِ اللَّهِ بِالطَّعَامِ الرُّوحِيِّ، لَا لِنَدْرُسِهِ أَوْ نَقْرَأَهُ فَقَطْ، بَلْ لِتَتَأَمَّلَ فِي مَعْنَاهُ بَحِيثٌ يُصْبِحُ مَصْدَرُ فَرْحِنَا كَمَا قَالَ دَاوُدُ "لَكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا" (مزمور ١: ٢). يُعْطِي هَذَا التَّبَايُنُ بَيْنَ الْغِذَاءِ الْجَسَدِيِّ وَالرُّوحِيِّ وَضُوحًا لِقَوْلِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَأْكُلَ جَسَدَهُ وَنَشْرَبَ دَمَهُ.

الْمَعْنَى هُنَا كَمَا شَرَحَهُ يَسُوعُ أَنَّ حَاجَةَ الْعَالَمِ الْمَاسَّةَ لَيْسَتْ إِلَى الطَّعَامِ الْجَسَدِيِّ، بَلْ إِلَى الْخُبْزِ الرُّوحِيِّ. وَلَا عَجَبَ أَنْ عَرَفَ الْمُخَلِّصُ نَفْسَهُ بِالْخُبْزِ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْإِصْحَاحِ السَّادِسِ ٤٩: ٥١

يُفَارِنُ يَسُوعُ نَفْسَهُ بِالْمَنْ الَّذِي أَكَلَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَيَقُولُ: "أَبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنْ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَمُوتَ". مِثْلَ الْمَنْ، نَزَلَ يَسُوعُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِثْلَ الْمَنْ، مَنَحَ الْحَيَاةَ. وَوَجْهُ الْاِخْتِلَافِ هُوَ أَنَّ الَّذِينَ أَكَلُوا الْمَنْ مَاتُوا، أَمَّا الْحَيَاةُ الَّتِي يُعْطِيهَا الْمَسِيحُ فَتَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، يَكُونُ يَسُوعُ أَعْظَمَ مِنْ مُوسَى.

فِي الْبَدْءِ عَيَّنَ اللَّهُ طَعَامَ الْإِنْسَانِ إِذْ قَالَ: "إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُنْزَرُ بَزْرًا وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرٌ شَجَرٌ يُنْزَرُ بَزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا" (تكوين ١: ٢٩). يَسُوعُ هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ، وَقَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نُصَلِّيَ قَائِلِينَ: "خُبْزَنَا كَفَافًا أَعْطِنَا الْيَوْمَ". لَا شَيْءَ أَهَمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَغْذِيَةِ أَرْوَاحِهِمْ يَوْمِيًّا مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ كَيْ يَنْمُو رُوحِيًّا.

وَكَمَا قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ". يُوضِّحُ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي أَفْسُسِ ٤: ١٥ وَأَنْ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَكُونَ فِيمَا بَعْدَ "أَطْفَالًا مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ، بَلْ صَادِقِينَ نَمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ الْمَسِيحُ".

يَتَكُونُ نُضُوجُنَا الرُّوحِيُّ مِنْ عِلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ مَعَ اللَّهِ، وَالتَّأَمُّلِ الْيَوْمِيِّ بِكَلِمَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالشَّرَكَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالسَّعْيِ لَعِيشِ حَيَاةٍ تَقِيَّةٍ. لِيُسَاعِدَنَا رَبُّ الْمَجْدِ أَنْ نَتَغَذَّى بِكَلِمَتِهِ دَائِمًا، وَعَنْ طَرِيقِ تَغْذِيَةِ عَقُولِنَا وَقُلُوبِنَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، يَزْدَادُ إِيْمَانُنَا الرَّاسِخُ عَلَى صَخَرِ الدَّهْوَرِ يَسُوعَ، وَنَخْدُمُهُ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَنُحْبُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ.

يَا إِلَهِي، سَاعِدْنِي أَنْ أَعِيشَ رُوحِيًّا بِحَسَبِ مَا تَعَلَّمْتُهِ كَلِمَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ، وَبُوحِي مِنْ رُوحِكَ الْقُدُّوسِ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَرَاكَ ثَانِيَةً آتِيًّا عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. لَكَ الشُّكْرُ وَالْمَجْدُ وَالْحَمْدُ أَبَدَ الدَّهْوَرِ يَا رَبِّي أَلْبَار.

أَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا

"فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا." (مرقس ٦: ٤٢)

بعد رحلة كرازية لتلاميذ المسيح في إنجيل مرقس ٦ حيث أخبروه بما عملوه وعلموه، قال لهم المُخَلِّص "تعالوا إلى مكان خال واستريحوا قليلاً". فَذَهَبَ يسوع مَعَهُمْ في القارب، وَقَبْلَ أَنْ يَصِلُوا للشاطئ، كانت جُمُوع كبيرة قد جاءت سيراً على الأقدام من كُلِّ المَدُن بانتظارهم حيث كان عيد الفصح قريباً.

نزل يسوع وتلاميذه من القارب، وعندما رأى الجُمُوع، امتلأ قلبه عطفاً وحناناً عليهم "لأنَّهُ كانوا كَعَنَمَ لا راعي لها". أَخَذَ المُعَلِّمُ الأعظم يُعَلِّمُهُمْ أموراً كثيرة. كانوا في حضرة المسيح يسمعون كلمات النعمة التي كلمهم بها، فَلَمْ يشْعُرُوا بِمُرُورِ الوقت أو بحاجتهم للأكل.

مضى جزء كبير من النهار، فجاء إليه تلاميذه وقالوا "المكان مُقْفَر، والنَّهَارُ كَادَ يَنْقُضِي، فاصْرَفِ الْجَمْعَ ليذهبوا إلى القرى المجاورة ويشتروا لهم طعاماً". فَأَجَابَهُمْ "لا حاجةَ لهم أن يذهبوا أعطوهم أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا". ثُمَّ التَفَتَ إلى فيلبس وسأله: "مِنْ أَيْنَ نَشْتَرِي خُبْزاً لِيَأْكُلَ هؤلاء؟". قَالَ يسوع هذا ليمتحن إيمان ذلك التلميذ. رأى فيلبس استحالة هذا الأمر حتى لو اشتروا طعاماً بمئتي دينار فَلَئِنْ يكفي لإطعام ٥٠٠٠ رَجُلٍ ما عدا النساء والأطفال.

فسألهم: "كَمْ رَغِيفاً عِنْدَكُمْ؟ اذْهَبُوا وَاَنْظُرُوا" فَأَجَابَ اندراؤُس قائلاً: "هنا وَلَدٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أرغفةٍ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ صَغِيرَتَانِ. ولكن ما هذه لِمِثْلِ هذا الْجَمْعِ الكبير؟".

كما نرى، فإيمان أندراوس لم يختلف كثيراً عن إيمان فيلبس الذي - رغم المعجزات - لم يبلغ إلى مُستوى التجربة. فالحسابات العقلية هي ضد الإيمان، والإيمان بشخص المسيح يتجاوز حُدود العقل والمنطق، وإلَّا لا يكون إيماناً. وفي قصد الرب، وهو مزمع أن يصنع آيته العظيمة أمام تلاميذه، أن يُنْهَضَ إيمانهم ليروا بأعينهم قدرته التي ستُسَانِدُهُمْ في مستقبل الأيام عندما يبدأوا كرازتهم للعالم كُلِّهِ.

فَقَالَ يسوع: "أَجْلِسُوهُمْ!" وكان هناك عُشْبٌ كثيرٌ، فجلسوا" (يوحنا ٦: ٨ - ١٠). طَلَبَ يسوع أن يجلس النَّاسُ مئة مئة وخمسين خمسين حفظاً للنظام، وليرى الجميع ما هُوَ مَزْمَعٌ أن يصنع. "فَأَخَذَ الأَرْغَفَةَ الخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ، ثُمَّ كَسَرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ لِيَقْدُمُوا لِلْجَمْعِ". (لوقا ٩: ١٦). "فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسْرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَفَّةً مَمْلُوءَةً، وَمِنَ السَّمَكِ" (مرقس ٦: ٤٢ و ٤٣).

في النهاية قال الرب لتلاميذه: "اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء"، فرفعوا منها "اثنتي عشرة قفة مملوءة" (متى ١٤: ٢٠؛ مرقس ٦: ٤٣). والرب قصد أن نقبل ونقدّر كل عطايه، كثيرها وقليلها. والمهتم بالكسر سوف يعتني بالطبع بما هو كامل وكثير. كما أن الكسر الصغيرة لما اجتمعت معاً ملأت اثنتي عشرة قفة. "فالأمين في القليل يُقيمه الله على الكثير" (متى ٢٥: ٢١، ٢٣).

وبقايا الطعام ليست تافهة فهي قد تسدُّ جوع محتاج. معجزة إشباع الجُمُوع تكرّرت مرتين متتاليتين: في الأولى: أَشْبَعَ الرَّبُّ خمسة آلاف رَجُلٍ عدا النساء والأولاد من خمسة أرغفة وسمكتين (متى ١٤: ١٤-٢١؛ مرقس ٦: ٣٠-٤٤؛ لوقا ٩: ١٠-١٧؛ يوحنا ٦: ٥-١٤)؛ وفي الثانية: أَشْبَعَ أربعة آلاف رَجُلٍ عدا النساء والأولاد من سبعة أرغفة وبعض صغار السمك (متى ١٥: ٣٢-٣٨؛ مرقس ٨: ١-٩).

يتابع البشير يوحنا ٦: ١٤ قائلاً: "فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يسوع قَالُوا: "إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الَّاتِي إِلَى الْعَالَمِ!". عِلِمَ يسوع أَنَّهُمْ عَلَى وَشَكِّ أَنْ يَخْتِطِفُوهُ لِيُقِيمُوهُ مُلْكاً، فَعَادَ إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ. لَمْ يَأْتِ يسوع لِيُقِيمِ مُلْكاً عَلَى الْأَرْضِ، بَلْ لِيَمُوتَ عَنَّا وَيَدْفَعَ قِصَاصَ خَطَايَانَا. يَا مَصْدَرُ كُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ أَعْطِنِي أَنْ أَعْتَمِدَ عَلَيْكَ لِسَدِّ احتياجاتي الرُّوحِيَّةِ والجسديَّةِ كما باركتُ الجُمُوعَ بفيض بركاتك. آمين.

يسوع خبز الحياة

"أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا." (يوحنا ٦: ٣٥)

بعد أن أطعم يسوع الخمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة وسمكتين، أرادوا تنصيبه ملكاً، لكنه أرسل تلاميذه في السفينة وذهب إلى جبل ليصلي. في اليوم التالي، سعى في طلب يسوع إلى أن وجدوه، حيث سأله "يا معلم متى صرت هنا". أجابه يسوع وقال "الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آياتي، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم" (يوحنا ٦: ٢٥ و٢٦).

ثم نصحه أن لا يسعوا نحو الطعام الفاني، بل الطعام الباقي إلى الأبد. وبعد أن ذكروا أن موسى قد أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا، أكد لهم السيد المسيح أن الأب السماوي هو الذي أعطاهم الخبز الحقيقي من السماء، ولما طلبوا هذا الخبز أجابه يسوع "أنا هو خبز الحياة. مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا".

نظراً لأهمية الرب يسوع لحياتنا وخلصنا، نستخدم كلمة الله أسماء عديدة له مثل: الخبز الحقيقي، الخبز النازل من السماء، خبز الله، خبز الحياة: الذي يعطي الحياة ويحفظها ويغذيها، والخبز الحي: أي أن المسيح له حياة في ذاته. قد نتساءل لماذا سمى يسوع نفسه "خبز الحياة"؟

١- لأن الخبز هو طعام ضروري للحياة: وهكذا بدون المسيح يهلك الإنسان إلى الأبد. ٢- الخبز هو طعام مناسب للجميع: يوجد بعض الناس لا يأكلون الحلوى، والبعض الآخر لا يأكل اللحم؛ لكن الكل يأكل الخبز. إنه طعام الأغنياء والفقراء. هكذا المسيح يقابل كل احتياجات البشر المختلفة.

٣- الخبز هو طعام يومي: لا يؤكل في فصول معينة من السنة؛ بل هو لازم للحياة اليومية. وهكذا فالمسيح هو طعامنا اليومي لكي نتغذى عليه.

٤- الخبز هو طعام مشبع: وهكذا إذا ذهبنا بعيداً عن المسيح نختر الجوع مثل الابن الضال (لوقا ١٥). ٥- الخبز يدخل في حياتنا: فبعد هضمه يتحول إلى خلايا في أجسادنا. هكذا المسيح، بالإيمان يصير هو حياتنا.

٦- المراحل التي يمر بها الخبز قبل أن نأكله: فهو ينمو سنابل قمح، تقطع وتدرس وتطحن إلى طحين، ثم تدخل إلى النار لتصير خبزاً. والمسيح قطع من أرض الأحياء وسر الله أن يسحقه بالحرز، واجتاز نيران عدالة الله عندما أخذ مكاناً فوق الصليب مُحْتَمَلاً دينونة خطايانا، وبذلك أصبح خبزاً مناسباً لحياتنا الروحية.

٧- الخبز طعام شخصي: فلا يمكن أن يأكل أحد الخبز بدل الآخر، كل واحد يأخذ طعام نفسه. الرب يسوع المسيح هو خبز حياتنا، وقوت يومي لأرواحنا. فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة. لقد وضع جسده على الصليب لكي يكون هو الذبيحة الحقيقية عن كل خاطئ أثيم، فهو المَن الذي نزل من السماء لكي يشبع العطاش إلى البر، وهو الخبز السماوي التي أتى من لدن عرش الله مباشرة لكي يمنح الحياة لكل من يطلبه بالتوبة والإيمان. إن المسيح لم يقدم لنا طعاماً مادياً كالذي قدمه للجموع والذي كان مكوناً من خبز وسمك. لكنه قدم لنا جسده، الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي " هذا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، الخبز الذي يهب حياة أبدية لكل من يأكله، إن أكل أحد هذا الخبز يحيا إلى الأبد".

إن المسيح يقدم نفسه لكل إنسان. سواء كان غنياً أم فقيراً، متعلماً أم جاهلاً، رجلاً أم امرأة، خاطئاً أم متديناً. رغيف الخبز يشبع الجائع لساعات قليلة يشعر بعدها بالجوع مرة أخرى، لكن يسوع، خبز الحياة، يشبع النفس إلى الأبد، فلا تعود فريسة للجوع والحرمان والهلاك الأبدي. ربي، يا خبز الحياة، أشبع نفسي وروحي بفيض بركاتك، وأعطني أن أغذي نفسي بكلام الحياة الخبز النازل من السماء الوهاب الحياة للجميع. أردد كلماتك "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم". كي أعيش لمجدك أبد الدهور. لك الحمد والمجد يا إلهي وفادي القدوس. آمين.

يسوع في تواضعه

"لَأَنِّي أُعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا." (يوحنا ١٣: ١٥)

أَحَبَّ الرَّبِّ يَسُوعُ أَنْ يَقْضِيَ آخِرَ فَصْحٍ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَكَانَ عَالِمًا أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ حَانَتْ لِيَرْحَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ. يَضَعُنَا الرَّسُولُ يُوْحَنَّا فِي بَدَايَةِ إِصْحَاحِ ١٣ مِنْ إِنْجِيلِهِ فِي أَحْدَاثِ الْعِشَاءِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: "فَإِذَا كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمُ الْآنَ أَقْصَى الْمَحَبَّةِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ وَضَعَ فِي قَلْبِ يَهُوذَا أَنْ يَخُونَ يَسُوعَ وَيُسَلِّمَهُ لِلْمَوْتِ".

كَانَ الْمُخْلِصُ تَحْتَ ظِلِّ الصَّليبِ وَالْأَلَمِ يَعْتَصِرُ قَلْبَهُ خَاصَّةً، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَمُرُّ بِهِ تَلَامِيذُهُ مِنْ غَيْرَةِ وَحَسَدٍ نَظَرًا لَطَلَبِ يَعْقُوبَ وَيُوْحَنَّا لِمَرَكَزٍ عَنْ يَمِينِ وَيسارِ الْمَسِيحِ فِي مَلَكُوتِهِ. فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُشَاجَرَةٌ "مَنْ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ" (لوقا ٢٢: ٢٤).

كَانَتْ الْعَادَةُ فِي الْأَعْيَادِ أَنْ يَتَوَلَّى الْخَدَمَ غَسَلَ أَرْجُلَ الصُّيُوفِ. وَإِذَا أَعَدَّ التَّلَامِيذُ كُلَّ شَيْءٍ لِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، بِمَا فِيهِ الْمَغْسَلُ وَالطَّسْتُ وَالْمِنْشَقَةُ لِخِدْمَةِ غَسْلِ الْأَرْجُلِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ خَادِمٌ. كَانَ عَلَى التَّلَامِيذِ أَنْ يَقُومُوا بِتِلْكَ الْخِدْمَةِ، لَكِنَّ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ وَالْكِبَرِيَاءَ الذَّائِيَّةَ مَنَعَتْهُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِعَمَلِ الْخَادِمِ. أَنْتَظَرُ يَسُوعَ بَعْضَ الْوَقْتِ لِيرَى مَاذَا سَيَفْعَلُ تَلَامِيذُهُ.

يُتَابِعُ يُوْحَنَّا ١٣: ٤ وَهُوَ سَرَدَ مَا حَدَثَ فَيَقُولُ: "يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَقَةً وَأَتَزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَقَةِ الَّتِي كَانَ مُتَزَرًا بِهَا".

مَا قَامَ بِهِ يَسُوعَ، فَتَحَّ أَعْيُنُ التَّلَامِيذِ وَامْتَلَأَتْ نَفُوسُهُمْ حُزْنًا وَفَهِمُوا التَّوْبِيخَ الَّذِي لَمْ يَنْطِقْ بِهِ مُعَلِّمُهُمْ وَرَأَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي نُورٍ جَدِيدٍ تَمَامًا. وَتُتَابِعُ رُوحُ النُّبُوَّةِ فِي كِتَابِهَا مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ صَفْحَةَ ٦١١ وَصَفَ مَوْقِفَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ فَتَقُولُ: "وَهَكَذَا عَبَّرَ الْمَسِيحُ عَنْ حُبِّهِ لِتَلَامِيذِهِ. لَقَدْ مَلَأَتْهُ أُنَانِيَّتُهُمْ وَكِبَرِيَاؤُهُمْ حُزْنًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ

يَشْتَبِكُ مَعَهُمْ فِي جِدَالٍ فِيمَا يَخْتَصُّ بِمُشْكَلَتِهِمْ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ قَدَّمَ لَهُمْ مِثَالًا لَمْ يَنْسُوهُ طِيلَةَ حَيَاتِهِمْ قَطُّ. إِنَّ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ لَمْ تَكُنْ لَتَتَأَثَّرَ أَوْ تَنْطَفِئَ. لَقَدْ عَرَفَ أَنَّ الْآبَ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي. كَانَ عِنْدَهُ إِحْسَاسٌ كَامِلٌ بِأَلُوْهِتِهِ، وَلَكِنَّهُ خَلَعَ عَنْهُ تَاجَ الْمُلْكِ وَثِيَابَ الْمُلْكِ وَأَخَذَ صُورَةَ عَبْدٍ. لَقَدْ كَانَ بَيْنَ آخِرِ أَعْمَالِهِ الَّتِي قَامَ بِهَا عَلَى الْأَرْضِ أَنَّهُ تَمَنَّى كَعَبْدٍ وَقَامَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ"

كَانَ الرَّبُّ يَسُوعُ وَاعِيًا وَمَتَّقًا لِقِيَمَةِ الْوَقْتِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ فِي عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ، وَلِكُلِّ وَقْتٍ آخَرَ. حَيْثُ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ حَانَتْ. يُؤَلِّدُ الْوَقْتُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ اهْتِمَامًا لِمَشِيئَةِ اللَّهِ. وَعَمَلُ الْمُخْلِصِ فِي أَيَّامِ تَجَسُّدِهِ عَلَى إِتِمَامِ مَشِيئَةِ اللَّهِ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالْوَقْتِ بِشَكْلٍ تَامٍ. وَكَانَ يَسُوعُ عَالِمًا أَنَّ الْآبَ قَدْ جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ، مَعَ ذَلِكَ، تَوَاضَعَ وَغَسَلَ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ.

فَالرَّبُّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ كَانَ وَسِيْقَى إِلَى الْأَبَدِ مِثَالَنَا الْأَعْظَمُ فِي الْحَيَاةِ. فَهَلْ نَنْشَبُّهُ بِالرَّبِّ فِي حَيَاتِنَا، وَنَخْدِمُ النَّاسَ كَمَا خَدَمَهُمُ الرَّبُّ؟ غَسَلَ يَسُوعُ كُلَّ حَقْدٍ وَتَعَصَّبَ مِنْ قَلْبٍ تَلَامِيذَهُ عِنْدَمَا غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ. وَبَدَأَ بِغَسْلِ رَجُلِي يَهُوذَا الْخَائِنَ أَوَّلًا. بَعْدَمَا غَسَلَ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ، قَالَ لَهُمْ: "أُعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا". جَعَلَ الْمَسِيحُ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ فَرِيضَةً تَوَاضَعُ تَسْبِقُ فَرِيضَةَ الْعِشَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ. إِنَّ يَسُوعَ الَّذِي كَانَ سَيِّدًا يَخْدُمُهُ الْجَمِيعُ، أَتَى لِيَكُونَ خَادِمًا لِلْجَمِيعِ. وَعَنْ قَرِيبٍ، فَسَيَخْدُمُهُ الْجَمِيعُ ثَانِيَةً وَيُكْرِمُونَهُ. هُنَيْئًا لَنَا إِذَا نُشَارِكُ فِي صِفَاتِهِ الْإِلَهِيَّةِ، وَنَعِيشُ فِي فَرْحِ خِدْمَةِ الْآخَرِينَ. لِنَتَمَثَّلَ بِسَيِّدِنَا الْمَسِيحِ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ الْمُضْحِيَّةِ، لِيَكُونَ لَنَا فَرْحٌ لُقْيَاهُ إِذَا يَعُودُ لِيَأْخُذَنَا إِلَى الْأَمْجَادِ السَّمَاوِيَّةِ بِصُحْبَةِ الْمَغْدِينِ أَبَدَ الدَّهُورِ. آمِينَ.

اصنعوا هذا لذكري

"وَأَخَذَ خُبْرًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: "هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِدُكْرِي." (لوقا ٢٢: ١٩)

يعني الفصح في العهد القديم ذكرى خروج بني إسرائيل من عبودية المصريين على يد موسى. طَلَبَ الله مِنْهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا خَرْوْفًا صَحِيحًا ذَكَرًا ابْنِ سَنَةٍ وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي بَيْوتِهِمْ. وَإِذْ رَأَى الْمَلَكُ الْمُهِلِكَ الدَّمَ كَانَ يَغْبُرُ عَنِ الْبَيْوتِ فِي طَرِيقِهِ لِقَتْلِ أَبْكَارِ الْمَصْرِيِّينَ.

وقد جاءت كلمة "فصح" لتعني عبور الملك ونجاة شعب الله قديماً من العبودية. يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ مَشْوِيًّا عَلَى أَعْشَابٍ مُرَّةً يَأْكُلُونَهُ وَفَطِيرًا حَيْثُ يَعْزَلُونَ الْخَمِيرَ مِنْ بَيْوتِهِمْ عَلَى عَجَلٍ قَبْلَ رَحِيلِهِمْ عَنْ مِصْرَ. وَأَوْصَاهُمُ الرَّبُّ فِي خُرُوجِ ١٢: ١٤ "وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمَ تَذْكَارًا فَتُعِيدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعِيدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً".

تُذَكِّرُ فَرِيضَةُ الْعِشَاءِ الرَّبَّانِي فِي الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةَ عِنْدَمَا أَكَلَ يَسُوعُ وَجَبَتُهُ الْأَخِيرَةَ مَعَ تَلَامِيذِهِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي سَبَقَتْ تَسْلِيمَهُ عَلَى يَدِ يَهُوذَا. فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لَعِيدِ الْفَصْحِ، أَرْسَلَ يَسُوعُ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ هُمَا بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا بِتَعْلِيمَاتٍ مُحَدَّدَةٍ لِلْغَايَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِإِعْدَادِ وَجِبَةِ عِيدِ الْفَصْحِ.

كَانَ عَلَى الْمَائِدَةِ أَرْغَفَةٌ خُبْزِ الْفَطِيرِ الَّذِي كَانَ يُؤْكَلُ فِي عِيدِ الْفَصْحِ، إِلَى جَانِبِ عَصِيرِ الْعَنْبِ غَيْرِ الْمُخْتَمَرِ. فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ، جَلَسَ يَسُوعُ عَلَى الطَّائِلَةِ مَعَ الرُّسُلِ لِأَكْلِ وَجِبَتِهِ الْأَخِيرَةِ قَبْلَ ذَهَابِهِ إِلَى الصَّلِيبِ. لَقَدْ أُعْطِيَتْ فَرِيضَةُ عِشَاءِ الرَّبِّ تَذْكَارًا لِلْخَلَّاصِ الْعَظِيمِ الَّذِي تَمَّ بِمَوْتِ الْمَسِيحِ. وَسَتُحْفَظُ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ إِلَى يَوْمِ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً.

"وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْرًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: "خُذُوا كُلُّوْا، هَذَا هُوَ جَسَدِي. ثُمَّ أَخَذَ الْكَاسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرَبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: "هَذَا هُوَ دَمِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ" (مرقس ١٤: ٢٢-٢٤). هَكَذَا نَرَى أَنَّ يَسُوعَ وَضَعَ أَمَامَ تَلَامِيذِهِ رَمَازَيْنِ: رَمَازَ الْخُبْزِ، وَرَمَازَ الْكَاسِ.

فَالْخُبْزُ، الَّذِي كَسَرَهُ يَسُوعُ وَأَعْطَاهُ لَتَلَامِيذِهِ، كَانَ يَرْمِزُ إِلَى جَسَدِهِ الَّذِي كَانَ سَيَبْذُلُهُ كَذَبِيحَةٍ. أَمَّا الْكَاسُ الْمَمْلُوءَةُ بِعَصِيرِ الْعَنْبِ، فَكَانَتْ تَرْمِزُ إِلَى دَمِ يَسُوعَ الْمَخْلُصِ الَّذِي سَفَكَهُ عَلَى الصَّلِيبِ؛ لِيُدْفَعَ دَيْنَ خَطِيئَةِ نَسْلِ آدَمَ، كَيْ مَا يَعِيشُونَ فِي مُحَضَرِ اللَّهِ إِلَى الْأَبَدِ.

"ولما كانت الساعة، اتكأ والاثنان عشر رسولاً معه. وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن تألم. لأنني أقول لكم إنني لا آكل منه بعد، حتى يكمل في ملكوت الله" (لوقا ٢٢: ١٤-١٦).

كَانَتْ الذَّبَائِحُ الْحَيَوَانِيَّةُ تَرْمِزُ إِلَى حَمَلِ اللَّهِ يَسُوعَ الْحَامِلِ خَطَايَا الْعَالَمِ، فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ هُوَ خَرْوْفُ الْفَصْحِ الَّذِي ذُبِحَ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَخْلُصُ مِنْ دِينُونَةِ اللَّهِ الْعَادِلَةِ. وَلِهَذَا يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ "لَأَنَّ فَصَحَنَا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا". (١ كورنثوس ٥: ٧). مَعْنَى الْعِشَاءِ الرَّبَّانِي هُوَ: تَذَكَارُ مَوْتِ الْمَسِيحِ، يُشِيرُ إِلَى مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً، قُبُولِنَا الْعَهْدَ الْجَدِيدَ الْمُثَبَّتَ بِدَمِ الْمَسِيحِ، وَعَنْ اتِّحَادِ الْمُؤْمِنِينَ وَثَبَاتِهِمْ بِالْمَسِيحِ.

وعندما قال: "اصنعوا هذا لذكري"، أعلن أن هذه فريضة يجب الاستمرار في القيام بها في المستقبل. وأشار إلى أن الفصح، الذي كان يتطلب تقديم حمل كذبيحة ويرمز إلى مجيء حمل الله الذي يرفع خطية العالم، قد تحقق في العشاء الرباني. حلَّ المرموز إليه بالرَّمْزِ عندما صار المسيح حَمَلَ الْفَصْحِ، وَصَارَ ذَبِيحَةً لِأَجْلِنَا (عبرانيين ٨: ٨-١٣).

لم تعد هناك حاجة إلى نظام الذبائح (عبرانيين ٩: ٢٥-٢٨). فالعشاء الرباني هو تذكُّر لِمَا فَعَلَهُ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا وَاحْتِفَالٍ بِمَا صَارَ لَنَا نَتِيجَةً ذَبِيحَتِهِ. يَتَقَابَلُ الْمَسِيحُ مَعَنَا فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْمُقَدَّسَةِ حَاضِرًا عَلَى أَمَلِ الْإِشْتِرَاكِ بِهَا فِي الْمَلَكُوتِ السَّمَاوِيِّ مَعَ يَسُوعَ عَنْ قَرِيبٍ.

طعامي أن أعمل مشيئة أبي

"قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَتَمِّمَ عَمَلَهُ." (يوحنا ٤ : ٣٤)

يُحَدِّثُنَا إِنْجِيلُ يُوْحَنَّا ٤ كَيْفَ تَوَجَّهَ يَسُوعُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى الْجَلِيلِ عَنْ طَرِيقِ وَادِي شَكِيمِ الْجَمِيلِ، حَيْثُ وَصَلَ إِلَى بَثْرَ يَعْقُوبَ. كَانَ الْوَقْتُ طُهْرًا، وَقَدْ تَعَبَ مِنَ السَّفَرِ وَشَعَرَ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَجَلَسَ عَلَى الْبَثْرِ، بَيْنَمَا أَرْسَلَ تَلَامِيذَهُ لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. لَمْ يَحْمِلْ مَعَهُ حَبْلًا وَلَا دَلْوًا، لِذَا، كَانَ بَانْتَظَارَ مَنْ يُعْطِيهِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ. وَهُنَا جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ وَمَلَأَتْ جَرَّتَهَا بِالْمَاءِ وَحَمَلَتْهَا لَتَعُودَ إِلَى بَيْتِهَا، فَطَلَبَ يَسُوعُ مِنْهَا أَنْ تُعْطِيَهِ لِيَشْرَبَ.

اسْتَعْرَبَتِ الْمَرْأَةُ لَطَلَبَ يَسُوعَ مِنْهَا جُرْعَةً مَاءٍ حَيْثُ أَنَّ هُنَاكَ عَدَاوَةً بَيْنَ الْيَهُودِ وَالسَّامِرِيِّينَ، لَكِنَّ ذَلِكَ الطَّلَبَ فَتَحَ بَابَ الْخَلَاصِ لَيْسَ لِتِلْكَ الْمَرْأَةِ وَحَسَبَ، بَلْ لِسَاكِنِي بَلَدِهَا سُوْخَارَ. دَارَ نِقَاشٍ بَيْنَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَالْمَرْأَةِ حَوْلَ الْمَاءِ الْحَيِّ الَّذِي يُعْطِيهِ كَيْ لَا يُعْطَشُ مَنْ يَشْرَبُهُ، وَبَيْنَ مَفْهُومِ الْعِبَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، وَعَنْ تَوَقُّعَاتِ الْمَرْأَةِ بِظُهُورِ مَسِيَّا. تَأَقَّ قَلْبُهَا لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَاءِ الْحَيِّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْمُخْلِصُ كَيْ لَا تَأْتِيَ إِلَى الْبَثْرِ لِتَسْتَقِي الْمَاءَ. لَكِنَّ رَبَّ الْمَجْدِ وَقَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا تِلْكَ الْعَطِيَّةَ، أَرَادَهَا أَنْ تُدْرِكَ عُمُقَ خَطِيئَتِهَا وَحَاجَتِهَا لَهُ.

طَلَبَ مِنْهَا يَسُوعُ أَنْ تَذْهَبَ وَتَدْعُو زَوْجَهَا وَتَأْتِيَ بِهِ إِلَى الْبَثْرِ، أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: "لَيْسَ لِي زَوْجٌ" رَدَّ عَلَيْهَا الْفَادِي الْحَبِيبُ "حَسَنًا قُلْتُ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لِأَنَّهُ كَانَ لَكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجَ، وَالَّذِي لَكَ الْآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجُكَ. هَذَا قُلْتُ بِالصِّدْقِ" (يوحنا ٤ : ١٧ و ١٨). اسْتَعْرَبَتِ الْمَرْأَةُ كَيْفَ عَرَفَ الْمَسِيحُ سِرَّ حَيَاتِهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا.

دَارَ الْحَدِيثُ بَعْدَهَا عَنْ مَكَانِ الْعِبَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ هَلْ هُوَ الْهَيْكَلُ فِي أُورُشَلِيمَ أَمْ الْهَيْكَلُ الْمَقَامُ عَلَى جَبَلِ جَرْزِيمِ الْقَرِيبِ مِنْ بَثْرَ يَعْقُوبَ؟ لِحَصِّ جَوَابِ الرَّبِّ يَسُوعَ مَفْهُومِ الْعِبَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلَّهِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ فَقَالَ: "وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ" (يوحنا ٤ : ٢٣). السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ ثَمَرَةُ عَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِكُلِّ نَفْسٍ تَقْبَلُهُ.

تَذَكَّرَتِ الْمَرْأَةُ مَا ذَكَرَهُ مُوسَى مِنْ أَنَّ الرَّبَّ سَيَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَهُ لُهُ تَسْمَعُونَ (تثنية ١٨ : ١٥). وَسَيُوضِحُ لَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ. أَكَّدَ لَهَا يَسُوعُ بِأَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ. كَمْ تَأَقَّ النَّاسُ لِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ شَخْصِيَّةِ يَسُوعَ، لَكِنَّ الْمَسِيحَ أَوْضَحَهَا لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ الْغَرِيبَةِ حَيْثُ رَأَى أَنَّهَا سَتَسْتَخْدِمُ هَذَا الْإِعْلَانِ لَتُخْبِرَ أَهْلَ بَلَدِهَا عَنْ يَسُوعَ مِمَّا كَانَ سَبَبَ خَلَاصِ لَهُمْ.

عَادَ التَّلَامِيذُ بِالطَّعَامِ وَاسْتَعْرَبُوا أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ مَعَ امْرَأَةٍ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَأْكُلَ، لَكِنَّ الْمُخْلِصَ أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ لَهُ طَعَامًا لَا يَعْرِفُهُ التَّلَامِيذُ. فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدَهُمْ أَحْضَرَ لَهُ طَعَامًا فِي غِيَابِهِمْ، لَكِنَّ يَسُوعَ أَجَابَهُمْ "طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَتَمِّمَ عَمَلَهُ" (يوحنا ٤ : ٣٤).

أَوْضَحَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِأَنَّ الطَّعَامَ الرُّوحِيَّ هُوَ فِي عَمَلِ إِرَادَةِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ. كَانَ يَسُوعُ مُتَعَبًا وَجَائِعًا مِنْ رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ، لَكِنْ مُشَارَكَةُ بُشْرَى الْخَلَاصِ مَعَ الْمَرْأَةِ أَعْطَاهُ انْتِعَاشًا رُوحِيًّا عَظِيمًا. يُوجَدُ قَصْدٌ لِحَيَاتِي أَكْثَرَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَهُوَ فِي تَحْقِيقِ مَشِيئَةِ اللَّهِ لِحَيَاتِي. فَكَمَا أَنَّ الطَّعَامَ جَيِّدَ لِلْإِنْسَانِ وَمُنْعَشٍ لَجَسَدِهِ، هَكَذَا عَمَلُ إِرَادَةِ اللَّهِ سَارَّةٌ وَمُنْعَشَةٌ لِنَفْسِ الْمَسِيحِ. أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ "أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرُرْتُ". حَيْثُ تَجَسَّدَ كَيْ يَفْتَدِينَا، وَأَكْمَلَ الْنَامُوسَ، وَتَأَلَّمَ وَمَاتَ طَوْعًا، دُفِنَ وَقَامَ مُمَجَّدًا وَسَيَأْتِي عَنْ قَرِيبٍ لِيَأْخُذَنَا لِلسَّمَاءِ.

صَرَخَ يَسُوعُ عَلَى الصَّلِيبِ "قَدْ أَكْمَلْتُ". هَكَذَا تَمَّ عَمَلُ الْخَلَاصِ الَّذِي أَعْطَاهُ الْآبُ بِمَوْتِهِ، وَسَفَكَ دَمَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا وَخَلَاصِنَا الْأَبَدِيِّ. طَعَامُ يَسُوعَ هُوَ أَنْ يُعْطِيَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، أَعْطَى الْحَيَاةَ لِأَنَّهُ كَانَ هُوَ الْحَيَاةَ. هُوَ الْخُبْرُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَنْبُوعُ الْمَاءِ الْحَيِّ. هُوَ رَبُّ الْحَصَادِ وَالزَّارِعَ مَعًا. أَرْفَعُ عَيْنَاكَ إِلَى الْعُلَى لِتَجِدَ أَنَّ النُّفُوسَ الْعَطَشَى قَدْ وَجَدَتْ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ لَتَرْتَوِيَ مِنْهُ لِلْخَلَاصِ نَتِيجَةً عَمَلِكَ. أَعْنِي رَبِّي كَيْ أَعْمَلَ مَشِيئَتَكَ وَأَعِيشَ لِمَجْدِكَ مُتَذَكِّرًا أَنَّ "لَيْسَ بِالْخُبْزِ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ". آمِينَ.

جَسَدِي هُوَ الطَّعَامُ الْحَقِيقِيُّ

"لأنَّ جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ." (يوحنا ٦: ٥٥)

بَعْدَ أَنْ أَشْبَعَ يَسُوعَ الْخَمْسَةَ آلافَ بِخَمْسَةِ أَرْغَفَةٍ وَاسْمَكَيْنِ، أَرَادَ الْجَمْعُ تَنْصِيْبَهُ مَلَكًا، لَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْجَبَلِ مَنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ. فِي الْيَوْمِ التَّالِي، خَرَجُوا يُفْتَشِّشُونَ عَنْ يَسُوعَ حَيْثُ أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّهُمْ طَلَبُوهُ لِأَنَّهُمْ أَكَلُوا مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعُوا وَتَابَعَ قَائِلًا "اعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ هَذَا اللَّهُ الْآبَ قَدْ خَتَمَهُ" (يوحنا ٦: ٢٧). وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ هُوَ الْخُبْزُ الْحَقِيقِيُّ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا" (يوحنا ٦: ٣٥). وَإِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا الْخُبْزُ الَّذِي أَنْ أُعْطِيَ هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذَلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ.

خَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ "كَيْفَ يَقْدِرُ هَذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟" فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يوحنا ٦: ٥٣ و٥٤). كَانَ رَدُّ فِعْلِ الشَّعْبِ تَذْكِيرَ الْمَسِيحِ بِالْمَنْ الَّذِي أَكَلَهُ آبَاؤُهُمْ فِي الْبَرِيَّةِ، لَكِنَّ هَذَا الْمَنْ أَسْنَدَ حَيَاتِهِمُ الْأَرْضِيَّةَ وَلَمْ يَضْمَنْ لَهُمُ الْخُلُودَ، أَمَّا يَسُوعُ فَقَدْ أَنْعَشَ نَفُوسَهُمْ لِتَتَمَتَّعَ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. إِنْ مَنْ يَرُونَ الْمَسِيحَ فِي صِفَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَيَقْبَلُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ لَهُمْ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ.

كَانَ عِيدُ الْفَصْحِ قَرِيبًا حَيْثُ يُقَدَّمُ خُرُوفُ الْفَصْحِ الَّذِي يَرْمُزُ إِلَى بَذْلِ يَسُوعَ نَفْسِهِ لِأَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ. لَكِنَّ الْيَهُودَ عَلَّقُوا أَهْمِيَّةً عَلَى الرِّمَزِ وَأَغْفَلُوا مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيَّ. أَكَّدَ لَهُمُ الْمُخْلِصُ أَهْمِيَّةَ قُبُولِهِ كَفَادِي نَفُوسِهِمْ فَقَالَ: "أَنَّ جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ" (يوحنا ٦: ٥٥). تَوْضُحُ رُوحِ النُّبُوَّةِ فِي كِتَابِهَا (مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٣٦٣).

مَعْنَى الْآيَةِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "إِنْ أَكَلَ جَسَدَ الْمَسِيحِ وَشْرَبَ دَمَهُ هُوَ قُبُولُهُ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا. فَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ خَطَايَانَا وَأَنَّنَا كَامِلُونَ فِيهِ. فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَحَبَّتِهِ وَنَتَأَمَّلُ فِيهَا وَنَرَشْفُهَا نَصِيرُ شُرَكَاءَ فِي طَبِيعَتِهِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَسِيحُ لِلنَّفْسِ كَالطَّعَامِ لِلْجِسْمِ. فَحِينَ لَا نَتَنَفَّعُ بِالطَّعَامِ مَا لَمْ نَأْكُلْهُ وَمَا لَمْ يَصِرْ جِزَاءً مِنْ كِيَانِنَا. فَكَذَلِكَ الْمَسِيحُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ذَا قِيَمَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا مَا لَمْ نَعْرِفْهُ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا لَنَا".

وَجَدَ الْكَثِيرُ مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ إِذْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ صَعْبٌ. مَنْ يَقْدُرُ أَنْ يَسْمَعَهُ. عَلِمَ يَسُوعُ بِتَذَمُّرِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: "أَهَذَا يُعَثِّرُكُمْ. الرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئًا. الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَمْتُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحْيَةٌ" (يوحنا ٦: ٦٣). إِنْ حَيَاةَ الْمَسِيحِ الَّتِي تُعْطِي حَيَاةً لِلْعَالَمِ هِيَ فِي كَلِمَتِهِ. بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَفَى الرَّبُّ الْمَرْضَى وَأَخْرَجَ الشَّيَاطِينَ، هَذَا الْبَحْرُ وَأَقَامَ الْمَوْتَى. وَكَمَا أَنَّ الطَّعَامَ يَسْنَدُ حَيَاتِنَا الْجَسَدِيَّةَ، كَذَلِكَ حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةَ تَسْنَدُهَا كَلِمَةُ اللَّهِ. لِنَحْرِصْ عَلَى دِرَاسَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِكُلِّ اهْتِمَامٍ طَالِبِينَ مَعُونَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِنَفْهَمَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ.

مِنْ هَذَا الْوَقْتِ، بَدَأَتِ الْأَزْمَةُ تَعْصِفُ بِخِدْمَةِ الْمَسِيحِ حَيْثُ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ وَلَمْ يَعُودُوا يَمَشُونَ مَعَهُ. أَيْنَ حِمَاسُ الَّذِينَ أَرَادُوا تَنْصِيْبَهُ مَلَكًا؟ لَقَدْ رَجَبُوا بِقُدْرَتِهِ عَلَى صُنْعِ الْمُعْجَزَاتِ وَتَحْقِيقِ مَكَاسِبِ شَخْصِيَّةِ لَهُمْ، لَكِنْ أَنْ يُشَارِكُوهُ حَيَاةَ التَّضَحِّيَةِ فَلَمْ يَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقُبُولِهَا. فَقَالَ يَسُوعُ لِلثَّانِي عَشَرَ "الْعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟ أَجَابَهُ سَمْعَانُ بَطْرُسُ "يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ. كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ. آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ". يَا رَبِّي، إِلَى مَنْ أَذْهَبُ، لَقَدْ سَرْتُ مَعَكَ سَنِينَ عَدِيدَةً، وَتَذَوَّقْتُ جُودَكَ، وَلَمَسْتُ يَدَكَ تَقْوَدُنِي وَسَطَ مَصَاعِبٍ وَتَحْدِيَّاتٍ هَذِهِ الْحَيَاةِ.

عَرَفْتُكَ فَادِيًا وَمُخْلِصًا لِحَيَاتِي. هَلْ أَتْرُكَكَ يَا يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ لِأَتْرُوِيَ مِنْ آبَارِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشَقَّةِ؟ مَا أَعْظَمَكَ مِنْ إِلَهٍ شَفُوقٍ وَرَحِيمٍ، فَقَوِّيَ إِيمَانِي فِي خَلَاصِكَ الْعَجِيبِ، وَأَعْطَانِي الشَّجَاعَةَ لِأَبْقَى لَكَ أَمِينًا عَامِلًا رِضَاكَ فِي حَيَاتِي. سَتَعُودُ عَنْ قَرِيبٍ، لَتَضَعَنَّ حِدًّا لِلشَّرِّ وَالشَّرِيرِ وَتَأْخُذَ الْأَمْنَاءَ الَّذِينَ أَنْتَظَرُوكَ بِفَرَحٍ إِلَى دِيَارِهِمُ السَّمَاوِيَّةِ بِصُحْبَةِ رَبِّ الْمَجْدِ. آمِينَ.

ثلاثة أمور عن الموت

"فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّ سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ." (رومية ٦: ٨)

قرأتُ القصة التالية في مجلة "علامات الأزمنة" أحبُّ أن أشاركها معكم: "كان صباحاً عادياً لدى إحدى الأمهات، حيث أخذت ابنها البالغ من العمر ٥ سنوات ووضعت في مقعد السيارة الأمامي، ربطت حزام الأمان ووضعت المفتاح وكانت على وشك تشغيل السيارة، حين تذكرت أنها نسيّت جزدانها، فعادت مُسرعة إلى البيت. رنَّ جرس هاتفها، ففكرت أن لديها دقائق قليلة، فردت على المكاملة وأنهتتها بسرعة. خرجت إلى الخارج لتكتشف في رعبها وترى ابنها وقد دعسته السيارة. يبدو أنه استطاع فك حزام الأمان والانتقال إلى مقعد السائق وتشغيل موتور السيارة.

ولمّا بدأت السيارة في التحرك دبّ فيه الرعب وقفر من السيارة. اتصلت بفريق المسعفين الطبيين الذين نقلوه إلى المستشفى، لكن الولد كان قد فارق الحياة. كانت الأيام القليلة التي تلت الحادث، كابوساً لا ينتهي لتلك الأم المُعذّبة وهي تُعاني من هول الصدمة لموت ابنها. كان السؤال الذي شغلها هو: "هل ستكون قادرة على الشفاء من جرح ألمها الدائم؟" يقول عالم نفس مسيحي يدعى "دان ألندر" قدّم العون لتلك الأم في كتابه "درب الشفاء" "بعد ما يقارب السنتين من وقوع الحادث، تحسّن وضعها النفسي، لكن موجات الاكتئاب وشعورها بالذنب بقيت تتابها. صار زوجها في خطر واستمرت بتعاطي أدوية ضد الاكتئاب.

وسط كل هذا الألم، كتبت ملاحظة لعالم النفس الذي عالجها تقول فيها "أشكرك لأنك عرّفتني أن ليس من الخطأ لي أن أتألم" الكل أرادها أن تعيش حياتها من جديد. كانت في الماضي تشعر بالتعاطف مع مآسي الناس رغم أنها لم تدرك عمق الألم الذي عانوه، إلى أن ضرب الحزن قلبها لموت ابنها. تتساءل عند حدوث كوارث بشكل مفاجئ مثل الزلازل والأعاصير أين الله وسط هذه كلها؟ هل الكوارث الطبيعية هي "من أعمال الله"؟

الأمر الأول هنا هو: أن ما جرى لم يكن خطأ من جانب الله. فالموت والألم بدءا عندما جرّب عدو النفوس وعرض على آدم وحواء ما سمّاها الحياة الأفضل. ومع أن أجرة الخطيئة هي الموت الذي صار مصير كل إنسان، إلا أن الله قدّم الحياة الأبدية ثانية بذيبة ابنه على الصليب.

من المهم لنا أن ندرك، رغم وجود سبب للألم والموت، تبقى الأخبار السارة أن الله معنا ونحن نمر في هذه الظروف الصعبة. ولنا مُخلص قادر أن يفهم معنى فقدان عزيز علينا. يُخبرنا إنجيل يوحنا ١١ أن يسوع بكى لموت صديقه لعازر، رغم عزمه أن يُقيمه من الموت. إذ تتعمق في دراسة مرض لعازر نجد أن يسوع علّم بمرض لعازر لأيام عديدة قبل موته، مع ذلك استمر يشفي مرضى آخرين. تساءل التلاميذ عن صدق محبة يسوع لصديقه لعازر، وأن موته كان الدافع لذهابه للسؤال عنه. يقول الإنجيل على لسان يسوع: "لعازر حبيبنا قد نام. لكنني أذهب لأوقظه".

الأمر الثاني هو تشبيه يسوع الموت بالنوم الطويل حيث يصحو منه عند سماع صوت يسوع، نفس الصورة نراها في إقامة ابنة يايروس. تُشبه كلمة الله الموت بالنوم أكثر من ٥٠ مرة. الحقيقة الثالثة هي لقاء الأموات الأبرار بأحبائهم في صباح القيامة عند مجيء المسيح ثانية. سيتم جمع شمل الأحباء معا حيث لن يكون بينهم فراق فيما بعد. سيعم الفرح والابتهاج المفديين، وهم يحققون وعد مزمو ٣٠: ٥ حيث يقول: "يبقى البكاء لليلة، أما في الصباح فيعم الابتهاج".

نقرأ عن وعد الرب في سفر الرؤيا ٢١: ٤ "وسيمسح الله كل دَمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت". ما أروع العزاء الذي تقدّمه يا رب لجميع الحزانى، ووعدك الأكيد أنك ستأتي عن قريب لتضع حداً للألم والموت وتقضي على الشرّ والشرير، وسيسبح المفديون اسمك القدوس، لك الحمد والمجد أبد الدهور يا ملك المجد الآتي للخلاص، ولبدء حياة سعيدة في ديار النعيم.

إقامة ابنة يائرس

"وَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيِّ وَقَالَ لَهَا: "طَلِيثَا، قُومِي!". الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكَ أَقُولُ: قُومِي!"

(مرقس ٥: ٤١)

وَصَلَ يَسُوعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ لِبَحْرِ الْجَلِيلِ، فَوَجَدَ جَمْعًا كَبِيرًا فِي اسْتِقْبَالِهِ فَرَحِينَ، وَبَعْدَ أَنْ قَضَى بَعْضَ الْوَقْتِ يُعَلِّمُهُمْ وَيَشْفِي مَرْضَاهُمْ، تَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ مَتَّى لَأُؤَيِّدَ لِحُضُورِ وَلِيمَةٍ أَقَامَهَا عَلَى شَرَفِهِ. هُنَا جَاءَ يَائِرُسُ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ وَهُوَ مُتَضَايِقٌ جَدًّا وَرَكَعَ عِنْدَ قَدَمَيْ صَارَخًا "ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا!" (مرقس ٥: ٢٣). وَفِي الْحَالِ، ذَهَبَ يَسُوعُ مَعَ ذَاكَ الرَّئِيسِ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ وَقَدْ التَفَوْا مِنْ حَوْلِهِ مِمَّا أَعَاقَ تَقَدُّمَ مَوْكَبِ يَسُوعَ فِي مَهْمَّتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

لَا بَدَّ أَنْ يَائِرُسُ قَرَّرَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَسِيحِ لِيَطْلُبَ مَجِيئَهُ إِلَى بَيْتِهِ، لَكِنَّهُ اسْتَصْعَبَ مَفَارَقَةُ وَحِيدَتِهِ فِي حَالَتِهَا هَذِهِ. كَمَا أَنَّه لَمْ يَكُنْ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسِيحُ إِلَى بَيْتِهِ لَوْ أُرْسِلَ لَهُ آخَرٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْخُذَ ابْنَتَهُ إِلَى الْمَسِيحِ وَهِيَ فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْخَطَرِ. فَاسْرَعَ يَائِرُسُ بِنَفْسِهِ إِلَى الشَّاطِئِ، وَوَقَعَ عِنْدَ قَدَمَيْ الْمَسِيحِ وَسَجَدَ لَهُ. وَكَمَ كَانَتْ دَهْشَةُ الْحَاضِرِينَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ رَئِيسَهُمْ مُتَذَلِّلًا بِهَذَا الْمَقْدَارِ أَمَامَ النَّجَارِ النَّاصِرِيِّ الْفَقِيرِ، غَيْرَ أَنَّ مَا عَرَفَهُ يَائِرُسُ عَنْ فِضَائِلِ الْمَسِيحِ وَفَضْلِهِ، يَفْسِّرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْاحْتِرَامِ غَيْرِ الْمُنْتَظَرِ. لَقَدْ ذَلَّلَتْ الْمَصِيبَةُ الشَّدِيدَةُ يَائِرُسَ، وَسَاقَتْهُ إِلَى الْمَسِيحِ، فَانْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْفَرَجِ، وَتَحَوَّلَتْ مُصِيبَتُهُ إِلَى بَرَكَاتٍ أَعْظَمَ.

مَعَ أَنَّ بَيْتَ يَائِرُسَ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا، إِلَّا أَنَّ الْمُخْلَصَ كَانَ يَتَوَقَّفُ مِنْ وَقْتٍ لآخرٍ لِيُخَفِّفَ آلامَ الْمُتَأَلِّمِينَ وَيُعْزِي قُلُوبَهُمْ، خُصُوصًا امْرَأَةً بَنَزَفَ دَمٌ مِنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَقَدْ آمَنَتْ أَنَّهَا لَوْ لَمَسَتْ وَلَوْ ثِيَابَ يَسُوعَ سَتُشْفَى. اسْتَطَاعَتْ رَغْمَ تَزَاحُمِ النَّاسِ أَنْ تَصِلَ مِنْ خَلْفِ يَسُوعَ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ، فَشُفِيَتْ فِي الْحَالِ. أَصَرَ الْمَسِيحُ أَنْ يُكَافَأَ إِيْمَانُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ حِينَ أَرَادَهَا أَنْ تَحْكِيَ لَهُ مَا حَصَلَ لَهَا فَكَانَ جَوَابُ يَسُوعَ: "يَا ابْنَةُ إِيْمَانِكَ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلَامٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكَ" (مرقس ٥: ٣٤).

وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّبُّ يَتَكَلَّمُ جَاءُوا مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ "ابْنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتَعَبُ الْمُعَلِّمُ بَعْدَ". تَرَى هَلْ أَسَفَ يَائِرُسَ عَلَى تَذَلُّلِهِ لِلْمَسِيحِ، أَوْ هَلْ نَدِمَ عَلَى خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِهِ وَغِيَابِهِ سَاعَةَ احْتِضَارِ وَحِيدَتِهِ؟ أَوْ لَا يَتَوَقَّعُ شِمَاتَهُ زَمَلَائِهِ الْفَرِيسِيِّينَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ هَذَا النَّاصِرِيَّ الَّذِي لَا يَخْضَعُ لَهُمْ؟ سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ فَقَالَ لِرَئِيسِ الْمَجْمَعِ "لَا تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى" (لوقا ٨: ٥٠).

لَمْ يَسْمَحْ يَسُوعُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَّبِعَهُ سِوَى يَائِرُسَ وَثَلَاثَةٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَهُمْ بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ لِيَشَاهِدُوا مَعْجَزَةَ إِقَامَةِ الصَّبِيِّ. فَلَمَّا وَصَلَ الْمَسِيحُ وَالْأَبُ وَالْجَمْعُ إِلَى الْبَيْتِ وَعِنْدَ دُخُولِهِ الدَّارَ تَكَدَّرَ مِنَ الضَّجِيجِ وَالْبَكَاءِ وَالنُوحِ، وَوَبَّخَ الْقَائِمِينَ بِهَا، وَسَعَى لِيُزِيلَ أَوْهَامَهُمْ فِي أَمْرِ الْمَوْتِ الْجَسَدِيِّ، بِإِرْجَاعِهِ رُوحًا إِلَى جَسَدِهَا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَشَبَّهَ الْمَوْتَ بِالنَّوْمِ بِاتِّظَارِ الْقِيَامَةِ الْآتِيَةِ، فَقَالَ لِلْمَجْتَمِعِينَ: "لِمَاذَا تَضْجُونَ وَتَبْكُونَ؟ تَنَحَّوْا. لَا تَبْكُوا. فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ". فَاسْتَهْزَأَ الْجَمِيعُ بِهِ. وَلَا سِيَمَا النَّائِحُونَ الْمَاجُورُونَ. فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْعُرْفَةِ - وَلَمْ يَشْهَدْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ الَّتِي فِيهَا يَقْهَرُ الْمَسِيحُ الْمَوْتَ - إِلَّا الْوَالِدَ وَالْوَالِدَةَ وَالرُّسُلَ الثَّلَاثَةَ.

يَدْخُلُ الْمَسِيحُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ غُرْفَةَ الْمَوْتِ، يُمْسِكُ يَدَ الْجَثَّةِ، وَيَكْلِمُ الرُّوحَ الَّتِي فَارَقَتْ الْجَسَدَ، وَيُرْجِعُهَا إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ بِاللُّغَةِ الْأَرَامِيَّةِ "طَلِيثَا قُومِي" الَّتِي تَعْنِي "يَا صَبِيَّةُ قُومِي"، يَا حَمَلِي الصَّغِيرَ، لَكَ أَقُولُ قُومِي". وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ. ثُمَّ أَمَرَ أَبُوَيْهَا أَنْ يَقْدَمَا لَهَا طَعَامًا. فَأَحْدَثَتْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةُ دَهْشَةً عَظِيمَةً. كَانَتْ كَلِمَةُ رَبِّ الْمَجْدِ وَهُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ كَافِيَةً لِإِقَامَةِ الصَّبِيِّ مِنَ الْمَوْتِ. عَنْ قَرِيبٍ، سَيَعُودُ الرَّبُّ يَسُوعُ قَاهِرَ الْمَوْتِ، إِلَى عَالَمِنَا وَيَأْمُرُ جَمِيعَ الْأَمْوَاتِ الْأَبْرَارِ فَيَقُومُونَ لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِي فِرْدَوْسِ النِّعَمِ. أَعْطِنِي يَا إِلَهِي النَّصِيبَ الصَّالِحَ كِي أَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَكَ، وَمَعَ الْمُفْدِينَ فِي بِيُوتِنَا السَّمَاوِيَّةِ. آمِينَ.

سُلْطَانُ الْمَسِيحِ عَلَى الْمَوْتِ

"عَالَمِينَ أَنْ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَمُوتُ أَيْضًا. لَا يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ."

(رومية ٦: ٩).

تُعتبر قيامة المسيح من الأموات حدثاً أكيداً ومعروفاً شهد بصحته الأنبياء، كما تنبأ بحدوثه المسيح نفسه، وأكد الملاك حُودثه، وكان الرُّسُلُ شهوداً حين رأوا القبر فارغاً وشاهدوا المسيح المُقام، الكل إلى جانب الرُّوح القدس شهدوا بيقينية أن المسيح قد قام ولم يموت أيضاً. لقد قام لحياة الخلود، وسيحيا لأبد الأبد، لا حاجة له أن يموت ثانية، كان موته الكفاري تاماً لأجل خطايا وتعديات شعبه.

سَمَحَ لنفسه أن يبقى تحت قوّة الموت لفترة بموجب القرار الإلهي، وبإرادة المسيح نفسه، لكن كان من المستحيل للموت أن يسود عليه بعد لسببين: نظراً لكرامة شخصه الإلهي كابن لله، ونظراً لفعاليته ذبيحته لشعبه وكفائتها، إذ وضع حداً للخطيئة إلى الأبد.

أخذ المسيح على نفسه قصاص خطايانا الذي نستحقّه نحن، كي يسمو بنا إلى برّه بالإيمان، وليس فقط ليغفر لنا خطايانا، بل أن ننال بجسداً حيّاه. وفي هذا يقول الرسول بولس في رومية ٥: ١٢ "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع". بآدم، دخلت الخطيئة إلى العالم، وبآدم الثاني - أي المسيح - صار حمل الله ودفع أجرة خطايانا كي يصبح برّه وحياته الأبدية في قيامته من نصيب الذين وضعوا ثقتهم فيه بالإيمان.

لا شيء أروع بالنسبة إلينا من أن نعلم أن المسيح قد غلب الموت. يُخبرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤ و ١٥ أن يسوع جاء لكي "يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت". ونتيجة لذلك، أن "يعتق أولئك الذين خَوْفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية". بعبارة أخرى، يقول الكاتب إن الناس يعيشون حياتهم بأسرها تحت عبودية الخوف من الموت. ولكن المسيح جاء لكي يحرّرهم من ذلك الخوف.

فالموت هو الشبح الذي يطارد حياة كل شخص. وكلما عشت أكثر، زادت احتماليّة موتك في المستقبل. ولكن حين نعلم أن المسيح قد غلب الموت، فإن هذا هو أعظم فرح. ولكن أغلبية العالم لا يعرفون ذلك. لذا فإنهم يخافون من الموت. عاش ابن الإنسان بلا خطيئة فلن يسود الموت عليه فيما بعد.

لم يكن يسوع مجبراً على الموت، فقد أوضح للذين جاءوا للقبض عليه ولبطرس أنه قادر أن يفعل ما يريد "أَتظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيَقْدِمَ لِي أَكْثَرُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَكَيْفَ تَكْمَلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟ (إنجيل متى ٢٦: ٥٣ و ٥٤. وفي يوحنا ١٠: ١٨). نجد الجواب في حديث المسيح عن حياته: لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذْهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا (في القبر بالموت) وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيْضاً (من القبر بالقيامة). ومن هذا نرى أن يسوع مات طوعاً عن خطايا الناس.

يقول جرفث توماس: "لم يكن موت المسيح انتحاراً، لكنه كان طواعية. كان علينا نحن أن نتألم، لكن لم يكن عليه هو، وكانت كلمة واحدة منه كافية لتخليص حياته. ولم يكن موته صدفة، فإنه كان قد سبق أن تنبأ به وجهز نفسه له بطرق مختلفة. ولم يكن موته مجرم، لأنه لم يتفق اثنان من الشهود أثناء محاكمته على تحديد تهمته ضده، وأعلن بيلاطس الوالي أنه لم يجد فيه علة، كذلك هيرودس أيضاً".

لقد ظهر سلطان المسيح في موته، فقد حدد وقت موته وطريقته (متى ٢٠: ١٩)، ومن هو الذي يُسلمه. لكن ألم يقتل الناس الرب يسوع؟ نعم، قتلوه؛ غير أن الرب يسوع هو الذي سمح لهم بذلك، وفوق الصليب أسلم الروح واستودعها بيد أبيه كفعل إرادي بقوته الشخصية. ثم كان عظيماً في قيامته حسب عمل شدة قوته. إنها قيامة صاحب السلطان، وبانتصاره على الموت، أعطانا الحياة الأبدية والخلود في مجيئه الثاني عن قريب. قام المسيح مُنتصراً، هلولياً مُستحقّ هو الحمل أن يأخذ المجد والكرامة أبد الدهور. آمين.

قيامه موسى

"وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ: "لِيَنْتَهَرْكَ الرَّبُّ!" (يهودا ٩)

أَوَكَلَّ الرَّبُّ لِمُوسَى مَهْمَةً قِيَادَةً "بني إسرائيل" في خروجهم من مصر. وعلى مدى أربعين عاماً، تحدّث إليهم عن محبة الله وعنايته وضرورة طاعة ما يطلبه منهم. وصلوا في ترحالهم إلى بركة صين، وأقام الشعب في قادش حيث خاصموا كل من موسى وهرون، وتذمروا من نقص العشب لمواشيهم وماء ليشربوا. حملاً شكوى الشعب لله الذي كلّم موسى قائلاً: "خُذِ الْعَصَا وَاجْمَعْ الْجَمَاعَةَ أَنْتَ وَهَارُونُ أَخُوكَ، وَكَلِّمَا الصَّخْرَةَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ أَنْ تُعْطِيَ مَاءَهَا، فَتُخْرَجَ لَهُمْ مَاءٌ مِنَ الصَّخْرَةِ وَتَسْقِي الْجَمَاعَةَ وَمَوَاشِيَهُمْ" (سفر العدد ٢٠: ٨). كان الله يُوفّر لهم الطعام يومياً ويشربوا من شق الصخرة القريبة من محلّتهم طوال رحلتهم، لكنهم في قادش تذمروا على الله وعلى قائدهم موسى الذي أخذ العصا وجمّع الشعب وقال لهم: "اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَّةُ، أَمِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرَجُ لَكُمْ مَاءً؟". وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بَعْصَاهُ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرَبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونُ: "مِنْ أَجْلِ أَنْتُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِذَلِكَ لَا تُدْخِلَانِ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا" (عدد ٢٠: ١٠-١٢).

غَضِبَ مُوسَى عَلَى الشَّعْبِ وَسَمَّاهُمْ "بِالْمَرَدَّةِ"، لَمْ تَكُنِ الْمَشْكَلَةُ هِيَ غَضَبُهُ بِحَدِّ ذَاتِهِ، وَالَّذِي كَانَ سَيِّئاً بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ، وَلَكِنَّهُ مَفْهُومٌ - وَلَكِنْ عِنْدَمَا قَالَ "أَمِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرَجُ لَكُمْ مَاءً؟". فَإِنَّهُ بَدَأَ لَوْ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَوْ أَيِّ إِنْسَانٍ إِخْرَاجَ الْمَاءِ مِنْ صَخْرَةٍ. بَدَأَ فِي غَضَبِهِ وَكَانَهُ نَسَى حِينَهَا أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ وَحْدَهَا، الَّتِي تَعْمَلُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، هِيَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَصْنَعَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَعْجَزَةِ. كَانَ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ مُوسَى ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ كُلِّ النَّاسِ. لَقَدْ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَنْ يُكَلِّمَ الصَّخْرَةَ، لَكِنَّهُ فِي غَضَبِهِ ضَرَبَهَا مَرَّتَيْنِ وَلَمْ يُقَدِّسْ هُوَ وَهَارُونُ اسْمَ اللَّهِ بَعْدَ طَاعَتِهِمَا لِمَا قَالَه. كَانَتْ النَتِيجَةُ أَنَّ هَارُونَ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى حُدُودِ أَرْضِ الْمَوْعِدِ، كَمَا حُرِّمَ مُوسَى مِنْ دُخُولِهَا.

فِي تَنْبِيْهِ ٣٤: ٤ وَهُ ذَكَرَ اللَّهُ مُوسَى بِالْوَعْدِ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ الْآبَاءِ فَقَالَ "هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لَا تَغْبِرُّ" فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ". مَاتَ مُوسَى وَحِيداً عَلَى جَبَلٍ "نَبُو" وَدَفَنَهُ الرَّبُّ هُنَاكَ.

فِي سَفَرِ يَهُوذَا الْآيَةِ التَّاسِعَةِ خَاصَمَ إِبْلِيسَ الرَّبِّ يَسُوعَ بِالنَّسْبَةِ لِجَسَدِ مُوسَى، وَكَيْفَ أَقَامَهُ الْمَسِيحُ رَغْمَ خَطِيئَتِهِ، فَانْتَهَرَ الرَّبُّ. فِي إِنْجِيلِ مَتَّى ١٧: ٤-٧ نَجِدُ حَادِثَةَ تَجَلِّيِ الْمَسِيحِ عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ عَالٍ وَظَهَرَ مَعَهُ مُوسَى وَإِيلِيَا. يُمَثِّلُ مُوسَى الْأَمْوَاتِ الْأَبْرَارَ الْمُقَامِينَ، بَيْنَمَا يَرْمِزُ إِيلِيَا إِلَى الْأَحْيَاءِ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ يَتَغَيَّرُونَ فِي لَحْظَةٍ وَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَيَصْعَدُ الْجَمِيعُ لِمُلَاقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ.

لَا نَعْرِفُ كَمْ مِنَ الْمَوْتِ بَقِيَ مُوسَى مَيِّتاً، لَكِنْ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمُهْمُ، فَقَدْ صَحَى مِنْ نَوْمِهِ الطَوِيلِ - وَهَذَا تَعْرِيفُ كَلِمَةِ اللَّهِ لِلْمَوْتِ - عَلَى صَوْتِ رَبِّ الْحَيَاةِ الَّذِي أَقَامَهُ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى الْأَمْجَادِ السَّمَاوِيَّةِ. تَصِفُ الْإِنْ هَوَايَتِ فِي كِتَابِهَا "الْآبَاءَ وَالْأَنْبِيَاءَ"، (صفحة ٤٣٠، ٤٣١) قِيَامَةَ مُوسَى قَائِلَةً: "كَانَ مِنْ نَتَائِجِ الْخَطِيئَةِ أَنْ وَقَعَ مُوسَى تَحْتَ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ. وَحَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِ الشَّخْصِيَّ كَانَ أَسِيرَ الْمَوْتِ شَرْعاً وَلَكِنَّهُ أَقِيمَ لِحَيَاةِ الْخُلُودِ مُحْتَفِظاً بِلِقْبِهِ وَمَرْكَزِهِ بِاسْمِ الْفَادِي. لَقَدْ خَرَجَ مُوسَى مِنَ الْقَبْرِ مُمَجِّداً وَصَعِدَ فِي صَحْبَةِ مُحَرَّرِهِ إِلَى مَدِينَةِ اللَّهِ".

مَعَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ دُخُولِ أَرْضِ الْمَوْعِدِ بِسَبَبِ خَطِيئَتِهِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ لِيَسْتَمْتَعَ بِالدُّخُولِ لِمَوْطَنِ أَفْضَلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ مَوْطَنِ الْمُفْجِدِينَ إِلَى الْأَبَدِ. أُمْلِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَلَكُوتُ السَّمَاوِيَّ مِنْ نَصِيْبِنَا فِي مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

قيامَة لعازر

"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا." (يوحنا ١١: ٢٥)

لم يملك يسوع بيتاً لنفسه، بل كان يعتمد على كرم الأصدقاء وتلاميذه، ومن بينهم لعازر واخته مريم ومرثا الذين كانوا يسكنون في بيت عنيا. وكان يجد في أجواء ذلك البيت الهدوء مع صديقه لعازر بعيداً عن ضغط الجموع والذي لأجله أجرى أعظم معجزاته. خيم الحزن على ذاك البيت الذي كان يستريح فيه يسوع عندما أُصيب لعازر بمرض مفاجئ. أرسلت أخته بشخص إلى المخلص قائلتين: "يا سيّد، هوذا الذي تُحبّه مريضٌ". وبكل خوف على صحّة أخيها جلستا تَصليّان وتنتظران خبراً من المسيح. عاد الرسول بدون المخلص يحمل لهما الرسالة التالية: "هذا المرض ليس للموت" (يوحنا ١١: ٤).

تعلّقنا بالأمل في شفاء أخيها، ولما مات شعرت الأختان بخيبة أمل مريّة، ومع ذلك أحسّتا بنعمة المسيح تسندهما وسط حزنهما على أخيها. طنّ التلاميذ أن معلّمهم قد تلقى رسالة الأختان بفُتور حيث لم يبدُ عليه الحزن عند سماعه عن مرض صديقه لعازر، سيّما لأنّ الفادي كان يُحب تلك العائلة كثيراً.

أجاب يسوع إذ نظر إليهم قائلاً: "هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجدّ الله، ليتمجّد ابنُ الله به". كان تأخير المسيح في الاستجابة على رسالة الأختين سرّاً صعباً للتلاميذ أدراكه، حيث بقي في نفس المكان يومين. بعدها قال لتلاميذه "لنذهب إلى اليهوديّة أيضاً".

أظهر التلاميذ مخاوفهم من تلك الزيارة، لكنّ المخلص أكّد لهم أنّ ساعته لم تَحَن، فإذا هو يعمل مشيئة أبيه فلا خوف عليه. ثمّ قال لهم "لعازر حبيبنا قد نام. لكنّي أذهب لوقطه". كان المسيح يتحدث عن موته حيث شبّه موت أولاده المؤمنين بالنوم. وما أدهش التلاميذ قول معلّمهم "وأنا أفرح لأجلكم إنّي لم أكن هناك، لتؤمنوا. ولكنّ لنذهب إليه" (يوحنا ١١: ١٥). وهل تعني هذه الكلمات أنّ المسيح قد تحاشى الذهاب لبيت لعازر عن قصد؟ ولأجل تلاميذه سمح الربّ بموت لعازر، كي يُجري المعجزة العظيمة التي هي البرهان الإيجابي القاطع على صِفته الإلهيّة. وفي الوقت ذاته يدعم إيمان مرثا ومريم به.

وصل ربّ الحياة قريباً من بيت الأختين حيث أرسل شخصاً يُخبر مرثا بقُدمه. وإذا حضرت كان الحزن يغلي في قلبها لأنّ يسوع تأخّر في المجيء فقالت "يا سيّد، لو كنت ههنا لم يمُت أخي! (نفس كلمات أختها مريم) لكنّي الآن أيضاً أعلم أنّ كلّ ما تطلب من الله يُعطيك الله إياه" قال لها يسوع سيقوم أخوك "أجابت أنا أعلم أنّه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير، قال لها يسوع "أنا هو القيامة والحياة. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا". اعترفت مرثا بالوهيّة المسيح وقُدرته على القيام بما يُريده. ذهبت مرثا ودعت أختها مريم لترى المخلص وجاء من كان معها في البيت. رأى يسوع دُموع مرثا ومريم معهما فانزعج بالروح واضطرب. يقول الإنجيل "بكى يسوع" فقلبه الرقيق يُحسُّ بحزن الباكين.

انزعج يسوع وجاء إلى القبر حيث كان لعازر قد مات وأنتن منذ ٤ أيّام. وقال "ارفعوا الحجر" وبعد أن صلّى "صرخ بصوت عظيم: "لعازر، هلمّ خارجاً!" فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب". وسط دهشة الحاضرين، تعالت أصوات الفرح والشكر حيث تقبّلت الأختان أخاهما بعد قيامته على أنّه عطية الله لهما.

كانت هذه المعجزة برهان صحة إرسالية المسيح السماوية وصدق تعليمه، وأقنعت كل من عنده قابلية ليقنع بالحق. ومع ذلك لم يؤمن أغلب الموجودين بل ازدادوا قساوة وبغضاً، بتأثير رؤيتهم هذا البرهان القاطع. وقصدوا أن يكذبوا قول المسيح إنه القيامة ومانح الحياة. "ربي، أنت القيامة والحياة، سيقوم جميع المؤمنين فيك بقوة قيامتك. لك المجد والكرامة. آمين."

لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ

"لِمَاذَا تَطْلُبُنَ الْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟". لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ! (لوقا ٢٤: ٥ و ٦)

كانت ليلة أَوَّلِ أَيَّامِ الأسبوعِ على وَشَكِ الانتهاء، وكان يسوع ما زال سجيناً في قَبْرِهِ الضَّيِّقِ، والختم الروماني ما زال سليماً، والجُندُ الرومان الذين يحرسون القبر باقِينَ في مكانهم. أمَّا حول القبر فتجمَّع ملائكة أشرار كانوا يُحاولون إبقاء يسوع في القبر لو أمكنهم ذلك، وفي المقابل كانت الملائكة المُقْتَدِرِينَ قُوَّةَ يحرسون القبر في انتظار الترحيب برئيس الحياة المسيح.

يُصِفُ البشير مَتَّى ٢٨: ٢ - ٤ ما حدث بعد ذلك بهذه الكلمات: "وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لِأَنَّ مَلَأَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَخَرَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ".

عندما مات يسوع صارت ظلمة على كُلِّ الأرض لثلاث ساعات، وعندما أَسْلَمَ الرُّوحُ تَزَلَزَتِ الأرض والصخور تَشَقَّقَتْ، وفي قيامته، حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ عندما نَزَلَ أَقْوَى جُنْدِيٍّ فِي جَيْشِ الرَّبِّ، كان مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ وَلِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَلْجِ، وَقَدْ ارْتَجَفَتِ الأرضِ عِنْدَ قُدُومِهِ، كان نَفْسُ الْمَلَكِ الَّذِي أُعْلِنَ خَبَرَ ولادة يسوع فوق روابي بيت لحم. رَأَى الْحُرَّاسُ وَهُوَ يُدْجِرُ الْحَجَرَ كَمَا لو كان حصاة صغيرة وَسَمِعُوهُ يَصْرُخُ قَائِلاً: "يا ابن الله أَخْرِجْ إِنْ أَبَاكَ يَدْعُوكَ" رأوا يسوع يَخْرُجُ مِنَ الْقَبْرِ وَسَمِعُوهُ يُعْلِنُ فَوْقَ الْقَبْرِ الْمَفْتُوحِ وَالْمَشْقُوقِ قَائِلاً: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا ١١: ٢٥).

خَرَجَ بِجَلالٍ وَمَجْدٍ عَظِيمٍ حَيْثُ جَثَا الْمَلَائِكَةُ سَاجِدِينَ يُرْحَبُونَ بِهِ بِأَغَانِي الْحَمْدِ. سَارَ رَبُّ الْمَجْدِ بِخُطَى قَائِدٍ مُنْتَصِرٍ غَالِباً الْمَوْتَ وَالْهَلاوِيَّةَ وَسَطَ تَزَلُّزِ الأرضِ وَوَمِيزِ الْبُرُوقِ وَقِصْفِ الرُّعُودِ. فَلَمَّا رَأَى الْحُرَّاسُ الرُّومَانَ الْمَلَائِكَةَ وَيَسُوعَ الْمُخْلِصَ الْمُجَدِّ غَشِيَ عَلَيْهِمْ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ مِنْ خَوْفِهِمْ. وَعِنْدَمَا اخْتَفَى الْمَلَائِكَةُ السَّمَاوِيُّونَ عَنْ أَنْظَارِهِمْ، أَسْرَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا مَنْ صَادَقَهُمْ بِالْخَبَرِ الْعَجِيبِ أَنَّ الْمَصْلُوبَ ابْنَ اللَّهِ، فَلَقَدْ سَمِعُوا الْمَلَائِكَةَ يُعْلِنُ أَنَّهُ جَلالُ السَّمَاءِ وَمَلِكُ الْمَجْدِ. اسْتَوْلَى الرُّعْبُ عَلَى وُجُوهِ الْكَهَنَةِ عِنْدَمَا سَمِعُوا مِنْ حُرَّاسِ الْقَبْرِ خَبَرَ الْقِيَامَةِ، وَمَا سَيَكُونُ تَأْثِيرُهُ عَلَى الشَّعْبِ وَعَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ. فَكَّرَ قِيَافَا رَئِيسَ الْكَهَنَةِ أَنْ يُعْطِيَ الْحُرَّاسَ رَشْوَةً لِقَاءِ تَكْذِيبِ الْخَبَرِ بِهَذِهِ الْأَكْذُوبَةِ: "قُولُوا إِنَّ تَلَامِيذَهُ أَتَوْا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ" (مَتَّى ٢٨: ١٣). وَوَعَدَهُمْ بِأَنْ يَسْتَعْطِفُوا الْوَالِيَّ مِنْ أَجْلِهِمْ إِذَا سَمِعَ بِخَبَرِ نَوْمِهِمْ أَثْنَاءَ الْحِرَاسَةِ وَالَّتِي عَقَبَها مَوْتُهُمْ. عَرَفَ بِيلاطُسُ بِمَا حَدَثَ وَلَمْ يَعْرِفْ بَعْدَ ذَلِكَ طَعْمَ السَّلَامِ.

يُصِفُ إِنْجِيلُ لُوقَا ٢٤ تفاصيل القِيَامَةِ حِينَ جَاءَتِ الْمَرِيَمَاتُ عِنْدَ أَوَّلِ فَجْرِ يَوْمِ الْأَحَدِ حَامِلَاتِ الْحُنُوطِ الَّذِي أَعَدَّهُنَّ وَمَعَهُنَّ أَنْاسٌ. فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدْجَرَجاً عَنِ الْقَبْرِ. فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِي حَيْرَتِهِنَّ إِذَا بِرَجُلَانِ وَقَفَا بَهْنً بَشِيَابَ بَرَّاقَةٍ وَقَالَا لَهُنَّ: لِمَاذَا تَطْلُبُنَ الْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ. أَذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ عَنِ الْأَمَةِ وَصَلِيهِ وَمَوْتِهِ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. "هَنِيئاً لِلْمَرِيَمَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ أَوَّلَ مَنْ سَمِعْنَ بِقِيَامَةِ رَئِيسِ الْحَيَاةِ، وَشَارَكْنَ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ مَعَ التَّلَامِيذِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

يُلَخِّصُ كِتَابُ مُسْتَهْيِ الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٧٤٥ مَعْنَى الْقِيَامَةِ "عِنْدَ قِيَامَةِ الْمُخْلِصِ فُتِحَتْ قُبُورٌ قَلِيلَةٌ وَقَامَ مَنْ فِيهَا حَيْثُ ظَهَرُوا لكَثِيرِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَشَهِدُوا لِحَقِيقَةِ الْقِيَامَةِ. وَلَكِنْ فِي مَجِيئِهِ الثَّانِي سَيَسْمَعُ صَوْتُهُ كُلُّ الْمَوْتَى الْأَعْرَاءِ وَيَخْرُجُونَ لِحَيَاةِ الْخُلُودِ الْمَجِيدَةِ. فَنَفْسُ الْقُوَّةِ الَّتِي أَقَامَتِ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، سَتُقِيمُ كَنِيسَتَهُ وَتُمَجِّدُهَا مَعَهُ فَوْقَ كُلِّ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينِ وَفَوْقَ كُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الْعَالَمِ فَقَطْ بَلْ فِي الْعَالَمِ الْآتِي أَيْضاً"

المسيح قام، حقاً قد قام، وبقيامته صار لنا رجاء في قِيَامَةِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ عِنْدَ رَجُوعِهِ عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

أهمية قيامة المسيح

"أَيْنَ شَوْكُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلْبَتُكَ يَا هَاوِيَّةُ؟" (١ كورنثوس ١٥: ٥٥)

تُعْتَبَرُ قيامة المسيح حدثاً فريداً إذ لم تُوجَد قُوَّةٌ خَارِجِيَّةٌ لِتُقِيمَهُ مِنَ الْمَوْتِ، فَقَدْ قَامَ وَعَادَ إِلَى الْحَيَاةِ بِقُوَّتِهِ الذَّائِبَةِ. يَسْتَحِيلُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْعَادِيِّ أَنْ يَمُوتَ وَيَعُودَ لِلْحَيَاةِ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِهِ، لَكِنَّ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ كَانَتْ فَرِيدَةً فِي مَسَارِ التَّارِيخِ. تَمَكَّنَ الْمَسِيحُ مِنْ إِقَامَةِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَوْتِ لِأَنَّهُ رَبُّ الْمَجْدِ هُوَ مَصْدَرُ وَمُعْطِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. كَانَ الْمَسِيحُ أَعْظَمُ مِنَ الْمَوْتِ وَيَمْلِكُ سُلْطَانَ الْحَيَاةِ.

سَنَرَى أَسْبَابَ عَدِيدَةٍ هَامَّةٍ لِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ: أَوَّلًا، لِأَنَّهُا تَشْهَدُ عَنْ قُوَّةِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ. فَالْإِيمَانُ بِالْقِيَامَةِ يَعْنِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ. فَإِنْ كَانَ اللَّهُ مُوجُودًا، وَقَدْ خَلَقَ الْكَوْنُ وَلَهُ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ، إِذَا يَكُونُ لَهُ السُّلْطَانُ عَلَى إِقَامَةِ الْأَمْوَاتِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذَا السُّلْطَانُ، فَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ إِيْمَانَنَا أَوْ عِبَادَتَنَا. فَالَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ وَيَسْتَطِيعُ إِقَامَةَ الْمَوْتِ، هُوَ الْوَاحِدُ الْقَادِرُ أَنْ يَغْلِبَ الْمَوْتَ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِعَ شَوْكَةَ الْقَبْرِ وَيَنْتَصِرَ عَلَيْهِ (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٤-٥٥) فَبِإِقَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْمَوْتِ، يُذَكِّرُنَا اللَّهُ بِسُلْطَانِهِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ.

كَمَا أَنَّ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ تُثَبِّتُ مَصْدَاقِيَّةَ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ يَكُونُ، وَبِالتَّحْدِيدِ، أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ الْمُنْتَظَرُ. وَبِحَسَبِ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ، فَإِنْ قِيَامَتُهُ مِنَ الْمَوْتِ كَانَتْ "عَلَامَةً مِنَ السَّمَاءِ" تُثَبِّتُ مَصْدَاقِيَّةَ خِدْمَتِهِ (متى ١٦: ١-٤). لَقَدْ شَهِدَ الْمَثَاتُ مِنْ شَهُودِ الْعِيَانِ عَلَى قِيَامَةِ الْمَسِيحِ (كورنثوس الأولى ١٥: ٣-٨). وَتَعْطِينَا قِيَامَتَهُ دَلِيلًا لَا يُدْخَضُ عَلَى كَوْنِهِ هُوَ مُخْلَصُ الْعَالَمِ، كَمَا أَنَّ قِيَامَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هِيَ اثْبَاتٌ لِطَبِيعَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ وَكَوْنِهِ بَلَا خَطِيئَةٍ.

تَقُولُ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنَّ "قُدُوسَ اللَّهِ" لَنْ يَرَى فُسَادًا (مزمر ١٦: ١٠). وَيَسُوعُ لَمْ يَرِ فُسَادًا أَبَدًا، حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ. وَعَلَى أَسَاسِ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ كَرَزَ الرَّسُولُ بُولُسُ قَائِلًا: "فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَنَّهَا الرَّجَالُ الْإِخْوَةُ أَنَّهُ بِهَذَا يُنَادَى لَكُمْ بِعُفْرَانِ الْخَطَايَا وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى" (أعمال الرسل ١٣: ٣٨-٣٩).

لَيْسَتْ قِيَامَةُ الْمَسِيحِ إِثْبَاتًا لِمَصْدَاقِيَّةِ أُلُوهِيَّتِهِ فَقَطْ؛ بَلْ تُثَبِّتُ أَيْضًا مَصْدَاقِيَّةَ نُبُوءَاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّتِي تَنْبَأُ بِآلَامِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ. كَمَا أَنَّ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ تُثَبِّتُ مَا قَالَهُ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ (مرقس ٨: ٣١؛ ١٠: ٣٤). لَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَلَا رَجَاءَ لَنَا أَنْ نَقُومَ نَحْنُ أَيْضًا. فِي الْوَاقِعِ، بِدُونِ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ لَيْسَ لَنَا مُخْلَصٌ أَوْ خَلَاصٌ أَوْ رَجَاءٌ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. وَكَمَا قَالَ بُولُسُ الرَّسُولُ، يَكُونُ إِيْمَانُنَا "بِاطِلًا"، وَالْإِنْجِيلُ بَلَا قُوَّةَ، وَخَطَايَانَا بَلَا مَغْفَرَةٍ (كورنثوس الأولى ١٥: ١٤-١٩). قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ". (يوحنا ١١: ٢٥). وَفِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ يَقُولُ إِنَّهُ هُوَ مَصْدَرُ كِلَيْهِمَا. لَا تُوجَدُ قِيَامَةُ بَمَعَزَلٍ عَنِ الْمَسِيحِ، وَلَا حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. الْمَسِيحُ يَعْمَلُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَمْنَحَ الْحَيَاةَ؛ هُوَ نَفْسُهُ الْحَيَاةُ، وَلِهَذَا لَا يَمْلِكُ الْمَوْتُ سُلْطَانًا عَلَيْهِ. وَيَسُوعُ يَمْنَحُ الْحَيَاةَ لِمَنْ يَثْقُونَ بِهِ، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَشْتَرِكَ مَعَهُ فِي انْتِصَارِهِ عَلَى الْمَوْتِ (يوحنا الأولى ٥: ١١-١٢). فَنَحْنُ الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ سَوْفَ نَخْتَبِرُ الْقِيَامَةَ شَخْصِيًّا لِأَنَّ لَنَا الْحَيَاةَ الَّتِي يَمْنَحُهَا لَنَا الْمَسِيحُ وَقَدْ غَلِبْنَا الْمَوْتَ. مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَغْلِبَنَا الْمَوْتُ.

وَقِيَامَةُ الْمَسِيحِ مَهْمَةٌ كَشَهَادَةٍ عَلَى قِيَامَةِ الْبَشَرِ، الَّتِي هِيَ أَحَدُ الْأَعْمَدَةِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ. فَالْمَسِيحِيَّةُ تَنْفَرِدُ بِأَنْ مَوْسَسَهَا قَهْرُ الْمَوْتِ، وَيَعِدُ كُلَّ أَتْبَاعِهِ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ سَيِّدِهِمْ. لِذَا نَعْلَمُ كَمَسِيحِيِّينَ أَنَّ اللَّهَ صَارَ إِنْسَانًا، وَمَاتَ عَنْ خَطَايَانَا، وَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْقَبْرُ أَنْ يُوقِفَهُ. وَهُوَ حَيٌّ وَيَجْلِسُ الْيَوْمَ عَنْ يَمِينِ الْآبِ فِي السَّمَاءِ (عبرانيين ١٠: ١٢). وَسَيَعُودُ عَنْ قَرِيبٍ لِيُقِيمَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَيَأْخُذُهُمْ مَعَهُ لِلْسَّمَاءِ حَيْثُ سَنَصْرُخُ مَعَ الرَّسُولِ بُولُسِ قَائِلِينَ "أَيْنَ شَوْكُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلْبَتُكَ يَا هَاوِيَّةُ؟".

تأثير قيامة المسيح علي شخصياً

"فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقَ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ."

(كولوسي ٣: ١)

يكتب الرسول بولس هذه الكلمات إلى مؤمني كولوسي المُخَلَّصِينَ بالإيمان في المسيح، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَقَائِقِ أَبَدِيَّةٍ، وَهُمْ يَتَّبِعُونَ قِيَادَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِحِظَةٍ بِلِحْظَةٍ. وَيُرَكِّزُ أَنْظَارَهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحْنُ إِلَى الْأُمُورِ الْأَبَدِيَّةِ - إِلَى فَوْقِ - حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ الْآبِ، نَرَى نَفْسَ هَذَا التَّرْكِيزِ عَلَى تَكْرِيمِ الْمَسِيحِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةٍ أَيْضاً. لَقَدْ دُفِنُوا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ وَقَامُوا مَعَهُ بِالْإِيمَانِ لِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ، وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَعُودُ رَبُّ الْقِيَامَةِ وَالْحَيَاةِ لِيَأْخُذَهُمْ مَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ الْمَدِينَةِ الَّتِي صَانَعُهَا وَبَارَنُهَا هُوَ اللَّهُ.

تُرى، ماذا تعني قيامة المسيح بالنسبة لي؟ تعني قيامة المسيح أن ذبيحته قد قُبِلَتْ، وخلاصه قد تَمَّ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ. وَهِيَ أَسَاسُ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ، كَمَا أَوْضَحَ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي ١ كُورِنْثُوسَ ١٥: ٤ أَنَّ الْمَسِيحَ - مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ ٢ - أَنَّهُ دُفِنَ ٣ - وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ. الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالْخُلَاصِ "إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ خَلَصْتَ" (رومية ١٠: ٩). وَهِيَ إِعْلَانُ التَّبَرِيرِ أَيْ تَبَرِيرِنَا نَحْنُ الْخُطَاةُ أَمَامَ اللَّهِ الْقُدُّوسِ "الَّذِي أَسْلَمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبَرِيرِنَا" (رومية ٤: ٢٥).

كَانَ صُعُودُ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ هُوَ تَأْكِيدُ لِقَبُولِ ذَبِيحَتِهِ الْكَفَّارِيَّةِ عِنْدَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ. لِذَلِكَ رَبطَ الرَّسُولُ بُولُسُ بَيْنَ ذَبِيحَةِ الصَّلِيبِ، وَبَيْنَ دُخُولِ الْمَسِيحِ إِلَى الْأَقْدَاسِ السَّمَاوِيَّةِ؛ فَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ: "بَدَمَ نَفْسِهِ دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا" (عبرانيين: ٩: ١٢). الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ "كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسَلُّكَ نَحْنُ أَيْضاً فِي جَدَّةِ الْحَيَاةِ".

كَمَا أَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِإِتْيَانِنَا الثَّمَرِ لِمَجْدِ الْآبِ "إِذَا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ مُتُّمُ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ لِكَيْ تَصِيرُوا لِآخِرِ الَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِنَثْمَرِ لِلَّهِ" (رومية ٦: ٤ و ٧: ٤). كَمَا كَانَتْ مَصْدَرُ انْتِصَارِ بُولُسِ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ وَظُرُوفِهِ الْقَاسِيَةِ. الْقِيَامَةُ مَصْدَرُ الْقُوَّةِ الْفَائِقَةِ، فَقُوَّةُ اللَّهِ ظَهَرَتْ بِطَرِيقَةٍ لَيْسَ لَهَا مِثِيلٌ بِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ، وَهَذِهِ الْقُوَّةُ تَعْمَلُ لِحَسَابِنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَيْثُ لَا يَقِفُ أَيُّ عَائِقٍ أَمَامَ قُوَّةِ كَهْذِهِ: "لَتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غَنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةِ نَحْوَنًا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ" (أفسس ١: ١٨-١٩).

الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِشَفَاعَةِ الْمَسِيحِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِأَجْلِنَا الْآنَ فِي السَّمَاءِ: "الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بِلِ الْبَحْرِ قَامَ أَيْضاً، الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا". (رومية ٨: ٣٤). الْقِيَامَةُ مَصْدَرُ التَّعْزِيَةِ عِنْدَ مَوْتِ الْأَحْبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ "لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه" (١ تسالونيكي ٤: ١٤). الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِانْتِظَارِنَا لِمَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً "لأنهم هم يُخْبِرُونَ عَنَّا، أَيْ دُخُولَ كَانٍ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَوْتَانِ، لَتَعْبُدُوا اللَّهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْعُصْبِ الْآتِي" (١ تسالونيكي ٤: ١٠-١١).

الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالرَّجَاءِ وَالْمِيرَاثِ الْأَبَدِيِّ: "مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءِ حَيِّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَسُ وَلَا يَضْمَحِلُ" (١ بطرس ١: ٣-٤). تَمَنُّنَا الْقِيَامَةَ السَّلَامَ وَالْفَرَحَ عِنْدَمَا ظَهَرَ لَهُمْ يَسُوعُ فِي الْعِلْيَةِ وَقَالَ لَهُمْ "سَلَامٌ لَكُمْ" فَفَاضَتْ قُلُوبُهُمْ فَرَحًا. وَكَمَا تَكْمُنُ فِي الْقِيَامَةِ قُوَّةُ لِإِقَامَةِ الْمَوْتَى، هَكَذَا تَسْمُو بِنَا لِحَيَاةِ النَّصْرَةِ وَالْعُلْبَةِ فِي الْمَسِيحِ، لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ أَبَدَ الدُّهُورِ.

كَلِمَةُ اللَّهِ وَأَفْكَارِي

"يَا رَبِّ، قَدْ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهَمْتُ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ."

(مزمو ١٣٩: ٢٥)

الرب يعرف كل شيء عنا، يفهم فِكْرنا من بعيد ولا شيء خفي عنه، كُلُّ ما نصنعه، وكل ما نُفَكِّر فيه معروف لديه، يُتَابِع نفس المزمور قائلاً: "مَنْ خَلَفَ وَمَنْ قُدَّامَ حَاصِرَتَيْنِي، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ. عَجِيبَةُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ، قَوِي ارْتَفَعْتُ، لَا أَسْتَطِيعُهَا. أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعَدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَوَايَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحِي الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقْصَايِ الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدَكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينِكَ. فَقُلْتُ: "إِنَّمَا الظُّلْمَةُ تَغْشَانِي" فَالَلَّيْلُ يُضِيءُ حَوْلِي! الظُّلْمَةُ أَيْضًا لَا تَظْلُمُ لَدَيْكَ، وَاللَّيْلُ مِثْلَ النَّهَارِ يُضِيءُ. كَالظُّلْمَةِ هَكَذَا النُّورُ" (مزمو ١٣٩: ٥-١٢). اللَّهُ حَاصِرُنَا مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ، وَجَعَلَ يَدَهُ عَلَيْنَا، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا هُوَ إِنْسَانٌ اخْتَارَهُ اللَّهُ وَكَوْنَهُ، وَيَهْتَمُّ بِهِ وَيَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ، حَتَّى جُلُوسِنَا وَقِيَامِنَا، فَهُوَ مَعَنَا دَائِمًا وَلَا يُوجَدُ مَكَانٌ يَخْلُو مِنْهُ.

لَا يَتَوَقَّفُ صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ فِي وَصْفِ عَنَايَةِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ بِنَا، بَلْ يَصِفُ بِشَكْلِ رَائِعٍ عَظَمَةَ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ نَحْوِنَا فيقول: "مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اللَّهُ عِنْدِي! مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا! إِنْ أَحْصَاهَا فَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الرَّمْلِ" (مزمو ١٣٩: ١٧ و ١٨). كَمَا قَدْ يَتَضَحُّ مِمَّا سَبَقَ، نَحْنُ لَسْنَا أَنَاسٌ وَجَدْنَا هُنَا بَدُونَ هَدَفٍ لِلْحَيَاةِ. لَكِنَّ اللَّهَ عَرَفَنَا مُسَبِّقًا وَاخْتَارَنَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لَقَدْ اخْتَارَكَ وَكَانَ هُوَ مَنْ خَلَقَكَ وَأَعْطَاكَ الشَّكْلَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ الْآنَ.

وَكُلُّ أَعْمَالِهِ، أَنْتَ أَيْضًا عَجِيبٌ. لَقَدْ تَدَخَّلَ شَخْصِيًّا فِي تَكْوِينِكَ وَرَأَى جَسَدَكَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، كُلُّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ كُتِبَتْ فِي سِفْرِهِ بَيْنَمَا لَمْ يَكُنْ أَيْ مِنْهَا، أَنْتَ لَمْ تُوجَدْ بِالصُّدْقَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، فَأَنْتَ لَسْتَ جُزْءًا مِنَ الرَّحَامِ، بَلْ إِنَّكَ خَلْقَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، فَأَنْتَ ابْنُ اللَّهِ، مُخْتَارٌ مِنْ قَبْلِهِ بِدَايَةِ الْعَالَمِ.

اللَّهُ مَعَكَ، مُحَاصِرُكَ مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ وَلَيْسَ هُنَاكَ مَكَانٌ تَقْدِرُ أَنْ تُوْجَدَ فِيهِ بِدُونِهِ، اللَّهُ يُحِبُّكَ بِشَكْلِ شَخْصِيٍّ يَا صَدِيقِي، وَهُوَ يُحِبُّكَ كَثِيرًا لَدَرَجَةٍ أَنْ لَا شَيْءَ يَقْدِرُ أَنْ يَفْصَلَكَ عَنْ مَحَبَّتِهِ، أَفْكَارُهُ تَجَاهَكَ لَا تُحْصَرُ، وَهِيَ تَزِيدُ عَلَى الرَّمَالِ، وَوُجُودُهُ لَيْسَ قَضِيَّةَ شُعُورٍ، بَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ غَيْرُ مُتَغَيِّرَةٍ، فَاللَّهُ لَيْسَ مَعَكَ عِنْدَمَا تَشْعُرُ بِهِ ثُمَّ يَخْتَفِي عِنْدَمَا لَا تَشْعُرُ بِهِ، بَلْ إِنَّهُ مَعَكَ سِوَاءَ شُعُورِكَ بِهِ أَمْ لَمْ تَشْعُرْ، أَنْتَ ابْنُهُ بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ مِقْدَارِ شُعُورِكَ بِهِ، هَذَا هُوَ مَا تَقُولُهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، الْحَقُّ، وَالْحَقُّ مُسْتَقَلٌّ عَنِ الْمَشَاعِرِ.

كَثِيرًا مَا نُحَاوِلُ أَنْ نَتَنَبَّأَ أَوْ نَتَوَقَّعَ مَا يَجُولُ بِخَاطِرِ الرَّبِّ أَوْ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْمَلَ مُتَنَاسِلِينَ أَنَّهُ الْفَخَّارِيُّ وَنَحْنُ الطِّينُ. يَصْدُقُ هُنَا مَا قَالَهُ إِشْعِيَاءُ ٥٥: ٨ و ٩ عَنْ فِكْرِ اللَّهِ "لَأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لَأنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنْ الْأَرْضِ، هَكَذَا عَلَتِ طُرُقِي عَنْ طُرُقُكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ".

إِنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْأَزَلِيِّ وَالَّذِي أَعْمَالُهُ وَطُرُقُهُ أَبْعَدُ عَنْ مَفْهُومِنَا الْمَحْدُودِ. مَعَ أَنَّنَا خُلِقْنَا عَلَى صُورَتِهِ غَيْرَ أَنَّ الْخَطِيئَةَ قَدْ شَوَّهَتْ هَذِهِ الصُّورَةَ، وَاللَّهُ فِي نِعْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ أَرْسَلَ مَسِيحَنَا الْمُبَارَكَ لِيَمُوتَ عَنَّا وَيُخَلِّصَنَا. لِنُعْطِ الرَّبَّ حَقَّهُ مِنَ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ لِأَنَّ أَفْكَارَهُ مِنْ نَحْوِنَا هِيَ أَفْكَارُ سَلَامٍ وَمَحَبَّةٍ.

خَتَمَ الْمَلِكُ دَاوُدَ مَزْمُورَهُ ١٣٩ بِصَلَاةٍ فِي الْأَعْدَادِ ٢٣ و ٢٤ "اخْتَبَرْنِي يَا اللَّهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِي طَرِيقٍ بَاطِلٍ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا". اخْتَبَرْنِي يَا إِلَهِي وَامْتَحِنِي يَا خَبِيرَ. فَاحِصًا

قَلْبِي وَلُبِّي عَارِفًا مَا فِي الضَّمِيرِ. إِنْ وَجَدْتَ فِيَّ مِيلًا لِلطَّرِيقِ الْبَاطِلِ. إِهْدِ قَلْبِي يَا إِلَهِي فِي الطَّرِيقِ الْكَامِلِ.

رَبِّي، كُلُّ شَيْءٍ غُرِيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لَدَيْكَ، أَنَا الْخَرْفُ وَأَنْتَ الْفَخَّارِيُّ، صُغْنِي مِنْ جَدِيدٍ لِأَكُونَ حَسَبَ مَا تُرِيدُنِي أَنْ أَكُونَ، وَأَعِيشْ لِمَجْدِكَ عَلَى أَمَلٍ أَنْ أَرَكَ فِي مَجِيئِكَ الثَّانِي عَنْ قَرِيبٍ. بِاسْمِ رَبِّ الْمَجْدِ يَسُوعَ. آمِينَ.

يسوع يعرف أفكارك

"وَأَنْتَ يَا سُلَيْمَانُ ابْنِي اعْرِفْ إِلَهَ أَبِيكَ وَاعْبُدْهُ بِقَلْبٍ كَامِلٍ وَنَفْسٍ رَاغِبَةٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ يَفْحَصُ جَمِيعَ الْقُلُوبِ، وَيَفْهَمُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الْأَفْكَارِ." (١ أخبار الأيام الأول ٢٨: ٩)

وَصَلَ الْمَلِكُ دَاوُدَ إِلَى نَهَايَةِ أَيَّامِهِ حَيْثُ سُورِثَ سُلَيْمَانُ ابْنُهُ مَلِكًا مَكَانَهُ، فَجَمَعَ رُؤَسَاءَ الشَّعْبِ وَوَقَفَ عَلَى رِجْلَيْهِ وَخَاطَبَ شَعْبَهُ مُوضِحًا لَهُمْ أَنَّ ابْنَهُ سُلَيْمَانَ سَيُنِي هَيْكَلًا لِلرَّبِّ. ثُمَّ أَوْصَاهُ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلرَّبِّ وَيَعْبُدَهُ بِقَلْبٍ كَامِلٍ وَنَفْسٍ رَاغِبَةٍ. عَرَفَ دَاوُدُ ثَقُلَ مَسْئُولِيَّةَ قِيَادَةِ الشَّعْبِ، لِذَا أَوْصَى سُلَيْمَانَ أَنْ يَطْلُبَ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِهِ لِأَنَّهُ قَدْ اخْتَارَهُ لِيُنِي هَيْكَلًا لَهُ فِي أُورُشَلِيمَ، كَمَا ذَكَرَهُ أَنَّ الرَّبَّ يَفْحَصُ جَمِيعَ الْقُلُوبِ وَيَفْهَمُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الْأَفْكَارِ. كُلُّ شَيْءٍ عَارٍ وَمَكْشُوفٍ أَمَامَهُ وَمَهْمَا حَاوَلْنَا الْهَرُوبَ مِنْ وَجْهِهِ يَكُونُ لَهُ الْمَجْدُ هُنَاكَ.

عِنْدَمَا تَطْلُبُ اللَّهَ، تَذَكَّرُ أَنَّهُ يَعْرِفُ سَبَبَ مَا تَقُومُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ. كُلُّ تَصَوُّرَاتِ أَفْكَارِنَا مَكْشُوفٌ أَمَامَهُ. الْأَمَانَةُ مَطْلُوبَةٌ فِي تَعَامُلِنَا مَعَ اللَّهِ. كَانَ دَاوُدُ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ الشَّعْبَ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ تَوْفُّعُ بَرَكَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَيْنَمَا هُمْ يَعْبُدُونَ آلِهَةً كَاذِبَةً مِثْلَ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ. وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى عِبَادَتِنَا وَتَقْدِمَاتِنَا لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ دَوَافِعَ مَا نَقُومُ بِهِ وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي نَقُومُ بِهَا. وَلَا عَجَبَ أَنْ يَقُولَ فِي مَزْمُورٍ ١٣٩: ١ "يَا رَبُّ، قَدْ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي" اللَّهُ، يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِّي، جُلُوسِي وَقِيَامِي، يَفْهَمُ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. كُلُّ كَلِمَةٍ فِي لِسَانِي يَعْرِفُهَا، لِذَا أَوْصَانَا أَنْ يَكُونَ كَلَامُنَا نَعَمَ، نَعَمَ، وَمَا زَادَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشَّرِيرِ. يَعْلَمُ أَفْكَارَنَا وَنِيَّاتِنَا أَيْضًا.

مِنَ الْمَهْمِ لِسُلَيْمَانَ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الرَّبِّ وَيَجِدْهُ، وَفِي هَذَا نَقْرَأُ مَا أَوْصَى مُوسَى بِهِ شَعْبَهُ فِي سِفْرِ التَّنْذِيرِ ٢٩: ٤ "ثُمَّ إِنْ طَلَبْتَ مِنْ هُنَاكَ الرَّبَّ إِلَهَكَ تَجِدْهُ إِذَا التَّمَسَّتَهُ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ". عَرَفَ دَاوُدُ وَاخْتَبَرَ مَعْنَى طَلَبِ الرَّبِّ حَيْثُ يَقُولُ فِي مَزْمُورٍ ٦٣: ١ "يَا اللَّهُ، إِلَهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطَشْتَ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِئَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلَا مَاءٍ". مَا أَرُوعَ الْاشْتِيَاقَ إِلَى اللَّهِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَطَلَبَ بَرَكَتَهُ عَلَى يَوْمِنَا.

يَبْحَثُ النَّاسُ عَنِ اللَّهِ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَالْبَعْضُ يُفْتَشُونَ عَنْهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوهُ. الْبَعْضُ الْآخَرُ يَبْحَثُونَ عَنْهُ لِأَنَّهُمْ فِي مَآزِقٍ أَوْ عَلَى وَشَكٍ اتِّخَاذِ قَرَارٍ مُصِيرٍ وَيَطْلُبُونَ الْفَرَجَ، أَوْ تَمَّ تَشْخِصُهُمْ بِمَرَضٍ خَطِيرٍ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الشِّفَاءَ. هُنَاكَ أَيْضًا مَنْ يَشْعُرُونَ بِالْوَحْدَةِ وَالضَّيَاعِ وَيَطْلُبُونَ رِعَايَةَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ لَهُمْ. يَسُوعُ يَعْرِفُنِي جَيِّدًا وَبِشَكْلِ شَخْصِيٍّ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْرِفُ أَنَا نَفْسِي، وَهَذَا مَا يَدْعُونِي لِلرَّتِيحِ لِأَنَّهُ يَعْتَنِي بِي وَيُرْعَانِي.

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ قَادِرٌ أَنْ يَعْرِفَ مَكْنُونَاتِ قَلْبِي وَأَفْكَارِي حَتَّى قَبْلَ أَنْ أُبَوِّحَ بِهَا. عِنْدَمَا جَاءُوا بِالْمَفْلُوحِ أَمَامَ يَسُوعَ لِيَشْفِيَهُ "قَالَ لَهُ: "ثِقْ يَا بَنِيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" قَالَ الْكَتَبَةُ الْحَاضِرُونَ، هَذَا يُجَذِّفُ "فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: "لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟".

يَسُوعُ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَأْتَمَنِ الْبَعْضُ عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا يَقُولُ فِي يُوحَنَّا ٢: ٢٥ "وَلَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الْإِنْسَانِ، (أَيُّ طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ) لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الْإِنْسَانِ". (أَيُّ مَكْنُونَاتِ صُدُورِهِمْ) هَلْ هَذَا يُدْهِشُكَ قَارِئِي الْعَزِيزُ؟ أَلَيْسَ هُوَ خَالِقُ الْكُلِّ بِمَا فِيهِمْ أَنْتَ وَأَنَا؟ وَفِيهِ وَمَعَهُ لَا أَحْتَاجُ أَنْ أَكُونَ وَحِيدًا لِأَنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ يَعْتَنِي بِي.

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكُونَ صَرِيحًا وَأَنَا أَنَا جِيهِ بِالصَّلَاةِ، لَا سَيِّمًا، وَهُوَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِّي. وَبِمَا أَنَّهُ يَقْرَأُ أَفْكَارِي وَيَفْهَمُنِي جَيِّدًا، فَمَا سَأَقُولُهُ بِالصَّلَاةِ مَعْرُوفٌ مُسَبِّقًا لَدَيْهِ، وَمَا أَقُولُهُ فِي الْخَفَاءِ فِي صَلَاتِي الْإِنْفِرَادِيَّةِ، يُكَافِئُنِي عَلَنًا. يَا رَبُّ، لَنْ أَكْتُمُ أَسْرَارِي عَنْكَ، لِأَنَّكَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، سَاعِدْنِي أَنْ أُفْرَغَ حِمْلَ قَلْبِي بَيْنَ يَدَيْكَ. أَنْتَ الَّذِي فَدَيْتَنِي بِدَمِكَ عَلَى الصَّلِيبِ، كَيْفَ أُعَبِّرُ عَنْ امْتِنَانِي لَكَ لِخَلَاصِكَ الْعَجِيبِ؟ أَسَلِّمُ لَكَ قَلْبِي وَحَيَاتِي فِي تَسْبِيحَةٍ شُكْرٍ، وَلِي كُلُّ الْيَقِينِ بِعَظِيمِ مَحَبَّتِكَ الَّتِي دَفَعْتَكَ لَتَمُوتَ عَنْ خَطَايَايَ عَلَى الصَّلِيبِ. سَاعِدْنِي، أَنْ أَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِمَجِيئِكَ الثَّانِي عَنْ قَرِيبٍ، وَأَقْضِي الْأَبَدِيَّةَ بِصُحْبَتِكَ يَا فَادِيَّ الْقُدُّوسَ. آمِينَ.

دروس من حياة يهوذا

"الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيَسْلُمُنِي!" (يوحنا ١٣: ٢١)

يهوذا بن سمعان الإسخريوطي كان واحداً من تلاميذ السيد المسيح. عاش معه وسمع تعاليمه ورأى معجزاته، نال سلطان على شفاء المرضى وإخراج الشياطين، وإقامة الموتى، مع ذلك، خانه في النهاية بثلاثين من الفضة - التي هي ثمن عبد- باع رب المجد للعار والموت. كان المؤتمن على صندوق المال، غير أنه كان سارقاً. سمح يهوذا للشيطان أن يستولي على عقله نتيجة الطمع الدنيوي ومحبة المال. لقد أساء فهم مرسلية الرب يسوع حيث ظن بأنه سيقوم مملكة أرضية، وسيكون هو الوزير الأول في حكومته. كانت ليهوذا طبيعة بشرية ضعيفة - كما لنا أيضاً - استطاع الشيطان أن ينفذ من خلالها إلى قلبه.

كان المخلص يتحدث عن خبز الحياة النازل من السماء الواهب الحياة لكثيرين في إنجيل يوحنا الأصحاح السادس: ٧٠ و٧١ واعترف بطرس به "أنت المسيح ابن الله الحي". أجابهم يسوع أليس أني أنا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان. قال عن يهوذا سمعان الإسخريوطي. لأن هذا مزمعاً أن يسلمه". وفي الأصحاح الثالث عشر من نفس الإنجيل اجتمع يسوع مع تلاميذه لتناول العشاء "وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه" وبعد أن غسل أرجل تلاميذه بمن فيهم يهوذا قال: "وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم لأنه عرف مسلمه" (يوحنا ١٣: ١٠ و١١).

بعد ذلك حزن يسوع واضطرب بالروح فقال لتلاميذه "إن واحداً منكم سيُسلمني" وعندما أصر التلاميذ على معرفة من هو الذي سيُسلمه أجاب يسوع "هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فعمس اللقمة وأعطاها ليهوذا. فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع "ما أنت تعمل فاعمله بأكثر سرعة" ثم خرج يهوذا. وكان ليلاً.

أراد المسيح أن يوضح لتلاميذه ولنا بمعرفته بنوايا القلب والنيات ليقوي إيمانهم. أعلن يسوع عن ألوهيته بكشفه لنوايا الخائن. ترى، آية دروس يمكننا تعلمها من حياة يهوذا وتسليمه لسيد المحبوب.

عندما نأخذ بعين الاعتبار قرب يهوذا من المسيح طوال ثلاث سنوات من خدمته، يصعب علينا أن نتخيل كيف استطاع تنفيذ تلك الخيانة. وتعلمنا قصة يهوذا أن نحذر من السقطات الصغيرة التي تزداد قوتها تدريجياً في حياتنا والتي يمكن أن تفتح المجال لتأثيرات أكثر تدميراً. كما تذكّرنا قصة يهوذا بأن المظاهر يمكن أن تكون خادعة.

قال الرب يسوع: "كثيرون سيَقُولُونَ لي في ذلك اليوم: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَبَّانَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوتَاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أَصْرَحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ!" (متى ٢٣: ٢٢-٢٣). إن العرض الخارجي للولاء ليسوع لا معنى له ما لم نتبع المسيح في قلوبنا أيضاً. سيحاول الشيطان والعالم حملنا على خيانة يسوع، لذلك يجب أن نطلب من الروح القدس المساعدة في مقاومتهم. على الرغم من أن يهوذا حاول التراجع عن الضرر الذي قام به، إلا أنه فشل في طلب مغفرة الرب. معتقداً أن الوقت قد فات بالنسبة له، أنهى يهوذا حياته في الانتحار. طالما نحن على قيد الحياة، فلنا أمل لنأتي إلى الله لننال العُفْران والتطهير من خطايانا. من المُحْزن أن يهوذا، الذي أتاحت له الفرصة للسير في علاقة وثيقة مع يسوع، لكنه قام باختيار واعٍ لخيانة سيده. أدرك أنه "قد سلم دماً بريئاً" أحس بحزن عميق نتيجة إحساسه بالدينونة، لكنه لم يحزن لتسليمه ابن الله للموت.

رأى أن كل توسلاته لأطلاق سراح يسوع قد فشلت، اندفع وهو يصرخ "قد فات الأوان" وشنق نفسه. ساعدني ربي أن أسهر مقوماً كل اعوجاج، لأسمع في النهاية قول الفادي "أيها الرجل المحبوب، سلام لك. تشدد".

تأثير المعرفة على حياتي

"وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنِي ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا."

(عبرانيين ٤: ١٣)

يُوضَحُ كاتب الرسالة إلى العبرانيين في الآية ١٢ من نَفْسِ الأصْحاح "لأنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ". تُشَخِّصُ كَلِمَةُ اللَّهِ حَالَةَ الْإِنْسَانِ كَمَا يُشَخِّصُهَا الطَّبِيبُ الْجَرَّاحُ. إِذْ أَنَّ الْقَلْبَ مَفْتُوحٌ أَمَامَهَا، وَتُحَدِّدُ الصِّحَّةَ الرُّوحِيَّةَ بِدَقَّةٍ. فَالَّذِينَ خَاطَبَهُمْ كَاتِبُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَوَّلًا كَانُوا عَلَى وَشَكِّ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى نَهْجِ الْفَسْلِ الرُّوحِيِّ لِشُعْبِهِ قَدِيمًا وَعَلَى وَشَكِّ التَّخْلِيعِ عَنْ إِيمَانِهِمْ.

حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ: عِنْدَمَا تَكْشِفُ كَلِمَةُ اللَّهِ عَنْ ضَعْفِنَا، وَعَدَمِ إِيمَانِنَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، تَظْهَرُ الْقُوَّةُ الْكَامِنَةُ فِيهَا وَحِكْمَتُهَا وَدَقَّتُهَا. فَهِيَ تُذَكِّرُنَا دَائِمًا أَنَّنَا إِذْ نُسَلِّمُ أَنْفُسَنَا لِكَلِمَةِ اللَّهِ، نَفْعَلُ ذَلِكَ لِهَدَفٍ أَسْمَى بِكَثِيرٍ مِنْ مُجَرَّدِ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ الْفِكْرِيَّةِ أَوْ لَتَعَلُّمِ حَقَائِقِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَنَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الْكَلِمَةِ لِأَنَّنَا نَلْتَقِي بِاللَّهِ فِي كَلِمَتِهِ، وَلأنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَعْمَلُ بِقُوَّةٍ مِنْ خِلَالِ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَهَذَا الْعَمَلُ الرُّوحِيُّ لِكَلِمَةِ اللَّهِ يَتَجَاوَزُ مُجَرَّدَ تَعْلِيمِنَا حَقَائِقِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. كَمَا تَجَلِّبُ كَلِمَةُ اللَّهِ الصِّحَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالثَّمَرَ وَالنَّجَاحَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِنَا.

كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ مَصْدَرُ قُوَّةٍ شَاقِيَّةٍ لِنَتَّقِيهَا وَنُنَقِّي طُرُقَنَا إِنْ عَمَلْنَا بِمُوجِبِهَا. وَإِذَا هِيَ مُرْشِدُنَا، نَتَلَذَّذُ بِهَا لِتُصْبِحَ مَصْدَرُ تَعَزُّيْتِنَا وَإِرْشَادِنَا. تَبْنِي كَلِمَةُ اللَّهِ إِيمَانَنَا وَهِيَ مَصْدَرُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِرْشَادِ لِتُصَيِّرَ الْجَاهِلَ حَكِيمًا. تَمْنَحُ السَّلَامَةَ وَالْأَمَانَ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهَا. يَسُوعُ هُوَ الْكَلِمَةُ. وَحِينَ نَكُونُ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ، فَنَحْنُ فِي يَسُوعَ (يُوحَنَّا ١: ١).

الإِصْغَاءُ إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ مُهِمٌّ لِحَيَاتِنَا الْأَبَدِيَّةِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ دُونَ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَيَعِيشَ مَبَادِئَهَا فِي حَيَاتِهِ.

اللَّهُ هُوَ خَيْرُ الْإِنْسَانِ الْأَعْظَمِ: هَذِهِ شَهَادَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَكْمَلِهِ. إِذْ يَبْدَأُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِالْحَدِيثِ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ عَلَى صُورَتِهِ كَشَبْهِهِ، لِيَعْرِفَ الْإِنْسَانُ خَالِقَهُ بِكَيْفِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَلِيُحِبَّهُ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ وَلِيَحْيَا مَعَهُ فِي سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ. وَخَاتِمَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَصَفَ لِأُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ الَّتِي يَرَى سُكَّانُهَا اللَّهُ وَجْهًا لُوجَهُ وَاسْمَهُ عَلَى جَبَاهِهِمْ (رُؤْيَا ٢٢: ٤). وَاللَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ هُوَ الْمَلِكُ وَالسَّيِّدُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ، الْقَائِدُ وَالرَّاعِي وَالْفَادِي وَالْمُعِينُ وَالطَّبِيبُ وَالْأَب. كَمَا أَنَّهُ نَوْرُهُمْ وَنَارُهُمْ، وَيَنْبُوعُهُمُ الْمَرْوِيُّ وَالْبُئْرُ الَّذِي يَسْتَقُونَ مِنْهَا، صَخْرَتُهُمْ وَتَرْسُهُمْ، حَصْنُهُمْ وَبَرْجُهُمْ، مَكَافَأَتُهُمْ وَسِتْرُهُمْ، مَدِينَتُهُمْ وَهَيْكَلُهُمْ.

فَكُلُّ مَا يُمْكِنُ لِلْعَالَمِ أَنْ يَقْدِمَهُ مِنْ خَيْرٍ إِنَّمَا هُوَ ظَلٌّ بَاهِتٌ لِلْخُلَاصِ الْكَامِلِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ اللَّهُ لِشُعْبِهِ. لِذَا يَخَاطَبُ دَاوُدُ الرَّبَّ قَائِلًا: "قُلْتُ لِلرَّبِّ أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي، لَا شَيْءَ غَيْرِكَ" (مزمور ١٦: ٢). وَبِتَغْنَى آسَافَ قَائِلًا: "مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لَا أُرِيدُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ. قَدْ فَنِي لِحِمِي وَقَلْبِي، صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللَّهُ إِلَى الدَّهْرِ" (مزمور ٢٦: ٢٣-٢٥). حَتَّى السَّمَاءُ فِي نَظَرِ الْمُؤْمِنِ، بِكُلِّ بَرَكَاتِهَا وَمَجْدِهَا تَضْحَى، مِنْ دُونِ اللَّهِ، بَاطِلَةٌ عَقِيمَةٌ تَافِهَةٌ. وَإِذَا يَحْيَا فِي شَرَكَةِ اللَّهِ، لَا يَنْشَغَلُ بِمَا هُوَ أَرْضِي، لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَسْمُو عَلَى كُلِّ خَيْرٍ آخَرَ.

وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ لِلَّهِ لَيْسَتْ فِي مَعْرِفَةِ الْكَثِيرِ عَنْهُ، بَلْ فِي أَنْ نَرَاهُ فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ، أَنْ نَتَقَابَلَ مَعَهُ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ، وَفِي اخْتِبَارِنَا الشَّخْصِي، أَنْ نَتَعَرَّفَ بِفَضَائِلِهِ وَبِرِّهِ وَقِدَاسَتِهِ وَرَأْفَتِهِ وَنِعْمَتِهِ، وَنَكُونُ مِنْ مُوَاطِنِي مَلَكُوتِ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ فِي عَوْدَةِ مَسِيحِنَا الْمُبَارَكِ، حَيْثُ سَيَكُونُ اسْمُهُ عَلَى شِفَاهِنَا. صَلَاتِي أَنْ يُبَارِكَ الْقَدِيرَ حَيَاتِنَا لِنَعِيشَ لِمَجْدِهِ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا، لَهُ كُلُّ الشُّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

توبة داود

"إِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ اَمْحُ مَعَاصِيَّ." (مزمو ٥١ : ١)

بعد أن تعدى شاول الملك أمر الربّ المرّة تلو الأخرى، غادره روح الله وجاءه النبي صموئيل ليُخبره أن الله قد رفضه، وسينزع عنه الملك ويُعطيه لشخص آخر. باغت روح رديء شاول من قبل الربّ. نصحه عبيده بأن يأمر بإحضار شخص يلعبُ على العود كي تطيب نفسه ويهدأ. نقرأ في سفر صموئيل الأوّل ١٦ : ١٨ "فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَقَالَ: "هُوَذَا قَدْ رَأَيْتُ ابْنًا لَيْسَ الْبَيْتْلَحْمِيِّ يُحْسِنُ الضَّرْبَ، وَهُوَ جَبَّارٌ بِأَسِّ وَرَجُلٌ حَرْبٍ، وَفَصِيحٌ وَرَجُلٌ جَمِيلٌ، وَالرَّبُّ مَعَهُ". نرى في هذه الآية أروع صفات للملك داود الذي تصفه كلمة الله في ١ صموئيل ١٣ : ١٤ "قَدْ انْتَخَبَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِهِ". تميّزت حياة الملك داود - الذي صار ملكاً بعد الملك شاول - بالكثير من الأحداث. كان داود راعياً في صباه وإذ هاجم دُب وأسد الأغنام قام بقتلها. كما قام بقتل جُلّيات الذي غير شاول وجيشه لأربعين يوماً بمقلاع وحجر أُمّس من الوادي، إلى جانب إيمانه بالربّ الإله. قضى سنين قليلة مطاردًا من الملك شاول الذي صمّم على قتله حيث كتب أروع المزامير. سنحت له الفرصة ليقُتل شاول، لكنّه أبقى على حياته. وفي هروبه من أمام شاول، ذهب إلى ملك جت حيث عرفه جنوده فتظاهر بالجنون لينقذ حياته.

من أكثر الخطايا التي ارتكبها داود هي خطيئتي الزنى والقتل حيث نقرأ تفاصيل ما حدث في سفر صموئيل الثاني الأصحاح ١١ و ١٢. يروي الكتاب أن الحرب كانت على ربة عمّون التي هي عمّان اليوم، وأن أحد قوَّاد الجيش أورياً كان في ساحة الحرب. واسم امرأته بشبع، كانت تستحم في الرواق الداخلي. وبما أن القصر أعلى من سائر البيوت، رآها الملك تستحم فاشتهاها. وطلبها وكانت له علاقة معها. ولما علم أنها حامل منه دعا زوجها أورياً من جبهة القتال، ليأتي إلى بيته وهكذا يُخفي جريمته التي كانت الزنى.

أراد داود أن يُخفي خطيئته، خطيئة الزنى مع بشبع، ولكنه نسي أن الله عليم بكل شيء. جاء أورياً من المعركة واستقبله داود وقال له: "اذهب إلى بيتك وعش مع امرأتك الحياة الزوجية". هنا نلاحظ هذه البرودة في التعاطي مع الخطيئة عند داود، وكبر النفس عند أورياً الحثي الذي ليس من الشعب العبراني. هو حثي إذاً غريب عن القبائل العبرانية. رفض أورياً أن ينام في بيته. قال للملك: حاشا لي. جيشي ينام في العراء وأنا أنام مرتاحاً في بيتي. وفضل أن ينام في الساحة أمام قصر الملك. غير أن هذا العمل العظيم، العمل الكريم، سيُعامل بشراً آخر. المهم أن تختفي خطيئة الملك بحيث لا يعرف أحد بها.

فدبر داود طريقة ثانية لكيلا تنفضح أموره. كتب إلى القائد الأعلى في الجيش: "تجعل أورياً في مكان خطر وتترجعون بحيث يموت أورياً". ولما جاء الخبر إلى الملك لم يتأسف أبداً مع أنه هو الذي دبر قتل أورياً، هذا القائد الشريف. فهو السبب في هذه الخطيئة الكبيرة. خطيئة أولى زنى. خطيئة ثانية قتل. وهو الآن يأخذ بشبع ويجعلها في بيته وبين حريمه وستصبح هي المرأة المفضلة، وابنها سليمان سيكون الملك بعد أبيه داود.

ظن داود أن الأمور انتهت. لكن الساهر القدوس كان على علم بكل شيء، فأرسل له ناثن النبي. أعطى ناثن داود مثلاً حيث اعتدى غني على نعمة فقير. ثار غضب داود وطالب بموت الغني والتعويض للفقير. واجهه النبي داود قائلاً "أنت هو هذا الرجل". عرف الملك شناعة خطيئته وكتب مزمو ٥١ حيث أخطأ ضد الله ووصاياه.

قاسى داود نتيجة خطاياها، لكنه تاب إلى الربّ، وبقي متمسكاً بإيمانه حتى عندما ثار ضده ابنه أبشالوم. عزيزي، مهما كانت خطاياك، يسوع أعظم منها، وهو القادر أن يغفر خطاياك بعد أن تتوب عنها. ليبارك الغفور الرحيم حياتك ويُغيّر لها لمجده على الدوام، إلى أن يعود ثانية عن قريب.

تغيير شاول إلى بولس

"إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا." (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

كثيراً ما نتساءل عن التغيير الذي حصل لشاول الطرسوسيّ وحولّه إلى بولس رسول المسيحية إلى الأمم، وكاتب ثلث العهد الجديد؟ يكمن الجواب في صيرورته خليقة جديدة في المسيح يسوع كما كتبت في الآيات أعلاه. وفي الخليقة الجديدة هناك صيرورة جديدة تجعلنا نصير في المسيح فنسامح على خطايانا ولا نعود نحاسب عليها، وذلك بفضل عمله الخلاصيّ فينا وليس بفضل أي عمل ديني نقوم به.

"أي إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢ كورنثوس ٥: ١٩). فعند اختبار الخليقة الجديدة في المسيح نتبرر (أي نُعلنُ براءتنا) وتصير لنا طبيعة جديدة قادرة أن تخلع التصرفات السابقة الفاسدة المخجلة لتحيا بالبر. يؤكد بولس الرسول ذلك بقوله: "أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانِ الْعَتِيقِ الْفَاسِدِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبَرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ" (أفسس ٤: ٢٢ - ٢٤).

وُلِدَ شَاوُلُ فِي طَرَسُوسٍ عاصمة مقاطعة كيليكية، وتقع إلى الشمال الشرقي من طرف البحر الأبيض المتوسط، وإلى الجنوب من آسيا الصغرى وكانت بها جامعة من أشهر الجامعات في ذلك الحين، إذ كانت تقف على قدم المساواة مع جامعتي أثينا والإسكندرية، وكانت تعتبر ممراً للقادمين والرائحين من التجار والسائح بين الشرق والغرب، ويُعطى الرسول بولس ميزة ربما لم تتوافر في واحد من جميع الرسل الذين عاشوا مع المسيح! ومن الثابت أن بولس نشأ نشأة دينية متعمقة، إذ كان أبوه من أشد الفريسيين المتمسكين بتقاليد الآباء.

يذكر سفر أعمال الرسل اسم شاول عند رجم استفانوس أول شهيد بالمسيحية. حيث كان موافقاً على قتله. ومع بداية الأصحاح التاسع نرى شاول يُهدد تلاميذ المسيح بالقتل، فطلب رسائل من رئيس الكهنة قيافا إلى دمشق كي يسوق أتباع المسيح رجالاً أو نساءً مؤثمين إلى أورشليم. خرج بولس من أورشليم إلى دمشق والمسافة تقطعها الخيل في ستة أيام، وإذا اقترب من ختام رحلته عند بقعة يدعوها التقليد الصالحية، ظهر فجأة نور قوي كلمعان البرق، وسمع صوت يسوع يُناديه فسقط إلى الأرض وفقد بصره لثلاثة أيام.

جاءه المسيح، ومس قلبه، وأحدث التغيير الهائل الكامل في قلبه، وهو ما نطلق عليه الولادة الجديدة! ولعل دراسة حياة بولس لا يمكن أن تُفهم على الإطلاق، دون إدراك هذا التغيير العميق العجيب الذي حدث في حياته! لقد اقتنع بولس بعمق الخطية، والهوة التي أخرجته منها السيد، كما أدرك حقيقة التغيير المفاجئ الذي حدث له لحظة لقائه بيسوع المسيح، ومن اللازم أن نُبين أن هذه اللحظة الحاسمة، كانت أشبه ببرميل من البارود ينتظر الفتيلة المشتعلة، حتى ينفجر في توهج، وينسف معه شر الماضي كله. لم يسع شاول وراء يسوع بينما

كان يسوع يسعى وراءه، ويمكننا القول إنه صوّت ضد يسوع، بينما صوّت يسوع لصالحه بالتحديد. كان لبولس حياة الإيمان في المسيح، وإذا كان كل مؤمن لا بد أن يكون له إيمان بالسيد، وإذا كان إيماننا بالمسيح هو الذي يخلق بنا في الأعالي، فلربما كان بولس النسّر الذي حلق في سماء الإيمان إلى ارتفاع لم يبلغه مؤمن آخر.

عظيم أنت ربي في الطريقة التي غيرت فيها حياة شاول ليصبح بولس رسول الجهاد المسيحي، أحتاج الآن إلى لمسة روحك كي أسمع صوتك يناديني وأجيب "يا رب ماذا تريدني أن أفعل؟" ساعدني لأعيش لمجدك وألقاك بفرح في رجوعك إلى عالمنا عن قريب. لك الشكر والكرامة أبدياً الدهور. آمين.

غُفِرَتْ خَطَايَاهَا لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا

"ثُمَّ قَالَ لَهَا: "مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكِ." (لوقا ٧: ٤٨)

صَنَعَ فَرِيشِيُّ اسْمَهُ سَمْعَانَ مِنْ بَيْتِ عَنِيَا، كَانَ يَسُوعُ قَدْ شَفَاهُ مِنَ الْبَرَصِ، وَلِيَمَّةَ فِي بَيْتِهِ لِيَسُوعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ، كَمَا دُعِيَ أَيْضًا لِعَازَرِ الَّذِي أَقَامَهُ الرَّبُّ مِنَ الْأَمْوَاتِ. وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةً خَاطِئَةً، فَمَا إِنْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مَتَكَى فِي بَيْتِ الْفَرِيشِيِّ حَتَّى جَاءَتْ تَحْمِلُ قَارُورَةَ عَطَرٍ مِنَ النَّارِ دِينَ الْغَالِي الثَّمَنِ، فَكَسَرَتْ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْ الْعَطَرِ عَلَى رَأْسِهِ. وَأَخَذَتْ تَبَلُّ قَدَمَيْهِ بِالْدُمُوعِ وَتَمَسَحَهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتَقَبَّلَ قَدَمَيْهِ بِحَرَارَةٍ وَتَدَهَّنَهُمَا بِالْعَطَرِ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرِيشِيُّ، الَّذِي صَارَ وَاحِدًا مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ وَاعْتَرَفَ بِهِ كَمُعَلِّمٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْهُ كَمُخْلِصٍ، حَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا: "فَلَمَّا رَأَى الْفَرِيشِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: "لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْامْرَأَةِ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ" (لوقا ٧: ٣٩).

أَثَارَ عَمَلِ مَرْيَمَ أُخْتِ لِعَازَرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْإِتْقَادَاتِ مِنْ جَانِبِ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ يَهُوذَا الْخَائِنُ الَّذِي كَانَ أَمِينِ الصَّنَدُوقِ، لَكِنَّهُ كَانَ لَصًّا حَيْثُ نَقَرَا "وَكَانَ قَوْمٌ مُعْتَاطِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: "لِمَاذَا كَانَ تَلْفُ الطَّيِّبِ هَذَا؟ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ." وَكَأَنَّا يُؤَبُّونَهَا" (مرقس ١٤: ٤ و ٥). كَانَ هَذَا الْمَبْلَغُ أَجْرَةَ عَامِلٍ لِمُدَّةِ سَنَةٍ. إِنَّ مَرْيَمَ قَامَتْ بِوَاجِبِ الضِّيَافَةِ الْمَعْتَادِ. أَمَّا يُوْحَنَّا فَلَا حَظَّ أَنَّهَا لَمْ تَدَهِّنْ قَدَمَاهُ فَحَسَبَ، بَلْ مَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِهَا. وَإِذَا كَانَ الشَّعْرُ هُوَ مَجْدُ الْمَرْأَةِ (١ كورنثوس ١١: ١٥) فَهَذَا مُنْتَهَى الْإِتِّصَاعِ وَالْإِنْسِحَاقِ، فَيُوْحَنَّا حَبِيبُ الْمَسِيحِ، لَاحِظٌ بِمَحَبَّتِهِ النَّارِيَةِ هَذِهِ الْمَلَاخِظَةَ أَنَّهَا لَمْ تَقُمْ فَقَطْ بِوَاجِبِ الضِّيَافَةِ الْمَعْتَادِ، بَلْ وَضَعَتْ مَجْدَهَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ مِنْ تَحِبِّهِ، وَهَذَا هُوَ الْحُبُّ فِي نَظَرِ يُوْحَنَّا.

الْمَسِيحُ هُنَا يَتَنَبَّأُ بِأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ وَقْتُ لَتَكْفِينِهِ وَمَا فَعَلْتَهُ مَرْيَمُ هُوَ كَنْبُوءُ (فمريم من شِدَّةِ مَحَبَّتِهَا شَعَرَتْ بِمَا سَيَحْدُثُ لَهُ) وَوَاجِبُ تَكْفِينِ لَجْسِهِ، وَهُوَ بِهَذَا يَرُدُّ عَلَى مَا قَالَهُ يَهُوذَا مِنْ أَنَّ هَذَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ، بِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ كُلَّ حِينٍ وَهُنَاكَ مَنْ قَلْبُهُ مَمْلُوءٌ شَرًّا وَيَتَسْتَرِ وَرَاءَ أَشْيَاءٍ حُلُوءَةٍ. وَالْمَسِيحُ بِهَذَا يَبْرِي مَرْيَمَ مِنْ أَنَّهَا أَخْطَأَتْ بِفَعْلِهَا، بَلْ هِيَ كَرَّمَتْ مَنْ لَهُ كُلُّ الْكَرَامَةِ وَهُوَ مُسْتَحِقُّ لَهَا.

بَلْ أَنَّ ذِكْرَ التَّكْفِينِ كَانَ فِيهِ تَقْرِيعٌ لِيَهُوذَا الْخَائِنِ الَّذِي يَفْكَرُ فِي خِيَانَةِ سَيِّدِهِ. لَقَدْ بَدَأَتْ مَرْيَمُ مَا أَكْمَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْسُفُ وَنِيقُودِيمُوسُ فِي (متى ٢٨: ٢٠) يَقُولُ "أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ" وَهَذَا يَقُولُ "أَنَا لَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ" هُوَ يَقْصُدُ أَنَّهُ سَيَتْرَكُهُم بِالْجَسَدِ إِذْ يَمُوتُ وَيَقُومُ وَيَصْعَدُ لِلسَّمَاءِ. وَلَكِنْ الْمَعْنَى أَنْتَهَزُوا أَيْ فُرْصَةً مُوجُودَةً، فَالْفُرْصَةُ قَدْ لَا تَتَكَرَّرُ. وَالْمَحَبَّةُ تَعْرِفُ مَتَى تُقَدِّمُ لِلْمَسِيحِ وَمَتَى تُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ.

أَمَّا سَمْعَانُ صَانِعُ الْوَلِيْمَةِ فَإِذَا سَمِعَ الْإِتْقَادَاتِ ظَنَّ بِأَنَّ الْمَسِيحَ لَيْسَ نَبِيًّا لِأَنَّهُ سَمَحَ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ الْخَاطِئَةِ أَنْ تَلْمَسَهُ. إِنَّ سَمْعَانَ هَذَا قَدْ قَادَ إِلَى الْخَطِيئَةِ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الَّتِي يَحْتَقِرُهَا الْآنَ. كَانَ قَدْ أَوْقَعَ بِهَا ظُلْمًا فَادِحًا. فَرَدَّ عَلَيْهِ يَسُوعُ بِمَثَلِ الْمَدْيُونَانِ. كَانَ لِلأَوَّلِ دَيْنٌ عَلَى صَاحِبِهِ خَمْسَ مِئَةِ دِينَارٍ، وَعَلَى الْآخَرِ خَمْسُونَ. لَكِنْ إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا مَا يَدْفَعَانِهِ لِلدَّيْنِ، سَامَحَهُمَا كِلَاهُمَا، فَأَيُّهُمَا أَحَبُّ الْأَكْثَرُ؟ أَجَابَ سَمْعَانُ الَّذِي سَامَحَهُ بِالْدَّيْنِ الْأَكْبَرِ. "ثُمَّ أَوْضَحَ لَهُ أَنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ صَاحِبَةَ الدَّيْنِ الْأَكْبَرِ. كَانَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى مَرْيَمَ عَلَى أَنَّهَا خَاطِئَةٌ كَبِيرَةٌ، أَمَّا الْمَسِيحُ فَعَرَفَ الظُّرُوفَ الَّتِي قَدْ شَكَّلَتْ حَيَاتَهَا.

لَقَدْ رَأَتْهُ يَنْتَهَرُ الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَحْكُمُ فِي قَلْبِهَا وَعَقْلِهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَسَمِعَتْ صَرَخَاتِهِ الْقَوِيَّةَ إِلَى الْآبِ لِأَجْلِهَا. لَقَدْ رَأَى الْمُخْلِصُ فِيهَا إِمْكَانِيَّاتِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ. وَلَا عَجَبَ، أَنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ الْأُولَى الَّتِي ظَهَرَ لَهَا يَسُوعُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ. لَقَدْ أَحَبَّتِ الْمَسِيحَ كَثِيرًا، فَعَقَرَ لَهَا كَثِيرًا. إِنَّ رَغْبَةَ مَرْيَمَ فِي تَقْدِيمِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَسِيحِ أَعْلَى قِيَمَةً مِنْ كُلِّ الطَّيِّبِ الْغَالِي الثَّمَنِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، لِأَنَّ تِلْكَ الرِّغْبَةَ عَبَّرَتْ عَنْ تَقْدِيرِهَا الْعَظِيمِ لِفَادِي الْعَالَمِ. كَانَ الطَّيِّبُ رَمْزًا لِقَلْبِ مَرْيَمَ. أَعْنِي حَبِيبِي يَسُوعُ أَنْ أَقْدِمَ لَكَ نَفْسِي وَقَلْبِي كَهَدِيَّةٍ مَحَبَّةٍ يَا سَيِّدِي وَفَادِي الْعَظِيمِ وَأَنَا لِعُفْرَانِكَ الْعَظِيمِ.

متى رجعت ثبّت اخوتك

"وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لَا يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبَّتْ إِخْوَتُكَ."

(لوقا ٢٢: ٣٢)

كان بطرس من أوائل التلاميذ الذين تبعوا يسوع، وظلّ ملازماً له طوال فترة خدمته على الأرض، وكان من أوائل التلاميذ الذي نظر القبر فارغاً. وهو مؤلف الرسالتين اللتين تحملان اسمه (بطرس الأولى وبطرس الثانية)، لذا نرى بطرس غنياً بالاختبارات التي استمد منها بوحى من الروح القدس لكتابة رسالتيه حيث يقول: "لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معانين عظمتهم" (٢ بطرس ١: ١٦). كانت حياة بطرس مليئة بالمتناقضات التي نستطيع أن ندرسها كي لا نفع بنفس الأخطاء التي وقع بها بطرس. تكشف الأناجيل عن نقاط القوة والضعف في شخصية تلميذ المسيح بطرس.

كان يسوع يمشي على شاطئ بحيرة الجليل، رأى سمعان بطرس وأخاه اندراوس يلقيان الشبكة في البحيرة، فقد كانا صيادين. فقال لهما يسوع: "هيا اتبعاني، فأجعلكما صيادين للناس" فتركا شبكتهما وتبعاه. وفي إنجيل لوقا ٥: ١-١١ نرى يسوع يركب أحد القاربين وكان لبطرس وطلب منه أن يبتعد قليلاً عن البر وجلس يعلم الجموع. ولما أنهى كلامه قال لسمعان "ابتعد إلى حيث العمق، واطرحوا شباككم للصيد" أجاب بطرس "يا سيد قد جاهدنا طوال الليل ولم نصد شيئاً. ولكن على كلمتك سأطرح الشباك".

كم كانت دهشة بطرس وآخرين عندما امتلأت شباكهم بالسماك حتى شارفت سفينتهم على الغرق. لما رأى سمعان بطرس ذلك، جثا عند ركبتي يسوع وقال له: "أخرج من قاربي يا رب لأني إنسان خاطئ". وقد أحس بنجاسته في حضرة الطهارة الكاملة، فطلب من يسوع أن يترك سفينته. أما الدرس الذي تعلمه التلاميذ ونحن أيضاً أن يسوع الذي استطاع أن يجمع السمك من البحر يمكنه أيضاً أن يعمل في قلوب الناس ويجذبهم بربط محبته حتى يصير عبده صيادي الناس.

تمتع بطرس بشخصية قيادية، فنراه عندما هاج البحر وجاء يسوع ماشياً فوق الأمواج، خاف التلاميذ فقال لهم يسوع "تشجعوا. أنا هو. لا تخافوا" أجابه بطرس "يا سيد إن كنت هو فمُرني أن آتي إليك على الماء، فقال له الرب "تعال". لكنه لما رأى الريح خاف، فصرخ "يا رب نجني" فمد يسوع يده وأمسكه قائلاً "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" (متى ١٤: ٣١). وفي غسل يسوع لتلاميذه رفض أن يغسل يسوع قدميه، لكنه بعد أن فهم قصد يسوع، طلب منه أن يغسل رأسه وقدميه. في مرقس ١٤: ٢٧-٣١، تنبأ يسوع بإنكار بطرس له، حيث قال للمخلص "ولو شكك فيك الجميع فأنا لن أشك". أكد له المسيح "أنه سيكره ٣ مرات قبل أن يصيح الديك مرتين" لقد قال له بأكثر تشديد ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكر". أحبائي، كثيراً ما نتفوه بكلمات للرب دون أن ندري خطورتها وأنه يسمع كل ما نقوله فلا تتعجل. "لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله" (جامعة ٥: ٢).

كانت نوايا بطرس حسنة، وبالحقيقة فإنه أظهر شجاعة أكثر من سائر التلاميذ. وقد قام بالفعل بإتباع يسوع حتى يكتشف ما كان سيحدث له. ولكنه أثناء ذلك قرر أن يخفي حقيقة شخصيته. فأدت به تلك المساومة على الحق وانحرافه عما هو صواب لأن ينكر سيده ٣ مرات، تماماً كما أنذر، لكنه بكى بكاءً مراراً وتاب. بعد قيامة يسوع، أكد له ٣ مرات قبوله لتوبته وغفرانه. يا له من درس عظيم عن حقيقة نعمة الله. اختبر بطرس حقيقة طبيعة الإنسان الخاطئة، وأيضاً عظيمة وعمق محبة الله تجاه الخاطئة. هكذا رجع بطرس وكان عاملاً مهماً في تثبيت إخوته. ليبارك الرب القدير ما نقوم به للعيش لمجد من أحبنا.

قِصَّةُ تَجْدِيدِ جَوْشِ مَآكْدَوِيلِ

"هَكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قَدَامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ." (لوقا ١٥: ١٠)

قرأت قصة تجديد "جوش مآكدويل" كاتب كتاب "أعظم من نجار" وكيف تحولت حياته إلى الإيمان بالمسيح مُخلصه. أحبُّ أن أشارككم أحداث هذه القصة. يقول "جوش" عندما كنتُ شاباً، أردتُ لحياتي أن يكون لها معنى خاص. كانت ٣ أسئلة رئيسية تُشغل فكري وهي "مَن أنا؟ لماذا أنا هنا؟ وإلى أين سأمضي؟" بدأتُ أبحثُ عن إجابات لهذه الأسئلة. فُكِّرْتُ أنني قد أجد الجواب في كوني مُتديناً، فبدأتُ أذهب كلُّما وجدتُ باب الكنيسة مفتوحاً، أدخُلُ، لكنني شعرتُ بأنَّ حالي سيء في الداخل كما في الخارج، فَوَضَعْتُ الدينَ جانِباً.

قُلْتُ لِنفسي "قد يُساعدني طَلَبُ العلم في إيجاد أجوبة لأسئلتِي، فالتَحَقْتُ بالجامعة، غيرَ أنَّ المُدرِّسين والطَلَبَةَ كانت لهم مشاكل ومُفْشَلات في الحياة، تماماً مثلي. قَرَّرْتُ أن العلم لم يُعطني الجواب. بدأتُ أفكرُ في إيجاد السَّعادة في حَفَلات اللّهُو في عطلة نهاية الأسبوع، وما أن يبدأ يوم الاثنين، كُنْتُ أشعرُ بالضياع من جديد. ظَنُّ أصدقائي بأنِّي أسعد شخص، لكنهم لم يعرفوا بأن مظهري السَّعيد لم يكن سوى قناع من انتاج كبريائي، وبحسب ظروف حياتي. في تلك الفترة، لاحظتُ ٨ طُلاب ومُدرِّسين كانوا مُختلفين عن الآخرين، في معرفتهم لأنفسهم، ولديهم قناعات ثابتة يعيشون لأجلها، رغم أنني أتعارض مع إيمانهم.

كانوا سُعداء بحيث لم تكن سعادتهم تتغيَّر بحسب الظروف، بل كانت ثابتة ومُستندة على مصدر داخلي للفَرَح. تَعَجَّبْتُ من أين أتت سعادتهم تلك؟ كان لديّ اقتناع بأنهم يملكون شيئاً لا أجدهُ في نفسي. بعد أسبوعين، جَلَسْتُ مَعَ بعض أعضاء هذه المجموعة على نفس الطاولة، ودار الحديث حول موضوع اللّهُ له المجد. كُنْتُ في شكٍّ وقلقٍ فيما يقولونه، فجلَسْتُ في وَضْع اللامبالي في مقعدي. ثُمَّ قُلْتُ بصوت عالٍ "المسيحية للضعفاء وغير المُثقفين". خَلَفَ صوتي العالي، كُنْتُ في الحقيقة أريد الحصول على ما يتمتع به هؤلاء، لكن كبريائي حالت دون إخبارهم عن حاجة قلبي الملحة. سألتُ واحداً منهم "أخبرني، لماذا أنت مُختلف عن باقي التلاميذ والمُعَلِّمين في هذه الجامعة، ما الذي غيَّر حياتك؟" أجابني بكل وضوح ودون أي إحراج، وهو يتطلع في عيني "يسوع المسيح". فقلتُ بتهجُم "يسوع المسيح" لقد مللتُ من الدين، والكنيسة والكتاب المقدس "أجابني في الحال "أنا لم أقل دين، بل قُلْتُ "يسوع المسيح، ليست المسيحية ديناً. تعني الديانة محاولة الناس الوصول إلى اللّهُ عن طريق الأعمال الصالحة. أمّا المسيحية فهي تواصل اللّهُ مَعَ البَشَر من خلال يسوع المسيح".

عندئذٍ، وَضَعُ أصدقائي أمامي تحدٍّ وهو أن أبحث بشكل جدي في مَنْ يكون يسوع المسيح- ابن اللّهُ، تجسّد وعاش بيننا، مات على الصليب وقام بعد ٣ أيّام وهو حيّ اليوم وقادر أن يُغيّر حياتنا. قَبَلْتُ تحدّي أصدقائي لِأَتَبَتَ لَهُمْ خطأ ادعائهم. ولأنِّي طَالِبٌ أدرُسُ مُحاماة، كانت لي القدرة أن آتي باليقين أن كلمة اللّهُ غير صادقة، عندها ستنهار المسيحية. قضيتُ أشهراً أبحثُ من الناحية التاريخية في مكتبات أشهر الجامعات لأجد الكثير من البراهين حول مصداقية كلمة اللّهُ بعهدِها القديم والحديد. النتيجة الوحيدة التي توصلتُ إليها هي أن يسوع أعظم من كونه نجار، بل كان ما قاله عن نفسه صحيحاً. في سياق بحثي، حَصَلْتُ على إجابات لأسئلتِي الثلاث. لكن ترددي كان موجوداً، كُنْتُ مُقتنعاً بأن ادعاءات المسيح عن نفسه كانت صحيحة. ما منعني كان كبريائي ومحبتي للمسرات ظناً مني أن إيماني سيحرمني من الحياة. في السنة التالية قَبَلْتُ المسيح في حياتي وانهارت كل الموانع. صُلِّيتُ شاكرًا يسوع لأنّه مات من أجلي. كما طَلَبْتُ منه أن يغفر خطاياي، ووَضَعْتُ حياتي بين يديه كي يصوغني كما يشاء. وشكرته لأنّه دَخَلَ حياتي بالإيمان. الشيء الأهم هو أنّه غيَّرَ حياتي.

الفصل السادس

حزيران "يونيو"

حَمَلُ اللَّهِ



ذبيحة أفضل

"وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقَرَّبَانِهِ. (تكوين ٤: ٤)"

بدأ عصيان لوسيفر وتمردّه على الله في السماء، حيثُ خَدَعَ ثُلث ملائكة السماء زارعاً فيهم الشكَّ بعدالة الله وصفاته. نتج عن ذلك، طرد لوسيفر والملائكة الأشرار من السماء. وبعد أن خلق الله الإنسان، صمم الشيطان على إيقاعه في الخطيئة عن طريق الحية التي أغوت حواء، رغم تحذير الربّ لهم بنتيجة العصيان. بعد الأكل من الشجرة التي نهاهما عن أكل ثمارها، اختبأ آدم وحواء من وجه الربّ، وانفتحت أعينهما ليريا خزي غريهما، فخاطا لنفسيهما مآزر من أوراق التين.

نقرأ في تكوين ٣: ٢١ "وَصَنَعَ الرَّبُّ إِلَهُ لَادَمَ وَأَمْرَاتِهِ أَقْمَصَةً مِنْ جِلْدٍ وَالْبَسَهُمَا". الله رَفَضَ أَنْ يَقْبَلَ الملابس التي صنعها آدم وحواء لأنفسهما كانت من أوراق التين. إذ أراد الله أن يعلمهما أن الخطاة ليس لديهم أي طريقة لتغطية عارهم أمام القدوس، الذي لا يستطيع إلا أن يدينهم. إن الله وحده هو الذي يستطيع أن يخلص الخطاة من دينهم. ومن هنا، ذبح الله نفسه بعض الحيوانات، وصنع ملابس من جلد، ووضعها على آدم وحواء.

وهكذا، عمل الله أول ذبيحة دموية. طرد آدم وحواء من جنة عدن بسبب معصيتهما. لقد أفسدت خطيئتهما علاقتهما مع الله، لكنّه له المجد، لم يتوقف عن محبتهم والاهتمام بهم. أنجب آدم وحواء ابنين خطاة مثلهم. قايين كان عاملاً في الأرض، وهابيل كان راعياً للغنم.

عرفا كلاهما عن الله. لقد علما أن الله موجود، وأنه قدوس، ويكره الخطيئة. ولكن، كان ينبغي أن يعرف كلا منهما أنه لكي يقتربا من الله، فإنهما يحتاجان أن يأتيا إليه عن طريق الذبيحة الدموية التي رسمها الله. يقول الكتاب المقدس "وَحَدَّثَ مِنْ بَعْدَ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الْأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقَرَّبَانِهِ، وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقَرَّبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاعْتَاطَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ" (تكوين ٤: ٣-٥). وقام فيما بعد بقتل أخيه هابيل.

توضح الأخت هوايت ما حدث لقايين وهابيل حيث نقرأ "امتنح الله هذان الأخوان كما امتحن آدم من قبل، ليبرهننا هل كانا سيؤمنان بكلمة الله ويطيعانها. كانا عارفين بما قد أعدّه الله لخلاص الإنسان، وفهماً نظام الذبائح الذي قد رسمه الله، وعرفا أنه بهذه الذبائح كان يجب أن يُعبراً عن إيمانهم بالمخلص الذي كانت تلك الذبائح ترمز إليه، وأن يعترفوا في الوقت نفسه باعتمادهما الكلي عليه لأجل الغفران، كما عرفا أنهما، بقبولهما لتدبير الله في فدائهما، كانا يُقدّمان البرهان على طاعتتهما وخضوعهما لإرادة الله.

إنّه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، فكان عليهما أن يعلنّا عن إيمانهما بالمسيح وبدمه كالكفارة الموعود بها، بتقديمها من أبكار الغنم ذبائح لله" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٥٢).

لقد قدّم هابيل القربان الذي كان يتطلبه الله، ولكن قايين قدّم من انتاج يديه. أحضر هابيل إلى الله دم خروف بلا عيب. فعفّر الله خطايا هابيل، ولكنه لم يغفر خطايا قايين. لقد كان الله يتطلب الدم. أي الحياة. حياة بلا عيب. آمن هابيل بالله، وأحضر ذبيحة دموية، تماماً كما طلب الله. وفي هذا يقول الكتاب: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ شَهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللَّهُ لِقَرَابَتِهِ. وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ!" (عبرانيين ١١: ٤).

إن رفض مقدمة قايين لا يعني بالضرورة أن الله رفض قايين، بل بالرحمة والصبر، كان الله مستعداً لمنح قايين فرصة أخرى. المسيح واقف على باب قلبي، فهل أفتح الباب وآتي إليه، وأقبله فادياً ومخلصاً. جاء يسوع الحمل الوديع ومات عن خطايانا وسفك دم الثمين على الصليب، وسيأتي عن قريب ليأخذ جميع أتقياء إلى الأمجاد السماوية. لك المجد والكرامة والسجود يا يسوعي الحبيب. آمين.

اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ

"فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ لِلْمُحَرَّقَةِ يَا ابْنِي." (تكوين ٢٢: ٨)

بَعْدَ انْتِظَارِ ٢٥ سَنَةٍ لَوَعْدِ الرَّبِّ لإِبْرَاهِيمَ بَابْنٍ، وُلِدَ إِسْحَاقُ، وَمَلَأَ الْفَرْحَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةً. وَإِذْ صَارَ إِسْحَاقُ يَافِعًا، جَاءَ امْتِحَانُ اللَّهِ لَهُ بِأَنْ يُقَدِّمَ ابْنَهُ الَّذِي أَحَبَّهُ مُحَرَّقَةً عَلَى جَبَلٍ يَخْتَارُهُ اللَّهُ. لَقَدْ عَصَرَ أَمْرَ اللَّهِ قَلْبَ إِبْرَاهِيمَ وَسَبَّبَ لَهُ حُزْنًا وَأَلَمًا شَدِيدَيْنِ. تَصِفُ السَّيِّدَةُ "أَلَن هَوَايَتِ" مَشَاعِرَ فَتَقُولُ: "لَقَدْ كَانَ إِسْحَاقُ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُنِيرُ جَوَانِبَ بَيْتِهِ وَعِزَّاءَهُ فِي شَيْخُوخَتِهِ، وَفَوْقَ الْكُلِّ، كَانَ إِسْحَاقُ هُوَ وَارِثُ الْبَرَكَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا، وَلَوْ مَاتَ مِثْلَ هَذَا الْبَنِ فِي حَادِثَةٍ أَوْ بِمَرَضٍ لَتَمَرَّقَ قَلْبُ أَبِيهِ الْمُحِبِّ وَكَانَ رَأْسُهُ الْأَشْيَبُ يَنْحِنِي تَحْتَ ثِقَلِ الْأَحْزَانِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَسْفِكَ دَمَ ذَلِكَ الْبَنِ بِيَدِهِ. لَقَدْ تَرَأَى لَهُ أَنْ ذَلِكَ الْعَمَلُ مُسْتَحِيلٌ وَمُخِيفٌ" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٢٥).

يُمْكِنُنَا مُتَابَعَةُ أَحْدَاثِ هَذِهِ التَّضْحِيَةِ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ أَصْحَاحِ ٢٢. أَخْبَرَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ بِأَنْهُمَا سَيَذْهَبَانِ لِتَقْدِيمِ ذَبِيحَةٍ لِلرَّبِّ، فَأَسْرَجَ الْحِمَارَ، وَأَخَذَ مَعَهُ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ، وَجَهَّزَ حَطَبًا لِلْمُحَرَّقَةِ وَانْطَلَقَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي عَيَّنَهُ لَهُ اللَّهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمَ فَرَأَى الْمَكَانَ مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالَ لِعُلَّامِيهِ "امْكُثَا هُنَا مَعَ الْحِمَارِ رِيثِمًا أَصْعَدُ أَنَا وَالصَّبِيَّ إِلَى هُنَاكَ لِنَتَعَبَّدَ لِلَّهِ ثُمَّ نَعُودُ إِلَيْكُمَا. فَحَمَلَ إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ حَطَبَ الْمُحَرَّقَةِ، وَأَخَذَ هُوَ بِيَدِهِ حَجَرِي صَوَّانَ لِقَدْحِهِمَا لِتَوَلِيدِ شَرَارَةِ النَّارِ وَالسَّكِينِ وَذَهَبَا كِلَاهُمَا مَعًا".

لَا حَظَّ إِسْحَاقَ بِأَنْهُمَا لَمْ يُحْضِرَا خُرُوفَ الْمُحَرَّقَةِ، وَأَنْهُمَا بَعِيدَانِ عَنْ أَيِّ حَظِيرَةٍ لِلْمَاشِيَةِ، فَسَأَلَ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ "هِيَ النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ خُرُوفُ الْمُحَرَّقَةِ؟" فَرَدَّ عَلَيْهِ "إِنَّ اللَّهَ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْخُرُوفَ لِلْمُحَرَّقَةِ يَا ابْنِي". آه مَا أَقْسَى هَذَا مِنْ امْتِحَانٍ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبِأَيِّ سَيْفٍ قَاطِعٍ طَعْنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْمُحِبَّةَ (يَا أَبِي) قَلْبَ إِبْرَاهِيمَ! لَمْ يَحِنْ الْوَقْتُ بَعْدَ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْبِرَهُ الْآنَ. فَقَالَ "اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ لِلْمُحَرَّقَةِ يَا ابْنِي". وَتَابَعَا مَسِيرَهُمَا مَعًا.

أَخِيرًا، وَصَلَا إِلَى الْمَكَانِ الْمُعَيَّنِ وَبَنَى الْمَذْبَحَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْحَطَبَ، حِينَئِذٍ، أَخْبَرَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ فَأَصَابَهُ الرَّعْبُ وَالذُّهُولُ، لَكِنْ لَمْ يُبْدِ آيَةَ مُقَاوَمَةٍ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ بِسُهُولَةٍ. "إِسْحَاقُ قَدْ تَرَبَّى مِنْذُ طُفُولَتِهِ عَلَى الطَّاعَةِ التَّامَةِ الْوَائِقَةِ، فَلَمَّا كَشَفَ لَهُ قَصْدَ اللَّهِ أَطَاعَ وَسَلَّمَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، لَقَدْ كَانَ شَرِيكًا لإِبْرَاهِيمَ فِي إِيمَانِهِ، وَكَانَ يُحْسِنُ أَنَّهُ شَرَفٌ عَظِيمٌ لَهُ أَنْ يَبْذُلَ حَيَاتِهِ ذَبِيحَةً لِلَّهِ، فَأَخَذَ بِكُلِّ رَقَّةٍ يُحَاوِلُ التَّخْفِيفَ مِنْ أَحْزَانِ أَبِيهِ وَيُشَجِّعُ يَدَيْهِ الضَّعِيفَتَيْنِ عَلَى رِبْطِهِ بِالْحَبَالِ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَذْبَحِ" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٢٧).

بَعْدَ أَنْ عَانَقَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ وَقِيلَتْ آخِرُ كَلِمَاتِ الْمَحَبَّةِ، رَبَطَ إِسْحَاقُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ، وَرَفَعَ إِبْرَاهِيمَ السَّكِينِ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. "فَنَادَاهُ مَلَاكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: "إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!". فَقَالَ: "هَآنَذَا" قَالَ: "لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْعُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ لِلَّهِ، فَلَمْ تَمْسِكْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي". وَإِذْ تَطَلَّعَ مِنْ حَوْلِهِ، رَأَى كَبِشًا قَدْ عُلِقَ بِفُرُوعِ أَشْجَارِ الْغَابَةِ، فَذَهَبَ وَأَخْضَرَهُ وَأَصْعَدَهُ مُحَرَّقَةً عَوْضًا عَنْ ابْنِهِ". كَانَ ذَلِكَ الْكَبِشُ ذَبِيحَةً كَامِلَةً بِلَا عَيْبٍ.

تُعَلِّمُنَا قِصَّةَ ذَبِيحَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّ طَرِيقَ الْخُلَاصِ الَّذِي أَسَّسَهُ اللَّهُ، هُوَ طَرِيقُ الذَّبِيحَةِ الْكَامِلَةِ. إِنَّ الْخُرُوفَ الَّذِي حَلَّ مَحَلَّ إِسْحَاقَ عَلَى الْمَذْبَحِ، كَانَ رَمْزًا تَوْضِيحِيًّا لَذَبِيحَةِ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ كَمَالًا. إِذْ تُرِينَا كَلِمَةَ اللَّهِ أَنَّ الْخُرُوفَ الَّذِي مَاتَ بَدَلًا عَنْ إِسْحَاقَ، كَانَ رَمْزًا لِلْمُخَلَّصِ الْقُدُّوسِ الَّذِي كَانَ سَيَّاتِي إِلَى الْعَالَمِ، وَيَمُوتُ بَدَلًا عَنْ جَمِيعِ الْخَطَاةِ، لِكَيْمَا يَغْفِرَ اللَّهُ خَطِيئَةَ كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ. وَهَذَا مَا تَرْمِزُ إِلَيْهِ ذَبِيحَةُ إِبْرَاهِيمَ.

إِنَّهَا صُورَةٌ تَوْضِيحِيَّةٌ لِلْمُخَلَّصِ الَّذِي وَعَدَ أَنْ يُرْسِلَهُ اللَّهُ إِلَى الْعَالَمِ، لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ مِنْ دِينُوتِهِ الْعَادِلَةِ. فَيَسُوعُ الْفَادِي، الَّذِي دَبَّرَهُ اللَّهُ، قَدْ تَمَّ الْمَعْنَى النَّبَوِيَّ وَالرَّمْزِيَّ لَخُرُوفِ ذَبِيحَةِ إِبْرَاهِيمَ. وَلِهَذَا، اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ حَمَلُ اللَّهِ وَمُخَلَّصِي.

لماذا سُمِّي يسوع "بَحْمَلُ اللَّهِ"

"وَفِي الْعَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!"

(يوحنا ١: ٢٩)

قد نجدُ صُعوبةً في تفهُّم تسمية يسوع بِحَمَلِ اللَّهِ. يُوصَفُ الحَمَلُ بالبراءة والوداعة، لكن الكتاب المقدس يتكلّم عنه كرمز للذبيحة التي ترفع خطيئة العالم، حيث نرى ذلك في الفصح كرمز ليسوع وموته. قد نسأل "لماذا يُقدّم الحَمَل من أجل خطايانا؟" لأنّه الأقرب إلى ثقافة الناس في العهد القديم، والأقرب كي يكون بلا عيب؟
مهما كان السبب، تستعمل كلمة الله الحَمَل كحيوان للتكريس. نرى ذلك في قصة إبراهيم وتقديم إسحق كمُحرقة عن الخطيئة، لكن الله استبدله بكبش. كما نرى ذلك، في قصة الفصح عندما خرج بنو إسرائيل من مصر، حيث كان دم الحَمَل سبباً في خلاص الشعب.

أشار يوحنا المعمدان إلى يسوع كَحَمَلِ اللَّهِ الَّذِي يرفعُ خطيئة العالم، ومع فهمنا لهذه الحقيقة، يصبح سبب مجيء يسوع واضحاً فقد جاء لخلاصك وخلاصي، وسفك دمه الثمين كي نحيا فيه. سنرى معاً ارتباط الرمز والمعنى وسبب تسميته بِحَمَلِ اللَّهِ في العهدين القديم والجديد. نبداً بمكان ولادته: بيت لحم.
كان الكهنة يُربون الحملان في بيت لحم، ويُقدّمونها كذبايح في الهيكل. وليس غريباً أن يكون الرعاة أوّل من زار يسوع في ميلاده، ونالوا شرف أن يكونوا أوّل المُستقبلين لحَمَلِ اللَّهِ. يعني اسم بيت لحم "بيت الخبز" وفيها وُلِدَ يسوع "الخبز الحي" النازل من السماء.

كان يوحنا كاهناً، وقد أدرك الكهنة بأن الحملان للذبيحة. بهذه الطريقة، قدّم المعمدان يسوع للشعب، ودعا به بِحَمَلِ اللَّهِ بما في هذه التسمية من رمز للذبيحة الخطيئة، والنُبوءة التي أشار إليها إشعياء ٥٣ عن تقديم المسيح "كشاة تُساق إلى الذبح". والعلاقة بين حَمَلِ الفصح وخلاص شعب الله قديماً من العبودية. كما نرى في هذه التسمية قصة إبراهيم الذي أخذ ابنه الوحيد من سارة، وعندما سأل إسحق عن الذبيحة، أجابه إبراهيم "بأن الله سيُدبر له الخروف. وقد دبر الله ابنه كذبيحة مكان كل واحد منا. حَمَلِ إسحق حطب الذبيحة على ظهره، كذلك حَمَلِ يسوع صليب الموت على ظهره. وفي نفس المدينة التي أراد إبراهيم تقديم إسحق فيها، مات المسيح.

كانت الحملان تُربى في بيت لحم، ويتم احضارها إلى أورشليم كي يُقدّمها رئيس الكهنة. دخل يسوع كملك إلى القدس راكباً على أتان وذهب إلى الهيكل لتطهيره استعداداً للذبيحة النقية والحقيقية والكاملة في شخصه الكريم. بينما يختار الأب حَمَلِ الفصح عن عائلته، اختار الأب السماوي يسوع ليكون حَمَلِ اللَّهِ.

ونصّت تعليمات الفصح بتقديم حَمَل واحد عن كل عائلة. بالمقابل، نحن جميعاً عائلة واحدة في المسيح. كانت مدة فحص الحَمَل قبل تقديمه كذبيحة ٤ أيّام، بنفس الطريقة، امتحن سكان أورشليم يسوع واستجوبوه وحاكموه لمدة ٤ أيام مروراً برئيس الكهنة، والفريسيين والصّدوقيين، ومجمّع السهديم، وغيرهم.

كان يسوع بلا عيب، وخال من المرض جسدياً، أما روحياً، فكان خالٍ من الخطيئة ووديع، لم يؤذ أحداً وتكلّم دائماً بكلمة الله. أما عن تقديم الذبائح الصباحية فكان يتم في التاسعة صباحاً بتوقيتنا، والذبيحة المسائية في الثالثة بعد الظهر حيث يُقدّم حَمَلِ الفصح أيضاً. علّق يسوع على الصليب في التاسعة صباحاً ومات في وقت الذبيحة المسائية الساعة الثالثة عصراً. مُتمماً جميع تعليمات الله بشأن حَمَلِ الفصح. وكما يُشترط بالحمل أن يكون عمره سنة واحدة في قِمة نشاطه، مات المسيح في ريعان شبابه بعمر الـ ٣٣ عاماً.

قارئ العزيز، تابعنا معاً ما تقوله كلمة الله عن يسوع حَمَلِ اللَّهِ الَّذِي فداك بدمه على الصليب. فهل تقبله مُخلصاً لحياتك وتُتوب عن خطاياك واضعاً إيمانك فيه؟ ليبارك القدير حياتك إذ تقبل ذبيحته لغفران خطاياك وتعيش لمجده استعداداً لملاقاته عن قريب في ملكوته الأبدي. له كلُّ المجد. آمين.

المسيح فِصْحَنَا

"إِذَا نَقُّوا مِنْكُمْ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لَأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا." (١ كورنثوس ٥: ٧)

كان خروف الفصح هو الحيوان الذي أمر الله بني إسرائيل بتقديمه ذبيحة في مصر عشية الليلة التي ضَرَبَ فيها الله الأبقار في كُلِّ بيت في مصر (خروج ١٢: ٢٩). كانت تلك الضربة الأخيرة التي أصدرها الله ضِدَّ فرعون، وجعلته يُطْلَق بني إسرائيل مِنَ الْعِبودية (خروج ١١: ١). بعد تلك الليلة المصيرية، أمرهم الله بحفظ عيد الفصح كتذكّار دائم (خروج ١٢: ١٤). وكَلِمَةُ "فِصْح" تعني "عبور" حيثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُهْلِكَةَ عِنْدَمَا رَأَى الدَّمَّ عَلَى عَتَبَتَي الْبَيْتِ عَبَرَ عَنْهُ. لذا، عَنِ الدَّمِّ نَجَاةُ سُكَّانِهِ مِنَ الْمَوْتِ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ دَمُ الْحَمَلِ يُقْتَلُ أَبْكَارُ ذَلِكَ الْبَيْتِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ (خروج ١٢: ١٢-١٣) وَحَسَبَ تَعْلِيمَاتِ اللَّهِ، اخْتَارَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ "شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنُ سَنَةٍ" (خروج ١٢: ٥): وَكَانَ عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ أَنْ يَذْبَحَ الشَّاةَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، مَعَ مُرَاعَاةِ عَدَمِ كَسْرِ أَيِّ مِنْ عِظَامِهِ، وَوَضَعَ بَعْضُ مِنْ دِمَائِهِ عَلَى عَتَبَتَي بَابِ الْبَيْتِ وَقَائِمَتِهِ. ثُمَّ يَتِمُّ شَوِي الشَّاةِ وَأَكْلُهَا (خروج ١٢: ٧-٨). كَذَلِكَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعْلِيمَاتٍ مُحَدَّدَةً لِكَيْفِيَّةِ أَكْلِ الشَّاةِ "أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ وَاحْذَرُواكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ وَعَصِيَّتُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ" (خروج ١٢: ١١). بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، أَنْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِينَ لِلتَّحْرَالِ.

كَانَ خُرُوفُ الْفِصْحِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ حَقِيقَةً فِي وَقْتِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَمْزًا نَبَوِيًّا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، خُرُوفُ الْفِصْحِ الْأَفْضَلُ وَالنَّهَائِي. فَمِنْ خِلَالِ حَيَاتِهِ بِلاَ خَطِيئَةٍ، وَمَوْتِهِ الْكَفَّارِي، صَارَ يَسُوعُ هُوَ الْوَحِيدُ الْقَادِرُ أَنْ يَمْنَحَ النَّاسَ طَرِيقَ النِّجَاةِ مِنَ الْمَوْتِ، وَيَقِينِ الرَّجَاءَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ (بطرس الأولى ١: ٢٠-٢١).

لَقَدْ ذُبِحَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا، وَأَعْطَى حَيَاتِهِ وَنَفْسَهُ وَدَمَهُ بَدِيلًا عَنَّا، أَيْ أَنَّهُ أَخَذَ مَكَانَنَا عَلَى الصَّلِيبِ. وَحَدَهُ يَسُوعُ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا، وَتَحَمَّلَ الْآلَامَ لِكَيْ نَتَحَرَّرَ نَحْنُ. إِنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ الَّذِي خَتَمَهُ الْآبُ السَّمَاوِيُّ لِقَبُولِ الْخَطَاةِ. فَعَبَرَتِ الدَّيْنُونَةُ عَنَّا، لِأَنَّهَا أَصَابَتِ الْمَسِيحَ الَّذِي "تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارَّ مِنْ أَجْلِ الْآثِمَةِ، لِكَيْ يُقَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ" (١ بطرس ٣: ١٨)؛ "لَأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنُصِيرَ نَحْنُ بَرًّا لِلَّهِ فِيهِ" (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

يُؤَسِّسُ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ عِلَاقَةً بَيْنَ حَمَلِ الْفِصْحِ الرَّمْزِيِّ، وَالْفِعْلِيِّ، يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَدْرَكَ الْمَعْمَدَانُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ "حَمَلُ اللَّهِ". وَيَرْبِطُ الرُّسُولُ بَطْرُسُ بَيْنَ الْحَمَلِ الَّذِي بَلَ عَيْبٍ، وَبَيْنَ الْمَسِيحِ الَّذِي يَدْعُوهُ "حَمَلٌ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ". (بطرس الأولى ١: ١٩). لِأَنَّ حَيَاتِهِ كَانَتْ بِلَا خَطِيئَةٍ تَمَامًا (عبرانيين ٤: ١٥)، فَهُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ حَسَبَ خُطَّةِ اللَّهِ الْأَرْثِيِّ. وَفِي سَفَرِ الرُّؤْيَا يَرَى الرُّسُولُ يوحنا يَسُوعَ "حَمَلٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" (رؤيا ٥: ٦). وَقَدْ صَلَبَ يَسُوعُ فِي وَقْتِ الْإِحْتِفَالِ بِعِيدِ الْفِصْحِ (مرقس ١٤: ١٢).

فِي الْبَدَايَةِ، كَانَ الْفِصْحُ عَلَامَةً عَلَى تَحْرِيرِ الْعِبْرَانِيِّينَ مِنَ الْعِبوديةِ فِي مِصْرَ، كَذَلِكَ دَمُ الْمَسِيحِ هُوَ عَلَامَةٌ عَلَى تَحْرِيرِنَا مِنَ عِبوديةِ الْخَطِيئَةِ. وَكَمَا أَنَّ الْفِصْحَ كَانَ تَذْكَارًا سَنَوِيًّا، كَذَلِكَ، يَذْكُرُ الْمُؤْمِنُونَ مَوْتَ الرَّبِّ مِنْ خِلَالِ مَائِدَةِ الرَّبِّ حَتَّى يَجِيءَ (١ كورنثوس ١١: ٢٦). إِنَّ ذَبِيحَةَ الْمَسِيحِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تُخَلِّصَ وَتُبَرِّرَ وَتُقَدِّسَ إِلَى التَّمَامِ كُلَّ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَى اللَّهِ، وَذَبِيحَتُهُ كَافِيَةٌ وَلَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى ذَبِيحَةٍ جَدِيدَةٍ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ "بَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عبرانيين ١٠: ١٢، ١٤).

فِصْحُنَا كَمَّلَ كُلَّ التَّدْبِيرِ وَصَارَ فِصْحُ الْكَنِيسَةِ الدَّائِمِ وَعُبُورُهَا الْمُسْتَمَرُّ، وَصَارَ عَمَلُهُ الْفِصْحِيِّ مَجْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَافْتِخَارَهُمْ، وَبِهِ يَجْتَازُوا وَسُطَ الْأُمُوجِ وَالْعَوَاصِفِ مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ. لَنَكُونَ بِدَوْرِنَا عَجِينًا فَطِيرًا مِنْ دُونِ خَمِيرَةِ الْخَطِيئَةِ، وَهَكَذَا نَصِيرُ أَكْثَرَ شَبَهًا بِالْمَسِيحِ فِصْحِنَا، فَتَكْمَلُ فِرْحَتُنَا بِهِ.

غَلَبُوهُ بِدَمِ الْحَمَلِ

"وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخُرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ." (رؤيا ١٢: ١١)

يبدأ الأصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا بسلسلة نبوية جديدة تستمر حتى نهاية السفر. نجد في هذا القسم كنيسة الله في صراعها مع قوى الشر والذي سينتهي بانتصار شعب الله الأمانة. بعد انتهاء زمن الضيق الذي استمر ١٢٦٠ سنة من الاضطهاد الديني (٥٣٨-١٧٩٨ م) لأولئك الذين لم يحبوا حياتهم حتى الموت، لكنهم كانوا غالبين ليس بقواهم الخاصة، بل بدَمِ الخروف. كان يسوع معهم وفي وسطهم يُشدد إيمانهم إلى المنتهى.

وقبل عودة يسوع ثانية، سيكون اضطهاد عظيم لم يكن مثله على الذين يحفظون وصايا الله وعندهم إيمان وشهادة يسوع. أعطاهم المسيح الذي طهرهم بدمه الشجاعة ليقفوا للحق ولو تزعزت السماوات.

إن دم يسوع المسيح قادر على رفع تلك اللعنة التي طرحت الإنسان إلى أعماق الهاوية، وتقوية علاقته مع فاديه الحبيب. وقد منحني دم المخلص الفداء وغفران الخطايا حسب غنى نعمته. لقد فداني بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح. وفي هذا الدم تجدد العهد حيث نحن الذين كنا بعيدين، صرنا قريين بدم المسيح. يؤكد الرسول يوحنا حصولنا على التطهير من خطايانا في رسالته الأولى ١: ٧ "ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية".

بهذا الدم الكريم، لننا التبرير المجاني بنعمة يسوع المسيح الذي قدمه الله كقارة بالإيمان بدمه. وإذ بارك يسوع كأس نتاج الكرمة، ثبت العهد الجديد بدمه فقال "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (لوقا ٢٢: ٢٠). في هذا الدم لننا المصالحة حيث نقرأ: "وأن يصلح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان: ما على الأرض، أم ما في السماوات" (كولوسي ١: ٢٠).

كما يعطينا الدم الثقة بدخول قدس الأقداس كما يوضح سفر العبرانيين ١٠: ١٩ "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس" بدم يسوع "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١ يوحنا ١: ٧).

يؤكد الرائي يوحنا على قدرة الدم أن يغسل خطايانا: "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه" (رؤيا ١: ٥)، كما يقول: "لأنك دبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" رؤيا ٥: ٩ "فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف" (رؤيا ٧: ١٤).

في إحدى الحروب، تم أسر مجموعة من الجنود من قبل العدو، واقتيدوا لمنطقة خاصة، لكي يقوم جنود الأعداء بإعدامهم جماعياً رمياً بالرصاص. روى أحد الجنود ما حدث فقال: "كنت واحداً ممن سيتم إعدامهم. وعندما وصلنا المكان، عصبوا عيوننا، لكن لم يوثقوا أيدينا، إذ كانوا يريدون على عجل أن يقتلونا. وضعونا في صف واحد، جنباً إلى جنب. كانت نبضات قلبي تتسارع، وقلت لنفسي هذه هي النهاية، لا رجاء ولا نجاة بعد.

وعندما بدأ الرمي، وبدأ أصدقائي يتساقطون قتلى واحداً تلو الآخر، أصبتُ بصدمة وسقطتُ على الأرض مغشياً عليّ. وبعد فترة أفقتُ من صدمتي، وفككتُ عصابة عيني، ورأيتُ نفسي ملطخاً بالدم. حسبتُ أنني مُصاب بعيار ناري، فلما فحّصتُ نفسي تأكدتُ أنني سليم، لكن هذا الدم الذي غطاني، كان دم صديقي الذي رُشَّ عليّ، عندما اخترقته الرصاصات. ويبدو أن الأعداء عندما قاموا بالتأكد من موت جميعنا عبروا عني لأنهم رأوني ملطخاً بالدم. تشددتُ وهربتُ إلى جهة جيشنا. لقد كُتِب لي عمر جديد، حياة جديدة بفضل دم صديقي العزيز الذي غطاني.

نجا الجندي لأنه تغطى بدم زميله. صورة بسيطة لنجاتنا بعمل المسيح وموته الفدائي عنا حيث سالتُ دماهُ الثمينة بغزارة لأجل فداءنا. وإذ مرَّ الملك المهلك عن البيوت حين رأى الدم فعبّر عنها، هكذا المسيح بدم نفسه دخل إلى قدس الأقداس، فوجد فداءً أبدياً إذ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة.

هذا هو جسدي^٩

"هذا هو جسدي الذي يُبَذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي." (لوقا ٢٢: ١٩)

طَلَبَ يسوع في عشيّة صلبه وموته، من بَطْرُس ويوحنا إعداد الفصح ليأكلوا في عليّة كبيرة مفروشة. ولمّا كانت السّاعة اتّكأً والاثنان عَشَرَ رسولاً مَعَهُ. "وَقَالَ لَهُمْ: "شَهْوَةٌ اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفَصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا آكُلُ مِنْهُ بَعْدُ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ". (لوقا ٢٢: ١٥ و١٦). كَانَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَغْسِلَ خَادِمُ أَرْجُلِ الْمَدْعُوِّينَ، لَكِنْ لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يَقُومَ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ الْوَضِيعَةِ.

"حِينَ كَانَ الْعِشَاءُ" قَامَ يسوع بهدوء وأَخَذَ الْمِنْشَقَةَ وَالْمَاءَ وَبَدَأَ يَغْسِلُ أَقْدَامَ التَّلَامِيذِ، وَتَرَكَ لَهُمْ وَلَنَا أَنْ نَحْذُو حَذْوَهُ وَنَغْسِلَ أَقْدَامَ بَعْضِنَا الْبَعْضَ قَبْلَ تَنَاوُلِ عِشَاءِ الرَّبِّ. تُوفِّرُ هَذِهِ الْخِدْمَةُ الْفُرْصَةَ لِفَحْصِ الذَّاتِ وَالاعْتِرَافِ بِالْخَطَايَا وَنَبْذِ الْخَلَافَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ. هَكَذَا، تُمَثِّلُ خِدْمَةُ غَسْلِ الْأَرْجُلِ وَعِشَاءُ الرَّبِّ خِدْمَةَ الْعِشَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَكَمَا أَنَّ عِيدَ الْفَصْحِ كَانَ ذِكْرَى خُلَاصِ الشَّعْبِ وَخُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ، كَذَلِكَ عِشَاءُ الرَّبِّ الْآنَ هُوَ الذِّكْرَى عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ، ذِكْرَى الشَّرَكَةِ مَعَ الرَّبِّ وَمَوْتِهِ مِنْ أَجْلِ كُلِّ الشَّعْبِ. كَانَتْ مَنَاسِبَةُ الْعِشَاءِ الْأَخِيرِ أَثْنَاءَ وُجُودِ الرَّبِّ يسوع عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ الصَّلِيبِ بَلِيلَةً وَاحِدَةً. وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الذِّكْرَى تُقَدِّمُ كَذِكْرَى مَوْتِ الرَّبِّ يسوع مِنْ أَجْلِنَا. قَالَ يسوع: "اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي". (لوقا ٢٢: ١٩). وَأَيْضًا فِي ١ كُورِنْثُوسَ ١١: ٢٤ "اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي". وَفِي الْأَعْدَادِ الَّتِي تَلِي ذَلِكَ يَقُولُ: "اصْنَعُوا كَلِمًا شَرَبْتُمْ لِذِكْرِي". إِذَا فَالْقَصْدُ الْوَحِيدُ مِنْ مِمَارَسَةِ عِشَاءِ الرَّبِّ، كَمَا يَذْكُرُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، هُوَ لِذِكْرَى الرَّبِّ يسوع وَمَوْتِهِ. لَقَدْ كَانَتْ ذِكْرَى مَحَبَّةٍ مُقَدَّسَةٍ. ذِكْرَى مَحَبَّتِهِ وَمَوْتِهِ مِنْ أَجْلِنَا.

يَحُلُّ عِشَاءُ الرَّبِّ مَحَلَّ عِيدِ الْفَصْحِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. لَقَدْ بَلَغَ الْفَصْحُ اكْتِمَالَهُ عِنْدَمَا وَهَبَ الْمَسِيحُ، الْخُرُوفُ الْفَصْحِي حَيَاتِهِ. يُظْهِرُ عِشَاءُ الرَّبِّ أَنَّ مَوْتَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ خَلَّصَنَا وَوَفَّرَ لَنَا الْغُفْرَانَ وَضَمَّنَ لَنَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. الرَّبُّ يسوع كَانَ خُبْزَ الْحَيَاةِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ لِيَهَبَ حَيَاتَهُ لِفِدَاءِ الْكَثِيرِينَ. لَقَدْ بَذَلَ جَسَدَهُ وَدَمَهُ لِيُشَبِّعَ جُوعَ احْتِيَاجَاتِنَا وَرَغْبَاتِنَا الْأَكْثَرَ عُمَقًا، وَيُورِي عَطَشَهَا. خُبْزُ الْفَصْحِ الَّذِي أَكَلَهُ يسوع كَانَ فَطِيرًا وَكَانَتْ ثَمَرَةُ الْكَرْمَةِ غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ.

تَذْكُرُ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنَّ الْخَمِيرَةَ تَرْمِزُ لِلْخَطِيئَةِ، لِذَا كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِمُثْمِلِ "حَمَلِ بَلَا عَيْبٍ أَوْ دَنَسٍ". لِذَا، فَالْخُبْزُ الْفَطِيرُ يَرْمِزُ إِلَى جَسَدِ الْمَسِيحِ الْخَالِي مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَالْعَصِيرُ غَيْرُ الْمُخْتَمِرِ يَرْمِزُ إِلَى كَمَالِ دَمِ الْمُخَلَّصِ الطَّاهِرِ.

إِذْ تَتَنَاوَلُ مِنَ الْخُبْزِ وَنِتَاجِ الْكَرْمَةِ نَعْتَمِدُ عَلَى الْمَسِيحِ فِي حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ كَاعْتِمَادِنَا عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي حَيَاتِنَا الطَّبِيعِيَّةِ. وَيُشَدِّدُ الرَّسُولُ بُولَسُ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِلَافَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُشْتَرِكِينَ بِعِشَاءِ الرَّبِّ حَيْثُ يَقُولُ "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرَكَةٌ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرَكَةٌ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لِأَنَّنَا جَمِيعُنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ" (١ كُورِنْثُوسَ ١٠: ١٦ و١٧). كَمَا يَقُولُ عَنْ تَوْفُّعِ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً: "فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ" (١ كُورِنْثُوسَ ١١: ٢٦).

يُقِيمُ الْعِشَاءُ الرَّبَّانِي جَسْرًا بَيْنَ الْجُلُثَةِ وَالْمَجِيءِ الثَّانِي. وَفِي قَوْلِ يسوع "لَنْ أَشْرَبَ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي". نَذَرُ نَبِيَّ عَتِيدٍ فِي مَهْرَجَانِ "عِشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ فِي السَّمَاءِ". إِذْ وَقَفَ حَمَلُ اللَّهِ، الَّذِي دُبِحَ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ- أَمَامَ تَلَامِيذِهِ أَسَّسَ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ بِدَمِهِ إِذْ دَفَعَ حَيَاتَهُ ثَمَنًا لِفِدَائِنَا وَأَوْصَاهُمْ "اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي". إِذْ نَشْتَرِكُ فِي فَرِيضَةِ عِشَاءِ الرَّبِّ، لِنَقُمَ بِذَلِكَ بِاسْتِحْقَاقٍ وَلِنَا الْإِلْتِمَازَ الْكَامِلَ لِلْمَسِيحِ وَالْإِيمَانَ بِتَضَحِيَّتِهِ، مُتَذَكِّرِينَ عَظِيمَ مَا قَامَ بِهِ مِنْ أَجْلِنَا بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، وَنَنْتَظِرُ رَجَاءَ عَوْدَتِهِ الْمَجِيدَةِ عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. لَهُ كُلُّ سُجُودٍ وَآكَرَامٍ.

مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخُرُوفِ الْمَذْبُوحِ

"قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخُرُوفِ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!" (رؤيا ٥: ١٢)

مع بداية الأصحاح الرابع من سفر الرؤيا، ينظر يوحنا من خلال باب مفتوح إلى السماء، ويسمع صوت يتكلم معه قائلاً "اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا". وللوفت صار في الروح ورأى عرش موضوع في السماء وسمع تسابيح المحيطين بالعرش قائلين "قدوس الرب الإله القادر على كل شيء". ومع بداية رؤيا ٥: ٢ نادى ملاك قوي بصوت عظيم "من هو مستحق أن يفتح السفر ويفك ختمه". رأى يوحنا بخوف أن لا أحد في السماء أهل ليفتح السفر. تحول خوفه إلى بكاء فعزاه أحد الشيوخ قائلاً: "لا تبك. هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختمه السبعة" (رؤيا ٥: ٥). كانت للمسيح السلطة ليفتح السفر ويفك ختمه لأنه حي إلى أبد الأبدين وملكننا وكاهننا في المقدس السماوي.

نظر يوحنا من جديد إلى العرش فرأى خروفاً كان قد ذبح لكنه الآن حي، ومُخَوَّل سُلْطَةً مِنَ الرُّوح. وإذ أخذ الخروف الوديع السفر، بدأت الكائنات الحية والشيوخ ومعهم ملايين الملائكة بترنيم أنشودة جديدة قائلين: "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختمه، لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك على الأرض" (رؤيا ٥: ١٠ و ٩).

هو مستحق أن يأخذ مركزه ملكاً وكاهناً في المقدس السماوي لأنه دفع ثمن خطايا العالم. انضم إليهم كل مخلوق حي في السماء وعلى الأرض ليرنموا معهم: "للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين" (رؤيا ٥: ١٣). فمجيء الخروف المذبح منذ تأسيس العالم هو الذي حقق فداء البشرية.

دخل شاب إلى محل لبيع الورود لشراء باقة ورد لصديقه في حفلة تخريجها من المدرسة الثانوية. جال بنظره بين أنواع الورود، وقيم بين محبته لها وبين فقره، كما أراد أن يقي بعض المال لشراء دراجة هوائية. أراد صاحب المحل أن يساعده في اتخاذ قراره، فسأله بعد حين، يا ابني، كم تساوي هذه الفتاة في نظرك؟ اختار الشاب باقة من النرجس، وترك المكان وسط حيرة صاحب المحل. ثري، عزيزي، كم يساوي الله في نظرك؟

مثل هذا السؤال ذات قيمة في ضوء رسائل الملائكة الثلاث في رؤيا ١٤: ٦-١٢ حيث أن موضوع الصراع العظيم والنهائي سيدور حول العبادة. فهل نختار عبادة الله والحمل، أم عبادة الوحش؟ يبقى اختيارنا مرهون بمن هو مستحق؟ لم لا ننضم لجوقة السماء في تسبيح المسيح لأنه بالحقبة مستحق كل الكرامة والمجد.

يسوع مستحق كل تسبيح ومجد لأنه حمل الصليب طوعاً ليموت من أجل خطايا الناس ويحررهم من لعنة الخطية. وبدمه ندخل في علاقة شخصية مع الله للأبد، وهذه عطية الخلاص المجانية لكل من يقبلها. إن نفس هذا الحمل، الذي تألم ومات وقام، حيث أن ذبيحته قهرت الخطية والشیطان والموت وجهنم. وبينما سمع الرائي يوحنا هذه الجوقة السماوية في رؤيا، سننضم معهم شخصياً عن قريب حول عرش المجيد الحبيب في تسبيح اسم الحمل يسوع المستحق كل كرامة إلى أبد الأبدين الذي اشترانا بدمه.

إن يسوع الحمل استطاع أن يفتح السفر ويفك ختمه السبعة، في المقابل، استحق السبعة ألقاب التي نجدها في رؤيا ٥: ١٢ كونه الخروف المذبح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. رقم سبعة يرمز إلى الكمال. هكذا، يسوع الكامل يدعوك أخي العزيز وأختي الكريمة أن تضم صوتكما لي في تقديم التسبيح الدائم لملك المجد يسوع. فهو مستحق كل محبتك وتقديرك للخلاص العجيب الذي وفره بدمه الكريم. لا شيء لدي سوى أن أشكر ربي وأسبح اسمك مدى حياتي على أمل رؤياك عن قريب. آمين.

عشاء عُرْسِ الخروف

"وَقَالَ لِي "اَكْتُبْ: طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ!" (رؤيا ١٩: ٩)

في رؤيا ١٩ يرى الرائي يوحنا ويسمع خاتمة التاريخ ويُشبهها بحفلة عرس يتخللها "الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للربِّ إلهنا" والسُّجود والتسبيح لله الجالس على العرش". ويسمع صوتَ جَمْعٍ كثيرٍ كَصوت مياه كثيرة ورُعود شديدة قائلةً "هَلِّلُويا فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ الإلهُ القادرُ على كُلِّ شيءٍ". هذا الفرح والتهلل، كان نتيجة عرس الخروف حيث نقرأ: "لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهُ الْمَجْدَ! لَأَنَّ عُرْسَ الْخُرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَأَمْرَاتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا". (رؤيا ١٩: ٧). يُشير هذا الاحتفال السماوي إلى عشاء عرس الخروف، الذي يحدث عندما يجتمع حملُ الله يسوع في أُورشليم السماوية بجميع المؤمنين المقامين والأحياء الأبرار عند مجيئه الثاني.

منذ ألفي سنة، ترك المسيح منزله السماوي ليدعو أتباعه إلى عشاء الخروف، الذي سيقام بعد زواجه من عروسه. ولما كان على الأرض، روى يسوع مثلاً عن عرس، حيث فَضَّلَ أحد الضيوف ارتداء زيَّ الخاص به عوضاً عن ثياب العرس التي وفرها الملك، فأُلْقِيَ خارج العرس (متى ٢٢: ١-١٤) وفي المثل الوارد في متى ٢٢ تمثل صورة العرس نفسها الدينونة الاستقصائية (التحقيقية) بكل وضوح على أنها تحدث قَبْلَ العرس. فَقبْلَ الزفاف يدخل الملك لينظر المدعوين وليرى هل كلهم لابسون ثوب العرس، ثوب الخلق الذي بلا عَيْبِ الْمُعْتَسِلِ والمُبَيِّضِ في دم الخروف. (متى ٢٢: ١١؛ رؤيا ٧: ١٤). وبعد موته وقيامته، عاد العريس لبيت أبيه ليعد "مكناً" لشعبه، ضيوف العرس (يوحنا ١٤: ٢، ٣). وَهُم ظَلُّوا على الأرض استعداداً لعودته. وفي نهاية العالم، سيعود ويأخذهم لبيت أبيه. "الزواج يرمز إلى قُبُولِ المسيح ملكوته. المدينة المقدسة، أُورشليم الجديدة. تُسَمَّى «العروس امرأة الخروف»".

يقول الكتاب في الرؤيا أَنَّ شعب الله هم المدعوون إلى عشاء العرس (رؤيا ١٩: ٩). فَإِنْ كانوا ضيوفاً مَدْعُوِّين، فلا يُمكن أن يكونوا رمزاً إلى العروس كذلك. يصرح رؤيا ١٩: ٨ أَنَّ المسيح أعطى العروس ثياباً نقيّةً بهيئةً. ويوضح هذا أن ضيوف العرس الذين يدخلون المدينة لا يَدْعُونَ أي فضل لأعمالهم. إذن، يمثل البرّ النقيّ البهيّ "تَبَرُّرَاتُ الْقُدِّيسِينَ"، هذه التبرّرات نتجت عن اتحادهم مع المسيح، الذي يعيش فيهم. وعليه، فترمز هذه الثياب إلى برِّه وأن شعبه "يَحْفَظُونَ وَصَايَا اللَّهِ وَإِيمَانَ يَسُوعَ" (رؤيا ١٤: ١٢).

توضح رؤيا ٣: ١٨ أَنَّ ثوبَ برِّ المسيح، وَذَهَبُ الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَمَسْحَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ هي أعظم الاحتياجات لشعب الله الذين يعيشون في زمن النهاية. عَرَضَ يسوع على كنيسة اللاودكيين، وهي كنيسة أيامنا هذه "بشراء" هذه الهبات منه، يوضح لنا أنه يطلب شيئاً ما في مقابل ما يعرضه عليهم. حيث نتخلى عن الاكتفاء الذاتي والثقة بأنفسنا، ونستعيز عنهما بحياة الطاعة الأمانة للمسيح والثقة فيه بِصِفَتِهِ رَجَاءُنا الوحيد للخلاص.

استخدمَ كُتَّابُ العهد القديم العرس لوصف الرباط الوثيق بين الله وشعبه، وعند ارتدادهم كانت الزوجة تزني روحياً عندما يتعدوا عن عبادة الله الحقيقي. ويصف إشعياء ٥٣: ٧ ذبيحة المسيح "كشاة تُساق إلى الذبح". يتكلّم بولس عن يسوع "كحمل الفصح" كما يصف الكنيسة بـ "عروس المسيح".

كان العرس يبدأ بكتابة عقد الزواج حيث يقوم أهل العريس بدفع المهر لعائلة العروس، يليها الخطوبة، ثم الزواج الذي قد يدوم أياماً عديدة، يتخلله عشاء العرس. هذا ما يُشير إليه سفر الرؤيا ١٩ ليصف لقاء يسوع حملُ الله بأتقيائه في وطنهم السماوي. عزيزي، الربُّ يُقدِّم لك الدعوة لحضور وليمة عشاء عرس الخروف فيقول: "طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ". هنيئاً لك بقرارك كي تكون ضمن ضيوف ذاك العشاء حيث تلتقي بالعريس يسوع، وتشارك بتسابيح الحمد والكرامة للقادر على كُلِّ شيء ربَّ المجد.

محبة الله والصليب

"وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا." (رومية ٥: ٨)

تُعتبر هذه الآية من أروع ما كتبه الرسول بولس حيث أظهر كيف مات المسيح في مكاننا. ولأننا أخطأنا، كُنَّا مُستحقين غضب الله ودينوته، مُستحقين الموت. لقد أخذ المسيح دينونة الله على نفسه في الصليب. ويصير بولس على أن موت المُخلص كان دليلاً على عظيم محبته لنا. مات عنا من دون أن نكون مُستحقين تلك المحبة، مات لأجلنا ونحن بعد خطاة. في هذا اندهشي أيثها السماوات وتحيري أيثها الأرض.

كان موته قد هزم الشيطان وحررنا من العبودية، كما كفر عن خطايانا مظهراً حكمة الآب السماوي، وصالحنا مع الله إذ سَفَكَ دَمَهُ من أجلنا. يُؤكد ١ يوحنا ٣: ٨ "أن إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا ظهر ابنُ الله لكي ينقُض أعمال إبليس". لقد قدّم الله المسيح ذبيحة كَفَّارِيَّةَ بدمه المَهْرَاق على الصليب الذي نقبله بالإيمان. بهذا يكون الصليب مركز رؤيا الله للبشرية، وقصده في الخليقة. الصليب هو المحور الذي يدور حوله العالم، والسر الذي يشرح ويُنجز ويفدي كل شيء.

وقد تجلّى ملاء الله إذ صار الفادي مسحوقاً لأجلنا وعُلِقَ على خشبة ملعونة. لقد فدانا المسيح من لعنة الناموس حين صار لعنة لأجلنا كما هو مكتوب "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غلاطية ٣: ١٣). هنا تجلّت قداسة الله عندما صار خطيئة لأجلنا. وفي هذا يقول الرسول بولس "لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة، خطيئةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

وقد تجلّت قوة الله في أكمل صورها في السماح لنفسه أن يُصلب على أيدي أئمة. يوضح الرسول بطرس ذلك إذ نقرأ في عظة يوم الخمسين في أعمال الرسل ٢: ٢٣ "هذا أخذتموه مُسَلِّماً بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمُخْتَوِمة وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه". فقد تجلّى مجد الله في الصلب المهيّن الذي تعرّض له المسيح على الصليب. يربط بطرس سفر أعمال الرسل بأسفار العهد القديم، التي سبقت الصليب وإنجيل الملكوت عندما تجلّت إرادة الله للإنسان من خلال يسوع المسيح، حيث صارت نعمة الله المحور الرئيسي لأخبار الله السارة للجنس البشري، وتعيين الله لأبنائه ورسله لينقلوا لنا خطة الفداء العجيبة، ومقاصده الرائعة للأجيال القادمة.

ومع أن اليهود قد سلّموا يسوع لأيدي أئمة، وصلبه الرومان وقتلوه- كل هذا كان بعلم الله المُسبق ومشورته قبل خلق العالم. هو العليم ويعرف النهاية من البداية حيث سيموت البار لأجلنا المُذنبين.

المسيح هو الله نفسه وقد حمّل خطايانا وقصاصها على نفسه، لذا، لم يكن الصليب لاسترضاء غضب الله، لكن لإظهار محبة الله للجنس البشري، حتّى في عذاب الموت على الصليب. ففي المسيح المصلوب، نرى حقيقة الله ونحن والعالم. وعلى الصليب، أنجزت المصالحة بين الله والعالم حيث أوجد للخطاة طريق التوبة، وإمكانية انضمامهم إلى ملكوت السماوات بنعمته.

يصف إشعياء ٥٣ آلام المُخلص رجل الأوجاع ومُختبر الحزن الذي حمّل أوجاعنا، وفي الآية الخامسة نقرأ "وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبخبره شفيناً".

عزيزي، هل أنت متضايق ومُتألم من مرض ما؟ أنظر إلى الصليب بتواضع وصلي قائلاً: "يا رب، جرحت لأجل معاصي، وسُحقت لأجل آثامي على الصليب، اشفني بحسب كلمتك التي تقول "بجراحك شفيناً".

ستشعر بمحبة الله تتغلغل فيك، وستنال بالإيمان الشفاء والقوة التي تحتاجها لشفاء جسّدك. ارفع عينيك لترى أروع مظاهر المحبة لفاديك الحبيب الذي مات ليعطيك حياة أبدية في ملئها. لقد وهبك الكل، فهل ستسلم حياته لك في طاعة حبيّة وتخبر محبته العظيمة لك على الصليب؟ لك أبي السماوي كل شكر وتسبيح أبد الدهور. آمين.

يَعْظُمُ انتصاري بِمَنْ أَحَبَّنِي

"وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انتصارنا بِالَّذِي أَحَبَّنَا." (رومية ٨: ٣٧)

يتساءل الرسول بولس في رومية ٨: ٣٥ عن سبعة أشياء خَطَرَةٌ قد تفصلنا عن محبة المسيح مثل شدة أم ضيق أم اضطهاد، ويؤكد عدم تأثير أي منها في إبعادنا عن محبة فادينا طالما إيماننا قوي فيه. يسوع بدوره لن يتوقف عن حبنا على الإطلاق حيث أكد قائلاً "كُلُّ مَا يُعْطِينِي الْآبُ فَإِلَيَّ يُقْبَلُ، وَمَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا". (يوحنا ٦: ٣٧). هل يعني هذا أنه لن تُصيبنا أي من هذه الضيقات؟ لم يكن هذا حال الرسول بولس الذي واجه الكثير من الشدائد والضيقات في كرازته بالإنجيل. فكيف يعظم انتصارنا إذا بالذي أحبنا؟ نعم حقق الرب يسوع الانتصار لنا، فلا شيء من الأخطار قادر أن يفصلنا عن محبة مُخَلِّصنا أو يمنعنا من أن نبقى به مُنتصرين.

١- يُحِبُّنَا اللَّهُ بِمَحَبَّةٍ بَذَلَ النَّفْسَ. "هكذا أحبَّ الله العالمَ حتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِيَخْلُصَ الْعَالَمَ بِهِ". محبة الله لنا دفعته كي يُرْسِلَ المسيح إلى العالم ليُخَلِّصَنَا، ويدفع ثَمَنَ خطايانا التي فصلتنا عنه. جَلَبَتْ هذه التضحية سلاماً مع الله، وعلاقة شخصية حُبِّية لنا بفادي نفوسنا يسوع. فهذه المحبة المضحية أتت بكلِّ البركات الروحية.

٢- محبة الله لنا أخرجتنا مِنَ الظُّلْمَةِ إلى نوره العجيب، نور مُشَارَكَةٍ جميع الذين استجابوا لهذه المحبة الرائعة. يدعونا الله لأنفسه وقد وعد أن يحمي هذه العلاقة حيث يقول: "أَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي". (يوحنا ١٠: ٢٨). فهو لن يتركنا أو يهملنا. ما أروع وعده أن يكون معنا إلى انقضاء الدهر.

٣- أحبنا الله بمحبة فادية. يؤكد بولس في رومية ٨: ٣ و٤ أن الله أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد كي نسلِّك بالروح". لسنا قادرين بطبيعتنا الخاطئة أن نتمم مطالب الناموس، لكن المسيح افتدانا ودفع ثَمَنَ تعديتنا، لذا فمحبة الفادية حررتنا من الذنب والخوف.

٤- الله أحبنا بمحبة أظهرت برّه. تُخبرنا كلمة الله أن "الجميع قد أخطأوا وهم عاجزون عن بلوغ ما يُمَجِّدُ اللَّهَ. وهم مُبَرَّرُونَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (رومية ٣: ٢٣ و٢٤). رأينا محبة الله تُبَرِّرُنَا (تُعلننا بريئين) بهبة نِعْمَتِهِ بالإيمان بالمسيح. فيسوع قد غُومِلَ كخاطئ، والخاطئ غُومِلَ كَبَارٍ. الله يرانا من خلال برِّ المسيح بدلاً من أن ينظر إلى خطايانا. فمحبة الله البارّة تسمَح لنا بالوقوف أمامه.

٥- يُحِبُّنَا اللَّهُ مُحَبَّةً تَبَتَّنَا. أظهر الله محبته بأن غفر خطايانا وقبَلنا في العائلة السَّماوية وفي هذا يقول بولس "إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: "يَا أَبَا الْآبِ" (رومية ٨: ١٥). لقد أهَّلنا الآب لشركة ميراث القديسين في النور ويشمل هذا الميراث الخلاص والرجاء والسلام. فهذه المحبة تسمَح لنا أن ننادي "يا أبا الآب" كأولاد وبنات له.

٦- الله يُحِبُّنَا مُحَبَّةً مُقَدَّسَةً. قدَّسنا بتقديم جسد المسيح كذبيحة كاملة عن خطايانا مرة واحدة، أي أفرزنا لتحقيق قصده. نحيَا حياة القداسة ولنا يقين الخلاص فيه، ونحن نحمل ثمار الروح ونعيش لمجده كل يوم.

٧- يُحِبُّنَا الْخَالِقُ مُحَبَّةً مَجِيدَةً. أيُّها الأَحِبَّاءُ، الآن نحن أولاد الله ولكن متى أظهر نصير مثله، لأننا سنراه كما هو". نتصارع يومياً مع الخطية لكن الذي بدأ فينا عملاً صالحاً، سَوْفَ يُتِمُّهُ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ. مهما كانت أتعابنا اليومية، لنكن أعظم من مُنتصرين بالذي أحبنا. إذ نحن في المسيح، لنعيش محبته من جديد كخلائق جديدة، وليكن هدفنا تمجيد فادينا يسوع الآتي ليأخذنا إلى بيتنا السَّماوي عن قريب.

صليب المحبة

"نَظَرِينَ إِلَى رَئِيسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِرْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ." (عبرانيين ١٢: ٢)

يُخْبِرُنَا كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ فِي الْأَصْحَاحِ ١١ عَنْ سِيرَةِ أَبْطَالِ الْإِيمَانِ بِمُنْجَزَاتِهِمْ وَمَا مَرُّوا بِهِ مِنْ ضِيقَاتٍ بَانْتِظَارِ أَنْ يَرَوْا الْمَسِيحَ يُحَقِّقُ قَصْدَهُ وَمَوَاعِيدَهُ فِيهِمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ ثَانِيَةً. وَيَبْدَأُ الْأَصْحَاحُ ١٢ بِذِكْرِ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ كَشُهُودٍ لِيَامَانِهِمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَمَا يَعْنِيهِ مِثَالُهُمْ لَنَا الْيَوْمَ فِي حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ. وَإِذْ لَنَا هَذِهِ السَّحَابَةُ مِنَ الشُّهُودِ، لِنَحَاضِرِ بِالصَّبْرِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، وَنَحْتَمِلَ كَمَا احْتَمَلَ يَسُوعَ عَذَابَ الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِنَا، وَنَتَمَسَّكَ بِثِقَةٍ الرَّجَاءِ إِلَى النِّهَايَةِ، لِأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ آمِينَ. يَبْقَى الرَّبُّ يَسُوعَ مِثَالَنَا عَلَى الدَّوَامِ، لَقَدْ وَاجَهَ التَّجَارِبَ وَالضِّيقَاتِ مِنْ أَجْلِنَا دُونَ أَنْ يَنْحَرِفَ عَنْ عَزْمِهِ لِيَعْمَلَ مَشِيئَةَ اللَّهِ وَأَبِيهِ السَّمَاوِيِّ. لَقَدْ احْتَمَلَ عَارَ الصَّلِيبِ وَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّ اللَّهَ "سَيَعْمَلُ الْكُلَّ لَخَيْرٍ" الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. الصُّورَةُ هُنَا لِسَبَاقِ رُوحِيٍّ كَسَبَاقِ أَبْطَالِ الْإِيمَانِ نَنْظُرُ فِيهِ إِلَى رَئِيسِ إِيْمَانِنَا وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي حَمَلَ صَلِيبَهُ طَوْعًا نَظَرًا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ يَحِيطُ بِهِ مُحِبِّهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ. لِنَسْعَ بِثَبَاتٍ فِي سَبَاقِ الْإِيمَانِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ الْأَفْضَلِ الَّتِي لَهَا أُسَاسَاتٌ الَّتِي صَانَعُهَا وَبَارَتْهَا هُوَ اللَّهُ.

عِنْدَمَا كَانَ الْمُخَلَّصُ مُعَلَّقًا عَلَى الصَّلِيبِ، عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ نَتِيجَةَ مَوْتِهِ، وَدَفْنِهِ، وَقِيَامَتِهِ، سَتَعُودُ بِالْحُرِّيَّةِ وَالْبَرَكَاتِ لِحَيَاتِنَا. لَمْ يَكُنْ يَسُوعَ مُجْبَرًا عَلَى الْمَوْتِ، لَكِنَّهُ اخْتَارَ الصَّلِيبَ لِأَنَّهُ يُحِبُّكُمْ وَيُحِبُّنِي. فَحُبُّهُ الْفِيَاضَ لَنَا، قَادَهُ إِلَى الصَّلِيبِ - بِعَذَابِهِ، وَعَارِهِ، وَانْفِصَالِهِ عَنِ اللَّهِ - تَلَى ذَلِكَ قِيَامَتُهُ الَّتِي عَنَتِ الْإِثْمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ، لِأَجْلِكَ وَلِأَجْلِي. مَا أَرَوْعُهُ مِنْ حُبٍّ عَظِيمٍ. نَخْتَبِرُ فِي حَيَاتِنَا فُرْصًا نَظْهَرُ فِيهَا مُحِبَّتَنَا لِلَّهِ، لَا لِنَرْبَحَ مِنْ خِلَالِهَا شَيْئًا، بَلْ لِنُظْهَرَ اسْتِجَابَتِنَا لِمُحِبَّتِهِ الدَّائِمَةِ غَيْرِ الْمُقَيَّدَةِ بِشُرُوطٍ. يُؤَكِّدُ بُولُسُ الرَّسُولُ أَنَّ جَمِيعَنَا خُطَاةٌ يَنْقُضُنَا مَجْدُ اللَّهِ، وَبَعْدَ أَنْ يُظْهَرَ دَوْرُ النِّعْمَةِ بِالْفِدَاءِ بِالْمَسِيحِ يَقُولُ: "الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَقَارَةِ الْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بَرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ. لِإِظْهَارِ بَرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رُومِيَّةُ ٣: ٢٥ و ٢٦). لِنَتَذَكَّرْ أَنَّ صَلِيبَ يَسُوعَ لَمْ يُظْهَرَ الْغُفْرَانَ فَحَسْبُ، بَلْ أَظْهَرَ أَيْضًا غُفْرَانَ اللَّهِ.

فَصَلِيبُ الْمُخَلَّصِ هُوَ صُورَةٌ رَائِعَةٌ لِمُحَبَّةِ اللَّهِ، وَكُلُّ خَطَايَانَا هِيَ فَقَطْ دَرَّةٌ مِنْ رَمَادٍ مُقَارَنَةً بِجَبَلِ غُفْرَانِ مَسِيحِنَا الْحَيِّ، وَكُلُّ خَطَايَانَا هِيَ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ يَصُبُّ فِي مُحِيطِ رَحْمَتِهِ. يَبْقَى الصَّلِيبُ ضَرُورِيًّا لِيَكُونَ اللَّهُ بَارًّا وَيُبَرِّرَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ. أَحِبَّائِي، إِذْ تَشْعُرُونَ بِمُحَبَّةِ فَادِنَا يَسُوعَ تَتَغَلَّغَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْيَوْمَ، شَارِكُوا هَذِهِ الْمُحَبَّةَ مِنْ حَوْلِكُمْ، أَعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ كِي تَكُونُوا نُورًا يُضِيءُ فِي عَالَمٍ مُظْلَمٍ.

عِيشُوا صَلَاةَ بُولُسَ لِمُؤْمِنِي أَفَسُسَ ٣: ١٧-١٩ "لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَّصِلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمُحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُذَكِّرُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرَضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمَثَّلُوا إِلَى كُلِّ مَلَأِ اللَّهِ". يَا لَهُ مِنْ حُبٍّ عَجِيبٍ، وَنِعْمَةً لَا أَسْتَحِقُّهَا أَنْ يَمُوتَ يَسُوعُ الْحَبِيبُ لِأَجْلِ خَطَايَايَ. شُكْرًا لِمُحَبَّتِكَ الَّتِي تَجَلَّتْ عَلَى الصَّلِيبِ، عَلَّمَنِي أَنْ أَعِيشَ حَيَاةَ الْإِيمَانِ لَكَ.

لَقَدْ اخْتَرْتَنِي قَبْلَ أَنْ أَخْتَارَكَ، وَأَحْبَبْتَنِي وَأَنَا خَاطِي. أَحْتَاجُ إِلَى نُورِكَ أَنْ يَمْلَأَ ظُلُمَاتِ حَيَاتِي، وَإِلَى يَدِكَ أَنْ تَهْدِيَنِي إِلَى سُبُلِ الْبَرِّ. عِنْدَمَا أَكُونُ بِلا رَجَاءٍ، تُصْبِحُ أَنْتَ رَجَاءَ حَيَاتِي. وَبِصَلِيبِ مُحَبَّتِكَ فَتَحَتْ أَمَامِي دَرَبَ الْخِلَاصِ. لِيَتَنِي أَبَادُكَ الْمُحَبَّةُ وَأَعِيشَ أَيَّامَ حَيَاتِي فِي حُبِّكَ وَحُبِّ مَنْ حَوْلِي، أَخَوَتِي وَأَخَوَاتِي فِي الْإِنْسَانِيَّةِ. لَكَ سَيِّدِي الْبَارِ كُلُّ التَّسْبِيحِ وَالْكَرَامَةِ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

أَحْبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي

"مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي." (غلاطية ٢: ٢٠)

يُعِيدُ الرَّسُولُ بُولُسُ مَا يَحْدُثُ بِالضَّبْطِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِمَنْ يَنَالُ التَّبرِيرَ أَوْ الْخَلَاصَ مِنْ خِلَالِ إِيْمَانِهِ بِالْمَسِيحِ. نَصْبَحُ مُرْتَبِطِينَ بِيَسُوعَ بَحِثَ نَمُوتُ مَعَهُ لِبِدْءِ الْعَيْشِ فِينَا. فَالْإِيْمَانُ وَحْدَهُ هُوَ طَرِيقُنَا لِلْخَلَاصِ. الْمَسِيحُ صُلِبَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، وَبِالْإِيْمَانِ، نَتَّقُ أَنْ مَوْتَهُ قَدْ دَفَعَ ثَمَنَ خَطَايَايَ. يَذْكُرُ بُولُسُ أَنْ دَافَعَ مَوْتَ يَسُوعَ مِنْ أَجْلِنا كَانَ الْمَحَبَّةَ. لِذَا كَانَتْ عُنَاصِرُ الْخَلَاصِ هِيَ مَوْتُ وَدَفْنُ وَقِيَامَةُ فَادِينَا يَسُوعَ. لَا شَيْءَ سِوَى شَخْصٍ وَعَمَلٍ مُخْلِصِنَا الْحَبِيبِ قَادِرٍ أَنْ يُصَالِحَنَا مَعَ اللَّهِ وَيُخْلِصَنَا مِنْ خَطَايَانَا.

إِنَّ هَذِهِ الْمَصَالِحَةَ يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَاللَّهِ فِي الْإِتِّجَاهَيْنِ. إِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ اللَّهُ لِكِي يُصَالِحَنَا مَعَهُ هُوَ عِنْدَمَا أزالَ الْعُقْبَةَ الَّتِي كَانَتْ تَفْصِلُنَا عَنْهُ - ذَنْبُ الْخَطِيئَةِ. لَقَدْ قَامَ بِالْخُطُوَةِ الَّتِي لَا نَسْتَطِيعُ نَحْنُ أَنْ نَقُومَ بِهَا مِنْ خِلَالِ إِرْسَالِ ابْنِهِ الْحَبِيبِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ: "لَأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالْأَوَّلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!" (رومية ٥: ١٠).

مَاتَ يَسُوعُ كِي يَذْمُرَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْأَجْنَاسِ وَيُتِيحَ لِلْجَمِيعِ إِمْكَانِيَّةَ الْقُدُومِ إِلَيْهِ وَقُبُولِهِ مُخْلِصًا لِحَيَاتِهِمْ. أَوْضَحَ الرَّسُولُ بُولُسُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ إِذْ تَكَلَّمَ عَنْ امْتِيَّازِ شَعْبِهِ قَدِيمًا مُقَارَنَةً بِالْأُمَمِ، إِذْ لَا فَرْقَ فَالْجَمِيعُ هُمْ خُطَاةٌ، فَقَالَ: "وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لِأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ" (أَفْسُسُ ٢: ١٤ وَ ١٥). الْكُلُّ فِي الْمَسِيحِ وَاحِدٌ مِنْ خِلَالِ الْخَلَاصِ الَّذِي وَفَّرَهُ لْجَمِيعِنَا. وَبِالصَّلِيبِ، صَنَعَ الْفَادِي سَلَامًا، وَقَرَّبَ الْجَمِيعَ بِدَمِ الْمَسِيحِ.

وَضَعَ الرَّبُّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ طَوْعًا لِيُظْهِرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْخَاطِئِينَ. ظَهَرَ مَقْيَاسُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَنَا بِتَضَحُّيَّتِهِ مِنْ أَجْلِنا وَإِنْقَاذَنَا مِنْ عُقُوبَةِ خَطَايَانَا، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَقُولَ الْحَبِيبُ فِي يُوحَنَّا ٣: ١٦ "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِتَكُونَ لَنَا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". وَيَزِيدُ مَقْيَاسَ مَحَبَّتِهِ عِنْدَمَا نُدْرِكُ أَكْثَرَ عَدَمِ اسْتِحْقَاقِنَا. وَفِي هَذَا يَقُولُ بُولُسُ "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنا" (رومية ٥: ٨).

مَضَى رَبُّ الْمَجْدِ وَمَاتَ مِنْ أَجْلِ الْأَثَمَةِ لِيُقَرِّبَنَا إِلَى اللَّهِ. كَلِمَةُ "إِنْجِيلٍ" تَعْنِي "أَخْبَارَ سَارَّةٍ" وَتَتَمَحَوَّرُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَوْلَ أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ اللَّهُ نَفْسَهُ. يُوضِّحُ الرَّسُولُ بُولُسُ ذَلِكَ فِي رُومِيَّةِ ٦: ٩ وَ ١٠ "عَالَمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَمُوتُ أَيْضًا. لَا يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لِأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيئَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةَ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا اللَّهُ". الْمَسِيحُ مَاتَ لِلْخَطِيئَةِ أَوْ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً. وَلَنْ يَحْمِلَ الْخَطِيئَةَ مَرَّةً أُخْرَى وَلَنْ تَتَكَرَّرَ ذَبِيحَتُهُ الْكَفَّارِيَّةُ مَرَّةً أُخْرَى.

إِنَّ الْمَسِيحَ، الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، حَمَلَ الْخَطِيئَةَ وَمَاتَ لِأَجْلِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً. وَمِنْذَ أَنْ قَامَ، لَنْ يَحْمِلَ خَطَايَا مَرَّةً أُخْرَى. بَلْ يَعْيشُ يَتِمُّ مَشِيئَةَ اللَّهِ بِأَنْ يَشْفَعَ فِي الْمُؤْمِنِينَ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ. كَمَا مَاتَ الْفَادِي لِيُعْطِيَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ. أَوْضَحَ يَسُوعُ ذَلِكَ فِي يُوحَنَّا ٣: ١٨ بَعْدَ أَنْ أَكَّدَ أَنْ الْخَلَاصَ بِهِ وَحْدَهُ فَقَالَ "الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ".

مَهْمَا تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي مَاتَ مِنْ أَجْلِهَا الْمَسِيحُ، يَبْقَى السَّبَبُ الْأَهَمُّ لِأَنَّهُ يُحِبُّكُمْ وَيُحِبُّنِي. وَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِهِ، يَصْعُبُ عَلَيْنَا تَخِيلُ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ فِي دِيَارِ النِّعَمِ. رَجَائِي أَنْ يُبَادِلَهُ الْمَحَبَّةَ بِالْمَثَلِ وَنَعِيشَ لِمَجْدِهِ. لَقَدْ سَفَكَ الْفَادِي دَمَهُ مِنْ أَجْلِكَ وَأَنْتَ مَاذَا يَا تَرَى ضَحِيَّتَ مَنْ أَجَلَهُ. لَكَ مُخْلِصِي الْبَارِ كُلِّ تَسْبِيحٍ وَكَرَامَةٍ وَمَجْدٍ مَدَى الْأَجْيَالِ رَبِّي الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ.

٩ حيث تلتقي المحبة والعدالة

"في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا."

(١ يوحنا ٤: ١٠)

يُذكرنا الحبيب يوحنا أن الله روح كما أنه نور، والآن يقول إنه محبة. كل صفة من هذه هي أبدية ومُتَّحِدَةٌ معاً كجزء من قداسته. لذا، لا يمكن أن نفصل محبة الله عن برّه، جوده، وقداسته. بالنسبة لنا، كنا أموثاً بالخطايا وفي عداوة مع الله، الذي أحبنا أولاً وأرسل ابنه كفارة لخطايانا - كي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لم تنبع هذه المحبة منا، لكنها أتت من الله. وكنتيجة لتلك المحبة، نستطيع أن نولد فيه من فوق، ونعرفه، ونحب الآخرين أيضاً.

نجد في الآية أعلاه حقيقتان: الأولى أن الله يُحِبُّنا، والثانية أن الله أرسل ابنه ليكون كفارة لخطايانا. لتأمل في الحقيقة الثانية أولاً. أظهر صليب المسيح كفارة عدالة الله ضد الخطيئة. تشمل كلمة "كفارة" دفع أو تضحية لتغطية ثمن خطايانا. كان اليهود قديماً يقدمون ذبائح باستمرار لخطاياهم، حمل ابن سنة وسليم ليس به أي عيب، حيث يقوم المذنب بوضع يده على رأس الحمل البريء، ثم يقوم بذبحه، وكان الدم يُوضع على جانبي مذبح التضحية.

مع ذلك، قدم المسيح الثمن الوحيد الكافي، مرة واحدة، ليُكفَّر عن خطايا العالم. قام بذلك لأنه الذبيحة الكاملة بدون خطيئة. وحيث أن الله قدوس وعادل، لا يمكنه أن يتساهل مع أبسط خطيئة، لذا، كان موت الفادي ضروري لدفع أجره الخطيئة حيث يقول الكتاب إن "أجرة الخطيئة هي موت" (رومية ٦: ٢٣).

نأتي الآن إلى الحقيقة الأولى وهي محبة الله لنا. أظهر الله محبته لنا في العهد القديم على لسان موسى والأنبياء عندما أوصى بمحبة الله من كل القلب، ومحبة الآخرين أيضاً. لكن، قمة المحبة ظهرت على الصليب. وفي هذا يقول بولس "ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رومية ٥: ٨).

أظهر موت المسيح محبة الله الأب إذ أرسل ابنه الأوحد ليكون ذبيحة خطايانا. تلك المحبة التي تفوق الوصف والادراك. والموت الذي ماته الرب يسوع، كان التعبير الأعظم عن المحبة التي أظهرها الله للجنس البشري. لم يعرف العالم محبة أعظم من هذه. المجد والكرامة لك يا يسوعي الحبيب لعظيم محبتك لي.

بعد أن خانهُ يهوذا بقبلة، سلم يسوع نفسه كي يُحاكم أمام ستة محاكم: ٣ منها يهودية، و٣ رومانية. كان على يقين مما سيحدث له والقصد الذي سيحققه من صلبه. وقد تنبأ لتلاميذه عن موته حيث نقرأ "من ذلك الوقت ابتداء يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم" (متى ١٦: ٢١). لا يوجد أدنى شك أن موت المخلص على الصليب، كان سبباً رئيسياً لمجيئه لعالمنا قبل أكثر من ألفي سنة. تألم ومات طوعاً، لأن هذا وحده يُعيدنا إلى الله، ودمه الثمين وحده، له القوة ليعطي الرضى التام لمطالب الله من نحو خطايانا. صليب المسيح هو محور كل التاريخ البشري.

إنه المكان الذي يتصالح به الله مع الخطاة. على كل واحد منا أن يأتي إلى الصليب ويخلص، إذا أردنا أن تكون الحياة الأبدية من نصيبنا. كان صليب المسيح هو المكان الذي اجتمعت فيه محبة الله مع عدالته. تطلبت محبة الله خلاص الخطاة، بينما تطلبت عدالة الله دينونتهم. كيف يمكن أن يتصالح الاثنان معاً؟ وكيف يمكن للمحبة والعدالة أن يلتقيا؟ الجواب يكمن في صليب يسوع المسيح. ما أعظمك أيها الرب سيدنا، وما أروعك يا مخلصنا، لا أحد مثلك عادل في تعاملك مع خطايانا، ومُحب في تعاملك معنا كخطاة.

وبموتك على الصليب، لن نعيش بعد الآن لأنفسنا، بل نكرس أنفسنا من جديد لنعيش لك وحدك. وحيث مات يسوع ليخلصك، يكون دورك لتموت عن الذات، وتعيش لمجد من أحبك وفدأك. وعن قريب، سيعود ليأخذك إلى بيتك السماوي لتتعم بحبه مدى الأجيال. هنيئاً لك في حبك لرب المجد.

ليسَ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا

"لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ." (يوحنا ١٥: ١٣)

في الساعات الختامية قَبْلَ الصليب، جَلَسَ يسوع مَعَ تلاميذه - أعز الناس إلى قلبه وأصدقائه المقربين، ليأكلَ مَعَهُمْ وليمة الفصح. شَعَرَ الْمُخَلَّص بِحَمَلٍ خاص نحو تلاميذه الَّذِينَ سَيُضَدِّمُونَ عندما يرونَهُ مُعَلَّقاً على الصليب كي يفتديهم. عاشوا مَعَهُ، أَكَلُوا مَعَهُ، ناموا مَعَهُ، ورافقوه لثلاث سنين ونصف. الَّذِينَ أعطاهم السُّلطان ليشفوا المرضى، ويُخرجوا الأرواح الشريرة، ويُقيموا الموتى.

لكنَّهُمْ في الوقت ذاته، سَيتركونه ويُنكروه بعد ساعات قليلة كما هو مكتوب "أضربُ الراعي فيتشتت الخراف". في ذلك اللقاء، أعطاهم وصيةً جديدةً تميِّزُ بمثاله في المحبة حيث قال: "وصيةٌ جديدةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (يوحنا ١٣: ٣٤).

لقد أحب الله الإنسان بكلِّ معاني المحبة المقدسة الحقيقية الباهظة الثمن، محبةً أبديةً، محبةً فريدةً بانت بأوضح صورها، وظهرت كاملة عندما بذل الله ابنه الوحيد، رَجُلٌ مسرته يسوع المسيح ليموت على الصليب بدلاً عن كلِّ واحد منا. وقد رأى بولس الرسول تلك المحبة بوحى الله أيضاً في رومية ٥: ٨ "ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا".

إن محبة الله الباذلة هذه لبني آدم، هي محبة العطاء بلا حدود، يعرفها الآباء والأمهات، فهي نحن نرى الأم تُقارب الموت لتلد جنينها بآلام مُضنية، وما أن تلده، حتى تتهيج به، وتُرضعه بحنانها وتصونه لينمو ويكبر، ونرى الأب وهو يكدح بالمشقات مجتازاً كلَّ الصعاب بإصرار ليؤمن القوت والملبس والمأوى لعائلته، ليجنبها العوز والحرمان.

وماذا نقول عن محبة العشاق إنها قوّة كالموت، كيف يتوق المحب للقاء حبيبه، وسط كلِّ العواطف الجياشة. أما عن حُبِّ الوطن فهو ينبض في عروق مواطنيه الأوفياء حتى يبذل الجنود الشجعان دماهم بسخاء دفاعاً عن وطنهم الغالي. لقد خلق الله الإنسان على صورته، ومحبة الله للإنسان تشمل وتُفوق كلَّ المحبة البشرية مُجتمعة معاً.

لقد ضحى يسوع بحياته لأجلنا مُعبراً عن عظيم محبته لنا. كان ربُّ المجد وواهبُ الحياة، لكنه، وضع حياته طوعاً وبُحرية وحملَ خطايانا على الصليب، وتحملَ لعنة الناموس وواجه عقاب الله وقصاصه بدلاً منّا، مُبرهنًا عن أعظم حُبٍّ عندما افتدانا بدمه الكريم.

لذا، هَبَّ المسيح المبارك من تلقاء نفسه ليدفع الثمن، ويصنع لنا بشخصه الغير محدود المصالحة، ليمنح كلَّ مَنْ يُؤمن به العُفْران الكامل والشامل لكل الخطايا السابقة واللاحقة، لأن الرب يسوع المسيح فقط غير محدود، يستطيع أن يفي الغير محدود. وأمّا الإنسان المحدود مهما عمل لا يقدر أن يفي حسابَ خطية واحدة، لأنها بالدرجة الأولى مُوجهة ضدَّ الله الغير محدود، وتتطلبُ قصاصاً كبيراً بلا حدود.

وما على الإنسان العاصي، إلا أن يعترف بخطاياهِ وتعدياته، وعجزه عن التكفير عنها، ويقبل تائباً بتواضع وانسحاق فداءً الله الذي صنعه الربُّ يسوع المسيح، المُقدَّم مجاناً لينجو المؤمن التائب من العقاب، وينال العفو المجاني الصادر بحقه من الله بمُجرد قبوله لكفارة المسيح عنه. أظهر يسوع معنى المحبة الكاملة عندما مات ليمنحنا الخلاص. ويوضح يوحنا موقفاً من هذه المحبة فيقول: "بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة" (١ يوحنا ٣: ١٦). نحن مدعوين لنُحبَّ كما أحبنا يسوع، ونضع حياتنا لأجل الإخوة. هذا النوع من المحبة سيُغيّر العالم. ربِّي البار، شكراً لأعظم مثال في المحبة عشته، حيث وأنا خاطئ مُت عن خطاياي، ساعدني أن أحب الآخرين بنفس القوة التي أحببتني بها، وأظهر بحياتي وتصرفاتي إيماني فيك، لأشع بنور محبتك كلَّ أيام حياتي أمين.

الافتخار بالصليب

"وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ." (غلاطية ٦: ١٤)

كَتَبَ الرُّسُولُ بُولُسُ رِسالته إلى مُؤْمِنِي غَلَاطِيَّةَ يُدِينُ فِيهَا مُحاولات بعض الَّذِينَ حاولوا فرضَ الْخِتَانِ على مُعْتَنَقِي الْمَسِيحِيَّةِ فِي كَنائِسِ غَلَاطِيَّةَ، لِتَكُونَ عِلَاقَتَهُمْ بِاللَّهِ سَلِيمَةً، حَسَبَ تَفْكِيرِهِمْ. كَانَ دَافِعُ هَؤُلَاءِ الدُّخْلَاءِ هُوَ التَّفَاخُرُ، لِذَا، رَفُضَ بُولُسُ الْقِيَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْعَمَلِ حَيْثُ أَنَّ الْخِتَانَ لَا يَنْفَعُ وَكَذَلِكَ الْعُرْلَةُ، الْمُهْمُ هُوَ قُبُولُ يَسُوعَ وَخِلَاصِهِ، وَأَعْلَنَ بِأَنَّهُ يَفْتَخِرُ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَقَطْ وَهُوَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ.

فَكُلُّ مَا امْتَلَكَهُ بُولُسُ، وَكُلُّ شَخْصٍ فِي الْمَسِيحِ، صَارَ مُمَكِنًا، لِأَنَّ يَسُوعَ مَاتَ كَيْ يُحَرِّرَنَا مِنْ خَطَايَانَا. كَانَ هُمُ بُولُسُ هُوَ حِمَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ رِيَاكِ التَّعَالِيمِ الْكَاذِبَةِ، وَتَشْبِيهِتُهُمْ فِي الْحَقَائِقِ الَّتِي اسْتَلَمَهَا مِنَ الْمَسِيحِ، وَعَلَّمَهُمْ إِيَّاهَا بِكُلِّ عَنَاقِيَّةٍ.

إِنَّهُ بِصَلِيبِ يَسُوعَ، يَقُولُ بُولُسُ، الَّذِي الْعَالَمُ قَدْ صُلِبَ لَهُ وَهُوَ لِلْعَالَمِ، أَيُّ، أَنَّهُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، وَمَا أَنْجَزَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. لِذَا، لَمْ يَكُنْ بُولُسُ بِحَاجَةٍ إِلَى رِضَى الْعَالَمِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يُقَدِّمُهُ، أَوْ قَدْ لَا يَكْتَرِثُ لِمَا قَدْ يُعْطِيهِ بُولُسُ. فِي هَذَا الْأَمْرِ، بُولُسُ قَدْ تَحَرَّرَ مِنَ الْمُمَارَسَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْخَاطِئَةِ لِهَؤُلَاءِ الدُّخْلَاءِ، الَّذِينَ طَالَبُوا بِالْعُودَةِ لِنَامُوسِ طَقْسِي قَدْ سُمِرَ مَعَ يَسُوعَ عَلَى الصَّلِيبِ.

عِنْدَمَا أَقَارَنُ ضَعْفَاتِي بِحَيَاةِ الْمَسِيحِ الْكَامِلَةِ، أَقُولُ وَيَحْيَ أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيَّ. لَكِنْ تَجَلَّى عَمَلُ الْمَسِيحِ التَّامُّ عَلَى الصَّلِيبِ، وَلَكُونِي فِي الرَّبِّ، فَالْبَرُّ الَّذِي نَالَهُ عَلَى الصَّلِيبِ، قَدْ رَبِحَهُ لِي أَيْضًا. مِنْ جَانِبِي، لَيْسَ لِي مِنْ شَيْءٍ أُضِيفُهُ إِلَى عَمَلِ يَسُوعَ الْكَامِلِ.

رَفُضَ الرُّسُولُ بُولُسُ التَّفَاخُرَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْمُعَلِّمِينَ الْكَاذِبَةِ، لَا فِي أَصْلِهِ، أَمْ عِلْمِهِ، أَمْ فِي أَعْمَالِهِ وَنَجَاحَاتِهِ. إِنَّمَا انْحَصَرَ تَفَاخُرُهُ وَفَرَحُهُ فِي الْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ: مِثْلُ الْإِيمَانِ وَالرَّجَاءِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ وَثَبَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ. فَنَرَاهُ يَذْكُرُ افْتِخَارَهُ فِي ضَعْفَاتِهِ وَالضِّيقِ الَّذِي قَاسَاهُ فِي خِدْمَتِهِ لِلْمَسِيحِ فَيَقُولُ: "فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعْفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ.

لِذَلِكَ أَسْرُّ بِالضَّعْفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالْاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ. لِأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ" (٢ كورنثوس ١٢: ٩ و ١٠). عَزَمَ بُولُسُ أَنْ يَكْرِزَ بِالْمَسِيحِ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا، وَمَا حَقَّقَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ بِصَلْبِهِ مِنْ سَلَامٍ وَغُفْرَانٍ وَبَرٍّ وَخِلَاصٍ.

عَجَبًا، أَنْ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ بِالصَّلِيبِ، تِلْكَ الْآلَةُ الَّتِي بَهَا مَاتَ مَنْ يُحِبُّهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ. وَلِمَاذَا نَتَمَسَّكُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَجِيبِ بِالذَّاتِ؟ يَقُولُ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ "فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلِّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ" (١ كورنثوس ١: ١٨). نَعَمْ فِي الصَّلِيبِ قُوَّةُ اللَّهِ الْغَيْرِ مَحْدُودَةِ وَالْغَيْرِ مَرْتِيَّةٍ.

يَصْرَحُ لَنَا الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ بِعَهْدِيهِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ بِالْفِعْلِ مَصْلُوبًا عَلَى صَلِيبٍ مِنْ خَشَبٍ مُتَمِّمًا نُبُوءَاتِ إِشْعِيَاءَ وَمَزْمُورِ ٢٢ وَغَيْرِهَا. وَاحِدٌ مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ تَرْكِيزِنَا الْكَافِي عَلَى الْمَسِيحِ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا، هُوَ أَنَّنا لَا نُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ -كَانَ جَيِّدًا، وَالسَّيِّئُ الَّذِي حَوَّلَهُ اللَّهُ إِلَى صَالِحٍ لِأَبْنَائِهِ الْمَقْدِينِ، قَدْ اشْتَرَى بِمَوْتِ الْمَسِيحِ مِنْ أَجْلِنَا.

تَبْقَى الْحَقِيقَةُ أَنَّنا خُطَاةٌ وَأَبْنَاءُ مُعْصِيَةٍ، فَيَدُونُ صَلِيبُ الْمَسِيحِ وَمَوْتَهُ، لَا يَبْقَى لَنَا شَيْءٌ سِوَى الدِّينُونَةِ. لِذَا، فَكُلُّ مَا نُسَرُّ بِهِ فِي الْمَسِيحِ، وَعَظِيمُ ثِقَتِنَا بِهِ، يَعُودُ إِلَى مَوْتِ يَسُوعَ لِفِدَائِنَا. صِلَاتِي لَكُمْ أَحِبَائِي وَلِي، أَنْ يَحْيَا الْمَسِيحُ فِي حَيَاتِكُمْ وَحَيَاتِي كَمَا قَالَ بُولُسُ فِي غَلَاطِيَّةِ ٢: ٢٠ "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَا الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَا فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي".

عِنْدَمَا مَاتَ الْمَسِيحُ، مُتْنَا نَحْنُ. مَعْنَى مَوْتِ الْمَسِيحِ الْمَجِيدِ هُوَ، أَنَّهُ عِنْدَمَا مَاتَ، فَكُلُّ مَنْ لَهُ مَاتُوا فِيهِ. وَالْمَوْتُ، الَّذِي مَاتَهُ مِنْ أَجْلِنَا، صَارَ مَوْتَنَا عِنْدَمَا اتَّحَدْنَا مَعَهُ بِالْإِيمَانِ. أَمَلِي أَنْ يَبْقَى شِعَارُ حَيَاتِنَا أَنْ نَعْمَلَ وَنُعْطِيَ وَنَعِيشَ لِمَجْدِ الْمَسِيحِ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا. الشُّكْرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالْكَرَامَةُ لَاسْمِ رَبِّ الْمَجْدِ يَسُوعَ. آمِينَ.

المسيح المصلوب حرّرني

"فَانْتَبُتُوا إِذَا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلَا تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ." (غلاطية ٥: ١)

يؤكد بولس في هذه الآية، أنه عن طريق الإيمان والطاعة ليسوع، نكون قادرين على عيش حياتنا المسيحية بعيداً عن الطقوس- مثل الختان- التي سُمِّرت مع يسوع على الصليب. يوضح أن الحرية تعني أن نخدم الآخرين باسم الرب ونحصد الفرح الناتج عن هذه الخدمة. نحن أيضاً أحرار لإتباع إرشاد روح الله ولعمل أعمال صالحة تدوم للأبد لأننا نؤمن بالله ونطيع كلامه. وتشير الحرية أخيراً أن نكون كرماء، ونساعد الآخرين خصوصاً أهل الإيمان.

المسيح حرّرنا من الخطيئة والدينونة والموت. الدعوة هنا للثبات كي نحافظ على هذه الحرية، ونأتي إلى الله بالإيمان وننال الحرية في المسيح. يسوع حرّرنا من ناموس موسى الطقشي، كي لا نعود لحفظه، ونقع تحت نير العبودية. مات المُخلص ليدفع قصاص خطايا الآخرين.

وضّح بحياته على الصليب كي لا نكون عبيداً للخطيئة والشیطان، وننعم بالحرية التي قال عنها يسوع في يوحنا ٨: ٣٦ "فَإِنْ حَرَرَكُمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فَالْحَقِيقَةُ تَكُونُونَ أَحْرَارًا". شكراً لك يا رب لأنك بموتك حررتنا من الخطيئة.

كُتِبَ "دبي ماكدانيال" كاتبة وزوجة قس "هذه الكلمات بدون ألم وحقيقة الصليب، بدون ذبيحة المسيح لأجلنا، بدون مُعْجَزَةِ الْقِيَامَةِ وانتصاره النهائي على الخطيئة والموت، سنزال في العبودية. وسنقى نعيش في الظلام فاشلين. وفي كل التاريخ، لا شيء أكثر فداء، وحرية، وذبيحة غالية، أعظم من صليب المسيح". كل واحد منا يتوق للحرية، كذلك الشعوب والدول، لكن الحرية في المسيح تختلف عن الحرية السياسية أو الاقتصادية.

يُخبرنا الكتاب المقدس على لسان بولس الرسول في رومية ٦ أننا جميعاً عبيد. إما للخطيئة أو عبداً للبر، ولا يستطيع عبيد الخطيئة أن يحرروا أنفسهم منها. أما عبيد البر فيحصلوا على السلام والحرية.

يُعرف العبد بأنه الشخص الذي يعمل لأجل سيده لقاء أجر. المسيحي، بالمقابل، ليس له ما يدفعه لربه لقاء عُقرانه، ويكون دائماً مديوناً لسيده الذي اشتراه بدمه المسفوك على الصليب. لقد اشتري المقدسون بذاك الدم وهم ملك ربهم ومُخلصهم. ومن خلال عبوديتنا للمسيح، نصبح أبناء ووارثين لله بالمسيح، أي شركاء، نتشارك الميراث - الحياة الأبدية- التي يُنعم بها الله على أولاده وبَنَاتِهِ. لا عجب أن يُقدِّم بولس نشيد الشكر لله لانتصاره بالمسيح فيقول: "وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْعَلَبَةَ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ كورنثوس ١٥: ٥٧).

تقول كلمات ترنيمة: "عندما أرى ذاك الصليب، أرى الحرية. وعندما أرى ذاك القبر، سأرى يسوع.

ومن الموت إلى الحياة، سأرتد تسييح عجائب نعمتك" يلبس الناس الصليب مُعلّقاً بسلسلة ذهبي حول أعناقهم كعلامة لكونهم مسيحيين، أو ربما أن هذا يتماشى مع الموضة. قد يسألهم البعض عن رمز لبسهم للصليب، فيكون جوابهم فرصة ليشهدوا لفاديتهم يسوع. هل فكرت معي قارئ العزيز، بالقيمة الحقيقية لصليب المسيح؟ كمؤمنين ومؤمنات، خطاة أعوزنا مجد الله، عندما نرتكب الخطأ نندم بشعور أن خطايانا قد صلبت مسيحتنا من جديد.

يسوع الإنسان الكامل بلا خطيئة، مات من أجلنا وأجلي. مات ودفع دين خطايي وتقصيراتي. لا أشعر بعد، بالألم واليأس نتيجة خطيئتي، لأن أبي السماوي الحنون حمل ثقل خطايي على الصليب. مات لأستطيع أن أكون في العالم ولكني لست من العالم. فداني كي أسير يداً بيد وخطوة بخطوة مع المثقلين بحمل خطاياهم، لأحبهم تحت أي ظرف يكونون، تماماً مثلما عمل يسوع مع تلاميذه.

الحرية، ذاك الصليب المُطَّخ بالدم. جُلِثَتْ، المكان الذي دُق فيه العُفْران مرة واحدة. دَرَبٌ مُطَّخ بالدماء يقود إلى تلة الألم. هناك، مَنَحَنِي يسوع حُرِّيَّتِي وَخَلَّصَنِي بِدَمِهِ. يبقى السؤال: ماذا أُرِدُّ للرب من أجل عظيم تضحيتي؟ سَأَبْقَى له شاكراً تلك العطية الغالية من أبي الحنون كل أيام حياتي، إلى أن أراه عن قريب.

دَمُ يَسُوعَ فِدَانِي

"وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا."

(عبرانيين ٩: ١٢)

قَارَنَ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ بَيْنَ الذَّبَائِحِ الْحَيَوَانِيَّةِ الْمُؤَقَّتَةِ وَالْمَحْدُودَةِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، الَّتِي كَانَ يَقُومُ بِهَا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْأَرْضِيِّينَ فِي الْهَيْكَلِ مَرَّةً فِي السَّنَةِ فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ، وَكَانَ الْقَصْدُ مِنْهَا التَّكْفِيرُ عَنْ خَطَايَاهُمْ دُونَ اسْتَطَاعَتِهَا تَغْيِيرَ قُلُوبِ النَّاسِ، أَوْ التَّكْفِيرُ التَّامُّ عَنْ خَطَايَاهُمْ، حَيْثُ أَنَّ دَمَ الْإِنْسَانِ فَقَطٌ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا قَامَ بِهِ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا، وَبَيْنَ تَقَدُّمَةِ رَئِيسِ كَهَنَتِنَا يَسُوعَ فِي الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ، الَّتِي قَامَ بِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ عَنْ الْجَمِيعِ. قَدَّمَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ السَّمَاوِيِّ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ - يَسُوعَ الْمَسِيحِ - تَقْدِيمَةً وَاحِدَةً بِسَفْكِ دَمِهِ مُسْتَنَدَةً عَلَى حَيَاتِهِ الْكَامِلَةِ بِلا خَطِيئَةٍ الَّتِي غَيَّرَتْ حَيَاتَنَا وَقُلُوبَنَا بِالْكَامِلِ.

دَخَلَ يَسُوعُ - رَئِيسَ كَهَنَتِنَا الْأَعْظَمِ - إِلَى الْقُدْسِ، وَهِيَ الْحُجْرَةُ الْخَارِجِيَّةُ مِنَ الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ بَعْدَ صُعودِهِ لِلسَّمَاءِ، بَيْنَمَا دَخَلَ إِلَى الْحُجْرَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْمَقْدَسِ وَهِيَ قُدْسُ الْأَقْدَاسِ، فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ لِلْعَالَمِ، مِنْ ٢٢ تَشْرِينَ الْأَوَّلِ (أَكْتُوبَر) سَنَةِ ١٨٤٤م، وَحَتَّى قَبْلَ مَجِيئِهِ الثَّانِي بَوَاقٍ قَصِيرٍ، وَنُسَمِّي هَذِهِ الْفَتْرَةَ بِالْدِينُونَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ حَيْثُ يَتَقَرَّرُ مَصِيرُ بَنِي الْإِنْسَانِ الْأَبَدِيِّ.

وَإِذْ نَدْرُسُ كَلِمَةَ اللَّهِ، نَجِدُ دَلَائِلَ أُخْرَى بِجَانِبِ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ، تَبْحَثُ مَوْضُوعَ الْمَقْدَسِ بِكَامِلِهِ، مِثْلَ سَفَرِ الرُّؤْيَا الَّذِي يَذْكُرُ أَشْيَاءَ هَامَّةً عَنِ الْمَقْدَسِ خَاصَّةً رُؤْيَا ١١: ١٨ وَ ١٩ حَيْثُ ظَهَرَ هَيْكَلُ اللَّهِ مَفْتُوحًا فِي السَّمَاءِ وَمَشْهَدُ الدِّينُونَةِ وَسَطَ بُرُوقٍ وَرُعودٍ وَزَلْزَلَةٍ.

يَتَحَدَّثُ سَفَرُ الْعِبْرَانِيِّينَ ٩: ٢٢ وَ ٢٣ عَنْ تَطْهِيرِ الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ بِقَوْلِهِ "وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيْبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالْدَّمِ، وَبِدُونَ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفَرَةٌ! فَكَانَ يُلْزَمُ أَنْ أَمْثَلَةَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِي السَّمَاءَاتِ تُطَهَّرُ بِهِذِهِ، وَأَمَّا السَّمَاءَوِيَّاتُ عِنْدَهَا، فَبَدَائِحُ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ". وَمِثْلَمَا كَانَتْ خَطَايَا شَعْبِ اللَّهِ تُحْمَلُ بِالْإِيمَانِ إِلَى ذَبِيحَةِ الْخَطِيئَةِ، ثُمَّ تُنْقَلُ إِلَى الْمَقْدَسِ الْأَرْضِيِّ، هَكَذَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، كَانَتْ تُوضَعُ عَلَى عَاتِقِ الْمَسِيحِ بِالْإِيمَانِ خَطَايَا النَّاسِ الْمُعْتَرَفِ بِهَا.

وَكَذَلِكَ، مِثْلَمَا كَانَ تَطْهِيرُ الْمَقْدَسِ الْأَرْضِيِّ خِلَالَ يَوْمِ الْكَفَّارَةِ الرَّمْزِيُّ يُزِيلُ الْخَطَايَا الْمُتْرَاكِمَةَ فِيهِ، هَكَذَا يَتَطَهَّرُ الْمَقْدَسُ السَّمَاوِيُّ بِالْإِزَالَةِ النَّهَايَةِ لِسَجَلِ الْخَطَايَا مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ. وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تُنْظَفَ السَّجَلَاتُ تَمَامًا، سَتُفْخَصُ لِتَحْدِيدِ مَنْ هُوَ مُخَوَّلٌ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ لِدُخُولِ مَلَكُوتِهِ الْأَبَدِيِّ.

وَهَكَذَا، فَإِنَّ تَطْهِيرَ الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ يَتَضَمَّنُ عَمَلَ اسْتِقْصَاءٍ أَوْ دِينُونَةٍ. يَجِبُ أَنْ تَحْصُلَ هَذِهِ الدِّينُونَةُ قَبْلَ الْمَجِيئِ الثَّانِي، لِأَنَّ الْمَسِيحَ يَعُودُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ "لِيُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ" (رُؤْيَا ٢٢: ١٢).

بَعْنَا أَنْفُسَنَا بِثَمَنِ زَهِيدٍ وَهُوَ "الْتِمَتُّ الْوَقْتِي بِالْخَطِيئَةِ". لَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ شَرَاءَ أَنْفُسِنَا لِلَّهِ، لِأَنَّ هَذَا يَتَطَلَّبُ ثَمَنًا مُسْتَحِيلًا عَلَيْنَا. لَكِنْ يُوجَدُ جَوَابٌ وَاقِعِي طَرَحَهُ يَسُوعُ بِقَوْلِهِ فِي مَتَّى ١٦: ٢٦ "مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟". لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نُلَوِّمَ اللَّهَ لِلْفَوْضَى الَّتِي أَوْقَعَنَا أَنْفُسَنَا بِهَا. لَيْسَ هُوَ الْمُتَعَدِّي، بَلْ نَحْنُ. يَسُوعُ أَوْجَدَ الثَّمَنَ - دَمَهُ الْخَاصَ. لَمْ يَكُنْ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْفِدَاءِ، بَلْ نَحْنُ.

هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي جُرِّبَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا لَكِنَّهُ لَمْ يَخْطَأْ. وَكَانَ دَمُهُ هُوَ الَّذِي افْتَدَانَا وَدَفَعَ ثَمَنَ خِلَاصِنَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِلْفِدَاءِ بَلْ الْجِنْسُ الْبَشَرِيَّ. فِدَانَا يَسُوعُ بِدَمِهِ الثَّمِينِ وَقَدَّمَ نَفْسَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً وَصَارَ رَئِيسَ كَهَنَتِنَا لِلْأَبَدِ. وَإِذْ يَنْهِي عَمَلَ الشِّفَاعَةِ، وَيَتِمُّ عَمَلَ الدِّينُونَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ، سَيَنْزِعُ عَنْهُ الثِّيَابَ الْكَهَنُوتِيَّةَ وَيَلْبِسُ ثِيَابَهُ الْمُلُوكِيَّةَ اسْتِعْدَادًا لِلْعُودَةِ لِيُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ مَا يَكُونُ عَمَلُهُ.

الشُّكْرُ لَكَ فَادِيَّ الْقُدُوسِ لِأَنَّكَ فِدَيْتَنِي بِدَمِكَ، سَاعِدْنِي أَنْ أَعِيشَ لِمَجْدِكَ وَاسْتَعِدْ لاسْتِقْبَالِكَ فِي مَجِيئِكَ الثَّانِي عَنْ قَرِيبٍ. لَكَ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ أَبَدَ الدَّهُورِ.

يسوع فادي البشرية

"أَرْسَلَ فِدَاءً لِسَعْبِهِ. أَقَامَ إِلَى الْأَبَدِ عَهْدَهُ. قُدُّوسٌ وَمَهُوبٌ اسْمُهُ." (مزمور ١١١: ٩)

أَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَى لِيَقُودَ شَعْبَهُ فِي طَرِيقِ الْفِدَاءِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ، كَمَا أَرْسَلَ يَسُوعَ لِيَفْتَدِيَ النَّاسَ مِنَ الْخَطِيئَةِ. وَمَا زَالِ الْيَوْمَ، يُرْسَلُ خُدَّامُهُ لِإِذَاعَةِ أَخْبَارِ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ مُقَادِينَ بِرُوحَةِ الْقُدُّوسِ، وَمُظْهِرِينَ لَهُمْ الْبَرَكَاتِ الْمُتَضَمِّنَةَ فِي قُبُولِهِمْ فِدَاءَ اللَّهِ الْعَظِيمِ لِمَنْ يَقْبَلُهُ. كَانَ خَلَاصُ شَعْبِهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ إِتِمَامًا لَخَلَاصِهِمْ، حَيْثُ رَغِبَ الْفَادِي أَنْ يَكُونُوا لَهُ شَعْبًا، وَهُوَ يَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا. قَبْلَ ذَلِكَ بَوَاقٍ طَوِيلٍ، ثَبَّتَ اللَّهُ عَهْدَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بِوَعْدِهِ بِفِدَاءِ شَعْبِهِ مِنْ خِلَالِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ خِلَالِ نِعْمَتِهِ سَتَتَبَارَكُ بِهِ كُلُّ الشُّعُوبِ.

يُؤَكِّدُ الْفِدَاءُ أَنَّ الْبَشَرِيَّةَ جَمَعَاءَ أُدِينَتْ بِتَعْدِي أَبُونَا آدَمَ، وَهَكَذَا انْتَقَلَتْ خَطِيئَتُهُ إِلَى كُلِّ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ، وَفِي الْمَقَابِلِ، وَبِطَرِيقَةٍ أَعْظَمَ، حُسِبَ بَرُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ آدَمُ الثَّانِي، لِكُلِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي آدَمِ الْأَوَّلِ حَسَبَ مَا وَرَدَ فِي رِسَالَةِ الرَّسُولِ بُولُسَ إِلَى رُومِيَّةِ ٥: ١٩، إِذْ يَقُولُ "لَأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هَكَذَا أَيْضًا بِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا".

كَانَ ابْنُ اللَّهِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْقَادِرَ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْآبِ بِكُلِّ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ وَالْفِكْرِ، وَلَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى مَحَبَّةِ الْقَرِيبِ كَنَفْسِهِ. لَمْ يَكُنْ أَيُّ شَخْصٍ بِإِمْكَانِهِ إِرْضَاءَ مَطَالِبِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ سِوَى فَادِينَا الْمَسِيحِ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. اسْتَطَاعَ يَسُوعَ الَّذِي كَانَ بِلَا خَطِيئَةٍ، وَكَامِلٍ فِي كُلِّ طَرَفِهِ أَنْ يُحَقِّقَ عِدَالََةَ اللَّهِ وَيَمُوتَ كَذَبِيحَةٍ كَامِلَةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ السَّاقِطَةِ بِالْخَطِيئَةِ، وَيَفْتَدِيَ الْإِنْسَانِيَّةَ عَلَى صَلِيبِ جُلُجَّةٍ. كَتَبَ بُولُسُ يَوْضِحُ هَذَا الْأَمْرَ فِي ٢ كُورِنْثُوسَ ٥: ٢١ "لَأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرًّا لِلَّهِ فِيهِ". تَمَّ الْمَسِيحُ مَطَالِبَ عِدَالََةِ اللَّهِ لِقِصَاصِ خَطِيئَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَحَطَّمَ الْعِدَاوَةَ بِمَوْتِهِ إِذْ صَالَحَ النَّاسَ الرَّاغِبِينَ بِقَبُولِ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ مَعَ اللَّهِ.

يُؤَكِّدُ كِتَابُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ مَا قَالَهُ يَسُوعَ فِي ثَلَاثِ مُنَاسَبَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ عَنْ آلَامِهِ وَمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ وَقِيَامَتِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، لَكِنْ تَلَامِيذُهُ لَمْ يَفْهَمُوا مَا قَالَهُ وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ. وَرَغْمَ إِدْرَاكِهِ لِمَصِيرِهِ، لَكِنَّهُ حَافِظٌ عَلَى تَمَسُّكِهِ بِعَمَلِ إِرَادَةِ اللَّهِ إِلَى النِّهَايَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي إِنْجِيلِ يُوَحْنَّا ١٠: ١٧ وَ ١٨ "لِهَذَا يُحِبُّنِي الْآبُ، لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذْهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ دَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيْضًا. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبْلَتْهَا مِنْ أَبِي".

فِي لَيْلَةِ آلَامِهِ فِي بُسْتَانَ جَثْسِيمَانِي، صَلَّى ٣ مَرَّاتٍ أَنْ تَعْبُرَ عَنْهُ كَأْسُ الْعَذَابِ وَالْمَوْتِ، وَكَأْسُ غَضَبِ اللَّهِ ضِدَّ عَصِيَانِ الْإِنْسَانِ، أَعْقَبَ ذَلِكَ تَسْلِيمَهُ نَفْسَهُ لِإِرَادَةِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ ٣ مَرَّاتٍ أَيْضًا، وَمَاتَ طَوْعًا لِفِدَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمَعَاءَ. أَدْرَكَ بُولُسُ مَا قَامَ بِهِ يَسُوعَ مِنْ فِدَاءٍ فَقَالَ فِي غَلَاطِيَّةِ ٣: ١٣ "الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لَأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ".

فَالْتَبَرِيرُ وَالْخَلَاصُ صَارَا بِالْمَسِيحِ الَّذِي "هُوَ الْاسْمُ الْوَحِيدُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ". (أَعْمَالُ الرُّسُلِ ٤: ١٢).

لَا يُمْكِنُ لِلْبَشَرِيَّةِ أَنْ تُحَقِّقَ الْخَلَاصَ أَوْ التَّبَرِيرَ لِنَفْسِهَا، لِأَنَّهَا غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى تَخْلِيصِ نَفْسِهَا، لَكِنَّ يَسُوعَ قَهَرَ الْخَطِيئَةَ بِمَوْتِهِ لِفِدَاءِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ وَقَهَرَ الْمَوْتَ بِقِيَامَتِهِ. وَبَعْدَ قِيَامَتِهِ، ظَهَرَ فِي ١٠ مُنَاسَبَاتٍ لِأَتْبَاعِهِ وَتَلَامِيذِهِ مُثَبِّتًا قُوَّةَ قِيَامَتِهِ بِالْبَرَاهِينِ الْحَيَّةِ. آمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ وَوَضَعُوا كَامِلَ ثِقَتِهِمْ بِهِ، وَانْطَلَقُوا يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ إِلَى الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا، تَبْقَى الْحَقِيقَةُ أَنَّ ١١ مِنْ ١٢ تَلْمِيذًا اسْتَشْهَدُوا مِنْ أَجْلِ فَادِيهِمْ.

عَزِيزِي، يَدْعُوكَ الرَّبُّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي فَدَاكَ بِدَمِهِ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ بِحَمْلِكَ وَتَضَعَهُ عِنْدَ قَدَمِي الصَّلِيبِ، لِتَجِدَ الرَّاحَةَ وَالسَّلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ. شُكْرًا لَكَ يَا رَبِّي مِنْ أَجْلِ فِدَائِكَ الْعَجِيبِ، جَدِّدْ حَيَاتِي لِتَكُونَ مَكْرَسَةً لَكَ طَيِّلَةً أَيَّامَ حَيَاتِي إِلَى أَنْ أَرَكَ عَنْ قَرِيبٍ.

ثَمَنُ الْفِدَاءِ

"الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ." (أَفْسُس ١: ٧)

يُشِيرُ الرُّسُولُ بُولُسُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى الثَّمَنِ الَّذِي دَفَعَهُ يَسُوعُ لِفِدَائِنَا مِنْ خِلَالِ دَمِهِ وَمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. دَمَهُ كَانَ ثَمَنًا كَافِيًا لِدَفْعِ قِصَاصِ خَطَايَا جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ. دَفَعَهُ لِيُخَلِّصَنَا مِنْ عُقُوبَةِ وَقُورَةِ خَطَايَانَا. لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْحُرِّيَّةُ فِي الْمَسِيحِ "مَجَانِيَّةً"، حَيْثُ كَلَّفَتْ فَادِنَا أَعْلَى ثَمَنٍ - مَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. نَتِيجَةُ فِدَاءِ الْمَسِيحِ، تَعْنِي لِلْمُؤْمِنِ، حَقَّ الْبُنُوَّةِ بِنِعْمَتِهِ لِيَصِيرَ ابْنًا وَابْنَةً لِلَّهِ، حَيْثُ وَفَّرَ لَهُ اللَّهُ طَرِيقَ مَجَانِيٍّ لِمَعْرِفَتِهِ بِالْإِيمَانِ.

يَتَكَلَّمُ الرُّسُولُ بُطْرُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى ١: ١٨ وَ ١٩ عَنْ ثَمَنِ الْفِدَاءِ الَّذِي قَدَّمَهُ مَسِيحُنَا الْفَادِي فَيَقُولُ: "عَالَمِينَ أَنْكُمْ افْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءٍ تَغْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلَدْتُمُوهَا مِنَ الْآبَاءِ، بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ". هَذَا الدَّمُ كَرِيمٌ وَثَمِينٌ وَذَاتُ قِيَمَةٍ لَا تُقَدَّرُ. وَيَصِفُ بُطْرُسُ هَذَا الْحَمَلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَلِيمًا وَبِلَا عَيْبٍ، وَيَنْطَبِقُ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى خُرُوفِ الْفِصْحِ أَيْضًا، لِذَا حَلَّ الْمَرْمُوزُ إِلَيْهِ مَحَلَّ الرَّمْزِ، وَكَانَ يَسُوعُ حَمَلًا كَامِلًا بِلَا خَطِيئَةٍ وَمَاتَ كَحَمَلٍ الْفِصْحِ لِيَفْتَدِيَ نَفُوسَنَا.

صَحِيحٌ أَنْ جَمِيعُنَا خُطَاةٌ وَأَعُوزْنَا مَجْدَ اللَّهِ، لَكِنَّ نِعْمَةَ الْمَسِيحِ أَنْزَلَتْ لَنَا طَرِيقَ الْخِلَاصِ كَيْ نَعْمَلَ كَمُؤْمِنِينَ وَمُؤْمِنَاتٍ أَعْمَالُ اللَّهِ الَّتِي أَعَدَّهَا كَيْ نَسْلُكَ فِيهَا. نَتِيجَةُ سُقُوطِنَا بِالْخَطِيئَةِ، صَرْنَا عِبِيدًا لَهَا وَابْتَعَدْنَا عَنْ خَالِقِنَا وَصَارَ مَصِيرُنَا الْمَوْتَ. شُكْرًا لَكَ يَسُوعِي الْحَبِيبِ، لِأَنَّكَ فَدَيْتَنِي بِدَمِكَ الَّذِي سَفَكْتَهُ لِيَكُونَ ثَمَنٌ اسْتِرْدَادِي. أَنْتَ وَحْدَكَ الْقَادِرُ عَلَى دَفْعِ فَاتُورَةِ خَطَايَايَ وَمَوْتِي - لِأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُوسٌ بِلَا خَطِيئَةٍ، وَإِلَهُ صَالِحٌ وَمُحِبٌّ.

بِمَحَبَّتِهِ افْتَدَانَا، وَاشْتَرَانَا بِدَمِهِ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ الْأَوْحَدَ لِيَمُوتَ عَلَى الصَّلِيبِ كَيْ يَصِيرَ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، هَذَا الدَّمُ الثَّمِينُ نَلْنَا بِهِ الْغُفْرَانَ الَّذِي هُوَ هِبَةٌ حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، وَلُطْفِهِ وَعَظِيمِ قِدَاسَتِهِ. لَقَدْ تَطَوَّعَ يَسُوعُ لِيَكُونَ فَادِينَا مُنْذُ الْأَزَلِّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ، وَجَاءَ فِي مَلَأِ الزَّمَانِ لِيُولَدَ تَحْتَ الْنَامُوسِ وَيَصِيرَ وَاحِدًا مِنَّا وَاسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ فَادِينَا لِأَنَّهُ إِلَهُ كَامِلٌ وَإِنْسَانٌ كَامِلٌ. وَسَارَ فِي طَرِيقِ الطَّاعَةِ وَالْأَلَمِ وَالْمَوْتِ. هَكَذَا وَضَعَ الْمَسِيحُ حَيَاتِهِ لِيَكُونَ مَصْدَرُ خِلَاصٍ وَفِدِيَةٍ لِكَثِيرِينَ. يَا لَهَا مِنْ مَحَبَّةٍ وَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ تَضَحِيَّةٍ.

أَعْطَى اللَّهُ تَعْلِيمَاتٍ مُحَدَّدَةً لَشُعْبِهِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِأَنْ يَضَعَ الْخَاطِئُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْخُرُوفِ وَيَعْتَرِفُ بِخَطَايَاهُ فَتَنْتَقِلَ خَطَايَاهُ مِنَ الْمُذْنِبِ إِلَى الْبَرِيِّ، الَّذِي يُقَدِّمُ ذَبِيحَةَ لِيَمُوتَ عَنِ الْخَاطِئِ، حَيْثُ أَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ. كَانَ ذَلِكَ الدَّمُ يُشِيرُ إِلَى حَمَلِ اللَّهِ يَسُوعَ الَّذِي حَمَلَ خَطَايَا الْعَالَمِ. يُوضِّحُ الرُّسُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ٨: ٣ وَ ٤ كَيْفَ أَنَّ الْمَسِيحَ أَعْتَقَنِي مِنَ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ فَيَقُولُ "لَأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شَبهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ، وَلَاجُلِّ الْخَطِيئَةِ، دَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ".

دَمَّرَ الْمَسِيحُ سُلْطَانَ الْخَطِيئَةِ عَلَيْنَا، عِنْدَمَا افْتَدَانَا بِدَمِهِ. وَبِذَبِيحَتِهِ الْكَفَّارِيَّةِ، أَعْطَى لِكُلِّ شَخْصٍ فُرْصَةً قُبُولِ هِبَةِ الْكَفَّارَةِ وَنَوَالِ غُفْرَانِ اللَّهِ لَنَا نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ، بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. وَإِذْ نُدْرِكُ عَظِيمَ التَّضَحِيَّةِ الَّتِي قَامَ بِهَا يَسُوعُ لِفِدَائِنَا، نَصِلُ إِلَى حَقِيقَتَيْنِ

١- قِيَمَ اللَّهُ فَدَائِنَا بِأَعْلَى قِيَمَةٍ، مُدْرِكًا مَا سَيُقَاسِيهِ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا لِيُخَلِّصَنَا. ٢- نَظَرَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةُ لِفِدَائِنَا. خَلَقْنَا اللَّهُ مُدْرِكًا بِأَنَّا سَنُخْطَأُ، كَمَا خَلَقْنَا وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهُ سَيَفْتَدِينَا، عَنْ طَرِيقِ تَجَسُّدِهِ وَسُفْكِ دَمِهِ. وَإِنْ دَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ مَحَبَّتِهِ لَنَا. أَشْكُرُ رَبِّي يَسُوعَ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَفَكْتَ دَمَكَ لَتَفْتَدِينِي، وَغَفَرْتَ خَطَايَايَ الْكَثِيرَةَ. كُنْتُ فِي فِكْرِكَ عِنْدَمَا اخْتَرْتُ طَوْعًا أَنْ تُخَلِّصَ نَفْسِي، أَعْطَنِي الشَّجَاعَةَ وَالْإِيمَانَ لِأَعِيشَ لِمَجْدِكَ يَا رَبِّي الْبَارِ إِلَى أَنْ تَأْتِيَ سَرِيعًا عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ.

فِدَائِي الْعَجِيب

"لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله."

(١ كورنثوس ٦: ٢٠)

يُعالِجُ الرسول بولس في هذا الأصحاح موضوع الزنى بين مؤمني كورنثوس حيث يدعوهم إلى الهرب من الزنى، الذي يقودهم إلى أن يخطئوا لأجسادهم. بعدها، يصل إلى النتيجة وهي أن أجسادهم هي هيكل للروح القدس الذي فيهم، وأنهم ليسوا مُلكَ أنفسهم.

هم اشتروا بثمن عظيم ألا وهو دم المسيح، الذي حررهم من ناموس الخطيئة والموت، ويذكرهم أن ليس كل الأشياء توافق لأن أجسادهم هي للرب. فإذا كنّا بالحققة للمسيح، فلسنا بالحققة مُلكَ أنفسنا، فحياتنا، وأجسادنا هي مُلك لله. تبقى الحقيقة أن الله خلقنا من تراب الأرض على صورته، وأيضاً فدانا. اشترانا بدمه الكريم لأنه أحبنا، لذا يوصينا بولس أن نُقدّم له المجد بأجسادنا أيضاً. وكل الذين يتقون بالمسيح لخلصهم، هم مُلكه، لأنه خالقهم وقد اشتراهم بدم الحمل. نحن الذين افتدانا المسيح بدمه وأحضرنا من الظلمة إلى نوره العجيب، يُطلب منا أن نعيش بحسب مقاييس الله، ونُمدّ الله في أجسادنا وأرواحنا التي هي لله. ويصبح القصد من أجسادنا لا أن نستعملها كأعضاء زنى حتى بأفكارنا، بل أن نخدم الله ونعيش لمجده.

رأى الله في محبته حالنا في الخطيئة، فقرّر أن يرسل ابنه ليدفع ثمن عصياننا ويُنقذنا من عبودية إبليس. يؤكد الرسول بولس هذه الحقيقة في أعمال ٢٠: ٢٨ "احتزّروا إذا لأنفسكم وجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي افتناها بدمه". وإذ سنّ الرب يسوع فريضة العشاء الرباني وبارك الكأس، قال لتلاميذه ولنا "لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى ٢٦: ٢٨).

وفي الترتيمة السماوية في مدح الفادي يسوع، نقرأ ما سمع ورأى الحبيب يوحنا "مستحق أنت أن تأخذ السفّر وتفتح ختمه، لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة". (رؤيا ٥: ٩). بعد أن دفع يسوع ثمن فدائنا، بقينا عبيداً. وبعد أن حررنا مخلصنا المسيح من عبودية الخطيئة، لم نتحرر من التزامنا لفادينا الحبيب، إذ نحن مديونون له بكل شيء لقاء ثمن فدائنا.

فماذا يفعل بنا الله كمديونين له؟ يمتلكنا الله ونصبح كما يصفنا بولس "عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أفسس ١: ١٤). فإذا تحررنا من الخطيئة نصبح عبيداً لبر الله. شكراً لك ربّي لأنّي عبداً لك فأنا بالحققة حرّ، لأن الله يعامل عبيده كأبناء بالتبني ويجعلهم وارثون معه.

في إنجيل متى ١٣: ٤٤ نقرأ عن إنسان وجد كنزاً في حقل، فمن فرجه مضى وباع كل ما عنده، واشترى ذلك الكنز. هكذا، يمثّل الحقل العالم الذي اشتراه يسوع بدمه. إذ وجد مخلصنا المسيح كنز خاصته في العالم أخفاهم وحماهم من نهب الأعداء. يعطينا هذا اليقين ثقة عظيمة لمواجهة معاركنا الروحية، حيث أن المسيح انتصر في أعظم المعارك. وفي كوننا هذا الكنز، وحيث أنه يخبأنا ويحمينا، ويُقدّسنا من خلال حقه وقد صُلّي من أجلنا في يوحنا ١٧، ما الذي نتنظّره أعظم من هذا؟ سننال النصر بمعونته بالرغم من المعارك التي نتصارع معها.

أحبائي، أنتم وأنا اشترينا بثمن عظيم- حياة وموت ودم ابن الله الحبيب. يا له من امتياز ومسؤولية عظيمة؟ نفوسنا وأرواحنا وأجسادنا هي مُلك إلهنا. لسنا عبيداً للخطيئة- إذ دفع ثمن كريم ليستردنا من سوق عبودية الخطيئة. ساعدنا فادي العزيز، أن نُكرّمك بأعمالنا وتصرفاتنا وكلماتنا وأجسادنا. ستعود عن قريب، ومعك الأجرة لتكافأ كل واحد منا حسب قبولنا وتقديرنا للدم الذي سفكته كي نعيش أبداً في تمجيد اسمك القدوس، مع جميع المؤمنين بك مدى أجيال الأبدية السعيدة. آمين.

الكتاب المقدس والتبرير

"لأن فيه مُعلنٌ برُّ الله بإيمانٍ، لإيمانٍ، كما هو مكتوب: "أما البارُّ فبالإيمان يحيا".

(رومية ١: ١٧)

يستهلُّ الرسول بولس رسالته إلى أهل رومية بإرسال تحياته لهم وفخره بإيمانهم، ورغبته في زيارتهم رغم الموانع. ثمَّ يصل إلى الفكرة الرئيسية من رسالته بدءاً بالآية ١٦ "لأنِّي لَسْتُ أَسْتَحْيِ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لَأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ". سيواصل بولس بكلِّ شجاعة كرازته بالإنجيل لجميع الناس، بغض النظر عن انتماءاتهم القومية. إنَّ نعمة الله ومحَبَّته مُتاحَةٌ لخلاص كلِّ مَنْ يُؤْمِن. وهذا أهمُّ مطلبٍ للخلاص لمن يعترف بيسوع ربًّا ومُخلصاً لحياته. وفي الآية ١٧ يذكر سبب كرازته بالإنجيل إذ يُعلنُ الله فيه برّه. حيثُ أن البار يحيا بإيمانه بالمسيح.

يُصف بولس تأثير الإنجيل على حياتنا حيث يؤكد أن برَّ الله قد أُعطي للناس بإيمانهم بالمسيح، ويُعلنهم أبراراً في عينيه، من البداية إلى النهاية، بسبب إيمانهم. ويوضح بولس إلى مؤمني رومية، أن التبرير أمام الله والتصالُّح معه، لا يعتمدان على الأعمال الصالحة أو الطاعة الشكليَّة. لكن بحسب الإنجيل، مات المسيح على الصليب ليدفع قصاص الخطيَّة والانفصال عن الله نتيجة خطايانا. لذا، عندما نثق بيسوع، يرانا الله من خلال المسيح ويُعلننا أبراراً.

كان همُّ بولس الأوَّل أن يُحقِّق مشيئة الله لحياته، وهي كرازة إنجيل الخلاص للجميع. فبدون أخبار الإنجيل السارَّة، وبدون قُوَّة هذا الإنجيل، لن يكون هناك خلاص، أو حُرِّيَّة من الخطيَّة، ولا فداء ولا حياة. كانت قُوَّة الإنجيل فحوى رسالته إلى أهل رومية وطُموح حياته.

ركَّز بولس على نفس الفكرة في رسالته إلى مؤمني فيلبِّي ٣: ٩و٨ "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَي أَرْبِحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجِدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بَرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيْمَانِ الْمَسِيحِ، الْبَرِّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِالْإِيْمَانِ".

يُعتَبَر إبراهيم "خليل الله وأبو المؤمنين" أحد أبطال العهد القديم كَمَثالٍ للتبرير بالإيمان. نلتقي مع إبراهيم عندما دعاه الله في تكوين ١٢ وكان عُمره ٧٥ سنة ليترك حاران ويذهب إلى الأرض التي سيريه إياها الله. استعمل كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٨ مثال إبراهيم في الطاعة لله حيثُ نقرأ "بالإيمان إبراهيم لما دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيراثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي". ترك ارتباطه وميراثه العائلي وما عبده بني قومه من آلهة لا سيَّما إله القمر "سين"، وتمسك بعبادة الله الخالق وأطاعه.

بعد أن أخبره الله بولادة ابنه إسحق الوارث للوعد نقرأ عن موقف إبراهيم من هذا الوعد "فَأَمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسَبَهُ لَهُ بَرًّا". (تكوين ١٥: ٦). في تكوين ٢٢ امتحَن الله إيمان إبراهيم عندما طَلَبَ منه أن يأخذ ابنه وحيدَه الذي يُحِبُّه إلى أحد الجبال في أرض المِريَّا، ويضعه هناك مُحرقاً للرَّب.

تبقى الحقيقة أن إبراهيم انتظر ميلاد إسحق ٢٥ سنة. كان إيمان إبراهيم بالله أعظم من محَبَّته لابنه، وآمن أن الله قادرٌ أن يُقيمه من الأموات حتَّى لو قدَّمه ذبيحة. كان لإبراهيم أيضاً ضعفات ظهر من خلالها قِلَّةُ إيمانه، لكنَّ نعمة الله رفعتَه ومنحته البركة.

تُظهِرُ لنا حياة إبراهيم بركات الطاعة الواثقة بالله، وعندما تصلنا دعوة الله ونقرأ تعليماته في كلمته المقدَّسة، علينا أن نشق بوعده ونعمل بموجبه. كان إبراهيم يمتَّع بعلاقة قوية مع صديقه الله. ولا عجب أن بولس خَصَّصَ أصحاب ٩ من رومية وجزء من غلاطية لشرح حياة التبرير بالإيمان لإبراهيم. قوي يا ربَّ إيماني وأعطني روح الطاعة لما تطلبُه مِنِّي، كي أتبرر فيك وتكون سيِّد حياتي على الدوام. لك الحمد والمجد، الكرامة والبركة إلى أبد الأبد.

المسيح بُرَّنَا

"وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً."

(١ كورنثوس ١: ٣٠)

عندما ينظرُ الله إلى الَّذِينَ قَبَلُوهُ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا لِحَيَاتِهِمْ، فَهُوَ يَرَى كَمَالَ الْمَسِيحِ- حِكْمَةً وَبِرًّا الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُمْ وَاحِدًا فِيهِ. لَا يَرَى شَيْئًا مِنْ حَيَاتِهِمْ السَّابِقَةِ، حَيْثُ يَرَاهُمْ فِي الْمَسِيحِ- وَقَدْ قَبِلَهُمُ اللَّهُ فِي الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ. يَقْبَلُنَا بِشَرْطٍ وَاحِدٍ أَنْ نَكُونَ بِالْمَسِيحِ. لَا يَهْمُ الْخَالِقُ مَا نَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ حِكْمَةٍ بَشَرِيَّةٍ، لِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ حَكَمَتُنَا، حَيْثُ يَحُلُّ فِيهِ كُلُّ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ. نَحْنُ بِطَبِيعَتِنَا الْخَاطِئَةُ لَيْسَ فِيْنَا أَيْ بَرٍّ، لَكِنْ يَسُوعُ صَارَ بُرَّنَا، لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً خَطِيئَةً، لِنَصِيرَ فِيهِ بَرُّ اللَّهِ، وَنَتَبَرَّرَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِالْمَسِيحِ.

يَطْلُبُ اللَّهُ مِنَّا أَنْ نَرْفَعَهُ عَالِيًا أَمَامَ الْعَالَمِ، وَنَعِيشَ لَتَمْجِيدِ اسْمِهِ، وَنَرَى فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَجْدَ النَّامُوسِ. لَيْسَمَحْ رُسُلُ الْمَسِيحِ أَنْ يُشْرِقَ عَلَيْهِمْ اشْعَاعُ شَمْسِ الْبَرِّ، وَنَعَكْسَ عَلَى عُقُولِ الْخُطَاةِ، كَيْ يَكُونَ لِسَانُ حَالِهِمْ مَا قَالَهُ صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ فِي مَزْمُورِ ١١٩: ١٨ "اَكشِفْ عَنْ عَيْنِي فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ".

طَلَبَ مُوسَى أَنْ يَرَى مَجْدَ اللَّهِ، فَأَكَّدَ لَهُ الرَّبُّ "لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ". لَكِنَّ الرَّبَّ نَزَلَ فِي السَّحَابِ وَاجْتَاَزَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ وَنَادَى "الرَّبُّ إِلَهُ رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج ٣٤: ٦ و٧). ظَهَرَتْ صِفَاتُ اللَّهِ كَمَجْدِهِ بِالنِّسْبَةِ لِمُوسَى، نَرَى مَجْدَ الْمَسِيحِ بِالنَّظَرِ إِلَى صِفَاتِهِ.

جَاءَ نَامُوسِي إِلَى يَسُوعَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَاضِعًا مَفْهُومَ وَصَايَا اللَّهِ الْحَقِيقِيَّ بِحُبِّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ وَالْفَكْرِ، وَمَحَبَّةِ الْقَرِيبِ كَالنَفْسِ. هَذَا هُوَ الْمَفْهُومُ الصَّحِيحُ لِلْبَرِّ. الْبَرُّ لَيْسَ قَتْلُ أَوْ سَرَقَةٌ، بَلْ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَقَرِيبُنَا، هُوَ أَعْمَالُ بِدَافِعِ الْإِثَارِ. نَقْرَأُ الْأَفْكَارَ التَّالِيَةَ مِنْ كِتَابِ (رُوحِ النُّبُوَّةِ، الْمُعَلِّمُ الْأَعْظَمُ، صَفْحَةُ ٤٤٨).

"الْبَرُّ هُوَ الْقَدَاسَةُ وَالتَّشَبُّهُ بِاللَّهِ، "اللَّهُ مَحَبَّةٌ" (١ يوحنا ٤: ١٦). إِنَّهُ الْإِمْتِثَالُ لَشَرِيعَةِ اللَّهِ لِأَنَّ "كُلَّ وَصَايَاكَ عَدْلٌ" (مزمور ١١٩: ١٧٢) وَ "الْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ" (رومية ١٢: ١٠). فَالْبَرُّ هُوَ الْمَحَبَّةُ، وَالْمَحَبَّةُ هِيَ نُورُ اللَّهِ وَحَيَاتِهِ. وَبِرَّ اللَّهِ مُجَسِّمٌ فِي الْمَسِيحِ، وَنَحْنُ نَقْبَلُ الْبَرَّ بِقَبُولِهِ هُوَ".

وَكُونِ الْبَرِّ مَحَبَّةً، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْبَرَّ يَكُونُ لَخَيْرِكَ وَجَلْبُ الْبَرَكَةِ لَكَ كُلِّ يَوْمٍ، وَلَيْسَ إِذَا نَكَّ بَأْيَةٍ طَرِيقَةً. وَفِي عِظَمِهِ عَلَى الْجَبَلِ نَادَى يَسُوعَ بِالسَّعَادَةِ لِمُحِبِّي الْبَرِّ فَقَالَ: "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطَاشِ إِلَى الْبَرِّ. لِأَنَّهُمْ يُشْبِعُونَ" (مَتَّى ٥: ٧). تَقُولُ الْأَخْتُ هَوَايَتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي وَصْفِ هَذِهِ التَّطَوُّبَةِ "إِنْ كُنْتُ تُحْسُّ فِي نَفْسِكَ بِالْحَاجَةِ، وَكُنْتُ تَجُوعُ وَتَعَطَّشُ إِلَى الْبَرِّ فَهَذَا بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ قَدْ عَمَلَ فِي قَلْبِكَ حَتَّى يُمَكِّنَكَ أَنْ تَطْلُبَهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، بِوَاسِطَةِ هَبَةِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَسْتَحِيلُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهَا لِنَفْسِكَ. لِأَنَّ النِّعَمَ الْعَظِيمَ قَوْفَنَا لِنَشْرَبَ مِنْ مِيَاهِهِ الْغَزِيرَةِ وَنَرْتَفِعَ صَاعِدِينَ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ" (رُوحِ النُّبُوَّةِ، الْمُعَلِّمُ الْأَعْظَمُ، صَفْحَةُ ٤٤٩ وَ ٤٥٠).

بَعْدَ أَنْ يُؤَكَّدَ بُولُسُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَنَّ "الْجَمِيعَ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ"، يَقُولُ فِي رُومِيَّةِ ٣: ٢٤ "مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ". التَّبَرِيرُ مَجَانِي لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ أَرَادَتْهُ كَذَلِكَ، حَيْثُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ أُخْرَى. وَإِذْ نُدْرِكُ طَبِيعَتَنَا الْخَاطِئَةَ، يَكُونُ حَالُنَا حَالُ إِنْسَانٍ حَصَلَ عَلَى هَدِيَّةٍ ثَمِينَةٍ مِنَ الْقِيَصَرِ فَقَالَ "هَذِهِ هَدِيَّةٌ قِيَمَةٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لِي لِأَحْصُلَ عَلَيْهَا" فَرَدَّ قِيَصَرَ "لَكِنَّهَا لَيْسَتْ هَدِيَّةً عَظِيمَةً لِي لِأَعْطِيهَا لَكَ". هَكَذَا مَحَبَّةُ اللَّهِ قَدَّمَتْ أَعْظَمَ هَدِيَّةٍ مِنَ السَّمَاءِ لَتَهَيِّنَا الْخِلَاصَ.

لَا يَتَخَلَّى اللَّهُ عَنَّا عِنْدَمَا نَخْطِئُ، لَكِنْ إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا، فَهُوَ آمِينَ وَعَادِلٌ كَيْ يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. لَا شَيْءَ غَيْرَ بَرِّ الْمَسِيحِ قَادِرٌ أَنْ يُؤَهِّلَنَا لِنَحْصُلَ عَلَى بَرَكَاتِ عَهْدِ النِّعْمَةِ. فَنَعْمَةُ الْمَسِيحِ هِيَ رَجَائُنَا الْوَحِيدُ لِلْخِلَاصِ. شُكْرًا لَكَ رَبِّي لِأَنَّكَ وَحْدَكَ بَرِّي، سَاعِدُنِي أَنْ أَعِيشَ حَيَاتِكَ، وَأَعَكِسَ صِفَاتِكَ وَأَكْرِسَ حَيَاتِي لِمَجْدِكَ لِأَفْرَحَ بِلُقْيَاكَ عَنْ قَرِيبٍ رَبِّي الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ. آمِينَ.

القُداسة في المسيح

"إِلَى كَنِيسَةِ اللَّهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُودِينَ قَدِيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ." (١ كورنثوس ١: ٢)

كانت كورنثوس مدينة كبيرة واقعة على طريق تجاري هام، وقد أسس بولس فيها كنيسة عندما قضى سنة ونصف يخدم الرعية هناك حيث كان يعرفهم جيداً. لذا، خاطبهم بالمقدسين بالمسيح يسوع، وكلمة "قدسين" لها مدلولات خاصة. فكل شخص مسيحي، يعتبره الله كخاصته، ويفرزه عن كافة الناس لمقاصده الخاصة.

لا يرحوا المسيحيون أن يكونوا قدسين بتصرفاتهم الجيدة، لكنهم بنعمة الله والإيمان بالمسيح قد صاروا قدسين. كانت هناك مشاكل روحية نتيجة بعض التعاليم الغريبة، لكن ذلك لم يمنع بولس أن يشملهم ضمن كنيسة الله.

ولا ينطبق هذا على أعضاء كنيسة كورنثوس فحسب، ولكن على كل المسيحيين الذين تحضرهم محبة المسيح وقد ولدوا من فوق في كنيسة الله، أنتم وأنا، الذين أفرزنا الله لمقاصده الخاصة في هذه الأيام الأخيرة. وإذ نمو في الإيمان بنعمة المسيح، وتأثير الروح القدس، نشعر بتقدسينا بالمسيح لنعيش لمجد خالقنا.

نتوقف لحظة تأمل لنقدم الشكر لفادينا الحبيب لصبره علينا ونعمته العجيبة رغم خطايانا وبُعدنا عنه. لنخضع تحت يد الله القوية، ونطلب منه أن يمتحننا ويعرف قلوبنا وأفكارنا ويخلق فينا طريقاً مستقيماً أبدياً.

يدعو الله كل مؤمن مسيحي لأن يحيا حياة القداسة. وليس من استثناء في هذه الدعوة، أي أنها لا تقتصر فقط على الرعاة أو المرسلين أو معلمي الكتاب المقدس المكرسين، بل كل مؤمن حقيقي بالمسيح، مدعو لكي يكون قدسياً، كما أهاب الله بشعبه حين قال "إني أنا الرب الهكم فتتقدسون وتكونون قدسين، لأنني أنا قدوس". (لاويين ١١: ٤٤). وقد اقتبس الرسول بطرس هذه الآية في رسالته الأولى ١: ١٥ و ١٦ "بل نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قدسين في كل سيرة. لأنه مكتوب: "كونوا قدسين لأنني أنا قدوس".

هذه الدعوة إلى القداسة مؤسسة على حقيقة كون الله نفسه قدوساً. فلأنه قدوس، فهو يطلب منا القداسة. كثيرون من المؤمنين المسيحيين في أيامنا الحاضرة يحاولون التكيف وتقليد أخلاق المؤمنين ونموذج سلوكهم، لكن الله لم يدعنا للتشبه بمن هم حولنا، بل دعانا ل نكون مثله هو، فالقداسة ليست أقل من التكيف التام مع طبيعة الله الأدبية. تصف القداسة في الكتاب المقدس جلال الله وطهارة طبيعته وكمالها الأدبي.

فالقداسة هي إحدى سجايا الله، أي أنها صفة جوهرية من صفات كينونته. وقداسة الله واجبة الوجود شأنها شأن وجوده في كل مكان وحكمته وعلمه بكل شيء، فهو، له المجد، يعرف ما هو حق، ويعمل بما هو حق. القداسة هي مسألة مكانة وتقدم، فنحن مقدسين، لأن الرب يسوع المسيح قد خلصنا، وتستمر قداستنا في العمل لتغييرنا على شبه فادينا، لذا، فالقداسة هي مسؤولية كل مؤمن ومؤمنة في المسيح. وعندما نختار القداسة في حياتنا، يطرأ علينا تغيير إيجابي يتمثل في تسليم إرادتنا وأجسادنا لقيادة الروح القدس.

يتطلب هذا وقتاً طويلاً مثل طفل ينمو تدريجياً إلى الصبا والشباب والنضوج الجسماني. نرى إذاً أن القداسة عملاً يدوم مدى الحياة، ويكتمل عند رجوع المسيح ثانية، هذا رجاءنا المبارك في أن نرى عريسنا السماوي آتياً لخلصنا. أضْم صوتي لبولس الرسول في صلاته لمؤمني تسالونيكي ولنا أن يرى القداسة تغلغل في حياتهم وحياتنا فصلّى "وإله السلام نفسه يُقدّسكم بالتّمام. وتُحفظ رُوحكم ونفُسكم وجسَدكم كاملاً بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١ تسالونيكي ٥: ٢٣).

يتمنى بولس لهم ولنا النضوج الروحي التام والقداسة التامة بنعمة المسيح ونحن نسلم حياتنا لعمل الروح القدس الدائم. وإله السلام نفسه يُقدّسكم بالتّمام روحاً ونفساً وجسداً إلى يوم مجيئه القريب. لنحقق إرادة الله الدائمة في حياتنا أن نكون قدسين لمجد فادينا الحبيب، له الكرامة والسُّجود.

قَدَاسَةُ الْمُؤْمِنِ

"كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ."
(أَفْسُس ١: ٤)

يُعلن الله ذاته للمؤمنين من خلال الكتاب المقدس، وأيضاً من خلال ابنه (يسوع المسيح). وكلما تعرّفنا أكثر على الله، كلما فهمنا صفاته الإلهية. ونظراً لمحدودية فكرنا، نجد صعوبة كبشّر في إدراك قوّة وعظمة الله الذي خلق الوقت والفضاء والمادة وكلّ الحياة. ومن أهم صفات الله هي قداسته. يصف اشعيا ٦: ٣ ورؤيا ٤: ٨ قداسة الله المثلثة: "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي". يُوجد رجاء حقيقي لتوبة الإنسان فقط، عندما يرى لمحة من قداسة الله مقارنة بخطيّة الإنسان.

عندها ندرك عواقب الخطيّة الرهيبة ونعلم أنّ ابن الله الذي بلا خطيّة حملَ عنا العقاب، يأتي ذلك بنا لنسجد أمامه خاشعين، ونصمّت أمام وجه قداسة الله

رأى اشعيا رؤيا حيث الربّ جالس على عرشه والسرّافيم تهتف قائلة: "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مَلَأَ كُلَّ الْأَرْضِ" (اشعيا ٦: ٣). وكانت هذه الرؤيا رهيبة حتى أن اشعيا صرخ: "وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسٌ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسٍ الشَّفَتَيْنِ لِأَنِّي عَيْنِي قَدْ رَأَيْتُ الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ" (اشعيا ٦: ٥).

أدرك اشعيا أنّه إنسان خاطئ يقف في محضر الله القدوس، وكان ردُّ فعله هو التوبة. وقد جعلت رؤيا عرش الله في السماء يوحنا يشعر بخوف رهيب. فسقط يوحنا كالصخرة عند قدمي الربّ الممجّد (رؤيا ١: ١٧-١٨). ومثل اشعيا ويوحنا، نتضع نحن في محضر عظمة الله وقداسته.

في رومية ٨: ١-١١ يشير بولس إلى قداسة المؤمن في اتحاده بالمسيح، وقد نال التبرير وحسبه الربّ باراً. ثمّ يصف كيف أنّ القداسة تعمل بشكل تدريجي في حياة المؤمن في سيره حسب الروح. وتتطلب القداسة تعاون المؤمن إذ يمتلئ بالروح. يتبرّر المؤمنون إذ يقبلوا المسيح مُخلصاً لهم، ويكون هدفهم أن يصيروا مثل فاديهم المسيح، ويعمل الروح القدس في حياتهم ليحرّرهم من قوّة الخطيّة والموت.

هنا تأتي نصيحة الرسول بولس في رومية ١٢: ٢ "وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَحْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ".

نحتاج أن ندرك أنّ القداسة هي عمَلُ الله في فِرْزِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ بِالْمَسِيحِ وَعَمَلِهِ الْخَلَاصِيَّ عَلَى الصَّلِيبِ. وفي تطبيق هذه الثقة في حياتنا، ننمو في التشبّه بالمسيح بمعوّنة الروح القدس والعيش بموجب مبادئ كلمة الله. قد يبدو هذا سهلاً، لكنّه يتطلب صراعاً قوياً مع الذات وتجارب إبليس، لذا نحتاج أن ندرك مفهوم القداسة في ضوء اتحادنا بالمسيح بالإيمان وقوّة روحه القدوس، نرى الكثير من الفرص لننمو في القداسة.

من هنا، يختلف اختبار القداسة من واحد لآخر ونحن نسعى لنكون مثل مُخلصنا. تبقى الحقيقة، أنّ القداسة تنمو ضمن شراكتنا مع اخوتنا في الإيمان، وفي تشجيعهم ليبقوا أمناء في انتماءهم للمسيح.

يبدأ بولس رسالته إلى مؤمني أفسس بتقديم البركة لله الذي باركنا بكلّ بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع، الذي اختارنا قبل تأسيس العالم، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ. كم يشاق يسوع أن يرى جميع الذين فداهم بدمه على الصليب معه في أمجاده السماوية. لكن، يبقى الخيار لنا بأن نقبل هبة خلاصه أم نرفضها. يعلم الله بحكمته الذين سيكونون معه، والذين يفضلون طريق التمتع الوقتي بالخطيّة. هو يعرف النهاية قبل البداية.

فهل سنكرّس أنفسنا له من جديد الآن لنحقق إرادته أن نكون قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ. ليبارك الربّ القدوس قرارك عزيزي، لتكون له روحاً وجسداً وفكراً، وتعيش أميناً في انتظار عودته عن قريب لتسمع منه كلمات الترحيب "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم".

التمجيد في الكتاب المقدس

"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا."

(يوحنا ١: ١٤)

في بداية إنجيل يوحنا يُركّز الحبيب على بَشَرِيَّةِ المسيح بوصف تجسّد الكلمة حيث أنه نَصَبَ خيمته بيننا وصار واحداً مِنَّا -الله معنا- "عمانوئيل" -فهو إنسان كامل، قادر أن يرثي لضعفاتها، ومُجَرَّبٌ في كُلِّ شيءٍ مثلنا بلا خطيئة، وفي ذات الوقت إله كامل أيضاً، بشهادة الله الآب ٣ مرّات بأنه ابنه الأوحد، وشهادة يسوع نفسه إذ قال "أنا والآب واحد". بالإضافة إلى صفاته الكاملة وعجائبه وتعاليمه التي عكست مجده كما ظهر على جبل التجلي، حيث كان يوحنا واحداً من الثلاثة الذين عاينوا مجده هناك. ولن ننسى مجده في صلبه وموته وخصوصاً قيامته المجيدة، ومجيئه الثاني بمجد الآب ومجده ومجد الملائكة. أظهر يسوع بتجسّده "ثقل" مجد الله وملء النعمة والحق. والمجد الذي انعكس بيسوع -الكلمة المتجسّدة -صاحبه خدمة الروح، الباقية والدائمة. عندما نزل موسى من حَضْرَةِ الله، كان وجهه يشعُّ بضياء مجد الخالق فغطّى وجهه أمام الشعب، وكان ذاك المجد وقتياً، أمّا نحن فلا حاجة لنا لغطاء الذي نزعهُ المسيح، وأتاح لنا أن نعكس مجده ونتشبه بصفاته النبيلة. جيّد أن ندرك ما تقوله الأسفار المقدّسة عن طبيعة مجد الله، ونصيّبنا منه عند مجيء مُخلّصنا. يُشير مجد الله إلى النور الذي لا يُدنى منه، وكذلك مجده في الأعالي، وقداسته.

أدرك الرسول بولس عظمة الله فكتب في ١ تيموثاوس ٦: ١٥ و ١٦ "الذي سَيَبِيئُهُ في أوقاته المُبارك العزيرُ الوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكِرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ. آمين."

طَلَبَ يسوع من أبيه السَّمَاوِيِّ في صلاته الشفاعة كرهيس كهنتنا أن يُقدّس المؤمنين فيه في يوحنا ١٧: ٢٤، ٢٥ "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ كَلَامِكَ هُوَ حَقٌّ" وطلّب لهم المجد فقال "أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ".

يقول سفر إشعياء ٤٣: ٧ أن الله خلقنا لمجده. وفي سياق آيات أخرى، يمكننا القول إن الإنسان يمجّد الله لأنّه من خلال الإنسان يُمكن أن يرى مجد الله في أمور مثل المحبة، والموسيقى، وتسيحه بترانيم - الأمور التي هي من الله والتي نحملها في "أواني خزفية". (كورنثوس الثانية ٤: ٧). نحن الآتية التي "تحمل" مجده. فكل الأشياء التي نستطيع أن نعملها ونحققها مصدرها منه هو. يتعامل الله مع الطبيعة بنفس الطريقة. الطبيعة تظهر مجد الله.

يرى الإنسان مجد الله من خلال العالم المادي بطرق عديدة، وأحياناً بطرق مختلفة لأناس مختلفين. فقد يبتهج شخص بمنظر الجبال، وآخر يُعْزِمُ بجمال البحر. ولكن ما هو وراء كليهما (أي مجد الله) يتحدث إلى كلا الشخصين ويوصلهما إلى الله. بهذه الطريقة يتمكن الله من إعلان ذاته لكل البشر بغض النظر عن الجنس أو الأصل أو المكان. كما يقول مزمو ١٩: ١-٤ "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ وَالْقَلْبُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلَاماً وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْماً. لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. لَا يَسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ".

"ما نحتاج جميعنا أن ندركه هو أن مجد الله ثابت ومستمر، وسوف نراه خلال رحلة حياتنا يظهر هنا وهناك، من خلال هذا الشخص أو تلك الغابة، في قصة حب أو ملحمة بطولة، من خلال الواقع أو الخيال، أو من خلال حياتنا الشخصية. ولكن في النهاية يرجع المجد كله لله. والطريق الوحيد لله هو من خلال ابنه يسوع المسيح. سوف نجد مصدر الجمال فيه هو في السماء إذا كنا نحن في المسيح. لن يفقد منا شيء. كل الأشياء التي اضمحلت في الحياة سوف نجد لها فيها مرة أخرى. لك التسبيح يا ربَّ المجد إلى أبد الأبد. آمين.

٢ التمجيد عند عودة المسيح

"وَنَحْنُ جَمِيعًا نَظِيرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ." (٢ كورنثوس ٣: ١٨)

يُصِفُ الرَسُولُ بُولُسُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ اخْتِبَارَ النَّبِيِّ مُوسَى فِي خُرُوجِ ٣٤، عِنْدَمَا كَانَ مَعَ اللَّهِ فِي الْجَبَلِ، وَلَمَّا نَزَلَ، كَانَ وَجْهُهُ يَشْعُ بِمَجْدِ اللَّهِ، فَاضْطُرَّ إِلَى تَغْطِيَةِ وَجْهِهِ لِيَحْمِيَ شَعْبَهُ مِنْ شُعَاعِ حُضُورِ اللَّهِ مَعَهُمْ، حَيْثُ أَنَّ الْخَطِيئَةَ قَسَتْ عُقُولَهُمْ، فَلَمْ يَحْتَمِلُوا مَجْدَ اللَّهِ.

يَنْزِعُ اللَّهُ ذَاكَ "الْحِجَابَ" بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَعْبِهِ إِذْ يُقْبَلُوا إِلَيْهِ بِإِيمَانِهِمْ بِالْمَسِيحِ الَّذِي غَفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ. عِنْدَئِذٍ، يَنْزِعُ الرُّوحُ الْقُدُسُ حِجَابَ قَسَاوَةِ الْقَلْبِ، وَيَسْمَحُ لِلَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ أَنْ يَرَوْا مَجْدَ اللَّهِ الظَّاهِرَ فِي يَسُوعَ الْحَبِيبِ، وَيَخْتَبِرُوا التَّجْدِيدَ الرُّوحِيَّ إِذْ يَعْكِسُوا مَجْدَ مَنْ أَحَبَّهُمْ.

يَدْعُونَا بُولُسُ لِنُحْدِقَ دَوْمًا فِي مِرَاةِ حَلَاوَةِ صِفَاتِ الْمَسِيحِ، وَنَرْتَوِيَ بَعْمَقٍ مِنْ آبَارِ نِعْمَتِهِ، كَيْ نَتَغَيَّرَ إِلَى شِبْهِ مَجْدِهِ مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، وَمِنْ نِعْمَةٍ إِلَى نِعْمَةٍ. لَقَدْ بَدَّلَ حَيَاةَ الْخَطِيئَةِ الْقَدِيمَةَ فِينَا، بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْمَسِيحِ لِنَمُو فِي النِّعْمَةِ، وَنَصِلَ إِلَى النُّضُوجِ فِي إِيمَانِنَا. وَيُؤَكِّدُ بُولُسُ أَنَّ هَذَا التَّجْدِيدَ يَتِمُّ بِرُوحِ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، مِمَّا دَعَا بَعْضَ اللَّاهُوتِيِّينَ إِلَى تَسْمِيَةِ هَذَا التَّجْدِيدِ "بِالْقِدَاسَةِ التَّدْرِيجِيَّةِ" أَيْ نُصَبِحُ بِرُوحِهِ مَعَ الْوَقْتِ مِثْلَ خَالِقِنَا، وَنَعَكْسُ صُورَتِهِ.

"إِنْسَانِي الْعَتِيقُ" قَدْ مَاتَ فِي الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ، عِنْدَمَا دَفَعَ الْفَادِي دَمَهُ ثَمَنًا وَقِصَاصًا لِخَطَايَايَ، وَأُعْطِيتُ لِي حَيَاةَ مَوْلُودٍ جَدِيدٍ فِي الْمَسِيحِ، لِأَنْمُو عَلَى شِبْهِ رَبِّي الْحَبِيبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

سَيَتِمُّ التَّجْدِيدُ فِي مَرَحَلَتِهِ النَّهَايَةِ وَالْخَتَامِيَّةِ عِنْدَمَا يَنْزِعُ اللَّهُ الْخَطِيئَةَ مِنْ حَيَاةِ أَحِبَائِهِ، وَيُعْطِيهِمُ الْخُلُودَ عِنْدَ مَجِيئِهِ الثَّانِي، فَيَلْبَسُ الْمَائِتَ عَدَمَ مَوْتٍ، وَالْفَاسِدَ عَدَمَ فُسَادٍ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الْمَجِيدَةِ سَيَكُونُ لَنَا شَرَكَةٌ مُقَدَّسَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ طِيلَةَ أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ. حَتَّى ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَجِيدِ، لَنُتِيقَ أَنْظَارَ الْمَجْدِ نَحْوَ الرَّجَاءِ الْمُبَارَكِ فِي عَوْدَةِ رَبِّ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ. تَأَمَّلْ الرَسُولُ بُولُسُ فِي هَذَا الْحَدَثِ الْمُبَارَكِ فَقَالَ "مُنْتَظَرِينَ الرَّجَاءِ الْمُبَارَكِ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخْلَصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ تيموثاوس ١: ١٣). إِلَى أَنْ يَعُودَ، سَتَكُونُ حَيَاتُنَا تَتَنُّ تَحْتَ أَعْبَاءِ الْخَطِيئَةِ، وَرُؤْيَانَا الرُّوحِيَّةِ مُشَوَّشَةً، وَيَنْطَبِقُ عَلَيْنَا مَا قَالَهُ بُولُسُ "فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ، فِي لُغْزٍ، لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عَرَفْتُ" (١ كورنثوس ١٣: ١٢). عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْ نُمِيتَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فِينَا، لِنَتَمَكَّنَ مِنَ النُّمُو الرُّوحِيِّ لِمَجْدِهِ.

نَصِلُ إِلَى السُّؤَالِ: "كَيْفَ وَمَتَى سَنَحْصُلُ عَلَى الْمَجْدِ فِي النَّهَايَةِ؟" عِنْدَ الْبُوقِ الْأَخِيرِ، عِنْدَمَا يَعُودُ يَسُوعُ إِلَيْنَا، سَيَحْصُلُ الْمَفْدِيُونَ عَلَى تَغْيِيرٍ جَذْرِيٍّ وَأَسَاسِيٍّ كَمَا يَقُولُ بُولُسُ "هُودَا سَرُّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لَا نَرْفُقُ كُلَّنَا، وَلَكِنَّا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الْأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيَبُوقُ، فَيُقَامُ الْأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ" (١ كورنثوس ١٥: ٥١ و ٥٢).

سَتَكُونُ عِبَادَتُنَا لِلَّهِ فِي السَّمَاءِ جُزْءًا مِنْ اخْتِبَارِنَا لِلْمَجْدِ. يَتَكَلَّمُ سَفَرُ الرُّؤْيَا عَنْ جُمُوعِ الْمُخْلَصِينَ وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. سَنَعِيشُ فِي نُورٍ أَبَدِيٍّ آتٍ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ، الَّذِي سَيَسِدُّ كُلَّ احْتِيَاجَاتِنَا. مِنْ هَذَا، يُمْكِنُنَا الْقَوْلَ، أَنَّ مَجْدَنَا هُنَاكَ، سَيَكُونُ امْتِدَادًا وَانْعِكَاسًا لِمَجْدِ اللَّهِ، كَمَا عَبَّرَ عَنْهُ بُولُسُ "كَيْ يَكُونَ اللَّهُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ" (١ كورنثوس ١٥: ٢٨).

تُشِيرُ كَلِمَةُ التَّجْدِيدِ إِلَى مَرَحَلَةٍ مَا بَعْدَ الْقِيَامَةِ، الَّتِي اخْتَبَرَهَا يَسُوعَ حَيْثُ قَامَ بِجَسَدٍ مُمَجَّدٍ، وَسَيَخْتَبَرُهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى عِنْدَ مَجِيئِهِ الثَّانِي. لَمْ يَعِشْ يَسُوعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ، بَلْ كَانَ يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ وَقْتٍ لآخر، وَعَرَفُوهُ كَمُخْلَصِهِ الْمَحْبُوبِ، حَدَّثَ هَذَا بَيْنَ قِيَامَتِهِ وَصُعودِهِ لِلسَّمَاءِ. عَزِيزِي، صَعِدَ يَسُوعَ لِلسَّمَاءِ لِيُعَدَّ لَنَا مَنَازِلَ وَوَعَدَ بَأَنَّهُ سَيَاتِي ثَانِيَةً لِنَكُونُ مَعَهُ فِي أَمْجَادِهِ عَنْ قَرِيبٍ، أُمَلِي أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ نَصِيبِنَا جَمِيعًا.

الإيمان عطية الله.

"لأنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ." (أَفَسُس ٢: ٨)

يعود الرسول بولس إلى موضوع النعمة كمصدر للخلاص، ووسيلة الخلاص هي الإيمان. كل هذا يعتمد على عمل نعمة الله في حياتنا بحيث أن الخلاص لن يكون متاحاً بمعزل عن نعمة الله. فمبدأ الخلاص بالنعمة بالإيمان هو في صلب المسيحية، وله ٣ أقسام هامة: الخلاص والنعمة والإيمان.

يُعيد بولس تأكيد الأمر بأن الخلاص لا يرتبط بأي عمل صالح نقوم به، أو له القدرة أن يمحو خطايانا. الخلاص عطية مصدرها الله وحده القادر أن يمنحنا الحياة الأبدية. دورنا أن نذيع بشارة الإنجيل، ونعيشها، نُصلي لأجل خلاص الآخرين، ونُساعد الناس أن ينمو في نعمة الله.

الخلاص هبة النعمة المجانية، وهو مُتاح للجميع، ونستلمه من إله كل النعم. الخلاص عطية لا نستحقها وهو هبة أبدية من إله الكون لبشرية سقطت بالخطية، كما أنه يفيض من غنى نعمته العجيبة الكامنة في يسوع المسيح ابنه الحبيب. حن قلب الأب المحب وهو عالم بأن الجنس البشري ميت بالذنوب والخطايا، فأرسل ابنه الأوحَد ليدفع ثمن خطايا الناس، ويفتدي خليقته الضالة.

إذا، يعتمد خلاصنا على ما قام المسيح من أجلنا، وموته على الصليب ليهبنا عطية الخلاص. هبة الخلاص الأبدية هذه، هي من نصيب الذين يؤمنون في عمل الرب يسوع المسيح، ابن الله الأوحَد الذي أتمه على الصليب. الذين يثقون بالمخلص يسوع من خلال النعمة بالإيمان. إنه عطية الله. لا يرتبط الخلاص بنا بأي شكل، وليس مصدره حفظ الناموس، لكنه هبة نعمة الله الرائعة وما علينا سوى أن نؤمن تماماً كما قال بولس لحافظ سجن فيلبّي "فَقَالَا: "أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخَلَّصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" (أعمال الرُّسُل ١٦: ٣١).

علينا أن نقبل عمل يسوع الخلاصيّ مؤمنين من كل قلوبنا بأن ذلك إنما تم من أجلنا شخصياً. هذه خلاصة تعاليم الكتاب المقدس بشأن الخلاص: إن الله قد قام بكل شيء من أجل خلاصنا، وهو يأمرنا بأن نقبل بشكر وامتنان طريقة الخلاص. لنُصلي إلى الله لكي نحصل على اليقين التام بأن المسيح تجسّد ووُلد وتألّم ومات وقُبر من أجلنا نحن الخطاة. تعني كلمة الخلاص "الإنقاذ، والفداء". ويُخبرنا الكتاب المقدس أنه منذ سقوط آدم وحواء في الخطية، يرث كل واحد تلك الخطيئة، كما قال بولس بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم.

تحكي القصة عن رجل وصل متأخراً جداً إلى اجتماعات كرازية عُقدت في خيمة، كان الواعظ قد أنهى العظات، والعمال يقومون بتفكيك الخيمة، فقرر أن يسأل أحد العمال وكان مسيحياً "ماذا أفعل لكي أخلص؟" فأجابته "لا يمكنك عمل أي شيء. فات الأوان". ارتعب السائل وقال "ماذا تعني بقولك، كيف يمكن، أن فاتني الوقت؟" جاءه الجواب: "العمل قد تم وأنجز، لا تحتاج لشيء، سوى أن تؤمن".

قد تسأل عزيزي، "كيف أشعر بأنني قد نلت الخلاص؟ كمؤمن، يُعطيك الله روحه، الذي يزرع فيك رغبة لتعيش لله، وقدرة على سماع صوته والاستجابة له، ومحبة له والوثوق بكلامه، والشعور بحاجة إلى التوبة. جميع هذه هي اختبارات ودلائل على نيلك الخلاص. السؤال الأهم هو: "هل ترغب في الخلاص؟" قد لا تشعر باستحقاقك للخلاص بسبب ماضيك. ربما ظننت أن أعمالك الصالحة وحفظك للوصايا قد خلصاك.

أو شعرت أنك مخلص لأنك اعتمدت أو صليت دون اختبار تجديد قلبي وولادة من فوق؟ الرب يسوع يدعوك لتثق به، وتؤمن بالفداء العظيم الذي حققه لك بموته على الصليب. صلي معي هه الصلاة: "يسوعي الحبيب، أشعر أنني خاطئ بحاجة إلى غفرانك. قوّي إيماني، وساعدني أن أكرس لك حياتي في طاعة حُبّية يا مخلصي العظيم. لك الحمد والتسبيح مدى أجيال الأبدية. باسم فادي المسيح ولك كل المجد. آمين.

الرَّسُولُ بُولُسُ وَالْإِيمَانُ

"بِرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ." (رومية ٣: ٢٢)

في الأصحاحات الثلاث الأولى، من الرسالة إلى رومية، يؤكد الرسول بولس على أن الجنس البشري بأكمله ليس باراً. الجميع قد أخطأوا وهم تحت دينونة وغضب الله. وفي العهد القديم كان البر يظهر من خلال الناموس الذي أُعطي من خلال الأنبياء، في الوقت ذاته، فإن مقياس بر الناموس غير متاح نظراً لخطايا البشرية. ففي المسيح، ينقلنا بولس إلى مفهوم جديد في رومية ٣: ٢١ "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ". البر الآتي من الله بدون الناموس، هو هبة نعمته المجانية.

ماذا يعني برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح؟ يعني أن برُّ الله ظاهر في الإيمان بيسوع المسيح، وأننا مبررون بالإيمان بيسوع المسيح (غلاطية ٢: ١٦). إن الإيمان بيسوع المسيح قد أثار نور برِّ الله، الذي به نحن مبررين. أظهر موت يسوع على الصليب قيمة محبة الله للجنس البشري رغم أنهم خطاة، وعمل الإيمان لا سيما "طاعة الإيمان". إنه عاش بالإيمان كما أوضح الرسول بولس في رومية ١: ١٧ "لأن فيه مُعْلَنُ بَرُّ اللَّهِ بِإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالْإِيمَانِ يَحْيَا" وبالإيمان احتمل الصليب ومات (عبرانيين ١٢: ٢). كان مبدأ التبشير بالإيمان نقطة تحول في اختبار زعيم الإصلاح الديني "مارتن لوثر" الذي سمّاه "بوابة السماء".

شرح بولس من خلال رسائله معتقد التبشير بالإيمان- الذي يُعْلَمُ أننا مبررون بالإيمان، وليس بالأعمال- والذي كان له تأثير كبير على الطريقة التي تُعامل بها الآخرين بمحبة، ويتم هذا أولاً بجعلنا متواضعين. ويؤكد في رومية ٣: ٩-١٢ أن "لا فرق بين يهودي ويوناني، عبد أم حر، ذكر أم أنثى إذ ليس بار ولا واحد، الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد".

يُحَسَبُ بَرُّ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهِ- إذ لا فرق، وهنا يفتح بولس الباب لمن يرغب في التبشير، حيث طريق الخلاص من غضب الله هي أن يكون الإنسان باراً أمامه. إن برَّ الله متاح للجميع من خلال الإيمان بإتمام عمل المسيح على صليب الجلجثة. إذا كان لنا حاجة إلى الخلاص، وكان الخلاص يُقدَّم مجاناً من خلال نعمة الله، فأى مجال هناك للكبرياء والتناحر بين المؤمنين الذين كتب لهم بولس رسالته، ولنا اليوم؟

يُجِيبُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فِي أَفْسُسَ ٢: ٨و٩ "لأنكم بالنعمة مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ". لنفتخر بالمسيح وإياه مصلوباً كما قال الرسول بولس.

كان الرسول بولس من أعظم الرجال الذين تميزوا بإيمانهم، وواحد من أعظم الكارزين بالمسيح حيث ربح المئات منهم، وأسس كنائس مسيحية حيثما وطئت قدماه. نجد ٣ دروس نتعلمها من إيمان بولس ١- اعتبر المسيح الهدف الأسمى في حياة أتباعه. ركز في رسائله على هدف أن يتشبه بسيد المسيح، ويُعين آخرين للوصول إلى ذات الهدف. يلخص هدفه في الحياة حيث يقول في فيلبي ٣: ١٠و١١ "لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة الآمه، متشبهاً بموته، لعلِّي أبلغ إلى قيامة الأموات". أُملي أن يكون هذا هدف حياتك أيضاً.

٢- أدرك أن هذه الحياة إنما هي استعداداً للحياة بعد الموت. لا تُقَارَنُ هذه الحياة بأمجاد الحياة القادمة التي أعدها الله لأحباؤه. ٣- اعتبر نفسه ميتاً للذات وحيّاً بالمسيح. كانت الحياة بالنسبة له أن يخدم الله ويتشبه بالمسيح. فترك لنا هذه الآية الرائعة في فيلبي ١: ٢١ "لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح".

أحبائي، إن عشنا فللرب نعيش، فلتكن حياتنا مليئة بإيمان بمن خلصنا وفدانا. عن قريب سنعيش بالعيان إذ يعود ربُّ المجد كي يأخذنا إلى المنازل السماوية التي أعدها لمحبيه في كل زمان ومكان له الشكر والتسبيح. آمين.

خلاص بهذا المقدار

"فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مِقْدَارُهُ؟ قَدْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتْ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا." (عبرانيين ٣: ٢)

في هذه الفقرة من الآيات المقدسة، يُعلن لنا الوحي الإلهي عن أهمية كلمة الله، وارتباطها الوثيق بشخص المسيح من حيث هو الله المتجسد، الذي أخضع نفسه للطبيعة البشرية، لكي يكون مُمَثِّلًا لنا في كُلِّ شيء بلا خطية. لقد كان هذا الإخضاع الذاتي يحمل في طياته عملية إنقاذ عالمية تمتد في أصولها من الأزل وإلى الأبد. فهي تتفوق في تأثيرها وفعاليتها وقوتها وتضحيتها على كُلِّ خطة بشرية أخرى، حاول الإنسان ابتداعها لضمان الحياة الأبدية. نجد هنا تحذير لئلا نخسر الخلاص الذي حصلنا عليه بعد أن سمعناه وقبلناه، مع ذلك، لم نضع كامل ثقتنا بالمسيح لخلاصنا.

يؤكد كاتب الرسالة إلى العبرانيين على مصداقية رسالة الله على الدوام، لا سيما، وأن المسيح كلَّمنا بها لهذه الأيام الأخيرة. والذين ابتعدوا عن إرادة الله في الماضي، قاسوا من النتائج، لذا النداء هو لمزيد من الانتباه للحق الصريح في كلمة الله. بل إنه يقوم بمقارنة مذهشة بين هذا الإعلان الجديد، وبين ما أعلنته الملائكة قديمًا.

فإن كان الإعلان الملائكي القديم قد تثبت حقًا، فكَم بالأحرى أن تثبت صحة وصدق الإعلان الجديد المُنتَقِ من بين شَفَتَي الإله المتجسد! بل أكثر من ذلك، إن الكاتب يُشدد على موقف الله في القديم من التعدي وارتكاب المعصية ضد الإعلان القديم، وما أسفر عنه من عواقب وخيمة. لهذا نراه في الآية الثالثة يُعالج الكاتب، عن طريق المقارنة، موقف الله من الذين يُهملون دعوة الخلاص فيقول: "فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقدار؟".

يجدر بنا أن نرى ثلاثة أمور ١- إن كلمة الله ثابتة ومتأصلة في الأبد لأنها سرمدية الطبيعة، لا فرق في ذلك إن تم إعلانها في العهد القديم، أو في العهد الجديد، أو كان إعلانها عن طريق الملائكة والأنبياء، أو من خلال الرموز والشعائر، أو في الذبيحة العظمى في المسيح. الله لا يُخلف وعداً أو ينقض عهداً، لذا، فإن إعلانه أيضاً هو رؤيا شاملة وسرمدية، وموقفه من الإنسان لا يطرأ عليه أي تغيير أو تعديل.

٢- إن كلمة الله ثابتة ووعوده محققة، فذلك عدله ثابت لا يعتره تبديل، ومواقفه من الخطيئة هي أبدية الجوهر لأن عدله لا يتجزأ، ولا يتناقض مع ذاته وصفاته، بل ينسجم كلياً مع طبيعة قداسته، التي تكره الخطيئة والفجور، واقتراف الآثام التي تُثير سخطه.

فالله قد خلق الإنسان على صورته ومثاله ليكون شاهداً على قداسته، بل ليكون الإنسان نفسه مقدساً، لا يتدنس بأدران الخطيئة. ولكن هذا الإنسان عصى ربه وغوى، رغم تحذير الله له، فاستوجب الدينونة الرهيبة، وكان لا بُد للعدالة الإلهية أن تأخذ مجراها. وهكذا تشوّهت في الإنسان الصورة الإلهية التي أرادها الخالق أن تكون إحدى هذه السمات في الإنسان، أي الصورة التي أكرم بها الله آدم عن سائر مخلوقاته، وبذلك دخلت الخطيئة إلى الوجود الإنساني، ونقض الله عدالته الأزلية.

٣- وكان هذا التجسد أعظم دليل على محبة الله للإنسان على الرغم من بؤس الإنسان وشقائه، وتمرده، وعبادته أصناماً من صنعه يديه. لكن المسيح عبّر عن محبته لأنه لم يكن يشاء موت الخاطئ، بل أن يرجع عن شره فيحيا. لقد بين الله محبته لخليقته لأن محبته كانت تتوق لكي يسترد الخاطئ علاقته بالله.

ولكن هذا الفداء "المجبول بالمحبة الإلهية كان خطوة أخيرة في درب الخلاص، الذي يتوقف على قبول الإنسان لفداء المسيح إذ "كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقدار؟". ليبارك ربُّ المجد قبولنا لخلاصه العجيب من أجلنا.

إيضاحات للإيمان الخلاصي

"فَقَالَا: "آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ." (أعمال الرُّسُل ١٦: ٣١)

كان بولس وسيلا ذاهبين للصلاة في مدينة فيلبّي، فاستقبلتهما جارية بها روح عرافة، وكانت تكسب أموالاً لسادتها، فتبعت بولس وسيلا وصرخت قائلة "هؤلاء الناس هم عبيد العليّ ينادون لكم بطريق الخلاص". وكررت ذلك القول أياماً، فضجر بولس منها وأمر الروح النجس باسم يسوع المسيح أن يخرج منها، فخرج في تلك الساعة. فاشتكى موالها على بولس وسيلا، فضربا ووضعوا في السجن الداخلي.

وفيما كانا يصلّيان ويُسبّحان الله حدثت زلزلة عظيمة، فانفتحت أبواب السجن وانفكت قيود الجميع. وما أن رأى حافظ السجن الأبواب مفتوحة، استل سيفه مُزعماً أن يقتل نفسه، ناداه بولس وأكد له أن جميعهم ههنا. خر حافظ السجن أمام بولس وسيلا وهو مُرتعد وقال "يا سيديّ ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص" فقالا "آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ". قد يسأل البعض فيما إذا كان جواب بولس وسيلا كافياً لخلاص حافظ السجن؟ الجواب على ذلك بنعم آخذين بعين الاعتبار ما سمعه السجان عن يسوع وأمانة السجينين، ودراسته مع وبولس وسيلا دامت طوال الليل بحضور العائلة.

على ما يبدو أن لوقا كاتب سفر أعمال الرُّسُل أوجز خاتمة حديثهم بالتركيز على الإيمان بالمسيح. سمع السجان عن موت يسوع وقيامته، وقدرته على منح الخلاص، فاشتاق أن يكون الخلاص من نصيبه وأهل بيته. بعد أن آمن حافظ السجن بالمسيح، وكذلك كل فرد من أفراد عائلته، اعتمدوا جميعاً مُعلنين إيمانهم برّب المجد يسوع المسيح، واعتمدوا عليه، وسلّموا أنفسهم لرعايته الحانية. طلبوا الخلاص من الخطية ونتائجها، والشر الذي في العالم. يبقى سؤال السجان عن كيفية الخلاص، هو ما يصبو إليه كل مُتعطش لمعرفة طريق الخلاص بالمسيح. وبالمقابل، الجواب "آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ". لنتق فيه، ونضع إيماننا في قدرته على الخلاص، ابن الله الأوحد، الله الإنسان، خالق السموات والأرض، وحمل الله فادينا.

لنرى معاً بعض الإيضاحات التي نمارس بها إيماننا الخلاصي بطريقة عملية. نبدأ بقطع جسر مُعلّق بحبال. إذا كنت في منطقة جبليّة، وكان عليك عبور جسر مُعلّق بحبال، تبدأ بفحص دعّامات الجسر، والتأكد من عدم وجود حبال مقطّعة، وبعد أن تقتنع بسلامة الجسر ومثابته كي يحملك للجانب الآخر، تشعرُ باطمئنان. لكن الإيمان الخلاصي يعني عبورك الجسر، والجسر هو المسيح، إذ هو هدف ومصدر الإيمان الخلاصي.

المثال الثاني فتح حساب في المصرف. تدخل إلى البنك لتفتح حساباً هناك، فيشرح لك الموظف نوع الحساب الذي يعود عليك بفائدة عالية إذا وضعت نقودك فيه. الإيمان الخلاصي ليس أن تعرف نوع الحساب وما تجنيه من فائدة، بل يعني إيداع نقودك في ذلك الحساب، وتشجيع الآخرين أن يعملوا مثلك. المثال الثالث هو الخضوع لعملية جراحية. يُخبرك طبيبك بحاجتك لإجراء عملية جراحية تُنقذُ بها حياتك. تدرك بأنك غير قادر على عمل شيء بنفسك لحل المشكلة سوى أن تثق بالجراحين، وهذا هو الحل الوحيد. الإيمان الخلاصي هنا أن تتخلى عن أعمالك وتثق بالمسيح مُخلصك الكليّ القُدرة.

وجه يسوع انتباهه نيقوديمس إلى الحياة النحاسية التي رفعت في البرية وكل من نظر إليها كان يُشفى، هكذا، الإيمان هو النظر إلى يسوع المصلوب والانجذاب إليه فادياً ومُخلصاً. عش مواعيده بإيمان، واحصل على قلب جديد من الله، الذي وحده مصدر خلاصك الوحيد. تطلع إليه لتجد منه العزاء ليقوي فيك الرجاء، سيعود عن قريب ليُعطي لكل واحد جزءاً عمله، ويُرحّب بأنقيائه إلى ديار المجد. آمين.

الفصل السابع

تموز "يوليو"

مِثَالُنَا فِي الصَّلَاةِ



رَنِّمُوا لِلرَّبِّ

"رَنِّمُوا لِلرَّبِّ، بَارِكُوا اسْمَهُ، بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلَاصِهِ." (مزمو ٩٦: ٢)

أَنشَدَ الْمَلِكُ دَاوُدَ هَذَا الْمَزْمُورَ بِمُنَاسَبَةِ نَقْلِ تَابُوتِ الْعَهْدِ إِلَى أُورُشَلِيمَ. يَبْدَأُ هَذَا الْمَزْمُورَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّرْنِيمِ لِلرَّبِّ، مِنْ شَعْبِهِ، وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ الْأَرْضِ، وَأَخِيرًا الْخَلِيقَةَ. يَفْرَحُ اللَّهُ بِالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ لاسْمِهِ الْقُدُّوسِ، مِنَ الَّذِينَ نَالُوا رُؤْيَا جَدِيدَةً لِمَحَبَّةِ الْمَسِيحِ وَنِعْمَتِهِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يُسَمِّيَهَا الْمُرَنَّمُ "تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً". الْجَدِيدُ فِي هَذِهِ التَّرْنِيمَةِ هُوَ مُلْكِيَّةُ اللَّهِ لِلْكَوْنِ، وَلِحَيَاةِ أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ شَعَرُوا بِفَيْضِ نِعْمَتِهِ وَمَرَامِهِ الْجَدِيدَةِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ، لِذَا، فَاصْتَ السَّنَتَهُم بِالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ. لِيَنْطِقَ لِسَانُنَا وَيُذِيعَ الْبَرَكَاتِ لِيَسُوعَنَا الْحَبِيبِ شَفِيعَنَا لَهُ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ.

لَتَكُنْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ السَّارَةُ جُزْءًا مِنَ الْبَشَارَةِ بِإِنْجِيلِ الْخَلَاصِ، حَيْثُ يَسُوعُ مُخَلِّصُ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ قَدْ أَتَمَّ خَلَاصَهُ، وَفَدَانَا بِدَمِهِ الْكَرِيمِ، وَإِذْ نَتَذَوَّقُ حَلَاوَةَ تَصَحُّيَّتِهِ، يَتَجَدَّدُ هَذَا التَّسْبِيحُ يَوْمِيًّا عَلَى لِسَانِنَا. يُوصِينَا اللَّهُ بِالتَّرْنِيمِ حَيْثُ تُوجَدُ مِائَاتُ الْآيَاتِ الَّتِي تُسَبِّحُ بِالتَّرْنِيمِ اسْمَ الرَّبِّ الْقَدِيرِ. يَسُوعُ رَنَّمَ بَعْدَ أَنْ أَنْهَى وَلِيمَةَ الْعِشَاءِ الْأَخِيرَ مَعَ تَلَامِيذِهِ. كَمَا رَنَّمَ الْمَسِيحِيُّونَ عَبْرَ التَّارِيخِ، وَمَا زَالُوا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. وَخَيْرُ مِثَالٍ عَلَى التَّرْنِيمِ وَالتَّسْبِيحِ نَجِدُهُ فِي الْمَزَامِيرِ لِمَنْ سَبَقُونَا وَذَاقُوا حَلَاوَةَ الرَّبِّ، وَخَلَاصَهُ الْعَجِيبَ فِي حَيَاتِهِمْ.

تُعَمِّقُ التَّرَانِيمُ مَعْلُومَاتِنَا الْكِتَابِيَّةَ، وَحَقَائِقُ الْإِنْجِيلِ إِذْ تَحْتَوِي عَلَى أُمُورٍ لَاهُوتِيَّةٍ هَامَّةٍ، كَمَا أَنَّ التَّرْنِيمَ يَرْبُطُنَا عَاطِفِيًّا بِالْعَابِدِينَ مِنْ حَوْلِنَا، حَيْثُ أَنَّ الْمَوْسِيقَى تَتَغَلَّغِلُ إِلَى أَعْمَاقِ نَفُوسِنَا. كَمَا أَنَّ التَّرْتِيلَ يُسَاعِدُ فِي اتِّحَادِنَا بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي بَيْتِ اللَّهِ، وَإِذْ نَجْتَمِعُ لِلْعِبَادَةِ نَكُونُ جَمِيعًا جَسَدًا رُوحِيًّا وَاحِدًا، وَنُسَبِّحُهُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ. نُدْرِكُ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا مَوَاهِبَ وَعَطَايَا مُخْتَلِفَةً، لَكِنْ نَحْنُ جَمِيعًا مَدْعُوِّينَ لِلتَّرْنِيمِ لِإِلَهِنَا، وَالْبَشَارَةِ مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلَاصِهِ. أَمَلِي أَنْ يَبْقَى الْمَسِيحُ سَيِّدَ قَلْبِكَ، وَيُؤَدِّمَ بَرَكَاتِهِ عَلَيْكَ وَأَنْتِ تَذِيعُ خَلَاصَهُ عَلَى الدَّوَامِ.

تَرْنِيمُنَا هُوَ وَسِيلَةُ التَّوَاصُلِ مَعَ بَعْضِنَا دَاخِلَ جَسَدِ الْمَسِيحِ أَيْ الْكَنِيسَةِ. عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ التَّسَابِيحِ، نَبْنِي بَعْضُنَا بَعْضًا رُوحِيًّا، مُكَلِّمِينَ أَحَدُنَا الْآخَرَ بِتَّسَابِيحٍ لِنُذَكِّرَ حَقَائِقَ الْإِنْجِيلِ فِي قُلُوبِ إِخْوَتِنَا فِي الْإِيمَانِ، وَتَكُونُ لَنَا فُرْصَةٌ تَسْبِيحِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ.

نَجِدُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَرْكِيزًا أَكْبَرَ عَلَى التَّسْبِيحِ مِنَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَيَتِمَّيزُ الْبَشِيرُ لَوْحًا بِالتَّرْكِيزِ عَلَى تَسَابِيحٍ لِأَفْرَادٍ وَجُوقَةٍ الْمَلَائِكَةِ. تَبْدَأُ بِتَرْنِيمَةِ الْعِذْرَاءِ الْمُبَارَكَةِ مَرْيَمَ وَتَسْلِمُ حَيَاتَهَا لِلَّهِ فِي لَوْحًا ١: ٤٦-٥٥ وَالتِّي تَبْدَأُ بِ "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي". يَلِيهَا تَرْنِيمَةُ زَكَرِيَّا بَعْدَ وِلَادَةِ ابْنِهِ يُوَحَنَّا الْمَعْمَدَانِ حَيْثُ رَنَّمَ عَنْ أَمَالِهِ لِابْنِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ فِي نَفْسِ الْأَصْحَاحِ مِنَ لَوْحًا.

الْأَصْحَاحُ الثَّانِي مِنَ إِنْجِيلِ لَوْحًا يَتَكَلَّمُ عَنْ تَرْنِيمَةِ الْمَلَائِكَةِ لِلرُّعَاةِ مُنَادِينَ بِالْمَجْدِ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامَ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرُورَةِ، أَمَّا فِي الْهَيْكَلِ فَتَسْمَعُ سَمْعَانُ الشَّيْخِ يَشْكُرُ اللَّهَ لِأَنَّ عَيْنَاهُ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلَاصَ الرَّبِّ وَمَسِيحَهُ الْمُبَارَكِ. يَذْكُرُ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي ثَلَاثَةِ مِنْ رِسَالَتِهِ وَعَلَى الْأَخْصَ مَا كَتَبَ فِي كُولُوسِي ٣: ١٦ "لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بَغْنَى، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ". أَمَّا فِي رُؤْيَا يُوَحَنَّا فَنَجِدُ ١٦ تَرْنِيمَةً مُخْتَلِفَةً فِيهِ، لَا سِيَّمَا فِي الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ وَالْمَعْرُوفَةِ بِ "مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخُرُوفِ الْمَذْبُوحِ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ". أَخِيرًا فِي الْأَصْحَاحِ ١٥: ٤٩ نَقْرَأُ عَنِ الْمَقْدِسِينَ الَّذِينَ يُرَنِّمُونَ تَرْنِيمَةَ مُوسَى وَالْخُرُوفِ قَائِلِينَ "عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَادِلُهُ وَحَقُّ هِيَ طُرْفُكَ يَا مَلِكُ الْقَدِيسِينَ".

أَمَلِي أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا أَعْرَائِي مِنْ أَعْضَاءِ هَذِهِ الْجُوقَةِ السَّمَاوِيَّةِ حَامِلِينَ قِيَارَاتِ اللَّهِ، وَوَاقِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ الرَّجَاجِيِّ لِنَرْنِمَ وَنُسَبِّحَ رَبَّنَا الْعَظِيمَ فِي أَمْجَادِهِ السَّمَاوِيَّةِ عَنْ قَرِيبٍ.

تسبيحنا لله

"هَلِّلُويَا. سَبِّحُوهُ عَلَى قُوَّاتِهِ. سَبِّحُوهُ حَسَبَ كَثْرَةِ عَظَمَتِهِ. سَبِّحُوا اللَّهَ فِي قُدْسِهِ. سَبِّحُوهُ فِي فَلَكِ قُوَّتِهِ." (مزمور ١٥٠: ١ و٢)

يُعتَبَر مزمور ١٥٠ خاتمة السفر حيث يُعطي الله كُلَّ التسبيح الذي يليقُ باسمه القدوس، وفي الوقت نفسه، نبوءة عن نتيجة حياة التقوى التي يعيشها المؤمن في نهاية تَعَب سِنِيهِ. كما أَنَّ هذا المزمور تسبيح لا ينتهي لإله غير محدود في عَظَمَتِهِ. هَلِّلُويَا. سَبِّحُوهُ عَلَى أَعْمَالِهِ الْعَظِيمَةِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لِيَكُنْ تسبيحه على لساننا. عَرَفَ الْمُرَنِّمُ قُوَّةَ اللَّهِ فِي إِنْقَاذِهِ لَشُعْبِهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ عَلَى يَدِ مُوسَى، لَكِنْ مَا حَقَّقَهُ الْمَسِيحُ عَلَى الصَّلِيبِ، وَعَظَمَةُ قِيَامَتِهِ الَّتِي بَرَهَنْتْ عَلَى قُوَّةِ اللَّهِ، كَانَ حَدَثًا مُسْتَقْبَلِيًّا بِالنِّسْبَةِ لَهُ.

كَانَ مَقْدَسُ اللَّهِ هُوَ الْمَكَانَ الْأَنْسَبَ لِتَسْبِيحِهِ، حَيْثُ قَدْ أُفْرِزَ لِمَجْدِهِ وَحُضُورِهِ مَعَ شُعْبِهِ. وَفِي ضَوْءِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، نُدْرِكُ أَنَّ هَيْكَلَ اللَّهِ لَا يَنْحَصِرُ فِي مَبْنَى فِي أُورُشَلِيمَ، حَيْثُ يُخْبِرُنَا سِفَرُ الْعِبْرَانِيِّينَ ٨: ١-٢ أَنَّ رَئِيسَ كَهَنَتِنَا يَسُوعُ يَخْدُمُ فِي الْأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ فِي السَّمَاءِ. أَمَّا الرِّسَالَةُ بُولُسَ فَيَقُولُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّهُمْ "هَيْكَلُ اللَّهِ الْحَيِّ". أَمَّا فِي السَّمَاءِ، فَسَيَكُونُ مَسِيحُنَا الْمُبَارَكُ نَفْسَهُ هَيْكَلَ اللَّهِ وَسَطَ شُعْبِهِ. وَحَيْثُ أَنَّ مَجْدَهُ يَمْلَأُ السَّمَاوَاتِ، كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَسْبِيحُنَا لَهُ يَفِيضُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

لِلتَسْبِيحِ وَالتَّرْنِيمِ أَثَرُهُمَا عَلَى حَيَاةِ الصَّلَاةِ وَالتَّأَمُّلِ الرُّوحِيِّ لَدَيَّ، حَيْثُ أَنَّ التَّسْبِيحَ غَيْرَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي أُصَلِّيُ بِهَا. كَمَا غَيْرَ نَظَرَتِي إِلَى اللَّهِ مِمَّا غَيَّرَنِي أَنَا شَخْصِيًّا. التَّسْبِيحُ يُدْخِلُ الْمَسِيحَ إِلَى أَجْوَاءِ عِبَادَتِي، وَيُفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ حَيْثُ تَفِيضُ الْبَرَكَةِ. يُزِيلُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ مِنْ حَيَاتِي، وَيُذِيبُ الْقَلْقَ فِي نَفْسِي. التَّسْبِيحُ وَاحِدٌ مِنْ لُغَاتِ الْإِيمَانِ وَيُقَرِّبُنِي إِلَى اللَّهِ. لَا أَسْتَطِيعُ السَّيْرَ مَعَ مُخَلِّصِي يَسُوعَ بَعِيدًا عَنِ مَسَارِ التَّسْبِيحِ، كَمَا أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ الْمَحَبَّةَ بَعِيدًا عَنْ أَجْوَاءِ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ. لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ التَّسْبِيحِ دُرُوسًا كَثِيرَةً، وَوَاحِدٌ مِنْهَا أَنَّ التَّرْنِيمَ يُدْخِلُنِي إِلَى مَحْضَرِ اللَّهِ. التَّسْبِيحُ هُوَ السِّرُّ وَالْمِفْتَاحُ لِقُوَّةِ حَيَاتِي فِي الصَّلَاةِ، وَسِرِّي الْيَوْمِيِّ مَعَ اللَّهِ.

عِنْدَمَا أُبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ، أُغْلِقُ بَابًا وَأُفْتَحُ بَابًا آخَرَ. أُغْلِقُ الْبَابَ لِلْعَالَمِ، وَأُفْتَحُ الْبَابَ لِلرَّبِّ الَّذِي يُنْعِشُ كَيَانِي الرُّوحِي. التَّسْبِيحُ هُوَ مِفْتَاحُ بَابِ الْفَرَحِ، وَالسَّلَامِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالْإِيمَانِ. أُسَبِّحُ الرَّبَّ كُلَّ يَوْمٍ، لِأَنِّي بِحَاجَةٍ يَوْمِيَّةٍ إِلَيْهِ. أَشْعُرُ بِالْقُوَّةِ أَثْنَاءَ تَسْبِيحِي، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَى جَانِبِي وَأَنَا أُسَبِّحُ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ لِيَفِيضَ الْفَرَحُ، وَالسَّلَامُ، وَالْمَحَبَّةُ، وَالْإِيمَانُ فِي حَيَاتِي. يَظْهَرُ بِكُلِّ مَجْدِهِ أَثْنَاءَ التَّسْبِيحِ وَأَشْعُرُ بِحُضُورِهِ مِمَّا يَطْرُدُ كُلَّ خَوْفٍ وَقَلْقٍ مِنْ حَيَاتِي لِجَلِّ سَلَامَتِهِ فِي قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ.

مَعَ كُلِّ الْقُوَّةِ الْكَامِنَةِ فِي التَّسْبِيحِ، لَكِنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَاحَةً مَعْرَكَةً. تَتَحَدَّثُ كَلِمَةُ اللَّهِ عَنِ ذُبْحَةِ الْحَمْدِ، لِهَذَا، يَتَطَلَّبُ التَّسْبِيحُ جَهْدًا وَمُثَابَرَةً، حَيْثُ يُحَاوِلُ الشَّيْطَانُ إِبْعَادَكَ عَنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ بِزَرْعِ هُمُومٍ وَمَطَالَبٍ يَوْمِيَّةٍ لِيُلْهِيكَ. اطْرَحْهَا عَزِيزِي جَانِبًا، وَرَكِّزْ أَنْظَارَكَ عَلَى يَسُوعَ، سَبِّحْهُ بِصَوْتٍ عَالٍ وَأَشْكُرْهُ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِ مَعَكَ. سَيَكُونُ رُوحُ اللَّهِ الْقُدُّوسُ قُوَّتَكَ، عِنْدَمَا تَعَزِمُ أَنْ تُسَبِّحَهُ وَتُعْظِمَ هَذَا الْاسْمَ الْمُبَارَكَ.

عِنْدَمَا تَكُونُ فِي أَجْوَاءِ التَّسْبِيحِ، يَتَأَرَّجَحُ إِيْمَانُكَ صُعُودًا وَنُزُولًا، لَكِنَّ الْفَرَحَ النَّاتِجَ عَنِ التَّسْبِيحِ، يُحْطَمُ جُذْرَانِ الْفَشَلِ، وَالْحُزْنِ، وَالْيَأْسِ. يُحْطَمُ التَّسْبِيحُ السَّلْبِيُّ وَقُوَّةُ عَدُوِّ النُّفُوسِ، وَيُعْظَمُ رُؤْيَاكَ لِلرَّبِّ الْمَجْدِ يَسُوعَ. تَشْعُرُ بِالْإِنْتِصَارِ وَأَنْتَ تَرْنُمُ عَنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْكَ. دَاوِمِ النَّظَرَ إِلَى أَبْوَابِ السَّمَاءِ، وَاحْمِدْهُ دَائِمًا وَاسْتَنْفِثِ الْأَبْوَابَ أَمَامَكَ.

وَعِنْدَمَا يَأْتِي السُّؤَالُ "مَاذَا أُرِدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟" (مزمور ١١٦: ١١). أَجِدُ الْجَوَابَ "أَمَّا نَحْنُ فَنُبَارِكُ الرَّبَّ مِنَ الْآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ. هَلِّلُويَا" (مزمور ١١٥: ١٨). لَكَ التَّسْبِيحُ وَالْمَجْدُ يَا سَيِّدِي الْبَارَّ، وَيَلِيقُ بِكَ كُلُّ كَرَامَةٍ إِلَى أَبَدِ الدَّهْرِ. آمِينَ.

أهمية الترنيم

"لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بَغْنَى، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلَّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِمِزَامِيرٍ وَتَسَابِيحٍ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ." (كولوسي ٣: ١٦)

يُوصِي الرسول بولس مؤمني كولوسي، أَنْ يَدْعُوا كَلِمَةَ الْمَسِيحِ الْمَكْتُوبَةَ وَالْمَنْطُوقَةَ أَنْ تَسْكُنَ فِيهِمْ بَغْنَى، وَتُشِيرُ الْكَلِمَةُ هُنَا إِلَى تَعَالِيمِ يَسُوعَ الْمَوْجُودَةِ فِي الْإِنْجِيلِ، إِلَى جَانِبِ، الَّتِي شَرَحَهَا رُسُلُ الْمَسِيحِ. تُعْطِي هَذِهِ الْآيَةُ ٣ جَوَانِبَ مُحَدَّدَةً لِسُكْنَى كَلِمَةِ الْمَسِيحِ فِي حَيَاةِ تَابِعِيهِ. الْجَانِبَانِ الْأَوَّلَانِ هُمَا "التعليم والإنذار".

يُمْكِنُ لِلْكَلِمَةِ الْمَسِيحِ أَنْ تُرْشِدَنَا وَتُرَبِّينَا أَخْطَاءَنَا، كَمَا تُصَحِّحُ أَخْطَاءَنَا فِيمَا نُوْمَنُ بِهِ وَمَاذَا نَعْمَلُ. ثَالِثًا: تَشْجِيعُ الرُّسُولِ بُولَسَ عَلَى أَنْ يَبْقَى التَّرْنِيمُ سَبَبًا ثَانِيًا هَامًّا لِسُكْنَى كَلِمَةِ الْمَسِيحِ فِينَا بِغَزَارَةٍ. وَإِذْ نُسَبِّحُ اسْمَ الْمَسِيحِ مَعًا، يَأْتِي الْوَعْدُ بِسُكْنَى كَلِمَةِ اللَّهِ فِينَا، وَهُوَ مَا يَرْجُوهُ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

يُدْخُلُ التَّسْبِيحُ الدِّفَاءَ لِقُلُوبِنَا وَيُعِدُّنَا لِسَمَاعِ الْعِظَةِ. يَبْقَى التَّسْبِيحُ جُزْءًا مِنَ الْعِبَادَةِ، وَيَكُونُ الْمَسِيحُ جَوْهَرَ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ وَمَرْكَزَ عِبَادَتِنَا، وَيَتَجَدَّدُ مَعْنَى التَّرَانِيمِ الْقَدِيمَةِ بِرُؤْيَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. يُحْتَنَى بُولَسَ عَلَى تَرْنِيمِ أَنْوَاعٍ عَدِيدَةٍ مِنَ التَّرَانِيمِ الرُّوحِيَّةِ، بِرُوحِ الشُّكْرِ وَالْامْتِنَانِ لِلَّهِ كَيْ تَسْكُنَ كَلِمَةُ اللَّهِ فِيهِمْ. لِنَتَأَمَّلْ وَنَرْتَوِي مِنْ كَلِمَةِ الْمَسِيحِ الَّتِي تَجْلِبُ النُّورَ وَالرُّوحَ وَالْحَيَاةَ لِنَفُوسِنَا. كَانَتْ كَلِمَاتُ الْمُخْلِصِ عَامِرَةً بِنَفَائِسِ رِسَائِلِ الْخَلَاصِ الْمَجِيدَةِ لِشُعْبَةِ الْعَابِدِينَ لَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَطِيلَةَ أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ. لِنَتَخَيَّلْ رَبَّنَا الْمُبَارَكُ يُظَهِّرُ فَرْحَهُ بِتَرْنِيمِ الْأَطْفَالِ، وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ بِمَحَبَّتِهِ الْغَيْرِ مُشْرُوطَةً لَنَا، وَيَعْمُرُ بِنِعْمَتِهِ السَّمَاوِيَّةِ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِهِ.

أَلَا نُنْذِرُ بَعْضُنَا بَعْضًا بِمِزَامِيرٍ وَتَسَابِيحٍ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ لِإِلَهِنَا كُلِّيَّ الْمَجْدِ وَالْعِظَمَةِ عَلَى قَدَرٍ مَا نَرَى النِّهَايَةَ تَقْتَرِبُ. لِنَعِشْ بِتَوَاضُعٍ وَصَبْرٍ وَغُفْرَانٍ وَفَوْقَ الْكُلِّ بِمَحَبَّةٍ. وَإِذْ نَمْلَأُ حَيَاتِنَا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَنُنْذِرُ بَعْضُنَا بَعْضًا، تَفِيضُ تَرَانِيمِ الْامْتِنَانِ صَاعِدَةً إِلَى اللَّهِ عَرَبُونَ الشُّكْرِ لَهُ لَجَمِيعِ نِعَمِهِ وَبَرَكَاتِهِ. يُعْتَبَرُ التَّرْنِيمُ جُزْءًا مُهِمًّا مِنَ الْعِبَادَةِ الْمَسِيحِيَّةِ؛ فَهُوَ كَلِمَاتُ تَسْبِيحِ الرَّبِّ. وَهَنَّاكَ تَرَانِيمٌ كَثِيرَةٌ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، مِنْهَا السَّارَةُ وَالْحَزِينَةُ، وَمِنْهَا تَرَانِيمُ النُّصْرَةِ وَالتَّوْبَةِ. وَلَكِنَّهَا كُلُّهَا تُعَبِّرُ عَنْ وُجُودِ اللَّهِ وَمَدَى تَأْثِيرِهِ فِي حَيَاتِنَا.

التَّرْنِيمَةُ الْأُولَى الْمَذْكُورَةُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، رَنَّمَتْهَا مَرْيَمُ أُخْتُ مُوسَى، بَعْدَ أَنْ قَادَ هَذَا الْأَخِيرُ الشَّعْبَ الْإِسْرَائِيلِيَّ خَارِجَ مِصْرَ. لَقَدْ كَانَ سَبَبُ فَرْحِ الشَّعْبِ وَتَرْنِيمِهِ عَظِيمًا جَدًّا؛ فَقَدْ شَقَّ اللَّهُ مِيَاهَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ لِكَيْ يَغْبِرَ الشَّعْبُ عَلَى أَرْضِ يَابَسَةٍ، ثُمَّ رَدَّ مِيَاهَ الْبَحْرِ وَأَغْرَقَ الْمَصْرِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَلْحَقُونَ بِهِمْ. وَأَطُولُ تَرْنِيمَةٍ، وَهِيَ تَرْنِيمَةُ حَبِّ، كَتَبَهَا النَّبِيُّ سَلِيمَانُ، وَهِيَ مَكْرُسَةٌ لِمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِعُرُوسِهِ، الْكَنِيسَةِ، الَّتِي مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِهَا.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، مِنَ الْمَدْهَشِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ أَيْضًا يَتَهَجُّ بِنَا، نَحْنُ الْخَطَاةُ، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَفْنِيَا: "الرَّبُّ... يَتَهَجُّ بِكَ فَرَحًا... يَتَهَجُّ بِكَ بِرَنِّمْ". (١٧: ٢). نَقْرَأُ عَنْ عَادَةِ التَّرْنِيمِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ فِي النَّاصِرَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ "فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ كَانَ يُعَبِّرُ عَنْ فَرْحِ قَلْبِهِ بِإِنْشَادِ الْمِزَامِيرِ وَالتَّسَابِيحِ الرُّوحِيَّةِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ النَّاصِرَةِ كَثِيرًا مَا يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ عَالِيًا فِي تَرْيِيدِ شُكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ لِلَّهِ. لَقَدْ كَانَ فِي شَرِكَةِ مَعَ السَّمَاءِ عَنْ طَرِيقِ التَّسْبِيحِ" (روح النبوة، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٦٠).

لَقَدْ أَمْضَى الرَّبُّ يَسُوعَ وَقْتًا مَعَ تَلَامِيذِهِ، قَبْلَ صَلْبِهِ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ، وَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ وَيُطْمَئِنِّهِمْ عِنْدَمَا حَزَنُوا لِأَنَّهُ سَوْفَ يَذْهَبُ وَيَتْرَكُهُمْ. وَعِنْدَ نِهَايَةِ شَرِكَتِهِمْ، سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ (مَرْقَسُ ١٤: ٢٦). وَيُعْتَقَدُ بِأَنَّهُمْ رَنَّمُوا أَحَدَ الْمِزَامِيرِ. فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَذْكُرُ الرُّسُولُ بُولَسُ التَّرْنِيمَ، وَيُشَدِّدُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَرَنِّمَ فَقَطْ بِأَصَوَاتِنَا، بَلْ "مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ"؛ فَمَنْ السَّهْلُ جَدًّا أَنْ نُرَدِّدَ اللَّحْنَ وَنَنْسِيَ الْكَلِمَاتِ.

أَعْنِي رَبِّي أَنْ أُسَبِّحَ اسْمَكَ الْقُدُّوسَ، وَأَشْكُرَكَ عَلَى خَلَاصِكَ الْعَجِيبِ الَّذِي ضَمَنْتَهُ لِي عَلَى صَلِيبِ جُلُجَّةٍ. لَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ، الْكَرَامَةُ وَالسُّجُودُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ.

فَرَحٌ فِي التَّسْبِيحِ

"تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شَبَعُ سُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعْمٌ إِلَى الْأَبَدِ." (مزمور ١٦: ١١)

يبدأ مزمور ١٦ لداود بتعريف جُودِ الرَّبِّ كإله صالح يقودني في طريق أبدِيٍّ. وإذ أكون في حضرته، أمتلأ فرحاً وأشعرُ بسلامه الذي يفوق الوصف والإدراك. صحيح أن الرَّبَّ موجود ومالي كُلُّ الوجود، إلا أنه يسكن في المؤمنين والمؤمنات بروحه. قد تُوجد أوقات لا أحسُّ بحضوره معي حين أخطأ إليه ولا أمتلئ مُخلصي كما يجب. لست بحاجة أن أسمح لهموم الحياة أن تُقوض فرحي في الرَّبِّ، وتُحرمني من شَبَعِ السُّور الذي أشعرُ به عندما أكون في حضرة فاديِّ الحبيب. أدرك داود في هذا المزمور أن كُلَّ عطيةٍ وخير مصدرهما الله الكريم، الذي يُعطي بسخاء ولا يُعير. يدعونا أن نأتي إليه ونُقدِّم له تسابيح الحمد ليكون حضوره ملجأً أميناً لنا، ونشعرُ بالبركة حين نضع رجائنا في المسيح للخلاص. كان داود مُدركاً أن الله يقوده إلى سبيل الحياة. تُوجد طريقان كما أوضح الرَّبُّ يسوع، واحد واسع يقودُ للهلاك، وآخر ضيقٌ يُؤدِّي للحياة "أَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لِأَنَّهُ وَاسِعُ الْبَابِ وَرَحْبُ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤدِّي إِلَى الْهَلَاكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقُ الْبَابِ وَأَكْرَبُ الطَّرِيقِ الَّذِي يُؤدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (متى ٧: ١٣ و ١٤).
تعتز طريق الحياة ما يُقدِّمه العالم من مُغريات، مما يحرم الكثيرين من الثقة بالله، والراحة فيه ومن قُوَّة محبته. عزيزي، أي من الطريقين ستختار؟

لا يكملُ التسبيح فرحنا في الرَّبِّ وحسب، بل يُعطينا مذاقاً للأُمور السَّماوية، حيث أن العبادة والتسبيح هما جزءاً من نشاطاتنا في الأبدية. لذا، ينصحنَا الرُّسول بولس في كولوסי ٣: ٢٠١ "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقَ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقَ لَا بِمَا عَلَى الْأَرْضِ". كان ما كتبه بولس هنا انعكاساً لأجواء سفر الرؤيا ١: ٤ حيث شاهد يوحنا باب السماء مفتوحاً "بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الْأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوقٍ يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأَرِيكَ مَا لَا بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هَذَا".

عظيم أن نرى هنا إن العبادة هي باب مفتوح لحضور الله. لا نحتاج الانتظار في عُرْفَةِ الْجُلُوسِ، لأن ذبيحة يسوع جعلت باب السماء مفتوحاً لمن يريد الدُّخُولَ.

إذ نتأمل واقعية السماء كما صورها يوحنا في سفر الرؤيا، نرى مشاهد من المجد تُداعِبُ خيالنا، أصوات القُوَّة، ترانيم التسبيح، وعَبَقُ الْبُخُورِ يصعدُ مع صلوات القديسين، ونُدرك أن العبادة هي أكثر من تمرين عقلي، لكنها اختبار الإنسان بكامله حين يأخذ في المجد.

شعر كاتب الرسالة إلى العبرانيين بروعة الباب المفتوح لعرش الله، فكتب في الأصحاح ٤: ١٦ "فَلْتَقَدِّمُ بَثْقَةً إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ". إن عرش النعمة يرمز إلى ملكوت النعمة، ويدلُّ على عمل النعمة في قلوب النَّاسِ، وعن قريب، سيؤسَّس يسوع ملكوت المجد عند مجيئه ثانية.

المسيح عن يمين الله، ونحن في المسيح عن يمين الآب. لهذا المكان، أولوية عظيمة في محافل السماء. والمسرات التي نحصل عليها من يد الله في المسيح، هي أبدية وليست وقتية. والمُحْزَنُ هُنَا، أنه حتى بعض المسيحيين يستبدلون مسرات الله الأبدية بمباهج الخطيئة الوقتية. من الرائع أن ندرك أن أفراح الله الأبدية لنا أعظم بكثير من أفضل ما يُقدِّمه العالم. إنها اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي تكلم عنها المسيح.

لنفرح بالرَّبِّ، ونبتهج بعظيم خلاصه الذي حققه من أجلنا. صلاتي أن تتحقق رغبة بولس لمؤمنني فيلبي ٤: ٤ في حياتنا واختبارنا الروحي حيث يقول "أَفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: أَفْرَحُوا". جاء يسوع ليُكْمِلَ فرحنا، فلنشكره على عظيم محبته وسيعود عن قريب لنفرح بلقياه ونكون بصحبته إلى أبد الدهور. آمين.

فوائد صحية للتدريب

"أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدْ امْتَرْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا."

(مزمو ١٣٩: ١٤)

تأمل داود كيف أن الله نسجه في رحم أمه، ففاض لسانه بتسبيح عظمة الخالق فيما خلق. كما لاحظ بشكل خاص قوة خليفة الله التي تفوق استيعاب العقل البشري. أبدع الخالق في صنعه لجسم الإنسان، فالقلب، على سبيل المثال، يدق ٧٠ مرة في الدقيقة، ويضخ حوالي ٧,٥٠٠ لتر باليوم. والجسم يحتوي على حوالي ١٠٠ تريليون خلية، أما الدماغ، فيحتوي على ١٠٠ بليون خلية عصبية. لو نظرنا إلى الخليتين لوجدنا أنها تتعامل مع حوالي ١٢٣ لتر من الدم يوميًا لتصفية الفضلات والماء.

أدرك داود أن خليفة الله لك ولي كانت رائعة ومميّزة، حيث لا يوجد شخصان متطابقان تمامًا في صفاتهما وتركيبتهما جسمهما، وافتنع تمامًا أن الله قد صنعه بإعجاز مدهش فكتب يقول "ما أعجب أعمالك ونفسي تعلم ذلك يقينًا". بعد هذا اليقين، يعلن ولائه لخالقه العظيم. وفي نهاية المزمور، يدعو ليمتحن قلبه، ويهديه لطريقه الأبدي. نحن خلّاق الله وصنع يده، ولم نولد من أصل آخر أو نتطور من خلّاق مُتدنية كما يدعي مؤيدو نظرية النشو والارتقاء. هل تحمد اسم الله جابلك أنك قد كوّنت بامتياز، وتشكره لأنه اختار جسد إنسان، وولد بلا خطية، كي يفتدي الجنس البشري الخاطيء، أبدع الله في تكوينك فكنّت تحفة من صنع يديه. وعن قريب، ستكتمل صورة الله فينا من جديد، حين سيمحننا يسوع عند مجيئه ثانية جسدًا مُمجّدًا مثله.

بعد عقود من دراسة فوائد التدريب الصحية، وجدوا ١٠ ميزات صحية نبدأها (١) يُنقص مستوى التوتر في الجسم بتخفيض هرمون التوتر "الكورتيزول" حيث يختلط مع اللعب بعد التدريب، مما يعني شعور الناس بالاسترخاء بعد التسبيح، خاصة إذا كان مكان التدريب في جو الكنيسة الهادي. (٢) يُنشّط جهاز المناعة في الجسم ويُساعد على مقاومة الأمراض. ينطبق ذلك على التدريب وسماع الموسيقى الروحية. كما يرفع التدريب مستويات "الأمينوغلوبيولين أ" مُضاد حيوي يُساعدك لتقاوم الالتهابات. استمع للموسيقى ورتّم كثيرًا.

(٣) سماع الإنسان للموسيقى يعمل على تحفيز المخ على إفراز مادة "الإندروفين"، التي تخفف الإحساس بالألم والقلق، وتقلل الكآبة التي من شأنها أن تقلل نشاط العقل وإعاقة قدرته على التخطيط وتنفيذ المهام، وتساعد الموسيقى الهادئة على زيادة مستويات السيروتونين في الدماغ، التي تساعد في التخفيف من الشعور بالتوتر.

(٤) قد تحسّن الشخير. التدريب المنتظم قد يُغيّر طريقة التنفس، حتى خارج أوقات الترتيل. في بحث تم سنة ٢٠٠٨ تبين أن أعضاء جوقة التدريب القليل جداً منهم يشخرون، مما أوصى التدريب المنتظم كعلاج قد يُساعد في الشخير. ينطبق ذلك أيضاً على لاعبي الآلات الموسيقية.

(٥) يُحسّن أداء الرئتين، وذلك عن طريق التنفس العميق للمُرنمين، وضبط عضلات الجهاز التنفسي، فهذا يُحسّن بعض حالات الرئة والتنفس. الترتيل أيضاً يزيد من كمية الأوكسجين في الدم، إلى جانب تأثيره الإيجابي بشكل عام.

(٦) يُطوّر الإحساس بالانتماء والترابط الاجتماعي. يبدو ذلك واضحاً على أعضاء جوقة التدريب، الذين تربطهم أواصر الصداقة والمحبة. (٧) يُحسّن الذاكرة لدى مريض فقدان الذاكرة. وهذا كان واضحاً حيث تذكروا الألحان إلى جانب ذكريات من الحياة. (٨) يُخفف الحزن خصوصاً الناتج عن فقدان عزيز لديك. وقد دلت دراسة أن الحزاني من أفراد جوقة التدريب قد تحسّنت حالتهم كثيراً بعد مرور ٣ أشهر.

(٩) يُساعد في تحسين الصحة العقلية والمزاج. في ورشات عمل علاجية، تبين أن التدريب قد حسّن صحتهم العقلية وحالتهم النفسية أيضاً. (١٠) يُساعد في تحسين قدرات التكلم. يُثير التسبيح بعض أجزاء الدماغ المسؤولة عن النطق. أحمّدك ربي وأسبح اسمك على هبة التسبيح، لأبقى شاكرًا لك عظيم إحساناتك لي.

قُوَّةُ التَّسْبِيحِ

"اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرْتِيمٍ." (مزمو ١٠٠: ٢)

يدعوننا مزمو ١٠٠ هذا، إلى عبادة الله بِفَرَحٍ، وشُكْرِهِ على عَظَمَتِهِ وَقُوَّتِهِ، كما يَحْتُنَا على الحَمْدِ- واضعين جانباً ما يُعَيِّنُنَا عن تسبيح اسمه القُدوس بقلب مملوء بالسُرور. نَعْبُدُهُ في جَدَّةِ الرُّوح والحياة كَرَبَّنَا وفادينا، نَفْرَحُ بِخِدْمَتِهِ، وَنُثِقُ بِهِ بعيداً عن أي اتكال على الجَسَد. لِنُقْبِلْ إلى عَرَشِ النِّعْمَةِ شاكرين المسيح على مراحمه علينا، نهتِفُ له. "لأنَّ الرَّبَّ إِلَهُ عَظِيمٌ مَلِكٌ كَبِيرٌ على كُلِّ الْآلِهَةِ" (مزمو ٩٥: ٣).

إنَّه امتياز عظيم أن نخدم رَبَّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ بِإِيمَانٍ وَفَرَحٍ، كما وَصَفَ بولس في رومية ١٤: ١٧ ملكوت الله بالبرِّ والفرح "لأنَّ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللَّهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بَرٌّ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِّ".
يُعَرِّفُ التَّسْبِيحُ بأنَّه الرضى والتعظيم، فعندما نُسَبِّحُ، نُمَجِّدُ، وَنَعْبُدُ. نَحْتَفِلُ وَنُبَارِكُ شَخْصاً أَوْ شَيْئاً ما. يَأْتِي السُّؤَالُ: "عندما نُقَدِّمُ الحَمْدَ، لِمَنْ نُوَجِّهُ تَسْبِيحَنَا؟". كَمَسِيحِيِّينَ، نُمِيزُ اللَّهَ كخالقنا وَرَبَّنَا، وَنُوَجِّهُ كُلَّ الحَمْدِ لَهُ، فهو وَحْدَهُ يَسْتَحِقُّ كُلَّ التَّعْجِيدِ. نَحْمَدُهُ لِأَجْلِ مراحمه اللامتناهية، بركاته الكثيرة علينا، وَلُطْفِهِ مِنْ نَحْوِنَا. الرَّبُّ صَالِحٌ لِأَنَّ إِلَى الأبدِ رَحْمَتُهُ. وَمَعَ هُموم الحياة وتحدياتها، قد لا نشعرُ بِرَغْبَةٍ في تسبيح مسيحننا، ظَنًّا مِنَّا أَنَّهُ قد نَسِينَا، لكنَّهُ يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّهُ معنا إلى انقضاء الدهر.

لَمْ لَا نُقَرِّرُ الآنَ تركيز أنظارنا على يسوع الحبيب، وَنَحْمَدُهُ يَوْمِيَّاً مهما كان ما نُعَانِيهِ في تِلْكَ اللحظة. سَتَبْدَأُ هُموم الحياة تُرْخِي قبضتها علينا، حيثُ نجدُ قُوَّةً في إدراكِ بَأَنَّ اللَّهَ مُسْتَحِقُّ كُلِّ عبادتنا وتَسْبِيحنا. وَإِذْ نَقْتَرِبُ مِنْهُ، تُصْبِحُ قُلُوبُنَا في انسِجَامٍ مع خالقنا وَمَلَكُنَا. نَنْظُرُ معاً إلى بعض الأسباب لتسبيح الله: يَأْخُذُ التَّسْبِيحُ تسليط الضوء على ذواتنا وَيُوَجِّهُهُ إِلَى المسيح.

يُرِيدُ أَنْ نُبْقِيَ أنظارنا مُثَبَّتَةً في المحبوب يسوع، لِأَنَّهُ مصدر رجائنا الحقيقي. وَلَا عَجَبَ أَنْ قَالَ داود في مزمو ١٢١: ٢١
"أَرْفَعُ عَيْنِي إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي! مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ".
يَأْتِي بِنَا التَّسْبِيحُ إلى مكان التواضع، ونحن نتذكّر اعتمادنا على الله، وَنَقْرُ بِحَاجَتِنَا إِلَيْهِ. نَدْرُكُ في تواضعنا أَنَّهُ ما زال مُهَيِّمِنَا على الكون وعلى حياتنا، وفي هذا يَصْدُقُ ما قَالَه الرسول يعقوب ٤: ١٠ "اتَّضَعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ". التَّسْبِيحُ يجعلُ إبليس يَهْرُبُ، حيثُ لَا يُمكنه البقاء في وسط التَّسْبِيحِ حيثُ الله يُحَامِي عَنَّا وَيُعْطِينَا الانتصار. يقول الرسول يعقوب في رسالته ٤: ٧ "فَاخْضَعُوا لِلَّهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ".

لَا يَتْرُكُ تسبيح يسوع مجالاً للتذمُّرِ والسلبية، حيثُ مِنْ خِلالِهِ، يكون تركيزنا على الله، وَلَا نَسْمَحُ أَنْ يَنْصَبَّ اهتمامنا على صراعاتنا اليوميَّة. فهو -لَهُ المجد- عالم بما يُضَاقِقُنَا ويهتم بِكُلِّ أَحْمَالِنَا. أدرك هذه الحقيقة صاحبُ المزامير ١٠٣: ٢-٤ فقال مُبَارِكَا اللَّهَ "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلَا تَنْسِي كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكَ. الَّذِي يَقْدِي مِنَ الْخُفْرَةِ حَيَاتَكَ. الَّذِي يَكُلِّلُكَ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ". يَفْتَحُ التَّسْبِيحُ الطَّرِيقَ لَوْصُولِ بَرَكَاتِ اللَّهِ لِحَيَاتِنَا ونحن نَتَلَمَّسُ حضوره في وَسْطِنَا.

يهيئُ بِنَا المَرْتِمُ في مزمو ١٠٠: ٤وه أَنْ نَدْخُلَ دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ "ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ بِحَمْدٍ، دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ. اَحْمَدُوهُ، بَارِكُوا اسْمَهُ. لِأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ، إِلَى الأبدِ رَحْمَتُهُ، وَإِلَى دَوْرٍ قَدُورٍ أَمَانَتُهُ". يدعوننا الرَّبُّ يسوع لَنَكُونَ في حُضُورِهِ، وَنَعْمُ بِسَلامِهِ حيثُ وعدنا بِسَلامِهِ حيثُ يقول: "سَلاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلامِي أُعْطِيكُمْ" (يوحنا ١٤: ٢٧).

يَا رَبُّ، رَغْبَةُ قَلْبِي هِيَ تَسْبِيحُكَ، أَتَوَقُّ إلى حضوركَ في حياتي، وَأُنَالُ بِرَكَاتِكَ يَوْمًا بعدَ آخَرٍ، إلى اليومِ الَّذِي أَرَاكَ فِيهِ آتِيًّا عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. هُنَاكَ يَكْتَمِلُ فرحي وَأَنَا أُسَبِّحُ اسْمَكَ أَبَدَ الدَّهُورِ آمِينَ.

التسبيح وداود

"لِذَلِكَ أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ فِي الْأُمَمِ، وَأُرَتِّمُ لاسْمِكَ. بُرْجُ خَلَاصٍ لِمَلِكِهِ، وَالصَّانِعُ رَحْمَةً لِمَسِيحِهِ،
لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ إِلَى الْأَبَدِ." (مزمو ١٨ : ٤٩ و ٥٠)

يكتُبُ داود في مزمو ١٨ عن قُوَّةِ اللَّهِ في تَخْلِيصِهِ مِنْ يَدِ أَعْدَاءِهِ، حَيْثُ تَرَدُّ فِكْرُهُ الْإِنْقَازَ أَوْ الْخَلَاصَ ٧ مَرَّاتٍ فِي هَذَا الْمَزْمُورِ. اللَّهُ إِلَهُ خَلَاصٍ عَظِيمٍ، وَلَا عَجَبَ، أَنْ يَفِيضَ لِسَانُ دَاوُدَ بِتَسْبِيحِ اسْمِ الْمَخْلَصِ لَيْسَ فِي مَحْضَرِ الْأَتْقِيَاءِ مِنْ شَعْبِهِ، بَلْ بَيْنَ الْأُمَمِ أَيْضاً، كَيْ يَعْرِفُوا مَنْ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقِيقِيُّ الْحَيُّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. قَبْلَ صُعودِ الرَّبِّ يَسُوعَ إِلَى السَّمَاءِ، أَوْصَى تَابِعِيهِ أَنْ يَذْهَبُوا لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ، وَيَكْرِزُوا بِأَخْبَارِ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ.

قَدْ لَا نَجِدُ مِنْ حَوْلِنَا، أَخْبَاراً مُفْرَحَةً، يَبْقَى وَاجِبُنَا كَمَسِيحِيِّينَ أَنْ نُعْلِنَ عَنْ مَحَبَّةِ فَادِينَا، وَأَنْ نُشَارِكَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ بِعُودَةِ مَسِيحِنَا الْحَيِّ لِيُؤَسِّسَ مَلَكُوتَ الْمَجْدِ، وَيَأْخُذَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ. فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رومية ١٥ : ٩ يَقْتَبِسُ بُولسُ الْآيَةَ أَعْلَاهُ وَيُطَبِّقُهَا عَلَى تَجْدِيدِ الْأُمَمِ حَيْثُ كَانَ هُوَ شَخْصِيّاً رَسُولَ الْأُمَمِ فيقول: "وَأَمَّا الْأُمَمُ فَمَجَّدُوا اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ سَأَحْمَدُكَ فِي الْأُمَمِ وَأُرَتِّلُ لاسْمِكَ".

وَيَدْعُو الْأُمَمَ إِلَى التَّهْلِيلِ مَعَ شَعْبِ اللَّهِ لِأَجْلِ مَرَاكِمِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي شَمَلَتْهُمْ أَيْضاً. كَمَا يَتَكَلَّمُ بُولسُ فِي ١ تَسَالُونِيكِي ١ : ٩ عَنْ رُجُوعِ الْبَعْضِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ الْحَيِّ الْحَقِيقِيِّ. وَإِذْ نُذِيعُ بَشَارَةَ الْخَلَاصِ بَيْنَ الْأُمَمِ، نَأْمَلُ أَنْ نَجِدَ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَتَخَلَّوْنَ عَنْ طُرُقِ الْخَطِيئَةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُخْلِصُهُمْ، وَيَخْدُمُونَهُ بِفَرَحٍ.

عَزِيزِي، هَلْ اخْتَبَارُكَ الرُّوحِيِّ يَفِيضُ بِالْفَرَحِ، وَإِذْ تَجِدُ نَفْسَكَ بَيْنَ الْعَابِدِينَ أَمْثَالِكَ، هَلْ تَشْعُرُ بِتَسْبِيحِ فَادِيكَ الْمَسِيحِ لِعَظِيمِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّضَحِّيَةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا نَحْوُكَ؟ حَانَ الْوَقْتُ كَيْ نُقَوِّي حَيَاةَ الصَّلَاةِ فِينَا بِحَيْثُ يُصْبِحُ التَّسْبِيحُ جُزْءاً أَسَاسِيّاً مِنْهَا. دُعِيَ الْمَلِكُ دَاوُدَ "بِإِنْسَانٍ بِحَسَبِ قَلْبِ اللَّهِ". وَقَدْ رَنَّمَ مَا يُقَارِبُ نَصْفَ الْمَزَامِيرِ، فَنَرَاهُ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي كُلِّ حِينٍ، حَتَّى عِنْدَمَا كَانَ مُخْتَبِئاً فِي كَهْفٍ هَرَباً مِنَ الْمَلِكِ شَاوُلَ. لَدِينَا الْكَثِيرُ لِنَتَعَلَّمَهُ مِنْ اخْتِبَارِ دَاوُدَ خُصُوصاً اقْتِرَانِ التَّسْبِيحِ بِالصَّلَاةِ. يَبْقَى هَدَفُ الْإِنْسَانِ هُوَ تَمْجِيدُ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ تَسْبِيحِهِ، وَتَذَوُّقُ حَلَاوَةِ السَّيْرِ مَعَهُ هُنَا، اسْتِعْدَاداً لِلْعَيْشِ مَعَ الْمَسِيحِ فِي السَّمَاءِ عَنْ قَرِيبٍ، وَالانْضِمَامَ إِلَى جَوْقَةِ التَّرْنِيمِ السَّمَاوِيَّةِ، حَيْثُ سَنَقْضِي جُزْءاً كَبِيراً مِنْ وَقْتِنَا بِتَسْبِيحِ اسْمِ فَادِي نَفْسِنَا هُنَاكَ.

وَإِذْ نُنْصِيحُ شَعْبَ تَسْبِيحٍ، تَبَرُّزْ ٣ أُمُورَ يُمَكِّنُ أَنْ نَتَعَلَّمَهَا مِنْ اخْتِبَارِ دَاوُدَ فِي مَزْمُورِ ١٨ . ١- كَيْفَ نَصِلُ إِلَى طَرِيقِ مَسْدُودٍ لَا نَسْتَطِيعُ مَعَهَا أَنْ نَرَى نِهَآيَةَ التَّنَقُّقِ. ٢- نَلْتَجَأُ إِلَى اللَّهِ كَمَلَجاً لَنَا. ٣- نُعَبِّرُ بِالتَّسْبِيحِ عَنْ عَظِيمِ شُكْرِنَا لِخَلَاصِهِ. نَجِدُ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَزَامِيرِ.

وَاجِهَ دَاوُدَ أَوْقَاتَ ضَيْقٍ مَرِيرَةٍ فِي حَيَاتِهِ، عَبَّرَ عَنْهَا بِأَرْقِ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ مِنْ حُزْنٍ وَخَوْفٍ وَضَيْقٍ رَنَّمَهَا فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَزَامِيرِ، فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ فَرَحٍ وَتَهْلِيلٍ بِقُوَّةِ خَلَاصِ الرَّبِّ لَهُ وَنَجَاتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ. وَلَكِي نُدْرِكُ عُمُقَ مَا مَرَّ بِهِ مِنْ تَجَارِبٍ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَمُؤِيلَ مَسَحَهُ مَلِكاً فِي صِبَاهٍ، وَصَارَ مَلِكاً عَلَى كُلِّ الْمَمْلَكَةِ عِنْدَمَا صَارَ عُمُرُهُ ٣٧ عاماً. تَعَلَّمَ الْكَثِيرُ فِي مَدْرَسَةِ الْأَلَمِ دُرُوساً أَرَادَهُ اللَّهُ أَنْ يَعْرِفَهَا.

تَحْكِي الْقِصَّةَ فِي الصِّينِ عَنْ عِدَّةِ أَشْخَاصٍ مَسِيحِيِّينَ كَانُوا يَسْبَحُونَ فِي نَهْرٍ، فَبَدَأَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِالْعَرَقِ. عَلَا صُرَاخٌ مِنَ الشَّاطِئِ يَطْلُبُ مِنْ مُنْقِذٍ كَانَ يُرَاقِبُ مَا يَجْرِي، أَنْ يَقْفِرَ لِنَقَازِ الْغَرِيقِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ، وَبَقِيَ فِي مَكَانِهِ. زَادَ الصُّرَاخُ حِدَةً، ائْتَمَرُ الْمُنْقِذُ حَتَّى اسْتَسَلَّمَ الْغَرِيقَ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ، عِنْدئِذٍ، نَزَلَ إِلَى الْمَاءِ وَفِي دَقَائِقَ عَادَ بِالْغَرِيقِ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ. عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ السَّبَبِ أَجَابَ: لَوْ نَزَلْتُ قَبْلَ الْوَقْتِ لَأَغْرَقَنِي الرَّجُلُ مَعَهُ، لَكِنْ عِنْدَمَا تَوَقَّفَ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ، أَنْقَذَتْهُ بِسُهُولَةٍ. أَسْلِمَكَ رَبِّي يَسُوعَ حَيَاتِي، أَنْقِذْنِي مِنْ خَطَايَايَ كَيْ أُسَبِّحَكَ دوماً.

تسبيح في كُلِّ الظروف

"أَبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِمًا تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي." (مزمو ٣٤: ١)

البركة والمجد والكرامة والتسبيح للخالق العظيم، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالشُّكْرُ لاسْمِهِ الْقُدُّوسِ عَلَى نِعَمِهِ وَمَرَامِهِ الَّتِي تَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ، وَتَسْتَمِرُّ الْيَوْمَ كُلَّهُ. نَحْمَدُهُ فِي أَوْقَاتِ الرِّخَاءِ وَفِي الضِّيقِ، حَيْثُ وَنَحْنُ مَعَهُ نَتَلَمَّسُ رَحْمَتَهُ فِي كُلِّ مَا يَحْدُثُ، وَنُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الْمَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. يُرِيدُ دَاوُدُ هُنَا أَنْ يَبْقَى تَسْبِيحَ الرَّبِّ عَلَى لِسَانِهِ دَائِمًا، وَفِي قَلْبِهِ وَيَلْهَجُ بِهَذَا التَّسْبِيحِ فِي كُلِّ ظُرُوفِ حَيَاتِهِ. يَحْمَدُ الْآبَ الَّذِي اسْتَجَابَ لَهُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ كُلِّ مَخَافَةٍ. أَدْرِكُ عِدَدَ الْمَرَّاتِ الَّتِي حَمَاهُ اللَّهُ فِيهَا، وَأَعْطَاهُ الْإِنْتِصَارَ عَلَى أَعْدَائِهِ، لِهَذَا السَّبَبِ كَتَبَ دَاوُدُ هَذَا الْمَزْمُورَ. صَمَّمَ دَاوُدُ عَلَى تَسْبِيحِ اللَّهِ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ حَتَّى الْمُؤَلِّمَةِ مِنْهَا، حَيْثُ رَأَى يَدَ النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ تَنْتَشِلَانِهِ، وَتُدْخِلَانِ الْعِزَّاءَ فِي الْحُزَنِ، وَالْعَوْنَ لِمُوَاجَهَةِ كُلِّ تَحَدٍّ حَيَاتِيٍّ. وَاجَهَ الرَّسُولُ بُولُسُ ظُرُوفًا مُشَابِهَةً لِدَاوُدَ حَيْثُ كَانَ فِي سَجْنٍ دَاخِلَ بَيْتِهِ وَمُقِيدٍ بِسِلَاسِلٍ تَحْتَ حِمَايَةِ جُنْدِي رُومَانِيٍّ، وَلَمْ يَفْرَحْ وَيُرْنَمْ دَاخِلَ سَجْنِهِ وَحَسَبَ، بَلْ دَعَا مُؤْمِنِي فِيلِبِّيَّ أَنْ يَفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ. عِنْدَمَا نُسَبِّحُ الْآبَ السَّمَاوِيَّ وَنُجَدِّ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ، يَتَغَيَّرُ تَرْكِيزُنَا مِنْ هُمُومِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، إِلَى مَا عَمِلَهُ الْمَسِيحُ لَنَا بِخِلَاصِهِ الْعَجِيبِ، مِمَّا يُعْطِي تَوَازُنًا لِمَا نَقُولُهُ وَنَعْمَلُهُ.

وَاحِدٌ مِنْ أَهَمِّ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي تُؤَهِّلُنَا لِلسَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْمَلَكُوتِ، هِيَ تَعَابِيرُ التَّسْبِيحِ. تَبْدَأُ الصَّلَاةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِجَوْ مِنْ الْعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ" (لوقا ١١: ٢). أَمَّا الرَّائِي يُوْحَنَّا فَعَاشَ فِي أَجْوَاءِ التَّسْبِيحِ، وَسَمِعَ صَوْتًا مِنْ عَرْشِ اللَّهِ قَائِلًا: "سَبِّحُوا لِإِلَهِنَا يَا جَمِيعَ عِبِيدِهِ، الْخَائِفِيهِ، الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ! وَسَمِعْتُ كَصَوْتِ جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَكَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، وَكَصَوْتِ رُعُودٍ شَدِيدَةٍ قَائِلَةً: "هَلِّلُويَا! فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ! لَأَنَّ عَرْسَ الْخُرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّاتَ نَفْسَهَا" (رؤيا ١٩: ٥ - ٧).

حَيْثُ أَنَّ جَوْ السَّمَاءِ يَتِمَّيزُ بِالتَّسْبِيحِ عَلَى الدَّوَامِ، هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَرْتَفِعَ أَصْوَاتُنَا بِتَسْبِيحِ رَبِّ الْمَجْدِ يَسُوعَ. يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ فِي ١ تِسَالُونِيكِي ٥: ١٦ - ١٨ مَا يَلِي "افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ. صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ".

تُخْبِرُنَا هَذِهِ الْآيَاتُ أَنَّ نَبْقَى فَرِحِينَ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَحْدُثُ فِي حَيَاتِنَا لِأَنَّ الرَّبَّ مَعُنَا، وَبِهِ نَنَالُ الْإِنْتِصَارَ مَهْمَا حَاوَلَ ابْلِيسُ أَنْ يُنْغِصَ حَيَاتِنَا. تَبْقَى الْحَقِيقَةُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ السَّيِّئَةَ الَّتِي تَحْدُثُ لَنَا لَيْسَ مَصْدَرُهَا اللَّهُ وَلَمْ يُرْسِلْهَا لَنَا. فَلْنُحَقِّقْ مَشِيئَةَ اللَّهِ فِي حَيَاتِنَا، وَنَفْرَحْ بِهَ مَهْمَا كَانَتْ الظُّرُوفُ. وَلْنَعْمَلْ بِمَا قَالَهُ يَعْقُوبُ "فَاخْضَعُوا لِلَّهِ، قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبُ مِنْكُمْ".

صَلَاتِي أَنْ يُقَوِّيَ الرَّبُّ يَسُوعَ رُوحَ التَّسْبِيحِ فِي حَيَاتِنَا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، لَيْسَ فَقَطْ عِنْدَمَا تَكُونُ حَيَاتُنَا مَفْرُوشَةً بِالرِّيحِ، بَلْ عِنْدَمَا نَمُرُّ بِضِيقٍ فِي حَيَاتِنَا. أَخْطَأَ الْمَلِكُ دَاوُدُ عِنْدَمَا خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، وَأَقْرَبَ بَذَنْبِهِ. أَرْسَلَ لَهُ اللَّهُ النَّبِيَّ جَادَ بِثَلَاثَةِ خِيَارَاتٍ، فَكَانَ جَوَابُ دَاوُدَ فِي ٢ صَمُوئِيلَ ٢٤: ١٤ "قَدْ ضَاقَ بِي الْأَمْرُ جَدًّا. فَلْنَسْقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ، لِأَنَّ مَرَامَهُ كَثِيرَةٌ وَلَا أَسْقُطُ فِي يَدِ إِنْسَانٍ". يَبْقَى اللَّهُ إِلَهُ عَدْلٍ وَرَحْمَةٍ وَغَافِرٍ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

يَا رَبُّ، أَحْبَبْتُكَ، وَأَقْدَرُ رُوعَةَ الْخِلَاصِ الَّتِي حَقَّقَتْهُ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِي. أَنْتَ رَبِّي صَالِحٌ، وَتَعْتَنِي بِي. قَوِّي ثِقَتِي بِكَ، يَا مُخَلِّصِي، وَأَعْطِنِي أَنْ أَرَاكَ مِنْ جَدِيدٍ بَعِينِي الْإِيمَانَ. لِي يَقِينَ أَنَّكَ تُجَنِّبُنِي، وَأَنَّكَ سَتَسْتَجِيبُ لَصَلَاتِي كَمَا تُرِيدُ. أُرِيدُ أَنْ أَضُمَّ صَوْتِي إِلَى دَاوُدَ فِي صَلَاتِهِ "عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي وَلِنُعَلِّ اسْمَهُ مَعًا". لَكَ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالسُّجُودُ لَكَ سَيِّدِي الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ. آمِينَ.

صلاة الإيمان

"وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ." (متى ٢١: ٢٢)

نرى في هذه الآية وعد يسوع العظيم لتلاميذه، وينطبق مع ما كان المسيح يقوله عند الشفاء من المرض، أو إخراج الأرواح الشريرة. ففي شفاء نازفة الدم التي لمست هُذب ثوبه قال لها "ثقي يا ابنة، إيمانك قد شفاك". (متى ٩: ٢٢). وقال للمرأة الكنعانية التي شفى يسوع ابنتها "يا امرأة، عظيم إيمانك! ليكن لك كما تريد". فشفيَت ابنتها من تلك الساعة" (متى ١٥: ٢٨). أوضح المُخلص، أن الذين يُريدون من الله استخدام قُوته بطريقة مُحددة أن يكون لهم ثقة بقُدْرته أن يعمل بحسب ما طلبوه. "لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله" (لوقا ١: ٣٧).

يُظن كثير من المؤمنين أن يسوع بالنسبة إليهم مثل مصباح علاء الدين يُحقق طلباتهم حال ما يطلبونها، شرط أن يكون لديهم إيمان. تذكروا أننا مخلوقات وأبناء وبنات بالإيمان بالمسيح، وهو الله الخالق. ما عناه يسوع هو: "ثق بالله وقوته ليستجيب كما يُريد وبحسب مشيئته". يوضح الحبيب يوحنا في رسالته الأولى ٥: ١٤ معنى متى ٢١: ٢٢ فيقول "وهذه هي الثقة التي لنا عنده: أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا".

يُظهر ما قاله يوحنا أن استجابة الله لطلبنا يجب أن تكون أولاً ضمن مشيئته. لتتكر أعزائي أن الصلاة ليست ببساطة طلب أشياء، لكنها بالأحرى، فرصة للتواصل مع أبينا السماوي. تصوّر نوع العلاقة التي تُربطنا بالمسيح لو اقتصرَت على طلب أشياء منه؟ ستكون العلاقة ضعيفة ومن جانب واحد فقط.

هَدَف الصلاة هو التحدث إلى الله كما لصديق، وانتظار استجابته من خلال كلمته والروح القدس. نُقدّم لله رغباتنا وطلباتنا، شكرنا وحمدنا له، فيُغيّر قلوبنا لتكون على شبه قلبه. بهذه الكيفية تنسجم ارادتنا مع إرادته. يوضح الرسول يعقوب ٤: ٣ أن بإمكاننا أن نُصلي بطريقة خاطئة فيقول: "تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَاتِكُمْ". يعرف الله ما هو لخيرنا، ونحن لا نعرف ذلك بسبب خطايانا وكبريائنا ومحدودية إدراكنا، تصوّروا مأساة أن يمنحنا الله كل ما نطلب لننفقه على لذاتنا. ليست الصلاة الطلب من الله أن يُغيّر فكره بحسب فكرنا- لكن أن يُغيّر الله قلوبنا وعقولنا لتكون بحسب فكره، عندئذ طلباتنا ورغباتنا تُصبح جزءاً من إرادة الخالق.

الصلاة هي صلة حقيقية، وعلاقة حيّة وشركة روحية مع الله الآب، ومع ابنه يسوع المسيح. فمن يؤدي الصلاة كفرص يؤديها خوفاً من غضب الله واسترضاء لوجهه، فيمتلأ قلب الإنسان بعبودية الخوف والشك من السيد. أما من يمارس الصلاة، فإنما يمارس علاقة قلبية صادقة مع الله، خالية من عبودية الخوف والشك كما هو مكتوب "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرُح يا آبا الآب".

لذلك فصلاة المسيحي الحقيقي تقوده إلى شركة تلذذ مع الله فتُصبح حياته كلها صلاة يمارسها بروح البنوة والمحبة فيتصل بالآب السماوي في كل حين فتسمو حياته وتتقدس وتطهر وتمتلئ من معرفة مشيئة الله

"في كل حكمة وفهم روحي" وعلاقة البنوة والمحبة في قلب المؤمن "تطرح الخوف إلى خارج". وتعطي الإنسان ثقة وفرحاً وانتظاراً في صلاته. صلي عزيزي بإيمان، صلي بقلب غيور لإرضاء المسيح. صلي وسلّم عقلك لله الذي يعرف الأفضل لك. صلي طالباً إرادة الله أن تتحقق لرغباتك كي تكون ضمن مشيئته.

صلي بلا انقطاع وبحرارة، وراقب ما الذي يعملهُ الله. قد لا يكون كما أردت أنت، وفي معظم الوقت تكون كذلك. الشكر لك يا إلهي أنك إله محبة تُريدني أن أعيش لمجدك، وتستجيب لصلاة الإيمان، أعطني القوة لأعيش لمجدك وأراك في عودتك على سحاب المجد، وأفرح بالعيش معك أجيال الأبدية السعيدة.

يسوع مثالنا في الصلاة

"وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ." (لوقا ٦: ١٢)

يبدأ الأصحاح السادس من إنجيل لوقا بنقاش بين المُخْلِصِ والفَرِيسِيِّينَ، حَوْلَ امكانية الشفاء يوم السَّبْتِ. كان رجل في المجمع يده يابسة، وقد شفاه يسوع بعد أن أكَّد لهم أنه يحلُّ فعل الخير وتخليص نفس في هذا اليوم المقدَّس. وفي الآية أعلاه، نرى السيِّد المسيح يخرجُ إلى الجبل ليَقْضِيَ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِالصَّلَاةِ لِلَّهِ. في الآية التي تليها نقرأ في لوقا ٦: ١٣ "وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا رُسُلًا".

كَتَبَتِ الْأَخْتُ هَوَايَتِ عَنْ هَذَا الْحَدَثِ مَا يَلِي: "عَرَفَ الْمُخْلِصُ صِفَاتِ الرِّجَالِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ، إِذْ كَانَتْ كُلُّ ضَعْفَاتِهِمْ وَأَخْطَائِهِمْ مَكْشُوفَةً أَمَامَهُ، كَمَا عَرَفَ الْمَخَاطِرَ الَّتِي كَانُوا سَيَجُوزُونَ فِيهَا وَالتَّبَعَاتِ الَّتِي سَتَلْقَى عَلَى كَوَاهِلِهِمْ. وَكَانَ قَلْبُهُ يَجُنُّ إِلَى أَوَّلِكَ الرِّجَالِ الْمُخْتَارِينَ. وَقَدْ قَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ وَحْدَهُ مُصَلِّيًا لِأَجْلِهِمْ حِينَ كَانُوا هُمْ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. وَعِنْدَمَا بَزَغَ نَوْرُ الْفَجْرِ، دَعَاهُمْ لِمُقَابَلَتِهِ إِذْ كَانَ هُنَالِكَ أَمْرٌ هَامٌ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ" (روح النبوة، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صفحة ٢٦٧ و ٢٦٨).

لَمْ تَكُنْ مُصَادَفَةً أَنْ يَكُونَ اخْتِيَارُ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ قَبْلَ الْعِظَةِ "فِي السَّهْلِ" الْوَارِدَةِ فِي لُوقَا ٦: ١٧-٤٩ حَيْثُ يُوضَحُ الْبَشِيرُ لُوقَا أَنْ تِلْكَ الْعِظَةُ كَانَتْ مُوجَّهَةً إِلَى تَلَامِيذِهِ. وَنَظَرًا لِهَذَا الْحَدَثِ الْمُهِّمِ فِي نَشْرِ الْكِرَازَةِ، وَتَأْسِيسِ كَنِيسَتِهِ مُسْتَقْبَلًا، قَضَى يَسُوعَ اللَّيْلَ بِأَكْمَلِهِ عَلَى الْجَبَلِ فِي الصَّلَاةِ. اخْتَارَ الْفَادِي الْجَبَلُ بَعِيدًا عَنِ الْمَجْمَعِ وَالْبُلَدَاتِ وَالنَّاسِ لِيَنْفَرِدَ بِالْأَبِ السَّمَائِيِّ طَالِبًا الْبَرَكَةَ لِأَحْبَائِهِ التَّلَامِيذِ. تَمْتَازُ مَنَاطِقَةُ الْجَلِيلِ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْجِبَالِ، الَّتِي تَصْلُحُ كَأَمَاكِنَ لِلْعِبَادَةِ لَا سِيَّمَا الْجَانِبَ الْجَنُوبِيَّ لِبَحْرِ الْجَلِيلِ، مِثْلَ جَبَلِ طَابُورٍ.

يُعْتَبَرُ السَيِّدُ الْمَسِيحُ مَثَلَنَا الْأَعْلَى فِي الصَّلَاةِ، حَيْثُ وَرَدَتْ آيَاتٌ وَمُنَاسَبَاتٌ عَدِيدَةٌ كَانَتْ فِيهَا يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ لِلصَّلَاةِ. لِذَلِكَ نَلْمَسُ أَهْمِيَّةَ الصَّلَاةِ فِي حَيَاةِ الرَّبِّ يَسُوعَ، الَّذِي تَرَكَ لَنَا مَثَالًا لِنَتَّبِعَ خُطَوَاتِهِ (١ بطرس ٢: ٢١).

فَلَقَدْ حَرَّصَ عَلَى يَذْهَبَ بَاكِرًا جَدًّا لِيُصَلِّيَ " وَفِي الصَّبْحِ بَاكِرًا جَدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ وَكَانَ يَصَلِّيَ هُنَاكَ". (مرقس ١: ٣٥). وَقَبِيلَ صَلَاتِهِ، صَلَّى بِحَرَارَةٍ فِي بُسْتَانٍ جَنَسِيْمَانِي أَنْ تَعْبُرَ عَنْهُ الْكَأْسُ لَكِنَّهُ طَلَبَ مَشِيئَةَ الْآبِ أَنْ تَتَحَقَّقَ فِيمَا طَلَبَ. وَطَلَبَ مِنْ تَلَامِيذِهِ قَائِلًا "صَلُّوا لَنَا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ" (لوقا ٢٢: ٤٦).

نَقْرَأُ فِي لُوقَا ٥: ١٥-١٦ "فَدَاعَ الْخَبْرَ عَنْهُ أَكْثَرَ. فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي". نَجِدُ هُنَا وَصْفًا لِحَيَاةِ الْإِنْشِغَالِ الَّتِي عَاشَهَا يَسُوعَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ بَرْنَامِجِهِ الْحَافِلِ بِالتَّعْلِيمِ وَالشِّفَاءِ، كَانَ الْمَسِيحُ يَعْتَزِلُ نَفْسَهُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي. لَمْ يَحْدُثْ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ عَادَةً تَكَرَّرَتْ مَرَارًا فِي حَيَاةِ رَبِّ الْمَجْدِ. وَكُلَّمَا زَادَتْ الْمَسْئُولِيَّاتُ، شَعَرَ الْمُخْلِصُ بِحَاجَةٍ كَبِيرَةٍ لِلصَّلَاةِ. هَذَا بِدَوْرِهِ يُوَضِّحُ لَنَا أَهْمِيَّةَ الصَّلَاةِ. وَهَذِهِ الْأَهْمِيَّةُ كَبِيرَةٌ جَدًّا لَدَرَجَةِ أَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحُ، ابْنُ اللَّهِ، كَانَ يَحْدُدُ لَهَا وَقْتًُا خَاصًّا، وَكَانَ هَذَا يَحْدُثُ حَتَّى عِنْدَمَا كَانَ مَشْغُولًا كَثِيرًا بِالنَّشِطَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْآخَرَى.

عَلِمَ يَسُوعَ أَنَّه سَيَكُونُ يَوْمًا مَشْغُولًا كَثِيرًا، وَمِنْ الْأَرْجَحِ أَنَّهُ لَنْ يَتَسَعَ لَهُ الْوَقْتُ لِيُصَلِّيَ. فَمَاذَا فَعَلَ؟ اسْتَيْقِظَ مُبَكِّرًا لِيُصَلِّيَ. أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَيْضًا طَرِيقَةً رَائِعَةً لَتَبْدَأَ يَوْمَكَ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ يَوْمًا مَشْغُولًا جَدًّا؟ عِوَضًا عَنْ أَنْ تَبْدَأَ يَوْمَكَ بِالتَّفْكِيرِ فِي ضَغُوطِهِ وَمُتَطَلِبَاتِهِ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْدَأَ بِمُنَاقَشَةِ هَذِهِ الضَّغُوطِ وَالْمُتَطَلِبَاتِ مَعَ أَبِيكَ، ثُمَّ، فِي خِلَالِ الْيَوْمِ، سَتُسَعِدُ عِنْدَ رُؤْيَاكَ لِقُدْرَتِهِ الْمُعِينَةِ وَهِيَ تَسْتَجِيبُ لَصَلَاتِكَ وَتَقُومُ بِتَرْتِيبِ أُمُورِ الْيَوْمِ مِنْ أَجْلِكَ.

رَبِّي، أَنْتَ مِثَالِي فِي حَيَاتِي، سَاعِدْنِي أَنْ أَعْتَبِرَ الصَّلَاةَ أَوْلَوِيَّةَ هَامَّةٍ فِي حَيَاتِي، تَمَامًا مِثْلَكَ، كَيْ أَنْعَمَ بِبَرَكَاتِكَ الْيَوْمِيَّةِ، وَأَعِيشَ لِمَجْدِكَ إِلَى أَنْ أُرَاكَ آتِيًّا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ، وَلَكَ التَّسْبِيحُ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

ضرورة الصلاة

"وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جَدّاً قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ." (مرقس ١: ٣٥)

بعد أن قضى يسوع يوم حافل بالتعليم والشفاء وإخراج الروح الشرير، إلى ساعة متأخرة من الليل، نام لساعات قليلة، وكما تقول الآية أعلاه نهض في الصباح الباكر جداً وذهب إلى موضع مقفر ليكون على اتصال مع أبيه السماوي. كان ذلك ما عمله قبل تجربة الشيطان له، وبدء رسالته العلنية، والأهم قبل صليبه وموته على الصليب. لا يختلف حال خادم الإنجيل الذي ينبغي أن يقضي وقتاً في قراءة كلمة الله، والصلاة، والتأمل في نوع العمل الذي يطلبه منه السيد الرب، قبل أن يخدم حاجات رعيته الروحية.

في ذلك الصباح الباكر، صلى المسيح أن يعطي الآب قوة لتلاميذه الذين سيختارهم، ويُنجح خدمتهم في نشر الإنجيل، وتمجيد اسم الله عالياً. فهم له المجد أهمية قضاء وقت في خلوة روحية وحيداً مع أبيه السماوي. يا له من مثال عظيم لنا. لا عذر لدينا عندما لا نقضي وقتاً كافياً مع الله كل يوم. وعندما نكون في محضر القدوس، نتغير من الداخل، ونجد الشفاء والنمو الروحي، ننال توجيهات الله، وتزداد أواصر المحبة بيننا. كانت الصلاة سر قوة يسوع في خدمته، وهي من نصيبنا إذا تبعنا مثاله.

من الضرورة القصوى ألا نهمل الصلوات الفردية، لأنها المفتاح الرئيسي لكل باب يقود للمسيح، وخلصه وغزير بركاته. يؤكد الرسول بولس في رومية ضرورة الصلاة لنيل الخلاص الشخصي فيقول "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص" (رومية ١٠: ١٣). يقتبس بولس ما قاله النبي يوشع ٢: ٣٢ بأن كل من يدعو باسم الرب ينال الخلاص، وقد حقق بهذا الاقتباس أمران ١- تأكيد الحقيقة بأن المسيح، رب الجميع، يعطي الجميع بحسب غناه. يعني بذلك الذين يضعون إيمانهم بالكامل في المسيح، وليس الذين يدعون باسمه دون إيمان حقيقي فيه. ٢- إن الرب يسوع هو إله العهد القديم لجميع الذين يدعون باسمه بإيمان من اليهود والأمم.

تساعدنا الصلاة أيضاً في تطوير نمونا الروحي إذ نتفهم كلمة الله جيداً، حيث نكره العصيان والتعدي، ونميل لحب الأمانة. بهذا، نتغير تدريجياً لنشابه مخلصنا الحبيب يسوع. وعن ضرورة الصلاة للوقوف ضد مكايد إبليس، صرح المسيح لتلاميذه "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فتنشط وأما الجسد فضعيف" (متى ٢٦: ٤١). ركز المخلص على أهمية الصلاة، إذ بدونها تصبح مقاومتنا ضد هجمات إبليس ضعيفة. يريدنا الله أن نحصل على الأشياء ذات الفائدة الروحية لنا، ويشجعنا على طلبها، يوضح يعقوب ٤: ٢ هذه النقطة فيقول "تشتهون ولستم تملكون. تقتلون وتحسدون ولستم تقدر أن تنالوا. تحاصمون وتحاربون ولستم تملكون، لأنكم لا تطلبون".

أما يسوع فيعتبر الصلاة ضرورة لنيل فرحنا الكامل في يوحنا ١٦: ٢٤ "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً". كما أن الصلاة ضرورية للحصول على النعمة والرحمة حيث نقرأ في عبرانيين ٤: ١٦ "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه". يحثنا رئيس كهنتنا يسوع أن تكون لنا ثقة في القدوم إليه للصلاة. علم الرب أن عمله عظيم، وود لو يقدر أن يشفي جميع مرضاهم، ولكن بدون صلاة يستحيل العمل.

علينا أن نتمسك بهذا المبدأ ونعيه أكبر اهتمام. كثيراً ما تكون الصلاة أهم من العمل حتى عمل الرب، ومن المؤسف أن العمل والانهماك، حتى في حاجات المؤمنين يقف عائقاً في طريق صلواتنا، لا وقت للصلاة لأن العمل كثير؟ والحق أن كثيراً منا يجدون الصلاة أمراً صعباً، والقليلون يجدون لذة فيها. أليس من المؤسف أن نهمل واجباً دعانا إليه الله بالحاج ونحن نعلم أنه يسر به؟ أملي أعزائي أن نرى ضرورة الصلاة في حياتنا، ونعطيها الأولوية لننمو في محبة فادينا كل يوم استعداداً لملاقاته عن قريب، وننعم بصحته على الدوام.

صلوات بولس

"لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَّصِلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلءِ اللَّهِ." (أَفْسُس ٣: ١٧-١٩)

رأى الرسول بولس قيمة فهم المؤمنين لمحبة يسوع التي تفوق المعرفة والوصف، في الوقت ذاته، نستطيع أن نقنع ونمتلئ بها. يمكننا أن نتأمل بها رغم أنها تفوق الإدراك، وتعرف إلى أعماقها عندما ننظر إلى تضحية الآب السماوي بابنه من أجلنا، وما قام به المسيح طوعاً بتقديم حياته لخلصنا. بنفس الطريقة، يزداد إدراكنا لمحبة الله نحو الآخرين، مما يساعدها أن نحبههم أيضاً. كلما أدركت ظروفك، ازداد تعاطفاً معك وعونا لك.

أراد بولس أن ترتبط محبة مؤمني أفسس بالمعرفة وعمق الإدراك، ليكونوا قادرين على تمييز ما هو الأفضل لهم. ليس من السهل دائماً معرفة ما هو أفضل، لكن كلما ازدادت محبتنا نمواً في المعرفة وعمق الإدراك، نكون أكثر قدرة على حب الآخرين. هذا ما تمناه الرسول بولس لأعضاء كنيسة أفسس ولنا، أن يزداد حبنا لله والآخرين، راجياً أن نضم صوتنا إليه ونصلي أن تزداد محبتنا قوة كي نحقق ما طلبه يسوع في يوحنا ١٧ أن نكون واحداً معه كما هو واحد مع الآب. هذه هي أروع صور المحبة.

عمل بولس على تأسيس كنائس عديدة، وكتب لهم رسائل تحثهم على قوة الإيمان، منها كنيسة كولوسي ١: ٩-١٢ حيث لم ينقطع عن الصلاة لأجلهم طالباً أن يملأهم الله من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي. يُثني بولس على روعة إيمانهم بالمسيح ومحبتهم لبعضهم البعض، وأن ثمار الإنجيل قد أينعت بينهم في كل عمل صالح. يُريد بولس لمؤمني كولوسي، أن يمتلئوا بمعرفة إرادة الله. تأتي معرفة مشيئة الله بالنسبة لي، عندما تغمرني الرغبة في عمل مشيئته. أعني إلهي كي أعيش وفق مشيئتك بروح الطاعة كي أمتلأ منها. صلى بولس لكم ولي، أن تتغير على صورة المسيح، كي نسمح لشمس البر أن يشرق فينا ومن خلالنا.

مثال آخر من صلوات بولس نجده في فيلبي ١: ٩-١١ "وهذا أصلي: أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم، حتى تميزوا الأمور المتخالفة، لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح، مملوئين من ثمر البر الذي يبسوع المسيح لمجد الله وحمده".

تركزت صلاته على نمو وازدياد محبتهم للمسيح، وهذا ما نختبره في سيرنا مع يسوع، والتشبه به لنرى زيادة كبيرة في محبتنا لفادينا. تشمل صلاته جيل النهاية الذي نعيش فيه أن نكون مخلصين وبلا عثرة عند مجيء المسيح ثانية، كي نكون أهلاً لملاقاته في طريقنا إلى بيتنا السماوي. هذا رجائي لكم ولي أحبائي.

إذ وصل بولس إلى نهاية رسالته الأولى إلى كنيسة تسالونيكي ٥: ١٦-٢٤ أوصاهم بالفرح في كل حين، والصلاة بلا انقطاع، والشكر لله في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله من جهتك. لا تطفئوا الروح، ولا تحتقروا النبوات، امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن، وامتنعوا عن كل شبه شر. ثم يطلب قداسة إله السلام على أرواحهم ونفسهم وجسدهم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح.

عزيزي، هل تضم صوتك وتُصلي معي ومع بولس طالبا القداسة لحياتك وأنت تسير مع رب المجد يومياً؟ سيعود سيدنا المسيح ليكافئ كل واحد كما يكون عمله. وهل رجاء حياتك أن تصعد معه إلى أمجاده السماوية، وتسكن في المنازل التي مضى ليعدها لجميع محبيه؟ يسوع يحبك كما لو كنت الشخص الوحيد على كوكب الأرض، لمات من أجلك وفداك.

عش لمجده، وانعم بسلامه روحاً ونفساً وجسداً، كي تسمع كلمات الترحيب بك إلى السماء "نعماً أيها العبد الصالح والأمين، أدخل إلى فرح سيدك". لك ربي كل حمد وتسبيح أبد الدهور. آمين.

قُوَّةُ الصَّلَاةِ

"وَلَمَّا صَلَّوْا تَرَعَّرَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ، وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ بِمُجَاهَرَةٍ." (أعمال الرُّسُل ٤: ٣١)

كان بطرس ويوحنا مُجتمعين مع قادة الكنيسة في أورشليم يُصلُّون من أجل قُوَّةٍ لمتابعة الكرازة بالإنجيل، وشجاعة كي يتكلموا بكلام الله بكلِّ مُجاهرة، بعد التهديد الذي تلقوه من رؤساء الكهنة والشيوخ. يُظهر الكتاب المقدس أناساً يصلون لأجل أمور يعرفها الله مسبقاً. مثلاً، دانيال بدأ يعدّ السنين التي سيُعاد فيها بناء أورشليم، ثمَّ صلى أن يجعل الله ذلك ممكناً. بنفس الطريقة، صلى قادة الكنيسة طالبيين للشجاعة للكرازة بالإنجيل بكلِّ مُجاهرة، وأن تُجرى آيات وعجائب باسم القدوس يسوع.

تدُلُّ صلاتنا في طلب إرادة الله على استعدادنا للتسليم لخطة الله لحياتنا، والتطوُّع للانطلاق بإنجاز العمل. استجاب الروح القدس لطلباتهم بحضوره في وسطهم، حيث تزعزع المكان الذي كانوا مُجتمعين فيه. لقد اختار رُسُل المسيح طريق الضيق والاضطهاد والشهادة، لكنَّ الروح القدس، لن يتركهم، بل سيتابع منحهم القُوَّة ويُدِّد عزائمهم حتَّى انتهاء العمل. لقد أدركوا استجابة صلاتهم عندما واجهوا المخاطر، وتذكروا حضور روح الله في وسطهم. تحظى فكرة القُوَّة الكامنة في الصلاة بشعبية كبيرة. وبحسب ما يقوله الكتاب المقدس، فإن قوة الصلاة هي ببساطة قوة الله، الذي يسمع ويستجيب للصلاة. تأمل ما يلي: ١- الله كلي القدرة يستطيع كل شيء، ولا يستحيل عليه شيء (لوقا ١: ٣٧).

٢- يدعو الله كُلِّي القُدرة شعبه لكي يُصلي إليه. وينبغي أن تكون الصلاة بلجاجة (لوقا ١٨: ١)، وبشكر (فيلبي ٤: ٦)، وبإيمان (يعقوب ٥: ١)، وفي إطار إرادة الله (متى ١٠: ٦)، ولمجد الله (يوحنا ١٤: ١٣-١٤)، وبقلب صالح أمام الله (يعقوب ١٦: ٥) ٣- الله كُلِّي القُدرة يسمع صلوات أبنائه. هو يُوصينا أن نُصلي، ويعدنا أن يُصغي عندما نُصلي. "في ضيقي دَعَوْتُ الرَّبَّ وَإِلَى إِلَهِی صَرَخْتُ. فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي وَصَرَخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أَدْنِيهِ" (زمور ١٨: ٦).

٤- الله كُلِّي القُدرة يستجيب للصلاة. "أَنَا دَعَوْتُكَ لِأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي يَا إِلَهِي" (زمور ١٧: ٦). "أُولَئِكَ صَرَخُوا وَالرَّبُّ سَمِعَ وَمِنْ كُلِّ شِدَائِهِمْ أَنْقَذَهُمْ" (زمور ٣٤: ١٧). يَظُنُّ بعضُ النَّاسِ أن مقدار إيماننا يُحدِّد إن كان الله سيستجيب لصلواتنا أم لا. ولكن، في بعض الأحيان يستجيب الله لصلواتنا بالرغم من عدم إيماننا. في أعمال الرسل ١٢، كانت الكنيسة تُصلي من أجل إطلاق سراح بطرس من السِّجْن (الآية ٥)، واستجاب الله للصلاة (الآيات ٧-١١). وذهب بطرس إلى مكان الاجتماع وقرع الباب، ولكن المجتمعين للصلاة رفضوا في البداية أن يُصدِّقوا أنَّه بالفعل بطرس. فبالرغم من صلاتهم من أجل إطلاق سراحه، لم يتوقعوا أن الله سيستجيب لهم.

لا تتبع قُوَّة الصلاة من داخلنا؛ وهي ليست كلمات مُعيَّنة يُمكننا قولها أو طريقة خاصَّة يُمكننا ممارستها أو عدد من المرات تُرددها. ولا تعتمد قُوَّة الصلاة على اتجاه أو وضع مُعيَّن نتخذه وقت الصلاة. وهي ليست مُرتبطة باستخدام أشياء مُعيَّنة مثل الشموع أو الأيقونات أو السُّبح. ولكن قُوَّة الصلاة تعتمد كُل الاعتماد على كُلِّي القُدرة الذي يستمع لصلواتنا ويستجيب لها.

فالصلاة تجعلنا نتواصل مع الله القدير، ولذا يجب أن نتوقَّع نتائج عظيمة، سواء اختر الله الاستجابة لطلباتنا أم لا. ومهما كانت استجابته للصلاة، فالله الذي رَفَعُ له الصلاة هو مصدر قُوَّة الصلاة، وهو قادر أن يستمع وأن يستجيب حسب إرادته الكاملة وتوقيته الكامل. أبانا السماوي، يا مصدر قُوَّتي في الصلاة، ساعدني أن أعيش حياتي عاملاً رضاك في كُل شيء وأُسبِّح اسمك.

متى نُصلي

"وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يَمَلَّ." (لوقا ١٨ : ١)

يؤكد البشير لوقا في مثل قاضي الظلم، على ضرورة الصلاة في كل حين، وإبقاء قنوات الاتصال مفتوحة مع الرب، دون يأْس، بل العيش في جو الصلاة مُعتمداً على أبيه السماوي لحظة بلحظة. إنه من خلال القلب المتواضع والنقي أمام المسيح، وله ثقة عظيمة فيه، يمكن للمؤمن أن يحافظ على تواصل مستمر مع خالقه.

كثيراً ما يتم اعتبار الصلاة "وصفة سحرية". ويعتقد البعض أننا إن لم نستخدم كلمات بعينها، أو نتخذ وضع معين للصلاة، فإن الله لن يستمع أو يستجيب لصلواتنا. وهذا بالطبع مبدأ غير كتابي. فالله لا يستجيب لصلواتنا بناء على متى نصلي أو أين نكون، أو ما هو وضع جسدنا، أو ترتيب كلماتنا. تقول رسالة يوحنا الأولى ١٤: ١٥ أنه يجب أن تكون لنا ثقة عندما نأتي إلى الله في الصلاة، عالمين أنه يسمعنا، وأنه سوف يمنحنا أي شيء نطلبه طالما ذلك يتفق مع مشيئته.

الجواب الطبيعي للسؤال "متى نصلي" ما قاله الرسول بولس في ١ تسالونيكي ٥: ١٧ "صلُّوا بلا انقطاع". أي ليكن لكم احساس القلب بوجود الله والخضوع له بأن نكون على استعداد دائم للصلاة وان نتحدث الى الله على مدار اليوم في كل شيء نشاركه حياتنا اليومية، وأن يكون أول رد فعل لنا حين يحدث أي شيء هو الصلاة.

في صلاتنا قبل الأكل وفي أي ساعة نشكره على بركاته، بما أن الله حاضر دوماً لسماعنا ولقائنا، فنحن نستطيع في أي وقت التوجه إليه. لكن علينا الانتباه أنه في حال حدّدنا ساعة ما للتحدث فيها مع الله، وجب علينا الالتزام بتلك الساعة أي احترام موعد اللقاء هذا، لأنه من غير اللائق جعل الله ينتظر.

كان من عادة الرب يسوع أن يبدأ يومه في الصلاة (مرقس ١: ٣٥) كما كان يصلي في المساء (متى ١٤: ٢٣). أما دانيال فكان يصلي صباحاً وظهراً ومساءً ويوجه وجهه نحو أورشليم.

في مزمور ٨٨: ١ نقرأ عن الصلاة بالنهار والليل "يَا رَبُّ إِلَهَ خَلَاصِي، بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ صَرَخْتُ أَمَامَكَ". كما صلى بولس من أجل تلميذه في ٢ تيموثاوس ١: ٣ "إِنِّي أَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَعْبُدُهُ مِنْ أَجْدَادِي بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ، كَمَا أَذْكُرُكَ بِلا انْقِطَاعٍ فِي طَلِبَاتِي لَيْلاً وَنَهَاراً". بوركْتَ عزيزي وأنت تذكر في الصلاة جميع أحبائك.

نصلي في وقت الضيق عندما نكون في أمس الحاجة إلى الصلاة. سكب صاحب المزامير قلبه أمام الله في ضيقه فقال "لَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي فِي يَوْمِ ضَيْقِي. أَمِلْ إِلَيَّ أَذْنُكَ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعاً" (مزمور ١٠٢: ٢).

نلجأ إليه لأنه صاحب القوة وملجأنا في يوم ضيقنا. في أعمال الرسل الأصحاح الرابع كانت الكنيسة تُصلي بلجاجة من أجل بطرس الذي كان نائماً في السجن ومُقيّداً بحراسة جندين، استجاب الله لصلاتهم وأرسل ملاكه الذي أخرج بطرس بسلام. هناك قوة في الصلاة، نشكره دائماً لأجلها.

نُقدّم شكرنا للمسيح وقت البركة والرخاء ونضمُّ صوتنا قائلين "أَحْمَدُوا الرَّبَّ لَأنَّهُ صَالِحٌ، لَأنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ. فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ" مزمور ١٠٧: ١ و٢١ لتذكّر الرب ونُعدّد رحمته وبركاته على الدوام، ما أروع ما قاله داود "لهَذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي وَقْتِ يَجْدُكَ فِيهِ. عِنْدَ عَمَارَةِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ إِيَّاهُ لَا تُصِيبُ. أَنْتَ سَتَرْتَنِي. مِنْ الضَّيْقِ تَحَفَظْتَنِي. بَرَّتْكَ النِّجَاحُ تَكْتَنِفْنِي". مزمور ٣٢: ٦-٧ شكراً لك ربّي، لأجل وعدك "وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر".

ليت حياتي تكون صلاة بلا انقطاع، أعيشها لك عند نهوضي في الصباح لأكرس يومي لخدمتك، أو قبل نومي لأستودعك نفسي وأشكرك لأجل يدك التي قادتنني خلال اليوم. شكراً لله الذي يُعطينا العُلبَة ربنا يسوع المسيح. لك الحمد والتسبيح ربّي ومُخلّصي، لأنك تستجيب لصلاتي باسم مسيحي المُبَارَك. ولك كلّ المجد. آمين.

فوائد الصلاة

"لَا تَهْتَمُوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعَلِّمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ. وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (فيلبي ٤: ٦-٧)

تُعطي هذه الآيات اتجاهًا واضحًا ورجاءً حقيقياً للمؤمنين بالمسيح. كانت كنيسة فيلبي قد دَعَمَت مادياً عَمَلَ بولس الكرازي، وإذا كان بولس سجيناً داخل بيته بناءً على أمر من الإمبراطورية الرومانية، فَقَدْ اِهْتَمَّت بوضعه العام، وسط نزاعات داخلية بينهم نتيجة محاولة معلمين كَذَبَةِ زَعَرَتِ ثِقَتَهُم بالمسيح.

لذا، نَصَحَهُم بولس بالتركيز على مثال الرب يسوع، حيثُ أن النزاعات قد حَرَمَتْهُمْ مِنَ الفَرَح الحقيقي. نجد بولس يَحْتَمُّهم على الفَرَح بالرب وترك هُمومهم بين يدي الله بالصلاة والشكر وانتظار سلام الله الذي يفوق كُلَّ تصوُّر.

لأولئك الذين يؤمنون بقوة الصلاة وفعاليتها، ليس هناك من شكٍّ على الإطلاق بأن تأثيرها وبُعدها الروحي العميق له ارتدادات إيجابية في الفرد، وفي الجماعة أيضاً. إلا أن للصلاة بُعداً علمياً وافراً بالإضافة إلى التأثير الروحي، إذ أكَّد العلم الحديث والعديد من العلماء فوائد الصلاة وتأثيرها في جسم الإنسان ووظائفه الفيزيولوجية الأساسية.

لقد أظهرت الأبحاث بدون أدنى شكٍّ، أن الاقتراب إلى الله بالصلاة وبروح الإيمان بشكل مستمر يُمكن الإنسان بأن يتمتع بصحة جيدة طويلة الأمد، كما أنه يجعله فرحاً مغبوطاً، ويزيد من راحته ويُطيل من عُمره. صَدَقَ بذلك قول الحكيم في سفر الأمثال ١٥: ١٣ "الْقَلْبُ الْفَرِحَانُ يَجْعَلُ الْوَجْهَ طَلْقاً، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ تَنْسَحِقُ الرُّوحُ".

ذَكَرَ أَحَدُ الْأَطْبَاءِ في جامعة دووك الأمريكية مؤخراً أن الدراسات العلمية أثبتت أن الصلاة قد تستطيع أن تمنع المرض، وأن تُساهم بدور فعال في عملية الشفاء المتدرج. لذلك نرى أن التدين - وأقصد به التدين الحقيقي المخلص - والصلاة الواثقة يؤثران حتماً بشكل رئيسي في الحالة الجسمية والفكرية لدى الفرد بحيث أنه يتمتع بالسَّلام الداخلي الذي بدوره يجعل الدَّورَةَ الدموية وعملية التنفُّس، وكذلك الوظائف الحيوية التي تعمل بشكل متجانس وإيجابي.

في هذا الإطار أيضاً، أظهر العلماء في جامعة بيتربورغ الروسية أن البُعد الروحي للصلاة له صلة وثيقة بعمليات شفاء لم تكن مُمكنة في الحالات الطبيعية لولا تأثيرات الصلاة النفسية والروحية، مما ينعكس إيجابياً على جسم المريض ووظائفه.

تُغيِّر الصلاة تركيزنا من الظروف المحيطة بنا، إلى إله السماء. وفي هذا يقول الرسول بولس إلى مُؤمِنِي كُولُوسِي ٣: ٢ "اِحْصُرُوا اهْتِمَامَكُمْ بِالْأُمُورِ الَّتِي فِي الْعُلَى، لَا بِالْأُمُورِ الْأَرْضِيَّةِ". كما تُقَرِّبُنَا الصلاة لله، حين نتواصل معه وبنبي علاقة قوية مع ربِّ المجد يسوع. يُؤكِّد مزمور ١٤٥: ١٨ هذه الحقيقة "الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ". تقودنا الصلاة أيضاً إلى حُضور الله، خاصة بعد موت المسيح وانشقاق حجاب الهيكل، صار الطريق سالِكاً للتحدث مع أبنائنا السماويين بشكل مباشر، والاقتراب لعرش النعمة بثقة.

تُسَاعِدُ الصلاة آخرين عندما نُصَلِّي مَعَهُمْ شَخْصِيّاً، أو عَبْرَ الْهَاتِفِ، ولأجلهم. وفي هذا يقول يعقوب ٥: ١٦ "اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَّاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ". الصلاة أيضاً تُدْخِلُ الطَّمَانِينَةَ لِنَفُوسِنَا. يكفي ما نراه من حولنا من هموم، ما أحوَجنا إلى سَمَاعٍ ما يقوله ١ بطرس ٥: ٧ "مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ". أخيراً، الصلاة تأتي بالتغيير للظروف التي نمرُّ بها، أو يكون التغيير فيها.

جاء وَعْدُ اللَّهِ لَنَا في حزقيال ٣٦: ٢٦ "وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ". رجائي لكم ولي أيها الأعزاء، أن تُصِيحَ صلواتنا قُوَّةً واختباراً روحياً مُتَجَدِّداً نلمس فيها بركة الله القدير في علاقة حُبِّية تجمعنا معاً في ثبات استعدادنا للقاء مسيحننا الآتي قريباً على سحاب المجد. آمين.

المسيح رَجُلُ الصَّلَاةِ

"وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَ هُنَاكَ وَحْدَهُ."

(متى ١٤: ٢٣)

بعد مُعْجَزَةِ اطعام الخمسة آلاف رَجُلٍ ما عدا النساء والأولاد، بخمسة أرغفة وسمكتين، صَرَفَ الْجُمُوعَ وألَزَمَ تلاميذه أن يدخلوا السَّفِينَةَ، ويسبقوه إلى الشاطئ الغربي لبحر الجليل، صعدَ الْمُخْلَصُ إلى الجبل مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ. وفي التلال القريبة من بيت صيدا، أراد المسيح أن يكون في خلوة روحية مع أبيه السماوي في الصلاة. كان يسوع مُدْرِكًا لِحاجته للصلاة، مَعَ كونه ابنَ الله، ألا يُحَفِّزُنَا ذَلِكَ لنتبع مثاله ونُصَلِّيَ كما صلى فادينا؟ في الوقت ذاته، كان التلاميذ يُصارعون أمواجاً عاتية محاولين عبور بحر الجليل. كان يسوع عالماً بالخطر الذي يُمِرُّ به تلاميذه، فصلَّى من أجل سلامتهم، وأتى ماشياً على الماء وأُنقذَهُمْ.

تَمَيَّزَتْ حياة ابن الله المبارك حين صار إنساناً بالصلاة، حيث أخذ مركزَ الإنسان في الاستناد والاعتماد الكامل على الله، وكان شعاره "أما أنا فصلاة" (زمور ١٠٩: ٤). يذكر الإنجيل أربع عشرة مناسبة صلى فيها الإنسان الكامل الرب يسوع المسيح. نراه يُصَلِّيَ عِنْدَ معموديته "ولمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّيُ انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ. وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جَسَمِيَّةٍ مِثْلَ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرَرْتُ" (لوقا ٣: ٢١-٢٢). بعد ذلك، رجع من الأردن وهو ممتلئ من الروح القدس. وكان في البرية أربعين يوماً يُجَرَّبُ من إبليس، حيث حقق انتصاراً ساحقاً. نتعلَّمُ من ذلك أهمية الصلاة قبل الخدمة، وقَبْلَ أن نواجه المُجَرَّبَ.

بعد المعجزات العظيمة حيث ذاع خبره، "وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي" (لوقا ٥: ١٦). فلم يَكُنْ يبحث لنفسه عن شهرة. وكان يشعر بالحاجة كي يعزِلَ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ لِيُخْتَبِيَ عَنِ النَّاسِ، ويختلي مع الله. كان للخلوة الفردية مكاناً بارزاً في حياته، حيث يستودع خدمته ونتائجها بين يدي الآبِ الْمُحِبِّ.

كان يبدأ يومه بالخلوة مع أبيه. وفي ذلك، نموذجاً رائعاً للخادم الحقيقي. نقرأ عنه "وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جَدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءَ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ" (مرقس ١: ٣٥). وفي خلوته المبكرة كان يتلقَّى برنامج يومه من الآب مباشرة، وماذا يُريده أن يفعل. وكانت هذه عادته "كل صباح" (إشعياء ٥٠: ٤).

قَبْلَ اختيار الرُّسُلِ "وَفِي تِلْكَ الْآيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ" (لوقا ٦: ١٢). وكان في ذلك أيضاً مثالاً رائعاً، إذ لم يشأ أن يتخذ قراراً واحداً بالاستقلال عن أبيه.

نتعلَّمُ من ذلك أننا أمام الاختيارات المختلفة، وقبل أن نَتَّخِذَ قراراً، علينا أن نُصَلِّيَ كثيراً، ولا نتصرف بحسب ما نراه حسناً. وعندما رُفِضَتْ خدمته، رَفَعَ قَلْبُهُ إِلَى الْآبِ قَائِلًا "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ" (متى ١١: ٢٥).

وفي حادثة التجلي "أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ. وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةٌ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لَامِعًا". (لوقا ٩: ٢٨-٢٩). وعند إقامة لعازر نراه يرفع عينيه نحو السماء ويقول "وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى قَوْفٍ، وَقَالَ: "أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي" (يوحنا ١١: ٤١).

وفي جثسيماني، جثا على رُكْبَتَيْهِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لُجَاةٍ وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطْرَاتٍ دَمٍ عَلَى الْأَرْضِ. قَائِلًا: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لوقا ٢١: ٤٢). وأخيراً عِنْدَ موته نراه يصلي قَائِلًا "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي". (لوقا ٢٣: ٤٦). أَعْنِي يَسُوعِي الْحَبِيبُ أَنْ أُصَلِّيَ مِثْلَكَ، وَأَنْ تَكُونَ لِلصَّلَاةِ أُولَوِيَّةٍ فِي حَيَاتِي، كِي أَنْعَمَ بِبَرَكَاتِكَ وَرِضَاكَ إِلَى أَنْ أَرَكَ عَنِ قَرِيبِ رَبِّي الْقُدُّوسِ.

يا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ

"وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: "يَا رَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوَحْنًا أَيْضًا تَلَامِيذَهُ." (لوقا ١١: ١)

كثيراً ما نسمع عن خدمة المعمدان بملابسه الخشنة وتسميته الفريسيين غير التائبين بأولاد الأفاعي، لكن ما يهْمُنَا هو أنه كان رجل صلاة صلي بروح وقوة إيليا، وقد أوصى أتباعه بالصلاة إلى الله خالقهم. لكن حياة الصلاة للرب يسوع، تميّزت برغبة الابن الحبيب أن يتمتع بشركة مع أبيه السماوي ويحقق إرادته.

ولا عجب، أن يطلب تلاميذ المخلص منه أن يعلمهم الصلاة، كما علم المعمدان تلاميذه. راقبوا سيدهم وهو ينهض مبكراً ليكون في خلوة روحية تخللها الشكر والتسبيح لأبيه الحنون وسط شعوره بالفرح. لقد برهن المسيح خلال حياته مغزى الصلاة وقوتها، فكان مثالنا الكامل كي نتبع خطواته.

لاحظت "جوان شتار" التي عاشت بين إحدى القبائل في الفلبين، والتي كانت تُترجم الكتاب المقدس إلى لغتهم الأم، أن المؤمنين في تلك القبيلة لم يصلوا بحرارة. فصّلت قائلة: "يا رب استخدم آية وسيلة لتعليم هؤلاء الناس كيف يصلوا". بعد شهر، تعرّضت لحادث سقوط طائرة مروحية كانت تركبها، وكادت أن تموت.

شجع هذا الحادث مؤمني تلك القبيلة على الصلاة بلجاجة من أجلها قائلين "يا رب، لا تدعها تموت، فهي لم تكمل ترجمة كلمة الله لنا". بعد أن سمعتُ القصة، شكرتُ الله على طلب تلميذ المسيح منه أن يعلمهم الصلاة.

في القصة التي بين أيدينا، أراد واحد من تلاميذ الرب يسوع أن يتعلم شيئاً فريداً ورائعاً ومميزاً: أراد أن يتعلم أن يصلي. وفي الحقيقة، إن هذا الطلب المبارك من ذلك التلميذ يُمثّل أعظم خطية يرتكبها المسيحيون في أيامنا، وهي نقص الصلاة أو انعدامها من حياتهم. فالحياة المسيحية بدون الصلاة تُصبح طقوساً وأعمالاً ميتة، وحياة غير مثمرة. لذلك شعر هذا التلميذ بحاجته لتعلم الصلاة الشخصية والعملية والمثابرة.

أراد أن تُصبح حياته حياة صلاة. وكانت حاجته لتعلم الصلاة صادرة من قلب جائع إلى علاقة يومية وثيقة مع الله، وما طلبه كان، ولا يزال، يُعتبر من أعظم حاجات الإنسان في الوجود.

يا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ، لأننا أذنبنا وأخطأنا إليك بعدم الصلاة، أو نمارس الصلاة فقط في مناسبات مُتبادلة: ما أكثر المحاضرات والعظات والدروس التي تُقدّم عن الصلاة. فكثيرون من المسيحيين يتحدثون عن معنى الصلاة، وعن أهمية الصلاة، وعن أنواع الصلاة، ولكنهم لا يصلّون. فلو حاولنا أن نُجري إحصائية في الكنائس، عن عدد الذين يصرفون يوماً ما معدله ربع ساعة في الصلاة من أجل الكنيسة والبلاد، أو من أجل نهضة روحية، أو من أجل خلاص النفوس، أو من أجل حاجات معينة خاصة، فإننا سنجد أن عدد هؤلاء المصلّين لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

نحتاج في كنائسنا أن نصلي هذه الصلاة للرب: "يا رب، علّمنا أن نصلي". لأن الرب أمرنا أن نصلي، ولأن نفوساً هالكة، يعيشون دون أن يقبلوا الرب يسوع مخلصاً لحياتهم، يحتاجون إلى صلواتنا، حتى لو لم يدركوا بعد هذه الحاجة. صحيح أن هناك الكثير من الناس الذين يدركون فاعلية الصلاة، ولكنهم يطلبون من رجال ونساء الله أن يصلّوا من أجلهم، مع أنهم أنفسهم لا يصلّون.

نحتاج أن نصلي كلّ حين حتّى نرى الله يعمل بقوة في عالمنا، لكي يتوقّف العنف والقتل والظلم وسفك الدماء وسقوط أعداد هائلة من الأشخاص في مستنقع الرذيلة والفساد والتجاسة بأشع وأقذر صورها. نحتاج أن نصلي لكي تسود المحبة والسلام والعدل بين الناس. نحتاج أن نصلي لكي نعيش حياة مقدّسة ومرضية أمام الله والناس. أملي، أيها الأعزّاء، أن نُبقي قنوات اتصالنا بفادينا، مفتوحة، ونشكره لأجل فدائه العجيب وغزير نعمه وبركاته علينا في كلّ يوم.

أَبُونَا السَّمَاوِيِّ

"فَقَالَ لَهُمْ: "مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". (لوقا ١١: ٢)

كان الله معروفاً في العهد القديم بأنه أباً لشعبه تقريباً ٧ مرّات، لكن في الإنجيل، نجد الله كأب في أكثر من ٧٠ آية. استعمل يسوع هذا اللقب في كل صلواته، ما عدا صلاته على الصليب حيث حمل خطايانا، صلى زمور ٢٢: ١ "إلهي، إلهي، لماذا تركتني". تتضمّن كلمة "أبانا" محبةً فيّاضة وعلاقة شخصية مع خالق الكون العظيم. يقول "جون كالفن" ليس الله أباً فحسب، لكنه أرق وأفضل الآباء، حيث يُرحّب بأولاده دوماً ليكونوا في حضرته. لا يُشجعنا لقب "أبانا" أن نقترّب من أب حنون ومحبّ فقط، بل نحترّم سلطته ونوقّر اسمه.

علينا أن نخاطب الله في صلاتنا المخلصّة بلقب "أبانا" لأنّه الأب السماوي، وخالق الجنس البشري. بعد سقوط الإنسان في الخطيئة، ابتعدنا عن الله، وصارت خطايانا فاصلةً بيننا وبينه. لذا، فالشخص المولود من الروح بإرادة الله وقوّته، يُصبح بالحقيقة ابناً لله، ويستطيع أن يخاطب الخالق العظيم بشكل شخصي كالأب. تبرز الحاجة هنا للتوبة عن الخطايا، ووضع الثقة بيسوع المسيح كمخلصه.

عندها، يكون لنا طريق بواسطة المسيح في الروح القدس للأب. كما يقول بولس "لأنّ به لنا كليّنا قدوماً في روح واحد إلى الأب" (أفسس ٢: ١٨). التأكيد هو على الخلاص بالمسيح، الذي يُعطينا روحه كي يسكن فينا، والذي يفتح الطريق لنا للأب.

يا له من امتياز أن يدعونا الله أولاده وبناته، وأن يُقدّم لنا التأكيد أننا كأبنائه، وارثون مع المسيح (رومية ٨: ١٧). يُخبرنا يوحنا أيضاً في إنجيله (١: ١٢) أن الله يُعطي حقّ البُنية لجميع الذين يؤمنون ويقبلون المسيح رباً ومخلصاً لهم. الله يُقدّم محبّته لابنه يسوع، ومن خلاله لكل أولاده بالتبني.

فالحقيقة هي أننا بالفعل أولاد الله نتمتع بكلّ الحقوق والامتيازات التي يحملها تبنيه لنا، لأننا صرنا نعرف الله كأب لنا. كأبنائه نختبر محبته، وكأبنائه نعترف به أباً لنا لأننا نعرف الله معرفةً اختبارية. نضع ثقتنا فيه لأنه يُحبنا ويدبر احتياجاتنا، ويحمينا كما هو متوقّع من الآباء الأرضيين. وكما يجب أن يفعل الآباء الأرضيين، فإنّه يُودّب أولاده عندما لا يطيعون أو يتجاهلون وصاياه. هو يعمل هذا لمنفعتنا "لكي نشتري في قدّاسته" (عبرانيين ١٢: ١٠).

تبدأ الصلاة بالحقيقة الأولى أن الله القدير-صاحب الجلال والأبدية في قوّته- يشاقق أن نأتي إليه كأبنائه وبناته. أمّا الحقيقة الثانية فهي أن الله أبونا السماوي يدعونا لندخل في علاقة معه ترسم معالمها إرادته، والطريق الذي يجعل لحياتنا معنى، إذ نُقدّم أنفسنا طوعاً لنكون من رعايا ملكوته.

تعني هاتان الحقيقتان أن شوق قلوبنا أن نأتي إلى حضرة أبينا الذي يُسيطر على كلّ الأشياء. فالصلاة هي المكان الأفضل لنتخبر حضور الأب، ونتوقّع ذاك اليوم العظيم الذي سيُعيد خلق سموات جديدة وأرضاً جديدة. الصلاة أيضاً هي المكان الذي نوكد فيه لله الذي نحبّه أنّه أبانا السماوي، وأتأثر أن اسمه وصفاته يتمجدان في كلّ الأرض، ونحن نتوقّع عودته بمجده العظيم إلينا عن قريب.

يذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٩ موقفنا من الأب السماوي فيقول: "ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادًا مُؤدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأُولَى جَدًّا لِأَبِي الْأَرْوَاحِ، فَتَحْيَا؟". المسيح واجه ضيقات رغم كونه باراً، ولم يكن أبطال الإيمان بأفضل حال، لكن ما نحتاج أن ندرّكه هو أن هذا التأديب القصد منه أن نصبح مثل فادينا الحبيب.

ومن فرط محبّته لنا، يودبنا كأب سماوي محبّ. أعاننا الله أعزائي، أن نكرم الله الأب الحنون والذي أحبّنا بدرجة عظيمة كي يموت طوعاً من أجل خلاصنا. فلنقترّب من عرش النعمة كأبناء وبنات أبينا السماوي، لنُقدّم المجد والحمد لاسمه القدوس. وعن قريب، سيُرحّب بنا للدخول إلى الأمجاد الأبدية، لنتمتع بعشرة ربّ المجد يسوع وجميع المفديين، هذا ما أرجوه لكم ولي مع محبة الأب ونعمته وسلامه معكم.

اسْمُكَ قُدُّوسٌ

"أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ." (لوقا ١١: ٢)

نُقدِّم صلواتنا لأبينا الجالس على عرش السماوات، ونعترف بسُلطته على كلِّ جوانب حياتنا، وعلى العالم من حولنا، ونعبده بالروح والحق ونمجِّد اسمه. نحترِّم عظمته المميَّزة، فهو أبونا في السماء، الذي اسمه دوماً عالياً. وعبر صفحات الكتاب المقدَّس، نجد اسم الله وصفاته يتجلَّيان بطرق خاصَّة، لذا، نحن مدعوِّين لتقدِّس اسمه العظيم، لأنَّ اسمه حقاً عجيب. كان مُعاصرو السيد المسيح يتعاملون مع اسم الله بكلِّ وقار، لدرجة أنَّهم لم يجرؤوا على النطق باسمه، لذا غير يسوع مفهومهم وصوَّر الله كإله محبَّة ولطف.

التقديس يعني أن كلمة الله لها تأثير علينا. فالله يطهرنا ويقدِّسنا "من خلال الكلمة" (أفسس ٥: ٢٦). يدعونا الله نحن الخطاة أن نأتي إليه "كما نحن" ونقبل رحمته وغفرانه. وعندما ننال الخلاص، يبدأ الروح القدس عمله العجيب في تغييرنا إلى صورة المسيح وشبهه. فالتقديس يعني أن الله يحبنا محبة كبيرة فلا يدعنا نبقي كما نحن. إن صلاة الرسول من أجل جميع المؤمنين في كل مكان هي: "وإِلَهُ السَّلَام نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّامِّ. وَلْتَحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بَلَا لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تسالونيكي الأولى ٥: ٢٣)..

إننا هنا نخاطب أبانا الذي في السماوات، أي المرتفع عن كلِّ مستوياتنا، وعن كل حواسنا "الذي لم يره أحد قط". (يوحنا ١: ١٨). هذا الإله العالي فوق كلِّ علو، الله غير المرئي، وغير المُدرَك، وغير المحدود، نخاطبه قائلين "ليتقدَّس اسمك". إنَّ اسم الله قُدُّوس بطبيعته، وليس مُحتاجاً إلى تقديس النَّاس. لمَسَ النَّبِيُّ إشعياء ٦: ٢-٣ قداسة الله في رؤيا حيث رأى وسمَّع هذه الكلمات: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ. فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا".

إننا لا نطلب أن يتقدَّس اسم الله، إنما نطلب أن يكون مُقدَّساً في حياتنا، نستعمله بما يليق به من قُدسيَّة، كما هو مُقدَّس بطبيعته. فلا يتجرَّأ أحد على النطق باسم الله بما لا يليق، كما تقول الوصيَّة الثالثة "لا تنطق باسم الرَّبِّ إِلَهَكَ باطلاً". (خروج ٢٠: ٧). "إنَّ الله يُرْسِلُكَ إِلَى الْعَالَمِ كَنَائِبٍ عَنْهُ. فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعْلِنَ اسْمَ اللَّهِ فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ. هَذِهِ الطَّلِبَةُ تَجْعَلُكَ مُلتزماً بِأَنْ تَتَحَلَّى بِصِفَاتِ اللَّهِ. فَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقَدِّسَ اسْمَهُ وَلَا أَنْ تُظَاهِرَ لِلْعَالَمِ مَا لَمْ تُظَاهِرْ فِي حَيَاتِكَ وَاخْلَاقِكَ نَفْسَ حَيَاةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ. وَهَذَا تَسْتَطِيعُهُ فَقَطْ، إِذَا قَبِلْتَ نِعْمَةَ الْمَسِيحِ وَبِرَّهُ" (روح النبوة، المُعَلِّم الأعظم، صفحة ٥٤٢).

لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ". بمعنى أنه يعلمنا أن نطلب أن يتم اعتبار اسم الله مُقدَّس، وأن يتم التعامل معه بخُشوع، وأن يرى أنَّه قُدُّوس. يجب أن ندرك هذا، إن أردنا أن نصلي وفقاً للنمط الذي وَضَعَهُ الرَّبُّ يسوع لنا. وكذلك نتعلم من الكتاب أننا عندما نصلي إلى الله بأن يتمجِّد اسمه إنما نكون في نفس الوقت طالبين من الله أن يُساعدنا لكي نتخلَّى عن كلِّ مجد ذاتي، وعن كل رغبة في الكبرياء، أو التعلُّق بأمور هذا العالم بصورة تُبعدنا عن الله، وعن تمجيد اسمه القدوس.

عندما يُريد كل واحد منا أن يتمجِّد اسم الله في حياته، عليه أن يصلي إلى الله سائلاً الآب السماوي أن يساعده لتُصبح حياة المُصلي حياة خالية من الشرِّ والخطيَّة والثورة والعصيان على الله وشريعته، ونواميسه، وإرادته. فعندما يطلب المؤمن في صلاته من الله بأن يتقدَّس اسمه القُدُّوس، فذلك يعني أن المؤمن مُلزم بأن يحيا حياة الطاعة التامة لمشِيئة الله.

لأنَّ الله لَا يُسَرُّ بِتِلْكَ الصَّلَاةِ التي تصدر عن الشفاه فقط، إنَّه يطلب منا أن نصلي من قُلُوبنا، وأن تكون رغبتنا الأكيدة تكيف جميع نواحي حياتنا بمقتضى المشِيئة الإلهيَّة المُعلَّنة في كتاب الله المُقدَّس. أعني يا أباي السماوي، أن أوقر اسمك بحياتي، عاملاً ما يُرضيك دائماً لأعيش حياة الطاعة لمشِيئتك المُقدَّسة. لك الشكر والمجد والكرامة أبَد الدهور، يا ربِّي القُدُّوس. آمين.

ملكوتك ومشيتك

"لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيَّتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ." (لوقا ١١: ٢)

عندما نُصَلِّي هذه الكلمات، فأنت تقول: "أنت سيّد على حياتي يا ربّ"، وكتابع للمسيح، تتعهد له بالولاء قائلاً: "يا يسوعُ يا ملكي، لتكن أولوياتك هي شاغلي". لا يُمكنك أن تقول أنا عضو في ملكوت الله، دون أن يكون يسوعُ هو الملكُ على حياتك، لأن الملكَ والملكوت لا ينفصلان. إذا صَلَّيتَ من أجل أن يأتي الملكوت، وأن تتحقّق مشيئة الله، فأنت بذلك تقول "يا يسوعُ يا ملك، أملك أنت"، وتتنازل عن عرش حياتك ليكون الله هو مركزها.

"إن ملكوت نعمة الله يَثْبُت الآن إذ تخضع القلوب التي كانت مليئة بالخطيئة والعصيان، لسلطان محبته. ولكن التثبيت الكامل لملكوت مجده لن يتمّ حتى يأتي المسيح ثانية إلى هذا العالم".

"إن ملكوته لن يأتي حتّى تصل بشارة نعمته إلى كلّ الأرض. فلهذا إذ نُسلم ذواتنا لله ونربح له نفوساً، فنحن نُعجل مجيء ملكوته. فالذين يُكرسون ذواتهم لخدمته قائلين: "هأنذا أرسلني" هم وحدهم الذين يُصلّون قائلين بإخلاص "ليأت ملكوتك" (روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٥٤٣ و ٥٤٤).

يهتم الله بحياتنا ويريدنا أن نطلب منه احتياجاتنا في الصلاة. الاحتياجات البشرية وثيقة الصلة بالصلاة، لكن إذا أصبحت احتياجاتنا هي محور حياتنا، لا يمضي الكثير من الوقت قبل أن نتوقّف عن الصلاة، وبدلاً من أن نقول "لتكن مشيتك" نبدأ في الصلاة من أجل اتمام مشيئتنا. فستصبح هي إلها - وهنا تكمن المشكلة.

"إن مشيئة الله مُوضحة في وصايا شريعته المقدّسة، فمبادئ هذه الشريعة هي مبادئ السماء". "كان تلاميذ المسيح ينتظرون مجيء ملكوت مجده في الحال، ولكن يسوع إذ أعطاهم هذه الصلاة علّمهم أن الملكوت لم يكن يُقام حينئذ. فكان عليهم أن يصلوا طالبين إتمامه كحدث يقع في المستقبل. ولكن هذه الطلبة كانت أيضاً تأكيداً وضماناً لهم" (روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٥٤٤، ٥٤٣).

"إن هذه الطلبة القائلة "لتكن مشيتك كما في السماء كذلك على الأرض". هي صلاة بأن ينتهي وينقرض ملك الشرّ على هذه الأرض، وتتلشى الخطيئة إلى الأبد، ويثبت ملكوت البرّ. وحينئذ يتمّ في الأرض كما في السماء "كُلّ مَسَرَّة صلاحه" (٢ تسالونيكي ١: ١) "روح النبوة، المُعلّم الأعظم، صفحة ٥٤٥). يُعلّمنا يسوع في الصلاة النموذجية بأن نُصلي إلى الله تعالى قائلين: "ليأت ملكوتك!" بعد أن طلبنا بأن يُقدّس اسم الله تعالى بطريقة عملية في حياتنا، وفي هذا العالم الذي هو من خليقة الله. أول شيء نهتم به عندما نقرب من خالقنا وأبيننا السماوي، هو بأن يتمجد فينا في سائر أيام حياتنا، وفي جميع نواحيها المتعددة.

إن موضوع ملكوت الله ذات أهمية عظيمة، فنحن لا نكون بالحقيقة مُقدّسين لاسم الله تعالى إن كنّا لا نفكر بسلطته وسياسته لكل ما في الوجود، لا سيما لأمر الحياة البشرية. إننا في جميع هذه الطلبات نُصلي وتضرّع إلى الله الواحد القدّوس، الذي يطلب منا نحن مخلوقاته العاقلة بأن نمجده فوق كلّ شيء، ونُبرهن دائماً وأبداً بأننا لا نحيا لأنفسنا بل لله وحده فقط.

تعلّم من الكتاب المقدس أن هناك مرحلتان لملكوت الله: الأولى: الانتقالية وهي ملكوت النعمة الذي أسسها يسوع في خدمته على الأرض، والمرحلة الثانية والنهائية هي ملكوت المجد. نعيش الآن ضمن ملكوت النعمة، وعند مجيء سيّدنا يسوع المسيح ثانية، سينقلنا إلى ملكوت المجد. علينا أن نضع هذين الأمرين نصب أعيننا عندما نُصلي قائلين: "ليأت ملكوتك". نُصلي من أجل امتداد الملكوت في العالم بأسره، وكذلك نُصلي من أجل مجيء ملء أو اكتمال الملكوت. تعال ربّي يسوع، وحقق مشيئتك اليوم في حياتي.

خُبْرُنَا اليَوْمِيَّ

"خُبْرُنَا كَفَافًا أَعْطِنَا الْيَوْمَ." (متى ٦: ١١)

ابتدأ السيد المسيح الصلاة الربانية بالتركيز على الله الآب وتقديس اسمه، تَبَعَ ذلك مجيء ملكوت الله وعمل مشيئته على الأرض كما في السماء. ثُمَّ قَدَّمَ الطَّلِبَةَ الأولى للخُبْر، أو القوت اليومي الذي يُشير إلى جميع الأمور التي لها علاقة بحياتنا على هذه الأرض. فالله خالقنا كبشر، يعلم أن احتياجاتنا ليست الروحية فقط، بل المادية أيضاً. فالسيد المسيح يُعلِّمنا إذاً أن نطلب من الله خالقنا وأبيننا السماوي أن يعطينا جميع ما نحن بحاجة إليه من أكل وشراب وثياب وتعليم وعمل، وكل أمر مشروع ضروري لحياتنا على هذه الأرض.

إنَّنا عادةً نرفع هذه الصلاة كجماعة من المؤمنين في اجتماع العبادة، بل إنَّ طابع هذه الصلاة هو جماعي. إننا لا نصلي إلى الله قائلين: خبزي كفافي أعطني اليوم! كلا المسيح لم يُعلِّمنا ذلك، بل قال لنا أن نصلي: خُبْرُنَا كَفَافًا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. ماذا كان السيد المسيح يعني عندما طَلَبَ مِنَّا أن نُصَلِّي هذه الصلاة بصيغة الجمع؟ أراد مِنَّا أن نتذكَّر أنه لا يجوز لنا التفكير باحتياجاتنا المادية بدون التفكير باحتياجات الآخرين بنفس الوقت.

من المؤسف جداً أن ننسى هذا الأمر في صلواتنا الخاصة أو العامة. فَمَعَ أنَّا نقول: خُبْرُنَا كَفَافًا أَعْطِنَا الْيَوْمَ، إلا أن قلوبنا كثيراً ما تكون قائلة ولو بشكل لا شعوري: خبزي أنا أعطني اليوم. لكن يجري ذلك ضمن حياتنا ونحن غير شاعرين بأننا عندما نطلب من الله هذه الطَّلِبَةَ إنما نُشَوِّهها ونُغَيِّرُ معناها الجوهرية؟

إنَّ حياتنا اليومية تُظهر بالحقيقة إذا كُنَّا نُصَلِّي حَسَبَ تعليم المسيح، أو بعكس ذلك التعليم. لا ينظر الله فقط إلى أفكارنا وأقوالنا، بل إنَّه يفحص جميع تصرفاتنا، ويفحص أيضاً قلوبنا تحت منظار شريعته المقدسة. فإن رأى بأنَّ هذا الإنسان أو ذاك يعمل على سلب الآخرين قُوتَهُم اليومي، فإنَّه لا يُصْغِي إلى ذلك الإنسان، وإن صلى إليه مستعملاً عبارات الصلاة الربانية.

استعمل المُخْلِص كلمتين في هذه الصلاة: "خُبْرُنَا كَفَافًا، وأَعْطِنَا الْيَوْمَ" وهما تُعلِّمانا أهمية فضيلة القناعة والاتكال على الله، لأننا كثيراً ما نخسر تلك الفضيلتين، ونحن دائبين على تحصيل خبزنا اليومي، مُتَنَاسِينَ بأنَّ الله هو مصدر كُلِّ النعم والبركات، وهو المُسَيِّطِر على حياتنا حاضراً ومُستقبلاً. سَرَدَ يسوع مثل الغني الغبي الذي اهتم بأمواله ونسي احتياجات الآخرين ليُوضح ذلك.

"إنَّ الله إذ يُعلِّمنا أن نسأل كُلَّ يوم ما نحتاجه- البركات الزمنية والروحية- فإن له غَرَضاً ليُتممه لخبرنا. فهو يُريدنا أن نتحقَّق من اعتمادنا على رعايته الدائمة، لأنَّه يُحاول أن يجتذبنا إلى الشركة معه. ففي هذه الشركة مع المسيح عن طريق الصلاة، ودرس حقائق كلمته العظيمة الثمينة، سنطعم نفوسنا الجائعة ونروي ظمأنا وتنتعش أرواحنا عند ينبوع الحياة" (روح النبوة، المعلم الأعظم صفحة ٥٤٨).

طَلَبَ مُعَاصِرُو السيد المسيح منه أن يُعطيهم الخُبْر الحقيقي من السماء، فأكد لهم "أنا هو خُبْرُ الْحَيَاة. مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَداً" (يوحنا ٦: ٣٥). فالسيد المسيح الذي علمنا أن نصلي من أجل خبزنا اليومي، وسائر احتياجاتنا المادية، والذي طَلَبَ مِنَّا أن نُفَكِّرَ بالآخرين عندما نرفع هذه الصلاة، وأن نكتسي بفضيلتي القناعة والاتكال على الله، هو أيضاً علِّمنا بأن نؤمن به، وأن نقبل ما قام به على الصليب من أجل إنقاذنا، وإعطائنا الحياة الأبدية، فلنقبل إليه ونؤمن بجميع تعاليمه فنجياً ليس فقط في هذه الدنيا بل حياة أبدية سعيدة.

أَعْنِي أَيُّهَا الْآبَ أَنْ أُمَيِّزَ بَيْنَ رَغْبَاتِي وَطَلِبَاتِي وَأُرَكِّزَ عَلَى احتياجاتي حَسَبَ وَعْدِ الرَّبِّ عَلَى لِسَانِ بولس في فيلبي ٤: ١٩ "فَيَمْلَأُ إِلَهِي كُلَّ احتياجكم بحَسَبِ غِنَاهُ في المجد في المسيح يسوع". شُكْرًا لَكَ أَيْ السَّماويِّ مِنْ أَجْلِ الخُبْر اليومي، وبركاتك التي تسكبها عليَّ دائماً. أَعْطِنِي أَنْ أَكُونَ قَنوعاً بالقُوت والكِسوة وأُكْتَفِ بِهِمَا، أَنْتَ مَصْدَرُ كُلِّ بركة روحية في السَّماويات. لَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ أَبَدَ الدُّهُور. آمين.

اغفر لنا كما نغفر لهم

"واغفر لنا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا." (متى ٦: ١٢)

قَبْلَ أَنْ نَطْلُبَ غُفْرَانَ اللَّهِ لخطايانا، علينا توقُّير الأب السَّماويِّ، والاعتراف بِسُلْطَانِهِ عَلَى حَيَاتِنَا، طَالِبِينَ مَجِيءَ مَلَكُوتِهِ وَتَحْقِيقَ مَشِيئَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، كَمَا هِيَ فِي السَّمَاءِ، وَسَائِلِينَ بِرَكَاتِ الْخُبْزِ الْيَوْمِيِّ أَنْ تَكُونَ مِنْ نَصِيبِنَا. يَرْتَبِطُ الْغُفْرَانُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِغُفْرَانِ أَبِي لَابْنِهِ الْمَحْبُوبِ عِنْدَمَا يَرْتَكِبُ خَطَاً مَا. نُخْطِئُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِنَا بِالْفِكْرِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، مِمَّا يَفْصِلُنَا عَنِ اللَّهِ مَا لَمْ نَعْتَرِفْ بِذُنُوبِنَا أَمَامَ الْعَفُورِ يَسُوعَ. هُنَاكَ أَوْقَاتٌ نُخْطِئُ ضِدَّ أَنْاسٍ آخَرِينَ مُبَاشَرَةً أَوْ بِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَّةٍ. وَفِي هَذِهِ الصَّلَاةِ يَنْبَغِي أَنْ نَتَّبَعَ مِثَالَ فَادِنَا الْمَسِيحِ فِي غُفْرَانِهِ.

يُعَلِّمُنَا الْمُخَلَّصُ هُنَا أَنْ نَأْخُذَ بَعَيْنَ الْاعْتِبَارِ عَظِيمِ الْغُفْرَانِ الَّذِي قَدَّمَهُ الْمَسِيحُ لَنَا مِنْ خِلَالِ غُفْرَانِهِ لخطايانا- فَكَمْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْدَادُنَا لِنَغْفِرَ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا؟ عِنْدَمَا لَا تُسَامِحُ مَنْ أَخْطِئَ إِلَيْنَا، يُؤَثِّرُ ذَلِكَ عَلَى صَلَوَاتِنَا وَشَرِكَتِنَا مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَنُعَانِي مِنْ عَذَابِ الضَّمِيرِ.

نَجِدُ إِذَا وَجُودَ تَرَابُطٌ بَيْنَ غُفْرَانِ الْمَسِيحِ لَنَا، وَرَغْبَتِنَا فِي غُفْرَانِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا، وَتَأْثِيرُ ذَلِكَ عَلَى حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ. فَكَمَا نَلْنَا الْمَغْفِرَةَ مِنَ الْأَبِ السَّماويِّ، وَدُقْنَا بِالْإِيمَانِ رَوْعَةً نِعْمَتِهِ، بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، لِنُسْرِعَ فِي غُفْرَانِ سَيِّئَاتِ الْآخَرِينَ، وَنُظْهِرَ حَلَاوَةَ جُودِ الرَّبِّ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا.

هُنَاكَ أَرْبَعَةُ مَبَادِي مُتَعَلِّقَةٌ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا: ١- الْخَطِيئَةُ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُذْنِبًا وَتَجْلِبُ عَلَيْهِ الدِّينُونَةَ. وَالْخَطِيئَةُ هِيَ التَّعَدِّي وَأَجْرَتُهَا الْمَوْتُ. فَالْجَمِيعُ يَقِفُونَ مُذْنِبِينَ أَمَامَ اللَّهِ بِسَبَبِ خَطَايَاهُمْ. ٢- الْغُفْرَانُ مُقَدَّمٌ إِلَى الْإِنْسَانِ الْخَاطِئِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَلَى أَسَاسِ مَوْتِ الْمَسِيحِ. لَقَدْ أَخَذَ الْمَسِيحُ مَكَانَنَا، وَدَفَعَ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ.

٣- الْاعْتِرَافُ بِالْخَطِيئَةِ لَازِمٌ لِلْحُصُولِ عَلَى ذَلِكَ الْغُفْرَانِ مِنَ اللَّهِ. وَفِي هَذَا نَقْرَأُ فِي رِسَالَةِ يُوْحَنَّا الْأُولَى ١: ٩ "إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ". الْمُؤْمِنُ الَّذِي اخْتَبَرَ غُفْرَانًا عَظِيمًا لَا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، يُعْطَى النِّعْمَةُ لَغُفْرَانِ الْآخَرِينَ الْمُتَّكِبَةِ ضِدَّهُ، وَلِذَلِكَ عِنْدَمَا يُصَلِّيْ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَائِلًا: وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا إِنَّمَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَخَاطِئِ مُخَلَّصٍ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَجَّانِيَّةِ يُمَارِسُ الْغُفْرَانَ بِالنِّسْبَةِ لِلْآخَرِينَ، وَيَتَوَسَّلُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ إِلَى اللَّهِ لِكَيْ تَغْفِرَ خَطَايَاهُ أَيْضاً.

نَظَرًا لَوَعْدِ اللَّهِ الصَّرِيحِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْذُ لِحْظَاتٍ أَثْنَاءِ اقْتِبَاسِنَا مِنْ رِسَالَةِ يُوْحَنَّا الْأُولَى: "إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا". إِنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِخَطَايَاهُمْ، هُمْ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يُبْرِهِنُونَ عَلَى أَنَّهُمْ نَالُوا الْغُفْرَانَ. بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ الْاعْتِرَافَ بِالْخَطِيئَةِ هُوَ إِعْلَانُ ضَرُورِيٍّ لِلْغُفْرَانِ. وَهُوَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ ذَلِكَ.

رَابِعًا: مُسَامَحَتُنَا بَعْضُنَا لِبَعْضٍ هِيَ أَسَاسُ حُصُولِنَا عَلَى الْغُفْرَانِ لِنَفْسِنَا. فِي أَغْلِبِ الْأَحْيَانِ. يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْغُفْرَانَ، وَأَنَّهُ مَهْمَا عَمَلَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ خَطَايَاهُ. لَكِنَّهُ يُلْقِي بِنَفْسِهِ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ وَيَقْبَلُ بِشُكْرِ عَمِيقِ الطَّرِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْغُفْرَانِ، أَلَا وَهِيَ بِوَاسِطَةِ سَفْكِ دَمِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ عَلَى الصَّلِيبِ. وَعِنْدَمَا يَخْتَبِرُ الْمُؤْمِنُ هَذَا الْخِلَاصَ الْعَظِيمَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَرَ لَهُ خَطَايَاهُ أَنَّهُ قَدْ سَمَّرَتْ عَلَى صَلِيبِ الْجُلْجُلَةِ مَعَ سَائِرِ خَطَايَا الْمُؤْمِنِينَ.

"إِنَّ الْغُفْرَانَ أَوْ الْمُصَالَحَةَ مَعَ اللَّهِ يَأْتِينَا لَا عَلَى أَنَّهُ أَجْرٌ لِأَعْمَالِنَا، وَلَا يُنَمَحُ بِسَبَبِ اسْتِحْقَاقٍ فِي النَّاسِ الْخُطَاةِ وَلَكِنَّهُ هِبَةٌ لَنَا، وَأَسَاسُ مَنَحِهَا هُوَ بُرُّ الْمَسِيحِ الَّذِي بَلَ عَيْبٍ" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، الْمَعْلَمُ الْأَعْظَمُ، صَفْحَةُ ٥٥١). كَمْ مِنَ الْمَرَّاتِ نَسْمَعُ الْمَسِيحَ لَهُ الْمَجْدُ لَا يَبْرِي فَقَطْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَرْزَحُونَ تَحْتَ نِيرِ مَرَضٍ خَطِيرٍ، بَلْ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ! طَبْعًا كَانَ السَّيِّدُ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ سُلْطَتَهُ عَلَى مَغْفِرَةِ الْخَطَايَا، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَ أَيْضًا يُظْهِرُ أَهْمِيَّةَ الشِّفَاءِ الرُّوحِيِّ وَأَوَّلِيَّتِهِ لِلشِّفَاءِ الْجَسَدِيِّ. "أَرْحَمْنِي يَا اللَّهُ أَنَا الْخَاطِئُ" شُكْرًا لَغُفْرَانِكَ لِخَطَايَايَ، سَاعِدْنِي أَنْ أَغْفِرَ ذُنُوبَ الْآخَرِينَ كَيْ أَحَقِّقَ مَا عَلَّمْتَنِي، وَلَكَ الْمَجْدُ يَا سَيِّدِي الْغُفُورِ.

التجربة والقوة والملك

"وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّ. لَأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ."

(متى ١٣: ٦)

تقع هذه الطلبة تحت ما نُسَمِّيه بالحرب الروحية حيث أننا جزء من الصراع العظيم الذي يدور بين الله والشیطان، وعلينا أن نكون في حالة صحو دائم لما قد نقع فيه من تجارب من عدونا إبليس. يُوكِّد لنا الرسول يعقوب ١: ١٣ بأن "الله لا يُجَرِّبُ أحداً". فهو له المجد يسمَح بالتجربة لتنقية نفوسنا من كل ما لا يرضيه فينا.

في هذه الطلبة، نتضرع إلى الله وهو أبونا السماوي، بأن ينظر إلينا كما نحن، أي مخلوقات تحت تأثير الخطية، ليس بإمكاننا التغلب على عبودية الخطية بقوانا الخاصة، ولا أن نقوم بصنع الخير بدون معونة فادينا يسوع. نصرخ إلى الله في هذه الطلبة بأن لا يسمح لنا بأن نُغلب من الشرير، وألا أن نقع في تجارب عديدة تُواجهنا في الحياة.

نتوسل إلى الله في هذه الطلبة بأن يعطينا القوة الروحية التي تمكِّننا من التغلب على جميع التجارب، والتي تُعطينا الغلبة على الشرير عدونا اللدود، وعلى شهواتنا الخاصة، وعلى الذين يودون الإيقاع بنا في حبال الشر والخطية.

وبما أننا نتعرض يومياً لهذه المخاطر الروحية الشديدة، فإننا بحاجة ماسة في كل يوم بأن نتضرع إلى الله قائلين: "وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّ". وعندما نُصلي هذه الصلاة من أعماق قلوبنا، فإننا نُسلم زمام حياتنا إلى الله الذي يقودنا في هذه الحياة، إلى أن يوصلنا إلى ميناء الأبدية، حيث ننعيم هناك بالغلبة التامة والكاملة على الخطية والشر. نُحقق هذه الغلبة على التجربة بهذه الطرق: ١- نتصالح مع الله. ٢- نتأمل دائماً بما تقوله كلمة الله.

٣- نُنكر عدم التقوى وَنَتَقَرَّبَ للمسيح. ٤- نتجنب أجواء ومُحيط التجربة ونهرب منها. ٥- نتعامل مع الله والآخرين بصراحة وشفافية. ٦- المسيح قادر أن يمنحنا الغلبة على التجربة والخطية. وفي هذا يقول بولس: "لَمْ تُصَبِّحُوا بِتَجْرِبَةٍ إِلَّا بِشَرِيَّةٍ. وَلَكِنَّ اللَّهَ آمِينَ، الَّذِي لَا يَدْعُكُمْ تُجْرَبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمُنْقَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا" (١ كورنثوس ١٠: ١٣).

انتصر المسيح على تجارب الشيطان الثلاث في البرية باقتباس ما هو مكتوب في الكتاب المقدس. ويوصي تلاميذه ونحن، أن نطلب قوة الإنقاذ من التجربة والانتصار على المُجَرَّب. وعندما نرفع هذه الطلبة إلى الله، علينا أن نتذكر أن قوة الله هي دائماً في مُتناول كل مؤمن للتغلب على الشيطان، وأنه يتوجب علينا أن نستعين بقوة الله هذه بواسطة الإيمان عالمين أن الروح القدس يأتي إلى معونتنا في كل معركة روحية نخوض غمارها ضد إبليس. وكذلك يُنتظر منا أن نبعد عن أنفسنا التجارب لأنه من العبث أن نطلب من الله أن يساعدنا على الغلبة، بينما نترك لأنفسنا العنان لنقع في كل تجربة تُخيم بالقرب منا.

وكذلك نطلب من الله بواسطة هذه الطلبة أن يقوي إيماننا بصورة مستمرة لنستفيد من جميع الأسلحة الروحية المُعدة لنا من قبله تعالى للتغلب على الشرير. فَمَنْ استعان بوسائل الله للانتصار على الخطية، لا بُدَّ له من الغلبة بشرط أن يكون قد قام بالأمر الأساسي والأولي في الحياة، ألا وهو التصالح مع الله بواسطة الإيمان بيسوع المسيح وعمله الخلاصي، الذي تمَّ على صليب تلة الجلجثة خارج أسوار المدينة المقدسة.

"فَإِنْ سِيرَتْنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخَلَّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيَعَيِّرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ (أي قدرته غير المحدودة) أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢٠-٢١).

صلاتي أن نحقق ما صلاه الرسول يهوذا ٢٤ - ٢٥. "وَالْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاطِرِينَ، وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلَا عَيْبٍ فِي الْإِبْتِهَاجِ، إِلَهُ الْحَكِيمِ الْوَحِيدِ مُخَلَّصًا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الْآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ". في هذا، أفرحي وابتهجي يا نفسي بانتصاركِ برَبِّ المجد.

تعريف الصلاة الشفاعية

"فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طَلِبَاتُ وَصَلَوَاتُ وَابْتِهَالَاتُ وَتَشْكُرَاتُ لِأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ."

(١ تيموثاوس ٢: ١)

يُركِّز بولس على أهمية الصلاة لأجل جميع الناس، في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس، ونرى العديد من الصلوات في رسائله التي كانت سبب عزاء روحي للمؤمنين إلى يومنا هذا. يذكر بولس هنا أربعة أنواع من الصلوات: (١) طلبات (٢) صلوات (٣) ابتِهالات (٤) وتشكرات. رأينا في الإنجيل قوة الصلاة في حياة الرب يسوع، كما بدا ذلك واضحاً في العهد القديم في حياة الأتقياء أيضاً. لنبتهل ونرفع شكرنا لله سواء في الصلاة الجماعية أو الفردية كامتياز لكل تابع وتابعة للمسيح. الصلاة الشفاعية هي صلاة نيابة عن الغير. وكان دور الوسيط في الصلاة شائعاً في العهد القديم، كما في اختبار إبراهيم وموسى ودادود وصموئيل وحزقيا وإيليا وارميا وحزقيال ودانيال. نجد أن العهد الجديد يُصور المسيح كالشفيع الأعظم، ولهذا فإن كل صلوات المؤمنين تُعتبر صلاة شفاعية، لأنها تُقدم لله من خلال المسيح. لقد أغلق المسيح الفجوة بيننا وبين الله بموته على الصليب.

وبسبب وساطة المسيح، صار لنا أن نتشفع اليوم بالصلاة نيابة عن المؤمنين الآخرين، أو من أجل الضالين، طالبين من الله أن يمنحهم التوبة حسب إرادته. وفي هذا يقول الرسول بولس "لأنه يُوجدُ إلهٌ واحدٌ ووَسِيطٌ واحدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ". (تيموثاوس الأولى ٢: ٥). "مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ. الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلِّ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا!" (رومية ٨: ٣٤).

يُمكننا أن نجد نموذجاً رائعاً للصلاة الشفاعية في دانيال ٩. حيث تحتوي على كل عناصر الصلاة الشفاعية الحقيقية. فهي تتماشى مع كلمة الله (الآية ٢)؛ وتُتسم بالتضرع (الآية ٣) وإنكار الذات (الآية ٤)، والتوحد مع شعب الله (الآية ٥)؛ والتشدد بالاعتراف (الآيات ٥-١٥)، والاعتماد على شخص الله (الآيات ٤، ٧، ٩، ١٥)، وهدفها هو تمجيد الله (الآيات ١٦-١٩). ينبغي أن يأتي المؤمنين أمام الله مثل دانيال نيابة عن الآخرين، بكل تواضع وانكسار، مُكرين ذواتهم ومُدركين عدم استحقاقهم.

فلم يقل دانيال: "لي الحق أن أطلبك بهذا يا رب، لأنني واحد من الذين اخترتهم للتشفع" بل قال: "أنا خاطئ"، أي: "أنا لا أستحق أن أطلب أي شيء". فالصلاة الشفاعية الحقيقية لا تطلب فقط معرفة مشيئة الله وتحقيقها، ولكنها تطلب تحقيق مشيئة الله، سواء كانت لفائدة الشخص المُصلي أم لا، وبغض النظر عن تكلفة ذلك بالنسبة له. الصلاة الشفاعية الحقيقية تطلب مجد الله، وليس مجدنا.

نرى في كلمة الله قائمة جزية لمن يُمكننا التشفع من أجلهم: الذين هم في السلطة (تيموثاوس الأولى ٢: ٢)؛ خدام الرب (فيلبي ١: ١٩)؛ الكنيسة (مزمور ١٢٢: ٦)؛ الأصدقاء (أيوب ٤٢: ٨)؛ مواطنينا (رومية ١٠: ١)؛ المرضى (يعقوب ٥: ١٤)؛ الأعداء (ارميا ٢٩: ٧)؛ الذين يضطهدونا (متى ٥: ٤٤)؛ الذين يتخلون عنا (تيموثاوس الثانية ١٦: ٤)؛ جميع الناس (تيموثاوس الأولى ١: ٢).

في سفر التكوين ١٨، نقرأ عن واحدة من أعظم أمثلة التشفع بين الإنسان والله، وذلك حينما تقدم إبراهيم أمام الله متشفعاً بالحاح شديد لأجل الأبرار في مدينة سدوم قائلاً للرب: "أتهلك البار مع الأثيم؟ لو وجد في المدينة خمسون باراً، فهل تدمرها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذين فيها؟ تنزهت عن أن تهلك البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم؛ حاشاً لك.

أديان الأرض كلها لا يُجري عدلاً؟" فقال الرب: "إن وجدت في سدوم خمسين باراً فإنني أصفح عن المكان كله من أجلهم". هكذا استمر إبراهيم في التوسل للرب بأن يصفح عن المدينة، إلى أن وصل إلى عشرة أبرار. عظيم أنت ربّي في عدلك ومحبتك يا أرحم الراحمين. آمين.

صلاة يسوع في يوحنا ١٧

"تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: "أَيُّهَا الْآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُجَدِّدَ ابْنُكَ أَيْضًا." (يوحنا ١٧: ١)

كُتِبَ إنجيل يوحنا بَعْدَ مَتَى وَمَرْقُسَ وَلوقا، لذا، نراه يَكْتُبُ بالتفصيل بعض أحداث من حياة المخلص. يُسَجِّلُ الحبيب في أصحاح ١٧ أطول صلاة للسيد المسيح وأعظمها قَبْلَ آلامه وصلبه، أحداث أشار إليها الإنجيل بتمجيده. صلاة الصلوات صلاها يسوع إلى الآب في لحظات مصيرية تَمَّ الأعداد لها مُنْذُ الأزل حيث كُلُّ خُطْوَةٍ قام بها الفادي في كُلِّ يوم، كانت تُقَرِّبه من نهاية خدمته الأرضية نحو الصليب: حيث دم ابن الله أوصَلَ الإنسان إلى خط النهاية نحو خلاصه العجيب. خَضَعَ الرَّبُّ يسوع إلى جدول زمني أعده الله الآب، وقد حدَّدَ المخلص هذه الخيارات وأشار إليها "بالساعة" حيث قال مراراً "لم تأت ساعتي بعد" (يوحنا ٢: ٤).

في هذه الصلاة الشفاعية، أدرك المسيح اقتراب ساعة آلامه وصلبه فقال "أَيُّهَا الْآبُ قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ". مُشيراً إلى صلاته في يوحنا ١٢: ٢٧-٣٢، وسماعه صوت الله "مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضًا". كانت ذبيحة المسيح على الصليب قد سَبَقَتْ قيامته المجيدة، حيث نرى أن الصليب أتى قَبْلَ التاج، كي تنالوا أنتم وأنا الفداء. لِنَتَّبِعْ خطوات سيدنا المسيح، ونحتضن الصليب لأجل اسمه، كي نُنالَ عن قريب نصيبنا من مجده في الديار السماوية.

مُعْظَمُنَا يعرف كيف يبدو الأمر عندما نسمع رجلاً تقياً أو امرأة تقيّة يُصَلِّيَانِ بعمق؛ ثَمَّةُ شيء مُقَدَّس ورائع في تلك الصلاة. ومع ذلك توجد صلاة تفوق كل هذا، وهي صلاة يسوع لإلهه وأبيه، وهي الصلاة الوحيدة الطويلة المسجلة في الأناجيل. كانت الجمَلُ فيها بسيطة، لكن الأفكار كانت عميقة ومؤثرة وذات مغزى.

"لا يوجد صوت مسموع، سواء في السماء أو على الأرض، أكثر عَظَمَةً وقداًسة وغنى وُسُوءاً من الصلاة التي رفعها الابن إلى الله". (ميلانشون) غالباً ما تكشف الصلاة الصادقة أعماق الشخص. ويوحنا الأصحاح ١٧ ليس إلا فرصة فريدة لرؤية طبيعة وقلب يسوع. ففي هذه الصلاة، سيتطرق يسوع إلى العديد من المواضيع التي قُدِّمَتْ في هذا الإنجيل: المجد، التمجيد، الإرسال، الإيمان، العالم، والمحبة.

وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ: هذا يدل على وضعية جسد يسوع بينما كان يصلي. وهذه الوضعية لا تربطها عادة بالصلاة العميقة. فعندما نصلي، عادة ما نحني رؤوسنا ونغمض أعيننا. لكن صلى يسوع مستخدماً عادات الصلاة التي كانت شائعة في زمنه (يوحنا ١١: ٤١، مرقس ٧: ٣٤، مزمور ١٢٣: ١).

خُصِّصَتْ مساحة كبيرة في الكتب المقدسة لصلوات يسوع الشفاعية مع اقترابه من نهاية خدمته. فَبَعْدَ العشاء الأخير، وانهاء خدمته العلنية، ولم يبق شيء سوى الموت، كرَّسَ يسوع نفسه بالكامل للصلاة. وبدلاً من تعليم الجموع وشفاء الأمراض، صَرَفَ يسوع الفترة المتبقية قبل موته في الصلاة الشفاعية. فقد سَكَبَ روحه في الحياة قبل أن يسكبها حتى الموت. "سبيرجن".

تبين الكلمات 'وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ' أيضاً أن يسوع رفع عينيه للأعلى وهو مملوء بالرجاء لا بالكتئاب أو الحزن. ورغم أن صلاته كانت صلاة تُعَبِّرُ عن الإيمان والثقة، بل حتى النصر - لكنه كان مُدركاً تماماً لحقيقة الصراع القادم. "كثيراً ما نعتقد أن هذه الصلاة كانت مليئة بالتشاؤم والحزن، ولكن الأمر عكس ذلك تماماً. فقد رُفِعَتْ هذه الصلاة من قِبَل شخص أكَّدَ لتوه أنه قد غلب العالم (يوحنا ١٦: ٣٣)، وبدأ صلاته من هذه القناعة "موريس". ساعدني أيُّهَا الْآبُ أن أُكْرِسَ حياتي لك ولمجدك لتكون حياتي حياة تكريس دائم لك.

مفهوم المجد في هذه الصلاة

"وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ."

(يوحنا ١٧: ٥)

مَعَ أَنَّ يَسُوعَ كَانَ اللَّهُ الابْنُ بِالْكَامِلِ، وَعَاشَ حَيَاتِهِ بِكَامِلِهَا فِي تَسْلِيمِ كُلِّ لِسُكْنَى رُوحِ اللَّهِ الْقُدُّوسِ وَاعْتِمَادِ تَامٍ عَلَى اللَّهِ الْآبِ، وَعَمَلَ بِمَوْجِبِ مَا سَمِعَهُ مِنْ فَوْقٍ. وَحَيْثُ أَنَّهُ أَكْمَلَ عَمَلَهُ عَلَى الْأَرْضِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، تَوَجَّهَ بِكُلِّ عَزْمٍ نَحْوَ الْإِنْتِصَارِ الْعَظِيمِ عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَالْمَوْتِ وَقَوَى الشَّيْطَانَ الشَّرِيرَةَ - صَلِيبَ جُلُجَّةٍ.

وَضَعَّ يَسُوعَ مُسَاوَاتِهِ، وَالْمَجْدَ الْأَزْلِي الَّذِي كَانَ لَهُ مَعَ الْآبِ جَانِباً عِنْدَمَا تَوَاضَعَ وَأَخَذَ صُورَةَ عَبْدٍ صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. أَصْبَحَ الْمَسِيحُ بِهِاءَ مَجْدِ اللَّهِ وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، عَبْرَ الزَّمَنِ إِلَى الْأَبَدِيَّةِ - لِكِي بِالْإِيمَانِ بِهِ، يَنَالَ الْخُطَاةُ فِدَاءً مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ وَلَعْنَةِ النَّامُوسِ وَالْإِنْفِصَالِ الْأَبَدِيِّ عَنِ اللَّهِ خَالِقِهِمُ الْقُدُّوسِ.

لَقَدْ مَجَّدَ يَسُوعَ اللَّهُ الْآبَ خِلَالَ خِدْمَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ فِي الْفِكْرِ، وَالْكَلِمَةِ، وَالْأَعْمَالِ، وَأَنْهَى مَا أَعْطَاهُ الْآبُ مِنْ عَمَلٍ. فَصَلَّى يَسُوعَ لِلآبِ أَنْ يُمَجِّدَهُ الْآنَ ثَانِيَةً بِالْمَجْدِ وَالْمَسَاوَةِ اللَّذَانِ كَانَا لَهُ مُنْذُ الْأَزَلِ مَعَ الثَّالُوثِ الْأَقْدَسِ.

لَا حِظُوا تَكَرُّارَ الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةِ: الْآبُ، أَبْنُكَ، أَبْنُكَ، لِيُمَجِّدَكَ أَنْتَ، تَدُلُّ عَلَى وَجُودِ عِلَاقَةٍ حَيَّةٍ وَعَمِيقَةٍ. فَقَدْ صَلَّى يَسُوعَ وَهُوَ يَعْرِفُ بِأَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِعِلَاقَةٍ غَنِيَّةٍ وَيَعْرِفُ تَرْتِيبَ وَطَبِيعَةِ الْعِلَاقَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّهِ الْآبِ وَاللَّهُ الْإِبْنِ.

الْآبُ: "وَيَضَعُ أَمَامَنَا هُنَا مِثَالاً لِنَتَّبِعَهُ: فِي كُلِّ أَوْقَاتِ الضِّيقِ، دَعَوْنَا نَسْتَنْدِ عَلَى عِلَاقَةِ الْبَنُوَّةِ وَالتَّبَنِّيِ الَّتِي نَتَمَتَّعُ بِهَا مَعَ إِلَهِنَا الْعَظِيمِ. وَدَعَوْنَا نَذْهَبَ إِلَى أَبِيْنَا، فَلَمَنْ غَيْرَ الْآبِ يُمَكِّنُ لِلطِّفْلِ أَنْ يَلْجَأَ؟" سَبِيرَجَن.

الْأَسَاعَةُ: "بَعِينَ إِيْمَانِهِ كَانَ يَرَى أَنَّهَا مُجَرَّدُ سَاعَةٍ: مُتَنَصِّفُ اللَّيْلِ فِي جَثْسِيمَانِي، صَبَاحَ الْجُلْدِ، يَوْمَ الصَّلْبِ، كُلُّهَا كَانَتْ مُجَرَّدُ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ قَصِيرَةٍ. فَهَلْ هُوَ فِي وَرْطَةِ الْآنِ، لِأَنَّ وَقْتَ الْمَخَاضِ قَدْ حَانَ؟ كَلَّا، فَهِيَ مُجَرَّدُ سَاعَةٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ، مُقَابِلَ الْفَرَحِ الَّذِي سَيُؤَلِّدُ فِي الْعَالَمِ بِسَبَبِ آلَامِهِ الْبَشْعَةِ. فَمَحَبَّتُهُ وَصَبْرُهُ جَعَلَاهُ يَنْظُرُ إِلَى فِتْرَةِ الْخِزْيِ وَالْعَارِ بِاحْتِقَارٍ وَاعْتِبَرَهَا مُجَرَّدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ جَدًّا". سَبِيرَجَن.

مَجَّدَ أَبْنُكَ: صَلَّى يَسُوعَ أَوَّلًا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ، لَكِنْ طَلَبْتَهُ لَمْ تَكُنْ أَنَانِيَّةً. فَقَلِقَهُ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ مَدْفُوعاً بِقَلْقِهِ عَلَى مَجْدِ الْآبِ. فَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِبْنُ أَنْ يُمَجِّدَ الْآبَ إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبِ الْآبُ لَصَلَاةِ الْإِبْنِ: 'مَجَّدَ أَبْنُكَ'.

"لَنْ يَتَمَجَّدَ الْآبُ إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَبِيحَةُ يَسُوعَ عَلَى الصَّلِيبِ مَقْبُولَةً، أَوْ إِنْ لَمْ يَسْتَرِدِ الْإِبْنُ مَكَانَتَهُ فِي حَضْرَةِ مَجْدِ الْآبِ. فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَهْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ قَدْ فَشَلَتْ، وَأَنَّ هَدَفَ النِّعْمَةِ قَدْ انْهَزَمَ إِلَى الْأَبَدِ". "كَارْسُون". "أَيُّهَا الْآبُ، قَدْ أَتَتْ السَّاعَةُ: مَجَّدَ أَبْنُكَ، مِمَّا يُوْضِحُ أَنَّ يَسُوعَ الْإِنْسَانَ هُوَ نَفْسُهُ اللَّهُ الْإِنْسَانُ؛ وَصَارَ ذَلِكَ وَاضِحاً فِي قِيَامَتِهِ وَصُعُودِهِ". "تَرِينش". فِي الْأَعْدَادِ مِنْ ١-٥ فِي يُوْحَنَّا ١٧ نَجَدُ فِي صَلَاةِ الْمُخْلَصِ ٤ حَقَائِقَ هَامَّةً:

١- يَأْتِي كُلُّ الْمَجْدِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ. وَمَجْدُ اللَّهِ يَزْدَادُ عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطِيهِ، لِهَذَا السَّبَبِ، اخْتَارَ اللَّهُ الْأُيُّشَارَكَ مَجْدَهُ مَعَ الْمَسِيحِ وَحَسَبَ، بَلْ مَعَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، إِذْ يُشَارِكُونَ اسْمَهُ الْقُدُّوسِ مَعَ غَيْرِهِمْ أَيْضاً.

٢- يَعْنِي الْمَجْدُ هُنَا "رَغْبَةُ يَسُوعَ أَنَّ النَّاسَ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ، وَيَصَلِّيُ الْمُخْلَصُ أَنْ تَكُونَ نَظَرَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ سَامِيَّةً أَيْضاً، يَتِمُّ ذَلِكَ إِذْ يُرَاقِبُ الْبَشَرُ حَيَاةَ الْمَسِيحِ، فَيُعْطُونَ لِلَّهِ الْمَجْدَ.

٣- أَكَّدَ يَسُوعَ أَنَّهُ مَجَّدَ الْآبَ إِذْ أَنْهَى الْعَمَلَ الْمُوَكَّلَ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّبَ بَعْدَ وَيَقُولُ عَلَى الصَّلِيبِ "قَدْ أُكْمِلَ". نَجَدُ الْجَوَابَ فِي يُوْحَنَّا ١٣: ٣١-٣٢ حِينَ أَكَّدَ عَلَى خِيَانَةِ يَهُوذَا لَهُ، يَلِي ذَلِكَ الْمَجْدَ. نَرَى إِذَا، بَعْدَ صَلَاتِهِ خَرَجَ إِلَى الْبِسْتَانِ وَقَامَ يَهُوذَا بِتَسْلِيمِهِ، وَالْمُحَاكَمَةِ تَلَاهَا الصَّلْبُ. ٤- لَمْ يَطْلُبْ يَسُوعَ مَجْداً جَدِيداً لِنَفْسِهِ، بَلْ الْمَجْدَ الَّذِي كَانَ لَهُ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لَكَ يَا سَيِّدِي الْمَسِيحُ كُلُّ مَجْدٍ وَكَرَامَةٍ، قَوِيَّ إِيْمَانِي كِي أَعْكِسَ مَجْدَكَ لِلْآخَرِينَ وَأُضِيءَ بِنُورِكَ فِي حَيَاتِي. آمِينَ.

الحياة الأبدية

"وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ."

(يوحنا ١٧: ٣)

ابتدأ يسوع رئيس كهنتنا صلاته الشفاعية هذه بالصلاة لأجل نفسه، مع التركيز على طاعة مشيئة الآب. قصد المخلص بخدمته الأرضية إعطاء المجد لله، حيث بتضحيته وموته على الصليب، حقق الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان. أعطى الله المسيح كشفيق ووسيط القوة ومجده، وسيُمجَّد ثانية ليعطي الحياة الأبدية لجميع الذين يؤمنون به، وأشار في صلاته أيضاً إلى الحياة الأبدية حيث شرح معناها.

الحياة الأبدية هي هبة من الله، لا تعتمد البتة على استحقاق الإنسان أو أعماله الصالحة، مهما عظمت، تبقى كثياب رثة. نال الحياة الأبدية بنعمة الله وعطيته منه، من خلال دمه وبره، يُعَدَّقُ المسيح هباته على جميع الوثائقين به. يُشِيرُ يوحنا ١٦-١٨ إلى أن الخلاص يأتي فقط من خلال الإيمان بالرب يسوع المسيح، وهذا الخلاص ينتج عنه الحياة الأبدية مقارنة بالموت الأبدي حيث انفصال الأشرار الأبدي عن الله.

صلى المخلص هذه الصلاة قبل ذهابه للصليب، عالماً بأن موته على الصليب هو الوسيلة الوحيدة لفداء الإنسانية. أظهر موت المسيح عظيم محبته للآب السماوي حيث قبل صلبه صلى طالباً مشيئة الله أن تتم. لقد حقق قصد الله وأكمل مهمته لخلاص البشرية.

لذا، شرب يسوع مرارة كأس الآلام والموت في طاعة حُبِّية لمشيئة الله، واستحقَّ بذلك الكرامة والمجد والعظمة من قبل الآب الذي أجلسه عن يمينه في سماء السماوات، وأعطاه أن يهب الحياة الأبدية لجميع المؤمنين والمؤمنات به، حيث دُفِعَ كُلُّ سُلْطَانٍ ما في السماوات والأرض بين يديه قبل تأسيس العالم. بهذا المقدار والاتساع، أحبَّ الله النَّاسَ (أنتم وأنا) حتى بذل ابنه الأوحد لكيلا يهلك من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. في هذا، اندهشي أيتها الأرض وتحيرِّي أيتها السماوات. "أن يعرفوك" تشير المعرفة هنا إلى العلاقة الوثيقة التي تربط المؤمن بالمسيح، ويستعملها البشير يوحنا إلى جانب الإيمان. يمكن للناس أن يعرفوا الله بكلامهم ويُنكرُونه بتصرفاتهم وأعمالهم كما يفعل البعض، معرفة الله الحقيقية كإله مُخْلِص وفادي، شفيق ورحيم، وغافر الذنوب والخطايا، تأتي من خلال المسيح يسوع وحده الذي أرسله الله. إن أعظم حاجات الإنسان وأعمقها هي إلى الحياة الأبدية، رغم أنه قد لا يدرك أهميتها، يبقى الله أعظم صديق للإنسان يعطيه الحياة الأبدية من خلال ابنه يسوع المسيح.

الحياة الأبدية هي هبة نعمة الله المجانية لجميع المؤمنين به، وكما عرّفها الحبيب يوحنا قائلاً "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ".

إنها معرفة الله بشكل شخصي ويسوع المسيح الذي أرسله الله فادياً ومخلصاً للإنسانية. لا نستطيع أن نعرف الآب بمَعْرِزٍ عن الابن، لأن يسوع هو الذي يتكلم الله بواسطته للبشرية، وكما ذكرنا المسيح إذ قال: "أنا والآب واحد". واحد في القصد وواحد في الحق، وواحد في الحياة والروح. يسوع - الله ظهر في الجسد - هو الوحيد الذي أعلمنا عن الله - من خلال قوة الروح القدس.

عندما نعرف الله، نعرف الحق الذي يُحرِّرنا، ونعرف حقيقة الخطيئة في كونها عاجزة عن تحقيق حاجتنا الروحية. في معرفة الله، نعرف أنفسنا على حقيقتها، وميلنا لعمل الشر والابتعاد عن الله. هذه المعرفة، تُعطينا حكمة حقيقية لنعيش في العالم، ونسعى للحصول على الحياة الأبدية الفياضة، دون أن نكون جزءاً من العالم. عندما نعرف الله، نعرف المحبة لأنه المحبة في كمالها.

بدون خالقنا لا توجد حياة، وبدون المسيح لا يوجد أي تواصل مع الله والحياة الأبدية، لأنه نور الحياة الذي يُعطي لحياتنا مغزى وقيمة. ربي، ساعدني أن أعرفك بكلماتي وحياتي وأعيش لمجدك إلى أن أراك آتياً لتأخذني معك إلى ديار المجد عن قريب.

يسوع يُصلي لتلاميذه

"مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَأَنْتَهُمْ لَكَ."

(يوحنا ١٧: ٩)

إِذ اقْتَرَبَتْ سَاعَةُ تَسْلِيمِ الْمَسِيحِ لِيُصَلَّبَ، أُعْطِيَ لَهُ الْمَجْدُ، تَلَامِيذُهُ لِمِحَّةٍ مُدْهَشَةٍ عَنِ الْعِلَاقَةِ الْحَمِيمَةِ الَّتِي تَرَبُّطُهُ بِأَبِيهِ السَّمَاوِيِّ أَبِي الْمَرَا حِمٍ، وَهُوَ يُصَلِّي عَلَى مَسَامِعِهِمْ صَلَاتَهُ الشَّفَاعِيَّةَ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ١٧. كَانَ قَلْبُهُ الْحَنُونُ مَعَ تَلَامِيذِهِ الْأَحْبَاءِ - الَّذِينَ قَبَلُوهُ وَتَبِعُوهُ وَآمَنُوا بِهِ. سَارُوا مَعَهُ لَأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ حَيْثُ أَعْطَاهُمْ كَلَامَ الْحَيَاةِ وَرَأَوْا فِيهِ اللَّهَ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، مَاءٌ وَنُورُ الْحَيَاةِ، رَبُّ الْقِيَامَةِ، الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَادِرُ أَنْ يُعْطِيَ نُورًا لِعَالَمٍ ضَائِعٍ وَهَالِكٍ. صَلَّى يَسُوعُ مِنْ أَجْلِ تَلَامِيذِهِ، الَّذِينَ هُمْ فِي خَطَرٍ مُهِلِكٍ لِفُتُورَانِ إِيْمَانِهِمْ بِهِ فِي الْأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ، عِنْدَمَا لَنْ يَتَوَاجَدَ يَسُوعُ مَعَهُمْ فِي الْجَسَدِ فِيمَا بَعْدَ. لِهَذَا، أَوْدَعَهُمْ تَحْتَ رِعَايَةِ أَبِيهِ.

كَانَ سَيُعْطِيهِمُ الْمَأْمُورِيَّةَ الْعُظْمَى بِحَمْلِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ إِلَى الْعَالَمِ حَيْثُ سَيَكُونُونَ لَهُ شُهَدَاءَ وَنُوبًا عَنْهُ. أَدْرَكُوا أَنَّ يَسُوعَ قَدْ أَتَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَهُ. صَلَّى الْمُخْلِصُ مِنْ أَجْلِ تَلَامِيذِهِ، لِيَكُونُوا مُتَّحِدِينَ فِي تَعَالِيمِ الْإِنْجِيلِ، وَالْإِيْمَانِ وَالرَّجَاءِ وَالْحَقِّ، وَالْمَحَبَّةِ. إِنَّ حُكْمَ يَسُوعَ عَلَى تَلَامِيذِهِ كَانَ سَخِيًّا، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى عَمَلِ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ فِيهِمْ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ضَعْفَاتِهِمْ وَأَخْطَائِهِمْ، حَفِظُوا كَلَامَ اللَّهِ. "نَظَرَ إِلَيْهِمْ بِنُظْرَةِ الْإِيْمَانِ وَالْأَمَلِ وَالْمَحَبَّةِ، وَأَدْرَكَ تَفَانِيَهُمُ الْحَالِي وَإِمْكَانِيَّاتِهِمُ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ" "بِرُوس".

كَانَ يَسُوعُ يُفَكِّرُ فِي تَلَامِيذِهِ وَهُوَ يُصَلِّي. فَهُوَ لَمْ يُصَلِّ بِشَكْلِ عَامٍ لِلْعَالَمِ، بَلْ صَلَّى مِنْ أَجْلِ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ كَانُوا سَيَحْمِلُونَ رِسَالَةَ الْمَحَبَّةِ وَالْخَلَاصِ لِلْعَالَمِ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَفْهَمُوا كُلَّ شَيْءٍ عَنْ يَسُوعَ وَعَنْ مَهْمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ كَانُوا مُقْتَنِعِينَ بِأَلُوْهِيَّتِهِ وَبِتَعَالِيْمِهِ.

يَا لَهُ مِنْ شَرَفٍ نَادِرٍ وَمُقَدَّسٍ أَنْ يُعَايِنَ الْمَرْءَ لَيْسَ فَقَطْ كَيْفَ يَصِيغُ ابْنُ اللَّهِ السَّمَاوِيِّ صَلَاتَهُ، بَلْ كَيْفَ يَصُوغُ مُبَرَّرَاتِ طَلِبَاتِهِ أَيْضًا. فَهَذِهِ الْمُبَرَّرَاتُ تُعَبِّرُ عَنِ الْوَحْدَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ الْآبِ وَالابْنِ، وَتُكْشِفُ أَنَّ صَلَوَاتِ يَسُوعَ لِأَجْلِ أَتْبَاعِهِ تَقُومُ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ وَخَطَّتُهُ لَنَا وَالتِّي لَا يُمْكِنُنَا إِدْرَاكُ أَبْعَادِهَا "كَارِسون".

عِنْدَمَا صَلَّى يَسُوعُ: "لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ" لَمْ يَكُنْ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَهْتَمِ بِالْعَالَمِ الضَّالِّ؛ بَلْ أَرَادَ التَّرْكِيزَ عَلَى تَلَامِيذِهِ. "كَانَ يَصَلِّي مِنْ أَجْلِ الْأَدَاةِ الَّتِي صَنَعَهَا، وَالتِّي مِنْ خِلَالِهَا سَيَصِلُ إِلَى الْعَالَمِ". "مُورْغَان". لَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ يَسُوعَ صَلَّى مِنْ أَجْلِ تَلَامِيذِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ فَقَطْ، مَاذَا نَقُولُ عَنْ بَاقِي النَّاسِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَالَمِ؟ عَلَّمْنَا الْمُخْلِصَ بِتَعَالِيْمِهِ وَمِثَالِهِ أَنَّ نُحِبَّ الْجَمِيعَ حَتَّى الْأَعْدَاءِ، أَلَمْ يُصَلِّ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ صَلَبُوهُ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ؟ فَالصَّلَاةُ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ هِيَ مِنْ صِفَاتِ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ. يَسُوعُ يَهْتَمُّ بِالْعَالَمِ؛ بِالتَّأَكُّدِ، فَهُوَ مُخْلِصُ الْعَالَمِ.

لَكِنَّ اتِّشَارَ الْإِنْجِيلِ مُرْتَبِطٌ بِشَهَادَةِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ سَيُذْهِبُونَ لِیَكْرِزُوا بِالْأَخْبَارِ السَّارَّةِ. لِهَذَا السَّبَبِ كَانَ يَسُوعُ بِحَاجَةٍ لِأَنْ يَتَشَفَّعَ مِنْ أَجْلِهِمْ حَتَّى لَا يَهْزِمَهُمُ الشَّرِيرُ (إِنْجِيلٌ مَتَّى ١٣: ١٣). مَعَ ذَلِكَ، وَاحِدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ هُزِمَ. فِي وَقْتٍ سَابِقٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَسَاءِ، ذَكَرَ يَسُوعَ بِأَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ سَيُسَلِّمُهُ (إِنْجِيلُ يُوْحَنَّا ١٣: ١٨-٣٠).

بِالرَّغْمِ مِنْ إِشَارَةِ يَسُوعَ إِلَى حَقِيقَةِ أَنَّ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ قَدْ أَنْبَأَتْ عَنْ خِيَانَةِ يَهُوذَا (مَزْمُور ٤١: ٩)، لَمْ يَكُنْ يَهُوذَا ضَحِيَّةَ الْقَدَرِ. أَثْنَاءَ الْعِشَاءِ الْآخِرِ، تَوَسَّلَ يَسُوعُ بِیَهُوذَا فِي إِيمَاءَةٍ مُحَبَّةٍ وَصَدَاقَةٍ (يُوْحَنَّا ١٣: ٢٦-٣٠). "وَعِنْدَ عِشَاءِ الْفَصْحِ، أَعْلَنَ يَسُوعُ أَلُوْهِيَّتَهُ بِكُشْفِهِ لِنَوَايَا الْخَائِنِ. أَنَّهُ بِكُلِّ رَقَّةٍ شَمَلَ يَهُوذَا فِي خِدْمَتِهِ الَّتِي قَامَ بِهَا لِأَجْلِ التَّلَامِيذِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَرِثْ لِآخِرِ تَوَسُّلَاتِ الْمَحَبَّةِ" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٦٨١).

صَلَّى الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِ تَلَامِيذِهِ الَّذِينَ هُمْ خَاصَّةُ الْآبِ أَيْضًا كَيْ يَمْنَحَهُمُ اللَّهُ الْقُوَّةَ لِلْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ. وَإِذْ نَعِيشُ فِي وَقْتِ الْمُنْتَهَى، مَا أَحْوَجُنَا كِتَابَةَ الْمَسِيحِ إِلَى قُوَّةٍ مِنَ الْأَعَالِي كَيْ نَكْرِزَ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَنُعَدَّ شُعْبًا لِمُلَاقَاةِ رَبِّ الْمَجْدِ فِي عَوْدَتِهِ الْوَشِيكَةِ لِعَالَمِنَا. وَنَشْهَدُ أَلَّا يُوجَدُ اسْمٌ آخَرُ قَدْ أُعْطِيَ لِخَلَاصِنَا سِوَى اسْمِ الْمَسِيحِ الْحَبِيبِ. لَكَ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْبَرَكَةُ رَبِّي الْبَارَ لَأَنَّكَ مَنَحْتَ الْبَرَكَةَ لِتَلَامِيذِكَ مَاضِيًا وَحَاضِرًا. آمِينَ.

المسيح يُصلي لكل المؤمنين

"وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ."

(يوحنا ١٧: ٢٠)

في الإصحاح ١٧ من إنجيل يوحنا، بدأ يسوع صلاته الكهنوتية والشفاعية بتكريس نفسه لله واستعادة المجد الذي كان له منذ تأسيس العالم، ثم صلى من أجل تلاميذه. انتقل بعدها إلى كل المؤمنين (أنتم وأنا) ووصولاً إلى أيّامنا هذه، طالباً البركة الروحية لجميع الذين آمنوا به من خلال خدمة الرُّسل. أناس مُخلصين حملوا رسالة الخلاص إلى أقاصي الأرض حسب ما أوصاهم المسيح، وأرسلهم للخدمة بقوة الروح القدس. وقد أكد بولس هذه الحقيقة لتلميذه إذ قال "وَمَا سَمِعْتُهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدَعَهُ أَنَا أَمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا" (٢ تيموثاوس ٢: ٢).

يسوع محور الإيمان الحقيقي، كمُخلص نعتد عليه لحياتنا وخلصنا، والذي تركز عليه الكرازة بالإنجيل في تعريفنا للطريق والحق والحياة. لذا، صلى الفادي لأجل الأجيال القادمة من المؤمنين الذين يختبرون الولادة الجديدة، ونجاح مبادئ الإنجيل في حياتهم.

نَظَرَ الْمُخَلَّصَ أَبْعَدَ مِنَ الْجِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ صُعودِهِ لِلسَّمَاءِ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ لَهُمْ وَلَنَا لَكِي نَكُونَ مُتَّحِدِينَ بِالْمَحَبَّةِ، كِي يُؤْمِنَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِنَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ يَسُوعَ لِيَكُونَ مُخَلِّصَ الْعَالَمِ. لِنَأْتِ إِلَيْهِ مَعاً طَالِبِينَ حَيَاتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَمُحَبَّتِهِ وَرُوحَهُ أَنْ يُعِينَنَا لِنُحَقِّقَ مَا دَعَانَا إِلَيْهِ.

وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ. وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ: صلى يسوع لأجل تلاميذه الأحد عشر، ولكنه كان يفكر بكل الذين سيؤمنون لاحقاً. لهذا صلى لأجل أولئك الذين سيؤمنون بسبب شهادة هؤلاء التلاميذ. صلى يسوع لأجلنا. صلى من أجلهم ومن أجلنا. "فقد عرف أن صلواته الشفعية لأجلهم ولأجلنا سوف تسود. لذا دعونا نستريح فيه بكل طاعة وثقة" "مورغان".

مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ: يدل هذا على أن يسوع كان يعلم أن فشل التلاميذ القريب أمر مؤقت فقط. سوف يسمع آخرون منهم، وسيأتي البعض للإيمان بيسوع بواسطة شهادة التلاميذ. ذهب يسوع إلى الصليب وهو يعرف أن عمله سوف يدوم. ولم يكن يشك أبداً بما سيفعله الله من خلالهم. فقد ترك يسوع عمله الأرضي وهو واثق تماماً بعمل الله من خلال التلاميذ. لقد تركهم في عالم عاشوا فيه حلاوة خلاصهم، كي يحملوا بشرى الخلاص الذي بدأه المسيح بخدمته الأرضية وينشروا كلمة الحق إلى كل بقاع العالم.

صلى الرب يسوع لأجل تلاميذه، بالإضافة لجميع الذين يؤمنون به من خلال كلمة الحق التي حملها الرُّسل بدءاً من أورشليم وإلى أقصى الأرض، كي يقوهم الرب ويكمل جهودهم بالنجاح. ستكون الكرازة بالإنجيل المسيح الأساس الذي ستبنى عليه مبادئ الإيمان المسيحي. ويُخبرنا الطبيب لوقا في سفر أعمال الرُّسل عن انتشار المسيحية إلى أوروبا وآسيا الصغرى على يد الرسول بولس ومن عملوا معه.

وَصَفَّتْ كَاتِبَةُ مُلْهَمَةِ مَوْقِفِ الْمَسِيحِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ فِي أَيَّامِنَا فَقَالَتْ "مَا كَانَ الْمَسِيحُ لِتَلَامِيذِهِ الْأَوَّلِينَ، هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ مِنْ صَلَاتِهِ الَّتِي صَلاَهَا قَائِلاً: "وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ" يوحنا ١٧: ٢٠.

وقد صلى لأجلنا وابتهل إلى الله لكي نكون واحداً، كما أنه هو والآب واحد" (روح النبوة، طريق الحياة، صفحة ٦٧). أيها الربُّ القدير والقدوس، أَرْجُوكَ أَنْ تُحْطِمَ مَا يُبْعِدُنَا عَنْ بَعْضِنَا الْبَعْضَ. وَحَدِّ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَنَحْنُ نُرَكِّزُ أَنْظَارَنَا عَلَى الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ مِثَالَنَا الْكَامِلِ. شُكْرًا لَأَنَّكَ فَكَّرْتَ فِيَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي لَجِيلٍ النّهائية، حَقِّقْ مَا طَلَبْتَهُ لِأَجْلِي مِنْ تَقْدِيسٍ لِأَعْمَلِ عَمَلِكَ فِي أَنْتَظَر رُجُوعَكَ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ، يَا فَادِي نَفْسِي لَكَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ أَبَدَ الدُّهُورِ وَالتَّسْبِيحَ لِاسْمِكَ الْعَظِيمِ. آمِينَ.

قَدْ سَهُمْ فِي حَقِّكَ

"قَدْ سَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ." (يوحنا ١٧: ١٧)

تعني كلمة "تقديس" فرز الإنسان لِعَرَضٍ مُعَيَّن. أَكَّدَ يسوع في صلاته وجود تلاميذه في العالم، لكنهم ليسوا من العالم، لقد أفرزوا لِقَصْدٍ مُعَيَّنٍ ورسالة مُمَيَّزَةٍ، والمطلوب منهم أن ينفصلوا عن مُمَارَسَاتِ الْعَالَمِ الَّتِي لَا تُرْضِي اللَّهَ، لكنهم ما زالوا "نور الْعَالَمِ وَمِلْحَ الْأَرْضِ". في وقت مُبَكَّرٍ من تلك الليلة، قال يسوع لتلاميذه "أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ." (يوحنا ١٥: ٣). وفي صلاته أَكَّدَ الْمُخَلَّصُ لِلَّهِ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَعْطَاهُ قَدْ سَلَّمَهُ لِتَلَامِيذِهِ أَيْضًا. فَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ شَخْصِيَّةٌ مُمَثِّلَةٌ بِالْكَلِمَةِ يسوع المسيح اللَّهُ الْمُتَجَسَّدُ، كما أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، الْمَوْحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ. اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ حَيْثُ يَأْتِي الْخَلَاصُ بِقُبُولِنَا حَقِيقَةَ اللَّهِ، وَمَنْ نَكُونُ نَحْنُ.

لأنَّ اللَّهَ قَدُوسٌ، وَاسْمُهُ قَدُوسٌ، فَلَا عَجَبَ أَنْ تَكُونَ كَلِمَتُهُ مُقَدَّسَةً أَيْضًا. هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ تُقَدِّسُنَا وَتُخَصِّصُنَا لِلَّهِ، لِذَلِكَ طَلَبَ الرَّبُّ يسوع مِنَ الْآبِ قَائِلًا: "قَدْ سَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ" (يوحنا ١٧: ١٧). وَالتَّقْدِيسُ لَهُ ٣ وَجْهَاتٍ أَسَاسِيَّةٌ: ١- التَّقْدِيسُ بِذِيحَةِ الْمَسِيحِ: "فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً". (عبرانيين ١٠: ١٠). وَهَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ لِأَجْلِنَا، وَبِهِ يُصْبِحُ الْمُؤْمِنُ فِي وَضْعٍ جَدِيدٍ أَمَامَ اللَّهِ.

٢- التَّقْدِيسُ بِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ: "أَعْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا" (١ كورنثوس ٦: ١١)، وَيَقُولُ بَطْرُسُ "بَطْرُسُ... إِلَى الْمُتَعَرِّبِينَ... الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللَّهِ الْآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس: ٢، ١). وَهَذَا أَيْضًا عَمَلُ اللَّهِ دَاخِلِيًّا فِي الْمُؤْمِنِ مِمَّا يَجْعَلُهُ أَدَبِيًّا مُفْرَزًا لِلَّهِ.

٣- التَّقْدِيسُ بِتَأْثِيرِ الْكَلِمَةِ: "قَدْ سَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ". (يوحنا ١٧: ١٧)، "طَهَّرُوا نَفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الْأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّبَاءِ". (١ بطرس: ١: ٢٢). وَيُشَارُ إِلَى الْكَلِمَةِ بِالْمَاءِ "أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، لِكَيْ يَقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أفسس: ٥: ٢٥، ٢٦).

صَلَّى الرَّبُّ يسوع لِتَلَامِيذِهِ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى بِأَنْ يَتَقَدَّسُوا بِالْحَقِّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. يُعْتَبَرُ تَقْدِيسُ الْخَاطِئِ الَّذِي نَالَ الْخَلَاصَ بِالنِّعْمَةِ، عَمَلُ الرُّوحِ الْقُدُسِ الْخَاصُّ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ طِيلَةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ لِيَنْمُو عَلَى شِبهِ أَخْلَاقِ سَيِّدِهِ الْمَسِيحِ. تَقُولُ كَاتِبَةُ مِلْهَمَةٍ عَنْ قُوَّةِ كَلِمَةِ اللَّهِ "إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ لَوْ دَرَسَهَا الْإِنْسَانُ وَأَطَاعَهَا فَإِنَّهَا تَعْمَلُ فِي الْقَلْبِ مُخَضَّعَةً كُلِّ صِفَةٍ غَيْرِ مُقَدَّسَةٍ. إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَأْتِي لِيُبَكِّتَ عَلَى خَطِيئَةٍ، وَالْإِيمَانَ الَّذِي يَنْبَثِقُ فِي الْقَلْبِ يَعْمَلُ بِالْمَحَبَّةِ لِلْمَسِيحِ فَيَجْعَلُنَا مُشَابِهِينَ لَصُورَتِهِ فِي الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ وَالرُّوحِ. وَالْقُوَّةُ الْمُعْطَاةُ لَنَا تَعْمَلُ عَمَلَهَا مِنَ الدَّخْلِ إِلَى الْخَارِجِ كَيْ نُبْلَغَ الْحَقَّ الَّذِي قَدْ تَسَلَّمْنَاهُ إِلَى الْآخِرِينَ" (روح النبوة، الْمُعْلَمُ الْأَعْظَمُ، صَفْحَةُ ٨٤).

اعْتَادَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي افْتِتَاحِيَةِ رِسَائِلِهِ أَنْ يُخَاطِبَ الْمُؤْمِنِينَ وَاصِفًا إِيَّاهُمْ بِالْقَدِيسِينَ، فَيَكْتُبُ مَرَّةً قَائِلًا: "إِلَى الْقَدِيسِينَ فِي كُولُوسِي، وَالْإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ". (كولوسي ١: ٢)، وَمَرَّةً أُخْرَى: "إِلَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي رُومِيَّةٍ أَحِبَّاءَ اللَّهِ مَدْعُوعِينَ قَدِيسِينَ" (رومية ١: ٧). كَلِمَةُ الْقَدِيسِينَ حَسَبَ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّةُ تَعْنِي الْمَكْرُسِينَ لِلَّهِ، أَوْ الْمُفْرَزِينَ لِلَّهِ، أَيْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ نَصِيبِ اللَّهِ

. لَمْ يَصِفْ بُولُسُ الرَّسُولُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَدِيسِينَ لِأَنَّهُمْ مَكْرُسُونَ لِلَّهِ، فَهَمْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ بِالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ، بَلِ السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ لِقَدَاسَةِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ نَالَ مِنْ قَدَاسَةِ اللَّهِ، أَوْ أَصْبَحَ شَرِيكَاً لِقَدَاسَةِ اللَّهِ.

عَزِيزِي، كَلِمَةُ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ يَتَأَثَّرُ بِتَقْدِيسِهَا كَافَةُ الْمُؤْمِنِينَ. اقْرَأْهَا وَتَأَمَّلْ بِحَقَائِقِهَا، وَلِتَكُنْ ثَقَّتَكَ بِالْآبِ السَّمَاوِيِّ عَظِيمًا وَهُوَ سَيُكَمِّلُ الْعَمَلَ الَّذِي بَدَأَهُ فِيكَ. تَشَبَّهُ بِيسوع يَوْمِيًّا لِتُصْبِحَ عَلَى صُورَتِهِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَعُودُ فِيهِ لِتَذْهَبَ مَعَهُ إِلَى بَيْتِكَ السَّمَاوِيِّ. الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ لِاسْمِكَ يَا قُدُوسِي الْبَارِ. بِاسْمِ الْمَسِيحِ. آمِينَ.

ليكونوا واحداً فينا

"لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِيْنَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي." (يوحنا ١٧: ٢١)

يبدأ السيد المسيح صلاته من أجل وحدة تلاميذه معاً برباط المحبة، وبركة الآب السماوي حيث صلى في الآية ١١ من يوحنا ١٧ "وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ". كان يسوع على وشك أن يمضي للصليب، لينهي عمل الفداء ويحقق مشيئة الآب، كي بالإيمان فيه، ينال الخطاة الهالكين الفداء ليصبحوا قديسين بميراث أبدي.

جاءت الساعة ليتم يسوع المسيح البار عمل الفداء، وينطلق إلى السماء بعد قيامته المجيدة حيث سيعود إلى الآب السماوي، لكن تلاميذه الذين أحبه واعترفوا به "المسيح ابن الله العلي" سيقفون على الأرض وسط حزنهم على فراقه، وعدم حضوره بينهم بالجسد. سيواجهون ضيق واضطهاد، وهم ينشرون أخبار الإنجيل السارة.

تابع صلاته أن يحفظهم الآب في اسمه. احفظهم ثابتين في معرفة حق كلمتك. احفظهم متأصلين في اسمك كي يكونوا واحداً- كما نحن واحد- في محبة إلهية- ومُتحدّين بوحدة الروح. احبهم من العالم ومن الشرير ومكايده بقوة الروح القدس ومُتحدّين في المحبة.

وَحَدُّهُمْ فِي الْإِرَادَةِ وَالْمَشَاعِرِ وَالْقَصْدِ وَقَرَّبِهِم بِالرُّوحِ، لَتَكُونَ مَحَبَّتُهُمْ لِفَادِيهِمْ وَلِبَعْضِهِمْ بَعْضاً رَاسِخَةً. إِنَّ مَعْيَارَ الْوَحْدَةِ هُنَا هُوَ تَمَاماً نَفْسَ نَمُودَجِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ، بَلْ كَمَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الثَّالُوثِ (وَاحِدٍ)، "كَمَا نَحْنُ" (يوحنا ١٧: ١١). وهو الوحدة في الجوهر، ولكن دون إلغاء أحدهم الآخر ودون التنافس أو الانقسام.

كما ذكر المسيح نفس الطلبة لأجل الكنيسة "الذين يؤمنون بي (بالسيد المسيح كمخلص ورب على الحياة) بكلامهم" أي من خلال شهادتهم وكرارتهم. صلى المسيح "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِيْنَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتُهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يوحنا ١٧: ٢٠-٢٣).

نرى من جديد تركيز الرب يسوع على أن معيار الوحدة، هو نموذج العلاقة بين الآب والإبن "كما إننا نحن واحد". (يوحنا ١٧: ٢٢). إن الهدف والبركة من الوحدة هو نمو الخدمة وإدراك العالم الخارجي بجوهر رسالة المسيح، رسالة الحب والسلام، الذي يوحد المؤمنين معاً. "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به" (يوحنا ١٧: ٢٦). "ليعلم العالم أنك أرسلتني" (يوحنا ١٧: ٢٣).

يقول بولس في أفسس ٤: ٤-٦ "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ". وفي نفس الأصحاح (١١-١٣) نجد مواهب عديدة أعطاها الله لهدف وهو "لبنيان جسد المسيح. ووحدانية الإيمان بمعرفة المسيح وقياس قامة ملئه".

من خلال هذه الوحدة تظهر عظمة المسيح وأعماله في أولاده وبناته المؤمنين. الوحدة التي قصدها المسيح في صلاته هي- وحدانية روحية، باطنية، مؤسسة على الشركة في الجوهر الواحد، والروح الواحد، والرأي الواحد، والإرادة الواحدة.

"هكذا يستودع المسيح كنيسته المختارة بين ذراعي الآب بلغة من له سلطان إلهي.

فكرئيس كهنة مكرس للرب يتشقق في شعبه، وكراع أمين، يجمع قطيعه تحت ظل الله القدير والملجأ القوي الأمين. وقد بقيت عليه آخر معركة يخوضها ضد الشيطان. وها هو يخرج ليواجه تلك المعركة" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١٤٨). وحد قلوبنا يا رب في اتحاد حبي بيننا وبينك لمجد اسمك.

الفصل الثامن

آب "أغسطس"

حيٌّ إلى الأبد



الصليب ومحبة الله

"لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْثَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ." (يوحنا ١٥: ١٣)

يُظْهِرُ رَبَّنَا هُنَا مَدَى اتساع المحبة بعضنا لبعض، إلى حَدٍّ وَضَعْ حياتنا للأخوة، التي هي أسمى تعبير عن المحبة الحقيقية. فالمسيح لَمْ يَضَعْ حياته من أجل أَحِبَّائِهِ وَحَسْبَ، بل وَضَعَ مجده وجلاله المُلُوكِيِّ جَانِباً. لَمْ تُكُنْ حياة يسوع كإنسان بريء فقط، بَلْ كَانَ رَبُّ الْمَجْدِ وَرِئِيسَ الْحَيَاةِ الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ طَوْعاً، وَصَلَبَ لِأَجْلِ شَعْبِهِ وَكَفَّارَةٍ عَنْ خَطَايَاهُمْ. حَمَلَ ذُنُوبَهُمْ وَصَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِهِمْ وَتَحَمَّلَ غَضَبَ اللَّهِ، وَذَاقَ الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ. بِمَوْتِهِ صَالَحْنَا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ مَعَ الْآبِ، وَأُظْهِرَ بَرُوحَهُ وَنِعْمَتَهُ كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْأَعْدَاءِ أَنْ يُصْبِحُوا أَحِبَّاءَ لَهُ.

قال يسوع الآية أعلاه ضَمَنَ تحضير التلاميذ للقبض عليه وموته على الصليب في نطاق ثبات المؤمنين بالمسيح كما يَثْبُتُ الْعُصْنُ بِالكَرْمَةِ، وَأَوْصَاهُمْ أَنْ يُحِبُّوا بَعْضُهُمْ بَعْضاً كَمَا أَحَبَّهُمْ هُوَ، وَرَبَطَ الْمَحَبَّةَ بِحِفْظِ الْوَصَايَا، وَأكَّدَ أَنَّ الْآبَ يُحِبُّهُ وَلَهُ السُّلْطَانُ أَنْ يَضَعَ حياته وَيَأْخُذَهَا أَيْضاً. نَرَى أَنَّ وَضَعَ الْحَيَاةَ هُوَ مَوْقِفٌ إِلَى جَانِبِ كَوْنِهِ عَمَلٌ، كَمَا تَمَثَّلَ بِغَسْلِ الْمَسِيحِ لِأَرْجُلِ تَلَامِيذِهِ. أَظْهَرَ الْمَسِيحُ مَحَبَّةً تَامَةً بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ لِأَجْلِنَا، وَدَوْرُنَا أَنْ نُحِبَّ اخْوَتَنَا بِنَفْسِ الْمَحَبَّةِ، وَنُطَبِّقَ وَصِيَّتَهُ أَنْ نُحِبَّ كَمَا أَحَبَّنَا فَادِينَا.

كَانَ يَسُوعُ أَرْقَ شَخْصٍ سَارَ عَلَى أَرْضِنَا، وَأَعْظَمَ عَمَلٍ مَحَبَّةٍ قَامَ بِهِ كَانَ فِي مَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ مَكَانَ الْخُطَاةِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ فِي عِلَاقَةٍ حُبِّيَّةٍ مَعَ اللَّهِ. طَوَّبَى لِلْمَسِيحِيِّينَ الَّذِينَ اللَّهُ أَبُوهُمْ، وَالْكَنِيسَةَ عَائِلَتَهُمْ، وَأَعْضَاءَهَا اخْوَةً وَأَخَوَاتٍ لَهُمْ. وَكَأَنَاءِ وَبَنَاتِ اللَّهِ، نَحْنُ مَدْعَوُونَ لَطَاعَةِ اللَّهِ الْآبِ بِاتِّبَاعِ مِثَالِ مَحَبَّةِ التَّوَّاضُعِ الَّتِي أَرْسَى دَعَائِمَهَا اللَّهُ الْإِبْنُ بِقُوَّةِ اللَّهِ الرَّوحِ. هَلْ يُوجَدُ شَخْصٌ فِي حَيَاتِكَ مُمَكِّنٌ أَنْ يَتَبَارَكَ بِمَحَبَّتِكَ لَهُ الْآنَ؟

شَكَّ الشَّيْطَانُ حَوَاءَ أَنَّ اللَّهَ غَيْرَ مُحِبٍّ وَغَيْرَ صَادِقٍ، وَلَمْ يَكُنْ عَادِلاً مَعَهُمَا يُرِيدُ أَنْ يَحْرِمَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، دَامَتْ تِلْكَ الْإِفْتِرَاءَاتُ الشَّيْطَانِيَّةُ نَحْوَ ٤٠٠٠ سَنَةٍ إِلَى أَنْ جَاءَ يَسُوعُ وَمَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ لِیُثْبِتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ كَاذِبٌ، كَمَا أُثْبِتَ صَدَقَ كَلِمَةُ اللَّهِ "أَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رومية ٦: ٢٣).

وعلى الصليب، أعلن المسيح بَرَّ اللَّهِ وَعَدْلَهُ، فَمَعَنَّ أَنَّ ابْنَهُ الْحَبِيبَ الْقُدُّوسَ هُوَ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ الْخَطَايَا، لَكِنَّهُ تَحَمَّلَ عَنْهَا الدِّينُونَةَ كَامِلَةً. لَكِنِ الشَّيْءُ الْآخَرُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَثْبَتَهُ الصَّلِيبُ، وَالَّذِي مَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَظْهَرَ بِدُونِ الصَّلِيبِ، هُوَ أَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ. فَهَلْ مِنْ إِعْلَانٍ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ نَظِيرِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ؟! لَيْسَ أَنَّهُ - كَمَا افْتَرَى الشَّيْطَانُ كَذِباً - حَرَمْنَا مِنْ ثَمَرَةِ شَجَرَةِ، بَلْ لَقَدْ بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِأَجْلِنَا.

تَعَجَّبَ أَحَدُهُمْ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِيِّينَ، الَّذِينَ بِحَسَبِ تَعْبِيرِهِ، يُصَرُّونَ عَلَى مَوْضِعِ الصَّلِيبِ، وَهُوَ لَا يَفْهَمُ مَعْنَى لِهَذَا. وَيَقُولُ إِنَّ الصَّلِيبَ أَمْرٌ يَذْكُرُ بِالْهَوَانِ الَّذِي احْتَمَلَهُ الْمَسِيحُ، فَمَا هُوَ وَجْهُ الْإِصْرَارِ عَلَيْهِ وَالْإِعْتِرَازَ بِهِ؟ نَرُدُّ عَلَيْهِ: إِنَّا فَعَلْنَا نَفْتَخِرُ بِالْمَسِيحِ، وَنَفْتَخِرُ بِالصَّلِيبِ، كَمَا أَنَّنَا نُؤْمِنُ يَقِيناً أَنَّ صَلْبَهُ لَمْ يَكُنْ عِزْزاً مِنْهُ أَوْ ضَعْفاً، بَلْ حُبّاً وَإِثَاراً. فِي الصَّلِيبِ، نَحْنُ لَا نَرَى فَقْطَ كِرَاهِيَةِ الْإِنْسَانِ نَحْوَ اللَّهِ، الْأَمْرَ الَّذِي تَمَثَّلَ فِي صَلْبِهِمْ لِابْنِهِ، مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ، بَلْ إِنَّنَا نَرَى شَيْئاً آخَرَ أَعْجَبَ، نَرَى مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ، إِذْ قَبْلَ أَنْ يَبْدُلَ ابْنَهُ وَحِيدَهُ عَنَّا.

يَتَسَاءَلُ الْحَبِيبُ فِي ١ يوحنا ٣: ١٦ عَنْ مَفْهُومِ الْمَحَبَّةِ وَيُعْطِينَا الْجَوَابَ "بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَتَحْنُ نَبْغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نَفْسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ". يَعْنِي "أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" هُوَ أَنْ يَمُوتَ لِأَجْلِهِ، مِثْلَ أَنْ يُعْطِيَ مِنْ نَفْسِهِ لِشَخْصٍ مُحْتَاجٍ. نَرَى، مَنْ هُمْ أَحِبَّائِي؟ بِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي عَاشَهَا يَسُوعُ، حَتَّى لِلْأَعْدَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَحِبَّاءَ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَضَعَ نَفْسِي لِأَجْلِهِمْ وَأَقُولُ "يَا أَبْنَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا ٢٣: ٣٤). مَا أَعْظَمَكَ رَبِّي فِي مَحَبَّتِكَ لِي، وَخِلَاصِكَ الْعَجِيبَ لِأَجْلِي. لَكَ التَّسْبِيحُ عَلَى الدَّوَامِ.

لِمَاذَا تَأَلَّمَ يَسُوعُ؟

"إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ." (لوقا ٩: ٢٢)

نعيش سؤالاً يتردد كثيراً على لساننا، وهو ماذا يعني المسيح بالنسبة لنا، وما هي توقعاتنا بالنسبة له؟ عاش مُعاصرو يسوع بمن فيهم تلاميذه صراعاً بين توقعاتهم لمسياً، وبين ما علّمهُ المُخلّص في الآية أعلاه من أن المسيح سيتألم كثيراً ويُرفض من الكتبة ورؤساء الكهنة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم. كانت أفكارهم مُركزة على ما قاله النبي دانيال ٧: ١٣-١٤ عن إعطاء ابن الإنسان سلطاناً ومجداً لن يزول وملكوته لا ينقرض، فكيف يمكن للمسيح أن يتألم ويموت؟ كان ما قاله يسوع مُحيراً لسامعيه وأحياناً لنا.

عزيزي، هل تعرف حقيقة المسيح، هل تعرفه بطريقة تُريد أن تعرفه فيها، وليس كما قدّم هو نفسه؟ قد تدرّس الكثير، وتسمع عنه الكثير، ولكن مثل بطرس تُنكره بطريقة مُحزنة؟ أليس من الغريب حقاً أن يُرفض المسيح من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، الذين يُشكلون الأكثرية في مجلس السنهدريم (المؤلف من ٧٠ عضواً) الذين من المفروض أن يكونوا بنائين روحياً، لكنهم رفضوا حجر الزاوية؟ لقد استبدلوا المُخلّص بمُجرم، وسمحوا للمسيح أن يُسلم للألم والموت. تنبأ إشعياء بالآلام المسيح: "مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكُمُسْتَرٌ عَنْهُ وَجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدْ بِهِ... وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا. تَأْدِيبٌ سَلَامَنَا عَلَيْهِ وَبِحُبْرِهِ شَفِينَا" (إشعياء ٥٣: ٣، ٥). يُحدّد هذا المقطع سبب آلام المسيح: "لأجل آثامنا"، ولأجل شفاءنا ولكي يمنحنا سلاماً.

قال المسيح لتلاميذه أن آلامه مؤكدة: "إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" (لوقا ٩: ٢٢). لاحظ كلمة "ينبغي" - ينبغي أن يتألم، ينبغي أن يُقتل.

كانت آلام المسيح هي خطة الله لفداء العالم. تألم المسيح بقسوة أثناء محاكماته، وتغذيته، وصلبه. كانت آلامه جسدية: يقول سفر إشعياء ٥٢: ١٤ "كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسِداً أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ وَصُورُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ". وكانت آلامه نفسية: "تَرَكَهُ التَّلَامِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا" (متى ٢٦: ٥٦). كما كانت آلامه روحية: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا" (كورنثوس الثانية ٥: ٢١).

لقد حمّل المسيح على نفسه عبء خطية العالم كُلِّهِ (يوحنا الأولى ٢: ٢). وتلك الخطية هي ما جعلت المسيح يصرخ قائلاً: "إِلَيَّ إِلَيَّ لِمَا شَبَقْتَنِي (أَي: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)" (متى ٢٧: ٤٦). فقد تعاطفت مُعانة المسيح الجسدية بحمله ذنبَ خطايانا وموته لكي يدفع عنا عقابنا (رومية ٨: ٥).

لقد تألم المسيح ومات، لكي يضمن الخلاص لكل من يؤمن به. وفي الليلة التي أُلقي فيها القبض عليه، بينما كان المسيح يُصلي في جثسيماني، كرّس كُلَّ ما لديه لإتمام هذه المهمة: "يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ". (لوقا ٢٢: ٤٢). لم يتم إعفاء المسيح من كأس الألم؛ بل شربها كُلِّها من أجلنا.

فلا يوجد طريق آخر لكي نخلص. نقرأ ما قاساه المسيح من ألم لأجلنا "وكل ما قد احتمله- قطرات الدم النازلة من رأسه ويديه وقدميه، والعذاب الذي صهر كُلَّ جسمه، والآلام التي لا يُنطقُ بها، والتي غمرت نفسه عندما حَجَبَ الْآبُ وَجْهَهُ عَنْهُ- كُلُّهَا تَنْطِقُ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ لِتُحَدِّثَ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ مَعْلَنَةً وَقَائِلَةً: لِأَجْلِكَ رَضِيَ ابْنُ اللَّهِ أَنْ يَحْمِلَ عِبْءَ الذُّنُوبِ الثَّقِيلِ هَذَا وَيُقَدِّمَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّليبِ حُبًّا بِكَ" (روح النبوة، "مشتهى الأجيال، صفحة ٧١٧). هنيئاً لنا بهذا الحُبِّ العجيب.

يسوع معي في آلامي

"لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجْرِبِينَ." (عبرانيين ٢: ١٨)

تبدأ الرسالة إلى العبرانيين بتأكيد أن الله "كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ". الكلمة الذي تَجَسَّد وبذبحته قَادَ كثيرين إلى المجد. قد يسأل البعض "لماذا تَسَرَّبَل ابن الله الأزلي برداء البشرية، وصار واحداً منّا كي يكون مُخَلِّصَ الْعَالَمِ؟" ذاك الاختبار جَعَلَ المسيح خَيْرَ مِثَالٍ لَنَا كِي تَتَّبَعَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِعُطْفٍ عِنْدَمَا نَسْقُطُ فِي التَّجَرُّبَةِ. هَكَذَا كَانَ تَجَسُّد يسوع المسيح وحياته، موته وقيامته، تحقيق مواعيد الله في الأسفار المقدَّسة. وَمِنْ فَادِينَا نَنَالُ التَّعْزِيَةَ وَالدَّعْمَ كِي نَقِفَ ثَابِتِينَ بِمَعُونَتِهِ.

لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ فِدَاءَ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَبِرُوا مَعْنَى التَّجَرُّبَةِ وَالْآلَامِ الَّتِي نَمُرُّ بِهَا نَحْنُ. اللَّهُ الَّذِي ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ وَحْدَهُ، قَادِرٌ أَنْ يَفْتَدِيَ بِدَمِهِ الْبَشَرِيَّةَ السَّاقِطَةَ، وَبِعَمَلِهِ هَذَا، يَأْتِي بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِهِ لِيَكُونُوا مِنْ رِعَايَا الْعَائِلَةِ السَّمَاوِيَّةِ. لَقَدْ مَرَّ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَسُوعُ بِكُلِّ الْآلَمِنَا، جُرَّبَ مِثْلَنَا، وَوَاجَهَ خِيَارَاتٍ صَعِبَةً كَمَا نَخْتَبِرُهَا نَحْنُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَخْطِئْ. هَكَذَا، كَانَ قَادِرًا عَلَى تَقْدِيمِ الْعَوْنِ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ.

لِنَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ فِي الْكُلْفَةِ الَّتِي دَفَعَ ثَمَنَهَا رَبُّنَا فِي حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا تَأَلَّمَ طَوَالَ ٣٣ سَنَةً قَبْلَ الصَّلِيبِ؟ لَقَدْ تَأَلَّمَ مُجْرَبًا، وَعَانَى مِنَ الْجُوعِ، وَالْعَطَشِ، وَالتَّعَبِ، وَالتَّجَارِبِ الْكَثِيرَةِ. لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا لِهَذِهِ الْآلَامِ، وَلَكِنَّهُ دَخَلَ فِيهَا بِإِرَادَتِهِ حَتَّى يَعْرِفَ بِالْاِخْتِبَارِ الْعَمَلِي هَذِهِ الْأَوْجَاعَ.

لَقَدْ صَارَ إِنْسَانًا لَيْسَ لِكِي يَمُوتَ مِنْ أَجْلِنَا فَقَطْ، وَلَكِنْ لِكِي يَخْتَبِرَ كُلُّ مَا يُحَرِّكُ قُلُوبَنَا مِنْ آلامٍ حَتَّى يَدْخُلَ إِلَى عُمُقٍ مَشَاعِرُنَا، وَتَكُونَ لَهُ شَرَكَةٌ تَامَةٌ مَعَنَا. فَعِنْدَمَا يَقِفُ الْمَرْءُ عَلَى قَبْرِ صَدِيقٍ، جَيِّدٍ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَدْ اخْتَبَرَ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْآلَامِ عِنْدَ قَبْرِ لِعَازَرٍ، وَعِنْدَمَا نَصْرُخُ دَعْوَانَا نَتَذَكَّرُ أَنَّهُ بَكَى (عَلَى أُورُشَلِيمَ). وَعِنْدَمَا نَتَأَلَّمُ، نَذَكُرُ أَنَّهُ احْتَمَلَ مَا لَا يُوصَفُ مِنَ الْآلَمِ. فَكَمْ كَانَ قَاسِيًا أَنْ يَهْزَأَ بِهِ الْعَابِرُونَ، وَأَنْ تُدَقَّ الْمَسَامِيرُ فِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

يُقَدِّمُ لَنَا الرَّبُّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ سِلَاحًا نَهْزِمُ بِهِ تَجَارِبَ الشَّيْطَانِ، وَالسَّبِيلَ لِلنَّصْرَةِ عَلَى الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ، نَوَاجِهَ بِهِ ظُرُوفَ الْحَيَاةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ. وَأَوَّلُ مَا يَقْدِّمُهُ الْمَسِيحُ لِلْمُجْرِبِينَ بِتَجَارِبِ الشَّيْطَانِ هُوَ السِّلَاحُ الَّذِي بِهِ يَهْزِمُونَ تَجَارِبَ الشَّيْطَانِ: وَالسِّلَاحُ هُوَ "سَيْفُ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ" (أَفْسَسَ ٦: ١٧).

فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يُجَرِّبُهُ الشَّيْطَانُ، يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ الْمَسِيحُ: اقْرَأَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ كُلَّ يَوْمٍ، وَافْهَمْ مَا تَقْرَأُ، وَتَأَمَّلْ مَعَانِيَهُ، وَاحْفَظْ فِي ذَاكَرَتِكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ فَصُولِهِ وَأَيَّاتِهِ، وَتَسْتَجِدْ فِي عَقْلِكَ ذَخِيرَةً تَهْزِمُ بِهَا الشَّيْطَانُ حِينَ يُجَرِّبُكَ. نَعَمْ، إِنْ مَا يُسَرُّ الْقَلْبُ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ ذَهَبَ إِلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِ خَطَايَايَ. يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُعْزٍ لِلْقَلْبِ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّ الرَّبَّ فِي نِعْمَتِهِ، أَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ مَعِيَ بِكُلِّ الظُّرُوفِ الَّتِي يُحْتَمَلُ أَنْ أَجْتَازَ فِيهَا، فَاخْتَارَ بِإِرَادَتِهِ أَنْ يَخْتَبِرَهَا كُلُّهَا بِنَفْسِهِ. كَمْ يُغَيِّرُ هَذَا الْفِكْرَ كَثِيرًا مِنْ نَظَرَتِنَا إِلَى الصَّعُوبَاتِ الَّتِي تَعْتَرِضُنَا.

إِنَّ عَمَلَ الرَّبِّ يَسُوعَ عَظِيمٌ جَدًّا. حَيْثُ أَنْ فَادِينَا لَمْ يَمُتْ لِنَقْذِنَا مِنَ الْجَحِيمِ فَحَسَبَ، لَكِنَّهُ عَاشَ عَلَى الْأَرْضِ لِكِي يُرِينَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ بِرِفْقَتِنَا عَلَى الْأَرْضِ. لَقَدْ أَرَادَ فِي مَحَبَّتِهِ أَنْ يَعَايِشَ كُلَّ ظُرُوفِنَا عَلَى اخْتِلَافِهَا، لِيَعْرِفَهَا بِالْاِخْتِبَارِ، وَلِيَرِثِي لَنَا فِي كُلِّ هَذِهِ الظُّرُوفِ. لَقَدْ عَاشَ رَاضِعًا، وَطِفْلًا صَغِيرًا، وَبِالتَّالِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْهَمَ الصِّغَارَ وَمَشَاكِلَهُمْ. وَعَاشَ صَبِيًّا وَشَابًّا، لِيَمَكِّنَهُ أَنْ يَفْهَمَ الْأَوْلَادَ وَالْبَنَاتِ وَيَعْرِفَ كُلَّ احْتِيَاجَاتِهِمْ.

شُكْرًا لَكَ رَبِّي يَسُوعَ لِأَنَّكَ صَرْتَ مِثْلِي، فَفَهَّمْتُ مَشَاكِلِي، وَالْأَلَمَ الَّذِي أَقَاسِيهِ، كِي تُقَدِّمَ لِي الْعَوْنَ فِي وَقْتِ التَّجَرُّبَةِ. قَاسَيْتُ مِنْ أَجْلِي عَلَى صَلِيبِ الْعَارِ كِي أَحْمَلَ صَلِيبَكَ كُلَّ يَوْمٍ وَأَتَبَعَكَ. كَسَرْتَ شَوْكَةَ الْمَوْتِ لِتُعْطِيَنِي حَيَاةَ الْإِنْتِصَارِ بِمَعُونَةِ رُوحِكَ الْقُدُّوسِ. سَاعِدْنِي أَنْ أَعِيشَ لِمَجْدِكَ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا يَا فَادِيَّ الْقَدِيرَ. آمِينَ.

الألم والتسليم في جثسيماني

"قَائِلًا يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ."

(لوقا ٢٢: ٤٢)

أكد يسوع وهو يتناول العشاء الأخير مع تلاميذه، أن الكأس التي باركها وطلب من تلاميذه أن يشربوا منها، هي رمز "لدمه للعهد الجديد الذي يُسَفِّك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا". يتحدث الكتاب المقدس عن نوعين من الكأس: أولاً كأس الغضب إذا نقرأ في مزمور ٧٥: ٨ "لأنَّ في يَدِ الرَّبِّ كَأْسًا وَخَمْرُهَا مُخْتَمِرَةٌ. مَلَانَةٌ شَرَابًا مَمْرُوجًا. وَهُوَ يَسْكَبُ مِنْهَا. لَكِنْ عَكَرَهَا يَمِصُّهُ، يَشْرَبُهُ كُلُّ أَشْرَارِ الْأَرْضِ".

تمثل هذه الكأس دينونة الله وغضبه على الأشرار حيث يشرب كل أشرار الأرض مرارتها. ثانياً: كأس الخلاص حيث نقرأ في مزمور ١١٦: ١٣ "كَأْسُ الْخَلَاصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو". نرى في هذه الكأس حمد داود لله وشكره على نجاته من كل المخاطر فيلهج لسانه بالامتنان للسيد الرب على جميع إحساناته عليه.

قبل أن يأتي الخائن يهوذا ومن معه للقبض على المسيح، كان الرب في بستان جثسيماني "معنى هذه الكلمة معصرة الزيت" حيث يمكننا أن نشاهد معركة روحية شديدة تدور رحاها في نفس المخلص. إنه لم يكن خائفاً من الموت على الصليب، الذي كان أمراً أكيداً، بل كان حسب قول البشير لوقا: "في جهاد كان يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ" (لوقا ٢٢: ٤٤). أي أن يسوع المسيح كان يخوض معركة روحية شديدة لدرجة أن الدم أخذ ينزل من جبينه. لم يكن الموت على الصليب يُخيفه، ولم يحدث في تاريخ البشرية بأسرها إن تكرر هذا الأمر لدى الذين كانوا على وشك الاستشهاد في سبيل إيمانهم.

كان جهاد الجثسيماني جهاداً روحياً عنيفاً إذ أن المخلص كان يتألم روحياً حاملاً على نفسه خطايا العالم. فكما أن قصاص الخاطئ يأتي على جسده وروحه، هكذا أيضاً تألم المسيح جسدياً وروحياً لإنقاذ جميع المؤمنين به. وقد انتصر المخلص جسدياً وروحياً على الشيطان. نشاهد على أكمة الجلجثة آلام المخلص الجسدية أكثر مما نشاهد آلامه الروحية بينما في بستان الجثسيماني نرى آلامه الروحية التي استمرت أيضاً على الصليب. ولذلك يمكننا القول بعض الاضطلاع على هذه المعلومات الكتابية، إن تقدمه المسيح يسوع وخلصه كانت تامة وكاملة، ولذلك فإن الخلاص الذي كسبه لنا هو تام وكامل.

قدّم السيد المسيح هذه الصلاة للآب كإنسان يواجه آلاماً نفسية وجسمية وكفارية لا يقوى عليهما إنسان ما مهما كان. كانت الخطية التي صنعها الإنسان غير محدودة لأنه عصى الله غير المحدود، وبالتالي كانت عقوبة الخطية غير محدودة، وآلامها غير محدودة، ولا يحتملها الإنسان المحدود وحده دون اللاهوت، ولكن اللاهوت لا يتألم ولا يتحمل عقوبة الإنسان، والمسيح جاء ليتحمل الآلام كإنسان وليس كإله. وكإنسان صلي، وكإنسان صارخ "بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات". ولكنه لم يطلب النجاة من الألم أو الموت بمعنى الهروب منها، كلا. ولم يطلب أن "تعب عنه الكأس". وأن "تجتازه". بمعنى أن لا يذوق الأم والموت. حاشا. فهو الذي وبَّخ بطرس عندما لم يوافق على قوله أنه سوف يتألم ويصَلَّب ويموت ويقوم في اليوم الثالث، قائلاً له "أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرِضٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ" (متى ١٦: ٢٣).

نقرأ عن آلام المسيح هذه الكلمات "لقد ارتفعت بشرية ابن الله في تلك الساعة الحرجة. إذ أتت اللحظة المخيفة التي كانت ستقرر مصير العالم. كان مصير العالم يتأرجح في كفة الميزان. ولن يتراجع عن أداء مهمته، وسيصير كفارة عن الجنس الذي أصر على ارتكاب الخطية. وها هي صلاته لا تنم عن شيء سوى التسليم، إذ يقول: "إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ". فلما كان قد عقد العزم على ذلك انطرح كالمات على الأرض بعدما كان قد نهض عنها قليلاً. لقد داس المعصرة وحده ومن الشعوب لم يكن معه أحد" (روح النبوة، "مُشتهى الأجيال، ص. ٦٥٥).

يا سيدي كم كانت قاسية آلامك وموتك من أجلي.

قصة الصليب

"مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي." (غلاطية ٢: ٢٠)

يتحدث الرسول بولس عن اختبار الذين نالوا التبرير والخلاص بوضع إيمانهم بالمسيح، ويتم ذلك بارتباط المؤمن بمخلصه عن قرب بحيث يكون مستعداً أن يموت معه ويحيا فيه. صُلب يسوع لأجل خطايانا، نُؤمن أن موته قد دفع أجره خطايانا. بهذه الطريقة، نُصَلب معه، وتُصَلب خطايانا معه على الصليب. فيموت إنسان الخطيئة فينا، ليحيا مكانه المسيح المقام فينا. نستمر نحيا بالجسد، لكن ما يقود حياتنا كخطاة ليس الجسد، بل إيماننا بالمسيح الذي أحببنا ومات عنا ولأجلنا. عندما ننال الخلاص بالإيمان، نبدأ حياة جديدة بالمسيح، ونقرر بموت المسيح لأجلنا، ونقول مع بولس "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ". لقد صُلب إنسان الخطيئة في عندما مات يسوع على الصليب، كما صُلب إنساني العتيق مع يسوع. كل مؤمن حقيقي قد ترك الخليقة الأولى، وانتقل إلى الخليقة الجديدة التي فيها يسكن البر الذي في المسيح يسوع؛ آدم الأخير، رأس هذه الخليقة الجديدة.

هذا هو مقام أصغر مؤمن بالمسيح يسوع. لا توجد منزلة للمسيحي غير هذه. لا يوجد إلا أمران: إما أن يكون الإنسان في آدم الأول، أو في آدم الأخير. ولا توجد حالة متوسطة بين الاثنين: إما أن يكون الإنسان في المسيح، أو في خطاياه وشورره ومعاصيه. وإن كان في المسيح فهو أمام الله مثل المسيح نفسه.

إن المسيح قد وقف موقف المؤمن، وحمل كل خطاياه، وقد مات على الصليب لأجله، ووفى العدل الإلهي حقه، وناب عنه في كل شيء. وبعد أن حمل كل ما كان على الإنسان أن يحمله، قام من الأموات، وهو الآن رأس للجنس الجديد، وممثل للمؤمن أمام الله.

جيدٌ لنا كمؤمنين أن نعرف ما حدث ليسوع على الصليب لأن ذلك في صُلب إيماننا. سُمِر يسوع على الصليب في الساعة التاسعة صباحاً. وبين التاسعة حتى الظهر تكلم ٣ مرات فقط. "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" "الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفَرْدَوْسِ" "قَالَ لَأُمِّهِ: "يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكَ. ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: "هُوَذَا أُمُّكَ". عند الظهر، بعد فترة ٣ ساعات من الصمت والألم، غطت ظلمة حالكة تلة الجلجثة حيث صُلب يسوع، شعر فيها بدينونة الله حيث داس معصرة الألم وحيداً، ودامت الظلمة ٣ ساعات لم يتكلم فيها المخلص أية كلمة.

بعد ٦ ساعات تكلم يسوع ٤ مرات متتالية: في الثالثة عصراً صرخ بصوت عظيم "إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟". (مرقس ١٥: ٣٤). بعدها قال "أنا عطشان". وأعطوه خلا ليشرب. ثُمَّ قَالَ "قَدْ اكْمَلْتُ". وآخر ما نطق به على الصليب "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ اسْتَوْدِعْ رُوحِي". وإذا استودع نفسه بكل خضوع بين يدي الله، فقد زایل الإحساس بفقدان رضى أبيه.

لقد انتصر المسيح بالإيمان. عزيزي، راية المسيح في قلبي، وكلمته داخل أعماقي وفي وجداني، لأنني مُمتناً له في حياتي فهو الصديق الأزق من الأخ، وهو الأب الرائع الذي يحتضني في وقت الأزمات، وهو إلهي الذي عليه اتكل، وإياه أعبد وأتمتع في خشوعي وخضوعي له.

رايته ترفرف دائماً أمامي فالتمس منها طريقي في الحياة، لكي أحيأ ليس لذاتي، بل للذي قدّم نفسه على صليب العار، من أجل أن يمنحني الحياة الأبدية. عظيم أنت ربّي إذ قاسيت آلاماً لم يختبرها أي بشر. علّمتني معنى أن أغفر للذين يُسيئون إليّ، وحققت انتصاراً على الشرّ والشرير. لك عظيم محبتي وامتناني.

مات المسيح لأجلي

"وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا." (رومية ٥: ٨)

في رومية الأصحاح الخامس، يحث بولس المؤمنين على الثبات وسط الألم والفرح من خلاله سيما وأن الألم يساهم في النضوج الروحي، ويسمح للمؤمنين أن يشاركوا مجد المسيح في النهاية. "عالمين أن الضيق ينشئ صبراً والصبر تركيبة والتزكية رجاء". فكيف للألم أن ينتج الرجاء؟ يجب بولس في الآية الخامسة "والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا". يربط بعدها نتيجة هذه المحبة التي دعت المسيح ليموت في الوقت المعين لأجل الفجار. إن أساس رجاء المسيحي هو محبة الله المضحية.

إن محبة الله كاملة وثابتة، لذا لن تفشلنا هذه المحبة أبداً، وقد بينها يسوع إذ ونحن بعد خطاة وضعفاء - أعداء لله - وعاجزين عن تخلص أنفسنا، مات المسيح لأجلنا. عبر الحبيب عن نفس الفكرة في ١ يوحنا ٣: ١٦ و ٤: ١٠ "بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذلك وضع نفسه لأجلنا". ويقول أيضاً "في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا". ويؤكد بولس أن ابن الله "الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلاطية ٢: ٢٠). ولا عجب أن يكون جوهر محبة الله هو العطاء. "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الأوحد لأجلنا" (يوحنا ٣: ١٦). يا لروعة هذه المحبة التي لا مثيل لها.

مات المسيح عن جميع الخطاة، ويؤكد العهد الجديد هذه الحقيقة الأكيدة أن جميع الناس قد اخطأوا (شمولية الخطية) وما من أحد مَعْفَى مِنَ الوقوف أمام كرسي الدينونة (شمولية الدينونة). ونرى في الوقت نفسه أن الله وعد الجميع بالمخلص (شمولية البشارة).

فمات المسيح عن الجميع انسجاماً مع واقع أن الجميع عرضة للقصاص الإلهي، وإن الجميع في حاجة، بالتالي إلى الخلاص، وإن الله قد أحب الجميع وأراد خلاصهم (شمولية الفداء). وهكذا، استوجبت شمولية الخطية شمولية الدينونة، وهو ما استوجب شمولية الفداء من قبل الله خالق البشر الذي يحبهم ولا يريد هلاكهم.

فبموته، افتدانا يسوع من كل خطايانا، بما في ذلك خطية آدم، مصالِحاً إيانا مع الله، إذاً فنحن اليوم لسنا خطاة ولا غرباء ولا أعداء مع الله، بل على العكس، فقد خلصنا وصرنا أبراراً، قديسين وصُولِحنا مع الله وهذا ليس لأننا فعلنا شيئاً، بل لأن يسوع المسيح فادينا فعل ذلك بأن بذل نفسه عنا جميعاً. بهذا البذل، قدم الله مخلصنا المسيح كي يدفع ثمن خطايانا، ويحطم قوة طبيعة الخطيئة داخل قلوبنا حتى قبل أن نولد - وقبل أن نتق بالمسيح لفدائنا. لم ينتظر حتى يؤمن الخطاة به، بل مات من أجلهم وهم خطاة.

مات لأجلنا قبل أن نخلص - بينما كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا - بينما كنا ما زلنا أعداء له، هكذا برهن بالتأكيد عن محبته لنا. كنا جميعاً مذنبين، محكوم علينا بالهلاك، دون أية بارقة أمل في العالم. وبينما كنا في هذه الحالة المؤسفة والحزينة، بين الله عميق محبته لنا، ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا.

عندما بذل الله ابنه الأوحد يسوع، أعطى الله نفسه، قدم ذاته وكل شيء - ليخلص الذين لا يستحقون سوى دينوته. بذل أعلى هدية على الإطلاق. دفع ثمناً غالياً كي ننال نحن أعظم محبة.

يُعتَبَرُ مَنْ يُقَدِّمُ حياته طوعاً ليخلص شخصاً آخر بطلاً. لكن مَنْ هُوَ الَّذِي يموت لأجل أعدائه؟ برهن يسوع المسيح على قمة البطولة عندما ضحى بحياته ليخلص عدو. لم ينتظر كي تصبح أنقياء، بل ضحى بنفسه ونحن له أعداء. لا يعتمد خلاصنا على محاولتنا عمل الصلاح، لقد أكمل الله خلاصنا بينما كنا في حالة عصيان ضده. تلك هي النعمة. سأكون ممتناً لك ربّي لأجل هذه النعمة، ولأنك أحببتني لدرجة أن تموت من أجلي لتُهَيِّنِي الخلاص بنعمتك، لك كل محبتي إلى أن ألقاك عن قريب في أمجادك السماوية. آمين.

الألم والمجد – مزمور ٢٢

"إِلَهِهِ، إِلَهِهِ، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَن خَلَاصِي، عَن كَلَامِ زَفِيرِي؟" (مزمور ٢٢: ١)

كَتَبَ داود هذه الكلمات النبوية في هذا المزمور الرائع والتي اقتبسها مُخَلِّصُنَا عِنْدَمَا حَمَلَ خَطَايَا فِي جَسَدِهِ وَهُوَ مُعَلَّقٌ عَلَى صَلِيبٍ جُلِجْتُهُ. خِلَالَ ٣ سَاعَاتٍ مِنَ الظُّلْمَةِ احْتَضَنَ الزَّمَنَ الْأَبَدِيَّةَ، وَسَادَ السَّمَاءَ صَمْتٌ عِنْدَمَا أَدَارَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي بِهِ سُرٌّ.

٣ سَاعَاتٍ مِنَ الظُّلْمَةِ الدَّاجِيَةِ انْفَصَلَ ابْنُ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ عَنِ أَبِيهِ فِي السَّمَاءِ حَيْثُ جُعِلَ خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، فَصَرَخَ "إِلَهِهِ إِلَهِهِ لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟". وَدَوَّتْ تِلْكَ الصَّرَخَةُ أَرْجَاءَ الْكَوْنِ الْمُتَحِيرِّ. قَدْ نَتَسَاءَلُ: لِمَاذَا تَرَكَ اللَّهُ ابْنَ مَحَبَّتِهِ وَأَدَارَ وَجْهَهُ عَنْهُ؟ وَلِمَاذَا اللَّهُ الْابْنُ قَاسَى ذَاكَ الرُّعْبِ فِي تِلْكَ السَّاعَاتِ عَلَى الصَّلِيبِ؟

جَوَابُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ نَجِدُهَا فِي كَلِمَةِ اللَّهِ: اللَّهُ عَادِلٌ وَقُدُّوسٌ، وَكُلُّ خَطِيئَةٍ يَجِبُ أَنْ تُعَاقَبَ. أُجْرَةُ الْخَطِيئَةِ بِالْكَامِلِ هِيَ مَوْتٌ لِكُلِّ خَطِيئَةٍ يَرْتَكِبُهَا الْإِنْسَانُ عِنْدَ كَسْرِ وَصَايَا اللَّهِ. وَالرَّبُّ يَسُوعُ الْبَارِ بِلاَ خَطِيئَةٍ، الَّذِي كَانَ اللَّهُ فِي الْجَسَدِ، حَمَلَ بِنَفْسِهِ كُلَّ خَطِيئَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا، وَكُلُّ تَعْدٍ عَلَى نَامُوسِ اللَّهِ الْكَامِلِ – مَعَ الْخَطِيئَةِ الَّتِي وَرَثْنَاهَا وَطَبِيعَتُنَا الْخَاطِئَةُ أَيْضًا. هَكَذَا تَطَوَّعَ الْمَسِيحُ بِحَمْلِ خَطَايَانَا، وَدَفَعَ دَمَهُ ثَمَنًا لَهَا حَيْثُ وَصَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. مِمَّا يُؤَسِّفُ لَهُ أَنَّ كَثِيرِينَ يُنْكِرُونَ وَيَرْفُضُونَ قُبُولَ إِنْجِيلِ النِّعْمَةِ الْمَجِيدِ. لِأَجْلِنَا شَعَرَ الْفَادِي بِتَرْكِ الْآبِ لَهُ، وَحَمَلَ خَطَايَانَا جَعَلْتَهُ يَصْرُخُ: "إِلَهِهِ إِلَهِهِ لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟".

يَبْدَأُ مَزْمُورُ ٢٢ بِأَكْثَرِ الصَّرَخَاتِ الْمُؤَلِّمَةِ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ: "إِلَهِهِ، إِلَهِهِ، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟". هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي نَطُقُ بِهَا الْمَسِيحُ بِشَفَتَيْهِ فِي عُمُقِ آلامِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. كَانَتْ آلامُهُ عَظِيمَةً مِنْ نَاحِيَةِ أَنَّهُ بَدَّلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَا شَعْبِهِ. لَمْ يَخْتَرِعِ الْمَسِيحُ كَلِمَاتٍ فَرِيدَةً كِي يَفْسِّرَ آلامَهُ، بَلْ كَانَ يَقْتَبِسُ مِنْ مَزْمُورِ ٢٢: ١. أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ هُوَ دَاوُدُ، وَكَانَ دَاوُدُ يَتَحَدَّثُ بِهَا نِيَابَةً عَنْ جَمِيعِ شَعْبِ اللَّهِ. نَحْتَاجُ أَنْ نَتَأَمَّلَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَالْمَزْمُورِ كُلَّهُ مِنْ حَيْثُ عِلَاقَتُهُم بِالْمَسِيحِ وَبِكُلِّ شَعْبِهِ لِكِي نَفْهَمُهُمْ بِشَكْلٍ تَامٍ.

يَبْدَأُ الْمَزْمُورُ بِجُزْءٍ يَغْلِبُ فِيهِ صَلَاةُ دَاوُدِ الْمَصْحُوبَةِ بِالْأَلَمِ (الآيَاتُ ١-٢١). عَبَّرَ دَاوُدُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ عَنْ تَجَرُّبَتِهِ الْخَاصَّةِ بِالشُّعُورِ بِالتَّارُكِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. هُنَا أَكْثَرُ الْمَعَانَاةِ شَدَّةٌ الَّتِي يُمَكِّنُ لِعَبْدِ الرَّبِّ أَنْ يَخْتَبِرَهَا — لَيْسَ فَقَطْ أَنَّ الْأَعْدَاءَ يُحِيطُونَ بِهِ (الآيَاتُ ٧، ١٢-١٣) وَأَنَّ جَسَدَهُ يَتَأَلَّمُ بِشَدَّةٍ (الآيَاتُ ١٤-١٦)، بَلْ إِحْسَاسُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، وَلَا يُبَالِي بِآلامِهِ. وَهَذِهِ لَيْسَتْ تَجَرُّبَةُ دَاوُدَ فَقَطْ. إِنَّهَا تَجَرُّبَةُ كُلِّ شَعْبِ اللَّهِ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ الْمُفْزَعَةِ. نَتَسَاءَلُ كَيْفَ يُمَكِّنُ لِأَبْنَا السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْمُحِبِّ أَنْ يَقِفَ مَكْتُوفَ الْأَيْدِي، عِنْدَمَا نَكُونُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الشَّدَّةِ.

إِنَّ هَذَا الْمَزْمُورَ لَيْسَ فَقَطْ خَبْرَةً كُلِّ مُؤْمِنٍ، لَكِنَّهُ أَيْضًا نُبُوَّةٌ رَائِعَةٌ وَمُحَدَّدَةٌ عَنِ آلامِ الْمَسِيحِ. نَرَى مَشْهَدَ الصَّلْبِ بِشَكْلٍ خَاصٍ فِي الْكَلِمَاتِ: "جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَارِ اكْتَفَفْتَنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلِي. أَحْصَى كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يُنْظَرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ" (الآيَاتُ ١٦-١٨). هُنَا نَرَى حَقًّا أَنَّ هَذَا الْمَزْمُورَ يَتَحَقَّقُ بِالْكَامِلِ فِي الْمَسِيحِ. بَيْنَمَا نَسْعَى لِفَهْمِ مَزْمُورِ ٢٢ حَتَّى نَتِمَكَّنَ مِنْ اسْتِخْدَامِهِ وَتَطْبِيقِهِ، نَحْتَاجُ أَنْ نَرَى فِيهِ اتِّجَاهَ تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ: الْأَلَمُ أَوَّلًا ثُمَّ الْمَجْدُ. نَحْتَاجُ أَيْضًا أَنْ نَرَى نُمُودَ جَا مِنْ نَمَطِ التَّقْوَى لِلْكَنِيسَةِ، وَلِلْمَسِيحِيِّ كِفَرْدٍ. النَّمَطُ هُوَ هَذَا: إِنْ مَشَاكِلَ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَا مَفْرَ مِنْهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ السَّاقِطِ، يَجِبُ أَنْ تَقُودَنَا إِلَى الصَّلَاةِ.

وَيَجِبُ أَنْ تَقُودَنَا الصَّلَاةُ إِلَى تَذَكُّرِ وَعُودِ اللَّهِ وَالتَّأَمُّلِ فِيهَا، تِلْكَ الَّتِي تَحَقَّقَتْ فِي الْمَاضِي، وَأَيْضًا الَّتِي نَتَّقُ أَنَّهَا سَتَتَحَقَّقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. إِنْ تَذَكَّرْ وَعُودَ اللَّهِ، سَيَسَاعِدُنَا أَنْ نَسْبِّحَهُ كَمَا يَجِبُ. وَبَيْنَمَا نَسْبِّحُهُ، يُمْكِنُنَا الْاسْتِمْرَارُ بِالنِّعْمَةِ وَالْإِيمَانِ فِي مُوَاجَهَةِ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تَأْتِي يَوْمِيًّا فِي حَيَاتِنَا. إِلَهِهِ، أَشْكُرُكَ لِمَا قَاسَيْتَنِي كِي تُقْذِنِي وَتُخَلِّصَنِي.

معنى آلام يسوع لي

"وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، قَالَ: "حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنَ اللَّهِ!" (مرقس ١٥: ٣٩)

كان قائد المئة مُشرف على تفاصيل صَلْب المسيح، ورأى الظلمة التي سيطرت على تَلَّة جُلجثة، وخاف عند حدوث الزلزلة، كما سَمِعَ صَرْخَةَ يسوع عندما أَسْلَمَ الرُّوح. يُخبرنا عَنْهُ البشير لوقا ٢٣: ٤٧ "فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ مَا كَانَ، مَجَّدَ اللَّهُ قَائِلًا: "بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا". يُخبرنا خُبراء في الطب أن صَرْخَةَ يسوع الأخيرة لم تَكُنْ مِثْلَ أي شخص مُذنب يُصَلَّب على الصليب، حيثُ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ، بَلْ كَانَ مَوْتُ يسوع نَتِيجَةً نَزِيفٍ حَادٍ لِلدَّمِ.

قَصَدَ الرومان مِنَ الصَّليب أن يكون أداة تعذيب وموت بطيء، لَكِنَّ اللَّهَ اسْتخدَمَ صليب يسوع كي يكون قُوَّةً تَدْحِضُ هَذَا الْقَصْدَ. فَمَا هِيَ الرِّسَالَةُ الَّتِي يَحْمِلُهَا صليب المسيح، والتي تَلْمَسُ قُلُوبَ طَالِبِي اللَّهِ؟ يَرُونَ فِي هَذِهِ التَّضَحِّيَةِ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِفِدَاءِ شَعْبِهِ. يَرُونَ يَدَ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْقَوِيَّةِ تَبْدُو بِوُضُوحٍ فِي عَالَمٍ ظَالِمٍ وَقَاسِيٍّ. وَضَعَ اللَّهُ رِسَالَةَ مَحَبَّتِهِ بِحَيْثُ يَرَاهَا جَمِيعُ النَّاسِ وَيَتَلَمَّسُونَهَا. مِثَالٌ عَظِيمٌ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ هُوَ قَائِدُ الْمِئَةِ الرُّومَانِيِّ - الَّذِي تَعَوَّدُ أَنْ يَرَى الْمَوْتَ خُصُوصًا مَوْتَ الصَّليبِ الْقَاسِي - وَرَأَى حُضُورَ اللَّهِ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، وَاعْتَرَفَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اعْتَرَاظًا عِنْدَمَا نَقَرْنَا عَنْ صليب المسيح "حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنُ اللَّهِ!" (مرقس ١٥: ٣٩).

فَالْمَسِيحُ لَمْ يُصَلَّبْ لِكِي نَسْتَمِرَّ فِي حَيَاتِنَا الْخَاطِئَةِ، وَلَمْ يَمُتْ لِنَزِدَادِ فِي الْغُوصِ الْعَمِيقِ فِي بَحْرِ الْمَلذَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْفَاسِدَةِ، وَالْمَطَامِعِ الْمَادِيَةِ الزَّائِلَةِ. لَا يَعْنِي الصَّليبُ تَعْصِبًا أَعْمَى لِهَذَا الدِّينِ أَوْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ، بِالْمَظْهَرِ الْخَارِجِيِّ، بَيْنَمَا يُفَرِّغُ الْقَلْبَ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ وَرُوحِهِ الصَّالِحِ. شَكَرَا لَكَ يَا رَبُّ عَلَى الْفِدَاءِ.

لَا يَعْنِي الصَّليبُ انْتِمَاءً لِهَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ أَوْ تِلْكَ، فَتَنْذِرُهُ فِي الْمُنَاسَبَاتِ، وَبِدُونِ مَفْهُومِهِ الصَّحِيحِ. فَالَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى صليب المسيح، يُسَمِّيهِمُ الْإِنْجِيلُ بِالْهَالِكِينَ الْجَاهِلِينَ، وَأَمَّا الَّذِينَ اخْتَبَرُوا قُوَّةَ الْمَسِيحِ وَغُفْرَانَهُ، فَيَقُولُ الْإِنْجِيلُ عَنْهُمْ أَنَّ "كَلِمَةَ الصَّليبِ عِنْدَهُمْ هُمُ الْمَخْلُصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ" (١ كورنثوس ١: ١٨ و٢٤).

إِنْ مَعْنَى الصَّليبِ الْأَسَاسِي هُوَ الْمَوْتُ. فَإِنَّهُ مِنْذُ الْقَرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ الْمِيلَادِ تَقْرِيْبًا وَحَتَّى الْقَرْنَ الرَّابِعَ الْمِيلَادِي، كَانَ الصَّليبُ أَدَاةً تَنْفِيزَ حُكْمِ الْإِعْدَامِ وَالْمَوْتُ بِأَكْثَرِ الطَّرِيقِ تَعْذِيبًا وَأَلَمًا. فَكَانَ يَتِمُّ الصَّليبُ إِمَّا بِالتَّقْيِيدِ أَوْ التَّثْبِيتِ بِمَسَامِيرٍ فِي صليب خشبي، ثُمَّ يَتْرَكُ الشَّخْصُ مَعْلَقًا حَتَّى يَمُوتَ. وَكَانَ الْمَوْتُ بَطِيئًا وَمَوْْلَمًا بِصُورَةٍ لَا تَطَاقُ. وَلَكِنْ مَعْنَى الصَّليبِ صَارَ مُخْتَلَفًا تَمَامًا الْيَوْمَ بِسَبَبِ مَوْتِ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّليبِ.

إِنْ الصَّليبُ، فِي الْمَسِيحِيَّةِ، هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي تَقَابَلَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ اللَّهِ مَعَ عَدْلِهِ. يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَنْزِعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ (يوحنا ١: ٢٩). وَتَرْجِعُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَسِيحِ كَحَمَلِ اللَّهِ إِلَى تَأْسِيسِ الْفَصْحِ الْيَهُودِيِّ فِي خُرُوجِ ١٢. أَمَرَ اللَّهُ شَعْبَهُ قَدِيمًا بِتَقْدِيمِ حَمَلٍ طَاهِرٍ بِلَا عَيْبٍ ذَبِيحَةً، ثُمَّ يَضَعُونَ دَمَ ذَلِكَ الْحَمَلِ عَلَى قَوَائِمِ بَيْوتِهِمْ.

كَانَ الدَّمُ عَلَامَةً لِلْمَلَكِ الْمَهْلِكِ أَنْ "يَعْبُرَ" عَنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ تَارِكًا مَنْ غَطَاهُمُ الدَّمُ فِي أَمَانٍ. وَعِنْدَمَا جَاءَ الْمَسِيحُ إِلَى يوحنا لِكِي يَعْصِمَهُ، فَإِنْ يوحنا عَرَفَهُ وَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩). وَبِهَذَا أَعْلَنَ هُوَيْتَهُ وَخُطَّةَ اللَّهِ لَهُ أَنْ يَكُونَ ذَبِيحَةً لِلْخَطِيئَةِ.

نَعَمْ، مَاتَ الْمَسِيحُ عَلَى الصَّليبِ لِأَجْلِنا نَحْنُ الْبَشَرُ الْخُطَاةَ الَّذِينَ تَعْدِينَا وَصَايَا اللَّهِ، وَابْتَعَدْنَا عَنْ طَرَقِهِ. وَنَالِ الْعِقَابَ مِنَ اللَّهِ وَمَاتَ لِيُخَلِّصَنَا مِنْ خَطَايَانَا وَيَمْنَحَنَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. عَزِيزِي، هَلْ رَأَيْتَ مَحَبَّةَ اللَّهِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي الْمَسِيحِ الْمَصْلُوبِ عَنْكَ وَعَنِي؟ هَلْ دَخَلْتَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَقُوَّةَ اللَّهِ إِلَى قَلْبِكَ وَرُوحِكَ وَحَيَاتِكَ؟ لَقَدْ أَحْبَبْتَنِي إِلَى الْمُنْتَهَى لَتَمُوتَ عَنْ خَطَايَايَ، أَعْنِي أَنْ أَبَادِلَكَ الْمَحَبَّةَ بِالْمِثْلِ لِأَعِيشَ لِمَجْدِكَ أَبِي الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ.

بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا

"الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يُقَدِّمَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالِ حَسَنَةٍ." (تيطس ٢: ١٤)

تُشيرُ هذه الآية إلى ما قام به المسيح حين ضَحَّى بنفسه من أجلنا، ومات على الصليب مُقَدِّمًا حَيَاتَهُ ذَبِيحَةً لِلخَطِيئَةِ. كما تُعطي القصد من هذه التضحية بُنْطَيْنِ: ١- ليفتدي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ أَوْ إِثْمٍ. ٢- لِكَيْ يُنْقِي أَوْ يُطَهِّرَ مِنَ الخَطِيئَةِ وَنَتَائِجِهَا، مِمَّا يُتِيحُ لَنَا أَنْ نَخْدُمَ اللَّهَ بِغَيْرَةِ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ.

إِنَّ خَلَاصَنَا كَهَبَةٌ مُجَانِيَّةٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، يَنْحَصِرُ فِي اسْتِحْقَاقَاتِ الْمَسِيحِ وَعَمَلِهِ الْكَامِلِ عَلَى الصَّليبِ، وَلَيْسَ أَيْ اسْتِحْقَاقٍ مِنْ جَانِبِنَا نَقُومُ بِهِ. كَانَ دُمُ يَسُوعَ الْمَسْفُوكِ عَلَى الصَّليبِ الثَّمَنَ الْكَامِلَ وَالنَّهَائِيَّ لِخَطَايَانَا، الَّذِي تَطَلَّبَهُ اللَّهُ الْعَادِلَ وَالْقُدُّوسَ. لَقَدْ فَدَانَا الْمُخْلَصَ لِأَجْلِ رَحْمَتِهِ وَغَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا، وَسَكَبَ عَلَيْنَا رُوحَهُ الْقُدُّوسَ مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ فَادِينَا.

إِنَّ أَعْظَمَ ذَبِيحَةٍ قُدِّمَتْ بِمَحَبَّةٍ كَانَتْ عِنْدَمَا ضَحَّى الْمَسِيحُ بِنَفْسِهِ وَحَيَاتِهِ وَمَاتَ كَحَمَلِ اللَّهِ الْبَرِّءِ كِي نَحْصُلَ فِي وَقْتِ الضِّيقِ، وَالضَّعْفِ، الْمَرَضِ، عَلَى الرَّاحَةِ وَالسَّلَامِ، الشِّفَاءِ وَالْقُوَّةِ. يَتَكَلَّمُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَنْ مَعَانِي مُخْتَلِفَةٍ لِلتَّضَحِّيَةِ مِثْلَ قَوْلِ بُولُسَ فِي رُومِيَّةِ ١٢: ١ "قَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مُرَضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ". تَقْدِيرًا لِمَا قَدَّمَهُ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِمْ. وَفِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي فِيلِبِّي يَتَكَلَّمُ بُولُسُ عَنْ ذَبِيحَةِ إِيمَانِهِمُ الَّتِي جَلَبَتْ لَهُ الْفَرَحَ، كَمَا اعْتَبَرَ تَبَرُّعَ أَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ لَهُ "نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ ذَبِيحَةٍ مَقْبُولَةٍ مُرَضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ" (فِيلِبِّي ٤: ١٨).

أَمَّا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، كَانَ تَقْدِيمُ خُرُوفٍ كَامِلٍ بِمَثَابَةِ تَضَحِّيَةٍ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَقْدِيمَةِ الْحَنْطَةِ وَذَبِيحَةِ السَّلَامَةِ. كَانَ الْبَعْضُ مِنْهَا يُقَدِّمُ كَمُحْرِقَةٍ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَشْتَرِكُ الْكَهَنَةُ وَمُقَدِّمِي الذَّبِيحَةِ فِي الْأَكْلِ مِنْهَا. وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَسْبَابُ تَقْدِيمِ الذَّبِيحَةِ نَذَرُ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ: ١- تَقْدِيمُ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى عَطِيَّةٍ خَاصَّةٍ مِثْلَ وَلَادَةِ طِفْلٍ فِي الْعَائِلَةِ.

٢- نَذَرٌ عَلَى طَلَبِ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ، فَيَتِمُّ تَقْدِيمُ ذَبِيحَةِ شُكْرِ لِمُعْطِي كُلِّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ. ٣- الرِّغْبَةُ لَدَى الْبَعْضِ بِتَقْدِيمِ تَقْدِمَةٍ خَاصَّةٍ لِلَّهِ. كَانَتْ هَذِهِ التَّقْدِمَاتُ الثَّلَاثُ تَعْبِيرٌ شُكْرٍ لِلَّهِ تَقَرُّبُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَبَعْضُهُمُ الْبَعْضِ. أَمَّا الْكَهَنَةُ فَكَانُوا يَتَعَامَلُونَ مَعَ "ذَبِيحَةِ التَّطْهِيرِ" وَتَقْدِمَةِ التَّعْوِيزِ "إِذَا تَطَلَّبَ ذَلِكَ فِي حُلِّ خِلَافَاتِ الشَّعْبِ.

لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الذَّبَائِحُ تَتَعَامَلُ مَعَ الْخَطِيئَةِ الْحَقِيقِيَّةِ أَوْ تُقَدِّمُ لَهَا الْحُلَّ. احْتَاجُ الْأَمْرُ بِبَسَاطَةٍ إِلَى التَّوْبَةِ وَالاعْتِمَادِ التَّامِ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ قَادِرٌ عَلَى تَقْدِيمِ الْغُفْرَانِ لِلْخَطِيئَةِ الَّتِي ارْتَكَبْتُهَا.

يَسْتَعْمَلُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ فِكْرَةَ الذَّبِيحَةِ لَكِنْ لَيْسَ بِمَفْهُومِهَا الْأَصْلِيِّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِتَوْضِيحِ اسْتِعْدَادِ الرَّبِّ يَسُوعَ تَقْدِيمِ نَفْسِهِ ذَبِيحَةً عَنَّا. جَاءَ الْمَسِيحُ وَقَدَّمَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ، كِي يَهْرُبُوا مِنَ الْفَسَادِ، وَيُعِيدُوا قُنُوتَاتِ الْإِتِّصَالِ مَعَ اللَّهِ. وَضَعَتْ هَذِهِ الْخَطَّةُ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَرَأَيْنَا فِي ذَبِيحَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى جَبَلِ الْمَرْيَا، وَعِيدِ الْفَصْحِ رَمَزًا لِيَسُوعَ الَّذِي سَيَفْتَدِينَا بِدَمِهِ عَلَى الصَّليبِ.

يُوكِّدُ إِشْعِيَاءُ ٥٩: ٢ "أَنَّا آمَنَّاكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ". أَخْبَارُ الْإِنْجِيلِ السَّارَةَ هِيَ أَنَّ ذَبِيحَةَ الْمَسِيحِ كَانَتْ كَافِيَةً لِسَدِّ الْهُوَّةِ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ حَيْثُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَسِيحِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، قَامَ الْمَسِيحُ مُنْتَصِرًا. رَبِّي الْعَزِيزُ يَسُوعُ، أَدْرِكُ أَنَّ خَطَايَايَ قَدْ فَصَلْتَنِي عَنْكَ. وَمَهْمَا بَذَلْتُ مِنْ جَهْدٍ وَتَضَحِيَةٍ، فَلَنْ أَكُونَ قَادِرًا عَلَى سَدِّ الْهُوَّةِ بَيْنَنَا. لَكِنِّي أَدْرِكُ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ الذَّبِيحَةَ الَّتِي غَسَلَتْ كُلَّ خَطَايَايَ.

أَوْ مِنْ أَنَّكَ قُمْتَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ بَعْدَ تَضَحِيَّتِكَ وَأَعْرَفُ أَنَّ هَذِهِ الذَّبِيحَةَ كَانَتْ كَافِيَةً. أَرْجُوكَ أَنْ تُطَهِّرَنِي مِنْ خَطَايَايَ وَتُعِيدَنِي إِلَى خَالِقِي لِأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. لَا أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ عَبْدًا لِلْخَطِيئَةِ، أَرْجُوكَ حَرِّرْنِي مِنْ ذُنُوبِي. يَلْهَجُ لِسَانِي بِالشُّكْرِ لَكَ لِتَضَحِيَّتِكَ مِنْ أَجْلِي، قُودَ حَيَاتِي لِأَتَبَعَكَ وَأَعِيشَ بِامْتِنَانٍ لِعَظِيمِ الْمَحَبَّةِ وَمَوْتِكَ مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِي، إِلَى أَنْ أَرَكَ بِمَجْدِكَ عَنْ قَرِيبٍ. لَكَ التَّسْبِيحُ دَوْمًا وَأَبَدًا يَا إِلَهِي الْعَزِيزُ، آمِينَ.

اِفْتَدَيْتُمْ، بِدَمِ كَرِيمٍ

"عَالَمِينَ أَنْكُمْ اِفْتَدَيْتُمْ، بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ."

(١ بطرس ١: ١٨-١٩)

يهيب بنا الرسول بطرس في هذه الآيات أن نعيش أيام غُرْبَتنا بوقار لله في قداسة مثل أبنينا السماوي القدوس، وبُذْكْرنا بالقيمة العظيمة التي وضعها الربُّ علينا، عندما اشتَرانا بِدَمِهِ الكريم. لم يشتَرينا بِفِضَّةٍ أو ذَهَبٍ لا قيمة لها في خلاصنا، بل افتدانا وسَقَّكَ دَمَهُ كي يُخَلِّصَنَا.

لن يكون بإمكاننا تقدير الثَمَنِ العظيم الذي دَفَعَهُ المسيح لِفِدَائِنَا، إلا إذا عشنا لمجده واختَرنا ما هُوَ ثَمِينٌ في نَظَرِهِ. قَدَّمَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً كي يَسْتَرِدَّنَا إِلَيْهِ لَنَكُونَ مُلْكُهُ بِالْخَلِيقَةِ وَالْفِدَاءِ. مات يسوع البار كَحَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ كي يُعْطِينَا حَيَاةً رُوحِيَّةً بَدَلًا مِنْ مَوْتٍ رُوحِيٍّ.

لذلك جَاءَ يسوع المسيح، الذي هُوَ الله الظاهر في الجسد، إلى عالمنا من ٢٠٠٠ سنة مضت. عاش السيد المسيح حياة الطاعة الكاملة لله، هذه الطاعة التي فشلنا نحن في تحقيقها. ثم على الصليب دَفَعَ بِالْكَامِلِ عِقَابَ اللَّهِ لِلْخَطِيئَةِ. لقد أخذ على نفسه العقاب الذي كان لنا، وصار ذبيحة كَفَّارِيَّةً، أي بَدَلًا عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُ يَؤْمِنُ بِهِ، وبما عمله على الصليب. فَإِنَّ الْمَسِيحَ نَفْسُهُ مَاتَ مَرَّةً وَاحِدَةً لِكَيَّ يَحُلَّ مُشْكَلَةَ الْخَطَايَا. فَمَعَ أَنَّهُ هُوَ الْبَارُّ، فَقَدْ تَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِنا نَحْنُ الْمُذْنِبِينَ، لِكَيَّ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللَّهِ، فَمَاتَ بِجِسْمِهِ الْبَشَرِيِّ، ثُمَّ عَادَ حَيًّا بِالرُّوحِ (رسالة بطرس الأولى ٣: ١٨). بِمَحَبَّتِهِ اشْتَرَانَا وَأَنْقَذَنَا مِنْ عُبودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ.

قد نسأل عن سَبَبِ تَضَحِيَّةِ الْمَسِيحِ مِنْ أَجْلِنا، لأنه كان ينظر إلى قلوبنا وأفعالنا وقد رآنا مرضى ومحتاجين وضعفاء وخطاة وعميان وضالِّين. وكانت هذه هي وَجْهَةٌ نَظَرِ يسوع التي أعلنها، وهو ما لم يعجبنا. لكننا نحتاج أيضًا أن نرى أعماله مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِهِ. فلم يَكُنْ الأمرُ مُجَرَّدَ حُكْمٍ بَعِيدٍ أو إِدَانَةٍ، ولم يكن تعقيد منه وعدم تعاطف معنا. فسواء اتَّفَقْنَا معه أو لم نتفق في هذا الرأي، رأى يسوع أننا في أشدِّ الاحتياج، كما رأى أنَّ حياتنا لا تسير على ما يُرام؛ فلم نَكُنْ نعيش حياة الملء والسَّعْيِ، وكذلك لم نَكُنْ نَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ التي خلقنا الله لأجلها.

فضلا عن ذلك، كنا مُعَرِّضِينَ لخطر الموت الأبدي والانفصال عنه، وبالتالي، عدم اختبار الحياة الأبدية مطلقًا؛ لأننا كنا مُنْفَصِلِينَ عَنْهُ بِسَبَبِ خَطَايَانَا. ومن ثم اختار يسوع أن يَسُدَّ احتياجنا. وسواء كُنَّا شاكِرِينَ أو لا، وسواء رأينا هذا الاحتياج أم لا، أَخَذَ يسوعُ عُقُوبَةَ الْمَوْتِ التي كُنَّا نَسْتَحِقُّهَا وَتَحَمَّلَهَا عَنَّا. وهذا العمل يعكس بالطبع مدى اهتمامه بنا.

فبدلاً مِنْ أَنْ يَهْجُرَنَا وَيَتْرَكَنَا نَعَانِي مِنْ عَوَاقِبِ خَطَايَانَا اتَّجَهَ إِلَيْنَا، وَدَخَلَ عَالَمَنَا، ودفع عُقُوبَةَ خَطَايَانَا، وَتَحَمَّلَ الْمَوْتَ عَنَّا بِنَفْسِهِ، إِذْ يَقُولُ الْكِتَابُ: "اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنَّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ" (أفسس ٢: ٤). أَلَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يَتَغَاضَى عَنْ خَطَايَانَا وَيَغْفِرَ لَنَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قد يبدو لنا ذلك مُمْكِنًا، لكن الله قال إنَّ خَطَايَانَا فَادِحَةٌ لدرجة يستحيل تجاهلها والتغاضي عنها، حتَّى أَنْ جَسَامَةِ خَطَايَانَا وَمَحَبَّتِهِ لَنَا قَدْ تَطَلَبَتْ مَوْتَهُ عَلَى الصَّليبِ. لقد تَأَلَّمَ يسوع ومات بسبب خطايانا، ثم قام من الأموات بعد ثلاثة أيام، وَتَغَلَّبَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ. لم تعقه الخطية ولا حتَّى الموت، وهو يُريدنا أَنْ نختبر هذه الْعَلَبَةِ نَفْسَهَا مِنْ خِلَالِهِ. إِنَّهُ قَرَّارًا بَأَنْ نَقْبَلَ غُفْرَانَهُ الَّذِي يُقَدِّمُهُ لَنَا، مِنْ خِلَالِ الْإِتِّجَاهِ نَحْوِهِ، وَطَلَبَ غُفْرَانَهُ وَالسَّمَاحَ لَهُ بِدُخُولِ حَيَاتِنَا أَوْ عَدَمِ قَبُولِ ذَلِكَ.

يُريد يسوع أَنْ يَغْفِرَ لَنَا مَغْفِرَةً أَبَدِيَّةً وَعَمِيقَةً وَكَامِلَةً وَتَامَةً. كما يُريدنا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّهُ يَقْبَلُنَا قَبُولًا كَامِلًا، وَأَنَّ خَطَايَانَا لَمْ تَعُدْ فَاصِلَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ إِذْ يَقُولُ الْكِتَابُ: "لَأنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ، وَأَمَّا هَبَّةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا" (رومية ٦: ٢٣). وعن قريب، ستعود كي تَأْخُذَنَا مَعَكَ إِلَى بَيْتِنَا السَّمَاوِيِّ. لَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ يَا فَادِيَنَا وَمُخَلِّصَنَا لِأَنَّكَ مَتَّ كَيْ تَقْتَدِينَا وَدَفَعْتَ دَمَكَ الطاهر كي تُخَلِّصَنَا.

الفداء بيسوع المسيح

"مُتَبَرِّرينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ." (رومية ٣: ٢٤)

يُرَكِّزُ الرَّسُولُ بولس على حقيقة تشمُلُ كافة الجنس البشري وهي "الجميعُ أخطأوا وأَعَوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ". تُؤَكِّدُ هذه الحقيقة أن لا أحد يستحقُّ السَّماءَ، وجميعنا انفصلنا عن الله نتيجة خطايانا. وبالرَّغم من خطايانا، جَعَلَ اللَّهُ امكانية تبريرنا بنعمته مُمكنة. مِنَ الضروري أن نُوضِحَ معنى "النَّعْمَةِ" بأنَّها الحُصول على شيءٍ جَيِّدٍ بينما ما نستحقُّهُ هو الدينونة، ولا عَجَب أن يُوضِحَ بولس مفهوم النعمة بأنَّه "هَبَّةٌ" تُعطى لنا بالإيمان في المسيح لِكُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ لِنَالُوا الفداء، وَيُصْبِحُوا أَعْضَاءً في العائلة السَّماوية، ويشتركوا في أمجاده عن قريب.

مات يسوع عن خطايانا ونال غَضَبَ دينونةِ اللَّهِ لخطايانا، حيث حملها بجسمه ودَفَعَ بدمه ثَمَنَ فِدائنا بالكامل. إنَّ موت المسيح أَزَالَ خطايانا، ووضعها على يسوع الَّذي حَمَلَهَا ودَفَعَ أَجرتها بموته على الصليب. وفي هذا، قال يُوحَنَّا المعمدان عن يسوع "هُوَ ذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا ١: ٢٩). نفس الفكرة نجدُها في قول إشعياء ٥٣: ٦ "وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا"، وكاتب الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٦ "وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَظْهَرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدَّهْرِ لِيُطِيلَ الْخَطِيئَةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ".

إذ مات المسيح مكاننا وعن خطايانا، فقد أزال غَضَبَ اللَّهِ الَّذِي بَعْدَ نَسْتَحَقُّهُ. فالكفَّارة، في الواقع، تنزَعُ غَضَبَ اللَّهِ وتُحوِّله لصالحنا، حيث أنَّ اللَّهَ بعظيم محبته لنا، أَرْسَلَ المسيح كي يبدل نفسه لأجلنا، هكذا، حوَّلَ غَضَبَهُ لخيرنا، كي تُحَقِّقَ محبته قَصْدَهَا لخيرنا كل يوم في كُلِّ شيءٍ دُونَ أن يُضْحِيَّ بعدله وقداسته.

يُوضِحُ بولس معنى موت المسيح كفَّارة عن خطايانا، فيقول إنَّ المسيح جُعِلَ "لِكِي يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا في مَا لِلَّهِ حَتَّى يَكْفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ" (عبرانيين ٢: ١٧). نقرأ أيضًا في ١ يوحنا ٤: ١٠ "في هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحَبَبْنَا لِلَّهِ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لَخَطَايَانَا".

حَقَّقَ فادينا بموته المصالحة، حيث أزال العداوة الَّتِي سَبَّبَتْهَا خطايانا وصالحنا مع اللَّهِ. يُوضِحُ ذَلِكَ بولس حيث يقول "لأنَّه إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُولَحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالْأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ! وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللَّهِ، بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالِحَةَ" (رومية ٥: ١٠-١١).

أَنْجَزَ مُخْلَصُنَا بموته الفداء حيث أنَّ خطايانا قد جعلتنا أُسْرَى بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُحَرِّرُنَا، فجاء يسوع ودَفَعَ ثَمَنَ فِدائنا وَخَلَّصَنَا. حَرَّرَنَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: لَعْنَةِ النَّامُوسِ، ذَنْبِ الْخَطِيئَةِ، وَقُوَّةِ الْخَطِيئَةِ، وفداننا منها جميعها. وهذا يعني أَنَّنَا لَمْ نَعُدْ عبيدًا لِلْخَطِيئَةِ، بَلْ أَحْرَارًا في الْبَرِّ نُمَجِّدُ اللَّهَ في حياتنا.

كان موت المسيح هزيمةً لِقَوَى الظلام حيث انتصر له المجد على الشيطان ومنحنا نفس الانتصار. يقول الرسول بولس "أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصِّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ. إِذْ جَرَدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جَهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ" (كولوسي ٢: ١٣-١٥).

حَقَّقَ المسيح بموته كُلَّ هذه عندما مات بديلا عنا وأَخَذَ مكاننا، كُنَّا مُسْتَحَقِّينَ الصليب، لكنَّه مات بالنيابة عَنَّا، ودفع دمه ثَمَنَ تعديتنا، وهذا ما تعنيه الكفَّارة. كان بلا خطيئة، ولكنَّه صار خطيئةً لأجلنا لنصير بِرَّ اللَّهِ فيه. يقول ١ بطرس ٣: ١٨ "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكِي نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبَرِّ. الَّذِي بَجَلَدَتِهِ شُفِيتُمْ".

يا إلهي الحي، مسيحي البار، شُكْرًا لْغَالِي تَضَحُّيتِكَ مِنْ أَجْلِي، يعجز لِسَانِي عن تقديم الْحَمْدِ لاسْمِكَ. مُتَّ عَنِّي وَخَلَصْتَنِي بِدَمِكَ، لَكَ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ أَبَدَ الدَّهْرِ. آمين.

مات يسوع عن خطايانا

"الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَبِينَا."
(غلاطية ١: ٤)

بدأ بولس رسالته بوصف يسوع المسيح الذي أقامه الله من الموت، وركز على نقطتين: ١- بَذَلَ نَفْسَهُ. لم يُجبره أحد أن يموتَ ضدَّ إرادته، لكنَّه بَذَلَهَا ليكون ذبيحة من أجلنا طوعاً ومَجَاناً. يأتي السؤال "لماذا بَذَلَ نَفْسَهُ؟" "لأجل خطايانا". بَذَلَ نَفْسَهُ وَتَحَمَّلَ قِصَاصَ الْمَوْتِ الَّذِي نَتَجَّ عَنْ خَطَايَانَا، صار بديلنا على الصليب، ودَفَعَ دَيْنَنَا هُنَاكَ. ولماذا دَفَعَ ثَمَنَ تَعْدِيَاتِنَا؟ لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِيرِ. كَانَتِ الْبَشَرِيَّةُ أُسِيرَةً عَالَمٍ مَبْنِي عَلَى خِيَارَاتِنَا الْخَاطِئَةِ، جَاءَ يَسُوعُ وَدَفَعَ فِدْيَةً خَرُوجَنَا إِلَى حَيَاةٍ فَيَّاضَةٍ بِالْبَرَكَةِ بِمَعُونَتِهِ. ٢- بَذَلَ نَفْسَهُ "حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَبِينَا". مات يسوع في خُضُوعٍ لَخَطَّةِ اللَّهِ وَقَصْدِهِ. اسْتَلَمَ بُولُسُ أَخْبَارَ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ مُبَاشَرَةً مِنَ اللَّهِ، وَرَكَزَ عَلَى مَوْتِ، وَدَفَنِ وَقِيَامَةِ الْمَسِيحِ. يَسُوعُ وَحْدَهُ كَانَ عَالِماً بِخَطَايَانَا عِنْدَمَا تَجَسَّدَ لِيَكُونَ اللَّهُ مَعَنَا، وَقَادِراً أَنْ يَدْفَعَ أَجْرَةَ خَطَايَاكُم وَخَطَايَايَ. لَمْ تَكُنْ آيَةُ طَرِيقَةٍ أُخْرَى لَخَلَاصِنَا سِوَى مَوْتِ فَادِينَا يَسُوعُ ابْنِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ، الَّذِي اخْتَارَ مِنْذُ الْأَزَلِ أَنْ يَفْتَدِيَنَا بِخَلَاصِهِ الْعَجِيبِ مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِيرِ وَقُوَّةِ الْمَوْتِ. إِنَّ مَوْتَ يَسُوعِ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، كَانَ أَوْلَوِيَّةً مَا عَلَّمَهُ بُولُسُ وَهُوَ حَقِيقَةُ أُسَاسِيَّةٍ فِي الْإِنْجِيلِ. كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ صُلِبُوا فِي الْعَهْدِ الرُّومَانِيِّ، لَكِنْ يَسُوعُ وَحْدَهُ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا.

صُلِبَ فَادِينَا عَوْضاً عَنَّا، وَأَخَذَ مَكَانَنَا عَلَى الصَّليبِ كِي يُكْفِّرَ عَنْ خَطَايَانَا، وَيَسْمَحَ لَنَا الدُّخُولَ فِي عِلَاقَةِ مُصَالَحَةٍ مَعَ إِلَهِنَا الْقُدُّوسِ. أَكَّدَ رَبُّنَا يَسُوعُ فِي يُوْحَنَّا ١٦: ٨ بَأَنَّ خِدْمَةَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ هُوَ أَنَّهُ "يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ" لِذَا، نُدْرِكُ بِأَنَّنا خُطَاةٌ بِأَمْسٍ الْحَاجَةِ كِي يَمُوتَ الْمَسِيحُ مَكَانَنَا وَيَدْفَعُ ثَمَنَ تَعْدِيَاتِنَا.

وفي هذا نقراً في ١ بطرس ٢: ٢٤ عن يسوع "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ". كما أَكَّدَ بُولُسُ فِي عِبْرَانِيِّينَ ٩: ٢٢ "وَبَدُونِ سَفْكَ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفَرَةٌ!".

مرحلة أُخْرَى فِي سِيَاقِ مَوْتِ الْفَادِي يَسُوعِ لِأَجْلِ خَطَايَانَا نَجِدُهَا فِي ١ كُورِنْثُوسَ ١٥: ٣ "الْمَسِيحُ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ" لَمْ يَقْصِدْ بُولُسُ آيَةً مُعَيَّنَةً، بَلْ أَشَارَ إِلَى كُلِّ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ حَيْثُ نَجِدُ التَّرْكِيزَ عَلَى مَوْتِ الْمَخْلُصِ وَدَفْعِ قِصَاصِ خَطَايَانَا. كَمَا يُؤَكِّدُ فِي ١ كُورِنْثُوسَ ٥: ٧ "لَأَنَّ فَضْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ دُبِحَ لِأَجْلِنَا".

كَانَ مَوْتُ الْمَسِيحِ خُرُوفُ الْفِصْحِ الَّذِي دُبِحَ. يَعُودُ مَفْهُومُ خُرُوفِ الْفِصْحِ إِلَى سَفَرِ الْخُرُوجِ قَبْلَ أَنْ يَتْرَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِصْرَ، حَيْثُ ذَبَحَتْ كُلُّ عَائِلَةٍ خُرُوفَ الْفِصْحِ، وَوَضَعَتْ دَمَهُ عَلَى عَتَبَةِ الْبَيْتِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِذْ رَأَى الْمَلَكُ الْمُهْلِكُ الدَّمَ عَبَرَ وَلَمْ يُؤْذِ سَاكِنِي ذَلِكَ الْبَيْتِ. كَانَتْ فَرِيضَةُ الْفِصْحِ تُشِيرُ إِلَى مَوْتِ يَسُوعِ عَنْ خَطَايَانَا، وَكَذَلِكَ كُلِّ الذَّبَائِحِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

امْتَاَزَتِ الرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ بِإِظْهَارِ تَقَوُّقِ الْمَسِيحِ عَلَى النَامُوسِ الطَّقْسِيِّ وَالذَّبَائِحِ، لِذَا نَقْرَأُ فِي أَصْحَاحِ ١٠: ٤-٥ "لَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ دَمَ ثِيرَانٍ وَتَيْبُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا، لِذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: "ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً لَمْ تُرَدْ، وَلَكِنْ هَيَّأتْ لِي جَسَداً". مَا قَصَدَهُ الْكَاتِبُ هُوَ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْكَلِمَةَ، صَارَ جَسَداً كِي يَحْمِلَ الْخَطَايَا الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ حَيَوَانَاتُ الْقَرَابِينِ أَنْ تَحْمِلَهَا، وَهُوَ حَمَلَ الْفِصْحَ الْحَامِلَ خَطَايَا الْعَالَمِ.

يَصِفُ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ ٥٣: ١١-١٢ أَلَامَ الْمَسِيحِ وَمَوْتَهُ فَيَقُولُ "وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَأَنَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ". تُرِنُ صَدَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَلَى صَفْحَاتِ الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ لَتُؤَكِّدَ مَوْتَ يَسُوعِ مَكَانَنَا عَلَى الصَّليبِ، كِي يَضْمَنَ الْكَفَّارَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، كَمَا أَنَّهُ دَفَعَ قِصَاصَ خَطَايَانَا مَرَّةً وَاحِدَةً وَلِلْجَمِيعِ. لَكَ شُكْرٌ قَلْبِي وَالْحَمْدُ يَا فَادِيَّ الْحَبِيبَ.

ذبيحة يسوع الحقيقية

"وَإِذْ وَجَدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانْسَانَ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتَ الصَّلِيبِ." (فيلبي ٢: ٨)

أخلى يسوع نفسه أخذاً صورة عبْد صائراً في شبه النَّاسِ، وقد وُلِدَ ومات في تواضع، ليس لكي يتفاخر، بل كان ذلك جزءاً من تواضعه. هنا يحث بولس المؤمنين والمؤمنات بأن يتواضعوا مثل فاديهم المسيح. يتابع بولس في الآية أعلاه، الحديث عن الميته المرعبة التي ماتها يسوع على الصليب كي يذكّرنا أن الصلب أكثر من مجرد موت مؤلم، بل كان أفضع طريقة لإعدام مخزي. لم يمُت يسوع كبطل في ساحة المعركة، لكنه مات وهو البريء أبشع ميتة علنية خارج أسوار أورشليم. تعرّض للإهانة والسخرية كجزء من خطة الله لحياته ومات كذبيحة لأجل الخطاة.

يُعلّم الكتاب المقدس أن الله، الذي تجسّد بهيئة بشرية، قد تواضع وعذّب وقُتل صلباً على يد مخلوقاته. ذاك الموت الكفاريّ فتح طريق الخلاص لكل من يضع ثقته بيسوع المسيح. ذهب المخلص إلى الصليب، وهو عالم بما سيحدث له حيث أوصح لتلاميذه في مرقس ٨: ٣١ "أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم". يفتح هذا اليقين باب الشك لدى البعض ليسألوا "هل موت يسوع كان حقيقياً، سيما وأن قيامته من الموت كانت مضمونة؟".

الذين يشكّون بحقيقة موت المسيح، لا يدركون واقع ما جرى على الصليب. لم تكن ذبيحة المسيح بكاملها إنهاء حياة جسده البشري. بالحقيقة، ما حدث على الصليب شمل أكثر من توقف قلبه عن الخفقان. جاءت ذبيحة المسيح بالكثير من الألم العاطفي، وكونه الله الكامل والقدير يتعرّض للتعذيب والسخرية من مخلوقاته.

نرى هنا رمز هام في الجانب الجسدي لموت المسيح وقيامته، إلى جانب أنه إتمام للنبوءة. لكن هناك المزيد عن ذبيحة المسيح أكثر من مجرد الموت والقيامة لجسده، رغم ما لهذه الأحداث من أهمية. قيامة المسيح بجسد مُجد لا يجعل آلامه وموته أقل تضحية أو ألماً. فمعرفة أن شيئاً ما جيّد سيأتي بعد السيء لا يجعل السيء أقل ألماً.

استعمل السيد المسيح مثال المرأة عند الولادة ليوضح مُعاناة التلاميذ عند موته. وأكّد لتلاميذه في يوحنا ١٦: ٢٠-٢٢ أن "حزنهم سيتحوّل إلى فرح". حيث أن النتيجة تستحق الألم الوقتي. تماماً مثل المرأة التي تنسى ألم المخاض عندما ترى طفلها المولود حديثاً، سيركّز التلاميذ فرحهم بقيامة المسيح رغم ألمهم. تؤكّد الكثير من الأمهات أن فرحهم بعد الولادة لا يلغي ألم المخاض وقت الولادة.

أن تحمل الإهانة والتعبير الوقتي هو تضحية في حد ذاتها، وهذا صحيح بالنسبة لإنسان خاطئ ومحدود، لكن تعظّم التضحية عندما يكون الضحية إنسان كامل وبلا خطيئة مثل ابن الله. زد على ذلك الألم العاطفي الناتج عن العذاب الجسدي الظالم، الذي يمكن احتماله لكن بدون تجنبه.

كان الصليب ذبيحة حقيقية، لأن يسوع اختبر ما مرّ به أي إنسان آخر - رغم أنه لم يكن مجبراً أن يكون هناك، ولم يستحقّ ذاك المصير. كان موت المسيح كفارة للخطيئة، والتضحية اللامحدودة في تنازل الله الابن، حققت الكفارة. عرف يسوع ما ينتظره - من ألم ومن مجد - لكن معرفته هذه لم تقلل من ألمه.

لقد تألم وتصارع مع خيارات أمامه، وتحطّم جسده وتشوّه كما نقرأ في مزمور ٢٢ كما لو لم يكن الله - الإنسان. ارتعبت بشريته لفكرة ألم الصليب، لكنه ضحى بإرادته لمشية الآب، كما ضحى بحقوقه ليضمّن خلاصنا. عزيزي، هل كنت هناك عندما دقوا يديه ورجليه بالمسامير. وهل كنت حاضراً عندما صلبوا سيدي يسوع. كم كان قاسياً موت صليب العار، لكنك حملته يا بار من أجلي، فالمجد لاسمك يا فادي الحبيب.

موت المسيح – فِدْيَةٌ عَنْ كَثِيرِينَ

"لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ."

(مرقس ١٠: ٤٥)

يُدْعَى يسوع بالخادمِ الْمُتَأَلِّمِ في إشعياء ٥٣ ويدعوننا في الوقت نفسه، لنكون خُدَّامًا وعبيدًا له، ويُشير الرُّسُول بولس إلى أن المسيح أَخَذَ صورةَ عبدٍ لله وتَجَسَّدَ ليموتَ عَنَّا ويفدينا. إذا أردنا أن نُصْبِحَ رعايا في ملكوته، علينا أن نُقَرَّ بعجزنا. لم يَكُنْ هذا موقف التلاميذ الَّذِينَ تَشَاجَرُوا على مَنْ سَيَكُونُ الأعلى مَنْصِبًا في مملكة المسيح الأَرْضِيَّةِ، لكنَّهُمْ ذَهَلُوا عندما سمعوا يسوع يقول بأنه جاء لِيُخْدَمَ وَيَبْذِلَ نفسه فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ. وَبَرَهَنَ بِحَيَاتِهِ وَمِثَالِهِ صِدْقَ هذه الحقيقةِ عندما تَنَازَلَ وَغَسَلَ أَرْجُلَ تلاميذه عندما رَفَضُوا هُمُ القيامَ بِذلكِ.

تُشِيرُ كَلِمَةُ "فِدْيَةٌ" إلى الثَّمَنِ الذي يُعْطَى في فِكاكِ عَبْدٍ أو إعطاؤه حُرِّيَّتِهِ، والفادي هو الَّذِي يُعَاقَبُ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ، أو شخص تُلقَى عليه مسؤولية أخطاء الآخرين. وكان هذا التعبيرُ يُسْتَخْدَمُ بصورة خاصة فيما يتعلق بتحرير العبيد. ويحمل استخدامه في صِلَةٍ مع موت المسيح على الصليب معانٍ كثيرة. فَإِنْ كُنَّا قَدْ تَمَّ "فداؤنا"، فلا بُدَّ وَأَنَّ حالتنا الأولى كانت حالة عبودية.

لقد دَفَعَ اللَّهُ ثَمَنَ تَحْرِيرِنَا، فَلَسْنَا بَعْدَ تَحْتِ وَطْأَةِ الْخَطِيئَةِ أو ناموس العهد القديم الطقسي. وهذا الاستخدام البلاغي لكَلِمَةِ "الفداء" هو ما تُعَلِّمُنَا إِيَّاه رسالة غلاطية ٣: ١٣ و ٤: ٥

وَيَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَبْدَأِ الْمَسِيحِيِّ الَّذِي يَتَنَاوَلُ فِكْرَةَ الْفِدَاءِ كَلِمَةُ فِدْيَةٍ. فالمسيح دَفَعَ ثَمَنَ تَحْرِيرِنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ وَعَوَاقِبِهَا. فَمَوْتُهُ كَانَ مُقَابِلَ حَيَاتِنَا. والحقيقة أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ وَاضِحٌ جَدًّا فِي أَنَّهُ يُمْكِنُنَا الْحَصُولَ عَلَى الْفِدَاءِ "مِنْ خِلَالِ دَمِ الْمَسِيحِ" فقط، أَيْ بِمَوْتِهِ بَدَلًا عَنَّا (كولوسي ١: ١٤).

فَكُونُوا مُفْدِينَ، إِذَا يَعْنِي أَنَّ خَطَايَانَا قَدْ غُفِرَتْ، وَأَنَّا قَدْ تَقَدَّسْنَا، وَتَبَرَّرْنَا، وَتَحَرَّرْنَا، وَأَصْبَحْنَا أَبْنَاءَ وَبَنَاتٍ، وَتَصَالَحْنَا مَعَ اللَّهِ. يسوع قادر أن يشفي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيُطْلِقَ الْمَأْسُورِينَ إِلَى الْحُرِّيَّةِ. فَحُرِّيَّتُنَا هَذِهِ تَنْزَعُ مِنَّا الْأَنَانِيَّةَ وَالْخَوْفَ وَالرَّغْبَةَ فِي السَّيْطَرَةِ، كَمَا أَنَّ عُبُودِيَّتَنَا لِلَّهِ، تُحَرِّرُنَا لِنُحِبَّ الْآخَرِينَ وَنُخْتَبِرَ حَيَاةَ أَبَدِيَّةٍ.

نَقْرَأُ فِي عِبْرَانِيِّينَ ٩: ١٢ أَنَّ الْمَسِيحَ "وَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا". وَهِيَ نَفْسُ الْكَلِمَةِ فِي لَوْقَا ١: ٦٨ عندما أَعْلَنَ زَكَرِيَّا أَنَّ الرَّبَّ "افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لَشُعْبِهِ". وَالْإِشَارَةُ إِلَى دَمِ الْمَسِيحِ – دَمِ الذَّبِيحَةِ الْوَحِيدَةِ الْكَافِيَةِ الْوَافِيَةِ – تَعْنِي أَنَّ الْمَسِيحَ، كَحَمَلِ التَّضَحِّيَةِ، هُوَ الَّذِي أَحْرَزَ هَذَا الْفِدَاءَ، هَذَا الْخَلَاصَ. وَأَخْبَارُ الْبَشَارَةِ السَّارَةِ، هِيَ أَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُحْرَزْ هَذَا لِأَجْلِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا لِأَجْلِ نَحْنِ.

وما أَحْرَزَهُ الْمَسِيحُ أَصْبَحَ مُؤَثَّرًا وَمُفِيدًا لِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُونَ ذَبِيحَةَ الْمَسِيحِ مِنْ أَجْلِهِمْ.

يُصِفُ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ مَوْتَ الْمَسِيحِ بِاعْتِبَارِهِ فِدْيَةً مِنْ أَجْلِ شَعْبِهِ بِثَلَاثَةِ طَرُقٍ مِنْ خِلَالِهَا يَخْلُصُنَا مَوْتُ الْمَسِيحِ الْكَفَارِي مِنَ دَيْنُونَةِ اللَّهِ، وَيَقْدِمُ لَنَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. أَوَّلًا، إِنَّ مَوْتَ الْمَسِيحِ هُوَ فِدْيَةٌ تَدْفَعُ الدِّينَ الْكَبِيرَ الَّذِي نَحْنُ مَدِينُونَ بِهِ لِلَّهِ بِسَبَبِ خَطَايَانَا. ثَانِيًا، مَاتَ الْمَسِيحُ عَوْضًا وَبَدِيلًا عَنَّا حَيْثُ حَمَلَ خَطِيئَتَنَا وَلَعَنَتْنَا فِي نَفْسِهِ، لِكِي نَخْلُصَ نَحْنُ مِنَ الْخَطِيئَةِ وَأُجْرَتِهَا. ثَالِثًا، إِنَّ مَوْتَ الْمَسِيحِ هُوَ تَبَرُّعٌ لِبِرِّ اللَّهِ، لِيَكُونَ اللَّهُ بَارًّا وَيُبَرِّرَ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.

تَرَكَ الْمَسِيحُ السَّمَاءَ بِقَصْدٍ وَاحِدٍ كِي يَدْفَعَ فِدْيَةً تَعْدِيَاتِنَا، دَفَعَ ذَاكَ الثَّمَنَ بِتَوَاضُعٍ وَسَطِ التَّعْبِيرِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالضَّرْبِ. عَرَفَ يَقِينًا حَاجَتَنَا الْمَاسَّةَ إِلَى مُخْلَصٍ. وَلَئِنَّهُ دَفَعَ الْفِدْيَةَ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَقَّعَ بِنَا أَمَامَ الْآبِ. وَحَيْثُ أَنَّهُ افْتَدَانَا وَخَلَّصَنَا، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَّقَ بِكَلَامِهِ، وَنَعْرِفَ أَنَّهُ يَسْمَعُ وَيَعْتَنِي بِنَا عِنْدَمَا نُوَاجِهُ الضِّيقَاتِ.

جاء يسوع وعَاشَ وَمَاتَ كَفَادِي وَشَفِيعٍ، بِدِيلِنَا عَلَى الصَّليبِ، وَرَبِّيسَ كَهَنَتِنَا، مُخْلَصَ وَصَدِيقِ. رَبِّي الْبَارَّ، كُنْتَ خَيْرَ مِثَالٍ فِي حَيَاتِكَ وَتَعَالِيمِكَ، هَبْنِي الْقُوَّةَ لِأَعِيشَ لِمَجْدِكَ حَاضِرًا كِي أَرَاكَ آتِيًا بِمَجْدِكَ عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

أهمية موت المسيح

"أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟" (لوقا ٢٤: ٢٦)

نكون أحياناً في يأس وضييق، مضطربين وخائفين، بحيث لا نحس ببركات الله العظيمة في وسطنا، هذا ما حدث للتلميذين العائدين لبلدتهم عمواس بعد صلب المسيح. "استبدَّ بهما الحزن فلم يستطيعا أن يمسكا نفسيهما عن البكاء. علَّم يسوع أن قلوبهما مرتبطان به برُبُّط المحبة، فاشتاق إلى أن يمسح دموعهما ويملاهما بالفرح والسعادة. ولكن عليه أولاً أن يقدم لهما دروساً لا ينسيانها أبداً" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٧٥٣).

كانا يُحاولان فهم مُرسلية يسوع الحقيقية وأهمية موت المسيح. انضمَّ إليهما المُخلص المُقام، وأمسكت أعينهما عن معرفته. بعد أن فهم منهما سبب حزنهما، سألهما "أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟". ثمَّ ابتدأ من موسى والأنبياء يشرح لهما الأمور المُختصة به، بعد أن عرفاه عندما بارك الخبز وناولهما. يصف لوقا ٢٤: ٣٢ ما حدث "أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يَكْلُمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟".

نُعلِّم كلمة الله أن موت يسوع على الصليب ضمنَ ذبيحة كفَّاريَّة تامَّة لخطايا كُلِّ البشريَّة، جاعلة الصليب واحداً من رموز المسيحية المُميَّزة. قدَّم يسوع نفسه على الصليب، وأظهر نعمة الله في تضحية محبة، إذ بذل ابنه الأوحد، فكان موته الكافي كبديل عنا. حقيقة مركزية- لأعمال نعمة الله في فدائنا واستردادنا الكاملين. ما نحتاجه كمولودين بالماء والروح ونحيا بكُلِّ كلمة من الله، أن نفهم أهمية موت يسوع لخلصنا.

لا ندعي أن بإمكاننا الفهم الكامل والعميق لأهمية موت فادينا ومُخلصنا يسوع المسيح، لكن نستطيع أن نُؤمن أنه مات لأجلنا، ونستمتع ببركات هذا الموت الخلاصي المُميَّز. مات لننال عُفْران جميع خطايانا. مات وخلصنا بدمه الثمين. مات ليُعطينا حياة الانتصار، إذ حطَّم بموته شوكة عدوِّ نفوسنا إبليس. لتعرَّف أكثر عن موت الرب يسوع: ١- كان موته حسب ما يوضح ١ بطرس ٢٠: ١ "مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أَظْهَرَ فِي الْأَزْمَنَةِ الْآخِرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ".

خطة الخلاص قد أعدت منذ الأزل قبل تأسيس العالم. ٢- تنبأ العهد القديم عن موته كما نقرأ في إشعياء ٥٣ وأعمال ١٠: ٤٣ "لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ عُفْرَانَ الْخَطَايَا".

٣- صُورَ في رَمَزِي طَلَبُ اللَّهِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ تَقْدِيمَ اسْحَقَ لابنه كذبيحة كما نقرأ في تكوين أصحاح ٢٢، وفريضة الفصح عَشِيَّة خروج بني إسرائيل من مصر، كما وَرَدَتْ تفاصيلها في خروج ١٢. ٤- أُبْرَزَ الإنجيل أحداثَ صلب المسيح وموته وردت تفاصيلها في الأناجيل الأربع ٥- تحدّثت رسائل بولس وبطرس بإسهاب عن موت المسيح. كما نرى في رومية ٥: ٦، ١ كورنثوس ١: ٢٣.

٦- موضوع أساسي في السماء كما نقرأ في رؤيا يوحنا اللاهوتي ١: ٥-٦ "وَمَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الشَّاهِدَ الْأَمِينِ، الْبَكْرَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَرَبِّيسَ مُلُوكِ الْأَرْضِ: الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ".

وفي ترنيمة تسبيح المسيح في رؤيا ٥: ١٢٩٩ نقرأ "مُسْتَحَقَّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السُّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتْمَهُ، لِأَنَّكَ ذُبَحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "مُسْتَحَقَّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْعَنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!". مات المُخلص ذبيحةً لأجلنا، مات ليغفر خطايانا الماضية والحاضرة وليُعطينا رجاء للمستقبل.

فادي الحبيب يسوع، شكراً لأنك جئت لهذا العالم لتموت عني، وقدّمت نفسك طوعاً بحسب مشيئة الآب وبدافع محبتك لنا جميعاً. مُت على الصليب مكاني، ودفعْتَ أَجْرَةَ خَطَايَايَ، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي، وَأَسْلَمْتَ نَفْسَكَ لِأَجْلِي. وكما انتصرت في موتك وقيامتك، أعطني أن أكون معك وفيك، وبمعونتك مُنتصراً على الدوام.

حَمَلَ الْمَسِيحُ خَطَايَانَا

"الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلرَّبِّ."

(١ بطرس ٢: ٢٤)

يصف بطرس رفض يسوع بأن يشتم أو يُهدد الذين عذبوه على الصليب، بل اختار سبيل الثقة بالآب كونه قاض عادل. تألم وهو البريء كي يحقق قصده، إذ حَمَلَ خطايانا في جَسَدِهِ على الصليب. لو لم يكن يسوع مُستعداً لتحمل آلام الصليب، لبقينا ضائعين في خطايانا، لكنه حَمَلَهَا ودَفَعَ عِقَابَ خطايانا ومات الموت الذي هُوَ من استحقاقنا. إذ جُلِدَ بالسوط، نلنا بجراحه الشفاء من لعنة الخطيئة والموت وانفصلنا عن الآب.

بهذه التضحية، وبنعمة الله وبالإيمان بالمسيح، نلنا الغفران والحرية من قصاص الخطيئة لتكون خيارنا لمجد إلهنا. تُخبرنا الأسفار المقدسة أن الخلاص بالنعمة، وهي هبة الله لمن لا يستحقها. ننال هذا الخلاص بالإيمان عن طريق سماع الإنجيل، والإيمان بالرب يسوع. نُطوّر علاقة الثقة على هذه الأرض كي تستمر في ديار المجد برجع مسيحننا المبارك عن قريب.

نَسْمَعُ الكثير عن "الخلاص بالمسيح" لكن هل ندرك حقيقة ما تعنيه هذه الكلمات؟ يعي معظم الناس أن يسوع سَارَ على هذه الأرض قَبْلَ أكثر من ٢٠٠٠ سنة، وكان مُعلِّماً صالحاً أو نبياً. بينما هاتان الصفتان كانتا للمسيح، لكنهما لا تشرعان كيف يُمكن ليسوع أن يكون مُخلصنا.

يسوع هُوَ الله ظَهَرَ بالجسد، وجاء إلى عالمنا كإنسان كامل في شخص المحبوب يسوع المسيح كي يُخلصنا. نأتي إلى السؤال التالي: "لماذا نحتاج إلى الخلاص"؟ يُصرِّح الكتاب المقدس أن جميعنا خطاة إذ نقرأ في رومية ٣: ٢٣ "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدُّ الله". معنى الخطيئة يشمل أي شيء مُخالف لشريعة الله الكاملة والمقدسة في الفكر والكلمة والعمل. لذا صارت خطايانا فاصلة بيننا وبين الله، وجعلتنا مُستحقين دينونة الله. نظراً لأنَّ الله عادل، فَلَنْ يَسْمَحَ للخطيئة أن تمرَّ دون عقاب، وحيثُ أنه خالق أبديٍّ لامحدود، فكلُّ خطيئة موجهة ضده، لذا، فإنَّ عقاب أبديٍّ محدود فقط هُوَ الكافي. فعقاب الخطيئة العادل هو الانفصال عن الله. لهذا السبب نحتاج إلى الخلاص. يُخلصنا يسوع من جميع الخطايا: ماضياً وحاضراً ومُستقبلاً. جميعنا أخطأنا وكسرنا وصايا الله، وأجرة الخطيئة هي موت. يسوع المسيح لم يخطئ على الإطلاق، فهو آدم الثاني بلا خطيئة. استطاع أن يموت كبديل عن جميع الجنس البشري الخاطئ.

لذا كان الله قادراً أن يحتفظ بناموسه البارِّ وسلطته إذ عاقب كاسري شريعته، بينما غفَّرَ لأولئك الذين تعدُّوا عليها. يشمل خلاصنا ٣ مراحل. ١- في اللحظة التي نقبل بها المسيح بالإيمان مُخلصاً لحياتنا ننال غفران خطايانا، ويُحسب لنا برُّ المسيح. ويُسمَّى هذا التبرير بالإيمان.

٢- إذ نسير يوماً بعد يوم مع يسوع، ننال الخلاص، وننمو في القداسة، حيث نشعر بالبُعد عن الخطيئة وتنشبه أكثر بيسوع الحبيب. يقول بولس في ٢ كورنثوس ٣: ١٨ "وَنَحْنُ جَمِيعاً نَظَرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بَوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَّعَبِرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ". هدف المسيحي هو أن ينمو في المسيح نحو استمرارية الخلاص. ٣- مرحلة المجد عندما نلبس الخلود، ونصعد مع المسيح إلى ملكوت المجد. يسوع يُخلص جميع الذين يقبلون بالإيمان هبة خلاصه، الذين يتوقَّعون عن محاولة تخلص أنفسهم بأنفسهم، ويقبلون ذبيحته فقط كَثْمَنَ للخطيئة. الذين لسان حالهم يقول "يا الله، أعرفُ أنني خاطئ، وأدركُ أنه بسبب خطيئتي أستحق أن انفصل عنك إلى الأبد.

رغم عدم استحقاقنا، أشكرك لأنك أحببتني، وبذلت نفسك ذبيحة لأجل خطايائي من خلال موت وقيامة يسوع المسيح. أوْمن أنَّ يسوع مات عن خطايائي، وأثق فيه وحده لخلاصي. ساعدني أن أعيش حياتي لك في امتنان لخلاصك العجيب الذي حقَّقه لي ولأنك خلَّصتني". آمين.

هبة الله حياة أبدية

"لأنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ، وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا." (رومية ٦: ٢٣)

يُلَخِّصُ الرسول بولس في هذا القسم من رسالته الإنجيل بكامله، ويُقَارَنَ بينَ نوعين من النَّاسِ ١- الذين هُم عبيدٌ للخطيئة وبعيدين عن المسيح، إذ يحصلون على أَجْرَةِ الْخَطِيئَةِ، ألا وهي الموت مهما كان نوع الأعمال الصالحة التي يعملونها، فلن تكون كافية. ٢- الذين يصيرون عبيد البر بثقتهم بالمسيح.

تُعْطَى الحياة الأبدية والمغفرة كهبة، ولا يُمْكِنُ بِأَعْمَالِنَا أَنْ نُؤَهِّلَ لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا. عِنْدَمَا نَتَّقُ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، يُعْطِينَا اللَّهُ هِبَةَ الْخَلَاصِ بِقَبُولِ مَوْتِ الْمَسِيحِ الَّذِي دَفَعَ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ عَنَّا، وَالنَتِيجَةُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ مَعَهُ، وَالْمُشَارَكَةُ بِمَجْدِهِ فِي مَجِيئِهِ الثَّانِي. يُعْتَبَرُ فَهْمُنَا لَخُطَةِ الْخَلَاصِ، بِمَا فِيهَا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا، وَالتِّي هِيَ هِبَةٌ مَجَانِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ، قِمَّةُ أَوْلِيَاتِنَا. وَهَذِهِ الْهِبَةُ الْمُتَاحَةُ لِلْجَمِيعِ، تُبْرَهَنُ عَلَى نِعْمَةِ الْمَسِيحِ الْمُدهِشَةِ، وَمَحَبَّتِهِ غَيْرِ الْمَشْرُوطَةِ لِكُلِّ الْخُطَاةِ. الْحَيَاةُ الَّتِي نَحْيَاهَا، نَعِيشُهَا فِي يَسُوعَ. نَمُوتُ فِيهِ وَمَعَهُ، قُمْنَا فِيهِ وَمَعَهُ، وَنَسْقُومُ عِنْدَ مَجِيئِ مَسِيحِنَا الْمُبَارَكِ، وَنَسْمَعُ صَوْتَ الْبُوقِ الْآخِرِ. مَدْعُوعُونَ لِلثَّبَاتِ فِيهِ كُلِّ الْوَقْتِ، طَالِبِينَ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِرِّهِ إِذْ يَقُودُنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ كِي نُمَجِّدَهُ بِحَيَاتِنَا. كِتَابَعِينَ لِلْمَسِيحِ، نَكُونُ أَحْرَارًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَنَخْتَبِرُ الْقِدَاسَةَ إِذْ نَبْدَأُ فِي اخْتِبَارِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، حَتَّى وَنَحْنُ عَلَى الْأَرْضِ، وَبِالتَّالِي فِي مَلَكُوتِ الْمَجْدِ سَنَقْضِي الْأَبَدِيَّةَ مَعَ اللَّهِ.

عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ فَإِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى عَطِيَةِ إِلَهِيَّةٍ تَأْتِي فَقَطْ "بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا". (رومية ٦: ٢٣). هَذِهِ الْعَطِيَةُ عَلَى عَكْسِ "الموت" الَّذِي هُوَ النَّتِيجَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلْخَطِيئَةِ. إِنَّ عَطِيَةَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، تُعْطَى لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ: "الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ".

وَحَقِيقَةُ كَوْنِ هَذِهِ الْحَيَاةِ "أَبَدِيَّةً" تُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا حَيَاةٌ "دَائِمَةٌ" - أَيَّ أَنَّهَا تَسْتَمِرُّ وَتَسْتَمِرُّ بِلَا نِهَايَةٍ. فِي الْوَاقِعِ، إِنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ لَيْسَتْ مُرْتَبِطَةٌ حَقًّا بِعَدَدِ السِّنِينَ، لِأَنَّهَا مُفَصَّلَةٌ عَنِ الزَّمَانِ. فَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ مَوْجُودَةٌ خَارِجَ وَفَوْقَ الزَّمَنِ، كَمَا أَنَّهَا دَاخِلُ الزَّمَنِ أَيْضًا. إِنَّ مَحْوَرِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، لَيْسَ هُوَ مُسْتَقْبَلُنَا، بَلْ مَوْقِفُنَا الْحَالِي فِي الْمَسِيحِ.

يَرْبُطُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِشَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. نَرَى فِي يُوْحَنَّا ١٧: ٣ مَقْطَعٌ هَامٌ حَيْثُ يُصَلِّي الْمَسِيحُ قَائِلًا: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ". هُنَا يُسَاوِي الرَّبُّ يَسُوعَ "الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ" بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ الْآبِ وَالْابْنِ. فَلَا تُوجَدُ مَعْرِفَةُ لِلآبِ دُونَ الْابْنِ، لِأَنَّ الْآبَ يُعْلَنُ ذَاتَهُ لِمُخْتَارِيهِ مِنْ خِلَالِ الْابْنِ (يُوْحَنَّا ١٧: ٦؛ ١٤: ٩).

وَاحِدٌ مِنْ مَبَادِي الْمَسِيحِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ، هِيَ الْإِيمَانُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، ابْنَ اللَّهِ، مَاتَ وَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ. يَعُدُّ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ سَيَخْتَبِرُونَ حَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَكَلِمَةُ اللَّهِ تَتَكَلَّمُ بِوُضُوحٍ عَنِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. "عِلَاقَتُنَا الْجَدِيدَةُ بِالْمَسِيحِ تَأْتِي مَعَهَا بِعَطِيَّةِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. فَقَدْ أَكَّدَ الْحَبِيبُ فِي ١ يُوْحَنَّا ٥: ١٢ "مَنْ لَهُ الْابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ". وَهَكَذَا يُضْرَبُ صَفْحٌ عَنِ مَاضِينَا الْأَثِيمِ وَتُسَدَّدُ دُبُونُهُ، فَنَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِ الرُّوحِ الْكَامِنِ فِيْنَا، الْاسْتِمْتَاعَ بِبَرَكَاتِ الْخَلَاصِ" (إِيمَانُ الْأَدْفَنْتَسْتِ السَّبْتِيُونِ، صَفْحَةُ ٢١٢).

أَمَّا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ فَهِيَ الْوُجُودُ إِلَى الْأَبَدِ فِي حَالَةِ السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، حَيْثُ لَا يُوجَدُ حُزْنٌ وَلَا وَجَعٌ وَلَا خَطِيئَةٌ، بَلْ بَرٌّ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ. فَالْإِنْسَانُ مَهْمَا كَانَ حَالُهُ، سَوَاءً كَانَ مَعْرُوفًا بِالشَّرِّ أَوْ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، هُوَ خَاطِئٌ قَدْ ارْتَكَبَ ذُنُوبًا وَخَطَايَا. لِذَلِكَ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ. وَلَكِنْ مَتَى اعْتَرَفَ بِخَطَايَاهُ وَنَدِمَ عَلَيْهَا، وَتَابَ - أَيَّ أَرَادَ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهَا - وَآمَنَ بِأَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ لِأَجْلِهِ وَاحْتَمَلَ عِقَابَ خَطَايَاهُ، فَإِنَّهُ يَنَالُ غُفْرَانَ الْخَطَايَا، وَيُصْبِحُ إِنْسَانًا جَدِيدًا، إِذْ يَحْصُلُ عَلَى طَبِيعَةٍ جَدِيدَةٍ. وَهَذَا يُسَمَّى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْوِلَادَةُ الْجَدِيدَةِ. فَمَنْ يُؤْمِنُ بِالْمَسِيحِ وَيَقْبَلُهُ فِي قَلْبِهِ يُوَلَدُ وِلَادَةً جَدِيدَةً، وَيَنَالُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً. صَلَاتِي أَنْ يَكُونَ هَذَا اخْتِبَارَكَ قَارِي الْعَزِيزِ لِمَجْدِ فَادِينَا الْمَسِيحِ.

المسيح القيامة والحياة

"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا." (يوحنا ١١: ٢٥)

يُخبرنا إنجيل يوحنا ١١ بِمَرَضِ لِعَازَرِ صَدِيقِ يَسُوعَ، فَأَرْسَلَتِ الْأَخْتَانِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا بِرَسُولٍ يُخْبِرُ يَسُوعَ "يَا سَيِّدُ هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ". وَعَوَظًا عَنْ أَنْ يُسْرَعَ الْمَسِيحُ بِالذَّهَابِ مِنْ شَرْقِي الْأُرْدُنِ إِلَى ضَوَاحِي الْقُدُسِ، بَقِيَ فِي ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ مُفَسِّرًا: "لَيْسَ هَذَا الْمَرَضُ لِلْمَوْتِ بَلْ لِمَجْدِ اللَّهِ، لِيَتِمَّجِدَ اللَّهُ بِهِ". وَصَلَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، كَيْ يُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ صَدِيقَهُ لِعَازَرِ. لَاقَتْهُ مَرْثَا وَأَخْبَرَتْهُ: "يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ".

شَرَحَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ الْمُسْكَلَةَ وَهِيَ مَوْتُ أَخِيهَا. اتَّسَعَ أَفْقُ إِيمَانِ مَرْثَا، وَرَأَتْ أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ تَنْحَصِرَ فَاعِلِيَّةُ مُعْجَزَاتِهِ بِقُرْبِهِ مِنَ النَّاسِ. أَظْهَرَتْ مَرْثَا إِيمَانَهَا بِالْمَسِيحِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِيمَانًا غَيْرَ مُنَّارٍ بِالْحَقِيقَةِ الْكَامِلَةِ عَنِ الْمَسِيحِ وَعَنِ قُوَّتِهِ الْخَلَاصِيَّةِ. اعْتَقَدَتْ مَرْثَا أَنَّ الْمَسِيحَ يَسْتَطِيعُ شِفَاءَ الْمَرَضَى فِيمَا إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ.

أَجَابَهَا الْمَخْلَصُ الْمَسِيحُ قَائِلًا: "سَيَقُومُ أَحُوكَ". فَظَنَّتْ مَرْثَا أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْقِيَامَةِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ فَقَالَتْ مُعْلَقَةً: "أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ". أَجَابَ الْمَسِيحُ وَقَالَ لَهَا "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟ قَالَتْ لَهُ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ" (يوحنا ١١: ٢٥-٢٧).

"إِنَّ الْمُعْجَزَةَ الَّتِي كَانَ الْمَسِيحُ مُزْمَعًا أَنْ يَصْنَعَهَا بِإِقَامَةِ لِعَازَرِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، كَانَتْ سَتَمَثِّلُ قِيَامَةَ كُلِّ الْأَمْوَاتِ الْأَبْرَارِ. لَقَدْ أَعْلَنَ بِكَلَامِهِ وَأَعْمَالِهِ أَنَّهُ صَانِعُ الْقِيَامَةِ وَمُبْدِعُهَا. وَذَلِكَ الَّذِي كَانَ مُزْمَعًا أَنْ يَمُوتَ عَلَى الصَّلِيبِ، وَقَفَّ وَبِيَدِهِ مِفْتَاحِ الْمَوْتِ ظَافِرًا عَلَى الْقَبْرِ، مُؤَكِّدًا حَقَّهُ وَسُلْطَانَهُ عَلَى مَنْحِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٥٠٠).

يُرِينَا الْمَسِيحُ هُنَا أَنَّ لَهُ الْقُوَّةَ عَلَى الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ. عِنْدَمَا نَنْظُرُ لِشَخْصِ الْمَسِيحِ، نَحْنُ لَا نَنْظُرُ لِنَبِيِّ عَظِيمٍ أَوْ لِمُعَلِّمٍ عَظِيمٍ، فَلَمْ يَتَجَرَّأِ أَيُّ نَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ، وَلَمْ يَتَجَرَّأِ أَيُّ نَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ: "وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ". (يوحنا ١١: ٢٦). الْمَسِيحُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ قَوْلُ كُلِّ تِلْكَ الْأُمُورِ عَنْ نَفْسِهِ. وَقَفَّتْ مَرْثَا أَمَامَ خَالِقِ الْكَوْنِ، لَكِنَّ مَفْهُومَهَا عَنْ عَظِيمِ شَخْصِ الْمَسِيحِ وَعَمَلِهِ فِي فِدَائِنَا، كَانَ سَيَتَحَقَّقُ عَلَى صَلِيبِ جُلُجَّةٍ، لِذَا كَانَ مَوْتُ أَخِيهَا الْعَزِيزِ مُنَاسِبَةً اخْتَارَهَا الْمَسِيحُ لِيُظْهِرَ الْمَزِيدَ مِنْ سِيَادَتِهِ وَقُوَّتِهِ.

رَغْمَ أَنَّ إِيمَانَ مَرْثَا كَانَ قَلِيلًا، لَكِنَّهَا آمَنْتَ بِالشَّخْصِ الصَّحِيحِ – الرَّبِّ يَسُوعَ، الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يُقَوِّي ثِقَتَهَا بِاللَّهِ. آمَنْتَ مَرْثَا بِصَدَقِ وَعْدِ الْمَسِيحِ أَنَّ يُقِيمَ الْأَمْوَاتَ كَوْنَهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ، وَبَرَهَنَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَقَامَ لِعَازَرَ مِنَ الْمَوْتِ. اسْتَطَاعَ يَسُوعُ أَنْ يُظْهِرَ الْمَزِيدَ مِنْ صِفَاتِهِ وَمَصَادِرِهِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ لَهَا، كَمَا لَوْ أَنَّهَا مُتَاحَةٌ الْيَوْمَ.

"أَعْطَتْ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ الصَّلِيبِ مَعْنَى لَمْ يَسْتَطِعِ التَّلَامِيذُ الْمَشْتَتُونَ فَهَمَهُ فِي جُمُعَةِ الصَّلْبِ. فَهَذِهِ الْقِيَامَةُ حَوَّلَتْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ قُوَّةَ غَيْرَتِ مَجْرَى التَّارِيخِ. وَهِيَ عَدَّتْ مَرْكَزِيَّةً فِي بَشَارَتِهِمْ مِنْ دُونِ أَنْ تُفْصَلَ أَبَدًا عَنِ الصَّلْبِ. وَالتَّلَامِيذُ نَادَوْا بِالْمَسِيحِ الْحَيِّ الْمَصْلُوبِ، الَّذِي انْتَصَرَ عَلَى قُوَى الشَّرِّ. وَهَنَا تَكْمُنُ قُوَّةُ الْبَشَارَةِ الرَّسُولِيَّةِ.

بَشَارَةُ الْمَسِيحِ الْحَاضِرَةِ مُتَاصِلَةٌ فِي مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ. وَمَعَ أَنَّ ذَبِيحَتَهُ الْكَفَّارِيَّةَ عَلَى الْجُلُجَّةِ كَانَتْ كَافِيَةً وَكَامِلَةً، فَمِنْ دُونِ الْقِيَامَةِ مَا كُنَّا لَنَحْصُلَ عَلَى تَأْكِيدٍ أَنَّهُ أَنْهَى بِنَجَاحٍ مَهْمَّتَهُ عَلَى الْأَرْضِ. فَقِيَامَةُ الْمَسِيحِ الْفَعْلِيَّةِ تُؤَكِّدُ حَقِيقَةَ الْآخِرَةِ، وَتُبْرِهِنُ صَدَقَ وَعْدِ اللَّهِ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ فِيهِ" (إِيمَانُ الْأَدْفَنْتَسْتِ السَّبْتِيِّينَ، صَفْحَةُ ١٩٦-١٩٧).

يَا رَبِّي، شُكْرًا لِقِيَامَتِكَ، وَوَعْدِكَ بِأَنَّكَ سَتُقِيمُنِي عِنْدَ مَجِيئِكَ ثَانِيَةً لِأَصْعَدَ مَعَكَ إِلَى بَيْتِي السَّمَاوِيِّ، وَأَعِيشَ بِصُحْبَتِكَ مَدَى أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ السَّعِيدَةِ، بِاسْمِ فَادِي الْحَبِيبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. آمِينَ.

قام مُنتصراً

"الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ."

(أفسس ١: ٢٠)

يُرَكِّزُ بولس هُنَا على أمرين: ١- يُسَلِّطُ الضَّوْءَ على قِيَامَةِ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، إِذْ أَعَادَ اللَّهُ ابْنَهُ مِنَ الْمَوْتِ، أَظْهَرَ قُدْرَتَهُ الْفَائِقَةَ نَحُونَا. الْمَسِيحِيَّةَ بِالْكَامِلِ مُؤَسَّسَةً عَلَى الْقِيَامَةِ، كَمَا يُؤَكِّدُ الرَّسُولُ بولس "وَأِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَاثَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ". (١ كورنثوس ١٥: ١٤).

٢- يَسُوعَ يَمْلِكُ عَنْ "يَمِينِ الْآبِ" وَقَدْ تَنَبَّأَ يَسُوعَ عَنْ ذَلِكَ فِي لوقا ٢٢: ٦٩ "مُنْذُ الْآنَ يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللَّهِ". وَوَعِظَ عَنْ ذَلِكَ بِطرس فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ، وَرَأَى اسْتِفَانُوسُ يَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ قَبْلَ اسْتِشْهَادِهِ. تُشِيرُ "الْيَدُ الْيُمْنَى" إِلَى سُلْطَانِ وَقُدْرَةِ مَسِيحِنَا الْحَيِّ إِلَى جَانِبِ قُرْبِهِ مِنَ الْآبِ.

يَجِدُ الْمُؤْمِنُونَ بُرْهَانَ مُحِبَّةِ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ مِيرَاثِهِمُ الْمَجِيدِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. كَمَا نَجِدُ بُرْهَانَ مَرْكَزَنَا الْمَجِيدِ بِوَسِطَةِ فَادِينَا الْحَبِيبِ، الَّذِي وَعَدَنَا بِمُسْتَقْبَلٍ وَرَجَاءٍ مَجِيدَيْنِ كَخَاصَتِهِ الَّذِينَ اشْتَرَانَا بِثَمَنِ عَظِيمٍ. كُلُّ مَا سَبَقَ مِنْ امْتِيَازَاتٍ، حَقَّقَهَا الْمَسِيحُ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، حَيْثُ دَفَعَ ثَمَنَ خَطَايَانَا، وَقَامَ لِيُحْطَمَ قُوَى الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ فِي حَيَاتِنَا. تَمَّ كُلُّ هَذَا، لِنَعْرِفَ قُدْرَةَ اللَّهِ الْفَائِقَةَ وَعَظْمَةَ جَلَالِهِ السَّمَاوِيِّ. إِذْ قَامَ اللَّهُ يَسُوعَ مِنَ الْمَوْتِ، صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَلَى عَرْشِ الْقُوَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ إِلَى جَانِبِ الْآبِ الْمُحِبِّ.

تَعُدُّ الْقِيَامَةُ بِحَيَاةٍ حَقِيقِيَّةٍ فَيَاضَةً يَنْبُعُ مِنْهَا الصَّلَاحُ وَالْخَيْرُ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَا هُوَ فَاسِدٌ. لَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ الْجَدِيدَةِ وَالْأَرْضِ الْجَدِيدَةِ أَيْ مَرَضٌ أَوْ حُزْنٌ، دُمُوعٌ وَعَاهَاتٌ جَسَدِيَّةٌ، بَلْ تَفِيضٌ بِالْحَيَاةِ فِي مِلْثَهَا، وَقَدْ سَمَّاهَا يَسُوعَ "بِالْحَيَاةِ الْأَفْضَلِ". سَنَلَا بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةً غَزِيرَةً فِي الْأَبَدِيَّةِ بِعَكْسِ الْبَرَكَاتِ الْمَادِيَةِ الْمُؤَقَّتَةِ الَّتِي نَحْصُلُ عَلَيْهَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. يُوضِّحُ بولس فِي رُومِيَّةِ ٤: ٢٥ مَا حَقَّقَهُ الْمَسِيحُ فِي قِيَامَتِهِ فَيَقُولُ: "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبَرِيرِنَا". يَقْبَلُنَا الْمَسِيحُ أَبْرَارًا وَيَعِدُنَا بِجَسَدٍ مُجَدَّدٍ عِنْدَ مَجِيئِهِ ثَانِيَةً عَنْ قَرِيبٍ.

تُعْتَبَرُ الْقِيَامَةُ الْجَوَابُ الْحَقِيقِيُّ لِلْأَمْنَاءِ حَيْثُ قُوَّةُ اللَّهِ الَّتِي دَانَتْ الْمَوْتَ بِالْمَوْتِ، وَبَشَّرَتْ بِلَحْظَاتِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. كَانَ يَسُوعَ بِكَوْرَةِ تِلْكَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالتِّي وَعَدَهَا لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ. الْقِيَامَةُ هِيَ الْأَخْبَارُ السَّارَةُ الَّتِي عَالَمُنَا بِأَمْسٍ الْحَاجَةُ إِلَى سَمَاعِهَا. مَتَاعِبُ هَذِهِ الْحَيَاةِ أَعْزَائِي هِيَ وَقْتِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ بِثَقَلِ مَجْدِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. الْمَسِيحُ قَامَ مُنْتَصِرًا، حَقًّا قَامَ، وَأَعْطَانَا مَعَهُ إِمْكَانِيَّةَ الْإِنْتِصَارِ لِنَكُونَ مَعَهُ فِي دِيَارِ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ.

إِنَّ الْقِيَامَةَ هِيَ انْتِصَارُ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْكِرَاهِيَّةِ، وَانْتِصَارُ الصَّفْحِ وَالْعُفْرَانِ عَلَى الْحَقْدِ وَحُبِّ الْإِنْتِقَامِ، وَانْتِصَارُ السَّلَامِ عَلَى الْحَرْبِ وَالْخِصَامِ. فَعِنْدَمَا تَجَسَّدَ الرَّبُّ يَسُوعَ، تَجَسَّدَ الْحُبُّ الْإِلَهِيُّ، وَقَدَّمَ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ الْمَحَبَّةَ الْإِلَهِيَّةَ، الْمَحَبَّةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَثِيلٌ أَوْ نَظِيرٌ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ قِيَامَةٌ لَكَانَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ كِرَاهِيَّةَ الْإِنْسَانِ فِي النِّهَايَةِ هَزَمَتْ مُحَبَّةَ اللَّهِ. فَلَقَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَثَبَتْ لِلْمَلَأِ أَنَّ الْخَيْرَ حَتَّى لَوْ أَنْهَرَمَ فِي جَوْلَةٍ أَوْ فِي جَوْلَتَيْنِ، لَكِنِ النَّصْرُ النَّهَائِي لِلْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ، وَلِلْجَمَالِ عَلَى الْقُبْحِ، وَلِلنُّورِ عَلَى الظُّلْمَةِ.

إِنَّ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ أَعْلَنْتْ وَأَكَّدَتْ لَنَا انْتِصَارَ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَوْتِ. وَانْتِصَارَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ. وَانْتِصَارَ الْحُبِّ عَلَى الْكِرَاهِيَّةِ، وَانْتِصَارَ الْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ. إِنَّ قِيَامَةَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هِيَ أَقْصَى ضَمَانٍ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ تَضَمِّنُ لَهُمُ الْإِنْتِصَارَ عَلَى الْمَوْتِ. قُوَّةُ اللَّهِ الْعَجَائِبِيَّةُ يُرْمَزُ إِلَيْهَا غَالِبًا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَلَى أَنَّهَا الْقُوَّةُ الَّتِي يُمَكِّنُهَا إِحْيَاءُ الْمَوْتَى.

فَالْقِيَامَةُ هِيَ الْمَصَالِحَةُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، لِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ عَلَى صُلْبِهِ، دَفَعَ دَمَهُ الذَّكِيَّ ثَمَنًا لِتَحْقِيقِهَا. وَالْقِيَامَةُ أَيْضًا هِيَ الْمَصَالِحَةُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَسُكَّانِهَا وَشُعُوبِهَا وَقِبَائِلِهَا وَسَائِرِ مَجْتَمَعَاتِهَا، لِتُصْبِحَ وَاحِدَةٌ مُوَحَّدَةٌ، وَيُصْبِحَ النَّاسُ فِيهَا إِخْوَةً مُتَضَامِنِينَ وَمُتَّحِدِينَ. هُنِيئًا لَنَا بِانْتِصَارِ الْقِيَامَةِ الْمَجِيدَةِ فِي حَيَاتِنَا، وَنَحْنُ نَسْتَعِدُّ لِمُلَاقَاةِ رَبِّ الْمَجْدِ إِذْ يَعُودُ إِلَيْنَا مُنْتَصِرًا، لَكَ إِلَهِي كُلِّ مَجْدٍ وَكَرَامَةٍ يَا سَيِّدِي الْبَارِ.

أهمية قيامة المسيح

"فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ." (١ كورنثوس ١٥: ٢١)

أقام الله المسيح من الموت بعد صلبه، وصار باكورة الراقدين، صار الأول بين الذين ماتوا، وقام بجسد مُمَجَّد ليحيا. هنا يأتي السؤال: "ماذا تعني قيامة المسيح لأولئك الذين سيقومون فيه؟". يبدأ بولس في هذه الآية مقارنة بين يسوع وأول إنسان آدم. نرى نفس المقارنة إذ يري كيف دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ بواسطة خطيئة آدم في رومية ٥: ١٢ حيث نقرأ "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ".

قَدَّمَ آدَمَ الموت للعالم عندما أخطأ. فموته، كان نتيجة خطيئته، وصار من نصيب الجميع. بطريقة مُمَثِّلَةٍ، صارت قيامة المسيح، نموذجاً لجميع الذين نالوا عُفْرَانِ خَطَايَاهُمْ بالإيمان به. وهذا يجعل يسوع رائد الخلاص لكل المؤمنين. هكذا، الله في عظيم محبته وحكمته غير المحدودة رأى مُنَاسِباً، وشاءت عنايته، أن يكون الإنسان الأول مُسَبَّبَ وَجَالِبَ الموت للعالم، الإنسان الثاني يكون سَبَبَ قيامة الحياة.

باستحقاقات المسيح وموته، قَضَى على الموت وفتح القُبُور أمام جميع المؤمنين فيه حين يعود ثانية، ليقوموا بأجساد مُمَجَّدَةٍ مثلما قام هو. نكون في حياتنا على صورة آدم، وفي قيامتنا على صورة فادينا الحبيب يسوع. تُعْتَبَرُ قيامة المسيح هامة لعدة أسباب: ١- تُشْهَدُ قيامة المسيح لِقُوَّةِ اللَّهِ الْفَائِقَةِ. فالإيمان بالقيامة يعني الإيمان بالله، خالق الكون والمسيطر عليه له الْقُدْرَةُ أَنْ يُقِيمَ الموتى. خالق الحياة وَحْدَهُ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَهَا وَيُعِيدَهَا للحياة بعد الموت. وإذ أقام يسوع من القبر، دَرَكْنَا الله بِسُلْطَانِهِ الْمُطْلَقِ على الحياة والموت. ٢- أَيْدَتِ قيامة يسوع ما قاله عن نفسه بأنه المسيح ابن الله وأن قيامته كانت "آية من السماء".

في متى ١٦: ١-٤ طَلَبَ الْفَرِيسِيُّونَ وَالصَّدُوقِيُّونَ مِنْ يَسُوعَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ فَأَجَابَهُمْ "جِيلٌ شَرِيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُنَّانِ النَّبِيِّ". وكما كان يونان في جوف الحوت ٣ أيام هكذا كان يسوع في القبر ٣ أيام ثم قام في اليوم الثالث. طلبوا منه آية ثانية فأظهر المُخَلَّصُ سُلْطَانَهُ على الهيكل في أورشليم حين قال عن جسده "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: "انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ" (يوحنا ٢: ١٩). ظهر بعد قيامته لأكثر من خمس مئة من شهود العيان مما أعطى لقيامته بُرْهَانًا لَا يُدْحَضُ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ مُخَلَّصُ الْعَالَمِ. (١ كورنثوس ١٥: ٣-٨).

٣- تُثَبِّتُ القيامة كون يسوع بطبيعة إلهية، وأنه كان بلا خطية. يقول مزمو ١٦: ١٠ "لَا تَكْ لَنْ تَتَرَكَ نَفْسِي فِي الْهَآوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّتَكَ يَرَى فَسَادًا". لم ير يسوع فساداً حتى بعد موته، وأكد بولس قيامة يسوع بلا فساد ذلك في أعمال ١٣: ٣٩ "وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بَنَامُوسَ مُوسَى".

٤- بَرَهَنْتِ الْقِيَامَةُ على صِحَّةِ نبوءات العهد القديم التي تحدتت عن آلام وقيامة المسيح، كما وعظ بولس عن ذلك في أعمال ١٧: ٣-٢. كما أيدت القيامة ما قاله المسيح بأنه سيقوم في اليوم الثالث (مرقس ٨: ٣١). أكد يسوع لأختي لعازر بأنه "القيامة والحياة". فلا قيامة أو حياة أبدية بمعزل عن يسوع. المسيح مؤسس المسيحية قد قهر الموت، ووعد أتباعه أن يكونوا به مُتَصَرِّينَ أيضاً. تبقى قيامة يسوع مُهِمَّةٌ لِأَنَّهَا تُشْهَدُ لِقِيَامَةِ الْأَبْرَارِ عند رجوع المسيح ثانية، والأشوار عند نزول المدينة المقدسة بعد انتهاء الزمن الألفي.

في نهاية حديثه عن القيامة يكتب بولس لمؤمني كورنثوس ولنا بنعمة الانتصار هذه الكلمات "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلْبَتُكَ يَا هَآوِيَةُ؟" (١ كورنثوس ١٥: ٥٥). جاء مسيحننا الحي ومات من أجلنا وانتصر بقيامته على قوى الشر والموت، وأكد بقيامته يقينية قيامتنا إذ يعود عن قريب ليأخذنا إلى بيتنا السماوي حيث نعيش أجيال الأبدية معه بسلام.

قُوَّةُ الْقِيَامَةِ

"لَا عَرَفُهُ، وَقُوَّةُ قِيَامَتِهِ، وَشَرَكَةُ آلامِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ." (فِيلِبِّي ٣: ١٠)

عندما نتذكر قيامة مُخلصنا، فنحن نحتفل بالقُوَّة التي أقامته من الموت. الأمر الثاني هو: هذه الذكرى تُعطينا الرجاء عندما نتذكر انتصار المسيح في جُلُثته. لم يعرف بولس يسوع شخصياً، لكنه عرف من آمن به، عرف اهتمامه الشخصي به، ولم يعرف شيئاً عن الخلاص، لذا، رغب أن يعرف المزيد عن المسيح، عن سرِّ وأمجاد شخصه الكريم، وغنى نعمته الفائقة، وفوق الكل، توسيع أفق اختبار الشَّرَكَة مع فاديه. يشرح بولس معنى أن يربح المسيح، الذي من أجله خسر كل شيء كي تكون له معرفة ونعمة المسيح يسوع.

للقِيَامَةِ قُوَّةٌ عظيمة في تأكيدها على قيامة الأبرار واتحادهم بالمسيح المقام عند مجيئه ثانية. سيقومون بأجساد مُمَجَّدة كما قام ربنا المسيح، كما نرى قُوَّة القيامة وتأثيرها على تبرير شعبه، حيث حمل خطاياهم على الصليب، ومات كنائب عنهم ورئيسهم. وفي هذا يقول بولس "الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رومية ٤: ٢٥). بعد أن عرف بولس قُوَّة وتأثير قيامة المسيح، أحب أن يعرف أكثر، كي ينال تشجيعاً لإيمانه ليعيش للمسيح كمصدر برّه. أراد أن يعيش الفضائل السماوية بقُوَّة تلك القيامة ليشارك بالآلام المسيح حيث هو شريك معه في آلامه، كي يملك معه ويتمجد به عند عودته عن قريب لعالمنا.

يقول "جون كورديير" في كتابه "الطريق إلى الحكمة الأبديّة" واصفاً القيامة "إن المسيح سابقنا العظيم يقهر الموت ويفتح الأبواب المغلقة التي تفصلنا عن الأبدية. إن الحكمة الأزلية بذهابه عن طريق الصليب والقبر إلى جو الحقيقة قد أَرَانَا هذا الممر- هذا السر، وأعطانا كلمة قدرته التي هي مفتاح العالم الروحي. وما أقل ما فعله نور العالم لنا إذ عجز عن أن يُضيء لنا ظلمة القبر، وعن أن يُقلل أماننا فزع الموت. هلمُّوا انظروا الموضع الذي كان المحبة الكاملة مضطجعا فيه". عاش تلاميذ يسوع سبباً يأس بعد موته، حيث المسيح في القبر ومعه دفنت آمالهم حيث كانوا يرجون أن يكون هو فادي شعبه. كانوا في ارتباك وذُهل لا سيّما بعد أن رأوا عذابات الصليب، وموت سيّدهم المحبوب. ولكن نشكر الله أن قصة الإنجيل لا تنتهي بموت المسيح، ولا تُختتم بصرخة الانتصار: "قد أكمل". فقد تبع موت المسيح قيامته من بين الأموات: إن يسوع كان "من نسل داود من جهة الجسد" ولكن "تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات"؛ لقد مات من أجل خطايانا ودفن ولكنه "قام في اليوم الثالث حسب الكتب". هذا هو الاستدلال المنطقي لبولس الرسول. إنه يبنّي إيمانه بقيامة المسيح أولاً على النبوات، والمواعيد القائلة بأنه ينبغي أن يقوم، ثم على ظهور الفادي الحي. إنه يعطينا جدول ظهورات المسيح بالترتيب ثم يُدلل برؤيته المسيح المقام- في طريقه إلى دمشق.

ثم يختتم الحديث بقوله: "وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطايكم! إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس" (١ كورنثوس ١٥: ١٧-١٩). ما أروع اشتياق النّفس البشريّة للحياة الكاملة مثل التي أثارها المسيح بقيامته المجيدة، وصعوده العجيب.

إن صَبَّاحَ الْقِيَامَةِ ليرسل نوراً جديداً- نور الأبدية- على جميع الأمور العالمية؛ وهكذا تغيّر كل شيء، بل وكلّ إنسان من أجل هذا الرجاء الحيّ- إظهار قُوَّة الله ونُصرة الله على القبر الفارغ. ومن القبر الفارغ ومن السُّحْب التي حجبته عن النظر يشع نور الأبدية. أشرق بنور مجدك علينا، وأعطنا إلهي أن نقوم بقُوَّة قيامتك يا مسيحنا الحي كي نتصّر بمعوّنة روحك يا سيّدي ومليكي الآتي. لك الكرامة والمجد أبد الدهور. آمين.

بَرَكَاتِ الْقِيَامَةِ

"مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةَ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ." (١ بطرس ١: ٣)

يُقَدِّمُ بَطْرُسُ الْحَمْدَ لِلَّهِ الْآبِ لِعَظِيمِ رَحْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي بَدَايَةِ رِسَالَتِهِ الْأُولَى، وَيَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الْحَيِّ الْمَقَامِ مِنَ الْأَمْوَاتِ. وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، اخْتَارَنَا اللَّهُ وَقَدَّسَنَا لِلطَّاعَةِ وَعَمَلِ رِضَاهِ. فَالْنِّعْمَةُ هِيَ مَا نَحْصُلُ عَلَيْهِ رَغْمَ أَنَّنَا لَا نَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، أَمَّا الرَّحْمَةُ فَهِيَ عِنْدَمَا يَمْنَعُ أَحَدُهُمْ نَتِيجَةً سَلْبِيَّةً يَسْتَحِقُّهَا آخَرٌ. بَرَّهَنَ يَسُوعُ أَنَّ هَذَا الرَّجَاءَ لَيْسَ مِنْ صُنْعِ الْخِيَالِ. مَاتَ وَبَعْدَ قِيَامَتِهِ أَظْهَرَ نَفْسَهُ حَيًّا لِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، وَلِأَنَّهُ حَيٌّ، سَيَقُومُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. يَا يَسُوعَ، يَلِيقُ بِاسْمِكَ الْقُدُّوسِ كُلِّ الْحَمْدِ. أَنْتَ أَبِي وَأَبِيكَ، إِلَهِي وَإِلَهَكَ.

يَا لَهُ مِنْ رَجَاءٍ عَظِيمٍ وَمَجِيدٍ، رَجَاءٍ أَكِيدُ وَإِيجَابِي - رَجَاءٍ رَاسِخٍ عَلَى وُعودِ اللَّهِ الثَّابِتَةِ وَاسْمِهِ الْأَمِينِ. نَحْنُ الْيَوْمَ، غُرَبَاءُ وَنُزُلَاءُ فِي عَالَمٍ عِدَائِي، نَعِيشُ أَيَّامَ غُرَبَتِنَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، لَكِنَّ رَجَائِنَا مُؤَسَّسٌ فِي الْمَسِيحِ صَخْرَ الدُّهُورِ، وَرَبِّيسُ كَهَنَتِنَا الْأَعْظَمِ. لِنَعِشْ حَيَاةَ التَّقْوَى فِي الزَّمَنِ الْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ ذَاكَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ فِي ظُهُورِ إِلَهِنَا الْعَظِيمِ، وَمُخْلَصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِ يَنْحَصِرُ إِيمَانُنَا.

يُذَكِّرُنَا بَطْرُسُ أَنَّ الْخِلَاصَ هِبَةٌ رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَحِينَ نَخْتَرِ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ، وَنُولَدُ بِالرُّوحِ بِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ مِنَ الْمَوْتِ، نَتَغَيَّرُ وَنُصْبِحُ خَلَائِقَ جَدِيدَةً نَمُوتُ عَنِ الْخَطِيئَةِ، وَنَحْيَا بِرِيسُوعَ الْمَسِيحِ. وَتَكُونُ هَذِهِ الْوِلَادَةُ الْجَدِيدَةَ سَبَبَ رَجَائِنَا وَبِقِيَمَةِ خِلَاصِنَا. الْقِيَامَةُ مَرْتَبُطَةٌ بِشَفَاعَةِ الْمَسِيحِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِأَجَلِنَا الْآنَ فِي السَّمَاءِ: "الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا... مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟" (رومية ٨: ٣٤-٣٥). الْقِيَامَةُ مَصْدَرُ التَّعْزِيَةِ عِنْدَ مَوْتِ الْأَحْبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: "لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللَّهُ أَيْضًا مَعَهُ" (١ تسالونيكي ٤: ١٤). الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِانْتِظَارِنَا لِمَجِيءِ

الْمَسِيحِ ثَانِيَةً، وَفِي هَذَا يَقُولُ بُولُسُ "وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَوْثَانِ، لَتَعْبُدُوا اللَّهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْعُصْبِ الْآتِي" (١ تسالونيكي ١: ٩-١٠).

وَأخِيرًا الْقِيَامَةُ تَمْنَحُنَا السَّلَامَ وَالْفَرَحَ، فَالرب يسوع ظهر لتلاميذه الَّذِينَ كَانُوا مَجْتَمِعِينَ فِي الْعَلِيَّةِ، حَيْثُ كَانَتْ الْأَبْوَابُ مَغْلُقَةً بِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ. فَجَاءَ، رَأَوْا يَسُوعَ وَاقِفًا فِي الْوَسْطِ، كَمَا سَمِعُوا صَوْتَهُ قَائِلًا لَهُمْ: "سَلَامٌ لَكُمْ" (يوحنا ٢٠: ١٩). فَكَلِمَةُ سَلَامٍ أَصْبَحَ لَهَا الْآنَ مَعْنَى جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ صَنَعَ الْمَسِيحُ سَلَامًا بِدَمِ صَلِيبِهِ.

فَالَّذِينَ يَتَبَرَّرُونَ بِالْإِيمَانِ، يَنْعَمُونَ بِالسَّلَامِ مَعَ اللَّهِ. وَبَعْدَ هَذَا أَرَاهُمْ عَلَامَاتِ آلامِهِ الَّتِي عَلَى أُسَاسِهَا تَحَقِّقُ هَذَا السَّلَامَ. لَقَدْ رَأَوْا أَثَارَ الْمَسَامِيرِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْجِرْحِ النَّاتِجِ مِنَ الطَّعْنَةِ بِوَسْطَةِ الْحَرْبِ. فَفَاضَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْفَرَحِ عِنْدَمَا تَأَكَّدُ لَهُمْ أَنَّهُ الرَّبُّ حَقًّا. لَقَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، مَتَمِّمًا بِذَلِكَ مَا سَبَقَ لَهُ أَنْ قَالَهُ. إِنْ الرَّبُّ الْمَقَامُ هُوَ مَصْدَرُ فَرَحِ الْمَسِيحِيِّ الْمُؤْمِنِ، وَهَذَا الْفَرَحُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ وَسَطَ مَتَاعِبِ الْحَيَاةِ وَآلَمِهَا أَحْزَانِهَا وَاحْبَاطَاتِهَا، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِنَا فَوْقَ كُلِّ فَشَلٍ وَيَأْسٍ وَحُزْنٍ وَظُلَامٍ.

فَهَلْ تَمْتَعَتْ بِالْقِيَامَةِ؟ فِي الْقِيَامَةِ قُوَّةٌ مَحْيِيَّةٌ لِإِقَامَةِ الْمَوْتَى بِالْخَطِيئَةِ. وَأَيْضًا قُوَّةٌ تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ يَحْيَا بِاسْتِمْرَارٍ حَيَاةَ النُّصْرَةِ وَالْعَلْبَةِ عَلَى أَعْدَائِهِ الثَّلَاثَةِ الْجَسَدِ، الْعَالَمِ، وَالشَّيْطَانِ، لِيَتَّخِذَ قُوَّةَ الْقِيَامَةِ نَفِيزٌ عَلَى عَوَاطِفِنَا الْبَارِدَةِ فَتَلْهَبُهَا بِمَحَبَّةِ الْمَسِيحِ، وَعَلَى ضَمَائِرِنَا الْمَيِّتَةِ فَتَحْيِيهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَعَلَى عَقُولِنَا الْجَامِدَةِ فَتَحْكُمُهَا مِنْ رُكُودِهَا، وَعَلَى قُلُوبِنَا الْمَتَحَجَّرَةِ فَتَلِينُهَا، فَحَيْثُ تُوجَدُ الْقِيَامَةُ تَوْجَدُ الْحَيَاةُ، كَمَا أَكَّدَ رَبُّ الْمَجْدِ يَسُوعُ قَائِلًا "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يوحنا ٥: ٢٥).

هَنِيئًا لِمَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ عِنْدَ مَجِيئِهِ ثَانِيَةً فَيَقُومُ لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.

أعطانا حياة أبدية

"وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه." (١ يوحنا ٥: ١١)

ذكر الحبيب يوحنا مرات عديدة الحياة الأبدية في رسالته الأولى عندما تحدث عن ظهور يسوع مصدر الحياة الأبدية، وكيف وعد المسيح بهذه الحياة في مجيئه. كما ذكر محبة الإخوة التي هي دليل على انتقالنا من الموت إلى الحياة، ومن لا يحب أخاه يبق في الموت، ويكون قاتل نفسه ليس له حياة أبدية. إلى جانب حديثه في الإنجيل عن مقابلة يسوع بنيقوديمس في الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا، والمرأة السامرية في الأصحاح الرابع. يذكر يوحنا ابن الله ٢٢ مرة ركز فيها على أن الحياة هي في الابن.

جاء يسوع لأرضنا لهدف واحد أن يذهب إلى الصليب، ليموت عن الجنس البشري كمخلص، سقك هناك دم ليفدي كثيرين كي لا يهلك كل من يؤمن فيه، بل تكون له الحياة الأبدية. إن سكنى الروح القدس في قلب المؤمن، هي شهادة هامة أن الله قد أعطانا الحياة الأبدية، وهذه الحياة هي في ابنه.

وبواسطة روح الله القدس، ننال التبني كأولاد الله وبناته حيث يمكننا أن نصرخ "يا أبا الآب"، ونحصل على الحياة الأبدية بالنعمة بالإيمان بيسوع المسيح مخلصنا.

الحياة الأبدية هي هبة من الله لكل المؤمنين بالمسيح، وليست مكافأة لأي عمل أو استحقاق من جانبنا، وهذه الحياة هي في المسيح- لأنه حياتنا. فالحياة منه وفيه كما يؤكد ١ يوحنا ٥: ١٢ "من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة". عندما أعطانا الله حياة أبدية، أعطانا شيئاً مميزاً يختلف عما نعيشه على الأرض، حيث كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا التي تليتها الموت، لكن بعد أن قبلنا دعوته وقوينا روابط الصداقة مع فادينا وآمنّا به مخلصاً شخصياً لحياتنا، نال منه ذاك النصيب الصالح عند مجيئه ثانية.

فالحياة الأبدية هي نصيب كل مؤمن حقيقي، قبل المسيح في قلبه. وهي تعني البقاء مع المسيح في حالة البر والسعادة إلى الأبد، حيث لا وجع ولا حزن أو موت. والله يريد أن يمنح الحياة الأبدية لكل إنسان. لكن الإنسان الذي يقسي قلبه ويرفض ما يقدمه إلى الله، فهو سيهلك إلى الأبد. ولذلك ينصح الله كل إنسان أن يتوب عن خطايه معتزلاً بها، وأن يؤمن بالمسيح ويقبله في قلبه لكي ينال الحياة الأبدية. كيف يمكن أن تعرف أن لك الحياة الأبدية؟

أولاً، اعترف بخطاياك أمام إلهنا القدوس. ثم اقبل تدبير الله مخلصاً من أجلك. "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص" (رومية ١٠: ١٣). يسوع المسيح، ابن الله، قد مات من أجل خطايك، وقام ثانية في اليوم الثالث.

صدق هذه الأخبار السارة؛ ثق في الرب يسوع المسيح مخلصاً لك فتخلص. تصبح الحياة الأبدية ممكنة في شخص المسيح، حيث بنعمة الله، ومن خلال الإيمان بالمسيح، يمكن للبشر أن ينالوا عطية الحياة الأبدية. بالنسبة لبولس (كما في غلاطية ٦: ٨) تأتي الحياة الأبدية المستقبلية كنتيجة لسكنى الروح القدس في الحياة الحالية.

يرى بولس أن الخطيئة هي عقبة أمام بلوغ الحياة الأبدية. الحياة الأبدية هي ملكية مستقبلية وهدف يسعى المؤمنون من أجله. كما يؤكد أن الحياة الأبدية ليست مجرد شيء يمكن اكتسابه، بل هبة من الله، كما يقول في رومية ٦: ٢٣ "لأن أجر الخطيئة هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا".

الحياة الأبدية هي هبة من الله يقدمها لنا في شخص المسيح، نقبلها الآن بالإيمان وتذوق طعمها هنا على الأرض، بانتظار ملء التمتع بها هناك في المجد في حضرة الله. عزيزي، هل أنت على استعداد كي تقبل عطية الله في المسيح، وتعيش الحياة الأبدية مع يسوع فاديك إذ يرحب بك إلى بيتك السماوي عن قريب؟

رجاء الحياة الأبدية

"عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللَّهُ الْمُنْرَهَ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ الْأَزْمَةِ الْأَرْزَلِيَّةِ."

(تيطس ١: ٢)

يُرَكِّزُ بولس في هذه الآية على نقطتين هما: أولاً "رجاء الحياة الأبدية" حيث يأمل في رجاء مُسْتَقْبَلِي بِقِضَاءِ الْأَبَدِيَّةِ مَعَ الْمَسِيحِ، مع توضيح اشتياقه أن نكون جميعاً مَعَهُ في الملكوت. النُقْطَةُ الثَّانِيَّةُ "اللَّهُ الْمُنْرَهَ عَنِ الْكَذِبِ". تُؤَكِّدُ طَبِيعَةَ اللَّهِ فِي أَمَانَتِهِ بِمَا وَعَدَ، حَسَبَ مَا قَالَهُ رَبُّ الْمَجْد "لَيْسَ اللَّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ، وَلَا ابْنُ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفِي؟" (سفر العدد ٢٣: ١٩). الْمَسِيحُ أَسَاسُ رَجَائِنَا، وَمَا عَلَى الْخَاطِئِ إِلَّا التَّوْبَةُ وَقَبُولُ هَذَا الرَّجَاءِ الَّذِي يَقُودُ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، حَيْثُ سَعَادَةُ الْمُفْدِينَ مَعَ فَادِيهِمُ الْحَبِيبِ يَسُوعَ.

قَصَدَ اللَّهُ مُنْذُ الْأَزَلِ فِي مُحَافِلِ السَّمَاءِ أَنْ يُعْطِيَ الْإِنْسَانَ الْخَاطِئَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً كَهَبَةِ نِعْمَتِهِ الْمَجَانِّيَّةِ بِالْإِيمَانِ بِدَمِ ابْنِهِ الْأَوْحَدِ الْمُسْفُوكِ عَلَى الصَّلِيبِ. يُخْبِرُنَا الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمَ وَالْجَدِيدَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ رَجَاؤُنَا الْمُبَارَكُ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ- رَجَاءٌ ثَابِتٌ وَأَكِيد- نَابِعٌ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ فِي كَلِمَتِهِ الْبَاقِيَّةِ، حَيْثُ وَعَدَ مُنْذُ الْقَدِيمِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ.

عِنْدَمَا تَوَلَّدَ مِنْ فَوْقِ، نُعْطَى حَيَاةَ الْمَسِيحِ وَالْيَقِينَ أَنَّ الْيَوْمَ آتٍ حَيْثُ نَقُومُ بِأَجْسَادٍ مُمَجَّدَةٍ، وَطَبِيعَتَنَا الْفَاسِدَةَ تَلْبَسُ عَدَمَ فُسَادٍ عِنْدَ الْبُوقِ الْأَخِيرِ وَصُوتِ فَادِينَا الْمَسِيحِ يُنَادِينَا لِلصُّعُودِ مَعَهُ إِلَى الْأَمْجَادِ السَّمَاوِيَّةِ.

أَعْطَانَا الْمَسِيحُ رَجَاءً بِحَيَاةٍ أَفْضَلَ حَسَبَ وَعْدِهِ فِي يُوْحَنَّا ١٠: ١٠ "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لَتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ". وَفِيهِ الْخَلَاصُ مِنْ سُلْطَانِ إِبْلِيسَ، وَغُفْرَانُ خَطَايَانَا وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلَكُمْ مِنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يُوْحَنَّا ٦: ٤٧). يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بُولَسُ أَنَّ تَرْكِيزَ هَذَا الرَّجَاءِ الْمُفْرَحِ هُوَ فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ نَجِدُ هُنَا الصَّبْرَ وَاحْتِمَالَ الْأَلَمِ وَالضِّيقَاتِ حَيْثُ قَالَ: "مَنْ أَجَلَ الرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ لَكُمْ فِي السَّمَاءَاتِ، الَّذِي سَمِعْتُمْ بِهِ قَبْلًا فِي كَلِمَةِ حَقِّ الْإِنْجِيلِ" (كُولُوسِي ١: ٥).

اللَّهُ إِلَهُ الرَّجَاءِ: لِأَهْمِيَّةِ الرَّجَاءِ دُعَى إِلَهُ الرَّجَاءِ "وَلِيَمْلَأْكُمْ إِلَهُ الرَّجَاءِ كُلُّ سُرُورٍ وَسَلَامٍ فِي الْإِيمَانِ" (رُومِيَّةُ ١٥: ١٣) إِلَهُ الرَّجَاءِ يَمْلَأُنِي الْآنَ بِكُلِّ الْفَرَحِ وَالسَّلَامِ بِاتِّكَالِي عَلَيْهِ، حَتَّى أَفِيضَ بِالرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ. هَرَبْتُ وَلَجَّاتُ إِلَيْكَ يَا اللَّهُ، لِيَكُونَ لِي تَعَزِّيَّةٌ وَأَتَمَسَّكُ بِالرَّجَاءِ الَّذِي وَهَبْتَهُ لِي، هَذَا الرَّجَاءُ مِرْسَاةُ نَفْسِي الْأَمِينَةِ وَالْمُتَيْنَةِ.

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ مَثَلُنَا الْأَعْلَى فِي الرَّجَاءِ فَهُوَ رَجَاءُ جَمِيعِ الْأُمَمِ. لَقَدْ انْتَضَرَتِ الْبَشَرِيَّةُ رَجَاءَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ سَنِينَ طَوِيلَةً مُنْذُ سُقُوطِ آدَمَ فِي الْخَطِيئَةِ، إِلَى أَنْ جَاءَ الْمَسِيحُ فِي مَلَأِ الرِّمَانِ لِيُخْلَصَنَا مِنَ الْهَلَاكِ. وَقَدْ اقْتَبَسَ مَتَّى مَا قَالَه إِسْعِيَاءُ عَنْهُ: "وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الْأُمَمِ" (مَتَّى ١٢: ٢١).

الْمَسِيحُ رَجَاءُ الْخَلَاصِ وَالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ: إِنْ الْخَلَاصُ مِنَ الْهَلَاكِ الْإِبْدِيِّ هُوَ فَقَطٍ فِي الْمَسِيحِ "لَأَنَّا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا (بِالْمَسِيحِ)". (رُومِيَّةُ ٨: ٢٤). "صَارَ لَجَمِيعِ الَّذِينَ يَطِيعُونَهُ سَبَبُ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ". (عِبْرَانِيِّينَ ٥: ٩). حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ، نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (تِيطُسَ ٣: ٧).

وَيَتَسَاءَلُ بَعْضُ النَّاسِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَهْلًا لِلثِّقَةِ وَالرَّجَاءِ؟ أَمَّا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، فَيُؤَكِّدُ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ "إِلَهُ الرَّجَاءِ" وَأَهْلٌ لِلثِّقَةِ إِذْ هُوَ "إِلَهُ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي" (رُؤْيَا ٤: ٨). وَهُوَ إِلَهُ الَّذِي خَلَقَ الْكَوْنَ وَكُلَّ مَا فِيهِ فِي الْبَدءِ، وَمَا يَزَالُ يَرَعَى الْكَوْنَ فِي الْحَاضِرِ، وَعِنْدَهُ خُطَّةٌ أَفْضَلُ لِهَذَا الْكَوْنَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. عَلَى هَذَا الْإِلَهُ يُلْقِي الْمُؤْمِنُونَ رَجَاءَهُمْ.

(٢) كُورِنْثُوسَ ١: ٩ - ١٠. الَّذِي عِنْدَهُ الْمَسِيحُ "رَجَاءُ الْأُمَمِ" يَتَيَقَّنُ أَنَّ رَجَاءَهُ أَكِيدٌ وَمُضْمُونٌ، وَهُوَ كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٌ وَثَابِتَةٌ. (عِبْرَانِيِّينَ ٦: ١٩). وَإِنْ كَانَ رَجَاءُ الْمُؤْمِنِ مَوْضُوعًا أَمَامَهُ فِي السَّمَاءِ الْآنَ (كُولُوسِي ١: ٥)، إِلَّا أَنَّهُ سَيَتَحَقَّقُ بِالْكَامِلِ عِنْدَمَا يُسْتَعْلَنُ الْمَسِيحُ فِي رَجُوعِهِ الثَّانِي (١ بطرس ١: ١٣).

عَزِيزِي، إِنْ كُنْتَ تَعِيشُ فِي نَاحِيَةِ مَلِئَةٍ بِالْعَوَاصِفِ، وَخَابَ رَجَاؤُكَ فِي الْحَيَاةِ، اِسْمَحْ لِلْمَسِيحِ، أَنْ يَدْخُلَ حَيَاتَكَ الْآنَ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ يَتَعَهَّدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْأَبَدِ، وَسَيَعُودُ لِيَبْدَأَ مَعَكَ رَجَاءَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

الحي بين الأموات

"لَمَّاذَا تَطْلُبُنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟" (لوقا ٢٤: ٥ و٦)

أحببت النسوة سيدهن المسيح وكن قريبات من أحداث الصليب وموت يسوع، ورافقن يوسف الرامي إلى موقع القبر، حيث ذرفن غزير الدمع حزناً على من أحبه. استرخن يوم السبت حسب الوصية. ففي فجر أول أيام الأسبوع أعدن حنوطاً وأتين بها إلى القبر ليدهن جسد المخلص، فوجدن الحجر مخرجاً عن القبر، فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هنّ مُحْتَارَاتٌ في ذلك، كافأ الرب محبتهم وسط الخوف والخيرة بقُدوم ملاكين بثياب بَرَّاقَة وقالوا لهنّ: "لَمَّاذَا تَطْلُبُنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ!".

ما سأله الملاك كان سؤالاً عظيماً. لا نطلب عادة الميت بين الأحياء، فلماذا نطلب الحي بين الأموات؟ نسین كيف أخبرهن مراراً بأنه سيموت وفي اليوم الثالث يقوم. هكذا حوّلت القيامة حزنهن إلى فرح بمخلصهن الحي المقام. ارتبط يسوع بنا في موته، كي نرتبط نحن به في قيامته المجيدة، قد ندعى لنشاركه آلامه على هذه الأرض، مما يسبب لنا حيرة وضيق - علينا أن نتذكر دوماً أن فرح قيامة فادينا هو قوتنا، وألا ننسى أن ألامنا الوقتية هنا لا تقارن بثقل المجد العتيد أن يستعلن فينا. اليوم، وكل يوم نذيع أخبار القيامة السارة فيما قاله الملاك "لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ". ومنذ ذاك الفجر المجيد، حاول الناس تغيير حقيقة القيامة بكنائسها أو الادعاء أن تلاميذه جاءوا ليلاً وسرقوا جثمانه، يبقى الله وكلامه أصدق من كل نكران بشري.

دعا ملاك الرب النسوة أن ينظرا القبر الفارغ إذ قال "هَلُمَّا انظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ". (متى ٢٨: ٦). يبقى هذا القبر الوحيد الفارغ في العالم، صحيح أن جسد المسيح بعد موته قد وُضِعَ فيه لفترة قصيرة، كان موت المخلص الثمن الذي طلبه الله لخطايانا. أخطأ آدم وحواء وشوها خليقة الله الكاملة، لكن نعمته المخلصة وعدتها والأجيال القادمة معهما بالخلاص، حيث سيموت يسوع ليدفع أجرة تعديهما.

القبر الفارغ يذكّرنا بجميع الخطايا التي عملناها. يذكّرنا القبر الفارغ أيضاً بغفران الله الكامل والمجاني للأبد. يُحاول البعض انكار الخطية والخلّاص الذي حققه المسيح بموته، مُتناسين أن خطاياهم هي التي وضعت يسوع في القبر. حيث أن خطيئة واحدة كما قال بولس تجعلني أول الخُطاة. "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قَبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أُولَئِهِمْ أَنَا" (١ تيموثاؤس ١: ١٥).

أكد الملاك حقيقة القيامة للنسوة، وهنّ بدورهنّ نقلن الخبر السار كما سمعته للتلاميذ، وكلّ جيل في التاريخ وعبر كلمة الله بشر بالقيامة المجيدة، يبقى السؤال بالنسبة لنا: هل عرفنا وأمنّا واعتدنا بأنه قد قام كما قال؟ مثل هذه المعرفة التي تأتينا بنعمة الله هي ما نحتاجه قبل كلّ شيء، وفي هذا يقول بولس "بَلْ إِنِّي أَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُقَايَةً لِكَيْ أَرْبِحَ الْمَسِيحَ". (فيلبي ٣: ٨). بدون صليب المسيح لا توجد أجرة الخطايا، بلا صليب يعني عدم وجود جسد في القبر.

المسيح قام وصعد إلى السماء، قبره فارغ، لقد لننا العُفْران، المجد لاسمك يا ربّي الحي. ما زالت بشري القيامة المجيدة يرن صداها إلى يومنا هذا. لنترك القبر الفارغ، ولنعيش لنخبر الآخرين برحمة الله العظيمة. يحتاج العالم أن يرى رسالة محبة الله حية في حياتنا اليوم. لا توجد رسالة أعظم من هذه، رسالة حكمه الله ونعمته الإلهية، رسالة انتصاره على الموت، رسالة قوة لجميع الذين يؤمنون.

أبانا السماوي، أشكرك لأن المسيح مات لأجل خطايي، وقام من القبر مُنتصراً. كنت معي على الصليب، وحملت خطايي كي أعيش بقيامتك حياة الانتصار، وأقول مع الملاك "المسيح قام، بالحقيقة قد قام" هلوليا، المجد والكرامة والسُجود لك أبدي الدهور. آمين.

أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ

"كُلُّ مَنْ يَرَى الْإِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ." (يوحنا ٦: ٤٠)

تُعتبر هذه الآية من أهم حقائق العهد الجديد المتعلقة بمشيئة الآب، خلاصنا، وقصدنا الأبدي في المسيح. أوضح الرَّبُّ يسوع مشيئة الآب في الَّذِينَ أعطاهم له أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ قَدْ أُعْطِيَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ. هؤلاء الَّذِينَ يَثْقُونَ بِالْمَسِيحِ لِلْبِرِّ وَالْحَيَاةِ وَالسَّعَادَةِ، قَدْ أُعْطَاهُم الْآبُ لابنه، سَيُخَلِّصُهُم بِالتَّأَكِيدِ، وَسَيُقِيمُهُمْ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. هذه هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ، إِلَهَ النِّعْمَةِ، الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ، الْأَزْلِي مَانِحَ حَيَاةِ الْمَجْدِ، حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْقِدَاسَةِ، الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ، لِأُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَسَيُقِيمُهُمْ عِنْدَمَا يَعُودُ ثَانِيَةً بِمَجْدٍ عَظِيمٍ. مَا يَقُولُهُ يَسُوعُ أَنَّ الْآبَ السَّمَاءِي يُرِيدُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَبَنَاتِهِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ، كَمَا كَانَ قَصْدُهُ الْأَزْلِي.

المسيح كخالقٍ وعاصِدٍ الجميعِ وديانِ الكلِّ، لَهُ الْقُوَّةُ لِيُعْطِيَ الْحَيَاةَ وَيُقِيمَ الْمَوْتَى رُوحِيًّا وَجَسَدِيًّا، بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِالْخَطَايَا وَقِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ الْأَبْرَارِ مِنْ قُبُورِهِمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ ثَانِيَةً. يُوضِحُ الْمُخَلَّصُ مَوْضُوعَ الْقِيَامَتَيْنِ فِي يُوحَنَّا ٥: ٢٨-٢٩ "لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيُخْرَجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ".

كَانَ بَعْضُ سَامِعِي السَّيِّدِ الْمَسِيحِ يُنْكِرُونَ الْقِيَامَةَ مِثْلَ الصَّدُوقِيِّينَ، لِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ قُوَّتَهُ وَسُلْطَتَهُ عَلَى الْقِيَامَةِ وَالْدَيْنُونَةِ، مِثْلَ مَا أَوْضَحَ دَانِيَالُ ٧: ١٣-١٤ فِي مَشْهَدِ الدَيْنُونَةِ لِابْنِ الْإِنْسَانِ لَقَبِ يَسُوعَ الْمُحَبَّبِ. نَقْرَأُ فِي رُؤْيَا ٢٠: ٦ "مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى. هَؤُلَاءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ". فَمَاذَا يَحْدُثُ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى وَهِيَ قِيَامَةُ الْحَيَاةِ؟ تَحْصُلُ هَذِهِ الْقِيَامَةُ لِلْحَيَاةِ وَالْخُلُودِ عِنْدَ مَجِيئِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً عِنْدَ الْبُوقِ الْآخِرِ مُعَلَّنًا مَجِيئَ الْمَسِيحِ، وَالْمُشَارَكُونَ فِي هَذِهِ الْقِيَامَةِ هُمُ الْأَبْرَارُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا بَعْدَ الْآنِ، فَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِالْمَسِيحِ إِلَى الْأَبَدِ. قِيَامَةُ الْمَوْتَى الْأَبْرَارِ إِلَى الْخُلُودِ مُرْتَبِطَةٌ بِرَتَابًا وَثِيقًا بِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّ الْمَسِيحَ الْقَائِمَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ هُوَ الَّذِي يُقِيمُ الْمَوْتَى فِي النِّهَايَةِ.

يَقُومُونَ بِأَجْسَادٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَمِثْلَمَا قَامَ الْمَسِيحُ كَائِنًا مُمَجَّدًا هَكَذَا سَيَقُومُ الْأَبْرَارُ. يؤكد بولس هذه الحقيقة في فيلبي ٣: ٢١ "لِذَلِكَ سَيُغَيَّرُ شَكْلُ جَسَدِ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ". وَالتَّغْيِيرُ مِنْ حَالَةِ الْمَوْتِ إِلَى حَالَةِ الْخُلُودِ يَحْصُلُ فِي لَحْظَةِ الْقِيَامَةِ (١ كورنثوس ١٥: ٤٢-٥٢).

"قِيَامَةُ الدَيْنُونَةِ. يَقُومُ الْأَشْرَارُ فِي الْقِيَامَةِ الْعَامَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي سَتَحْدُثُ عِنْدَ نِهَايَةِ الْأَلْفِ السَّنَةِ. وَهَذِهِ الْقِيَامَةُ تُوْدِي إِلَى الدَيْنُونَةِ الْآخِرَةِ. يَصِفُ الرَّائِي يُوحَنَّا هَذَا الْمَشْهَدَ فَيَقُولُ "وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَلاوِيَّةُ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ. هَذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي" (رؤيا ٢٠: ١٥ و ١٤).

يَعِدُ الْمَسِيحُ أَنَّ "مَنْ يَغْلِبُ فَلَا يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي". (رؤيا ٢: ١١). فَالَّذِينَ يَقْبَلُونَ يَسُوعَ وَالْخَلَاصَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ سَيَخْتَبِرُونَ فَرَحًا لَا يُوصَفُ فِي دُرُورَةِ رَجُوعِهِ، وَسَيَقْضُونَ الْأَبَدِيَّةَ فِي رَفَقَةِ سَيِّدِهِمْ وَمَخْلَصِهِمْ فِي سَعَادَةٍ لَا تَتَلَاشَى إِلَى الْأَبَدِ (إِيمَانِ الْأَدْفَنْتَسْتِ السَّبْتِيِّينَ، صَفْحَةُ ٦١٠ - ٦١١).

رَغْمَ ابْتِعَادَانَا عَنْ فَادِينَا الْمَسِيحِ، إِلَّا أَنَّ قَصْدَهُ الْأَزْلِي هُوَ اسْتِرْدَادُنَا. فَمِنْذُ الْأَزَلِ وَقَبْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ تَطَوَّعَ يَسُوعُ مِنْ فِرْطِ مَحَبَّتِهِ لَنَا كِي يُخَلِّصَنَا بِدَمِهِ. نَشْكُرُ الْخَالِقَ الْعَظِيمَ، أَنَّ خَطِيئَتَهُ كَانَتْ فِي بَقَاءِ شِرَاكَةِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا. وَكَوْنَهُ ابْنِ اللَّهِ فَهُوَ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ وَاهِبُ الْحَيَاةِ وَالْخُلُودِ لِلْإِنْسَانِ، إِنَّهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ.

رَبِّي يَسُوعُ أَقْفَ خَاشِعًا أَمَامَكَ، بِقُوَّةِ صَوْتِكَ يُخْرَجُ الْأَمْوَاتُ فِي طَاعَةٍ لَكَ لِيُقَدِّمُوا الْوَلَاءَ لَكَ يَا فَادِي نَفْسِهِمْ. لَقَدْ رَأَيْنَا مَجْدَهُ كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ مَمْلُوءٍ نِعْمَةً وَحَقًّا. الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ لَاسْمِكَ الْقُدُّوسِ يَا رَبَّ الْحَيَاةِ.

حي إلى الأبد

"وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيِّتًا، وَهَذَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَآوِيَةِ وَالْمَوْتِ."

(رؤيا ١: ١٨)

في أوّل رؤيا شاهدها الحبيب يوحنا على جزيرة بطمس، شاهد الرب يسوع المقام من الأموات بمجده فسقط عند رجليه وسمع صوته قائلاً لا تخف أنا هو الأوّل والآخر وأنا حي إلى أبدي الأبد. أنا يسوع الذي غسل رجليك في العلية قبل العشاء الأخير. كنت ميتاً، لكن الموت لم يستطع أن يبقيني في القبر إلى الأبد.

حقيقة القيامة مميزة في المسيحية، حيث أن أتباع المسيح يعرفون ويخدمون مُخلصاً حياً. أعلنت القيامة أن المسيح "ابن الله" الأزلي باكورة الذين قاموا من الأموات. بعد قيامته فقط دوى صوت الانتصار في الكون معلناً "ابتلع الموت إلى غلبة" (١ كورنثوس ١٥: ٥٤).

إن قيامة المسيح المنتصر قد غلبت الموت، أخبر يسوع يوحنا بأنه يملك مفاتيح الهاوية والموت وهو الحي إلى الأبد، يا لها من حقيقة عظيمة لكل من يؤمن، وفكرة مُربّة للأشرا الذين لا يؤمنون. يسوع هو القيامة والحياة لكل من يؤمن به. هللوا لمسيحنا المنتصر، الذي في كل خطوة من عمله خاض حرباً روحية، وغلب الشيطان باستناده إلى كلمة الله لأنه هو الكلمة المتجسدة، كما قهر الموت، الهاوية والقبر. وفي موته على الصليب، استمر حربه الروحية، وبالصلب، قهر إبليس. وإذ عُلق على الصليب، صار صليبه مركز الكون، حيث الله كان حاضراً، يسوع كان هناك يسفك دمه من أجلنا، الإنسان أشرف على صلبه، والشيطان وملائكته الأشرا كانوا هناك. مجداً لمسيحنا المنتصر في قيامته، إذ ونحن نتكلم عن الحرب الروحية إلى جانب الرب، علينا إدراك أن يسوع المسيح، الذي فاز بالسباق من أجلنا، رئيسنا وحياتنا، قد حقق الانتصار، ونحن نحارب معه، واقفين تحت راية المنتصر. واجبنا أن نعلن هذا الانتصار، ونطبقه في حياتنا تحت أي ظرف أو مكان نتواجد فيه.

انهالت الشتائم والاهانات على يسوع المصلوب، وتجمعت عليه كل قوى الشر، لكن الله عرضهم للسخرية حيث المسيح بصليبه انتصر عليهم جميعاً. وإذ قهر بموته الشيطان، فقد أبطل قوة الموت وتأثيره. هللوا. صحيح أن الموت ما زال بيننا، لكن تأثيره قد زال لأن المسيح يسوع - رئيس إيماننا ومُكمله - قد قهر الموت والهاوية. سيأتي يوم يسمع من في القبور صوته عند البوق الأخير، فيقوم الأموات الأبرار بأجساد عديم فساد ويتحدون بالأحياء الأبرار، الذين يتغيرون في لحظة في طرفة عين، حيث يصعد الجميع لملاقاة الرب في الهواء. المجد لك يا ربنا لأنك قمت مُنتصراً لأجل تبريرنا.

يسوع نفسه يتمشى وسط كنائسه، إنه صخر الدهور الذي عليه بنى إيماننا، هو الإله الحي، ولديه مفاتيح الموت والهاوية. وكونه رأس هذه الكنيسة، علينا أن نعيش حياتنا، ونسمح له أن يسكن فينا بروحه القدوس، ونفرح بالعيش معه عن قريب حياة الانتصار إلى أبدي الأبد، ولا عجب فهو المسيح المقام الذي يُعطينا بقيامته أن نعيش لمجده. يسوع قام، والمسيح انتصر، هذا هو رجاؤنا المبارك. حمل يسوع القصاص الذي نستحقه على الصليب، وبقيامته، أعطانا حياته الأبدية كي نمثل في حضرته، لن يكون أي عدو قادر على تدميرنا في انتصار قيامة مسيحنا المبارك.

عزيزي، في المسيح أنت مُنتصر على عدو اليأس والخوف، الكبرياء والادمان، الشهوة والشك. خرج المسيح من القبر لتحيّا أنت وحيّا الفادي حياته فيك ومن خلالك. تقول التريّمة: "لا تسألني أين يعيش مُخلصي؟ يعيش داخل قلبي".

صلاتي أن هذه الكلمات شهادة صادقة لخلاصك. أُملي أن تتبع المسيح الحي المقام من الأموات القادر أن يُعطيك الحياة الأبدية في مجيئه الثاني عن قريب. المسيح حي. هللوا. آمين.

قيامته ضمان قيامتنا

"عَالَمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبُّ يَسُوعَ سَيَقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا يَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ."

(٢ كورنثوس ٤ : ١٤)

واجه بولس ومن معه في رحلاته الكرازية مصاعب وآلام كثيرة بسبب إيمانه بالمسيح ووعظه للحق، ولكن ذلك الاضطهاد لم يمنعه من البشارة بإنجيل الخلاص. في الآية أعلاه، يشير إلى ثقته بقيامته المستقبلية كسبب لمُتابعة كرازته بشجاعة رغم المخاطر، وعبر عن قناعته أنه كما قام المسيح من الموت بعد صليبه، سيقوم هو والعالمين معه إلى حياة أبدية في حضور المسيح، حتى ولو ماتوا وهم يذيعون أخبار الإنجيل السارة.

كانت قيامة جميع المؤمنين حدثاً رئيسياً في إيمان بولس، فكتب عن ذلك بالتفصيل في ١ كورنثوس ١٥ : ١٤ "وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم!".

حقيقة القيامة تجعل من آلام هذه الحياة ذات قيمة، سيما وأن قيامة المؤمنين أعطت بولس ثقة كي يواجه الخطر والضيق، إلى جانب كونها دفعته للاستمرار بإخبار المزيد من الناس عن نعمة الله بالإيمان بالمسيح. والرائع أعزائي، أن تلك الثقة هي ما يقوينا لاحتمال آلام الزمن الحاضر بثبات الإيمان بمسيحنا. كان بولس على يقين من أن قوة القيامة نابغة من اتحاد الرب يسوع بالآب، وأن تلك القوة ناتجة عن ثبات المؤمنين بالمسيح، حيث يسوع هو الرأس، والمؤمنين أعضاء في جسده، فالذي أقام الرأس، قادر أن يقيمنا معه أيضاً.

شاهد الرسل المسيح المقام، ورأوا انتصاره على الموت، وأدركوا وعد سيدهم أن هذا الانتصار سيكون من نصيبهم، لذا كانوا مستعدين كي يموتوا لأجله. صدق من قال إن قيامة المسيح هي حجر الزاوية الذي يقوم عليه الإيمان المسيحي، فالمسيحية هي المسيح، تستمد وجودها من ميلاده، وحياتها من حياته، واستمراريتها من قيامته، وقوتها من شفاعته، فإن لم يكن المسيح قد قام، لما صار للمسيحية وجود أو كيان، وأمسى المسيح نفسه غير صادق في نبوته وتعاليمه، وفي رسالته "الخلاص للخطاة الهالكين الموتى بالذنوب والخطايا"، لأنه كيف لميت أن يقيم ميتاً نظيره؟ وفي دعواه بأنه ابن الله الذي له الحياة في ذاته" (يوحنا ٥ : ٢٦).

فقيامة المسيح تعني ميلاداً جديداً، وحياة جديدة يملأها الرجاء واليقين في المسيح الحي، المقام من الأموات، وفي عودته بضمان حياة أبدية سعيدة معه في السماويات. المسيح هو المخلص المقام من الموت والمُتجدد، والذي قام من بين الأموات، لكي ننال نحن ذلك أيضاً (رومية ٦ : ٣-٤). لقد غلب الموت والهاوية (جهنم) لكي لا تبتلعك (١ كورنثوس ١٥ : ٥٤-٥٧). المسيح الآن مُجدد في السماويات، لكي تتمجد أنت أيضاً يوماً ما، وتكون معه في أمجاده السماوية عن قريب. في موته، مات المسيح نيابة عنك. وفي قيامته، قام من بين الأموات لكي تقدر أن تقوم أنت أيضاً من الموت. ولأن المسيح قام من بين الأموات، يمكنك أن تتأكد بأنك في يوم القيامة الأخيرة، ستقوم أيضاً وتقبل في مجد الله، وتعيش معه في سلام وفرح إلى الأبد. فلأن الله قد أقام المسيح، فقد وضع بذلك ختمه على عمل الفداء الذي أتمه المسيح على الصليب، وظهر قوته الإلهية في مواجهة الخطية والموت. وفي نفس الوقت أعلن مشيئته في خلاص الناس. وهكذا نرى أن قيامة المؤمنين نتيجة مباشرة لقيامة مخلصهم، فأصبحت القيامة مضمونة لهم، حتى أن الرب يسوع وصّفهم بأنهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة (لوقا ٢٠ : ٣٦).

إن قيامة المسيح هي حصن إيماننا، وحجة قيامتنا العتيدة، وهي خير باعث لنا على السلوك في جدة الحياة. هي ختم بنوة المسيح الأزلية (رومية ١ : ٤)، وهي باب دخوله إلى المجد الذي كسبه لنفسه بآلامه وموته. وهي تاج عمل الفداء الذي قام به عنا. شكراً لك ربّي أنه بقوة قيامتك، ستقيمني عن قريب كي أنعم بأمجادك السماوية. هبني القوة كي أكون مُستعداً وأخبر الآخرين عن رجاء عودتك الوشيكة على سُبُح السماء. آمين.

براهين القيامة

"وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنَبُهُ، فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ." (يوحنا ٢٠: ٢٠)

في مساء يوم القيامة، كان التلاميذ مُجْتَمِعِينَ والأبواب مغلقة بسبب خوفهم، جاء يسوع ووقف في وسطهم وقال لهم: "سَلَامٌ لَكُمْ". وجدوا أنفسهم في حَضْرَةِ سَيِّدِهِمُ الْحَيِّ الْمُقَامِ مِنَ الْأَمْوَاتِ. رَأَوْهُ آخِرَ مَرَّةٍ عِنْدَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَقَلِيلَ مِنْهُمْ حَضَرُوا مُحَاكَمَتَهُ، بَيْنَمَا يُوْحَنَّا كَانَ إِلَى جَانِبِ الصَّلِيبِ، وَشَاهَدَ الْمُخْلَصُ يَمُوتَ مِنْ أَجْلِهِ وَأَجَلْنَا جَمِيعاً. كَانَ مَكَانَ الدَّفْنِ مَعْرُوفاً لَدَيْهِمْ. طَرَحَ سَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، أَلَيْسَ هُوَ رَئِيسَ السَّلَامِ؟ ثُمَّ أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنَبَهُ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَتَسَرَّبَ الشَّكُّ إِلَى عُقُولِهِمْ. كَانَ قَصْدُ يَسُوعَ مِنْ إِظْهَارِ آثَارِ الصَّلْبِ لَيْسَ لِإِظْهَارِ شَخْصِيَّتِهِ كَمَسِيحِهِمُ الْمَحْبُوبِ، مَعَ أَنَّ هَذَا أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ الْوَاقِفَ أَمَامَهُمْ هُوَ نَفْسُ مُعَلِّمِهِمُ الَّذِي أَحْبَبُوهُ وَصَلَبَ مِنْ أَجْلِهِمْ، بَلْ كَيْ تَشْهَدَ جُرُوحُهُ تَضَامُنُهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُتَأَلِّمِينَ فِي عَالَمِنَا. لَقَدْ تَحَقَّقَتْ نَبُوءَاتُهُ بِالتَّمَامِ كَمَا شَرَحَهَا لَهُمْ. وَرَغْمَ مُعْرِفَتِهِمْ بِمَا أَخْبَرَتْهُ الْمَرِيَمَاتُ، وَذَهَابَ كُلٌّ مِنْ بَطْرُسَ وَيُوْحَنَّا لِرُؤْيَا الْقَبْرِ الْفَارِغِ، رَفَضَ التَّلَامِيذُ تَصْدِيقَ خُبَرِ الْقِيَامَةِ.

ها المسيح الحي يقف في وسطهم، وَيُزِيلُ مِنْ عُقُولِهِمْ أَيَّ أَثَرٍ لِلشَّكِّ فِي مَصْدَاقِيَةِ قِيَامَتِهِ الْمَجِيدَةِ. مَا أَعْظَمَ فَرَحَ التَّلَامِيذِ بِرُؤْيَا يَسُوعَ الْمُقَامِ فِي وَسْطِهِمْ وَيُحْسِنُوا بِسَلَامِهِ يَتَغَلَّغَلُ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ. تُشَكِّلُ قِيَامَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْمَوْتِ أَحَدَ أَعْمَدَةِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ، وَمِنْ دُونِهَا يَفْقَدُ هَذَا الْإِيمَانُ مَعْنَاهُ، وَيَحِيدُ عَنْ هَدَفِهِ وَهُوَ خَلَاصُ الْإِنْسَانِ الَّذِي أَنْجَزَهُ الْمَسِيحُ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ غَالِباً الْمَوْتَ بِالْقِيَامَةِ. يُنْكِرُ كَثِيرُونَ قِيَامَةَ الْمَسِيحِ بِشَكْلٍ أَوْ بآخَرٍ. يُعْتَبَرُ الْقَبْرُ الْفَارِغُ أَوَّلُ بُرْهَانٍ لِلْقِيَامَةِ. الْقَبْرُ الْفَارِغُ يَظْهَرُ أَمَامَنَا كَصَخْرَةٍ قَوِيَّةٍ، وَكَعَنْصَرٍ أَسَاسِيٍّ وَمَهْمٍّ فِي مَوْضُوعِ الْقِيَامَةِ. وَلِنَفْتَرِضَ أَنَّ الْقَبْرَ لَمْ يَكُنْ فَارِغاً، كَمَا يَدَّعِي الْبَعْضُ، فَإِنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ قَوْلًا سَخِيفاً. فَالْحَقِيقَةُ التَّارِيخِيَّةُ تَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الرِّسْلَ مِنْذُ الْبَدَايَاتِ الْأُولَى غَيَّرُوا إِيمَانَ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي أُورُشَلِيمَ، بِالرَّغْمِ مِنْ عِدَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْمَعْرُوفَةِ، وَذَلِكَ بِنَشْرِ الْأَخْبَارِ الْمُفْرِحَةِ بِأَنَّ يَسُوعَ قَدْ قَامَ مِنَ الْقَبْرِ - وَفَعَلُوا ذَلِكَ بِأَنَّ زَارُوا الْقَبْرَ وَتَأَكَّدُوا بِأَنفُسِهِمْ بِأَنَّهُ كَانَ فَارِغاً.

كَانَ الْخَتَمُ الَّذِي وُضِعَ عَلَى قَبْرِ يَسُوعَ يُثَبِّلُ قُوَّةَ وَتَقْوَى رُومَا - وَقَدْ وَضَعَ بِحُضُورِ الْجُنُودِ الرُّومَانِيِّينَ الْمُؤَكَّلِينَ بِحِرَاسَتِهِ، وَلَا يُمَكِّنُ فَتْحَ بَابِ الْقَبْرِ بِدُونِ كَسْرِ الْخَتَمِ. وَيُخْبِرُنَا "تُومَاسُ ثُورْبُورِن" أَنَّ الْجُنُودَ الْقَائِمِينَ بِالْحِرَاسَةِ كَانُوا فِي مَازَقٍ حَقِيقِيٍّ بَعْدَ أَنْ تَزَحَّجَ الْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ وَانْكَسَرَ الْخَتَمُ، إِنَّهُمْ مَعْرُضُونَ الْآنَ لِلْمَحَاكِمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ: "لَا يُمْكِنُ لِلْجُنُودِ أَنْ يَدَّعُوا بِأَنَّهُمْ كَانُوا نَائِمِينَ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ عَقُوبَةَ النَّوْمِ أَثَاءَ الْحِرَاسَةِ عِقَابُهَا الْوَحِيدُ هُوَ الْمَوْتُ".

تَبَرَّزَ الْأَكْفَانُ كَشَاهِدٍ آخَرَ عَلَى قِيَامَةِ الْمَسِيحِ. نَقْرَأُ فِي يُوْحَنَّا ٢٠: ١-٢ عَنْ زِيَارَةِ مَرِيَمِ الْمَجْدَلِيَّةِ إِلَى الْقَبْرِ حَيْثُ نَظَرَتْ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً عَنِ الْقَبْرِ، فَكَضَتْ إِلَى بَطْرُسَ وَيُوْحَنَّا وَقَالَتْ لَهُمَا "أَخْذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!" فَاسْرَعَا وَأَتَيَا إِلَى الْقَبْرِ. دَخَلَ بَطْرُسُ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ وَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، تَبِعَهُ يُوْحَنَّا وَرَأَى وَآمَنَ. بَقِيَتْ تِلْكَ اللَّحْظَةُ عَالِقَةً فِي ذَهْنِهِ مَدَى حَيَاتِهِ كَدَلِيلٍ عَلَى قِيَامَةِ رَبِّ الْمَجْدِ يَسُوعَ.

ظَهَرَ الْمَسِيحُ الْحَيُّ لِلرِّسْلِ وَلِأَكْثَرِ مِنْ ٥٠٠ شَخْصٍ كَشْهُودٍ عَيَانَ لِأَكْبَرِ دَلِيلٍ عَلَى قِيَامَتِهِ، وَآخِرُ الْكُلِّ ظَهَرَ لِبُولَسَ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ فَصَارَ بَعْدَهَا رَسُولُ الْمَسِيحِ لِلْأُمَّمِ. كَرَّرَ جَمِيعُ هَؤُلَاءِ بِحَقِيقَةِ الْقِيَامَةِ، وَضَحُّوا بِأَنفُسِهِمْ لِأَجْلِ مَسِيحِهِمُ الْمُقَامِ مِنَ الْأَمْوَاتِ. مَاتَ الْآلَافُ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْأَوَائِلِ فِي السَّاحَةِ الرُّومَانِيَّةِ وَفِي السُّجُونِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ لِأَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّ الْقِيَامَةَ حَقِيقَةٌ. حَتَّى الْيَوْمِ، يَعْانِي النَّاسُ مِنَ الْاضْطِهَادِ لِأَنَّ لَدَيْهِمْ إِيمَانًا بِأَنَّ الْمَسِيحَ قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. قَامَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنا مُنْتَصِراً، الْمَجْدُ لِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ أَبَدَ الدُّهُورِ. هَلِّلُوِيَا.

ماذا تعني القيامة لنا

"وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ." (رومية ٨: ١١)

يؤكدُ الرسول بولس بوضوح أن القيامة هي عَمَلُ رُوحِ اللَّهِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْمَوْتِ، وَسَيُقِيمُ أَجْسَادَنَا عِنْدَ مَجِيئِهِ ثَانِيَةً. كَمَا يَشْرَحُ بولس أَنَّ مَا عَجَزَ النَّامُوسُ عَنْ تَحْقِيقِهِ لَنَا، أَنْجَزَهُ الْفَادِي يسوع بِذِيحَتِهِ الْكَفَّارِيَّةِ، وَمَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ الْمَجِيدَةِ. نَشْعُرُ بِفَرَحٍ إِذْ نَعْرِفُ أَنَّ – الَّذِينَ يَسِيرُونَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَتَمَتَّعُونَ بِالْحَيَاةِ وَالسَّلَامِ – مِنْ خِلَالِ سُكْنَى الرُّوحِ فِيهِمْ – وَعَنْ طَرِيقِ نِعْمَتِهِ أَحْيَانًا، بِالْمَسِيحِ يسوع رَبَّنَا. رَجَاؤُنَا هُوَ فِي الْمَسِيحِ لَنَكُونَ خَلَائِقَ جَدِيدَةٍ، فَيُصَبِّحَ مَوْتُهُ مَوْتَنَا، وَقِيَامَتُهُ قِيَامَتَنَا، حَيْثُ سَنَتَّحِدُ مَعَهُ بِالرُّوحِ السَّاكِنِ فِيْنَا.

أَتَى يسوع لَتَكُونَ لَنَا حَيَاةٌ أَفْضَلُ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي وَعَدْنَا بِهَا لِنُحْيِيَ أَجْسَادَنَا الْمَائِتَةَ بِسُكْنَى رُوحِهِ فِيْنَا. لَنَا التَّزَامُ بِالْمُقَابِلِ، أَنْ نَسْلُكَ لَيْسَ بِحَسَبِ الْجَسَدِ، بَلْ بِحَسَبِ الرُّوحِ طَالِبِينَ أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ. وَعَنْ قَرِيبٍ، عِنْدَ رَجُوعِ الْمَسِيحِ، سَيُقِيمُ الْأَبْرَارَ بِأَجْسَادٍ مُمَجَّدَةٍ غَيْرِ فَاسِدَةٍ لِنَحْيَا مَعَهُ، وَالْأَحْيَاءُ الْأَبْرَارَ سَيَلْبَسُونَ الْخُلُودَ، وَيَصْعَدُ الْجَمِيعُ لِمُلَاقَاةِ فَادِيهِمُ الْمَسِيحِ عَلَى سُحْبِ الْمَجْدِ.

الْقِيَامَةُ هِيَ وَعْدُ اللَّهِ لَجَمِيعِ الْوَاقِعِينَ بِهِ، لِيَكُونُوا الْحَاصِلِينَ عَلَى قُوَّةٍ مِنَ اللَّهِ لِيَقْوَدَهُمْ فِي دُرُوبِ الْبِرِّ، وَإِذْ نُؤْمِنُ بِقُلُوبِنَا بِاللَّهِ الَّذِي أَقَامَ يسوعَ مِنَ الْمَوْتِ، فَهُوَ قَادِرٌ بِسُكْنَى رُوحِهِ أَنْ يُغَيِّرَ حَيَاتِنَا وَيُخَلِّصَنَا فِي مَلَكُوتِهِ السَّمَاوِيِّ.

إِنَّ الْقِيَامَةَ هِيَ جَوْهَرُ الْمَسِيحِيَّةِ وَحَجَرُهَا الرَّئِيسُ، وَبِدُونِهَا تَهْزَمُ، وَتَنْهَدُمُ الْمَسِيحِيَّةُ، بَلْ تَمُوتُ وَتَتَدَثَّرُ، وَهَذَا صَحِيحُ فِقْيَاةِ الْمَسِيحِ تَعْنِي أَنْ ذَبِيحَتُهُ قَدْ قُبِلَتْ، وَخِلَاصُهُ قَدْ تَمَّ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ. قِيَامَةُ الْمَسِيحِ هِيَ أَسَاسُ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ (الْأَخْبَارِ السَّارَةِ): "وَأَعْرِفْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بُشِّرْتُمْ بِهِ، أَنَّ الْمَسِيحَ ١- مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ ٢- أَنَّهُ دُفِنَ ٣- وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١ كورنثوس ١٥: ٤).

كَانَ صُعُودُ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ هُوَ تَأْكِيدٌ لِقَبُولِ ذَبِيحَتِهِ الْكَفَّارِيَّةِ عِنْدَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ. لِذَلِكَ رَبَطَ الرَّسُولُ بولسُ بَيْنَ ذَبِيحَةِ الصَّلِيبِ، وَبَيْنَ دُخُولِ الْمَسِيحِ إِلَى الْأَقْدَاسِ السَّمَاوِيَّةِ؛ فَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ: "بَدَمِ نَفْسِهِ دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا". (عبرانيين: ٩: ١٢).

الْقِيَامَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ " حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟". (رومية ٤: ٦). وَهِيَ مَصْدَرُ الْقُوَّةِ الْفَائِقَةِ، فَقُوَّةُ اللَّهِ ظَهَرَتْ بِطَرِيقَةٍ لَيْسَ لَهَا مِثِيلٌ بِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ وَهَذِهِ الْقُوَّةُ تَعْمَلُ لِحَسَابِنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ: " لَتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةِ نَحُونًا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ " (أفسس ١: ١٨ - ٢٠). فَأَيَّةُ ظُرُوفٍ مُمْكِنَةٍ أَنْ تَقِفَ عَائِقًا أَمَامَ قُوَّةٍ مِثْلِ هَذِهِ؟

إِنَّ الرَّبَّ الْمَقَامَ هُوَ مَصْدَرُ فَرَحِ الْمَسِيحِيِّ الْمُؤْمِنِ، وَهَذَا الْفَرَحُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ وَسَطَ مَتَاعِبِ الْحَيَاةِ وَالْأَمْهَالِ وَأَحْزَانِهَا وَاحْبَاطَاتِهَا، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِنَا فَوْقَ كُلِّ فَشَلٍّ وَيَأْسٍ وَحُزْنٍ وَظَلَامٍ. فِي الْقِيَامَةِ قُوَّةٌ مُحْيِيَةٌ لِإِقَامَةِ الْمَوْتَى بِالْخَطِيئَةِ. وَأَيْضًا قُوَّةٌ تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ يَحْيَا بِاسْتِمْرَارِ حَيَاةِ النَّصْرَةِ وَالْغَلْبَةِ عَلَى أَعْدَائِهِ الثَّلَاثَةِ: الْجَسَدِ، الْعَالَمِ، وَالشَّيْطَانِ، لِيَتَّحِقَ قُوَّةُ الْقِيَامَةِ تَفْضِيزًا عَلَى عَوَاطِفِنَا الْبَارِدَةِ فَتُلْهِبُهَا بِمَحَبَةِ الْمَسِيحِ، وَعَلَى ضَمَائِرِنَا الْمَيِّتَةِ فَتُحْيِيهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَعَلَى عَقُولِنَا الْجَامِدَةِ فَتُحَرِّكُهَا مِنْ رُكُودِهَا، وَعَلَى قُلُوبِنَا الْمَتَحَجَّرَةِ فَتَلِينُهَا، فَحَيْثُ تُوجَدُ الْقِيَامَةُ تُوجَدُ الْحَيَاةُ، لِأَنَّهُ " تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ " (يوحنا ٥: ٢٥). يُعْطِينَا يسوعُ الرَّجَاءَ وَالْفِدَاءَ وَالْحِمَايَةَ وَيَسِدُّ كُلَّ احْتِيَاجَاتِنَا، فَهَلْ نَتَّقُ فِيهِ لِيُخَلِّصَنَا؟ لِيُبَارِكَ يسوعُ الْحَيَّ حَيَاتِنَا مِنْ خِلَالِ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ وَبِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ لِمَجْدِهِ عَلَى الدَّوَامِ.

القيامة والمجد

"الَّذِينَ أَرَاهُمْ أَنفُسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينٍ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَطْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ." (أعمال الرُّسُل ١: ٣)

يذكرُ كُتَّابُ الإنجيل آلام وعذاب يسوع وتعرضه لكل أنواع الإهانة والضرب والجلد بالسَّيَاط وَصَرَخته على الصليب "إلهي لماذا تَرَكْتَنِي"؟ ولكن بعد موته على الصليب، قام مُنتَصِرًا على الموت، وظَهَرَ للمَريَمات بعدَ قيامته، وتلاميذه المُجتمِعين في العليَّة، كما يذكر بولس أن المسيح ظَهَرَ لأَكْثَر من ٥٠٠ شخص على أحد جبال الجليل. يُرَكِّزُ البشير لوقا في بداية سفر أعمال الرُّسُل على المسيح الحي، ودوره في قيامة نَمُو الكنيسة والكراسة بالإنجيل في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانيَّة. أَرَاهُمْ المُخَلَّصَ نَفْسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينٍ كَثِيرَةٍ وَهُوَ يَطْهَرُ لَهُمْ عَلَى مَدَى ٤٠ يَوْمًا يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ عَنِ الْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، فَأَكَلَ مَعَهُمْ وَمَشَى مَعَهُمْ عَلَى شاطئ بحر الجليل حيث أَعَدَّ لَهُمْ فُطُورًا، أَرَاهُمْ يَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَنْبَهُ. لَمْ تَتِمَّ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ مَرَّةً وَاحِدَةً، بَلْ كَانَتْ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ، مِمَّا تَرَكَ أَبْلَغُ الْأَثَرِ فِي نَفُوسِهِمْ وَكَرَارَتِهِمْ بِالْقِيَامَةِ فِيمَا بَعْدَ. أَمَّا عَنْ أَهْمِيَّةِ الـ "٤٠ يَوْمًا" فنجد موسى صعد إلى جَبَل سِيناء ٤٠ يَوْمًا، والمسيح صام ٤٠ يَوْمًا قَبْلَ أَنْ يُجَرِّبَهُ الشَّيْطَانُ، وَكَرَّزَ يُونَانُ بِرِسَالَةِ التَّوْبَةِ لِأَهْلِ نِينوى ٤٠ يَوْمًا. الْقُوَّةُ وَالْمَجْدُ الْمُصَاحِبَانِ لِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ يُعْطِيَانَا لَمَحَّةً عَمَّا سَيَكُونُ عَلَيْهِ مَجِيءُ الرَّبِّ يَسُوعُ ثَانِيَةً.

فِي فَجْرِ أَوَّلِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ نُزُولِ مَلَائِكَةٍ وَاحِدَةٍ لِيُدْحِجَ الْحَجَرِ عَنْ قَبْرِ يَسُوعَ، وَيُصِفُ مَتَّى ٢٨: ٣ - ٤ مَا حَدَثَ "وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَيْضًا كَالثَلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ". خَرَجَ ابْنُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْقَبْرِ مُنْتَصِرًا، وَفِي مَجِيئِهِ الثَّانِي، سَيُظْهِرُ بِأَعْظَمِ قُوَّةٍ وَمَجْدٍ، إِذْ يَأْتِي لِيَأْخُذَ أَتْبَاعَهُ الْغَالِبِينَ مَعَهُ إِلَى بَيْتِهِمُ السَّمَاءِيِّ. صَدَّقَ الْمَسِيحُ إِذْ قَالَ "فِي الْعَالَمِ يَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ، وَلَكِنِّي قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يوحنا ١٦: ٣٣).

تَقُولُ كَاتِبَةُ مُلْهَمَةٍ فِي وَصْفِ قُوَّةِ الْقِيَامَةِ "فَنَفْسُ الْقُوَّةِ الَّتِي أَقَامَتِ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَتُقِيمُ كَنِيسَتَهُ وَتُجَدِّدُهَا مَعَهُ فَوْقَ كُلِّ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينِ وَفَوْقَ كُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الْعَالَمِ فَقَطْ بَلْ فِي الْعَالَمِ الْآتِي أَيْضًا" (روح النبوة، مُسْتَهْتِى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٧٤٥) تَبْقَى الْقِيَامَةُ الْقُوَّةُ الْأَعْظَمُ الَّتِي عَرَفَهَا الْعَالَمُ، لِذَا يَصِفُهَا بُولَسُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ رَبَّنَا" (رومية ١: ٤).

قَهَرَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ عَمَالِقَةَ الْمَوْتِ وَالْيَاسِ. وَفِي هَذَا تَقُولُ كَلِمَةُ اللَّهِ "فَإِذَا قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالِدَمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عبرانيين ٢: ١٤).

كَانَ وَلَدٌ صَغِيرٌ يُسَافِرُ مَعَ أَبِيهِ بِسَيَارَتِهِ، فَدَخَلَتْ نَحْلَةٌ مِنْ شُبَّانِ السَّيَّارَةِ، خَافَ الصَّغِيرُ وَابْتَدَأَ يَبْكِي، فَمَدَّ الْأَبُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِالنَحْلَةِ، بَعْدَ قَلِيلٍ أَطْلَقَهَا بِصَرْخَةٍ أَلَمَ. اسْتَمَرَّ الْوَلَدُ بِالْبُكَاءِ، فَقَالَ أَبُوهُ "لَا تَخَفْ. إِنَّ لَسَعَتَهَا لَا تَزَالُ فِي يَدِي، فَلَنْ تُوْذِيكَ أَبَدًا". لَقَدْ أَخَذَ يَسُوعُ لَسَعَةَ الْمَوْتِ عَلَى نَفْسِهِ.

لِنَسْمَعِ صَرْخَةَ الْإِنْتِصَارِ مِنْ بُولَسَ "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكَ يَا هَاوِيَّةُ؟" (١ كورنثوس ١٥: ٥٥). وَفِي الْآيَتَيْنِ ٤٢-٤٣ يَصِفُ بُولَسُ الْقِيَامَةَ فِي مَجْدِهَا فِي حَدِيثِهِ عَنِ التَّغْيِيرِ الَّذِي يَحْدُثُ لِأَجْسَامِ الْبَرَارِ عِنْدَ قِيَامَتِهِمْ فَيَقُولُ "هَكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ".

يَتَكَلَّمُ بَطْرُسُ بِالْبَرَكَةِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ الَّذِي "حَسَبَ رَحْمَتَهُ الْكَثِيرَةَ وَلَدَّنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ". فَالْقِيَامَةُ أَعْطَتْنَا انْتِصَارَ الرِّجَاءِ عِنْدَمَا بَدَأَ الرِّجَاءُ بَعِيدَ الْمَنَالِ. شُكْرًا لَكَ رَبِّي لِأَنَّكَ بَانْتِصَارِكَ أَعْلَنْتَ مَجْدَكَ بِإِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِتَلَامِيذِكَ الَّذِينَ تَرَكَوكَ جَمِيعًا تَجَرَّعَ كَأْسَ الْأَلَمِ وَالْمَوْتِ وَحِيدًا. اَمْنَحْنِي الْقُوَّةَ لِأَعِيشَ لِمَجْدِكَ مَدَى أَيَّامِ حَيَاتِي.

الفصل التاسع

أيلول "سبتمبر"

كاهِننا وشفيعنا الأعظم



اسم يعني الخلاص

"وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمُ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ." (أعمال الرُّسل ٤: ١٢)

صعد بطرس ويوحنا إلى الهيكل للصلاة، فرأيا رجلاً أعرج من بطن أمه عند باب الهيكل يطلب منهما صدقة. نظر إليه بطرس وقال له "أنظر إلينا، فلاحظهما منتظرا أن يأخذ منهما شيئاً. فقال بطرس: "ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي فأياه أعطيك: باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش" (أعمال ٣: ٥-٦). فوثب وصار يمشي ودخل معهما إلى الهيكل. تعجب العابدون في الهيكل لهذه المعجزة، فوقف بطرس لهما بأن شفاء هذا الأعرج قد تم بقوة وباسم يسوع الناصري.

مثل بطرس ويوحنا أمام مجلس الرؤساء والشيوخ والكهنة ليحيا عن كيفية شفاء الأعرج وسألوهما "بأي قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟" (أعمال ٤: ٧). فأجابهم بطرس أن يسوع وحده هو المخلص الوحيد. منذ عصيان الإنسان ضد خالقه، لم تكن وسيلة للخلاص دون مساعدة الله، الذي أرسل ابنه الأوحـد ليموت عنا، بحمل خطايانا على الصليب، ودفع قصاص تعدينا وحسب برّه لنا بالإيمان، لذا صار خلاصنا ممكناً بشخص يسوع المسيح وحده ابن الله الوحيد الذي كان بلا خطيئة. ما قاله بطرس في أعمال ٤: ١٢ يؤكد بصراحة وقوة: ثلاث حقائق عن الخلاص بالمسيح. أولاً- شدد بطرس على أن يسوع هو المسيح الخلاص، الذي من خلال خدمته وعمله تمّ نبوءات العهد القديم عن المسيح الموعود به، والذي انتظره العالم لآلاف السنين. وبه تحققت نبوءة النبي إشعياء ٤٠: ٩ "ارفعي صوتك بقوة، يا مبشرة أورشليم. ارفعي لا تخافي. قولي لمدين يهوذا: "هوذا الهك". يسوع عظيم وخلصه تام، رائع ومتميز. ولا عجب أن قال الرب يسوع لسامعيه "طوبى ليعيونكم لأنها تبصر، ولأذا نكم لأنها تسمع" (متى ١٣: ١٦).

ثانياً يميز بطرس طبيعة الخلاص المتكامل الذي ضمنه المسيح، مما يشمل الشفاء الجسدي المتمثل بمعجزة شفاء الأعرج باسم يسوع، والشفاء الروحي حيث مشى ودخل معهما إلى الهيكل يسبح الله. فالخلاص هنا يشمل تجديد الجسد، وشفاء الروح بإعادة علاقته مع الله. ثالثاً يصّر بطرس أن هذا الخلاص المتكامل متاح فقط من خلال الإيمان باسم يسوع وسلطته (الاسم هنا يعني أيضاً سلطان)، كما يعني خلاصاً متميزاً يقدمه الله فقط من خلال الرب يسوع المسيح. الخلاص هو الإنقاذ من الخطر أو المعاناة. فأن تخلص شخصاً ما، يعني أن تنقذه أو تحميه. والكلمة تحمل معاني الانتصار أو الصحة أو الحفظ. وفي بعض الأحيان يستخدم الكتاب المقدس كلمة مخلص أو خلاص للإشارة إلى الإنقاذ الجسدي المؤقت، مثل إنقاذ بولس من السجن (فيلبي ١: ١٩).

أحياناً كثيرة، تعني كلمة "خلاص" الإنقاذ الروحي والأبدى. فعندما قال السجان لبولس وسيلا في فيلبي ماذا يجب أن يفعل لكي يخلص، أجابه "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهلك بيتك". فإنه كان يتحدث عن مصير السجان الأبدى (أعمال الرسل ١٦: ٣٠-٣١). ولقد ساوى المسيح الخلاص بدخول ملكوت السموات (متى ١٩: ٢٤-٢٥).

تخبرنا كلمة الله أننا نخلص من "الغضب"، أي عقاب الله المستحق عن خطيتنا (رومية ٩: ٥). فخطيتنا تفصلنا عن الله، و"أجرة الخطيئة هي موت". (رومية ٦: ٢٣). ويشير الخلاص الكتابي إلى إنقاذنا من عواقب الخطيئة، وبالتالي نزع تلك الخطيئة. أشكركم أيها الآب من أجل يسوع مخلصي الذي يعني اسمه الخلاص.

شكراً للهبة الخلاص التي أعطيت بالمسيح وحده، ساعدني أن أعيش لك آمين مدى أيام حياتي إلى أن ألقاك عن قريب إذ تعود لتأخذنا إلى بيتنا السماوي. آمين.

حاجتي للخلاص

"لأنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ." (رومية ١٠: ١٣)

يقتبس الرسول بولس في هذه الآية ما قاله يوثيل النبي ٢: ٣٢ عن نجاة البقية في أزمنة الإنجيل. وبعمله هذا ربطَ هذا الحق بما قاله في رومية ١٠: ١٢ "لأنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ غَنِيًّا لِلْجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ". أَنَّهُمُ الَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ بِإِيمَانِهِمْ طَالِبِينَ الْخَلاصَ. وأشار الرسول بطرس في عظة يوم الخمسين إلى نبوءة يوثيل في الأيام الأخيرة. كما أكد بولس أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ إِلَهَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ نَفْسَهُ، فَالآبَ السَّمَاوِي هُوَ إِلَهَ الْجَمِيعِ، فَكُلُّ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِهِ يَهُودًا كَانُوا أَوْ أُمَمًا سَيَخْلُصُونَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ، يَجِدُونَ غِنَى رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ، وَيُشَارِكُونَ مَعَهُ مَجْدَهُ فِي مَجِيئِهِ عَنْ قَرِيبٍ.

الْخَلاصُ مُقَدَّمٌ لِكُلِّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ حَيْثُ لَا يُوجَدُ اسْمٌ آخَرُ بِهِ نَنَالُ الْخَلاصَ. الْمَسِيحُ هُوَ قُوَّةٌ وَحِكْمَةُ اللَّهِ، قَدْ تَكُونُ رِسَالَةُ الصَّلِيبِ حِمَاةً لِلْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْهَلَاكَ، لَكِنْ لَنَا الْمَخْلَصِينَ، فَرِسَالَةُ الصَّلِيبِ وَسَفَكُ دَمِ الْمَسِيحِ هِيَ قُوَّةُ اللَّهِ - لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ. وَلَكِي نُدْرِكُ حَاجَتَنَا لِلْخَلاصِ، عَلَيْنَا أَوَّلًا أَنْ نَفْهَمَ مَوْقِفَنَا أَمَامَ خَالِقِنَا. يَذْكُرُ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ٣: ٢٣ "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَاوُا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ". وَيُوكِّدُ عَدَمَ وُجُودِ أَيِّ بَارٍ لَيْسَ وَلَا وَاحِدٍ، لِذَا فَجَمِيعُنَا خُطَاةٌ مُسْتَحْقِينَ غَضَبِ اللَّهِ وَدِينُونَتِهِ. وَمَا لَمْ يَتِمَّ تَغْيِيرُ حَالَتِنَا الرُّوحِيَّةِ فَسَنَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ فِي جَهَنَّمَ. فَبِدُونِ خَلاصٍ نَكُونُ مِثْلَ قِطْعٍ لَا رَاعِي لَهُ.

نَحْتَاجُ لِلْخَلاصِ لِأَنَّا ضَائِعِينَ فِي الْخَطِيئَةِ. لَا قُدْرَةَ لَنَا أَنْ نُخَلِّصَ أَنْفُسَنَا لِأَنَّا تَحْتَ الْخَطِيئَةِ كَمَا وَصَفَنَا بُولُسُ "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ" (رومية ٣: ١٢). مَا أَحْوَجُنَا إِلَى الرَّاعِي الصَّالِحِ لِيُقْتَنَشَ عَنْ الْخُرُوفِ الضَّالِّ، وَيُعِيدَهُ فَرَحًا إِلَى بَيْتِهِ. كَمَا نَحْتَاجُ لِلْخَلاصِ لِأَنَّا تَحْتَ غَضَبِ اللَّهِ، لِأَنَّا كَمَا يَقُولُ بُولُسُ "كُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ". (أَفْسَسُ ٢: ٣). بِدُونِ خَلاصٍ نَقُفُ مُدَانِينَ كَمَا قَالَ مُخَلِّصُنَا "الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ" (يُوحَنَّا ٣: ١٨). نَحْتَاجُ لِيَسُوعَ، الْبَارِ، الَّذِي خَلَّصَنَا مِنَ الْغَضَبِ وَصَارَ شَفِيعَنَا لِيُحَامِيَ عَنَّا فِي دِينُونَتِنَا.

حَاجَتُنَا إِلَى الْخَلاصِ تَتْبَعُ مِنْ خَطَرِ الْهَلَاكِ. تَقُولُ كَلِمَةُ اللَّهِ "وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عِبْرَانِيِّينَ ٩: ٢٧). نَحْتَاجُ إِلَى مَسِيحِنَا الْحَيِّ لِنُقِذْنَا مِنْ مَصِيرِ أَسْوَأَ مِنَ الْمَوْتِ، أَلَا وَهُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي فِي بُحِيرَةِ النَّارِ. تَبْقَى الْحَاجَةُ إِلَى الْخَلاصِ لِأَنَّا أَمْوَاتٌ رُوحِيًّا حَيْثُ كُنَّا قَبْلَ الْخَلاصِ "أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا" (كُولُوسِيِّ ٢: ١٣). الْأَمْوَاتُ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَعْمَلُوا أَيَّ شَيْءٍ رُوحِيٍّ لِأَنفُسِهِمْ. نَحْتَاجُ إِلَى قِيَامَةِ، نَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةِ الْمَسِيحِ الْمُحْيِيَّةِ لَتَقْهَرَ الْمَوْتَ، كَيْ نَعِيشَ بِالْحَقِيقَةِ الطَّرِيقَ الَّذِي قَصَدَ فَادِينَا لَنَا أَنْ نَعِيشَ.

نَحْتَاجُ لِلْخَلاصِ لِأَنَّ قَلْبَنَا قَدْ تَقَسَّى بِالشَّرِّ. يَصِفُ إِرْمِيَا ١٧: ٩ الْقَلْبَ يَقُولُ: "الْقَلْبُ أَخْذَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟". وَالْأَشْرَارُ "مُظْلَمُو الْفِكْرِ وَبَعِيدِينَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ سَبَبُ غَلَاظَةِ قُلُوبِهِمْ" (أَفْسَسُ ٤: ١٨). نَحْتَاجُ إِلَى عَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِإِصْلَاحِ قُلُوبِنَا لِنَكُونُ فِي انْسِجَامٍ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ. نَحْنُ بِحَاجَةٍ لِلْخَلاصِ، لِأَنَّا مُسْتَعْبِدِينَ لِلْخَطِيئَةِ وَالشَّيْطَانِ. الْجَمِيعُ عَلَى السَّوَاءِ تَحْتَ قُوَّةِ الْخَطِيئَةِ، وَاقِعِينَ فِي فَخِّ إِبْلِيسَ وَقَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ. لِذَا الْحَاجَةُ هِيَ لِفَادِي يُحَرِّرُنَا حَيْثُ بِالْمَسِيحِ قَدْ أُعْتَقْنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ.

نَحْتَاجُ لِلْخَلاصِ لِأَنَّا فِي عِدَاوَةٍ مَعَ اللَّهِ، "وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللَّهَ" (رومية ٨: ٨). مَا أَرُوعَ يَسُوعَ، رُبَّيْسَ السَّلَامِ، لِيُصَالِحَنَا مَعَ اللَّهِ، وَيَأْتِيَنَا بِنَا لِعَائِلَةِ اللَّهِ، حَيْثُ نَنَالُ التَّبَتِّي كَأَوْلَادِهِ وَبَنَاتِهِ. تُعَلِّمُ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنْ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنَالُ الْخَلاصَ. هَلْ دَعْوَتُهُ عَزِيزِي بِالْإِيمَانِ؟ تَذَكَّرْ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمُ خَلاصٍ. عِشْ رُوعَةَ الْحُرِّيَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا الْمَسِيحُ بِدَمِهِ، وَأَعْطَاكَ خَلاصًا أَبَدِيًّا. لَهُ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ. آمِينَ.

خلاص إلى التمام

"فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ." (عبرانيين ٧: ٢٥)

في الأصحاح السابع من سفر العبرانيين، يشرح الكاتب كيف أن نظام الكهنوت في العهد القديم كان محدوداً، ولا فائدة منه لخلصنا حيث أن الكهنة كانوا يخدمون إلى أن يموتوا، لذا، فهم غير قادرين أن يتشفّعوا فينا إلى الأبد. ليس أي كاهن أرضي بقادر على تقديم ذبيحة لكل الخطايا، حيث أن أيامه كانت محدودة، يسوع بالمقابل، يحيا إلى الأبد، بكهنوت مضمون للأبد من الله، لذا، صار يسوع ضامناً لعهد أفضل، وقادر على تخلصنا بطرق يعجز عنها العهد القديم. وما عجز الإنسان عن تحقيقه، فإن عمل المسيح الكامل على الصليب قد أتم ذلك، حيث "عند الله كل شيء مستطاع" (متى ١٩: ٢٦). فكرة "إلى التمام" استعملت في قصة المرأة الحذباء في لوقا ١٣: ١١ بمعنى "البتة - أبداً" لم تستطع على الإطلاق أن ترفع ظهرها بشكل مستقيم إلى أن وضع يسوع يديه عليها، وفي الحال استقامت، بنفس الطريقة التي يستطيع فيها المسيح تخلصنا بالتمام والكمال.

يسوع يحيا ويتشفّع فينا- لأن له القوة لخلصنا من خلال عمله الشفاعي على صليب جلجثة وقيامته المجيدة. لقد أعطي كل سلطان من الآب، فله مطلق السلطة والقُدرة أن يخلصنا إلى التمام، حتى في هذه اللحظة ونحن نثق باسمه القدوس.

وعَد الفادي يسوع أن يُقَدِّمَنَا مِنْ قُوَّةِ الْخَطِيئَةِ، ذُنُوبِهَا، طَبِيعَتِهَا وَقِصَاصِهَا، وَأَنْ يُقَدِّسَنَا بِالتَّمَامِ- جَسَداً وَنَفْساً وَرُوحاً، إِذْ يُغَيِّرُنَا رُوحَهُ الْقُدُّوسَ مِنْ يَوْمٍ لآخر لنصير على شبه ربنا. مُخَلِّصَنَا الْمَسِيحَ، الَّذِي خَلَّصَنَا مِنْ خَطَايَانَا وَأَجَلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ كَأَبْنَاءَ لَهُ وَوَارَثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، يَجْلِسُ الْآنَ عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ فِي الْأَعَالِي يَتَشَفَّعُ لَكَ، وَيُصَلِّي مِنْ أَجْلِي، يُحَامِي عَنْ اتِّهَامَاتِ الْمُشْتَكِيِّ إِبْلِيسَ، وَيُحْمِي كَنِيسَتَهُ، هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي يَتَشَفَّعُ فِيْنَا أَمَامَ الْآبِ.

"لنرفعن أعيننا إلى باب المقدس السماوي المفتوح حيث نرى مجد الله المضيء من وجه يسوع المسيح القادر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله" (روح النبوة، طريق الحياة، صفحة ٩٣-٩٤).

إن نعمته المخلصة ليست للأزمنة الأبدية الآتية، لكن ستصل إلى كمالها التام، لأن مسيحنا لن يترك من يثق باسمه كمخلص، ومن يأتيه طالبا غفرانه وسلامه. فلا يوجد مكان أو زمان، لن تصل إليه ذبيحة شفاعته لأجلنا، وهو يحقق وعده القائل "لن أهملك ولن أتركك".

يسوع حمل الله منذ تأسيس العالم، له كهنوت إلى الأبد، وشفيع دائم، لأجل هذه الصفات، فكل الذين تم خلاصهم منذ تأسيس العالم خلصوا به، وكل الذين سيخلصون إلى نهاية العالم سيتم خلاصهم بواسطته. كان وسيبقى الكاهن الأعظم، الذبيحة، الشفيع، ووسيط الجنس البشري. لاسمه كل تسبيح وقُدرة وكرامة إلى أبد الدهور.

يعني خلاص يسوع إلى التمام خلاصاً كاملاً لأي إنسان مهما بدى يائساً في نظر الناس، مثل الابن الضال الذي وصل إلى طريق مسدود، لكن ذراعا الآب الحنون ضمته بمحبة الغفران والقبول. تحكي القصة عن جندي في الحرب الأهلية الأمريكية طلب أن يعفى من الخدمة العسكرية كي يعتني بأمه وأخته بعد مقتل أخيه وأبيه.

ذهب إلى البيت الأبيض لمقابلة الرئيس، لكن الحراس لم يسمحوا له بالدخول. فجلس على مقعد جانبي، لاحظته ولد وسأله عن أمره، شرح له الجندي مشكلته. أخذ الولد يده وقاده، فعبّر مكان الحراس وذهب به مباشرة إلى مكتب الرئيس لنكولن. وقف الولد أمام الرئيس وقال له "بابا، هذا الجندي يريد أن يتكلم معك" كان ذلك الولد ابن الرئيس.

بهذه الكيفية يتشفّع الرب يسوع لأجلنا أمام الآب. عزيزي، يسوع وحده قادر على الخلاص، لم لا تأتي إليه بإيمان، وتطلب منه غفران خطاياك وقبولك ابناً له في ملكوته حاضراً ومستقبلاً؟

أَرْجِعْ إِلَى أَبِي

"فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَاهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ."

(لوقا ١٥: ٢٠)

في إنجيل لوقا ١٥ ركَّزَ الرَّبُّ يسوع على مبدأ المُسامحة وإعادة الَّذِينَ ابْتَعَدُوا عنه إلى حظيرة خرافه، كي يشفيهم ويفيدهم حيث نَطَقَ بثلاثة أمثال ليَصِفَ حالة الضَّياع للخروف والدرهم المفقود والابن الضال، وإِذْ وُجِدَ الضالين أقام الراعي والمرأة والأب فَرَحًا دعا إليه الجيران والأصدقاء لمُشاركته فرح عودة الضائعين إليه.

ما أروع قِصْدَ المسيح حين نَزَلَ إلى عالمنا كما أوضحه في لوقا ١٩: ١٠ "لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ". من بين الثلاثة أمثلة نجد أنَّ الابن الضال هو الوحيد الذي اعترف بضياعه وخطيئته كما نقرأ في لوقا ١٥: ١٨ "أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّامَكَ".

يتوقُّ الله كي يُظَهِّرَ عطفه عليّ، لكن ينبغي أن أعترف بخطيئتي، مثل الابن الضال، وأُصحِّحَ علاقتي أمام الله، بعد ذلك، أكون قادرًا على اختبار محبة مُخلصي اللامحدودة. الأب في هذا المثل يُظَهِّرُ حنانه وتقديره لأبنائه، لا أحتاج أن أتذكَّر أن الله يُقدِّرني، وإذا كنتُ أمينًا معه واعترفتُ بخطاياي، سيغفر لي ويُرحِّبُ بي إلى عائلته السماوية. يؤكد هذه الحقيقة النبي إشعياء مخاطبًا كنيسة المسيح (أنتم وأنا) "فَإِنَّ الْجِبَالَ تَرْوُلُ، وَالْأَكَامَ تَتَزَعَّرُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلَا يَرُولُ عَنْكَ، وَعَهْدُ سَلَامِي لَا يَتَزَعَّرُ، قَالَ رَاحِمُكَ الرَّبُّ".

بعد أن بَدَّرَ الابن مال أبيه بملذاته، وَجَدَ أنَّ الخنازير تأكل أفضل منه، رجع الابن إلى نفسه واتَّخَذَ طريق العودة إلى بيته. كانت كل أفكاره صحيحة وصائبة، إذ فكر أنه، بعد كُلِّ ما فعله، لم يعد له الحقَّ لأن يدعى ابن هذا الأب، حيث أضاع نتاج عمل الأب بعيشه المسرف.

رآه الأب من بعيد، وهذا يظهر أنه كان يُراقب الطريق، فعلى الرغم من أن الابن كان قد أخذ ميراثه، وتَرَكَ البيت إلا أنَّ الأب لم يكن غير مبالي. كان منتظرًا رجوعه يومًا بعد يوم، فلو كان قد استطاع أن يجده، لكان قد ذَهَبَ إليه والتمسه أن يرجع - كما يعظُّنا الرَّبُّ لتتصالح معه في (كورنثوس الثانية ٥: ٢٠ - ٢١).

ومثل الأب في ذلك المثل، كذلك أيضاً الله ينتظر الخراف الضالَّة، وعندما يعود أحدها، يركض إليها، يحتضنها ويحتضنه ويُقبِّلُهم، الأب ينسى ويمحي ماضي كُلِّ ابن يرجع، وأي مؤمن، أو أي خروف يرجع، لن يُدينه على ما فعل في الوقت الذي كان ضالًّا فيه، فتقول الكلمة في (كورنثوس الثانية ٥: ١٧) "إِذَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا".

إِذَا، فالأب في المثل، بدلاً من أن يطرد ابنه - كما يفعل الكثير من الآباء عندما يكتشفوا عصيان أولادهم، حتى وإن كانوا قد تابوا - وبدلاً من أن يضعه في فترة اختبار، وَقَعَ على عنقه وقَبَّلَهُ وَذَبَحَ له العجل المسمن - وَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ.

تقول السيِّدة ألن هوايت في وصف قرار الابن العودة إلى بيت أبيه "إن ذلك الابن الضال وهو في شقائه وَجَدَ رجاءً في اقتناعه بِمَحَبَّةِ أَبِيهِ. فتلك المحبة هي التي اجتذبت به إلى البيت. وهكذا نجد أنَّ يقين محبة الله هو الذي يحصر الخاطئ للرجوع إلى الله: "أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَفْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" رومية ٢: ٤ إنَّ سلسلة ذهبيَّة هي رحمة المحبة الإلهية وحنانها تُحِيطُ بِكُلِّ نَفْسٍ مُعْرِضَةٍ للخطر. والربُّ يُعلن قائلاً "مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَحَبَّتْكَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لَكَ الرَّحْمَةَ" (ارميا ٣١: ٣). (روح النبوة، المُعلِّم الأعظم، صفحة ١٩٣).

عزيزي، الله ينتظرك مثل الأب في مثل الابن الضال، إنه ينتظرك وبمجرد رؤيته لك عائداً، سيركض إليك ويقع على عنقك ويُقبِّلُك وسيبدأ في الاحتفال بعودتك. "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةِ وَتَسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لوقا ١٥: ٧). أبي المحبِّ، أعود إليك تائباً فأقبلني يا رَبِّي وَسَامِحْنِي عن بُعْدِي عَنْكَ. مَا أَحْلَى الرُّجُوعَ إِلَيْكَ وَالتَّمَتُّعَ بِغُفْرَانِكَ وَمَحَبَّتِكَ يَا إِلَهِي الْخُنُون. آمين.

خلاص رائع

"فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مَقْدَارُهُ؟ قَدْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتْ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا." (عبرانيين ٢: ٣)

سُمِعَ صوت الله ٣ مرّات يشهد لدور المسيح المسياني، كما أن حياة ربنا وخدمته، شهدت بذلك كي نُؤْمِنَ أَنَّ يسوع هُوَ المسيح، ابن الله، ومن خلال إيماننا تكون لنا حياة باسمه. كما قَدَّمَ تلاميذ المُخَلَّص من خلال التعليم والوعظ حق كلمته كما سمعوها من سيدهم، وتَثَبَّتَ ذَلِكَ بِحُلُولِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ، حَيْثُ نُخَسِتْ قُلُوبَ كَثِيرَةٍ لِذَاكَ الْحَقِّ - بَأَنَّ الَّذِينَ صَلَبُوهُ كَانَ رَبًّا وَمَسِيحًا.

قام فادينا يسوع من خلال حياته وخدمته بكثير من المعجزات - التي استمرت في السنين الأولى لكنيسته. وبنعمة الله تَجَدَّدَ هذه الشهادة في حياتنا اليوم، نتيجة عطايا روحه القدوس، إذ يُعْطِي لِكُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ وَإِرَادَتِهِ الْكَامِلَةِ. قَامَ اللَّهُ بِعَمَلِ كُلِّ مَا يَلْزِمُ، وَأَوْضَحَ الْحَقَّ فِي كَلِمَتِهِ لَشُعْبِهِ قَدِيمًا وَلَكِنْيَسْتِهِ عِبَرِ الْأَجْيَالِ، كِي تَعْرِفَ يَقِينًا بَأَنَّ نَسْلَ الْمَرْأَةِ الْمَوْعُودِ بِهِ كَانَ الْمَسِيحُ. وَشَهِدَ لَهُمْ وَلَنَا بِكُلِّ طَرِيقَةٍ مُمَكِّنَةٍ لِيُؤْمِنُوا وَنُؤْمِنَ نَحْنُ الْيَوْمَ بِعَمَلِ يَسُوعَ الَّذِي أَنهَاءَ عَلَى الصَّلِيبِ - لِأَنَّ إِرَادَتَهُ أَلَّا يَهْلِكَ أَحَدٌ، بَلْ نَأْتِي إِلَيْهِ مُؤْمِنِينَ. أَلَيْسَ مِنَ الْضَرُورِيِّ أَنْ نَنْتَبِهَ لِمَا تَقُولُهُ كَلِمَتُهُ الْمُقَدَّسَةُ، وَتَثِقَ بِمَوَاعِيدِهِ الْأَبَدِيَّةِ وَأَلَّا نَهْمَلَ خَلَاصَنَا الْأَبَدِيَّ؟ وَفِي قَوْلِهِ عَلَى الصَّلِيبِ "قَدْ أَكْمَلَ".

قَصَدَ أَنْ يَكُونَ الْخَلَاصُ كَامِلًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَ عَلَيْهِ شَيْئًا. فَالْكَامِلُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْمِيلٍ، وَلَا إِلَى تَعْدِيلٍ. وَخَلَاصُ الرَّبِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَعْمَالٍ، لِأَنَّهُ خَلَاصُ كَامِلٍ وَرَائِعٍ وَعَظِيمٍ. وَبِمَا أَنَّهُ رَائِعٌ وَعَظِيمٌ، فَمَنْ الْمُخِيفُ جَدًّا إِهْمَالُهُ أَوْ رَفْضُهُ. مَاذَا نَعْنِي عِنْدَمَا نَقُولُ إِنَّ الْخَلَاصَ رَائِعٌ لِأَنَّهُ خَلَاصُ رَبَّانِيٍّ؟ مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ لَيْسَ فَقَطْ أَنَّ الرَّبَّ صَنَعَ الْخَلَاصَ، بَلْ بِالْأُولَى إِنَّ الرَّبَّ بِشَخْصِهِ تَدَخَّلَ مُبَاشَرَةً فِي إِنْجَازِ هَذَا الْخَلَاصِ. فَهُوَ لَمْ يَسْتَخْدَمْ الْبَشَرَ لِإِنْجَازِهِ كَمَا لَمْ يَسْتَخْدَمْ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ أَرْفَعُ رَتَبَةً مِنَ الْبَشَرِ. وَهَذَا الْخَلَاصُ لَمْ يَكُنْ ارْتِجَالِيًّا، بَلْ وَضَعَتْ تَفَاصِيلُهُ مِنْذُ الْأَزْلِ.

ولهذا السبب نقرأ في كلمة الله عن أمر يُدْعَى "مشورة الله" وعن كون المسيح "مُشِيرًا" والروح القدس "روح المشورة". فالمشورة هي تلك التي تَمَّتْ فِي الْأَزْلِ بَيْنَ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، حَيْثُ تَطَوَّعَ الْمَسِيحُ بِبَذْلِ نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ الْبَشَرِ. وَإِلَّا فَمَا الْمَقْصُودُ بِقَوْلِ الْكِتَابِ إِنَّ الْمَسِيحَ "قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِرُوحِ أَزْلِيٍّ" وَإِنْ "دَمَ الْمَسِيحِ... مَعْرُوفٌ سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ"، كَمَا يُخْبِرُنَا الرُّسُولُ بَطْرُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى؟

هذا الخلاص الرائع هُوَ أَيْضًا مَجَّانِيٌّ، وَكَوْنُهُ مَجَّانِيًّا لَا يَعْنِي أَنَّهُ رَخِيسٌ أَوْ بِلَا قِيَمَةٍ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، إِنَّهُ غَالٍ وَكَرِيمٌ. وَهَذَا مَا جَعَلَ الرُّسُولَ بَطْرُسَ يَقُولُ لِقُرَّائِهِ: "عَالِمِينَ أَنَّكُمْ افْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءٍ تَقْنَى، بِغَضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مَنْ حَمَلَ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ، دَمَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس ١: ١٨-١٩). فَالْخَلَاصُ مَجَّانِيٌّ لِكَيْلَا يُحْرَمَ مِنْهُ أَحَدٌ حَتَّى وَلَوْ كَانَ فَقِيرًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ أُمِيًّا. وَمَا دَامَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ إِنْ رَفَضَ الْمَسِيحَ.

يستخدم بولس ٣ كلمات للحديث عن مجانية الخلاص: ١- النعمة التي تعني الهبة أو الهدية حيث يقول في أفسس ٢: ه "بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ". الْخَلَاصُ هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. خَلَاصٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَخَلَاصٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. ٢- الرَّحْمَةُ كَمَا نَقْرَأُ فِي تَيْطُسَ ٣: ه "بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بَعْثَلِ الْمِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ". لِنَأْتِ إِلَى الرَّبِّ طَالِبِينَ مِنْهُ الرَّحْمَةَ لِأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ عَطِيَّةٌ لَا نَسْتَحِقُّهَا، فَلَوْلَا رَحْمَةُ الرَّبِّ لَمَا كَانَ لَنَا أَمَلٌ فِي الْخَلَاصِ وَالْعُفْرَانِ.

٣- الْمَحَبَّةُ. يَقُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ٥: ٨: "إِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلَانَا". أَعَدَّ الْمَسِيحُ لَكَ وَلِي خَلَاصًا رَائِعًا بِدَمِهِ وَحَيَاتِهِ، وَيُقَدِّمُ لَنَا الْآنَ فُرْصَةَ الْقُدُومِ إِلَيْهِ وَقَبُولِهِ فَادِيًا لِحَيَاتِنَا، فَهَلْ نَقْبَلُ خَلَاصَهُ لِأَجْلَانَا؟

خلاصه في حياتي

"وَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلَبَّسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ."
(أفسس ٤: ٢٣-٢٤)

في هاتين الآيتين يتكلم الرسول بولس عن طريق يستطيع المؤمن أن يفصل نفسه عن خطيئة وخذاع حياته السابقة، التي سمّاها "الإنسان العتيق". هذا التحول ممكناً فقط بالمسيح للذين تعرفوا عليه كمخلصهم، وكرسوا قلوبهم وحياتهم له. ركز بولس على موضوع التجديد، لا سيما تجديد الذهن، في العديد من رسائله، ورآه في قوة واستمرارية علاقتنا بالمسيح. ودعا المؤمنين للعيش بحسب الروح بتركيز أذهانهم على الأمور الإلهية كما نقرأ في رومية ٨: ٥ "فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتُمُونَ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ".

لتوضيح هذا الأمر، يستعمل بولس فكرة اللباس حيث يقول في أفسس ٤: ٢٢ "أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْعُرُورِ". بكل ما فيه من خداع وشك وفساد، وبالمقابل أن "تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداصة الحق".

عندما يختبر الإنسان نعمة الله، ويحصل على الولادة الجديدة بالإيمان، تتغير حياته رأساً على عقب. ويستطيع بواسطة الروح القدس أن يسلك في طريق جديد مختلف تماماً عما عهده في السابق. إن الحياة الجديدة مع المسيح تبدأ منذ اللحظة التي يؤمن فيها الإنسان. وبما أن هذه هي البداية، فعلى المؤمن أن ينمو في الحياة المسيحية، وفي معرفة الرب يسوع المسيح مخلصه. وإذ آمنا بحق إنجيل المسيح للخلاص، فإن دليل تجديدنا يظهر في حياة مقدسة نابعة من تجديدنا من الداخل - من خلال قوة روح الله الساكن فينا، التي تظهر في حياة القداسة والبر. إن الانغماس في كلمة الحق تُنتج تجديدًا روحيًا، وتُعيننا لتجدد يوماً بعد يوم في درب القداسة.

وإذ أخذ المسيح مكاننا على الصليب ومات لفدائنا، فقد أعطانا طبيعة جديدة لنبدأ بمعونته حياة جديدة. يُذكرنا بولس أن طبيعتنا القديمة تحاول أن تحل محل حياتنا الجديدة، وتسيطر علينا من جديد، لذا، فإن المهم بعد تسليم حياتنا للمسيح، تجديد أذهاننا بالتأمل اليومي بكلمة الله والعيش بموجب مبادئها السامية. يُعطينا الخلاص "مستقبلاً ورجاءً". (ارميا ٢٩: ١١). ووعد الله بأن يُعطينا قلباً جديداً وروحاً جديدةً" (حزقيال ٣٦: ٢٦). في إنجيل يوحنا الأصحاح الثامن: ٤-١١ نقرأ قصة المرأة الزانية التي أُمسكت في ذات الفعل وأحضرها ليسوع كي تُرجم بحسب شريعة موسى.

وسألوا يسوع "فماذا تقول أنت؟" وبدلاً من إدانة المرأة، انحنى المخلص إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض، ولما ألحوا عليه للإجابة قال لهم "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بَلَا خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!" واستمر في الكتابة. وإذ نظر المشتكون إلى الأرض رأوا أمامهم أسرار حياتهم مسطورة على الأرض، فعاد كل منهم من حيث أتى تاركين المرأة عند قدمي يسوع. نظر إليها يسوع وقال "ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تُخطي أيضاً". قدّم لها الغفران وسامحها، لقد أعطتها نعمته رجاءً ومستقبلاً. يُقابلنا يسوع حيثما نكون ويفرح بإنقاذنا من حالتنا اليائسة. لا يوجد أي طريق مهما كان شديد الظلمة، يمنع يسوع من الوصول إلينا وتخليصنا. ولا توجد حياة مهما كانت خاطئة، تمنع فادينا من تقديم غفران نعمته ليعيد تجديدنا. يتكلم الرسول يعقوب عن علاقة إيماننا بخلاص الله، وكيف يؤثر إيماني على قراراتي اليومية. فإذا رأينا أخاً محتاجاً ولم نُقدّم له العون، فما فائدة التظاهر بالإيمان؟ تماماً مثل أن نقول بأننا نحب الله دون أن نتبع قيادته لحياتنا.

شكراً لك ربي لعظيم محبتك التي جعلت خلاصي ممكناً. شكراً للمستقبل الأفضل والرجاء الممنوح لي. أعطني أن أُولد بالماء والروح لأراك في ملكوتك عن قريب آتياً لتأخذ جميع أحبائك إلى الديار السماوية، لك المجد والكرامة إذ تُجدد حياتنا لتصير حسب مثالك. آمين.

يسوع الأسمى

"صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ." (عبرانيين ١: ٤)

يبدأ كاتب هذه الرسالة بالحديث عن سُمُو يسوع، ويشرح كيف أن الله كلمنا في هذه الأيام الأخيرة بابنه وارث الكل، وخالق العالمين وبهاء مجده، ورسم جوهرة الذي جلس عن يمين العظمة في الأعالي. فهو سام على الجميع بما فيهم الملائكة. كانت عبادة الملائكة والمخلوقات الروحية معروفة في زمن كتابة هذه الرسالة، حتى بين شعب الله قديماً الذي راوا في المسيح الآتي، أعظم من إبراهيم وموسى،

لذا حرص الكاتب على التأكيد أن يسوع ليس على نفس المستوى مع هذه المخلوقات، بل أسمى منها جميعها. ولا عجب أن أكد بولس في غلاطية ١: ٨ بقوة الإنجيل الذي بشر به "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيماً!" "أي ملعوناً".

يسوع بمركزه الإلهي كخالق الكل، وليس مخلوقاً كالملائكة، وعمله في مُصالحة الله والإنسان، كوسيط العهد الجديد، يجعله "أكثر سُمُوًا!" من أي مخلوق روحي، فيسوع المسيح- ليس ملاكاً، بل هو مُتميز كابن الله العظيم القوة الذي تعبده جميع الملائكة، وتسجد لاسمه القدوس كملك جبار. تواضع -إذ وُجد في الهيئة كإنسان- وتجسد كي يفقدنا ويموت عنا على الصليب، وبعد صعوده للسماء جلس عن يمين الله إلى الأبد. يشير الكاتب أيضاً إلى المركز الثلاثي ليسوع المسيح -ككاهن ونبى، وملك، إنه قائد عظيم يُكرم كل من يشاقق لخدمته، إذ تحدث أشياء عظيمة تحت قيادته، حيث يُشارك هؤلاء مكافأة إنجازاته.

كانت الملائكة هي التي سلّمت ناموس الله لموسى- لأن الملائكة هي "أرواحاً خادمة مُرسلة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عبرانيين ١: ١٤). خلقوا ليُلبوا أوامر الله. ولوقت قصير فالذي خلق هؤلاء الملائكة، تواضع ونصب خيمته بين الناس في العالم الذي خلقه وتجسد كواحد منا، لكن بدون خطية. خسر الإنسان كحاكم هذه الأرض لملاك مُتمرّد هو الشيطان، عندما أخطأ آدم وحواء في جنة عدن.

صحيح أن الملائكة كائنات مجيدة، ولكن يقول الكتاب المقدس إنهم يختلفون عن الذين آمنوا بالمسيح من بين البشر في أمور جوهرية هامة. فالملائكة، مثلاً، لا يفهمون تماماً معنى الخلاص من الخطية كما يفهمه البشر المؤمنون، ذلك أن الملائكة لم يخطئوا، فكيف يدركون معنى الخطية والخلاص منها؟ وللسبب عينه، لا يقدر الملائكة قيمة يسوع كما يقدره البشر الذين آمنوا به وهو مات عنهم على الصليب، وفتح باب الخلاص وأتاهم بالنور والحياة والخلود.

فلا غرابة إذاً أن يجلس المؤمنون في كرسي القضاء في المستقبل ليدنوا الملائكة، مع أن أولئك المؤمنين كانوا أنفسهم خطاة، وتحت الدينونة، لولا نعمة المسيح التي أنقذتهم.

إن أولئك الملائكة الذين سيمثلون أمام كرسي الدينونة، هم الذين سقطوا مع لوسيفر، أي إبليس، الذي تزعم حركة التمرّد على الله. وهذا يتفق مع ما قاله بولس وهو يكتب إلى الكورنثيين: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلَائِكَةً؟". (١ كورنثوس ٦: ٣). بل إن للملائكة الأطهار أيضاً محدودياتهم، مع ما ينسبه إليهم الكتاب المقدس من تفوق على البشر في أمور كثيرة.

يذكر "آدم كلارك" لاهوتي كبير في القرن ١٩ -سبعة أمور يسمو بها يسوع عن الملائكة وجميعها في عبرانيين الأصحاح الأول.

١- المسيح خالق، الملائكة مخلوقات. ٢- له اسم أفضل منهم (٥٤) ٣- تسجد للمسيح كل الملائكة (٦) ٤- حتى في تجسده نال عطايا أعظم منهم (٩٨) ٥- يسوع أبدي، ليس الملائكة (١٠-١٢)

٦- هو الأعظم تفوقاً (١٣) ٧- هم خدام لله، المسيح ابن الله. ربي، ما أعظم اسمك خالقي البار، ستبقى الأسمى في قلبي وفكري، هبني أن أكرمك في حياتي، وأتوق لرؤياك في مجيئك الثاني عن قريب. آمين.

رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ

"وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ." (فيلبي ٢: ١١)

يصلُّ بولس في هذه الآية إلى نهاية ترنيمة تعظيم المسيح التي بدأها في العدد السادس، بتركيز على مجد الله. وإذا تنحني كلُّ رُكْبَةٍ أمام يسوع، فجميع النَّاسِ، يوما ما، سيعترفون به ربًّا ومسيحًا. يُفَضِّلُ اللَّهُ عَمَلَ الاعتراف بالمسيح في هذه الحياة، طالما هناك فُرْصَةٌ للخلاص، بدلاً من بعد الموت، حيث سيكون الوقت متأخراً.

مجدُّ الله موضوع نراه في كلا العهد القديم حيث مجدَّ داود الله في زمزمور ١٩: ١ "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَأَلْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ". وفي العهد الجديد تكلم يسوع عن مجد الله، عند إقامة لعازر، ورأى استفانوس مجد الله قَبْلَ أَنْ يَمُوت. ويلهِّجُ الْمُؤْمِنُونَ في رجاء "مجد الله" (رومية ٥: ٢).

سيكون نوعان من النَّاسِ: مَنْ سيعترفون بالمسيح ربًّا وَمُخْلِصًا فَرَحِينَ، والبعض الآخر سيجبرون على الاعتراف به ربًّا وديَّانًا، لكنهم سيقون تحت دينونته الرهيبة. البعض يرفضونه وَيُجَدِّفُونَ عليه- بينما يتمجدُّ الله بِقَدِّيسِهِ والخُطَاةِ، وسيأتي اليوم الذي فيه، كُلُّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ سَيَتَحَقَّقُ، حيث ستجثو لاسم يسوع كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ، وسيكون المسيح الكلُّ في الكلِّ.

المحبوب الرَّبُّ يسوع المسيح، ابن الله الأزلي، وَضَعَ مجده السَّماوي جانباً إلى حين، وَوُلِدَ للجنس البشري، كي يُنْقِذَ خِطَةَ اللَّهِ لِفِدَاءِ الْإِنْسَانِيَةِ مُنْذُ الْمَاضِي السَّحِيقِ، إِذْ دَفَعَ بِمَوْتِهِ ثَمَنَ خَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ لِأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتٌ. فَأُجْرَةُ خَطِيئَتِكَ، وَخَطِيئَتِي وَخَطَايَا الْعَالَمِ هِيَ مَوْتٌ- وهذا الثَّمَنُ الْبَاهِظُ، دَفَعَهُ يسوع بموته. كان ذلكَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ خَطَّتِهِ الرَّائِعَةِ. ولكونه الله الأزلي، لم يَكُنْ لِلْمَوْتِ سُلْطَانًا عَلَيْهِ، إِذْ أَنَّهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ، فَقَامَ مِنَ الْمَوْتِ رَئِيسًا لِلخَلِيقَةِ الْجَدِيدَةِ، الَّتِي يُمْكِنُ لْجَمِيعِ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي طَبِيعَةِ آدَمِ الْقَدِيمَةِ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَيْهَا.

يا لها من خِطَّةٍ عَظِيمَةٍ تُبْرِهِنُ عَلَى جُودِ اللَّهِ، نِعْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ الَّتِي دَفَعَتْهُ لِيُخَلِّصَنَا لِكِي كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ (موته، دفنه وقيامته).. ينال الفداء، وَيُصْبِحُ جُزْءًا مِنْ خَلِيقَتِهِ الْجَدِيدَةِ، وورث خلاص ويُعْطَى قُوَّةً مِنَ الْأَعَالِي لِيَعِيشَ حَيَاةَ تَكْرَمِ اللَّهِ- إِذَا آمَنَ بِشَخْصٍ وَعَمَلَ بِيسوع. والذين نالوا الخلاص بالنِّعْمَةِ بِالْإِيمَانِ، سيعترفون بيسوع كَمُخْلِصِهِمْ وَرَبِّهِمْ، ويدخلوا إلى فَرْحِهِ السَّماويِّ، بينما الذين منعتهُم كبريائهم من الاعتراف به إِلَهًا لَهُمْ وَرَفَضُوا هَبَّةَ خَلَاصِهِ الْمَجَانِّيَّةِ، سيعترفون بيسوع المسيح ربًّا لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ، لكنهم سيُحْرَمُونَ لِلأَبَدِ مِنْ فَرْحِ السَّمَاءِ، الَّذِي قُدِّمَ لِلْجَمِيعِ مَجَانًّا مِنْ خَالِقِهِمُ الْحَنُونِ، وَرَفَضُوا بِكبريائهم هذه الهبة- سَيَنَالُونَ غَضَبَ اللَّهِ الْمُعْلَنَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْفُجَّارِ.

والمسيح، بحسب إنجيل متى وحده، قَبْلَ السَّجُودِ فِي ثَمَانِي مَنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. مِنْ يَهُودٍ وَأُمَمٍ، مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، مِنْ أَفْرَادٍ وَجَمَاعَاتٍ، قَبْلَ الصَّلِيبِ وَبَعْدَ الْقِيَامَةِ. بَدَأَ بِالْمَجُوسِ الَّذِينَ حِينَ رَأَوْا الْمَسِيحَ، أَمَكْنَهُمْ مِنْ خِلَالِ حِجَابِ الْإِتِّصَاعِ وَسِتَارِ الْفَقْرِ، أَنْ يَرَوْا مَجْدَهُ. وَحِينَ كَانَ يَسُوعُ مُعْلَقًا فَوْقَ الصَّلِيبِ، قَالَ اللَّصُّ التَّائِبُ لِلْمَسِيحِ: "اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتُ فِي مَلَكُوتِكَ" (لوقا ٢٣: ٤٢).

لقد رَأَى فِيهِ اللَّصُّ أَنَّهُ الْمَلِكُ وَهُوَ مُعْلَقٌ فَوْقَ الصَّلِيبِ، وَرَأَى فِيهِ الْمَجُوسُ أَنَّهُ مَلِكُ الْيَهُودِ وَهُوَ مَا زَالَ طِفْلاً. فِي بَدَايَةِ الْمَسَارِ سَجَدَ لَهُ هَؤُلَاءِ الْمَجُوسُ بِاعْتِبَارِهِ اللَّهَ، وَفِي نَهَايَةِ الْمَسَارِ صَلَّى إِلَيْهِ اللَّصُّ التَّائِبُ بِاعْتِبَارِهِ الرَّبَّ! عَزِيزِي، لَيْسَ أَحَدٌ مُسْتَحَقًّا لِسُجُودٍ مِثْلَ رَبِّ الْمَجْدِ. وَإِذَا كَرَّسْنَا أَنْفُسَنَا لِلرَّبِّ الْمَسِيحِ، سَنَفْرَحُ مَعَهُ وَسَنَأْتِي بِالسُّرُورِ لِقَلْبِ مَنْ أَحَبَّنَا وَفَدَانَا، وَسَنُحْمَدُ اللَّهَ الْآبَ الَّذِي فَدَانَا مَاضِيًا وَحَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا مِنَ الْخَطِيئَةِ. لِنَتَّكِلْ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ، وَنَضْمُ صَوْتَنَا لِلرَّسُولِ بُولَسَ فِي كُولُوسِي ١: ١٨ "لِكِي يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ".

أُمْلِي أَنْ يَبْقَى الْفَادِي يسوع ربًّا لِحَيَاتِنَا الْآنَ، وَعَنْ قَرِيبٍ فِي أَمْجَادِهِ السَّماوِيَّةِ. لَهُ كُلُّ أَكْرَامٍ وَسُجُودٍ. آمِينَ.

يسوع الأعظم في التاريخ

"وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ." (أفسس ١: ٢٢)

يَقْتَبِسُ الرَسُولُ بُولُسُ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ مَزْمُورِ ٨: ٦ "تَسْلُطُهُ عَلَى أَعْمَالٍ يَدِيكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ"، وَيَتَابَعُ حَدِيثَهُ عَنْ تَعْظِيمِ الْمَسِيحِ فَوْقَ أَيِّ سُلْطَانٍ. يَبْدَأُ بِفِكْرَةِ جُلُوسِهِ عَنْ يَمِينِ الْآبِ، تَلِيهَا فِكْرَةُ وَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ وَتَسْلُطِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. يُخْبِرُنَا فِي الْآيَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ أَفْسُسَ ١ "لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، فِي ذَلِكَ". فَهُوَ رَبُّ الْكَوْنِ الْأَعْظَمِ- رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ. فَقَائِدُ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْمَلِكِ يَسُوعِ، سَيَحْكُمُ الْعَالَمَ عَنْ قَرِيبٍ، وَعَبْرَ أَجْيَالٍ أَبَدِيَّةٍ. سَيَكُونُ الْمَسِيحُ الْحَيُّ الْمَقَامُ فِي سُمُوهِ أَعْظَمَ هَدِيَّةٍ لِكَنِيسَتِهِ الَّتِي سَمَّاها بُولُسُ "كَنِيسَةُ اللَّهِ الْحَيِّ عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ" (١ تيموثاوس ٣: ١٥).

الْإِنْخِرَاطُ فِي الْكَنِيسَةِ، جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَيَّةِ، وَالْمَبْنِيَّةِ عَلَى صَخَرِ الدُّهُورِ يَسُوعِ- ضَرْوَرِي لِنَمُو الْأَعْضَاءِ رُوحِيًّا. وَرَغْمَ أَنْ الْكَنِيسَةَ لَيْسَتْ كَامِلَةً، لَكِنَّهَا عَائِلَةٌ الْمُؤْمِنِينَ يَعْمَلُونَ مَعًا وَيَخْدُمُونَ كَعُرُوسِ الْمَسِيحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ وَحْدَةً وَتَعَاوُنَ كَجَمَاعَةٍ وَأَفْرَادٍ. إِذْ نَكُونُ جُزْءًا مِنَ الْكَنِيسَةِ، يَعْنِي أَنْ نُحَقِّقَ قَصْدَ اللَّهِ وَنَبْنِيَ أَسَاسَ نُمُونِ الرُّوحِيِّ. وَبِقُوَّةِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمَةِ، وَضَعِ الْمَسِيحِ فَوْقَ الْكُلِّ، وَرَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَمْلَأَ يَسُوعُ كَنِيسَتَهُ بِمَلَأِ رُوحِهِ الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.

لَقَدْ فَشَلَ آدَمُ الْأَوَّلُ لِيَحْكُمَ عَلَى مَا أَوْكَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ آدَمَ الثَّانِي سَيَنْجَحُ فِي حُكْمِ خَلِيقَتِهِ فِي الْكَوْنِ، وَسَيَخْضَعُ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَةِ الْمَسِيحِ يَوْمًا مَا.

يُقَدِّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يَسُوعَ أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ الَّذِينَ عَاشُوا مِنْ قَبْلِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ. فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ الْخَلِيقَةِ، إِذْ هُوَ خَالِقُ الْكُلِّ، كَمَا أَوْضَحَ بُولُسُ فِي كُولُوسِي ١: ١٦ "الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ". وَبِرَهْنٍ عَلَى سُلْطَانِهِ عَلَى الْخَلِيقَةِ عِنْدَمَا هَذَا أَمْوَاجُ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَثْنَاءَ الْعَاصِفَةِ (مَرْقُسَ ٤: ٣٩) وَأَطْعَمَ الْأَلْفَ بِسَبْعَةِ خُبْزَاتٍ وَقَلِيلٍ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ (مَرْقُسَ ٨: ٦-٩)، وَأَعَادَ الْبَصَرَ لِلْعُمِيِّ (مَرْقُسَ ٨: ٢٢-٢٦)، وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ (مَرْقُسَ ٦: ٤٨).

يَسُوعُ أَيْضًا أَعْظَمُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. كَانَ يَسُوعُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الْيَهُودِ عَنْ أَصْلِهِمْ فَسَأَلُوهُ "أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ؟" فَكَانَ جَوَابُ الْمَسِيحِ صَدَمَةً لَهُمْ إِذْ قَالَ "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يُوحَنَّا ٨: ٥٣ و ٥٦ و ٥٨).

فِي حَدِيثِ يَسُوعَ مَعَ الْمَرْأَةِ السَّامِرِيَّةِ عِنْدَ بَثْرَ يَعْقُوبَ تَكَلَّمَ مَعَهَا عَنِ الْمَاءِ الْحَيِّ، فَسَأَلَتْهُ فِي يُوحَنَّا ٤: ١٢ "أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا يَعْقُوبَ؟". أَجَابَهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِأَنْ الْمَاءَ الَّذِي يُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعُ مَاءٍ يَنْبُغُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. فَيَسُوعُ أَعْظَمُ مِنْ يَعْقُوبَ. أَمَّا مُوسَى، الَّذِي يُعْتَبَرُ أَكْثَرَ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَكَانَ مُعْطِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي اسْتَلَمَهَا مِنَ اللَّهِ، وَتَمَتَّعَ بِالتَّكَلُّمِ مَعَ اللَّهِ "وَجْهًا لَوَجْهِهِ كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ" (خُرُوجَ ٣٣: ١١). وَقَبْلَ مَوْتِهِ، أَوْصَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَتَرَقَّبُوا نَبِيًّا آخَرَ مِثْلَهُ "لَهُ تَسْمَعُونَ" (تَثْنِيَّةُ ١٨: ١٥). يَسُوعُ قَدْ تَمَّمَ النَّامُوسَ وَحَرَّرَنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ مُوسَى.

فِي أَيَّامِ يَسُوعَ كَانَ اللَّقَبُ الشَّائِعُ لِلْمَسِيحِ "ابْنُ دَاوُدَ" لِاعْتِقَادِ النَّاسِ الْمُسْتَنْدِ عَلَى النُّبُوَّةِ بِأَنَّ الْمَسِيحَ سَيَكُونُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ. فِي حِوَارِ دَارٍ فِي الْهَيْكَلِ، أَشَارَ الْمُخْلِصُ إِلَى قَوْلِ دَاوُدَ عَنِ الْمَسِيحِ "رَبِّي" (مَتَّى ٢٢: ٤٥). فَابْنُ دَاوُدَ أَعْظَمُ مِنْ دَاوُدَ وَلَهُ أَصْلُ مُلُوكِيٍّ أَسْمَى مِنْ نَسْلِهِ الْأَرْضِيِّ. كَانَ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ الَّذِي فِي كُلِّ مَجْدِهِ لَمْ يَلْبَسْ كَزْنَبَقَةَ الْحَقْلِ الَّتِي صَنَعَهَا الْمَسِيحُ.

يَسُوعُ الْأَعْظَمُ فَكُلُّ الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ فِي التَّارِيخِ، لَا يُوزَوْنَ نُورَ مَجْدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَا يُوجَدُ اسْمٌ آخَرُ بِهِ نَنَالُ الْخَلَاصَ سِوَى مَسِيحِنَا الْمُبَارَكِ. أَشَارَ إِلَيْهِ بُولُسُ "فَإِنَّهُ فِيهِ يَحُلُّ كُلُّ مَلَأِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا" (كُولُوسِي ٢: ٩). وَعَنْ قَرِيبٍ، سَيُخْضَعُ الْمَسِيحُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيُعْتَرَفُ كُلُّ لِسَانٍ بِهِ رَبًّا لِمَجْدِ الْآبِ. فَهَلِ الرَّبُّ يَسُوعُ الْأَعْظَمُ فِي حَيَاتِكَ وَحَيَاتِي؟ لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْمَجْدُ. آمِينَ.

لا سَمِ يَسُوعَ هَلِّلُوا

"لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ. لِكَيْ تَجْتُوبَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ." (فِيلِبِّي ٢: ٩ و ١٠)

"لِذَلِكَ" في بداية هذه الآية تُشير إلى ما قاله بولس عن مثال يسوع الأعظم في تواضعه إذ جاء لعالمنا كعبد، وعاش في الطاعة، ومات على الصليب. "لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا". نرى فكرة "الارتفاع" في الكتاب المقدس بالنسبة لـ "مملكة داود" في ١ أخبار الأيام ١٤: ٢، وفي مزمور ٩٤: ٩ يتعالى الله كما نقرأ "شَرَفَاءُ الشُّعُوبِ اجْتَمَعُوا. شَعْبُ إِلَهٍ إِبْرَاهِيمَ. لِأَنَّ لِلَّهِ مَجَانُّ الْأَرْضِ. هُوَ مُتَعَالٍ جَدًّا".

يسمو يسوع كابن داود الاتي ورَبِّ. يتعالى اسم يسوع والذي يعني "الله يُخَلِّصُ" لينال الكرامة والقوة فوق أي اسم آخر على الأرض. لقد تَمَّ كُلُّ النبوءات عن المسيح – الخادم المُتَّام والذي قام حيًّا، وسيأتي عن قريب ليملك للأبد. ستجتو لاسم يسوع كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وهذا يشمل ربوات الملائكة، وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ يُشير إلى النَّاسِ العائشين في زَمَنٍ بولس وَالَّذِينَ يَعِيشُونَ الْآنَ، وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ أي الَّذِينَ ماتوا والشیطان وملائكته الأشرار الَّذِينَ يَخْضَعُونَ لِقُوَّةِ الرَّبِّ (رؤيا ٢٠).

وفي المُستقبل، سينحني كُلُّ كائن أمام الرَّبِّ، الذي يستحقَّ عَن جِدَارَةٍ إذ تواضع كَعَبْدٍ عندما كَانَ عَلَى الْأَرْضِ. فأمام هذا الاسم المبارك، تنحني كُلُّ الصَّعُوباتِ، والأمراضِ، والمشاكل التي تعترض طريقك، وسيُعطيك له المجد الانتصار عليها بمَعُونَةِ رُوحِهِ الْقُدُّوسِ.

في إحدى عظاته، بعنوان "يسوع رَبِّ"، قال جون سكوت: "عند تنويع جلاله الملكة في كندراتية ويست مينيستر، تكون أكثر اللحظات المثيرة هي عندما يُوشك أن يُوضَعَ التَّاجُ على رأسها، وعندما يصيح رئيس أساقفة كاتربري، المواطن الأول في البلاد، أربع مرَّات باتجاه البوصلة في الكنيسة، شمالاً، جنوباً، شرقاً وغرباً، أيها السَّادَة، أَقْدَمُ لَكُمْ الْمَلِكَةُ التي بلا شَكٍّ مَلِكَةُ على هذه المملكة. هل أنتم مُستعدُّون لتقدِّموا لها الولاء؟ لا يوضع التاج على رأس الملكة حتى يتم سماع صراخ الموافقة في صحن الكنيسة أربع مرَّات". ثم يُضيف جون سكوت، "وأقول لكم في هذه الليلة، أيها السيِّدات والسَّادَة، أَقْدَمُ لَكُمْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مَلِكاً وَرَبّاً لا جدال حوله. هل أنتم مُستعدُّون لتقديم الولاء له؟"

يسوع- الاسم الشائع لدى عامة النَّاسِ في زَمَنٍ ميلاده- صارَ الاسم الأعظم بين مَنْ تسمُّوا بِذَلِكَ الاسم- لِأَنَّ اسمه الأعظم في السَّمَاءِ وعلى الْأَرْضِ، عَبْرَ الزَّمانِ والأبديَّةِ. إِنَّهُ إِنْسَانٌ مُمَيَّزٌ، كَلِمَةُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدِ، وريثُ أبديٍّ، وأعظم وأعلى مِنْ أي شيء نطلبُه أو نتصوِّره. صارَ خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، كي نصير نحنُ الَّذِينَ نَسْتَحِقُّ عِقُوبَتَهَا، أبراراً ونلبسُ ثوبَ طهارته الكامل. ما أَعْدَبَ هذا الاسم في أَدْنَى الْمُؤْمِنِ، لِأَنَّ اسمه يشملُ طهارةً وأبديَّةَ صفاتِ اللَّهِ مع كمالِ بَشَرِيٍّ، وكُلُّ ثمارِ الرُّوحِ التي يطلبُها اللَّهُ مِنَ الْإِنْسَانِ. يسوع- اسم موسيقيٍّ في أُذُنِ كُلِّ خَاطِئٍ يَمْنَحُهُ الْخِلاصَ بِنِعْمَتِهِ، ويشفى كُلَّ جُرْحٍ ويحرره مِنَ الْخَوْفِ.

يسوع المسيح – رئيس إيماننا ومُكَمِّلُهُ، وكاهننا الأعظم- راعينا وملِكنا، نسل المرأة الذي سَحَقَ رَأْسَ التَّيْنِ الْعَظِيمِ الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ الْمَدْعُو إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ. أَنْبَأَتْ بُبُوءَاتُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِمَجِيئِهِ وَتَحَقَّقَتْ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. كَانَ مُحَوَّرُ تَوَقُّعَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَرُؤْيَا الْآبِ السَّمَاوِيِّ، التي أعطانا إياها. يسوع مُعْطِي الرَّاحَةِ وَمَانِحِ السَّلَامِ لِكُلِّ الْمُتَعَبِينَ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَصَارَ إِنْسَاناً لِيُخَلِّصَنَا وَأَصْبَحَ كَاهِنُنَا الْأَعْظَمُ، وَذَبِيحَتَنَا الْكَفَّارِيَّةَ.

هُوَ رَئِيسُ الْكَنِيسَةِ وَكَلِمَةُ اللَّهِ، يَلِيقُ بِكَ رَبِّي يَسُوعَ كُلِّ حَمْدٍ وَكَرَامَةٍ وَمَجْدٍ، وَلا سَمَكَ كُلِّ تَسْبِيحٍ مِنْ شَفَاهِ تَنَاطِقِ الشُّكْرِ لِعَظِيمِ خِلاصِكَ الْعَجِيبِ. أَصْمُ صَوْتِي فِي تَرْنِيمَةِ التَّسْبِيحِ "لِاسْمِ يَسُوعَ هَلِّلُوا، لِتَسْجُدِ الْأَمْلاَكُ. أَكَلِيلَ مُلْكِكَ كُلُّوا رَبِّ الْجَمِيعِ ذَاكَ. لَوْذُوا بِهِ وَقَدِّسُوا، رَبِّ الْجَمِيعِ ذَاكَ".

يسوع رؤيا الله العظيمة

"وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نِيرَّةٌ ظَلَّتَهُمْ، وَصَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا" (متى ١٧: ٥)

جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس حيث سأل تلاميذه في متى ١٦: ١٣-١٧ "مَنْ يَقُولُ النَّاسُ أَنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟". ثُمَّ وَجَّهَ السُّؤَالَ لَهُمْ شَخْصِيًّا "وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟" فَأَجَابَ بَطْرُسُ: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!". أَكَّدَ الْمُخَلَّصُ لِبَطْرُسُ أَنَّ الْآبَ السَّمَاءِيِّ قَدْ أَعْلَنَ لَهُ ذَلِكَ. تَحَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ لِتَلَامِيذِهِ عَنِ آلامِهِ وَمَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ فَأَبْتَدَأَ بَطْرُسُ يَنْتَهَرُهُ قَائِلًا "حَاشَاكَ يَا رَبُّ. لَا يَكُنْ لَكَ هَذَا". انْتَهَرَ الْفَادِي بَطْرُسَ، وَأَكَّدَ لِتَلَامِيذِهِ فِي (متى ١٦: ٢٧ و٢٨) "فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ".

بعد ذلك بنحو أسبوع، أَرَادَ الْمَسِيحُ أَنْ يُثَبِّتَ لَهُمْ ضَرُورَةَ صَلْبِهِ، فَأَخَذَ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا مَعَهُ وَصَعِدَ الْجَبَلَ لِيَصْلِيَ. اخْتَارَ التَّلَامِيذَ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ سَيُشَاهِدُونَ أَحْزَانَهُ وَالْآمَةَ فِي جُثْسِيْمَانِي لِلصُّعُودِ مَعَهُ إِلَى الْجَبَلِ، أَمَّا التَّلَامِيذُ التَّسْعَةُ الْآخَرُونَ فَتَرَكَهُمْ مَعَ الْجُمْهُورِ عِنْدَ أَسْفَلِ الْجَبَلِ. لَا نَعْرِفُ كُلَّ تَفَاصِيلِ مَا حَدَّثَ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ الَّذِي سَمَّاهُ بَطْرُسُ بَعْدُذَ "الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ". (٢ بطرس ١: ١٨). لَكِنْ يُرَجَّحُ أَنَّ الْأَرْبَعَةَ بَلَّغُوا قِمَّةَ الْجَبَلِ فِي آخِرِ النَّهَارِ. وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَسِيحُ مُنْصَرِّفًا بِكَلِيَّتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، تَنَقَّلَ التَّلَامِيذُ الثَّلَاثَةُ بِالنَّوْمِ.

كَبَّتِ السَّيِّدَةُ هَوَايَتَ وَصَفَاءَ تِلْكَ الصَّلَاةِ "فَعِيمَا كَانَ جَائِيًا فِي تَوَاضُعٍ وَانْسِحَاقٍ عَلَى الْأَرْضِ الْمُحْجَرَةِ إِذَا بِالسَّمَوَاتِ تَنْفَتَحُ فَجَاءَ وَالْأَبْوَابُ الذَّهَبِيَّةُ، أَبْوَابُ مَدِينَةِ اللَّهِ تُفْتَحُ عَلَى سَعَتِهَا وَيُشْرِقُ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ نَوْرٌ بَاهِرٌ يُحِيطُ بِجِسْمِ الْمُخَلَّصِ، فَيُشْرِقُ نَوْرُ الْأُلُوهِيَّةِ مِنَ الدَّخْلِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، وَيَلْتَقِي بِالْمَجْدِ الْآتِي مِنْ فَوْقِ. وَإِذْ يَنْهَضُ عَنِ الْأَرْضِ يَقِفُ بِجَلَالِهِ الْإِلَهِيِّ وَقَدْ زَالَهُ حَزْنُهُ النَّفْسِيِّ. وَإِذَا وَجْهُهُ يُضِيءُ "كَالشَّمْسِ" وَثِيَابُهُ تَلْمَعُ "بِضَاءً كَالنُّورِ" (متى ١٧: ٢) ("رُوحُ النَّبُوَّةِ"، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ"، صَفْحَةُ ٣٩٩).

كَانَ الْهَدَفُ مِنْ تَجَلِّيِ الْمَسِيحِ فِي شَيْءٍ يَسِيرُ مِنْ مَجْدِهِ السَّمَاءِيِّ لِكَيْ يَفْهَمَ تَلَامِيذُهُ "الْمُقَرَّبِينَ" مَنْ هُوَ يَسُوعُ بِصُورَةِ أَفْضَلٍ. لَقَدْ تَغَيَّرَتْ هَيْئَةُ الْمَسِيحِ بِصُورَةِ دَرَامِيَّةٍ لِكَيْ يَتِمَكَّنَ تَلَامِيذُهُ مِنْ رُؤْيَتِهِ فِي مَجْدِهِ. فَالتَّلَامِيذُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَرَفُوهُ فَقَطْ فِي جَسَدِهِ الْبَشَرِيِّ، أَدْرَكُوا الْآنَ أُلُوهِيَّةَ الْمَسِيحِ، رَغْمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوهُمَا بِالْكَامِلِ. وَهَذَا أَعْطَاهُم الثِّقَّةَ وَالتَّوَكُّدَ لِلَّذِينَ كَانُوا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِمَا بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا الْأَخْبَارَ الْمَفْرُوعَةَ عَنْ مَوْتِهِ الْمُتَوَقَّعِ. ظَهَرَ مُوسَى وَإِيلِيَا وَتَحَادَّثَا مَعَ يَسُوعَ عَنْ مَوْتِهِ الْمُزْمَعِ أَنَّ يَحْدُثُ.

أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُ رَجُلَيْنِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَهُمَا مُوسَى - كَلِيمُ اللَّهِ الْمُتَّصِفُ بِالْحُلْمِ وَالْوَدَاعَةِ، وَمُعْطِي شَرِيعَةِ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، هَذَا دَفَنَهُ اللَّهُ قَبْلَ هَذَا الْحَادِثِ بِنَحْوِ ١٥٠٠ سَنَةٍ فِي رَأْسِ جَبَلٍ، وَلَا يُعْرَفُ قَبْرُهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، وَإِيلِيَا رَجُلُ اللَّهِ الْجَبَّارَ الْمَلِيَّ بِالنَّشَاطِ وَالْغِيْرَةِ وَمُحَارِبَةَ الشَّرِّ، حَتَّى أَنَّهُ سُمِّيَ بِالنَّبِيِّ النَّارِيِّ، الَّذِي صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ قَبْلَ هَذَا الْحَادِثِ بِنَحْوِ أَلْفِ سَنَةٍ فِي مَرْكَبَةِ نَارِيَّةٍ، وَلَمْ يَمْسَسْهُ الْمَوْتُ الطَّبِيعِيُّ.

وَعَلَى الْجَبَلِ كَانَ مَلَكُوتُ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ مُمَثَّلًا بِكَيْفِيَّةٍ مُصَغَّرَةٍ - فَالْمَسِيحُ هُوَ الْمَلِكُ، وَمُوسَى يُمَثِّلُ الْقَدِيسِينَ الْمُقَامِينَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَإِيلِيَا يُمَثِّلُ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ سَتَتَغَيَّرُ أَجْسَادُهُمْ.

وَإِذَا كَانَ التَّلَامِيذُ شَاخِصِينَ فِي الْمَنْظَرِ، "إِذَا سَحَابَةٌ نِيرَّةٌ ظَلَّتَهُمْ، وَصَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا". وَإِذَا شَاهَدُوا سَحَابَةَ الْمَجْدِ وَسَمِعُوا صَوْتَ اللَّهِ بِجَلَالٍ مَهِيبٍ، خَافَ التَّلَامِيذُ، لَكِنَّ يَسُوعَ بَدَأَ مَخَافَهُمْ بِقَوْلِهِ "قَوْمُوا وَلَا تَخَافُوا". اَعْتَبَرُ ذَلِكَ التَّجَلِّيَ صُورَةً عَنْ مَجِيئِهِ ثَانِيَةً، كَانَ الْهَدَفُ مِنْهَا تَقْوِيَةُ إِيمَانِ التَّلَامِيذِ وَإِيمَانِنَا. عَظِيمٌ أَنْتَ رَبِّي فِي جَلَالِكَ وَمَجْدِكَ وَعَظِيمٌ فِي اهْتِمَامِكَ بِنَا.

المسيح - مُعَلِّمٌ وَسَيِّدٌ

"أَنْتُمْ تَدْعُونِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ." (يوحنا ١٣: ١٣)

قال يسوع هذه الكلمات بعد أن غَسَلَ أَرْجُلَ تلاميذه وأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ وأَرَادَ شَرْحَ مَا صَنَعَ لتلاميذه. كانت عادةً غَسْلِ الأَرْجُلِ في الأعياد قَبْلَ الأَكْلِ يقوم بها الخادم، فإذا اجْتَمَعَ المُخَلِّصُ مَعَ تلاميذه لَتَنَاوُلِ الفِصْحِ، انتَظَرَ كي يقوم أحدهم بغَسْلِ الأَرْجُلِ، لكنَّ كبريائهم ونزاعهم مَن مِنْهُمْ سَيَكُونُ الأعْظَمُ، مُنَعَتْهُمْ من القيام بهذه الخدمة الوضيعة.

نقرأ في يوحنا ١٣: ٣-٥ عَمَّا فَعَلَهُ الْفَادِي "يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِئْشَقَةً وَأَتَزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِئْشَقَةِ الَّتِي كَانَ مُتَزِّرًا بِهَا".

نقرأ وصفاً لما حَدَثَ "لَقَدْ عَرَفَ أَنَّ الْآبَ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي. كَانَ عِنْدَهُ إِحْسَاسٌ كَامِلٌ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ خَلَعَ عَنْهُ تَاجَ الْمُلْكِ وَثِيَابَ الْمَلِكِ وَأَخَذَ صُورَةَ عَبْدٍ. لَقَدْ كَانَ بَيْنَ آخِرِ أَعْمَالِهِ الَّتِي قَامَ بِهَا عَلَى الْأَرْضِ أَنَّهُ تَمَنَّقَ كَعَبْدٍ وَقَامَ بِعَمَلِ الْعَبِيدِ. وَلَكُونِهِ مُتَفَوِّقًا جِدًّا وَسَامِيًّا إِلَى أَقْصَى حَدٍّ فَقَدْ أَضْفَى عَلَى هَذِهِ الْخِدْمَةِ أَهْمِيَّةً وَنِعْمَةً عَظِيمَتَيْنِ.

لَمْ يَكْلَفْ إِنْسَانًا بِهَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ، فَلَقَدْ اعْتَبَرَهُ ذَا أَهْمِيَّةٍ عَظِيمَةٍ جِدًّا بَحِثُ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ الْمُعَادِلُ لِلَّهِ، اتَّخَذَ مِنْ تَلَامِيذِهِ مُوقِفَ الْخَادِمِ. إِذَا بِهِ هُوَ الَّذِي لَهُ سَتَجِثُو كُلَّ رُكْبَةٍ، وَالَّذِي يَعْتَبِرُ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ خِدْمَتَهُ كِرَامَةً وَمَجْدًا عَظِيمَيْنِ يَنْحَنِي لِيَغْسِلَ أَرْجُلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُوهُ سَيِّدًا بِمَا فِيهِمْ يَهُودًا مُسْلِمَةً" (روح النبوة، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، "صفحة ٦١٤-٦١٥).

عَانَى التَّلَامِيذُ مِنْ مُشْكَلَةٍ خَطِيرَةٍ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عِلَاجِهَا قَبْلَ أَنْ يُصْبِحُوا قَادِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِالْمِهْمَةِ الَّتِي أَرَادَ أَنْ يَقُومَ بِهَا تَلَامِيذُهُ بَعْدَ أَنْ يُفَارِقَهُمْ وَيَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ. هَذِهِ الْمَشْكَلَةُ هِيَ بِاخْتِصَارِ الرِّغْبَةِ الْكَامِنَةِ فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ بِأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ الْمَكَانَ الْأَوَّلَ، أَيْ الْكِبَرِيَاءَ وَحُبَّ الظُّهُورِ. لِذَلِكَ نَقَرَأُ مَرَارًا فِي الْأَنْجِيلِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَاوَرُونَ بِخُصُوصِ هَذَا الْأَمْرِ. عَرَفَ يَسُوعُ عَظَمَتَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، وَلَكِنْ هَذَا جَعَلَهُ يَعامَلُ الْآخَرِينَ بِطَرِيقَةٍ أَفْضَلَ بَدَلًا مِنْ تَوَقُّعِهَا لِنَفْسِهِ.

نَرَى فِي فَرِيضَةِ غَسْلِ الأَرْجُلِ رَمَازًا لِتَطْهِيرٍ أَعْلَى حَيْثُ طَهَّرَتْ قُلُوبُهُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ مِنَ الْإِنَانِيَّةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، وَاتَّحَدُوا بِالْمَحَبَّةِ وَاحِدُهُمْ مَعَ الْآخَرِ وَصَارُوا أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا لِلْخِدْمَةِ عَلَى مِثَالِ سَيِّدِهِمْ. تَرْمِزُ هَذِهِ الْخِدْمَةُ أَيْضًا إِلَى غُفْرَانِ وَاحِدِنَا لِلآخِرِ زَلَّاتِهِ، وَقَدْ غَسَلَ الْمَسِيحُ خَطَايَانَا.

وَتُبْرِهَنَ فَرِيضَةُ غَسْلِ الأَرْجُلِ إِلَى زِمَالَةِ الْمَسِيحِ وَالْمُؤْمِنِينَ. فَلَا تُوجَدُ زِمَالَةٌ وَمُشَارَكَةٌ مِنْ دُونِ تَطْهِيرٍ. وَكَمَا "أَحَبَّ الْمَسِيحُ خَاصَّتَهُ إِلَى الْمُنْتَهَى، رَجَائِي أَنْ نُحِبَّ بَعْضُنَا الْبَعْضَ بِنَفْسِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ.

لَمْ يَعْرِفْ يَسُوعُ سُلْطَانَهُ فَحَسَبَ، بَلْ عَرَفَ عِلَاقَتَهُ بِاللَّهِ أَيْضًا. وَعَرَفَ هَوِيَّتَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي. كَمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَاضِيَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ مَعَ اللَّهِ الْآبِ، وَكَانَ مُصَمِّمًا عَلَى تَمْجِيدِهِ فِي الْحَاضِرِ، وَعِنْدَمَا تَحْرَكَ الْمَسِيحُ لِكِي يَغْسِلَ أَقْدَامَهُمْ، شَعَرُوا بِالْصَدْمَةِ. وَمَا قَامَ بِهِ يَحْمِلُ مَغْزَى رَمْزِيٍّ لِلَاغْتِسَالِ الرُّوحِيِّ وَمِثَالٍ لِلاتِّصَاعِ الْمَسِيحِيِّ.

عِنْدَمَا غَسَلَ الْمَسِيحُ أَقْدَامَ التَّلَامِيذِ، قَدَّمَ لَنَا دَرْسًا فِي الْخِدْمَةِ الْمَضْحِكَةِ، الَّذِي كَانَ أَعْظَمَ تَعْبِيرٍ عَنْهَا هُوَ مَوْتُهُ عَلَى الصَّلِيبِ. نَدْعُوكَ سَيِّدًا وَمُعَلِّمًا وَرَبًّا وَنَعَصِي وَصَايَاكَ وَنَتَكَبَّرُ وَنَتَجَبَّرُ. اغْفِرْ لَنَا يَا رَبُّ مَعْصِيَتَنَا وَكِبَرِيَاءَنَا وَقَلَّةَ مَحَبَّتِنَا. وَصَفَ بَطْرُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى ٥: ٥ مِثَالِ الْمُعَلِّمِ فِي التَّوَاضُّعِ فَقَالَ "وَكُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرَّبَلُوا بِالتَّوَاضُّعِ". يَا مُعَلِّمِي وَسَيِّدِي الْمَحْبُوبَ، أَعْطَانِي مِثَالَكَ كَيْ أُدْرِكَ أَنَّ مَفْهُومَ الْعَظَمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ يَكْمُنُ فِي الْخِدْمَةِ. لَقَدْ طَهَّرَتْ قُلُوبَ تَلَامِيذِكَ مِنَ الْإِنَانِيَّةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، فَطَهَّرْ قَلْبِي بِمَحَبَّتِكَ، لِأَكُونَ لَكَ قَلْبًا وَقَالِبًا وَأَعِيشْ لِمَجْدِكَ إِلَى أَنْ أَرَاكَ عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

يسوع الديان

"لأنَّ الآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لَا يُكْرِمُ الابْنَ لَا يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ." (يوحنا ٥: ٢٢ و ٢٣)

عندَ بركة بيت حسدا في أورشليم، شفى يسوع مريضاً غير قادر على الحركة منذ ٣٨ سنة إذ قال له "قُمْ. احْمِلْ سُرِيرَكَ وَاَمْشِ". ففي الحال حَمَلَ سُرِيرَهُ وَمَشَى. حَدَثَ هذا الشفاء يوم السَّبْتِ، ممَّا أثار انتقاد رؤساء الكهنة ظَنًّا مِنْهُمْ بأن يسوع إذ شفى المفلوج، قد كَسَرَ قُدْسِيَّةَ يوم السَّبْتِ، كما ادَّعى أَنَّهُ مُعَادِلٌ لِلَّهِ (يوحنا ٥: ١٨).

شرح يسوع لَهُمْ أَنَّهُ يَمْلِكُ كُلَّ صِفَاتِ اللَّهِ حيث يَعْمَلُ نَفْسَ الأَعْمَالِ، وَيُحِبُّ نَفْسَ مَحَبَّةِ الآبِ، وَلَهُ نَفْسُ المجد والكرامة كما لِلَّهِ، وَلَهُ القُدرةُ أَنْ يُقِيمَ الأموات. ففي شخصه الكريم، اتَّحَدَتْ بَشَرِيَّتُهُ بِالوَهْيَةِ- فهو ابن الإنسان إلى جانب كونه ابن الله. وَلَهُ كُلُّ الحَقِّ لِيَجْعَلَ نَفْسَهُ مُعَادِلًا لِلَّهِ، لِأَنَّهُ فِي كونه ابن الله، فَهُوَ اللَّهُ- الابن. إلى جانب أَنِّ الدَّيْنُونَةَ قَدْ أُعْطِيَتْ لَهُ كَابنِ الإنسان.

إذ ناقشَ اللَّهُ مَعَ إبراهيمَ مَصِيرَ سدوم وعمورة، أَقَرَّ إبراهيمُ أَنَّ لِلخالقِ الحَقَّ أَنْ يَدِينَ كُلَّ الأَرْضِ. في تكوين ١٨: ٢٥ "حاشا لَكَ. أَدِيَانُ كُلُّ الأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا". يُعْطِي يسوع هُنَا بُرْهَانَ كونه الديان كما مَنَحَهُ اللَّهُ فِي بَشَرِيَّتِهِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى دَيْنُونَةِ المَسِيحِ لِكُلِّ البَشَرِيَّةِ كما وَرَدَتْ في (رؤيا ٢٠: ١١-١٥). نَرَى هَذَا الحَقَّ جَنبًا إِلَى جَنبِ، مَعَ سُلْطَانِهِ عَلَى الحَيَاةِ والمَوْتِ (يوحنا ٥: ٢١). قَدْ نَسَأَلَ السُّؤَالَ: "لِمَاذَا يُعْطِي الآبُ لِلْمَسِيحِ كُلَّ دَيْنُونَةِ الجِنْسِ البَشَرِيِّ، مَعَ أَنَّ يسوعَ الديانَ العادلَ لِكُلِّ الأَرْضِ، بِسَبَبِ الوَهْيَةِ؟"

أَعْطَى اللَّهُ الإنسانَ الأوَّلَ آدَمَ في الخَلِيقَةِ، سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَإِذْ أَخْطَأَ، فَشَلَّ في المُحَافَظَةِ عَلَى سُلْطَانِهِ. لِذَا، اللَّهُ فِي نِعْمَتِهِ، قَرَّرَ أَنَّ آدَمَ الثَّانِي (أَيَّ الْمَسِيحِ) يَسْتَعِيدُ مَا خَسَرَهُ آدَمُ أَبُو البَشَرِ. فَكُونُ يسوعِ إنسانَ كَامِلٍ بِلَا خَطِيئَةٍ فَقَدْ اسْتَطَاعَ فِدَاءَ الجِنْسِ البَشَرِيِّ السَّاقِطِ فِي الخَطِيئَةِ. وَإِذْ أُعْطِيَ كُلُّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، ذَبِيحَةَ خَطَايَانَا، وَالَّذِي لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، أَرْجَعَ اللَّهُ الإنسانَ إِلَى مَرْكَزِهِ الأَصْلِيِّ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ خَلِيقَتِهِ، كَمَا كَانَ قَرَارُهُ فِي الأَصْلِ قَبْلَ سُقُوطِهِ.

دَفَعَ المُخَلَّصُ ثَمَنَ خَطَايَانَا بِالكَامِلِ عَلَى الصَّليْبِ، وَأَعْلَنَ فِدَائَنَا بِدَمِهِ الكريم. لِذَا، فَالدَّيْنُونَةُ سَتَقَعُ عَلَى الَّذِينَ يَرْفُضُونَ الإِيمَانَ بِهِ، مَعَ الشَّيْطَانِ وَمَلَائِكَتِهِ الأَشْرَارِ، حَيْثُ سَتَنْزِلُ نَارُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَتَفْنِيهِمْ. وَسَيَكُونُ الديانُ الرَّبُّ يسوعُ البار. وَكَمَا يُقِيمُ الآبُ الأمواتَ وَيُعْطِي الحَيَاةَ، هَكَذَا الابْنُ يُعْطِي الحَيَاةَ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَكَمَا يَنَالُ الآبُ الكَرَامَةَ مِنْ خَلِيقَتِهِ، كَذَلِكَ الابْنُ لَهُ نَفْسُ الكَرَامَةِ وَالمجد كما لِلآبِ "لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ". وَكُلُّ صِفَةِ إلهيَّةِ تَخَلَّى يسوعُ عَنْهَا عِنْدَمَا صَارَ جَسَدًا، أُعِيدَتْ لَهُ عِنْدَمَا قَامَ مِنَ المَوْتِ، لِذَا فَكُلُّ مَنْ يَرْفُضُ إِكْرَامَ الرَّبِّ يسوعَ، لَا يُكْرِمُ آبِنَا السَّمَاوِيَّ "مَنْ لَا يُكْرِمُ الابْنَ لَا يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ".

رَأَيْنَا مَعًا قَارِئِي العَزِيزِ، أَنَّهُ لَمْ يَتَجَاسَّرْ أَحَدٌ أَنْ يُعْلَنَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الديانُ سِوَى مَسِيحِنَا المُبَارَكِ. وَلَا عَجَبٌ أَنْ يَقُولَ مزمور ٥٠: ٦ "وَتُخْبِرُ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّيَّانُ". وَقَدْ صَرَّحَ المُخَلَّصُ أَنَّهُ سَيُجَازِي فِي مَجِيئِهِ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ فِي مَتَّى ١٦: ٢٧ "فَإِنَّ ابْنَ الإنسانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ". وَقَفَّ بولس على ثَلَاثَةِ مَارسٍ وَسَطِ اثْنَيْنَا وَتَكَلَّمَ عَنِ الدَّيْنُونَةِ القَادِمَةِ فِي أَعْمَالِ ١٧: ٣٠-٣١ فَقَالَ "فَاللَّهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَعَاْضِيًا عَنْ أَرْزَمَةِ الجَهْلِ. لِأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيْمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأمواتِ".

سَيَكُونُ الرَّبُّ يسوعُ المَسِيحُ دِيَّانَكُمْ وَدِيَّانِي، فَهَلْ أَنْتُمْ وَأَنَا مُسْتَعِدِّينَ أَنْ نَتُوبَ، كِي عِنْدَمَا نَظْهَرَ أَمَامَهُ، نَسْمَعَ كَلِمَاتِ التَّرحيبِ مِنْهُ "تَعَالُوا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمُلُكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ". آمِينَ.

قاضي الأحياء والأموات

"أنا أناشدك إذا أَمَامَ اللَّهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ." (٢ تيموثاوس ٤ : ١)

كان بولس سجيناً في زنزانته في روما بعد أن رَفَعَ دَعْوَاهُ أَمَامَ الْقَيْصَرِ، وَسُمِّحَ لَهُ بِالْمُثُولِ أَمَامَ نِيرونَ لوقت قصير وشرحَ قضيَّتهُ أَمَامَهُ. مَرَّتِ الْأَيَّامُ بِطِيئَةٍ وَسَطِ إِحْسَاسِهِ أَنَّ آيَةَ إِشَارَةٍ مِنْ نِيرونَ أَوْ مِنْ أَعْدَائِهِ سَتَضَعُ حَدًّا لِحَيَاتِهِ. فَكَّرَ فِي تَلْمِيذِهِ الشَّابَّ تِيْمُوثَاوُسَ الْمَسْؤُولَ عَنِ كَنِيسَةِ أَفَسُسَ، وَالَّذِي اشْتَقَّ أَنْ يَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَكَتَبَ لَهُ رِسَالَتَيْنِ يوصيه بالثبات على الإيمان، كَانَتَا آخِرَ مَا كَتَبَ بُولُسُ. كَمَا نَاشَدَهُ بِكُلِّ غَيْرَةٍ أَمَامَ اللَّهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ دِيَّانَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، بِأَنْ يَكْرِزَ بِالْكَلِمَةِ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَسَطِ بَدْعٍ غَرِيبَةٍ هَاجَمَتِ الْكَنِيسَةَ.

تَتَعَلَّمُ مِمَّا حَدَّثَ لِقَائَيْنِ وَهَابِيلَ ابْنِي آدَمَ وَحَوَّاءَ أَنَّ الْخَطِيئَةَ قَادَتِ قَائِلَيْنِ إِلَى قَتْلِ أَخِيهِ هَابِيلَ لِسَبَبِ الْعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ لِلَّهِ، وَتَقْدِيمِ قَرَابِينَ تَلِيْقَ بِهِ. فِي الْحَالِ، جَاءَ اللَّهُ دِيَّانَ الْجَمِيعِ لِيُوجِهَ الْقَاتِلَ قَائِلَيْنِ بِسُؤَالَيْنِ: "لِمَاذَا اغْتَطَّتْ" مَا سَبَبَ غَضَبِكَ؟ وَالسُّؤَالُ الثَّانِي "أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ"؟

كَانَتِ النَتِيجَةُ أَنَّ قَائِلَيْنِ خَرَجَ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ (تكوين ٤ : ١٦). هُنَا نَرَى خَطِيئَةَ الْإِنْسَانِ تُقَابِلُهَا دِينُونَةُ اللَّهِ، فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ، نَرَى عُفْرَانَ اللَّهِ وَحِمَايَتَهُ لِقَائَيْنِ مِنْ أَيِّ تَهْدِيدٍ لِحَيَاتِهِ مُسْتَقْبَلًا. نَجِدُ نَفْسَ الْمَبْدَأِ لَجِيلٍ مَا قَبْلَ الطوفانِ، حَيْثُ أُنْذِرُ نُوحَ النَّاسِ ١٢٠ سَنَةً بِأَنَّ الطوفانَ آتٍ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتُوبُوا إِذَا أَرَادُوا النِّجَاةَ. وَلَمَّا لَمْ يَسْمَعُوا جَاءَ الطوفانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ.

تَبْقَى الْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ لَنْ يَأْتِيَ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ عَمَلُ الدِّينُونَةِ لِلأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَجِيءُ وَأُجْرَتُهُ مَعَهُ؟ يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي ١ بُطْرُسَ ٤ : ١٧ أَنَّ الدِّينُونَةَ تَبْدَأُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ "لَأَنَّ الْوَقْتَ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَدَأَ الْقَضَاءُ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ. فَإِنْ كَانَ أَوَّلًا مِنَّا، فَمَا هِيَ نَهَايَةُ الَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللَّهِ؟". يَسُوعُ حَالِيًا يَقُومُ بِدِينُونَةِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ جَمِيعًا فِي الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ فِيمَا يُسَمَّى بِالدِّينُونَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ الَّتِي ابْتَدَأَتْ سَنَةَ ١٨٤٤ وَعِنْدَمَا يَنْتَهِي مِنْ عَمَلِهِ، يَنْزِعُ عَنْهُ ثِيَابَهُ الْكَهَنُوتِيَّةَ، وَيَلْبَسُ ثِيَابَهُ الْمُلُوكِيَّةَ اسْتِعْدَادًا لِمَجِيئِهِ الثَّانِي لِعَالَمِنَا.

فِي انْجِيلِ مَتَّى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ شَرَحَ لَنَا مَخْلَصُنَا مَا يَحْدُثُ عِنْدَمَا يَأْتِي فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ الْقُدِّيسِينَ مَعَهُ، حَيْثُ يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخَرَّافَ أَيْ الْأَبْرَارَ الَّذِينَ يَكُونُونَ عَنْ يَمِينِهِ، وَالْجَدَاءَ أَيْ الْأَشْرَارَ يَقْفُونَ عَنْ يَسَارِهِ. وَبَعْدَ أَنْ يُعْطِينَا مَقْيَاسَ حُكْمِهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ، يَذْهَبُ الْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ، وَالْأَشْرَارُ إِلَى نَارٍ تَكُونُ نَتَائِجَهَا أَبَدِيَّةً. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ نَهَايَةِ الْأَلْفِ السَّنَةِ، الْوَارِدِ ذِكْرُهَا فِي رُؤْيَا ٢٠، سَيُذَرِكُ الْجَمِيعَ عَدَالَةَ دِينُونَةِ اللَّهِ، وَسَيُجْثَوُ الْجَمِيعُ مُعْتَرِفِينَ بِالْمَسِيحِ كدِيَّانَ الْجَمِيعِ، وَقَدْ نَالُوا مَا يَسْتَحِقُونَهُ بِحَقِّهِ.

سَيُشَارِكُ فِي الْإِحْتِفَالِ بِالْمَجِيءِ الْعَظِيمِ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَاشَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، حَيْثُ سَيَقُومُ الْأَمْوَاتُ الْأَبْرَارُ بِأَجْسَادٍ مُمَجَّدَةٍ لَا تَفْسَدُ وَلَا تَمُوتُ، ثُمَّ يَتَغَيَّرُ الْأَبْرَارُ الْأَحْيَاءُ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ الْمَجِيءِ الثَّانِي "لَأَنَّ هَذَا الْقَاسِدَ لَا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهَذَا الْمَائِتُ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ" (١ كورنثوس ١٥ : ٥٣).

يُوضِحُ بُولُسُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْيَاءَ الْمُتَغَيِّرِينَ سَيُخَطَفُونَ "جَمِيعًا مَعَهُمُ (الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَامِينَ) فِي السُّحْبِ لِلْمُلَاقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ مَعَ الرَّبِّ فِي كُلِّ حِينٍ".

اللَّهُ دِيَّانُ الْأُمَمِ وَإِلَهُ التَّارِيخِ، لَمْ يَتْرَكْنَا نَتَخَبَّطُ دُونَ مَعْرِفَةٍ مَا سَيَجْرِي لِعَالَمِنَا، لَكِنَّهُ قَدْ عَيَّنَّ يَوْمًا مُزْمِعٌ أَنْ يَعُودَ إِلَى أَرْضِنَا وَأُجْرَتُهُ مَعَهُ لِيُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ. نَظَرُ الرَّائِي يُوحِنَا قُدْمًا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي سَيُؤَسِّسُ الْمَسِيحُ فِيهِ مَمْلَكَةَ الْمَجْدِ السَّمَاوِيَّةِ، حَيْثُ نَقْرَأُ فِي رُؤْيَا ١١ : ١٥ "ثُمَّ يَوَقُّ الْمَلَائِكَةُ السَّابِعُ، فَحَدَّثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً: "قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ". أَعْطَانِي رَبِّي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ هُنَاكَ، وَأَفْرَحُ بِرُؤْيَاكَ فِي دِيَارِ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ.

الديان العادل

"لأنه أقام يوماً هو فيه مُرمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عينه، مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات." (أعمال الرسل ١٧: ٣١)

إذ وصل بولس إلى أثينا باليونان، احتدت روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً، فوقف على تلة مارس، وبدأ يخاطب أهل أثينا عن الإله الحقيقي رب السماء والأرض، وأهاب بهم أن يتوبوا استعداداً للدينونة القادمة. نادى بحق الإنجيل بشجاعة، وركز على الخلاص بالمسيح وحده.

في هذه العظة لخص الإنجيل بثلاث نقاط: ١- الجميع خطاة، ٢- ضرورة المغفرة، ٣- دور المسيح كقاض في ذلك اليوم. جاء يسوع ليموت على الصليب، كي بموته وقيامته، ينال شعبه غفران الخطايا، وقبل الله. عندئذٍ فقط يبدأو بعيش حياة تُسر الله.

أظهر لهم بولس خطأ عبادتهم للأصنام، مع أن الله تغاضى عن جهلهم، لكنه سيدينهم الآن لمعرفةهم بالحق بخصوص عبادة الله الحقيقي. عليهم أن يتوبوا عن مسلكهم القديم، ويعبدوا الله في نور ما كرز به بولس. فدينوته مبنية على ما هو حق وخطأ، لا على الطريقة التي يفكر بها الناس ويعيشوا حياتهم، لكن على قصده لحياتنا أن تكون.

أوكل الله الأب- الله الابن ليكون الديان. وسيميز الديان الذين يخلصون من الذين يهلكون، وسيكافأ أعمال الذين يخلصون، كما سيقرر قصاص الهالكين. ليسوع السلطة لأنه بار وعادل، إذ أقامه الله من الأموات. استطاع بولس أن ينفذ إلى قلب أهل أثينا الذين لم يؤمنوا بقيامة الأموات، حتى أن قسماً منهم آمنوا.

أكد بولس بإلحاح في رسالته لأهل أثينا على الحقيقة بأن الله صانع السماء والأرض، قد أقام يوماً فيه سيدين المسيح المسكونة بالعدل، لكن العالم يحتاج أن يعرف حق إنجيل النعمة- أن المسيح مات عن خطايانا، ودُفن وقام من الموت، كي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.

عاش الرائي يوحنا أجواءً سماوية، وسمع أصوات التسبيح للرب لأن أحكامه حق وعادلة. بعد ذلك، رأى يسوع ملك الملوك يلبس تيجان كثيرة، يتابع قائلاً في رؤيا ١٩: ١١ "ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب".

يسوع الصادق الأمين، يحكم ويدين بالبر، وهو مُرمع أن يدين المسكونة بالعدل. أعطني يا رب أن أسلمك حياتي، وأتوب عائداً إليك لأعيش لمجدك كل أيام حياتي، بانتظار رؤياك قريباً على سحب المجد. لك التسبيح والكرامة أبداً الدهور. آمين.

الدينونة الختامية

"لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيُخْرِجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ."

(يوحنا ٥: ٢٨-٢٩)

وَقَفَّ يَسُوعُ أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا إِدَانَتَهُ لِأَنَّهُ شَفَى الْمفلُوجَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَحْمِلَ فِرَاشَهُ وَيَذْهَبَ إِلَى بَيْتِهِ. الْمَسِيحُ الْوَاقِفُ أَمَامَهُمْ يَسْمُو فَوْقَ الْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ الْمَمَجَّدُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَابْنُ اللَّهِ الْمُتَّحِدُ بِخَالِقِ الْكَوْنِ. وَأَكَّدَ لَهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَى إِقَامَةِ الْمَوْتَى وَمَنْحِ الْحَيَاةِ لِمَنْ يَشَاءُ، لِذَا فَقَدْ أُعْطِيَ الْآبَ عَمَلُ الدَّيْنُونَةِ لِلْأَبْنِ، لِأَنَّهُ اللَّهُ وَفِي وَقْتِ الدَّيْنُونَةِ، سَيَكُونُ دَيَّانُ الْجَمِيعِ.

وَأَوْضَحَ لَهُمْ أَنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ، فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، ثُمَّ نَطَقَ بِالْحَقِّ إِذْ قَالَ لَهُمْ "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يوحنا ٥: ٢٥).

أَمَّا قَوْلُهُ لَهُمْ "لَا تَتَعَجَّبُوا" فَلأنَّ سَامِعِيهِ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْقِيَامَةِ الَّتِي سَتَقُودُ لِلدَّيْنُونَةِ يَوْمًا مَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، مَعَ أَنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ هُمُ الصَّدُوقِيُّينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ الْقِيَامَةَ. هَكَذَا، قَصَدَ يَسُوعُ أَنْ يَرْبِطَ مَوْضُوعَ الْقِيَامَةِ بِخِدْمَتِهِ. وَالَّذِي أُعْطِيَ الْقُوَّةَ وَالسُّلْطَةَ، لِكُلِّ الْقِيَامَةِ وَالدَّيْنُونَةِ، هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.

أَرَادَ أَنْ يَكْشِفَ أَمَامَهُمْ بِشَكْلٍ أَوْسَعَ سِرَّ الْمُسْتَقْبَلِ. يُؤَكِّدُ الرُّسُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ١٤: ١٠-١٢ أَنَّنَا "جَمِيعًا سَوْفَ نَقْفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطَى عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلَّهِ". إِنَّ أَعْمَالَنَا لَا تُقَرَّرُ خَلَاصَنَا، لَكِنَّهَا تُؤَثِّرُ عَلَى مُجَازَاتِنَا الْأَبَدِيَّةِ. كَانَ مِنْ نَتَائِجِ خَطِيئَةِ آدَمَ، أَنَّ الْمَوْتَ اجْتَارَ إِلَى الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ بِأَكْمَلِهِ. وَعَبَّرَ تَدْبِيرُ الْخَلَاصِ سِيخْرُجَ الْجَمِيعِ مِنْ قُبُورِهِمْ. كَمَا أَوْضَحَ يَسُوعُ وَجُودَ قِيَامَتَانِ: قِيَامَةُ الْحَيَاةِ وَقِيَامَةُ الدَّيْنُونَةِ. تَلْقَى كَاتِبَةُ مِلْهُمَةِ الضَّوِّ عَلَى كِلَا الْفَرِيقَيْنِ "وَلَكِنْ سَيَكُونُ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الَّذِينَ سَيَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ: "الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" فَالَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلًا لِقِيَامَةِ الْحَيَاةِ الَّذِينَ سَيُقِيمُهُمُ الْمَسِيحُ فِي مَجِيئِهِ الثَّانِي هُمْ: "مُبَارَكُونَ وَمُقَدَّسُونَ"، "هَؤُلَاءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ" (رُؤْيَا ٢٠: ٦).

أَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَحْصُلُوا عَلَى الْعُفْرَانِ بِوَاسِطَةِ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنَالُوا قَصَاصَ تَعْدِيَاتِهِمْ: "أَجْرَةُ الْخَطِيئَةِ". وَهُمْ يُقَاسُونَ قِصَاصًا يَخْتَلِفُ فِي مُدَّتِهِ وَشِدَّتِهِ "حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ"، وَلَكِنْ أَخِيرًا سَيَنْتَهِي أَمْرُهُمْ بِالْمَوْتِ الثَّانِي (رُوحُ النُّبُوَّةِ، الصِّرَاعُ الْعَظِيمُ، صَفْحَةُ ٥٩١).

سَيَنْزِلُ الْمَسِيحُ عِنْدَ الْمَجِيءِ الثَّانِي مِنَ السَّمَاءِ رَاكِبًا حِصَانًا أَبْيَضَ، وَاسْمُهُ "مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ". وَسَيَضْرِبُ أُمَمَ الْعَالَمِ الْمُتَمَرِّدَةِ، وَسَتَمُوتُ الْبَقِيَّةُ مِنْ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ وَلَكِنْ يَنْجُو أَحَدٌ. يَصِفُ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ ٢٦: ٢١ هَذَا الْمَشْهَدَ "لَأَنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرِجُ مِنْ مَكَانِهِ لِيُعَاقِبَ إِنْثِمَ سَكَّانِ الْأَرْضِ فِيهِمْ، فَتُكْشَفُ الْأَرْضُ دِمَاءً وَلَا تُعْطَى قَتْلَاهَا فِي مَا بَعْدُ". وَسَيَكُونُ الشَّيْطَانُ مُقَيَّدًا لِأَنَّ الْأَرْضَ خَرَبَتْ، وَلَا يُوجَدُ أَحَدٌ يَصْلُهُ عَلَى الْأَرْضِ، سَتَدُومُ هَذِهِ الْفَتْرَةُ مُدَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ كَمَا نَقَرَأُ عَنْ ذَلِكَ فِي رُؤْيَا ٢٠. خِلَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ سَيَرَاوُجُ الْمَقْدِيونَ أَحْكَامَ اللَّهِ إِذْ يُرَاقِبُونَ فُرْصَ التَّوْبَةِ الَّتِي مَنْحَاهَا لِلخَطَاةِ، وَيَقْتَنِعُونَ بَعْدَالَةَ الْمَسِيحِ فِي دَيْنُونَتِهِ.

فِي نَهَايَةِ الْأَلْفِ السَّنَةِ، يَقُومُ الْمَوْتَى الْأَشْرَارُ فِي "قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ"، وَيَنْزِلُ الْمَسِيحُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ جَدِيدٍ، مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَوْرَشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ، لِهَدْفَيْنِ. ١- سَيَضَعُ حَدًّا لِلصِّرَاعِ الْعَظِيمِ بِتَنْفِيْذِهِ قَرَارَاتِ الدَّيْنُونَةِ الْأَلْفِيَّةِ، ٢- سَيُطَهِّرُ وَيُجَدِّدُ الْأَرْضَ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤَسِّسَ فَوْقَهَا مَمْلَكَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ، يَنْصُبُ اللَّهُ عَرْشَهُ الْأَبْيَضَ الْكَبِيرَ، تُفْتَحُ أَسْفَارُ سَجَّلَاتِ اللَّهِ، وَيُدَانُ الْأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبُ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْثُو الْجَمِيعُ أَمَامَ الدَّيَّانِ الْعَادِلِ، أَمَّا الشَّيْطَانُ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْأَشْرَارُ فَيَهْجُمُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَتَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَحْرِقُ الْأَشْرَارَ، وَتَطْهَرُ الْأَرْضُ لِنَزُولِ الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ. أَمْلِي أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا هُنَاكَ.

الدينونة في دانيال ٧

"نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدُمُهُ، وَرَبَّوَاتُ رَبَّوَاتٍ وَقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ." (دانيال ٧: ١٠)

تُشَبِّه رؤيا دانيال في هذا الأصحاح ما رآه في الأصحاح الثاني ولكن بقليل من التفاصيل الزائدة. فالحيوانات التي رآها دانيال، كَانَتْ تُمَثِّلُ ممالك في تنافُسٍ وصراع. ومع مجيء ابن الإنسان، يُسْتَعَاد حُكْمُ اللَّهِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ، وما خَسِرَهُ آدَمُ في جَنَّةِ عَدْنٍ، استعادَهُ ابنُ الإنسانِ في الدينونة السَّماويَّة. لِحُسْنِ الحِظِّ، نَزَلَ المَلَكُ جِبْرَائِيلُ وَشَرَحَ تفاصيل ما رآه دانيال كي نستطيع فَهْمَ النُّقَاطِ الهامَّةِ في هذه النبوءة المدهشة.

رَأَى دانيال أربعة حيوانات كانت شعاراً لِمَمَالِكٍ: فالأسد كان يرمُزُ إلى الإمبراطوريَّةِ البابليَّةِ فَنَرَى الأسدَ المُجَنِّحَ على جُدرانِ القُصورِ وأعمالِ فنيَّةِ تركها البابليُّون. أَمَّا الدُّبُّ فكان يرمُزُ إلى مملكةِ مادي وفارس. الحيوان الثالث كان النمر الذي يرمُزُ للإمبراطورية اليونانيَّةِ بزعامَةِ الاسكندر الكبير. الحيوان الرابع فكان هائلاً وقوياً، له عَشْرَةُ قرونٍ وأَسنانٍ من حديدٍ كبيرة، يُمَثِّلُ الإمبراطوريَّةَ الرومانيَّةَ التي سيطَّرت على العالمِ في زَمَنِها. كُلُّ هذه الممالك جاءت واندثَّرت مُعطية مُصدَاقِيَّةَ عَظِيمةَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ.

كَانَ دانيال مُتَمَلِّماً بِالْقُرُونِ وَإِذَا بَقَرَنَ آخَرَ صَغِيرٍ مُعَلِّناً الحَرْبَ ضِدَّ قَدِّيْسِي الْعَلِيِّ، طَلَعَ مِنْ بَيْنِها، وَقُلِعَتْ ثَلَاثَةُ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى مِنْ قُدَّامِهِ. يَمْتَازُ هذا القَرْنُ بِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِعَظَائِمِ ضِدَّ الْعَلِيِّ، وَيُضْطَهِدُ قَدِّيْسِي الْعَلِيِّ، وَيُحَاوِلُ تَغْيِيرَ الْأَزْمَنَةِ وَوَصَايَا اللَّهِ، أَمَّا مُدَّةُ هذا الاضطهاد فستدومُ لِفَتْرَةِ ١٢٦٠ سَنَةً مِنْ سَنَةِ ٥٣٨ - ١٧٩٨ م.

بَعْدَ الحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَنَشَاطَاتِ القَرْنِ الصَّغِيرِ (روما البابويَّة)، شَاهَدَ دانيال مَشْهَدَ دِينُونَةِ فِي السَّمَاءِ (دانيال ٧: ٩-١٠، ١٢-١٤). مِنَ الْمُهِّمِ مَلاحِظَتُهُ عَنَ هَذِهِ الدِينُونَةِ أَنَّها تَحْدُثُ بَعْدَ سَنَةِ ١٧٩٨ وَقَبْلَ أَنْ يُؤَسَّسَ اللَّهُ مَمْلَكَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ، فِي ظِلِّ هَجَمَاتِ القَرْنِ الصَّغِيرِ ضِدَّ اللَّهِ وَشَعْبِهِ كَمَا نَقَرَأُ فِي دانيال ٧: ٢١-٢٢ "وَكُنْتُ أَنْظُرُ وَإِذَا هَذَا القَرْنُ يُحَارِبُ القُدِّيْسِينَ فَعَلَبَهُمْ، حَتَّى جَاءَ القَدِيمُ الْآيَّامِ، وَأُعْطِيَ الدِّينُ لِقَدِّيْسِي الْعَلِيِّ، وَبَلَغَ الوَقْتُ، فَأَمْتَلَكَ القُدِّيْسُونَ المَمْلَكَةَ". نَسْتَنْتِجُ هُنَا بوضوح أَنَّ الدِينُونَةَ الَّتِي تَسْبِقُ مَجِيءَ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً هِيَ لِصَالِحِ شَعْبِ اللَّهِ.

فِي دانيال ٧: ١٣ نَقَرَأُ عَنِ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَدَوْرِهِ فِي هَذِهِ الدِينُونَةِ "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحْبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ آتَى وَجَاءَ إِلَى القَدِيمِ الْآيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ". يُلْقِي الْإِنْجِيلُ الضَّوْءَ عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ اللَّقَبِ الْمُحِبِّ لِيَسُوعَ حَيْثُ نَقَرَأُ فِي مَتَّى ٦: ٩ "وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا".

حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمُفْلُوحِ: "قُمْ أَحْمِلْ فِرَاشَكَ وَأَذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ". وَإِذْ نَتَعَمَّقُ فِي تَفَاصِيلِ الدِينُونَةِ نَجِدُ أَوَّلًا أَنَّ لَقَبَ "ابْنِ الْإِنْسَانِ" يَظْهَرُ كَشَخْصٍ إلهيٍّ وَبَشَرِيٍّ يَلْعَبُ دَوْرًا هَامًّا فِي هَذِهِ الدِينُونَةِ.

ثَانِيًا، مَشْهَدُ ابْنِ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سُحْبِ السَّمَاءِ هُوَ مَا تَصِفُ بِهِ الْأَنْجِيلُ مَجِيءَ الْمَسِيحِ الثَّانِي فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، مَعَ ذَلِكَ، نَرَى فِي دانيال ٧: ١٣ بِشَكْلٍ خَاصٍّ، أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَا يَبْدُو أَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ فِي السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ لِيُظْهَرَ أَمَامَ قَدِيمِ الْآيَّامِ. ثَالِثًا، إِنَّ تَصْوِيرَ ابْنِ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سُحْبِ السَّمَاءِ، يَظْهَرُ حُضُورَ الرَّبِّ الْمُنْظُورِ، وَيُذَكِّرُنَا فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ بِرُئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ سَحَابَةٌ مِنَ الْبُخُورِ وَهُوَ يَدْخُلُ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ لِيَقُومَ بِتَطْهِيرِ الْمَقْدَسِ.

يَصِفُ دانيال فِي الْآيَةِ ١٤ ابْنَ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ "سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لَتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسَنَةِ". فَالدِينُونَةُ هُنَا تَتَمَثَّلُ فِي اسْتِعَادَةِ عِبَادَةِ اللَّهِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَيُظْهَرُ دانيال أَنَّ الْوَسِيطَ الْوَحِيدَ الْقَادِرَ أَنْ يُمَثِّلَ الْبَشَرِيَّةَ أَمَامَ اللَّهِ هُوَ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَسِيحُنَا الْحَيِّ وَشَفِيعُنَا الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ، إِذْ يَظْهَرُ اسْمِي أَمَامَ كُرْسِيِّ الدِينُونَةِ، يُقَدِّمُ شَفِيعِي ثَمَنَ خِلَاصِي دَمِهِ الْكَرِيمِ الَّذِي سَفَكَهُ مِنْ أَجْلِي، لَهُ كُلُّ مَجْدٍ وَكَرَامَةٍ أَبَدَ الدَّهْرِ.

شكراً ليسوع قاضينا

"فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: "يَا امْرَأَةً، أَيْنَ هُمْ أَوْلَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانِكَ أَحَدٌ؟" فَقَالَتْ: "لَا أَحَدٌ، يَا سَيِّدُ!". فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: "وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا." (يوحنا ٨: ١٠-١١)

أَرَادَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيِّينَ أَنْ يُجَرِّبُوا يَسُوعَ، فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ امْرَأَةً أُمْسَكَتْ فِي الزَّانِي، وَأَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ، وَقَالُوا لَهُ "يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسَكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟". (يوحنا ٨: ٤-٥). لَقَدْ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ حُرَّاسًا عَلَى السَّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ، لَقَدْ كَوَّنُوا لَجَنَةً عَلِيًّا لِلْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ الْعَامَةِ. كَانُوا يَعْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَبْرَارًا. لَقَدْ حَانَتْ لَهُمُ اللَّحْظَةُ الَّتِي كَانُوا يَنْتَظِرُونَهَا طَوِيلًا لِيُوقِعُوا بِالْمُخْلِصِ يَسُوعَ. هَا هِيَ الْمَرْأَةُ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ فِي وَسْطِ الدَّائِرَةِ، يُحِيطُ بِهَا قَادَةُ الدِّينِ الْفَرِيسِيِّينَ يَحْمِلُونَ حِجَارَةً كِي يَرْجُمُوهَا. اسْتَعْمَلُوا هَذِهِ الْمَرْأَةَ لِتَحْقِيقِ غَرَضِهِمْ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الْمَسِيحِ.

حَمَلَتْ الْمَرْأَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ شَعْرُهَا الَّذِي بَلَّلَهُ الْعَرَقُ يَتَدَلَّى عَلَى وَجْهِهَا، وَدُمُوعُهَا تَسَاقُطُ مِنَ الْأَذَى وَالْإِسَاءَةِ. عَرَفَتْ أَنَّ تَهْمَةَ الزَّانِي ثَابِتَةٌ عَلَيْهَا، فَلَا دَاعِي لَأَنْ تَرْفَعَ بَصَرَهَا إِلَى فَوْقِ. كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَى الْأَحْجَارِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَهُمْ يَضْغُطُونَ عَلَيْهَا بِأَصَابِعِهِمْ بِقَدْرٍ وَغَيْظٍ، لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْأَةِ أَيُّ مَكَانٍ أَوْ أَيُّ إِنْسَانٍ تَلْجَأُ إِلَيْهِ.

الْأَمْرُ وَاضِحٌ أَنَّ الزَّانِيَةَ كَانَتْ مُذْنِبَةً حَيْثُ الشَّرِيعَةُ تُدِينُ الزَّانِي وَغُيُوبَتِهَا الْمَوْتَ. جَاءُوا بِهَا إِلَى يَسُوعَ الْبَارِّ وَالْكَامِلِ، وَكَانَتْ لَهُ كُلُّ الصَّلَاحِيَّةِ أَنْ يُدِينَهَا عَلَى خَطِيئَتِهَا، لَكِنَّهُ اتَّبَعَ نَهْجًا آخَرَ.

تَحَدَّى الْمُخْلِصُ مُهَاجِمِيهَا، مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا بِالْحَقِيقَةِ كُلَّ النَّامُوسِ. مَثَلًا، كَانَ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يُرْجَمَ كُلُّ الْمُذْنِبِينَ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ عَادَةً هِيَ الْمُذْنِبَةُ. أَشَارَ يَسُوعُ إِلَى خَطَايَاهُمْ الَّتِي كَتَبَهَا بِأَصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَفِي وَسْطِ إِلْحَاحِهِمْ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!" (يوحنا ٨: ٧).

أَخَذَ الشَّبَابُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْكِبَارِ، وَأَخَذَ الْكِبَارُ يَنْظُرُونَ إِلَى دَاخِلِ قُلُوبِهِمْ، وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَلْقُوا بِالْأَحْجَارِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ. ثُمَّ اسْتَدَارُوا لِكَيْ يُعَادِرُوا الْمَكَانَ. وَفَعَلَ الشَّبَابُ نَفْسَ الشَّيْءِ. الصَّوْتُ الْوَحِيدُ الَّذِي كَانَ يُسْمَعُ فِي الْمَكَانِ هُوَ صَوْتُ ارْتِطَامِ الْأَحْجَارِ عَلَى الْأَرْضِ، وَصَوْتُ الْأَقْدَامِ وَهِيَ تُهْرَوِّلُ مُسْرِعَةً.

بَقِيَ يَسُوعُ وَالْمَرْأَةُ وَحْدَهُمَا. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَنْتَظِرُ حُكْمَهُ عَلَيْهَا. وَلَكِنْ الْقَاضِي لَمْ يَتَكَلَّمْ. كَانَتْ رَأْسُهُ مُنْحِنِيَةً إِلَى أَسْفَلِ، رُبَّمَا كَانَ لَا يَزَالُ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ اَنْدَهَشَ عِنْدَمَا أَدْرَكَ أَنَّهَا مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً فِي الْمَكَانِ. قَالَ لَهَا: "يَا امْرَأَةً أَيْنَ هُمْ أَوْلَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانِكَ أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ: لَا أَحَدٌ يَا سَيِّدُ، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: "وَلَا أَنَا أَدِينُكَ، اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا" (يوحنا ٨: ١٠-١١).

كَانَتْ اسْتِجَابَةُ يَسُوعَ لِلْمَرْأَةِ الرَّانِيَّةِ ذَاتِ قِيَمَةٍ لِفَهْمِنَا لِدِينُونَةٍ وَرَحْمَةٍ وَتَعَامُلٍ لِلَّهِ مَعَ الْخَطِيئَةِ. فَهِيَ مُذْنِبَةٌ شَرْعًا، وَكَانَ الْمَسِيحُ كَوْنُهُ الْبَارِ بِلَا خَطِيئَةٍ قَادِرٌ عَلَى إِصْدَارِ حُكْمِهِ الْعَادِلِ عَلَيْهَا. لَمْ يُقَلِّلْ مِنْ ذَنْبِهَا لَكِنَّهُ تَعَامَلَ مَعَهَا بِمَحَبَّةٍ وَغَفَرَ لَهَا. الْمَسِيحُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ لِلْمَرْأَةِ: "لَا تُخْطِئِي أَيْضًا"، قَالَ: "اذْهَبِي بِسَلَامٍ"، فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ مُحَمَّلَةً بِقُوَّةِ بَرَاءَةٍ وَتَبَرِيرٍ، هِيَ لَا تَسْتَحْقُّهَا بِسَبَبِ أَعْمَالِهَا؛ وَلَكِنْ اسْتَحَقَّتْهَا بِسَبَبِ حُضُورِهَا إِلَيْهِ أَوْ بِالْحَرِيِّ مِثْلِهَا فِي حَضْرَتِهِ. وَالْمِثُولُ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ نِعْمَةٌ عَظْمَى. يَكْفِي أَنَّهَا انْتَبَرَتْ مِنْهُ رَحْمَةً، فَوَجَدَتْهَا مُضَافَةً عَلَيْهَا نِعْمَةً. نَحْنُ جَمِيعًا سَنُمِثِلُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ عَلَى هَذَا الْحَالِ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَتَزَكَّى قَطْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِ، وَلَكِنْ إِنْ كُنَّا نَنْتَظِرُ رَحْمَةً فَسَنَجِدُهَا، وَإِنْ كُنَّا نَرْجُو مِنْهُ حَيَاةً فَسَنَحْيَا. هَلْ فَكَّرْتَ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي رَدِّ فِعْلِ اللَّهِ عِنْدَمَا تَضَعُفُ وَتَسْقُطُ فِي الْخَطِيئَةِ؟ لَمْ يَكْتُبْ خَطَايَاكَ عَلَى الْأَرْضِ، بَلْ كَتَبَهَا بِدَمِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (رومية ٣: ٢٤). شُكْرًا لَكَ يَا يَسُوعَ قَاضِيَنَا، لِأَنَّكَ تَتَعَامَلُ مَعَنَا بِمُقْتَضَى رَحْمَتِكَ، سَيَكُونُ مَجِئُكَ دِينُونَةً لِلْأَشْرَارِ، لَكِنْ فَرَحٌ وَتَهْلِيلٌ لِمُحِبِّكَ، فَهَبْنِي ذَاكَ الْفَرَحَ فِي حَضْرَتِكَ يَا قَاضِيَّ الرَّحِيمِ.

أهمية المقدس

"فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدَسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ." (خروج ٢٥: ٨)

وَقَفَّ أستاذ جامعي للكتاب المقدس بين طلابه ورفع كلمة الله عالياً وقال "هذا كتابُ بَحَثَ الله عن الإنسان. هذا ما يتكلّم عنه المقدس، وهذا ما يجعلُ المسيحيةَ تختلفُ عن أي مبدأ ديني آخر على الأرض. تُركّزُ باقي الديانات على تفتيش الإنسان عن الله، لكن الله في الحقيقة، يبحث عن الإنسان كي يخلّصه ويسكن معه. كما بحث الخُطاة كي يُعيدوا الصلّة باله قدوس". ولا عَجَبَ أَنْ خُصَّصَ الكتاب المقدس ٥٠ أصحاحاً عن المقدس، ١٦ أصحاح منها في سفر الخروج. لماذا؟ لأنَّ اهتمام الله بفداء الإنسان يفوق أي اهتمام آخر.

بعد أن أنهى الله عمله خالقاً، كان يمشي مع آدم وحواء في جنة عدن ويتكلّم معهم، وبعد سقوط الإنسان انقطعت تلك الشراكة بين الله وخلّقه البشري. نقرأ عنهم أنَّهم طردوا من الجنة، لكن في الحقيقة، فقد طردوا الله من حياتهم، وخارج خليقته الخاصة. أملي ألا نقوم نحن بطرد الله من حياتنا وبيوتنا وتفكيرنا وعائلاتنا.

استمرَّ الله في الاتصال بالناس عن طريق الآباء مثل نوح وإبراهيم وُصولاً بخروجهم من مصر على يد موسى ورحلة تيهانهم في الصحراء لمدة ٤٠ سنة، كان الربُّ فيها يسير أمامهم كما نقرأ في خروج ١٣: ٢١ "وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودٍ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودٍ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا". لم يترك الله شعبه بل هداهم في الصحراء نهاراً وليلاً.

على مدى ٥٠٠ سنة، اجتمعَ الله مع شعبه في خدمة الاجتماع بشكل مؤقت، حيث كانوا ينصبونها في وسط المحلّة وقت توقّفهم، ويحلونها وقت ترحالهم، وكان مجدُّ الله يُخيّم حولها، إلى أن بنى الملك سليمان هيكلًا ثابتاً للربِّ حملَ اسمه. بعد أن أعطى الله لموسى وصاياه العشر، أظهر له القصد من بناء المقدس كما أوضحه لموسى "لأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ". حرصَ الله أن يبيّن موسى المقدس حسب المثل السماوي كما نقرأ "واحرص أن يكون كلُّ ما تصنعه مطابقاً للمثال الذي أظهرته لك على الجبل" (خروج ٢٥: ٤٠) (الترجمة التفسيرية).

لعبَ القدس دوراً مهماً في بداية الحركة المجيئة كما أوضحته السيّد هوايت. كان موضوع القدس المفتاح الذي كشف عن سرّ خبيّة الأمل التي حدثت في عام ١٨٤٤. لقد كشف للأبصار عن نظام كامل للحقّ مترابط ومتوافق، مُظهرًا أنَّ يدَ الله وجّهت حركة المجيء العظيمة وموحياً الواجب الحالي بتسليطه الضوء على وضع شعبه وعمله" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٤٦٥).

نؤمن أن خدمة المسيح في القدس السماوي بدأت بصعود يسوع إلى السماء سنة ٣١ م. وإذ دخل إلى قدس الأقداس سنة ١٨٤٤م، بدأ السيّد المسيح الدينونة الحقيقية التي تسبق مجيئه الثاني وتستمر إلى انتهاء زمن النعمة، وتشمل هذه الدينونة مرحلتين: ١- على الأرض، حيث يطهر يسوع شعبه من خطاياهم من خلال غفرانه لهم، وسكنى الروح القدس، وتعاون الخُطاة بالتوبة، والاعتراف، والتسليم له. ٢- في السماء، يمحو المسيح سجلّ المغفرة لمن هجروا خطاياهم، ويُعدُّ شعبه للوقوف أمام إله قدوس بلا شفيع.

عند إتمام هذا العمل سيكون شعبُ الله مُستعدين لمجيئه الثاني. كان للمقدس ساحة خارجية يجتمع فيها عامة الشعب، وحجرتان: القدس حيث يُسمح للكهنّة فقط بدخولها، وقدس الأقداس حيث يستطيع رئيس الكهنّة فقط دخولها في "يوم الكفارة" مرة في السنة. ويفصل بينهما ستارة سميكة جداً بحيث كما يقول المؤرخ "يوسيفوس" أن أربعة ثيران لا يقدروا على شقّها. لكن عندما مات يسوع على الصليب، انشقَّ حجاب الهيكل إلى قسمين من فوق إلى أسفل.

صار لنا بعدها الثقة بالاقتراب من عرش النعمة والتحدث إلى فادينا الحبيب يسوع، وقد وعدَ له المجد قائلاً "الذي يُقبل إليّ، لا أُخرجه خارجاً". شكراً لك ربّي البار من أجل شفاعتك لي في المقدس السماوي. ساعدني أن أكون أهلاً لرؤياك عن قريب.

يسوع كَفَّارَةٌ لخطايا العالم

"وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِّخَطَايَانَا. لَيْسَ لِحَطَايَانَا فَقْطُ، بَلْ لِحَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا." (١ يوحنا ٢: ٢)

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله نفسه دبر الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تُرضي غضبه ومصالحة الخطاة إليه. يشير العمل الكفاري دائماً في العهد الجديد إلى عمل الله، وليس التقدّمات أو الذبائح التي يُقدّمها الإنسان. والسبب هو أن الإنسان لا يستطيع إطلاقاً إرضاء عدل الله. ولا تُوجد خدمة أو ذبيحة أو تقدمة يمكن أن يُقدّمها الإنسان لاسترضاء غضب الله المقدس أو إرضاء عدله الكامل.

وفي هذا يقول بولس في رومية ٥: ١٠-١١ عندما كنّا أعداء "صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ" وبالتالي فَتَحْنَا "نَفْتَحِرُ أَيْضًا بِاللَّهِ، بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالَحَةَ". نجد اندماج كلمة المُصَالَحَةِ بكلمة كَفَّارَةٍ.

كلمة "كَفَّارَةٌ" في معناها الأصلي تدلّ على حالة يكون المرء مُنسجماً أو على اتفاق مع. نستطيع إذا القول إن المعنى الأصلي لكلمة "كَفَّارَةٌ" تدلّ بدقّة على حالة مُصَالَحَةٍ تُنتهي حالة بُعَادٍ. والكَفَّارَةُ في خِدْمَاتِ الْمَقْدَسِ لَا تَتَضَمَّنُ قَتْلَ الْأُصْحِيَةِ أَوْ خُرُوفِ الذَّبِيحَةِ، بَلْ تَشْمُلُ أَيْضًا الْخِدْمَةَ الْكَهْنَوِيَّةَ لِدَمِهِ الْمُهْرَاقِ فِي الْمَقْدَسِ نَفْسِهِ.

يمكن، إذا، للكفارة أن تُشير إلى كل من موت المسيح وخدمته التشفعية في المقدس السماوي. هناك، بصفتك الكاهن الأعظم، يُطبّق منافع ذبيحته التامة والكاملة من حيث قيمتها التكفيرية لِنَجَرِ مُصَالَحَةِ الْبَشَرِ مَعَ اللَّهِ.

يوم الكفارة (لاويين ٢٣: ٢٧-٢٨)، المعروف أيضاً بيوم الغفران، كان أقدم كل أعياد واحتفالات شعب الله قديماً، حَسَبَ مَا أَوْضَحَهُ مُوسَى لَهُمْ، وَكَانُوا يَحْتَفِلُونَ بِهِ سَنَوِيًّا فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي التَّقْوِيمِ الْعِبْرِيِّ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، كَانَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَقُومُ بِمَرَّاسِمٍ دَقِيقَةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ. وَبِحَسَبِ مَا يَصِفُ لَاوِيِينَ ١٦: ١-٣٤، كَانَتْ طُقُوسُ الْكَفَّارَةِ تَبْدَأُ بِأَنْ يَدْخُلَ هَارُونُ، أَوْ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، إِلَى قُدْسِ الْأَقْدَاسِ.

وقد شَدَّدَ اللَّهُ عَلَى قُدْسِيَةِ الْيَوْمِ بِأَنْ أَمَرَ مُوسَى بِتَحْذِيرِ هَارُونِ مِنْ دُخُولِ قُدْسِ الْأَقْدَاسِ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَامٍ، وَإِلَّا يَمُوتُ (الآية ٢). لَمْ تَكُنْ هَذِهِ مَرَّاسِمٌ تَجْرِي بِاسْتِخْفَافٍ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَدْرِكَ الشَّعْبُ أَنَّ كَفَّارَةَ الْخَطِيئَةِ لَا بُدَّ أَنْ تَمَّ بِطَرِيقَةِ اللَّهِ.

توضح كاتبة مُلْهِمَةٌ مَا يَجْرِي فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ الْعَظِيمِ "وَفِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ كَانَ يُؤْتَى بِتِسْعِينَ مِنَ الْمَعْرَى إِلَى بَابِ الْخِيَمَةِ، وَكَانَتْ تُلْقَى عَلَيْهِمَا قُرْعَتَانِ "قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعِزْرَايِلَ" (لاويين ١٦: ٨). فَالْتِيسُ الَّذِي كَانَتْ تَقَعُ قُرْعَتُهُ لِلرَّبِّ كَانَ يُذَبِّحُ كَذِبِيحَةً خَطِيئَةً عَنِ الشَّعْبِ، وَكَانَ عَلَى الْكَاهِنِ أَنْ يَأْتِيَ بِدَمِهِ إِلَى دَاخِلِ الْحِجَابِ وَيُرْسِ دَمُهُ عَلَى غِطَاءِ التَّابُوتِ (كُرْسِيِّ الرَّحْمَةِ) وَأَمَامِهِ.

وَكَانَ يَجِبُ أَيْضًا أَنْ يُرْسَ مِنَ الدَّمِ عَلَى مَذْبَحِ الْبُخُورِ الَّذِي كَانَ أَمَامَ الْحِجَابِ. وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التِّيسِ الْحَيِّ وَيُقْرِ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ الشَّعْبِ وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ وَيُرْسِلُهُ يَدٌ مِنْ يُلَاقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. يَحْمِلُ التِّيسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضِ مَقْفَرَةٍ. وَلَا يَعُودُ عِزْرَايِلُ ثَانِيَةً إِلَى الْمَحَلَّةِ" (روح النبوة، الصِّرَاحُ الْعَظِيمُ، صَفْحَةٌ ٤٦١).

تُستَخدمُ كَلِمَةُ كَفَّارَةٍ فِي عِدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ لِتَوْضِيحِ مَا حَقَّقَهُ الْمَسِيحُ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. فَجَدَ مِثْلًا، فِي رُومِيَّةِ ٣: ٢٤-٢٥ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ". إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تُشَكِّلُ نَقْطَةً هَامَةً طَرَحَهَا بُولُسُ فِي رِسَالَةِ رُومِيَّةٍ، وَهِيَ فِي الْوَاقِعِ لُبُّ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ. إِنَّ مُخْلَصَنَا بَعْدَ صُعُودِهِ بَدَأَ عَمَلَهُ كَرِيسَ كَهَنَتِنَا.

يَقُولُ بُولُسُ فِي عِبْرَانِيِّينَ ٩: ٢٤ "لَأنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدِ أَشْبَاهِ الْحَقِيقَةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنَهَا، لِيُظْهَرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ لِأَجْلِنَا". دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لِأَجْلِنَا صَائِرًا رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الْأَبَدِ. رَبِّي يَسُوعُ، شُكْرًا لِأَنَّكَ صِرْتَ كَفَّارَةً لِحَطَايَايَ وَمُنَحْنِي الْخَلَاصَ بِمَوْتِكَ عَلَى الصَّلِيبِ، لَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ. آمِينَ.

المقدس السماوي والأرضي

"الَّذِينَ يَخْدُمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، كَمَا أُوحِيَ إِلَى مُوسَى وَهُوَ مُرْمَعٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَسْكَنَ. لِأَنَّهُ قَالَ: "انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أَظْهَرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ." (عبرانيين ٨: ٥)

درس هام نراه في الرسالة إلى العبرانيين، أن خطة الله وإرادته منذ الأزل لخلاص الإنسان، هي في المسيح يسوع، كما أشار بولس إلى آيات في العهد القديم أشارت إلى وعود قطعها الله بشأن نظام الذبائح قد تم استبدالها بعهد أفضل. يقتبس الكاتب في الآية أعلاه خروج ٢٥: ٤٠ حين أوصى الله موسى أن يصنع المقدس حسب المثل الذي أظهر له على الجبل، رغم أن لا شيء يضاهي سمو واتساع المقدس السماوي.

يستخدم الله الأحداث والأشياء كنموذج أو مثال، يشرح من خلالها إرادته، نرى مثلاً أول فصيح أكله بنو إسرائيل عشيّة خروجهم من مصر، صار رمزاً لخلاص الإنسانية من خلال الإيمان بذيبة المسيح. مثال آخر نراه في الحية النحاسية التي صارت رمزاً لصليب المسيح، فطقوس العهد القديم، كانت ظل للأشياء الحقيقية في خطة الله التي تحققت بيسوع المسيح.

خيمة الاجتماع التي بناها موسى بإرشاد من الله، والكهنة على نظام هارون اللاوي، مع كل الهبات والذبائح كانت وقتية. كانت طرازاً لمقدس حقيقي ودائم وأبدى في السماء حيث المسيح يخدم كرئيس كهنتنا المقدس والسماوي. فالبناء الأرضي وخدماته كانت مجرد مثال لأشياء أعظم في المقدس السماوي. ولا عجب، أن المقدس السماوي أعظم بكثير من الأرضي، والغريب في الأمر، أن كثيرين لا يزالون يتمسكوا بظلال العهد القديم ولا يرون عظمة مقدس الله في سمائه. تُعتبر دراسة المقدس هامة في فهم خطة الخلاص. كان المقدس الأرضي يرمز إلى حضور الله في علاقة عهد مع شعبه. فمن خلال المقدس، كان الناس يعبدون ويتواصلون مع الله. كما كان الحال مع خيمة الاجتماع في البرية، أصبح هيكل سليمان محط مجد الله ومركز العبادة، وكل ما كان في خيمة الاجتماع، وما بداخل القدس وقدس الأقداس تم نقله إلى الهيكل.

أراد الله أن يسكن مع شعبه في المقدس الأرضي، بشرط أن يتبع الشعب بدءاً بالملك ناموس الله، لكن الشعب لم يطيعوا الله دائماً ويحفظوا وصاياه. وهذا ما أكدّه الله لسليمان "هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنْتَ بَانِيهِ، إِنْ سَلَكْتَ فِي فَرَائِضِي وَعَمَلْتَ أَحْكَامِي وَحَفَظْتَ كُلَّ وَصَايَايَ لِلسُّلُوكِ بِهَا، فَإِنِّي أَقِيمُ مَعَكَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَيَّ دَاوُدَ أَبِيكَ" (الملوك الأول ٦: ١٢). كما كان الحال مع موسى، فقد استلم داود جميع تفاصيل بناء الهيكل بوحى من الله، مما يعزز الحقيقة أن مقدس البرية وهيكل سليمان في اورشليم، كانا تحت إرشاد الله. يذكر أخبار الأيام الأول أصحاب ٢٨ نية داود بناء بيت للرب، لكن الله أوضح له بسبب أنه رجل حروب وسفك دم، سيعطي البناء لابنه سليمان. لكن داود سلم ابنه مخطط بناء بيت الرب وكل ما أعده من مواد بناء أيضاً. فبينما كان الله هو مُعد ومُصمّم المقدس، فإن موسى، وداود، وسليمان كانوا مُنفّذي البناء. هناك ترابط بين المقدس الأرضي والسماوي، الذي هو أبدي، وفيه سكنى الله حقيقة. كما يرى المقدس الأرضي كقسم سُفلي يدعم نشاطات الله في السماء، تظهر تلك العلاقة عبر صفحات العهد القديم. احتاج المقدس السماوي إلى الأرضي ليظهر خطة الخلاص - بشرح كيف أن مشكلة الخطيئة تحل من الذبائح المُقدّمة في المقدس، أو الهيكل وُصولاً إلى خطة فداء الله بصليب المسيح.

المقدس السماوي هو مفهوم ذاتي من حيث أن المقدس الأرضي يعتمد في وظائفه على أهميته. شكرًا لك أبي السماوي، لأنك رئيس الكهنة تشفع فيّ أمام الآب، وعن قريب ستأتي كملك الملوك كي تأخذني معك إلى الديار الباقية حيث أنعم بحضورك على الدوام.

تطهير المقدس

"وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيْبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ! فَكَانَ يَلْزِمُ أَنْ أَمْثَلَهُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تُطَهَّرُ بِهِذِهِ، وَأَمَّا السَّمَاوِيَّاتُ عَيْنُهَا، فَبِذَبَائِحِ أَفْضَلِ مِنْ هَذِهِ."
(عبرانيين ٩: ٢٢ و ٢٣)

تَطَلَّبَ عُفْرَانُ الْخَطَايَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ سَفْكَ دَمِ ذَبِيحَةٍ، وَكَانَ نِظَامُ الذَّبَائِحِ وَأَثَاثُ الْهَيْكَلِ يَرْمُزَانِ إِلَى خِدْمَةِ الْمَسِيحِ حَمَلِ اللَّهِ الْحَامِلِ خَطَايَا الْعَالَمِ. وَكَانَ سَفْكَ الدَّمِ يُصَادِقُ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ اللَّهُ مَعَ شَعْبِهِ. شَرَحَ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ كَيْفَ أَنَّ مُقَوِّمَاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، كَانَتْ تَرْمِزُ لِحَقَائِقٍ مُوجُودَةٍ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، كَمَا كَانَتْ هَذِهِ الطُّقُوسُ وَالذَّبَائِحُ تُشِيرُ إِلَى حُلِّ أَفْضَلِ لَخَطَايَانَا. الذَّبَائِحُ الْحَيَوَانِيَّةُ تَكْفُرُ بِشَكْلِ وَقْتِي عَنْ خَطَايَا النَّاسِ، لَكِنْ ذَبِيحَةُ الْمَسِيحِ خَلَّصَتْ بِالتَّمَامِ بِقُوَّةِ دَمِ يَسُوعَ فِي حِينِ أَنْ الْحَيَوَانَ لَا يَمْلِكُ تِلْكَ الْقُوَّةَ.

يَتَطَلَّبُ تَطْهِيرُ الْمُقَدَّسِ تَيْسِينَ - تَيْسٍ لِلرَّبِّ وَتَيْسٍ يُطْلَقُ فِي الْبَرِّيَّةِ يُسَمَّى عَزَازِيلَ (الَّذِي يُمَثِّلُ الشَّيْطَانَ). يَأْخُذُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ دُمَّ تَيْسِ الرَّبِّ، الَّذِي يُمَثِّلُ دَمَ الْمَسِيحِ، إِلَى قُدْسِ الْأَقْدَاسِ، وَيَنْضَحُ بِهِ مُبَاشَرَةً، فِي حُضُورِ اللَّهِ بِالذَّاتِ، فَوْقَ غِطَاءِ الرَّحْمَةِ الَّذِي يُعْطِي تَابُوتَ الْعَهْدِ وَبِهِ الْوَصَايَا الْعَشْرُ، إِرْضَاءً لِمُتَطَلِّبَاتِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ. وَيَرْمِزُ عَمَلُهُ إِلَى الثَّمَنِ اللَّامَحْدُودِ الَّذِي يَتَّعَيْنُ عَلَى الْمَسِيحِ دَفْعُهُ عَنْ خَطَايَانَا. ثُمَّ يَنْضَحُ بِهَذَا الدَّمِ عَلَى مَذْبَحِ الْبُخُورِ، وَمَذْبَحِ الْمُحَرَّقَةِ الَّذِي رُشَّ كُلِّ أَيَّامِ السَّنَةِ بِالْأَمِّ، الَّذِي يُمَثِّلُ الْخَطَايَا الْمُعْتَرَفَ بِهَا. بِذَلِكَ يَكْفُرُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ عَنِ الْمُقَدَّسِ وَالشَّعْبِ كِلَيْهِمَا، مُسَبِّبًا تَطْهِيرَ الْاِثْنَيْنِ مَعًا. بَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُ الْكَاهَنُ الْأَعْظَمُ عَلَى عَاتِقِهِ، مُمَثِّلًا الْمَسِيحَ كَوْسِيطَ، الْخَطَايَا الَّتِي تَكُونُ قَدْ لَوَّثَتِ الْمُقَدَّسَ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُرْسِلُهُ إِلَى أَرْضِ مُقَفَّرَةٍ بَعِيدًا عَنْ مَحَلَّةِ شَعْبِ اللَّهِ. بِهَذَا الْعَمَلِ، يَزِيلُ خَطَايَا الشَّعْبِ وَيُطَهِّرُ الْمُقَدَّسَ. نَقْرَأُ فِي دَانِيَالِ ٨ عَنْ رُؤْيَا شَاهِدِهَا النَّبِيُّ دَانِيَالُ تَشْمُلُ أَرْبَعَةَ حَيَوَانَاتٍ تَرْمِزُ لِأَرْبَعَةِ مَمَالِكَ، بَعْدَ ذَلِكَ رَأَى قَرْنَ صَغِيرٍ تَعْظَمُ وَبِهِ أُبْطِلَتِ الْمُحَرَّقَةُ الدَّائِمَةُ، كَمَا طَرَحَ الْحَقُّ عَلَى الْأَرْضِ. انْزَعَجَ دَانِيَالُ بِالنِّسْبَةِ لِلرُّؤْيَا وَسَأَلَ عَنْ وَقْتِ الرُّؤْيَا فَجَاءَهُ الْجَوَابُ فِي الْآيَةِ ١٤ "فَقَالَ لِي: "إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلَاثَ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، فَيَتَبَرَّأُ الْقُدْسُ".

مِنْ خِلَالِ دَرَاثَةِ هَذِهِ النُّبُوءَةِ وَجَدَ عُلَمَاءُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّ نُبُوءَةَ ٢٣٠٠ سَنَةٍ بَدَأَتْ بِمَرْسُومِ إِعَادَةِ بِنَاءِ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلِ عَلَى يَدِ كُورَشِ الْمَلِكِ سَنَةَ ٤٥٧ ق.م. أَمَّا نَهَايَةُ هَذِهِ النُّبُوءَةِ فَكَانَتْ فِي ٢٢ تَشْرِينَ الْأَوَّلِ (أَكْتُوبَر) سَنَةَ ١٨٤٤ م، حِينَ دَخَلَ يَسُوعُ إِلَى قُدْسِ الْأَقْدَاسِ السَّمَاوِيَّةِ مُبْتَدَأً تَطْهِيرَ الْمُقَدَّسِ السَّمَاوِيِّ، وَسَيَسْتَمِرُّ هَذَا التَّطْهِيرُ إِلَى انْتِهَاءِ الْخَطِيئَةِ بِشَكْلِ نِهَائِي. فَيَسُوعُ بِصِفَتِهِ كَاهِنُنَا الْأَعْظَمُ وَشَفِيعِنَا، فَسَيَشْتَرِكُ فِي الدِّينُونَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ، حَيْثُ سَيَرِدُ اسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا وَسَيَتَقَرَّرُ مَصِيرُهُ، مَعَ يَسُوعَ شَفِيعِنَا لِيُدَافِعَ عَنَّا.

يَسُوعُ حَمَلِ اللَّهِ، يَسْتَعْمَلُ دَمَهُ لِيُغَطِّيَ خَطَايَانَا، لِأَنَّهُ يُرِيدُنَا أَنْ نَعِيشَ مَعَهُ فِي السَّمَاءِ إِلَى الْأَبَدِ. مَا أَرْوَعَ وَعَدَهُ لَنَا فِي رُؤْيَا ٣: ٥ "مَنْ يَغْلُبُ فَذَلِكَ سَيَلْبِسُ ثِيَابًا بَيْضًا وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلَائِكَتِهِ". دَوْرُنَا فِي هَذَا أَنْ نَقْبَلَ هَبَّتَهُ، وَنُسَلِّمَ حَيَاتِنَا لِقِيَادَتِهِ. فَهُوَ يَفْرَحُ أَنْ يُخَلِّصَنَا. فَلَا حَاجَةَ بِنَا لِلْخَوْفِ طَالَمَا أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ إِلَى جَانِبِنَا. بَعْدَ أَنْ يَتَقَرَّرَ مَصِيرُ كُلِّ شَخْصٍ، يَقُولُ يَسُوعُ: "وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرِتِي مَعِيَ لِأَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ" (رُؤْيَا ٢٢: ١٢).

بَعْدَ ذَلِكَ سَتَسْمَعُ الْكَلِمَاتِ "مَنْ يَطْلُمُ فَلْيَطْلُمُ بَعْدُ. وَمَنْ هُوَ نَجِسٌ فَلْيَتَنَجَّسْ بَعْدُ. وَمَنْ هُوَ بَارٌّ فَلْيَتَبَرَّرْ بَعْدُ. وَمَنْ هُوَ مُقَدَّسٌ فَلْيَتَقَدَّسْ بَعْدُ" (رُؤْيَا ٢٢: ١١). بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، يَكُونُ مَصِيرُ الْجَمِيعِ قَدْ تَقَرَّرَ وَيَسُوعُ قَدْ أَتَمَّ عَمَلَهُ الشِّفَاعِي، فَقَدْ حُجِّتِ آخِرُ خَطِيئَةٍ، وَتَمَّ تَطْهِيرُ الْمُقَدَّسِ السَّمَاوِيِّ.

لَقَدْ حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِهِ لِأَرْضِنَا. وَكُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوا هَبَّةَ خَلَاصِهِ سَيَنْضَمُّونَ إِلَيْهِ وَلَمَلَائِكَتِهِ لِيُلاقُوا الرَّبَّ فِي الْهَوَاءِ لِيَصْعَدُوا مَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَبَعْدَ الرَّمَنِ الْأَلْفِي سَيَقُومُ الْأَشْرَارُ وَيَتِمُّ الْقَضَاءُ عَلَى الشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعِهِ بِنَارٍ تَكُونُ نَتَائِجُهَا أَبَدِيَّةً. لَكَ الشُّكْرُ رَبِّي لِعَظِيمِ خَلَاصِكَ.

ما بعد موت يسوع

"فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقِ إِلَى أَسْفَلٍ".
(مرقس ١٥: ٣٧-٣٨)

يُعطينا مُرْفُسُ لَمَحَةٍ عن موت المسيح بَصْرَةَ أَسْلَمَ بَعْدَهَا الرُّوحَ. أَمَّا يُوْحَنَّا فَيُسَجِّلُ مَا قَالَهُ يَسُوعُ "قَدْ أَكْمَلَ". (يوحنا ١٩: ٣٠). يَكْتُبُ لَوْحًا ٢٣: ٤٦ "يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي". أخيراً بعد عذاب صباح يوم الجمعة والجلد و٦ ساعات وهو مُعلَّق على الصليب لم يَسْتَطِعْ جِسْمُ يَسُوعَ أَنْ يَحْتَمِلَ أَكْثَرَ قِمَاتٍ. لَقَدْ سَفَكَ دَمَهُ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا كَذِبِيَّةٍ كَامِلَةٍ. في الجانب الغربي للقدس في المقدس الأرضي كانت ستارة سميكة تفصل القدس عن قدس الأقداس، يُخْبِرُنَا "يوسيفوس" أَنَّ الحِجَابَ كَانَ طَوْلُهُ حَوَالِي مِثْرَيْنِ وَنِصْفٍ وَسُمُّكَ أَكْثَرَ مِنْ ١٠ سم. كَانَ الْحِجَابُ يَفْصِلُ الْخُطَاةَ مِنْ حَضُورِ اللَّهِ. وَبِمَوْتِ يَسُوعَ انْشَقَّ الْحِجَابُ وَلَمْ يَعُدْ ضَرُورِيًّا. يَسُوعُ هُوَ كَاهِنُنَا الْأَعْظَمُ وَذَبِيحَتُنَا، وَبِالْخِلَاصِ الَّذِي أَنْجَرَهُ، نَسْتَطِيعُ الْاقْتِرَابَ وَالتَّحَدُّثَ إِلَى اللَّهِ مُبَاشَرَةً.

كَانَ يَسُوعُ أَهْمُ شَخْصٍ عَاشَ عَلَى وَجْهِ هَذِهِ الْأَرْضِ. لَمْ يُوجَدْ أَيُّ شَخْصٍ عَمِلَ مَا قَامَ بِهِ يَسُوعُ، وَبِدُونِ مَجِيئِهِ وَانْجَازِ مَا قَامَ بِهِ فِي الْفِتْرَةِ الَّتِي عَاشَهَا ٣٣ سَنَةً، سَيَكُونُ الْعَالَمُ مَكَانًا مُخْتَلِفًا عَمَّا نَعْرِفُهُ الْآنَ. سَنَتَعَرَّفُ عَلَى أَرْبَعَةِ طُرُقٍ غَيْرِ مَوْتِ الْمَسِيحِ عَنْ خَطَايَانَا الْعَالَمِ وَحَيَاتِنَا أَيْضًا. ١- فَتَحَ يَسُوعُ الطَّرِيقَ إِلَى الْآبِ عَنْ طَرِيقِ الْخِلَاصِ بِدَمِهِ. قَبْلَ مَوْتِهِ، كَانَتْ عِلَاقَتُنَا مَعَ اللَّهِ غَيْرَ مُتَكَامِلَةٍ. بَعْدَ سُقُوطِ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي الْخَطِيئَةِ، طُرِدَا مِنَ الْجَنَّةِ وَوُضِعَ مَلَائِكَةُ لِيَمْنَعَ وَصُولَهُمَا إِلَى الْجَنَّةِ. حَتَّى عِنْدَمَا أُسِّسَ الْهَيْكَلُ، كَانَ الطَّرِيقُ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ مَسْمُوحًا لِرَئِيسِ الْكَهَنَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ. غَيْرَ مَوْتِ الْمَسِيحِ هَذِهِ الصُّورَةَ، وَفَتَحَ طَرِيقَ الْوُصُولِ بِثِقَةٍ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ، وَحُضُورِهِ بِسَبَبِ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ لِأَجْلِنَا. ٢- فَتَحَ يَسُوعُ الْبَابَ لِدُخُولِ الْأُمَمِ. عِنْدَمَا دَعَا اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَعْطَاهُ وَعْدًا إِذْ قَالَ فِي تَكْوِينِ ١٢: ٣ "وَتَبَارَكَ فِيمَكَ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ". تَحَقَّقَ هَذَا الْوَعْدُ بِشَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِذْ فَتَحَ الْبَابَ لِدُخُولِ الْأُمَمِ لِيَجِدُوا الْخِلَاصَ أَنْسَاجًا مَعَ خُطَاةِ اللَّهِ غَيْرِ عَصَوِ الزَّمَنِ. وَلَا عَجَبَ أَنْ قَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ وَلَنَا "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَابْعَثُوا الْإِنْجِيلَ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا". الْخِلَاصُ مُتَاحٌ لِلْجَمِيعِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

نَقْرَأُ فِي رُومِيَّةِ ٥: ١٧-١٨ "لَآنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالْأَوَّلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَتَالَوْنَ فَيُضَ النِّعْمَةُ وَعَظِيَّةُ الْبَرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ! فَإِذَا كَمَا بِخَطِيئَةِ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هَكَذَا بِبَرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهَبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ".

٣- بِمَوْتِهِ دَفَعَ ثَمَنَ خَطَايَانَا، وَبِقِيَامَتِهِ غَيَّرَ الْعَالَمَ. بَيْنَمَا كَانَ مَوْتُ يَسُوعَ ضَرُورِيًّا لِيَدْفَعَ ثَمَنَ خَطَايَانَا، إِلَّا أَنْ قِيَامَتِهِ قَدْ غَيَّرَتِ الْعَالَمَ. يُوكِّدُ بُولُسُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الْقِيَامَةِ يَقُولُهُ: "إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!". (١ كورنثوس ١٥: ١٧). تُجِيبُ الْقِيَامَةُ عَنْ أَيِّ تَسْأُولٍ عَنْ شَخْصِيَّةِ إِلَهِنَا الْمَحْبُوبِ، وَفِي اجَابَتِي عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، يُحَدِّدُ مَا تَبْقَى مِنْ حَيَاتِي عَلَى الْأَرْضِ، بَلْ وَمَصِيرِي الْأَبَدِيِّ أَيْضًا.

٤- نَرَى مَحَبَّةَ اللَّهِ بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ. فِي تَجَسُّدِهِ، أَعْطَانَا يَسُوعُ صُورَةَ وَاضِحَةً عَنِ اللَّهِ الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَاهُ. كَمَا أَعْطَانَا بِحَيَاتِهِ وَمِثَالَهُ صُورَةَ عَنْ مَقْدَارِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَنَا. وَلَا عَجَبَ، فَقَدْ تَجَلَّتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي قِمَّتِهَا بِمَوْتِ يَسُوعَ عَنْ خَطَايَانَا. رَأَيْنَا فِي تِلْكَ التَّضَحِّيَةِ مَحَبَّةَ اللَّهِ بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ، إِلَى جَانِبِ، رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ، وَمَاهِيَةِ اللَّهِ- لَآنَّهُ كَانَ اللَّهُ الْمُتَجَسِّدُ. مِنَ الْمُهْمِ أَنْ نَتَذَكَّرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَالَمِ، وَالْأَهَمُّ هُوَ أَنَّهُ يُحِبُّكُمْ وَيُحِبُّنِي، أَحَبَّنَا وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ وَمَاتَ لِأَجْلِنَا، وَاللَّهُ الَّذِي غَيَّرَ الْعَالَمَ قَبْلَ أَلْفِي سَنَةٍ، قَادِرٌ أَنْ يُغَيِّرَ حَيَاتَكَ لِتَكُونَ عَلَى صُورَةِ ابْنِهِ لِمَجْدٍ مِنْ أَحَبَّنَا، وَمِنْحُنَا هِبَةَ الْخِلَاصِ، لِيُعْطِينَا حَيَاةَ تَفِيضٍ بِمَحَبَّتِهِ عَلَى الدَّوَامِ. آمِينَ.

خِدْمَةُ يَسُوع فِي الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ

"لأنه يُوجَدُ إِلَهُ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ."

(١ تيموثاوس ٢: ٥)

يتناول الرسول بولس في هذه الآية فكرتين عن الله: ١- وحدانية الله حيث يقول يُوجَدُ إِلَهُ وَاحِدٌ ٢- مفهوم الوسيط الواحد بين الله والناس. الوسيط هو الشخص الذي يتوسط بين شخصين أو مجموعتين. يعمل يسوع على جذب الناس نحو الله، لأنه الاسم الوحيد الذي به نخلص، كما يدعى المسيح وسيط العهد الجديد. يُسلط بولس الضوء على بشرية يسوع بقوله "الإنسان يَسُوعُ الْمَسِيحُ" إذ هو الله ظهر في الجسد. الله الكامل والإنسان الكامل أيضاً. في المقابل، الإنسان خاطئ وشرير. شكراً لله أن هناك وسيط واحد، نأتي من خلاله إلى الآب السماوي، قدّم دمه ثمناً لخطايانا وبموته صالحنا مع خلقنا له كلّ المجد.

إنّ الكتاب المقدس، ولا سيّما العهد الجديد، واضح جداً بشأن دور المسيح كرئيس كهنتنا في المقدس السماوي - وهو الدور الذي أخذه بعد أن أتم عمله كذبيحتنا هنا على الأرض. إن عمله التشفعي هو أمر حاسم جداً بالنسبة لإعداد شعبه لأن يكونوا مُستعدين لزمن النهاية.

أرسل الله المسيح ليكون ذبيحة خطية لكي يدين الخطية في الجسد. ماذا يعني هذا؟ إن المسيح، بوصفه كائن سرمدى، لا يمكن أن يموت. لذلك، كان عليه أن يأخذ على عاتقه الطبيعة البشرية، فأصبح إنساناً حتى يمكنه أن يموت كبديل عنا.

لكن قصة المسيح وعمله لخلّصنا لا تنتهي في الأناجيل، ولا تنتهي حتى بموته وقيامته. فإننا نجد أن سفر العبرانيين، يتطرق من البداية، إلى موضوع المسيح بصفته رئيس الكهنة في المقدس السماوي بعد عمله كحمل الذبيحة. ومن أول ذكر له في هذا الدور بعد الصليب (عبرانيين ١: ٣)، نجد أن الأصحاح السابع بكامله من العبرانيين يشير إلى المسيح باعتباره رئيس كهنة. ويتم تصوير عمله في المقدس السماوي بصورة مفصلة.

إنّ المسيح قادر على أن يُخلّص بالتمام نظراً لعدة مؤهلات لا يمكن أن تكون لدى أي كاهن آخر على الإطلاق. فالمسيح هو الله الذي لديه السلطة ليغفر الخطايا. كما أن كهنوت المسيح هو كهنوت دائم. وخلال التاريخ المسيحي، يتشفّع المسيح كلّ الوقت من أجل شعبه، بنفس الشفقة المحبة التي أبداهها عندما شفى المرضى، وواسى من يعانون من الوحدة. كما أنّه كان بشراً، ولكنّه وُلِدَ بلا خطية وظلّ على هذا النحو. والمسيح، الذي كان بلا خطية. مات تحت وطأة مجمل خطايا البشر.

دخل المسيح إلى المقدس السماوي، بل دخل إلى حضرة الله، كسابق لأجلنا. معنى هذا أن المسيح واقف أمام الآب مُقدِّماً استحقاقات كفّارته، "الفداء الأبدي" الذي "أحرّزه" لأجلنا. لذا، فإننا كمسيحيين يواجهون الأيام الأخيرة، نحتاج إلى إدراك أهمية الوقت الذي نعيش فيه. لكن علينا أن نستريح في ضمان ما

قام به المسيح من أجلنا في الماضي، وما يقوم به من أجلنا الآن في قدس الأقداس بالمقدس السماوي. شكراً لك ربّي يسوع لما قُمتَ به من أجلي، لأنك تمثّلني كخاطئ تائب وتنب عني أمام الآب بفضل استحقاقاتك، أدرك أنك قادر أن تُخلّص إلى التمام، هبني الصّفح والمغفرة يا شفيعي الوحيد، كي أراك في مجدك عن قريب، لك التسبيح والكرامة أبد الدهور.

تَفْهَمُ دَعْوَةَ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ

"بِالْإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي." (عبرانيين ١١: ٨)

يُسَمَّى عبرانيي ١١ بإصحاح الإيمان، حيث تبرُّز أمثلة حيَّة لرجال ونساء الله الَّذِينَ أَطَاعُوا صَوْتَهُ، وساروا في طريقه، ونالوا البركات التي وَعَدَهُمْ بِهَا. كَانَتْ الثِّقَةُ بِاللَّهِ هِيَ التعبير عن إيمانهم الْخَلَاصِي فيه، والتي قَادَتْهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وُضُوح نَهَايَةِ هَذِهِ الْمَسِيرَةِ.

يَبْرُزُ أَبُو الْمُؤْمِنِينَ إِبْرَاهِيمَ، كَأَعْظَمِ مِثَالٍ لثِقَتِهِ الْمُمَيَّزَةِ بِصَدِيقِهِ اللَّهِ. نَلْتَقِي بِهِ فِي تَكْوِينِ ١٢ وَكَانَ اسْمُهُ آنَ ذَاكَ أَبْرَامَ، عُمُرُهُ ٧٥ عَامًا، بِدَعْوَةِ اللَّهِ لَهُ لِيَتْرَكَ بَيْتَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَمِيرَاثَهُ فِي أَوْرُ الْكِلْدَانِيِّينَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ مَا يُخْبِئُهُ لَهُ الْمُسْتَقْبَلُ، اخْتَارَ دَرْبَ طَاعَةِ اللَّهِ كَشَعَارٍ لِحَيَاتِهِ، وَصَارَ مِثَالًا لِلْإِيمَانِ رَغْمَ مَا وَاجَهَهُ مِنْ صَعُوبَاتٍ وَتَحَدِّياتٍ.

عَاشَ إِبْرَاهِيمُ فِي بَيْئَةٍ وَثْنِيَّةٍ، ابْتَعَدَتْ عَنِ اللَّهِ الَّذِي نَجَّاهُمْ مِنْ دِينُونَةِ الطُّوفَانِ، بِفَضْلِ إِيْمَانِ نُوحٍ فِي خَالِقِهِ الرَّحِيمِ. يُخْبِرُنَا الرِّسُولُ بُولَسُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَطَاعَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ "فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا" - لِأَنَّهُ آمَنَ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَكَانَتْ لَهُ الثِّقَةُ بِأَنَّهُ سَيُحَقِّقُ مَا وَعَدَ بِهِ، فَأَطَاعَ كَلَامَهُ. يَأْتِي مَجْدُ الْخَلَاصِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ. الْعُفْرَانُ أَيْضًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ، بِالْإِيمَانِ، وَالْبَرُّ الَّذِي يُحْسَبُ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ، بِالْإِيمَانِ. نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْأَمَامِ إِلَى مُخْلَصِهِ الْمَصْلُوبِ، وَتَحَقَّقَ الْكُلُّ بِالْإِيمَانِ.

تَصِفُ كَاتِبَةُ مُلْهَمَةٍ مَا مَرَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "إِنَّ هَذَا الْامْتِحَانِ الَّذِي امْتُحِنَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ امْتِحَانًا سَهْلًا، وَالتَّضَحِّيَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ لَمْ تَكُنْ هَيْئَةً، فَلَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ أَوَاصِرٌ وَثِيقَةٌ تَرْبِطُهُ بِوَطْنِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَبَيْتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي إِطَاعَةِ الدَّعْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ سَوْأَلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ أَرْضِ الْمَوْعِدِ - لَمْ يَسْأَلْ هَلْ كَانَتْ الْأَرْضُ خَصْبَةً وَ الْمَنَاحُ صَحِيحًا، وَلَا هَلْ كَانَ مَوْقِعُ الْبِلَادِ وَالْجَبَرَةِ مَقْبُولَيْنِ، بَحِيثٌ يَتِمَكَّنُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ لِنَفْسِهِ ثَرَوَةً هُنَاكَ، فَمَا دَامَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَلَّمَ فَعَلَى عِبْدِهِ أَنْ يُطِيعَ. إِنَّ أَسْعَدَ مَكَانٍ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يُرِيدُهُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ" (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٠٣).

وَصَلَ إِبْرَاهِيمُ فِي تَرْحَالِهِ وَالْمَكَانِ الَّذِي نَزَلُوا فِيهِ أَوَّلًا، كَانَ شَكِيمَ، فَهُنَاكَ فِي ظِلَالِ بِلُوطَاتٍ مَوْرَةٍ، وَفِي وَادٍ فَسِيحٍ بِهِ عُشْبٌ كَثِيرٌ حَيْثُ كُرُومُ الزَّيْتُونِ وَالْيَنَابِيعِ الْجَارِيَةِ، بَيْنَ جَبَلٍ عِيَالٍ مِنْ هُنَا، وَجَبَلٍ جَرَزِيمٍ مِنْ هُنَاكَ - فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ نَصَبَ إِبْرَاهِيمُ خِيَامَهُ، وَكَانَتْ الْبِلَادُ الَّتِي أَتَى إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ جَيِّدَةً وَجَمِيلَةً. "فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ". وَإِذْ كَانَ لَا يَزَالُ مُتَعَرِّبًا فَسْرَعَانًا مَا انْتَقَلَ إِلَى بُقْعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ بَيْتِ إِيلَ، ثُمَّ عَادَ فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي دُعِيَ ٣ مَرَّاتٍ "خَلِيلَ اللَّهِ" يُقَدِّمُ لَنَا مِثَالًا نَبِيلًا، لَقَدْ كَانَتْ حَيَاتُهُ حَيَاةَ الصَّلَاةِ، فَأَيْنَمَا نَصَبَ خِيَمَتَهُ كَانَ يُقِيمُ إِلَى جَوَارِهَا مَذْبَحًا، دَاعِيًا كُلَّ مَنْ فِي مَحَلَّتِهِ لِلِاشْتِرَاكِ مَعَهُ فِي تَقْدِيمِ الذَّبَائِحِ الصَّبَاحِيَّةِ وَالْمَسَائِيَّةِ، وَحِينَ كَانَ يَنْقُلُ خِيَمَتَهُ كَانَ الْمَذْبَحُ يَظُلُّ قَائِمًا شَهَادَةً لِأَمَانَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ الْحَيِّ، وَكَانَ بَيْنَ الْكَنْعَانِيِّينَ الْجَوَابِينَ مَنْ قَبَلُوا التَّعْلِيمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ. نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْكَثِيرَ مِنْ دَعْوَةِ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ.

إِنَّهُ شَخْصِيَّةٌ بَارِزَةٌ فِي الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، وَقَدْ أَفْرَدَ سِفْرَ التَّكْوِينِ لِحَيَاتِهِ ١٢ أَصْحَاحًا، كَمَا تَمَّ ذِكْرُهُ فِي أَرْبَعَةِ رِسَائِلٍ وَهِيَ (رُومِيَّةٌ، غَلَاتِيَّةٌ، عِبْرَانِيَّةٌ، وَيَعْقُوبُ). وَقَدْ اعْتَبَرَ إِبْرَاهِيمَ مُؤَسِّسَ الثَّلَاثِ دِيَانَاتِ التَّوْحِيدِيَّةِ، الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ مُمَيَّزَةٌ لِيَتْرَكَ بَيْتَهُ وَمَدِينَتَهُ، وَيَتَّبِعَ اللَّهَ لِيَكُونَ بَرَكَةً لِلْعَالَمِ.

يَدْعُونَا اللَّهُ لَنَكُونَ تَلَامِيذَهُ وَنُطِيعَهُ كَمَا أَطَاعَهُ إِبْرَاهِيمُ بِالْإِيمَانِ. لِيُبَارِكَ الرَّبُّ الْقَدِيرُ حَيَاتَنَا وَيُقَوِّيَ إِيْمَانَنَا لَنَعِيشَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، اسْتَعْدَادًا لَنَرَاهُ فِي مَجْدِهِ إِذْ يَعُودُ لِيَأْخُذَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي أَنْتَظِرُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَرَاهَا.

دَعَوَاتٍ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ

"الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا مَدْعُوو يَسُوعَ الْمَسِيحِ. إِلَى جَمِيعِ الْمُؤْجُودِينَ فِي رُومِيَّةَ، أَحِبَّاءَ اللَّهِ، مَدْعُوِينَ قَدِيسِينَ: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ آبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (رومية ١: ٦ و ٧)

يُعلن رسول الأمم بولس رسالته في الحياة، والتي أعطاهها له الرب يسوع، ودعاؤه كي يُذيع رسالة طاعة الإيمان لجميع الأمم، بمن فيهم المؤمنين في رومية. كما يوضح قصده من كتابة هذه الرسالة، يُعطيههم وصفاً رائعاً لأخبار الإنجيل السارة بالإيمان بالمسيح، وما حَقَّقَهُ بِمَوْتِهِ عَلَى الصليب. هؤلاء مَدْعُوو يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي رُومِيَّةَ، المَدْعُوِينَ قَدِيسِينَ وَأَحِبَّاءَ اللَّهِ وَمُمَثِّلِيهِ عَلَى الْأَرْضِ هُمْ مَنْ كَتَبَ لَهُمْ بُولَسَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ. يُسمِّي العهد الجديد كُلَّ مَنْ آمَنَ بِالْمَسِيحِ "قَدِيس" لِأَنَّهُ لَهُ الْمَجْد "قَدُوس" فَاتَّبَاعَهُ "قَدِيسِينَ" أَيْضًا.

إِذْ كَتَبَ بُولَسَ رِسَالَتَهُ إِلَى الْقَدِيسِينَ الْمَسِيحِيِّينَ فِي رُومَا، كَانَتْ كَلِمَاتُهُ وَدَعْوَتُهُ مُوجَّهَةً لَكُمْ وَلِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ عِبَرِ السَّنِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِخَلَاصِهِ الْعَظِيمِ. تَأْتِي الدَّعْوَةُ لَنَا الْمَدْعُوِينَ مِنَ اللَّهِ وَلَنَا يَقِينِيَّةُ الرَّجَاءِ بِمِيرَاثِهِ الْأَبَدِيِّ الْمَحْفُوظِ لِأَجَلْنَا فِي السَّمَاءِ، بَانْتِظَارِ أَنْ تَحَقِّقَ كَلِمَاتِ بُولَسَ فِي حَيَاتِنَا "فَهَؤُلَاءِ دَعَاَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا" (رومية ٨: ٣٠). لَنَا التَّبَرُّيرُ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ عِنْدَ قُبُولِنَا هِبَةً خَلَاصِهِ، وَنَنُمُو فِي التَّقْدِيسِ إِذْ نَنُمُو بِالنِّعْمَةِ مَدَى حَيَاتِنَا، وَالتَّمَجِيدِ عِنْدَ مَجِيءِ يَسُوعَ ثَانِيَةً.

نَجِدُ اللَّهَ يَدْعُو الْعَدِيدَ مِنَ الْأَشْخَاصِ عِبَرِ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لِيَتَّحِدُوا مَعَهُ لِلْقِيَامِ بِعَمَلٍ خَاصٍ لَهُ، وَقَدْ زَوَّدَهُمْ بِقُوَّةِ رُوحِهِ وَهَدَاهُمْ لِاتِّمَامِ الْعَمَلِ. نَقْرَأُ فِي رُومِيَّةِ ١١: ٢٩ "لَأَنَّ هَبَاتِ اللَّهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بَلَا نَدَامَةٍ". اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ أَوْ يُلْغِي دَعْوَتَهُ لِأَنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ، وَقَادِرٌ أَنْ يَضْمَنَ تَحْقِيقَ قَصْدِهِ فِي حَيَاةِ شَعْبِهِ.

أَوْضَحَ يَسُوعُ هَذَا الْأَمْرَ إِذْ قَالَ فِي يُوحَنَّا ١٠: ٢٧-٢٩ "خَرَّافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعْنِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطِفَ مِنْ يَدِ أَبِي". دَعْوَةُ اللَّهِ هَامَةٌ لَكُمْ وَلِي، وَهُوَ الْقَادِرُ أَنْ يُعِينَنَا لِإِنْجَازِ مَا يَطْلُبُهُ مِنَّا. يُؤَكِّدُ بُولَسَ أَنَّ جُزْءًا مِنْ مَدْعُوِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَأَنَّنَا نَحْمِلُ اسْمَهُ وَنَنْتَمِي إِلَيْهِ. وَفِي دَعْوَتِهِ يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّ "كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الْمَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨). عِنْدَمَا نَنْتَمِي لِيَسُوعَ، يَكُونُ قَصْدُ حَيَاتِنَا أَنْ نَمَجِّدَ خَالِقَنَا عَلَى الدَّوَامِ، إِذْ نُحِبُّ اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِنَا وَقَرِينِنَا مِثْلَ نَفْسِنَا. الرَّبُّ يَدْعُونَا أَيْضًا لِنُشَارِكَ فِي فِدَائِهِ فِي الْعَالَمِ. مَاتَ يَسُوعُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا، وَوَاجِبُنَا كَمَسِيحِيِّينَ أَنْ نُشَارِكَ فِي الْكِرَاةِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي أَنْجَزَهُ بِمَوْتِهِ عَلَى الصليبِ، وَنُعِيدَ بِشَهَادَتِنَا قَصْدَ اللَّهِ لِلْعَالَمِ مِنْذُ الْبَدَايَةِ.

خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ وَأَمَرَهُ بِالْعَمَلِ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ. وَالْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ تَعُودُ إِلَى مُطَالَبَةِ مُوسَى بِالْمُعَامَلَةِ الْعَادِلَةِ بَيْنَ الْعُمَّالِ. وَقَدْ جَاءَ فِي وَصِيَّةِ يَوْمِ السَّبْتِ فِي خُرُوجِ ٢٠: ٩ "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ". كَمَا أَوْضَحَ يَسُوعُ أَهَمِّيَّةَ الْأَمَانَةِ فِي الْعَمَلِ الْجَيِّدِ، وَطَالَبَ بُولَسَ بِضَرُورَةِ الْعَمَلِ كُجُزْءٍ مِنْ مَسَاهِمَتِنَا فِي مُجْتَمَعِنَا. تَتَكَلَّمُ آيَاتُ أُخْرَى عَنْ هَذَا الْعَمَلِ فِي رُؤْيَا ٢١ حَيْثُ تَمْشِي شُعُوبُ الْمُخَلَّصِينَ فِي الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَيَعُودُ لِلْعَمَلِ كِرَامَتُهُ وَمَجْدُهُ.

دَعْوَةُ أُخْرَى مِنَ اللَّهِ هِيَ لِلْحَيَاةِ وَالرَّجَاءِ. يُرِيدُ لِأَوْلَادِهِ وَبَنَاتِهِ أَنْ يَعِيشُوا وَيَمُوتُوا بِرَجَاءِ الْأَمَلِ. نَرَى فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَظَمَةَ اللَّهِ وَسِرُّورَهُ أَنْ يَسْتَخْدِمَنَا لِأَعْظَمِ مَجْدٍ فِيهِ، وَتَأْتِي هَذِهِ الدَّعْوَةُ بِالْقُوَّةِ لِنَعْمَلَ كَمَا يُوصِينَا، كَمَا تَأْتِي بِنَا لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالنُّورِ، وَالْحُرِّيَّةِ، وَالْمَجْدِ.

كُلُّ مَنْ يَنْتَمِي لِيَسُوعَ مَدْعُوٌ لِيَكُونَ نُورًا يَشْعُرُ بِنُورِ الْمَسِيحِ بِطَاعَةِ حُبِّيَّةٍ، وَيُشَارِكُ أَخْبَارَ خَلَاصِهِ وَقُرْبِ مَجِيئِهِ مَعَ مَنْ يَحْتَكَ بِهِمْ عَلَى دَرْبِ هَذِهِ الْحَيَاةِ. هَلْ أَنْتَ مُسْتَعِدٌّ عِنْدَمَا تَصِلُكَ الدَّعْوَةُ أَنْ تَقُولَ "يَا رَبِّ هَآنَذَا أَرْسِلْنِي". لِيُبَارِكَ اللَّهُ الْقَدِيرَ حَيَاتَكَ لِمَجْدِهِ. آمِينَ.

دعوة الله لملكوته ومجده

"وَشْهَدُكُمْ لِكَي تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلَّهِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ." (١ تسالونيكي ٢: ١٢)

يتابع الرسول بولس وصفَ خدمته لمؤمني تسالونيكي مثل أب يعلم ويُشجع أبنائه، هكذا يحث المسيحيين هناك على العيش بطريقة تُمجّد الله والمشاركة في ملكوته ومجده. تأتي الفكرة قبل دخول شعب الله قديماً إلى كنعان، حيث أوصاهم موسى بحفظ جميع فرائض ووصايا الله بشكل جدي ومسؤول، وأن يقصوها على أولادهم في جميع الأوقات. ولا عجب أن يوصي الحكيم ابنه قائلاً "اسمعوا أيها البنون تأديب الأب، واضعوا لأجل معرفة القهم". (أمثال ٤: ١). بنفس رغبة الأب الحكيم، أوصى بولس أبنائه الروحيين في تسالونيكي.

ينحصر اهتمام المسيحي بتطوير صفاته الشخصية، والنمو في النعمة، والنضوج في الإيمان، وإظهار ثمر الروح، أكثر من نشاطات الخدمة- رغم أهميتها لنا أو للآخرين. لذا قدّم بولس التحدي لمؤمني تسالونيكي ولنا، ليسيروا باستحقاق دعوة الله لحياتهم. كما حثهم على العيش بطريقة تكريم الله، الذي يدعو كل واحد منا لملكوته ومجده. والرسالة التي علمها بولس، مقرونة بأسلوب حياته، كانت مثلاً حياً لسيّر يليق بالله. هكذا عاش ليكرم سيده الرب ويعكس صفات الله.

نقرأ في كلمة الله، أن أخنوخ سار مع الله في الأيام التي امتلأ فيها هذا العالم القديم بالظلم والفساد، لكن على الرغم من ذلك، نرى شخصاً يسير مع الله في حالة الانفصال عن الشر المحيط به. فقد ميز الشر وانفصل عنه، وميز قداسة الله فسار مع الله. وقد فسّر الرسول في رسالة العبرانيين عبارة "وسار أخنوخ مع الله" أنه أَرْضَى الله، فيقول "بالإيمان نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَي لَا يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوَجَدْ لَأَنَّ اللَّهَ نَقَلَهُ. إِذْ قَبِلَ نَقْلَهُ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللَّهَ" (عبرانيين ١١: ٥).

كما تكلم الرسول يهوذا في الآية ١٤ عَنْ كِرَاةِ أَخْنُوخِ حَوْلَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً "وَتَبَّأَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ السَّابِعُ مِنْ أَدَمَ قَائِلًا: "هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رِبَوَاتٍ قَدِيسَةٍ".

كان إيليا يعيش حياة تقوى كاملة، وأحبَّ الله الذي ملك قلبه وكل كيانه، فأبغض العالم وكل ما فيه، مُلقياً به خلف ظهره لأن هذا العالم سيمضي وكل شهوته. أحبَّ السماء وعاش في أجواء تسبيح دائم لأنه انجذب إليها.

وكان عادة يلبس ثوباً من الشعر ومنطقة من الجلد على حقويه (٢ ملوك ١: ٨). وكان يوحنا يشبهه إذ أعدَّ قلب الشعب للإيمان بالمسيح (متى ٣: ٤)، والمسوح التي كان إيليا النبي يُغطّي بها جسده تُشير إلى حياة الانسحاق والتذلل قدام الله، وهو يحمل في انسحاقه الداخلي قوة! إنها قوة إلهية تعمل فيه. إيليا النبي سلّم

للرب حياته تسليماً كاملاً، ليعمل بها حسب قصده المعروف في علمه السابق.

هكذا تطول القائمة لرجال ونساء لبوا دعوة الله وعاشوا لملكوته ومجده. فمنهم من قدّسه من الرحم، وجعله نبياً للشعوب مثل إرميا، ومنهم من وقف أميناً لله رغم إلقائه في جُب الأسود مثل دانيال، أمّا يوحنا المعمدان فقد أرسل الله ملاكه إلى أبيه زكريا بتعليمات عن ابنه "بأنه سيكون عظيماً وخمراً ومُسكِراً لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس" (لوقا ١: ١٥). أما الرسول بولس فكانت دعوته عند مُواجهته ليسوع على طريق دمشق، وكم تألم في خدمته وحياته.

وأروع مثال للطاعة والتسليم نجدها في شخص الرب يسوع المسيح. لقد وضع هدف حياته في المجمع بمدينة الناصرة حيث قال "روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأُنَادِيَ لِلْمَأسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعَمِيِّ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا ٤: ١٨). هنيئاً لك عزيزي، وأنت تعيش لمجد من فداك، وتستعد للعيش معه في ملكوت المجد عن قريب. آمين.

دعوة الله العليا

"أَسْعَى نَحْوَ الْعَرَضِ لِأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (فيلبي ٣: ١٤)

يستعمل الرسول بولس فكرة العداء الذي يركّز في السباق على هدف الفوز في النهاية. هذا يجعله ألا يلتفت إلى الوراء، أو يسمح لأي معوقات على الطريق، أن تلهيه عن هدفه الذي هو "دعوة الله العليا في المسيح يسوع". كان قصد حياته أن يكون مع المسيح، وليس حياة الخطيئة التي عاشها في الماضي. أملي أن يكون هذا قصدنا في الحياة أيضاً أن نربح المسيح ونعيش لمجده. تركيز بولس واضح هنا أن نعيش هذا اليوم والأيام المقبلة، لنكون مستعدين لملاقاة سيدنا المسيح إذ يأتي عن قريب.

في ضوء المجد الأبدي الذي أمامنا، فإن الأشياء الحاضرة تفقد قيمتها، والأحزان التي تواجهنا نراها وقتية. وبالمقارنة مع المجد الآتي، فإن الأشياء التي اكتسبها الجسد لم تكن فقط بلا قيمة في نظر الرسول، ولكنها مُعَيِّبَةٌ وَمُعْطَلَةٌ كذلك. والرسول بولس إذ رأى تفاهماً، فإنه لم يطرَحها خَلْفَهُ فقط، ولكنه نسيها جميعاً، وكأنه يقول: إنها لا تستحق أن نتكلم عنها بل أن ندينها، إنني أنساها (فيلبي ٣: ١٣).

كان المسيح أمام بولس كالعرض الذي يسعى إليه ليكون معه ومثله في المجد. إن شيئاً واحداً كان يطلبه، وهو أن يتمسك بالمسيح في المجد، كالجائزة التي تنتظره في نهاية الرحلة.

تختلف رحلة الحياة من شخص لآخر، حيث لكل منا مشاكله الخاصة، صعوبات وتحديات مختلفة عن غيره، والله قد أعطى لكل منا عطايا وقدرات ونعم تميزنا أيضاً. لكن دعوة القُدوس لكل أبنائه وبناته في الحياة هي أن يسعى ليصير على صورة فاديه، ويعيش بالتقوى في المسيح يسوع، الذي أحبه وأسلم نفسه من أجله.

لذا، فكل مؤمن ومؤمنة مدعوّان لركض سباق الحياة الموضوع أمامهما. ولكل مسيحي قصد خاص يدعوه الله نفسه كي ينظر إليه، وخطة أعدّها الآب، لأنه هو العامل فينا لنزيد ونعمل ما يرضيه.

إنه شيء مبارك لكل المؤمنين كباراً وصغاراً، أننا إذا لم نمسك بالمسيح في المجد، فالمسيح يمسك بنا، والذي ابتدأ عملاً صالحاً فينا يكمله إلى النهاية. لا يهم صعوبة الدرب، وكثرة التجارب وعمق الأحزان، وقوة العدو، فالمسيح لن يتركنا. إنه قادر "أن يخضع لنفسه كل شيء". وهكذا في النهاية سنكون مثله ومعاً في المجد.

يدعو الله الجميع للخلاص بقوله على لسان النبي إشعياء ٤٥: ٢٢ "الْتَفَتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الْأَرْضِ، لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرٌ". أما الدعوة التي نتكلم عنها هنا فهي المتعلقة بمن قبلوا الرب يسوع المسيح مُخْلِصاً، فأصبحوا جنساً جديداً مدعوّاً لحياة جديدة وامتيازات جديدة. وليس الهدف هو مجرد حفظ آيات لزيادة المعلومات في الذهن فقط، بل أن نتأمل بخشوع فيما يُعلِّمنا إياه الروح القدس، فنتخلص من مغريات هذا العالم الحاضر الشرير، وتمتلئ قلوبنا بأفراح السماء، وبذلك يمكننا أن نكرس حياتنا لمجد من دعانا بِنِعْمَتِهِ.

عاش بولس ليعرف المسيح، ووضع لذلك هدفاً كي يربح المسيح في النهاية، وقد حث المؤمنين في فيلبي ٣: ١٣ على نسيان حياة الماضي كما نسيها هو فيقول "أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسَبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئاً وَاحِداً: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَيْ مَا هُوَ قُدَّامٌ". يَعْتَرِفُ بُولُسُ بِأَنَّهُ خَاطِئٌ مِثْلُ أَيِّ وَاحِدٍ مِنَّا، لَكِنَّهُ يَمْتَدُّ إِلَى الْأَمَامِ لِيَفُوزَ بِالْجَائِزَةِ الْكُبْرَى، وَيَحْمِلَ دَعْوَةَ اللَّهِ إِلَى الْأُمَمِ وَسَطِ الضِيقِ وَالْأَلَمِ.

أملي أن يكون هذا قصد حياتك قارئ العزيز. يسوع فاتحاً ذراعيه لاستقبالك، فلا تتردد واقبل إليه قبل فوات الأوان، لتجد الراحة بين يديه. لن يطول الوقت حيث سيعود ثانية ليأخذك معه إلى الديار الأبدية، عندها سيصبح الحلم حقيقة، وتفوز بجائزة الحياة الأبدية. إلى ذلك اليوم المجيد، عش أميناً لمن أحبك وفداك بدمه الطاهر، والرب معك ويحفظك بسلامه أبد الدهور. له المجد والكرامة ولاسمه كل التسبيح.

ها أنذا أرسلني

"ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ قَائِلًا: "مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟" فَقُلْتُ: "هَآنَذَا أُرْسِلُنِي."

(إشعياء ٦: ٨)

بدأت خدمة النبي إشعياء عندما استلم رؤيا من الرب في هيكله السماوي، رأى فيها السيد جالساً على عرش عالٍ ومرتفع، وسمع صوت الملائكة ينادي أحدهما على الآخر قائلاً "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ. فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا" (إشعياء ٦: ٣-٤).

سجد إشعياء لهول ما رأى، فكيف له وهو الخاطيء أن يقف في حضرة الله القدوس، فشعر بخطيئته العظيمة وخطيئة شعبه. هناك تشابه بين دعوة كل من إشعياء وموسى عند العليقة المتقدة حيث أحس كليهما بعدم استحقاقهما لحمل المسؤولية. إذ أشار إشعياء إلى خطيئته، بينما موسى أشار إلى ضعفه في الكلام.

شعر بالخوف لأن عينيه قد رأتا رب الجنود، أثناء الرؤيا، طار إليه واحد من السرافيم وبيده جمره قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فم إشعياء وقال "إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتَرَعَ إِيثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيئَتِكَ". في الرؤيا السماوية للرب نجد صورة رائعة لنعمة الله، لأن شفتي إشعياء النجستين قد صارتا طاهرة بجمرة من المذبح في السماء. يمثل هذا الطبيعة البشرية في حضرة الله. كان إشعياء مدركاً لخطيئته، مقارنة بالظلمة مع النور، وهو يتطلع بدهشة إلى عرش الله تحيط به الملائكة من كل جانب يسبحون خالقهم.

لقد ظن إشعياء في السابق أنه أفضل من بقية الشعب الذي يعيش وسطه. ولكن عندما تقابل مع الرب لمواجهة، اكتشف حقيقة نفسه، وأنه ليس أفضل من الآخرين، بل هو غير مؤهل للوقوف في حضرة الله بالاعتماد على أعماله، وتقواه الشخصية، وكأنه يضم صوته مع الرسول بولس: "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ" (رومية ٧: ١٨). إن أعمالنا الصالحة، مهما سمّت، لا تستطيع في ذاتها

أن ترفع آثامنا، أو أن تغطي خطيتنا أمام الله القدوس؛ لذلك نحتاج لتدخل الله المباشر. وهذا ما نجده في المسيح يسوع إذ صار كفارة لأجلنا على الصليب. وعلى أساس ذبيحته فقط، نحصل على غفران خطايانا والقبول أمام الله لأنه "الذي فيه لنا الفداء بدمه، غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (أفسس ١: ٧).

إذ نال إشعياء يقين غفران خطاياه، سمع صوت الله قائلاً "مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟" فَقُلْتُ: "هَآنَذَا أُرْسِلُنِي". أراد الله أن يتكلم إلى شعبه عن طريق نبي بواسطة إشعياء، وهو له المجد يحقق مشيئته ومجده على الدوام. مع أنه عرف جيداً أن قلب إشعياء كان معه، لكنه رغب أن يعطيه ذاك الخيار، تلك الفرصة ليقول "نعم"، ويكرس نفسه لحق الله.

رأينا معاً إشعياء يُجيب "نعم" على سؤال الله، أجاب بيقين وبدون أي تردد، وقلب عاش لحظات رائعة في حضرة إله السماء، ولا عجب أن قال "هَآنَذَا أُرْسِلُنِي". كانت رغبته أن يخدم الله ليرسله إلى شعب بحاجة لسماع رسالة الخلاص. ونحن اليوم لنا نفس الحاجة لسماع صوت الله أيضاً.

أحاول في تحديات الحياة أن أصلي "يا رب أرسلني"، أريد أن أكون تلميذه المطيع مهما كانت النتيجة. أريد لحياتي أن تعكس مجد إلهي لأعيشها دوماً في خدمته. رغبتي أن يعرف الآخرون محبته وخلصه، ليملاً عطش قلوبهم كما روى عطش نفسي. في جواب إشعياء "هَآنَذَا أُرْسِلُنِي" أظهر قصد حياته على هذه الأرض، كي يذهب كما أمره الله، دون أن يعرف بموضوع الرسالة التي سينقلها. تذكر قارئ العزيز أن الله القدير هو من يقدم لك الدعوة، فهل ستجيب قائلاً "هَآنَذَا" وتظهر قبولك لها وتقول له في تسليم دائم وثقة أكيدة "أرسلني".

أريد أن أعمل مشيئتك في حياتي لأنال غزير بركات السماء، وأحقق قصدك في حياتي. يريد الله أن يستخدمك لمجده، ونقل رسالة الخلاص للجميع استعداداً لعودته القريبة على سحُب المجد. والرب يبارك حياتك لمجده حاضراً ومستقبلاً، ويملاًها بسلامه على الدوام. آمين.

إِذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ

"وَقَالَ لَهُمْ: "إِذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا." (مرقس ١٦: ١٥)

نَجِدُ أَمْرَ الْمَسِيحِ لِتَلَامِيذِهِ بِالذَّهَابِ لِلْعَالَمِ لِلْكَرَازَةِ بِالْإِنْجِيلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي مَتَّى ٢٨: ١٩ مَعَ إِضَافَةِ التَّلْمِذَةِ وَالْمَعْمُودِيَّةِ وَتَأْكِيدِهِ بِوُجُودِهِ مَعَهُمْ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. تَمَّ إِعْطَاءُ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ فِي الْجَلِيلِ، وَعَلَى الْأَرَجِجِ، نَفْسِ الْجَبَلِ الَّذِي دَعَا فِيهِ تَلَامِيذُهُ الْاِثْنِي عَشَرَ فِي (مَرْكُس ١٣: ٣-١٩). اسْتَمَرَّ يَسُوعُ يُعَلِّمُ لِمُدَّةِ ٤٠ يَوْمًا يَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. لَمْ يَسْتَطِعِ التَّلَامِيذُ تَنْفِيزَ أَمْرِ الْكَرَازَةِ بِقُوَّتِهِمْ الْخَاصَّةِ، بِدُونِ سَكْنَى الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَهَذَا مَا وَعَدَهُمْ بِهِ يَسُوعُ فِي إِنْجِيلِ يُوَحْنَّا ١٦: ٧ "لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ". وَقَدْ تَمَّ نَزُولُ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ، وَالَّذِي نَتَجَّ عَنْهُ إِيمَانُ نَحْوِ ٣٠٠٠ شَخْصٍ بِالْمَسِيحِ وَانْضِمَامِهِمْ لِلْكَنِيسَةِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

كَانَتْ الْأَرْبَعُونَ يَوْمًا الَّتِي قَضَاهَا التَّلَامِيذُ مَعَ يَسُوعَ أَيَّامًا مُبَارَكَةً لَهُمْ، بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَى مُعَلِّمِهِمُ الْمَحْبُوبِ وَعَذَابِ الصَّلِيبِ وَمَوْتِهِ وَدَفْنِهِ، تَلَتْهَا قِيَامَتُهُ الْمَجِيدَةُ وَالْأَهَمُّ هُوَ قَبُولُ الْمَسِيحِ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ نَكَرُوهُ وَتَرَكَوهُ يُصَارِعَ الْمَوْتَ وَحِيدًا، أَكَّدَ لَهُمُ الْمُخْلَصُ أَنْ لَا شَيْءَ يُمَكِّنُ أَنْ يَفْصَلَهُمْ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا. وَإِذَا اجْتَمَعَ بِهِمْ عَلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ الْقُدُسِ، رَفَعَ الْمَسِيحُ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ، وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ" (لوقا ٢٤: ٥١). كَانَتْ تَعْلِيمَاتُ الْمَسِيحِ لِتَلَامِيذِهِ وَلَنَا آخِرَ كَلِمَاتٍ نَطَقَ بِهَا لَهُمْ قَبْلَ صَعُودِهِ.

فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ نَقَرَأُ عَنْ اللَّحْظَاتِ الْآخِرَةِ لِيَسُوعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ، حَيْثُ أَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَتْرَكُوا أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا حُلُولَ مَوْعِدِ الْآبِ بِإِرْسَالِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَكَّدَ لَهُمْ فِي الْآيَةِ الثَّامِنَةِ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ شُهَدَاءَ لَهُ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ. شَارَكَ التَّلَامِيذُ أَخْبَارَ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ لِمَنْ حَوْلَهُمْ، مُنَادِينَ بِقِيَامَةِ الْمَسِيحِ، وَبِكُونِهِمْ شُهَدَاءُ بِذَلِكَ. تَبِعَهُمُ الرُّسُولُ بُولَسَ- رَسُولُ الْأُمَمِ- بِمَزِيدٍ مِنَ الثُّورِ حَيْثُ أَسَّسَ الْعَدِيدُ مِنَ الْكَنَائِسِ، وَكَتَبَ رَسَائِلَ لَهُمْ يُصَحِّحُ مَشَاكِلَ رُوحِيَّةٍ بَيْنَهُمْ، وَيُشَارِكُ الثُّورَ الَّذِي اسْتَلَمَهُ مِنَ الْمَسِيحِ.

وَعَدَ الرَّبُّ يَسُوعَ تَلَامِيذَهُ أَنَّهُمْ سَيَنَالُونَ قُوَّةَ مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ وَيَكُونُونَ لَهُ شُهَدَاءَ، وَهَذَا مَا نَقَرَأُ عَنْهُ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ. كَانَتْ رَسَائِلُهُمْ مُرْتَبِطَةً بِمَوْتِ وَقِيَامَةِ الْمَسِيحِ، كَمَا عَاشَوْهَا وَرَأَوْهَا بِأَمْ أَعْيُنِهِمْ وَكَانُوا لَهَا شُهَدَاءَ، وَالْخِلَاصُ الَّذِي أَعَدَّهُ يَسُوعُ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَدَأَ بِأُورُشَلِيمَ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ.

كَانَتْ رَغْبَةُ اللَّهِ مُنْذُ الْقَدِيمِ أَنْ يَعِيشَ النَّاسُ وَيَقْبَلُوا أَحْسَانَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَيُخْبِرُوا بِهَا الْآخَرِينَ. هَذَا مَا قَالَهُ إِشْعِيَاءُ ٤٣: ١ و ١٠ "لَا تَخَفْ لِأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ". ضَمَّنَ عِلَامَاتِ الْمُنْتَهَى، رَبَطَ يَسُوعَ الْكَرَازَةَ بِالْإِنْجِيلِ بِمَجِيءِ الْمُنْتَهَى فِي مَتَّى ٢٤: ١٥ فَقَالَ "وَيُكْرَزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى". نَقَرَأُ عَنْ تَقْدِيمِ الْبَشَارَةِ لِلْعَالَمِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ "إِنَّا بِتَقْدِيمِنَا بِشَارَةَ الْمَلَكُوتِ لِلْعَالَمِ يَكُونُ فِي مَقْدُورِنَا التَّعْجِيلُ بِمَجِيءِ الرَّبِّ ثَانِيَةً. لَا يَنْبَغِي لَنَا فَقَطْ أَنْ نَنْتَظِرَ بَلْ أَنْ نَطْلُبَ" (سُرْعَةً مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ" (٢ بطرس ٣: ١٢) (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٦٠٠).

وَفِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى مِنْ رَسَائِلِ الْمَلَائِكَةِ الثَّلَاثَةِ نَقَرَأُ عَنِ الْبَشَارَةِ لِأَيَّامِنَا الْآخِرَةِ الَّتِي نَعِيشُ بِهَا فِي رُؤْيَا ١٤: ٦ "ثُمَّ رَأَيْتُ مَلَكَآ آخَرَ طَائِرًا فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مَعَهُ بَشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ، لِيُبَشِّرَ السَّاكِنِينَ عَلَى الْأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ". سَتَكُونُ قُوَّةُ هَذِهِ الْبَشَارَةِ بِنَفْسِ قُوَّةِ انْسِكَابِ رُوحِ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ، وَسَتَعِمُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لِنُعَدِّهِ لِمَجِيءِ الرَّبِّ يَسُوعَ ثَانِيَةً. رَبِّي الْبَارِ، أَعْطِنِي الْقُوَّةَ لَأُكْرَزَ بِإِنْجِيلِ الْخِلَاصِ حَسَبَ وَعْدِكَ بِأَنْ تَكُونَ مَعَنَا إِلَى الْمُنْتَهَى، يَا لَهُ مِنْ امْتِيَازٍ أَنْ أُشَارِكَ حَقِّكَ، وَأَعِدَّ آخَرِينَ لِرُجُوعِكَ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ. لَكَ كُلُّ الْمَجْدِ مَدَى الْأَيَّامِ.

الفصل العاشر

تشرين الأول "أكتوبر"

تَعَالَى رَبِّي يَسُوع



رجاء ومستقبل

"لَأَنِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلَامٍ لَا شَرٍّ، لِأَعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً." (ارميا ٢٩: ١١) تقول الترجمة التفسيرية "لأمنحكم مُستقبلاً ورجاءً."

جاءت دعوة الله إلى إرميا عندما كان صغيراً، لكنه شك في قدرته على القيام بهذا العمل، فقال "آه، يَا سَيِّدُ الرَّبِّ، إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لِأَنِّي وَلَدٌ" (ارميا ١: ٦). لكنَّ الرَّبَّ استخدمه بقوة على الرغم من ضعفه ليكون نبياً للشعوب، كما سَمَّاهُ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالنَّبِيِّ الْبَاكِي، لكثرة ما بكى على خطايا شعبه. يُوضِّح إرميا في الأصحاح ٢٩ موضوع الرسالة التي بعثها إلى الكهنة والشعب الذين سباهم نبوخذنصر إلى بابل، يشجعهم فيها ليعودوا إلى الله ويعبدوه بأمانة، ويحذِّرهم من دينونة ما سيحدث إذا رفضوا خدمة الله، ويذكِّرهم بمِراحِمِ الرَّبِّ مِنْ نَحْوِهِمْ رَغْمَ وُجُودِهِمْ فِي السَّبْيِ الْبَابِلِيِّ، سَيُعِيدُهُمْ إِلَى أَرْضِهِمْ.

أراد الله أَنْ يُؤَكِّدَ لَهُمْ وَلَنَا، بَأَنَّ لَدَيْهِ خَطْطُ عَظِيمَةٍ لَهُمْ إِذْ يَنْظُرُوا إِلَى اتِّمَامِهَا فِي مُسْتَقْبَلٍ زَاهِرٍ بِلَا خَطَرٍ، وَصُعُوبَاتٍ ضَمَنَ مَوَاعِيدِهِ الرَّائِعَةِ. رَغِبَ اللهُ لَهُمْ وَلَنَا هِيَ لِلْخَيْرِ، وَالْحُصُولِ عَلَى بَرَكَاتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، نِعْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، إِذْ يُدْرِكُوا ثَبَاتَهُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَيَثِقُوا بِوَعْدِهِ لَهُمْ وَرَغْبَتِهِ بِازدهارهم الروحي. يُعْطِينَا الرَّسُولُ يوحَنَّا فِي رِسَالَتِهِ الثَّالِثَةِ وَالْآيَةِ الثَّانِيَةِ نَفْسَ أُمْنِيَّتِهِ لَنَا فَيَقُولُ "أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرْوُمُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ".

يُرِيدُنَا أَنْ نَتَمَتَّعَ بِصِحَّةٍ كَامِلَةٍ، نَفْسًا وَجَسَدًا وَرُوحًا فِي إِطَارِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَصْدِقَاءِ. وَالشَّيْءُ الْأَهَمُّ هُوَ أَنْ نَعْرِفَ خَالِقَنَا، وَنَثِقَ بِقِيَادَتِهِ لِحَيَاتِنَا، وَهِيَ الْأَفْضَلُ بِالنِّسْبَةِ لَنَا.

يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ بَأَنَّ خَطْطَ الْمُسْتَقْبَلِ وَالرَّجَاءِ، تَعْنِي خُلُوعَ الْحَيَاةِ مِنْ أَيِّ أَلَمٍ أَوْ صُعُوبَاتٍ. لِنَتَذَكَّرَ بَأَنَّ رِسَالَاتِ اللهِ عَلَى لِسَانِ إرميا كَانَتْ لِأَسْرَى يَعْيشُونَ فِي بَابِلَ، دُونَ آيَةِ بَارِقَةٍ أَمَلٍ بَعْدَ أَفْضَلٍ. أَكَّدَ اللهُ لَهُمْ بِأَنَّهُ سَيُعْتَنِي بِحَاجَاتِهِمْ الْجَسَدِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، وَمَعَ الْأَمَامِ الْيَوْمِيَّةِ، إِلَّا أَنْ مَحَبَّتَهُ وَاهْتِمَامَهُ بِهِمْ سَتَبْقِيَانِ ثَابِتَةً، وَسَيُؤَمِّنُ لَهُمُ الرَّاحَةَ فِي وَسْطِ ظُرُوفِهِمْ، وَحَتَّى فِي ابْتِعَادِهِمْ عَنْ مُخْلَصِهِمْ.

يُمْكِنُكَ عَزِيزِي أَنْ تَتَّقَ بِقِيَادَةِ اللهِ لِحَيَاتِكَ، عِنْدَمَا تَضَعُ نَفْسَكَ تَحْتَ قِيَادَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَتُمَارِسَ الثِّقَّةَ وَالْإِيمَانَ فِي شَخْصِهِ الْكَرِيمِ. سَتَمُرُّ بِآلَامٍ فِي حَيَاتِكَ، لَكِنْ مُعْطَى الرَّاحَةِ، سَيَكُونُ إِلَى جَانِبِكَ لِيَمْنَحَكَ سَلَامَهُ.

مَهْمَا ابْتَعَدْتَ عَنْ يَسُوعَ، سَيَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِعُودَتِكَ بِذِرَاعِي الْمَحَبَّةِ لِيُرْحَبَ بِكَ. هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ قَدْ تُفَاسِي عِقَابَ خَطَايَاكَ، إِلَّا أَنْ رَعَايَتَهُ وَحِمَايَتَهُ لَكَ لَنْ تَتَغَيَّرَ. إِنَّهُ الرَّبُّ الْأَمِينُ الَّذِي سَيُثَبِّتُكَ وَيَحْفَظُكَ مِنَ الشَّرِّيرِ. وَكَمَا وَعَدَ الْأَسْرَى فِي بَابِلَ بِحِمَايَتِهِمْ وَصَوْنِ حَيَاتِهِمْ مِنْ أَيِّ مَكْرُوهٍ أَوْ تَهْدِيدٍ، وَذَكَرَهُمْ بِأَنَّهُ وَضَعَهُمْ هُنَاكَ كَانَ وَقْتِيًّا، وَبِمَكَانِهِمْ الثِّقَّةُ بِوَعْدِهِ لِأَنَّهُ مَا زَالَ سَيِّدَ حَيَاتِهِمْ، هَكَذَا سَيَكُونُ مَعَكَ، لِأَنَّهُ لَنْ يَنْسَاكَ، فَثِقْ بِرَحْمَتِهِ وَهُوَ يَحَقِّقُ قَصْدَهُ لِحَيَاتِكَ بِرَجَاءٍ وَمُسْتَقْبَلٍ، عِنْدَمَا يَرَى الْوَقْتَ مُنَاسِبًا.

لِنَسْعَ فِي اخْتِيَارِ الْخَيْرِ لِأَنْفُسِنَا، وَنَسْمَعَ صَوْتَ مُصَدِّرِ كُلِّ الْخَيْرِ إِلَيْنَا الْبَارِ. يَعْرِفُ الْمَسِيحُ ضَعْفَاتِنَا، فَيُعْطِينَا الْقُوَّةَ لِنَخْتَبِرَ جُودَهُ فِي حَيَاتِنَا، وَنُسَلِّمَ أُمُورَنَا لِقَصْدِهِ لِأَنَّهُ الْأَفْضَلُ لِمُسْتَقْبَلِنَا. يُرِيدُنَا يَسُوعُ أَنْ نَسْمَعَ صَوْتَهُ إِذْ يَتَكَلَّمُ بِمَحَبَّةٍ إِلَى قُلُوبِنَا مِنْ خِلَالِ كَلِمَتِهِ، وَالْخَلِيقَةِ الَّتِي أَبْدَعَهَا يَدَاهُ، لِنَتَعَرَّفَ أَكْثَرَ إِلَى قَصْدِهِ لِحَيَاتِنَا. هَبْنَا يَا رَبُّ الْقُوَّةَ لِنَقْبَلَ مَا أَعَدَدْتَهُ لَنَا، وَنَسِيرَ فِي طَرِيقِكَ فِي دَرْبِ الْمُسْتَقْبَلِ بِقُلُوبٍ شَاكِرَةٍ عَظِيمَةٍ رَعَايَتِكَ وَمَحَبَّتِكَ.

عَزِيزِي، ابْقَ عَلَى اتِّصَالٍ مَعَ اللهِ وَاعْمَلْ مَشِئَتَهُ. هُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، وَدَائِمًا يَحْفَظُ وَعْدَهُ. تَقُولُ كَلِمَتُهُ "إِنْ ثَبَّتُمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلَامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ" (يوحنا ١٥: ٧).

أَثَبْتُ فِيهِ وَسَلَّمَهُ حَيَاتِكَ لِيَكُونَ لَكَ مَعَهُ آخِرَةٌ وَرَجَاءٌ. يَسُوعُ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ، فَثِقْ فِيهِ عَلَى الدَّوَامِ. عَنْ قَرِيبٍ، سَيَتَحَقَّقُ وَعْدُهُ عِنْدَمَا يَأْتِي ثَانِيَةً لِيَأْخُذَكَ إِلَى بَيْتِكَ السَّمَاوِيِّ لِتَعِيشَ مَعَهُ الْأَبَدِيَّةَ حَيْثُ الرَّجَاءُ الْأَكِيدُ وَالْمُسْتَقْبَلُ السَّعِيدُ بِصُحْبَتِهِ. آمِينَ.

الله العليّ

"أذْكُرُوا الْأَوَّلِيَّاتِ مِنْذُ الْقَدِيمِ، لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي. مُخْبِرٌ مِنْذُ الْبَدْءِ بِالْآخِرِ، وَمِنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، قَائِلًا: رَأَيْي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي." (إشعيا ٤٦: ٩ - ١٠)

يبدأ إشعيا هذا الأصحاح بتذكير شعبه بأعمال الخلاص التي حقّقها لهم، وأمانته في الاعتناء بهم إلى زمن الشيخوخة، وكيف تعاملوا هم مع جود الله بعبادة أصنام، لا تحس ولا تجيب ولا تخلص. ثمّ يُقدّم لهم النداء كي يتذكروا أعمال عنايته بالمُقارَنة مع تماثيل الأصنام فيقول في الآية الثامنة "أذكروا هذا وكونوا رجالاً. ردّدوه في قلوبكم أيّها العَصاة". تذكروا أنّي أنا الخالق وليس مثلي أحد. قرّروا لأنفسكم من أكون؟ أنا الله إلهكم الذي حملكم على أجنحة النّسور، وأوصلكم إلى برّ الأمان. لكنكم تركتموني لتعبدوا آلهة الأمم المُجاورة، لهذا أنتم الآن في الأسر البابلي لأنكم خنتم عهدي. أذكروا الأوّلِيَّاتِ مِنْذُ الْقَدِيمِ يقول الله، أنا أعرف من أكون. أنا إله الوحيد الذي يستحقّ العبادة. الله الكلّي السُّلطان خالق السّماوات والأرض، وإرادتي الكاملة ستتحقّق وقصدي للبشريّة سيتم. أنا العليم بكلّ شيء، مُخْبِرٌ مِنْذُ الْبَدْءِ بِالْآخِرِ. أنا مَلِكُ الْكَوْنِ أَفْعَلُ رَغْبَتِي وَأَتَمُّ كُلَّ مَسَرَّتِي، كيف ستتركونني لتحفروا لأنفسكم آباراً مُشَقَّة لا تضبط ماءً. ألا ترون محبتي لكم مقابل الأصنام التي تعبدونها، وكلّ المآسي التي جلبتها عليكم؟ ثمّ يوضح إشعيا لهم قدوم من سيأمر بعودتهم من السبي بمئات السنين قبل ولادة الملك الفارسي كورش.

عظيم أنت ربّي في دقة ترتيبك للأحداث، وتحقيق قصدك في السّاعة الرّميّة، وقدوم ملء الزّمن. نقرأ عن توقيت الله ما يلي "ولكن كما تدور الكواكب في أفلاكها الوسيعة في مداراتها المُعيّنة فكذلك مقاصد الله لا تعرف عجلة ولا إبطاء". (روح النبوة، مُستهلّ الأجيال، صفحة ٢٩). ففي سنة ٥٧٤ قبل الميلاد استخدم الله كورش ملك فارس، كي يُصدر أمراً برّجوع المسبيين من بابل إلى أورشليم ليُعيدوا بناء المدينة والهيكل، وبهذا القرار انتهى الأسر البابلي. أقام الله كورش لتحريرهم وقد حقّق نبوءة إشعيا عنه في الأصحاح ٤٤ و٥٤ مرة أخرى، يُبرهن الله أنه صاحب القرار، والمهيمن على شؤون هذا العالم، ولا شيء يحدث دون إذنه.

يؤكد الرسول بولس علم الله المُسبق لكلّ شيء في رومية ١١: ٣٣ فيقول "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!". يُحاول البعض أن يتخلّوا ويحاولوا تعطيل مقاصد الله. نجد مثلاً على ذلك نبوخذنصر ملك بابل، الذي أراد فرض عبادة تمثال صنعه على شعبه بمن فيهم أصدقاء دانيال، لكن الله ملك الكون برهن على أنه صاحب القرار في النهاية، ونجّى الأمان من أتون النّار.

بعد ذلك اعترف نبوخذنصر بسُلطان الله قائلاً "وهو يفعل كما يشاء في جند السّماء وسكّان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له: "ماذا تفعل؟" (دانيال ٤: ٣٥).

نحتاج أن نرى حقيقة أن الله قد خلّقنا خلائق تتمتع بحريّة الاختيار، لتقرّر الطريق التي تسلكها. لنا أن نسير في الطريق الضيق الذي يقود إلى الحياة، والدرب الواسع الذي يقود للموت. الله في الوقت ذاته إله عادل ومحبّ، يصبر علينا، ويُعطينا فرصة قبوله للخلاص. صحيح أن الله يعرف المُستقبل لأنّه يُخطّط المُستقبل وينفذ مقاصده. فنراه يقول "قد تكلمت فأجربه. قضيت فأفعله" (إشعيا ٤٦: ١١).

لا تُوجد أحداث صغيرة كانت أم كبيرة لا يعرف بها الله، أكّد يسوع ذلك في حديثه عن سقوط عُصفور صغير بدون إذنه، ونحن أفضل من عصافير كثيرة. نفس هذا الإله العظيم، هو معنا اليوم. هو عظيم وجالس على عرش الكون، لأنّه مَلِكُ الْكَوْنِ.

ثق به عزيزي، فلن تسقط شعرة من رأسك دون معرفته. بادله المحبة وعش لمجده، ودعه يُحقّق قصده لحياتك. شكراً لك يا ربّ إلهي العظيم ومخلصي القدوس لهذا الامتياز الرائع.

المسيح يكشف المستقبل^٩

"إِعْلَانُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ اللَّهُ، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ، وَبَيْنَهُ مُرْسَلًا بِيَدِ مَلَائِكِهِ لِعَبْدِهِ يُوحَنَّا." (رؤيا ١ : ١)

حاول أعداء يوحنا الحبيب قتله عن طريق رميه في قدر من الزيت الحار، لكن الله حماه ولم يمُت، فاضطرت السلطات الرومانية إلى نفيه لجزيرة بعيدة صخرية جرداء تُدعى "بطمس" كي يموت هناك. لكن سيده المسيح، أظهر له في رؤيا يوم السبت ما لا بُدَّ أن يكون عن قريب، ونتج عن تلك الرؤيا، "إعلان يسوع المسيح" أي رؤيا يوحنا اللاهوتي. تعني كلمة إعلان في اللغة اليونانية "الكشف والإظهار".

فسفر الرؤيا هو سفر إعلان يسوع المسيح، بمعنى أنه هو من يقوم بفعل الكشف والإعلان. وهو أيضاً سفر الإعلان عن يسوع، بمعنى أنه هو من يكشف عنه هذا السفر. فالرؤيا ليس كتاباً مُبهماً وغير واضح، لأنه إعلان يسوع المسيح. أعطى الله هذه الرؤيا لتلميذه يوحنا، وقدم لنا هذا الإعلان ليُرِيَ عبيده. فقد قدم الله هذا الإعلان لكي يكون ظاهراً لا مخفياً. فهو مُعلن يُعرف وليس مُستتراً. ترتبط أحداث هذه الرؤيا، بما سيأتي في الأيام الأخيرة والتي سماها يوحنا "ما لا بُدَّ أن يكون عن قريب". اختلف علماء الكتاب المقدس فيما إذا كان هذا السفر من يسوع، أو عنه. في الواقع، نجد الفكرتان واردتان في الرؤيا. وقد بين الله أحداث السفر بيد ملاكه إلى عبده يوحنا.

موضوع الرؤيا الأساسي هو الرب يسوع المسيح، حيث حصل الحبيب يوحنا على معلومات عن سيده، لم ترد على صفحات الإنجيل. فيسوع هو مُعطي الرؤيا ومحورها الرئيسي. يظهر هنا في جلاله ومجده، حيث سيعود إلى الأرض كبطل مُنتصر، راكباً على حصان أبيض ويلبس تاجاً كُتب عليه "ملك الملوك ورب الأرباب". ومن حوله كثيرون ممن قاموا عند قيامته، وصعدوا معه إلى السماء.

رأه يوحنا كحامل في وسط العرش، وهو الوحيد المُستحق أن يفك الأختام السبعة، ويُعيد الملكوت الضائع إلى أبيه. مع أن السفر يتناول مواضيع مُختلفة مثل سر بابل وسمّة الوحش وغيرها، إلا أن موضوعه الرئيسي هو يسوع المسيح، إذ بدونه يبدو أي موضوع آخر دون أية قيمة تذكر.

يُحاول كثير من دارسي سفر الرؤيا تحليل أحداثه ومعناها، بينما يهملون أن كل حدث في الرؤيا قد كُتب ليُظهر المزيد عن الرب يسوع المسيح، الذي هو البداية والنهاية، الألف والياء، الأول والآخر، الذي بدونه تبقى بلا رجاء، وضائعين إلى الأبد. وبينما يحتوي السفر على الكثير من النبوءات المتعلقة بالمستقبل - يبقى محور هذه النبوءات هو فادينا يسوع المسيح، فهو الذي كُتبت عنه النبوءات، وهو بالتأكيد الذي سيتممها، كما يوضح يوحنا في رؤيا ١٩ : ١٠ "فإن شهادة يسوع هي روح النبوة". أعطى الآب مضمون سفر رؤيا يسوع المسيح، رئيس الكنيسة لينقله لتلاميذه من خلال يوحنا، كل الحقائق التي سمح بها الله عن المستقبل القريب.

لم يرغب الله أن يكون سفر الرؤيا مُملأً يصعب فهمه، بل هبة نعمته، يحتوي على معلومات هامة يُشارك بها الأجيال القادمة. بهذا نرى أن الرسول يوحنا كان شاهداً أو مراقباً للرؤى، وكتب الأقوال التي سمعها ونجدها في سفر الرؤيا، حيث شهد بكلمة الله وبشهادة يسوع المسيح ولبناء كنيسته روحياً. يستخدم يوحنا في هذا السفر صوراً رمزية، وتشبيهات لكي يُعبّر عما رأى.

وبالنسبة لنا يُعتبر هذا السفر سفرًا نبوياً، لكنه بالنسبة ليوحنا كان ببساطة تدويناً لأحداث التاريخ، الذي كان يتكشف أمامه. وفي هذا يقول كلارك لاهوتي بريطاني "كان يوحنا يرى رؤيا سماوية لكنه كان يصفها بلغته وأسلوبه". ربّي، كشفت ما سيأتي به المستقبل، ولأنك إله المستقبل، أعطني أن أثق بك وأسلمك حياتي لأعيش لمجدك الآن وفي أجيال الأبدية السعيدة. لك الحمد والمجد، ولاسلك كل تسبيح. آمين.

إتمام النبوءات شاهد لمصادقية كلمة الله

"فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هَؤُلَاءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!" (لوقا ١٩: ٤٠)

كثيراً ما وجد يسوع نفسه على خلاف مع الفريسيين والقادة الدينيين في زمانه. قبل أسبوع من صلبه، وفي دخوله الانتصاري إلى أورشليم، والذي كان إتماماً لنبوءة زكريا ٩: ٩، حيث طرح التلاميذ ثيابهم على الجحش وأركبا يسوع عليه كما فرشوا ثيابهم على الطريق، وبدأوا يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم "قائلين: "مبارك الملك الآتي باسم الرب! سلام في السماء ومجد في الأعالي!". (لوقا ١٩: ٣٨). انزعج بعض الفريسيين مما اعتبروا ذلك تجديف، وطلبوا من يسوع أن يسكت تلاميذه، فأجابهم "إِنْ سَكَتَ هَؤُلَاءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ".

لا يمكن للفريسيين أن يوقفوا فرحة شعب أورشليم في الترحيب بملكهم، مع أن قسماً كبيراً منهم سيصرخ عند محاكمته "اصلبه، اصلبه". كيف يمكن للحجارة أن تصرخ في تسبيح الله؟ إنها جامدة ليس لها القدرة على تمييز جلال ومجد خالقها، أليس كذلك؟ لم يقصد المسيح بأن الحجارة ستفتح فمها وترنم تساييح، لكنه يقول بأن كل الخليقة صنعت لتعظم وتعبد الرب، وإذا لم نقم بذلك بكلماتنا، فإن كلمة الله ستذيع الرسالة.

خير مثال على ذلك هو أوائل رسل المسيح. علينا ألا نخاف من حكم الآخرين علينا أو إدانتنا إذ نشارك رسالة الله، بل نقوم بذلك بكل شجاعة في شهادتنا، وتسييحنا بثقة فيمن أحبنا، وبذل نفسه لخلاصنا.

هناك نبوءات عن الرب يسوع المسيح، مكتوبة من مئات وآلاف السنين قبل ميلاده، تتنبأ بأحداث حياته بدقة. هذه من المعجزات القوية التي تثبت صحة كلمة الله، بدليل قاطع لا يمكن إنكاره، وتثبت صحتها وتشهد أن المسيح هو الرب الإله الخالق، وهو إله المسيحية الذي جعل من الممكن حدوث كل هذا، إذ أنه من المستحيل أن يحدث بالصدفة، وبخاصة أنها لم تحدث مع أي آخر مدعي نبوة.

وهذه ميزة تشهد على صدق المسيحية، وإله المسيحية، وصدق الكتاب المقدس وحي الله القدوس، وعلى وجود إله خالق. كان من نتائج زيادة الاكتشافات الأثرية، واتساع نطاقها الجغرافي، أن ازدادت المعرفة التاريخية العلمية للماضي، وهكذا بدأت تتساقط الاعتراضات التي أثارها الكثيرون في القرون الماضية ضد الكتاب باسم العلم. وهكذا بدأ العلم بتصحيح نفسه بنفسه، وأصبحت الحفريات المكتشفة، والكتابات المنقوشة على الجدران والمسلات، والأعمدة والأحجار، شاهداً جديداً على صحة الأحداث المذكورة في الكتاب المقدس.

في تكوين ١٠ نقرأ عن نمرود الذي كان جباراً صياداً أمام الرب. وفي الآية ١٠ نقرأ كيف أسس الدولة البابلية القديمة، إلى جانب بناء ثمانى مدن. وقد تم بالفعل اكتشاف خرائب سبع منها، ووجد في وسط إحداها تمثالاً لثور بأجنحة، يُسمى "الصياد الجبار" يرجح أنه يرمز إلى نمرود، وهذا يتفق مع قول الكتاب "كنمرود جبار أمام الرب". أما سدوم وعمورة فقد عُثر عام ١٨٩٠م على لوح مكتوب عليه "إن انقلاباً أتى من وسط العمق، القصاص المقدر من وسط السماء نزل" وقد شهد أحد علماء الآثار في هذه المنطقة قائلاً "كل الأرض القديمة التي مكانها الآن وادي الأردن والبحر الميت، هي كبريت وملح وهي جرداء لا زرع فيها ولا عشب".

سفر دانيال النبي هو رؤيا العهد القديم، وسفر النبوات التي تُكوّن أكثر من ٤٠٪ من مجموع آياته، والسفر الذي تنبأ بنبوءات تفصيلية ودقيقة عن السيد المسيح، فقد تنبأ عن تأسيس ملكوته "ملكوت السموات"، وتكلم عن كونه ملك الملوك ورب الأرباب الآتي على سحاب السماء، لتتعبد له كل الخليقة، ومنه أخذ لقب ابن الإنسان، اللقب الذي كان محبباً إلى قلب المخلص، كما حدّد سنة مجيئه بتفصيل دقيق.

ربي، أنت الصادق الأمين، قدّمت براهين عظيمة على مصادقية كلمتك المقدسة، أعطني مزيداً من الثقة فيك وفي محبتك يا إله الكون العظيم إلى أن أراك آتياً على سحاب المجد. لك الحمد والمجد أبد الدهور.

حُلْمٌ يَمْتَدُّ لِيَوْمِنَا

"وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذَنْصَرٍ، حَلَمَ نَبُوخَذَنْصَرُ أَحْلَامًا، فَأَنْزَعَتْ رُوحُهُ وَطَارَ عَنْهُ نَوْمُهُ." (دانيال ٢: ١)

استخدم الله الأحلام ليتواصل مع الناس، واحداً منهم كان نبوخذنصر ملك بابل، الذي حكم الإمبراطورية البابلية من سنة ٦٠٥ ق.م. إلى ٥٦٢ ق.م. قام بتوسيع مساحة مملكته، واحتلَّ أورشليم وأخذ شبابه أسرى إلى بابل، حيث درسوا الثقافة البابلية كي يخدموا في بلاط الملك، ومن بينهم دانيال وأصحابه الثلاثة. أعطى الله دانيال الحكمة والقدرة على تفسير حلم الملك، مما جعله قائداً سياسياً، ومستشاراً ذات ثقة، ونبياً معروفاً.

في إحدى الليالي، حلم نبوخذنصر حلمًا أفزعته كثيراً وطار عنه نومه، فدعا المجوس والسحرة والعرفاء في الصباح ليخبروه بالحلم وتفسيره، حيث لم يتذكر حلمه. أجابوه قائلين "أخبر عبيدك بالحلم فنبيّن تعبيره". رأوا في طلب الملك أمراً مستحيلاً حيث قالوا "والأمر الذي يطلبه الملك عسير، وليس آخر يبينه قدام الملك غير الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر" (دانيال ٢: ١١). غضب الملك لعجزهم عن تلبية ما طلبه منهم، وأمر بإبادة كل حكماء بابل، فخرج الأمر وكان الحكماء يقتلون، فطلبوا دانيال وأصحابه الثلاثة ليقتلوهم.

دخل دانيال وطلب من الملك أن يعطيه وقتاً فيبين للملك الحلم وتفسيره. ذهب دانيال إلى بيته وأعلم أصحابه بالأمر، وطلب منهم أن يصلوا من أجل مراحم من إله السماء من جهة هذا السر، كي لا يهلكوا مع سائر حكماء بابل. استجاب الرب لصلاتهم، وكشف الحلم وتفسيره لدانيال في رؤيا الليل. "فبارك دانيال إله السماوات من الآن وإلى الأبد، لأن له الحكمة والجبروت". ثم ختم صلاته في دانيال ٢: ٢٣ "إياك يا إله آباي أحمد، وأسبح الذي أعطاني الحكمة والقوة وأعلمني الآن ما طلبناه منك، لأنك أعلمتنا أمر الملك".

دخل دانيال قدام الملك فسأله "هل تستطيع أنت على أن تُعرّفيني بالحلم الذي رأيتُ وبتعبيره" أجاب دانيال الملك وقال "السر الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون على أن يبينوه للملك. لكن يوجد إله في السماوات كاشف الأسرار، وقد عرف الملك نبوخذنصر ما يكون في الأيام الأخيرة". أعطى دانيال كل الفضل لله كاشف الأسرار، كي يعرف الملك نبوخذنصر بما يكون في أيامنا - الأيام الأخيرة، منذ ٢٦٠٠ سنة مضت، وإلى يومنا هذا، ووصولاً لمجيء السيد المسيح ثانية عن قريب.

في دانيال ٢ من الآية ٣٦-٣١ يُخبر دانيال تفاصيل الحلم للملك نبوخذنصر الذي رأى تمثالاً عظيماً ومنظره هائل وبهي جداً وقف أمامه. "رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعه من فضة. بطنه وفخذه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خرف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين، ف ضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخرف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخرف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعصافاة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها".

أكد دانيال للملك بأن التمثال الذي رآه يرمز إلى ٤ ممالك. ونبوخذنصر هو "هذا الرأس من ذهب" الذي يمثل مملكة بابل في مجدها. المعدن الثاني هو الفضة، التي يرمز إلى مملكة مادي وفارس. أما النحاس فيمثل اليونان بقيادة الإسكندر الكبير، جاءت بعدها مملكة الحديد أي الإمبراطورية الرومانية.

كان الرومان آخر مملكة قوية ومتماسكة لنصل إلى قدمي وأصابع التمثال، التي كانت من الحديد المختلط بالخرف. أوضح الله على لسان دانيال بأن هذه القوى من ١٠ دول ستكون منقسمة ولن تتحد. وفي أيامها سيقيم السيد المسيح في مجيئه عن قريب مملكته الأبدية التي تثبت إلى الأبد. صلاتي أن تكون أحد رعايا ملكوت المسيح في مجده.

حقائق عن الله كاشف الأسرار

"فَأَجَابَ الْمَلِكُ دَانِيَالَ وَقَالَ: "حَقًّا إِنَّ إِلَهَكُمْ إِلَهُ الْآلِهَةِ وَرَبُّ الْمُلُوكِ وَكَاشَفُ الْأَسْرَارِ، إِذِ اسْتَطَعْتَ عَلَى كَشْفِ هَذَا السِّرِّ" (دانيال ٢: ٤٧)

بينما عَجَزَ حُكَمَاءُ بَابِلَ عَنْ تَبْيَانِ حُلْمِ الْمَلِكِ نَبُوخَذَنْصَرِّ وَمَعْنَاهُ، أَظْهَرَ اللَّهُ فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ الْحُلْمَ وَتَفْسِيرَهُ، وَاعْتَرَفَ الْمَلِكُ بِقُدْرَةِ إِلَهِ دَانِيَالَ عَلَى كَشْفِ هَذَا السِّرِّ، وَتَفَوَّقِهِ عَلَى كُلِّ آلِهَةِ الْبَابِلِيِّينَ. أَدْرَكَ نَبُوخَذَنْصَرُّ الْحَقَّ أَنَّ اللَّهَ هُوَ إِلَهُ الْآلِهَةِ، الَّذِي يَنْبَغِي السُّجُودَ وَالْإِكْرَامَ لَهُ عَلَى الدَّوَامِ. سَنَرَى مَعًا ١٢ حَقِيقَةً عَنْ هَذَا الْحُلْمِ وَعِلَاقَتِهِ بِالْمُسْتَقْبَلِ وَأَحْدَاثِ النِّهَايَةِ وَصُولًا بِأَيَّامِنَا وَإِلَى مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً.

١- اللَّهُ هُوَ مُعْطِي الْحُلْمِ لِنَبُوخَذَنْصَرِّ مَلِكِ بَابِلَ لِقَصْدٍ أَوْضَحَهُ اللَّهُ لِدَانِيَالَ فِي أَصْحَاحِ ٢: ٢٨ "لَكِنْ يُوجَدُ إِلَهٌ فِي السَّمَاوَاتِ كَاشِفُ الْأَسْرَارِ، وَقَدْ عَرَفَ الْمَلِكُ نَبُوخَذَنْصَرُّ مَا يَكُونُ فِي الْآيَّامِ الْآخِرَةِ".

٢- رَأَى الْمَلِكُ فِي حُلْمِهِ تِمَثَالًا عَظِيمًا، وَإِذَا كَانَ يَنْظُرُ رَأَى حَجَرًا قُطِعَ بِغَيْرِ يَدَيْنِ فَضَرَبَ التِّمَثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَرَفَ فَسَحَقَهُمَا. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمَثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا" (دانيال ٢: ٣٤-٣٥).

٣- كُلُّ مَعْدَنٍ فِي التِّمَثَالِ يُمَثِّلُ مَمْلَكَةً عَالَمِيَّةً حَكَمَتِ الْعَالَمَ الْقَدِيمَ (دانيال ٢: ٣١ - ٣٣).

٤- كَانَ التِّمَثَالُ مَصْنُوعًا مِنْ أَرْبَعَةِ مَعَادِنَ وَهِيَ ذَهَبٌ، وَفِضَّةٌ، وَنُحَاسٌ، وَحَدِيدٌ. أَمَّا قَدَمَا التِّمَثَالُ فَكَانَا مَزِيجًا مِنْ حَدِيدٍ وَخَرَفَ.

٥- يُمَثِّلُ رَأْسَ الذَّهَبِ مَمْلَكَةَ بَابِلَ الَّتِي حَكَمَتْ مِنْ ٦٠٥ ق.م. إِلَى ٥٣٩ ق.م.

٦- "صَدُرَ التِّمَثَالُ وَذِرَاعُهُ فَكَانَا مَصْنُوعَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ" (دانيال ٢: ٣٢). وَيُمَثِّلَانِ مَمْلَكَتَيْ مَادِي وَفَارِسَ الَّتِي حَكَمَتِ مِنْ ٥٣٩ ق.م. إِلَى ٣٣١ ق.م. وَلَمْ تَكُنْ بِقُوَّةِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ.

٧- بَطْنُ التِّمَثَالِ وَفَخْذَاهُ فَكَانَا مِنْ نُحَاسٍ الَّذِي يَرْمُزُ لِمَمْلَكَةِ الْيُونَانِ وَكَانَ الْإِسْكَندَرُ الْكَبِيرُ أَبْرَزَ قَادَتِهَا، فَقَدْ حَكَمَتْ مِنْ ٣٣١ ق.م. إِلَى ١٦٨ ق.م.

٨- سَاقَا التِّمَثَالِ مِنْ حَدِيدٍ كَانَا يَرْمُزَانِ لِلدَّوْلَةِ الْحَدِيدِيَّةِ أَيْ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ، الَّتِي وُلِدَ فِي زَمَانِهَا الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِي بَيْتِ لَحْمٍ، بَعْدَ صُدُورِ أَمْرٍ مِنْ أَوْغُسْطُسٍ قَيْصَرٍ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. فَصَعِدَ يَوْسُفُ الْبَارِ وَالْمُبَارَكَةُ مَرْيَمُ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ مَسْقُطَ رَأْسِهِمَا لِلَاكْتِتَابِ، وَهُنَاكَ وُلِدَ يَسُوعُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ. (لوقا ٢: ١-٥). حَكَمَتْ رُومَا مِنْ سَنَةِ ١٦٨ ق.م. إِلَى ٤٧٦ م.

٩- "أَصَابِعُ قَدَمِي التِّمَثَالِ الْعَشْرَةُ فَبَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا الْآخَرُ مِنْ خَرَفٍ". وَيَرْمُزُ إِلَى الدَّوْلِ الْأُورُوبِيَّةِ الْعَشْرِ.

١٠- بَعْدَ نِهَايَةِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ الرَّابِعَةِ وَالْآخِرَةِ كَمَمْلَكَةٍ قَوِيَّةٍ، قَامَتْ بَعْدَهَا ١٠ دُولَ أُورُوبِيَّةٍ لَيْسَتْ بِمِثْلِ قُوَّتِهَا وَتَسْتَنْقَسِمُ لِدُولٍ صَغِيرَةٍ. ١١- سَتَكُونُ أُورُوبَا دَائِمًا مُقَسَّمَةً - حَيْثُ لَا يَلْتَصِقُ الْحَدِيدُ بِالْخَرَفِ، فَلَنْ تَكُونَ إِمْبَرَاطُورِيَّةً مُوَحَّدَةً. ١٢- يُمَثِّلُ الْحَجَرُ مَمْلَكَةَ اللَّهِ الْأَبَدِيَّةِ وَتَسْتَدُومُ لِلْأَبَدِ. تَمَّتْ أَحْدَاثُ التَّارِيخِ تَمَامًا كَمَا أَعْطَاهَا اللَّهُ لِنَبُوخَذَنْصَرِّ قَبْلَ ٢٦٠٠ سَنَةٍ مَضَتْ.

نَعِيشُ حَالِيًا بِانْتِظَارِ عَوْدَةِ فَادِينَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً، لِيُؤَسِّسَ مَلَكُوتَ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ. هَنِيئًا لِلْمُسْتَعِدِّينَ لِلصُّعُودِ مَعَهُ إِلَى الْأَمْجَادِ السَّمَاوِيَّةِ. تَعَالَا يَا رَبِّي يَسُوعُ.

نبوءة دانيال والرؤيا

"طوبى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لِأَنَّ الْوَقْتَ

قَرِيبٌ." (رؤيا ١: ٣)

يقول الرَّبُّ يسوع على لسان الحبيب يوحنا عَنْ سَفَرِ الرُّؤْيَا "هنيئاً للذي يقرأ بصوت عال كلمات هذه النبوءة ويستجيب بالطاعة لما يسمع". يرمز مَنْ يقرأ بصوت عال إلى الأشخاص الذين يقرأون أقوال النبوءة على مسامع العابدين، والذين يسمعون ويُطيعون الكلمة هم الحاضرين للعبادة. فالبركة تحلُّ على القارئ، وجُمهور السامعين، كما تشمل أيضاً الذين يدرسون ويفهمون ما هُوَ مكتوب. نقرأ عن هذا الفرع في مزمر ١١٩: ١١١ "ورثتُ شهادتك إلى الدهر، لأنها هي بهجة قلبي". سببُ هذا الفرع هو "لأنَّ الوقت قريب".

هناك ترابط كبير بين سفرَي دانيال والرؤيا، إذ يصعب فهم الواحد بدون فهم الآخر. قبل صلبه، تكلم السيد المسيح عن علامات المنتهى ومجيئه الثاني، وأشار في متى ٢٤: ١٥ إلى ما قاله دانيال النبي عَنْ "رجسة الخراب" فقال "فمتى نظرتُم رجسة الخراب" التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ". أعطى يسوع النبوءة وفهمها، ويريدنا أن نفهمها أيضاً. نجد فيما عناه يسوع "رجسة الخراب" بعد وقتي قريب، ويتمثل بخراب أورشليم ودمار الهيكل على يد تيطس الوالي الروماني سنة ٧٠م، والبعد المستقبلي نراه في اضطهاد الأمعاء من شعب الله عبر العصور الوسطى، وأيامنا الأخيرة إلى وقت المنتهى.

وُلِدَ دانيال في أورشليم، وكان من بين أوائل المسيبيين الذين أخذوا إلى بابل عندما استولى نبوخذنصر على أورشليم في سنة ٦٠٥ ق.م. وكان دانيال محاطا بالشر في مدينة بابل العظيمة، وعلى الرغم من بعده عن الوطن، إلا أنه لم يتساهل أبداً فيما كان يعرف أنها إرادة الله. في هذا الوقت، كان دانيال شاباً في حوالي العشرين من عمره. وقد غطت خدمته فترة سبي يهوذا بأكملها ومدتها ٧٠ سنة. عمل دانيال موظفاً في البلاط الملكي أيام حكم الكلدانيين والماديين والفارسيين. نال دانيال احترام الملوك وجماهير الشعب، وقَفَ بشجاعة للمبدأ، وعاش حياة صلاة إذ سار بأمانة مع الله.

سفر الرؤيا كتاب نبوي مثير أعطاه الرب يسوع لتلميذه الحبيب يوحنا، عندما كان منفياً إلى جزيرة صخرية تدعى "بطمس" "من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح" (رؤيا ١: ٩). سفر الرؤيا كتاب مفتوح أعطي لنا لنعرف ما سيأتي من أحداث النهاية لأنَّ الوقت قريب. كتبه يوحنا بين ٩٥ و ٩٦ م بهدف تعزية المسيحيين المضطهدين، حيث رأى المسيح دموعهم وجاء لتعزيتهم. وحيث أن الرؤيا هو آخر رسالة من الله وآخر سفر في الكتاب المقدس، قصد المسيح أن ندرسه لنعرف عن شخصية وعمل فادينا المسيح.

إذ نشارك رسائل محورها المسيح- مليئة بالرجاء- من سفرَي دانيال والرؤيا، نجد تجديد حياة الكثيرين بقوة الإنجيل الذي نجده في هذين السفرين النبويين. يتميز فهم سفرَي دانيال والرؤيا إذ نُقدِّمه بتحليل نبوءات الأيام الأخيرة، مع دروس عمليّة بطريقة سهلة يُدرِّك الشخص العادي بأهمية النبوءات مع تطبيق الدروس في حياتهم اليوم. إذ ندرس هذه النبوءات بعُمق، نجد أن يسوع هو مركز كل نبوءة والقصد منها كما نرى بوضوح، أن فادينا الحبيب مهياً لكل طارئ وسيكون، مُنتصراً في الصراع بين قوى الخير والشر.

من المهم لنا أن نعرف الرموز النبوية في التسلسل التاريخي، والتي تُعيننا في مواجهة المستقبل بيقين أكبر. يحتوي سفر دانيال والرؤيا على رموز وحيوانات غريبة، في الوقت نفسه، نجد فيهما عمق الإيمان، صلاة مُخلصنة، وشجاعة نادرة. ونرى فيهما يسوع الذي أحبنا بأعظم قدر وبذل الكل ليخلصنا. أملي أن نسمع آخر ما يقوله الشاهد الأمين في آخر كلمات الرؤيا في وعده "أنا آتي سريعاً. آمين". ونضم صلاتنا مع الحبيب يوحنا "تعال أيها الرب يسوع. نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. آمين".

النبوءة في آخر الأيام

"وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلُمُ شُبُوحُكُمْ أَحْلَامًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى." (يوئيل ٢: ٢٨)

مُعْظَمُ ما كَتَبَهُ النَّبِيُّ يُوئِيلَ كَانَ نَبُوءَةً عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، وَمِثْلُ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، دَعَا يُوئِيلَ النَّاسَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ مَرَاكُمِ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ. وَعَدَ اللَّهُ شَعْبَهُ بِأَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ فِي وَقْتِهِ كَيْ يَكُونَ حِصَادُهُمْ وَفِيْرًا فَيُدْرِكُوا أَنَّ الرَّبَّ فِي وَسْطِهِمْ. بَعْدَ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ بِإِرْسَالِ رُوحِهِ الْقُدُّوسِ عَلَى كُلِّ بَشَرٍ. كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، حِينَ يَقْبَلُ النَّاسُ الْمَسِيحَ كَمُخْلِصِهِمْ وَمَلِكِهِمْ، حَيْثُ يَنْزِعُ مِنْهُمْ قَلْبَ الْحَجَرِ، وَيُعْطِيهِمْ قَلْبًا لَحْمِيًّا يَتجاوَبُ مَعَ دَعْوَتِهِ لَهُمْ لِلْخَلَاصِ.

شَهِدَ يَوْمَ الْخَمْسِينَ، عِنْدَ وَلَادَةِ الْكَنِيسَةِ، انْسِكَابًا جُزْئِيًّا لِلرُّوحِ الْقُدُّوسِ إِيْمَانًا لِنَبُوءَةِ يُوئِيلَ النَّبِيِّ. وَاسْتَشْهَدَ بُطْرُسُ فِي عَظَمَتِهِ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ ١٧:٢ بِنَبُوءَةِ يُوئِيلَ لِيشيرَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ. فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ، إِذَا، كَانَ دَلَالَةً مُنْذَرَةً بِالظُّهُورِ الْكَامِلِ لِلرُّوحِ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً، وَانْسِكَابِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ دَشَنَ حُلُولِ الرُّوحِ، مِثْلَ الْأَمْطَارِ الْمُبَكِّرَةِ فِي فِلَسْطِينَ، الَّتِي تَتَسَاقَطُ فِي الْخَرِيفِ بَعْدَ زِرَاعَةِ الْغَلَالِ بِقَلِيلٍ. أَمَّا الْإِيْمَانُ الْكَامِلُ وَالنِّهَايَةُ لِنَبُوءَةِ يُوئِيلَ، فَيَتَوَافَقُ مَعَ الْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ الَّذِي يَسْقُطُ فِي الرَّبِيعِ فَيَنْضِجُ الْحَبَّ. وَانْسِكَابِ الرُّوحِ النَّهَايَةِ هَذَا سَوْفَ يُنْضِجُ، مِثْلَ الْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ، حِصَادَ الْأَرْضِ.

نَجَدَ فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا الْأَصْحَاحِ ١٢ حَقَبَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ مِنَ الْاضْطِهَادِ. فِي الْحَقَبَةِ الْأُولَى الْمُتَمَدَّةِ مِنْ ٥٣٨ م إِلَى ١٧٩٨ م، قَاسَى الْمُؤْمِنُونَ الْأُمْنَاءُ اضْطِهَادًا شَدِيدًا. وَقَبْلَ الْمَجِيءِ الثَّانِي تَمَامًا، سَيُهَاكِمُ الشَّيْطَانُ "بَاقِي نَسْلِهَا". الْكَنِيسَةُ الْبَاقِيَةُ الَّتِي تَرْفُضُ التَّخَلِّيَ عَنِ وِلَايَتِهَا لِلْمَسِيحِ. يَصِفُ سَفَرُ الرُّؤْيَا ١٢: ١٧ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوْفِيَاءِ بِأَنَّهُمْ "الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وَصَايَا اللَّهِ، وَعِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". أَوْضَحَ الرَّائِي يُوْحَنَّا مَا عَنَاهُ بِشَهَادَةِ يَسُوعَ بِقَوْلِهِ "فَإِنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النَّبُوءَةِ" (رُؤْيَا ١٩: ١٠). يُعْلِنُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ شَعْبَ اللَّهِ فِي الْآيَّامِ الْآخِرَةِ، سَيَخْتَبِرُ السَّخَطَ التَّامَ لِقُوَّةِ التَّنِينَ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي مُحَاوَلَتِهِ الْآخِرَةِ لَتَدْمِيرِهِ. وَسَيَكُونُ ذَلِكَ "زَمَانٌ ضَيْقٌ لَمْ يَكُنْ مِنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ" (دَانِيَالُ ١٢: ١). وَلَكِنْ يُسَاعِدُ اللَّهُ شَعْبَهُ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي صِرَاعِ الْأَجْيَالِ الْعَظِيمِ هَذَا، أَعْطَاهُ بَحْنَانَهُ الْمُحِبَّ الضَّمَانَ بِأَلَّا يَدْعُهُ وَحِيدًا. فَشَهَادَةُ يَسُوعَ أَيُّ رُوحِ النَّبُوءَةِ سَتُرْشِدُهُمْ بِأَمَانٍ إِلَى هَدَفِهِمُ الْآخِرِ: التَّوْحُّدُ مَعَ مُخْلِصِهِمْ عِنْدَ مَجِيئِهِ الثَّانِي.

تَعْمَلُ الْعَطِيَّةُ النَّبُوءِيَّةُ فِي نِهَايَةِ الزَّمَانِ بِمَقْدَارِ مَا عَمَلْتَ فِي آيَّامِ الرُّسُلِ. تَقُومُ هَذِهِ الْعَطِيَّةُ عَلَى دَعْمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، كَأَسَاسٍ لِلْإِيْمَانِ وَالْمُمَارَسَةِ، وَعَلَى شَرْحِ تَعَالِيمِهِ، وَعَلَى تَطْبِيقِ مَبَادِئِهِ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ. لِدَعْمِ الْكَنِيسَةِ وَتَمَكِينِهَا مِنْ تَنْفِيزِ الْمَهْمَةِ الْمَوْكُولَةِ إِلَيْهَا مِنَ اللَّهِ.

كَانَ رُوحُ النَّبُوءَةِ نَشِيطًا فِي خِدْمَةِ "أَلَن هَوَايْت" أَحَدَى مُؤَسَّسَاتِ كَنِيسَةِ الْأَدْنْتِسْتِ السَّبَّيْتِينَ. لَقَدْ أَعْطَتْ تَعْلِيمَاتٍ مُلْهِمَةً لَشَعْبِ اللَّهِ الْعَائِشِ خِلَالَ وَقْتِ النِّهَايَةِ. لَقَدْ عَطَى عَمَلُهَا مَجَالَاتٍ عَدِيدَةً، فَكَانَتْ تُفَضِّلُ أَنْ تُسَمَّى مُرْسَلَةً. تَنَاوَلَتْ فِي كِتَابَاتِهَا حَيَاةَ الْمَسِيحِ حَيْثُ كَتَبَتْ كِتَابَهَا الرَّائِعَ "مُسْتَهْيُ الْأَجْيَالِ" وَأَكْثَرَ كُتُبِهَا تَدَاوُلًا وَقَدْ تُرْجِمَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ١٠٥ لُغَاتٍ هُوَ "طَرِيقُ الْحَيَاةِ" الَّذِي قَادَ الْمَلَائِكِينَ إِلَى عِلَاقَةٍ وَثِيقَةٍ بِالْمَسِيحِ.

لَقَدْ آمَنَتْ وَعَلَّمَتْ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ قَاعِدَةُ الْكَنِيسَةِ الْأُسْمَى. حَيْثُ كَتَبَتْ فِي كِتَابِهَا الْأَوَّلِ الْمُنْشُورِ فِي سَنَةِ ١٨٥١ م فَقَالَتْ "أَوْصِيكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ، بِكَلِمَةِ اللَّهِ كَقَاعِدَةٍ لِإِيْمَانِكَ وَسُلُوكِكَ. فَمَنْ خِلَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ سَنُحَاكِمُ". نَعِيشُ عَزِيزِي فِي وَقْتِ انْسِكَابِ رُوحِ اللَّهِ بِغَرَارَةٍ لِيَعِدَّ شَعْبًا لِمَلَاقَاتِهِ عَنْ قَرِيبٍ. صِلَاتِي أَنْ تَكُونَ ضِمْنُ مُسْتَقْبَلِي يَسُوعَ، إِذْ سِيَأْتِي لِيَأْخُذَنَا مَعَهُ إِلَى الْأَمْجَادِ السَّمَآوِيَّةِ عَنْ قَرِيبٍ لِنَعِيشَ مَعَهُ أَبَدَ الدُّهُورِ.

أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا

"وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعَدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَأَخْذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا."

(يوحنا ١٤: ٣)

بعد أن أكل يسوع وجبة الفصح مع تلاميذه، وخرج يهوذا الذي سلمه من العليّة، أراد المخلص أن يقضي وقتاً وحده مع الأحد عشر تلميذاً. وبكل رقة ومحبة أخبرهم بآلامه وموته وأنه سيتركهم بعد قليل، لذا شملهم الخوف مما سيأتي عليهم. كانت كلماته مليئة بالرجاء من أب عطوف لأولاده، فقال لهم "لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي". أراد أن يحول أنظارهم إلى الآب السماوي الذي يحبهم دائماً.

في قوله "لا تضطرب قلوبكم". أراد الرب يسوع أن يعلمهم الاعتماد على روحه القدس، ليمنحهم سلامه وقت الضيق. لذا قال لهم رئيس السلام "سلامي أترك لكم، سلامي أعطيكُم" (يوحنا ١٤: ٢٧). وحيث أنه مصدر سلامنا، نحتاج أن نتذكر ألا تضطرب قلوبنا، لأنه قادر أن يعتني بنا ويزيل كل هم من حياتنا.

تذكر عزيزي، أن أفضل طريقة لعدم الاضطراب هي الصلاة. أسكب حمل قلبك ومخاوفك بين يديه، فالرب يعرف كل ما يُزعجك، فلا تتردد وشاركه حاجتك. تذكر وعوده لك في كلمته المقدسة، عندما تحتاج إلى جرعة من الأمل، لأن كلمته مليئة بالرجاء لكل متعب. إذ يعود يسوع إلينا ثانية سينتهي كل ضيق واضطراب.

تُعطي كاتبة ملهمة مزيداً من الضوء على قول يسوع "أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَازِل". "إن الغاية من انطلاق المسيح كانت على عكس ما كان يخشاه التلاميذ. فلم يكن ذلك الانطلاق انفصلاً نهائياً. فلقد كان السيد ذاهباً ليعدّ لهم مكاناً حتى يأتي أيضاً ويأخذهم إليه. ففيما كان هو يبنى لهم منازل، كان عليهم هم أن يبنوا أخلاقهم لتكون على مثال صفات الله" (روح النبوة، مُشتهى الأجيال، صفحة ٦٣١).

عندما نتكلم عن اقتراب المجيء الثاني للمسيح، فإننا نعني أنه يمكن أن يأتي ثانية في أية لحظة. لا يوجد شيء لم يتحقق في النبوات الكتابية قبل أن يأتي المسيح ليضع حداً للشر والشرير. وتعلم كلمة الله، بأن المجيء الثاني صار وشيكاً. لقد تحدث المسيح مراراً وتكراراً أثناء خدمته على الأرض عن مجيئه الثاني، الأمر الذي أثار تساؤلات تلاميذه، بالطبع. وكان أحد أسئلتهم: "مَتَى يَكُونُ هَذَا؟" (مرقس ١٣: ٤). فأجابهم يسوع: "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلَا الْابْنُ إِلَّا الْآبُ. انظُرُوا! اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ" (الآيات ٣٢-٣٣). لهذا فإنه من المهم أن نتذكر في أية مناقشة بشأن الأيام الأخيرة، أن توقيت الله وخطته هي التي ستتحقق في أوانها. لا ننسى أيضاً أن الملائكة وعدت أن يسوع سيأتي ثانية.

ففي أعمال الرسل ١: ١٠-١١ بعد صعود يسوع للسماوات وقف ملاكان بلباس أبيض مع التلاميذ وقالوا "أيها الرجال الجليليون، ما بالكُم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء". "صعد المسيح إلى السماء في هيئة البشر. وقد رأى التلاميذ السحابة وهي تأخذه. يسوع هذا نفسه صعد إلى السماء ليجلس مع أبيه في عرشه. وقد أكد الملاك أن ذلك الذي قد رآه صاعداً إلى السماء سيأتي ثانية كما قد صعد". (روح النبوة، مُشتهى الأجيال، صفحة ٧٨٦).

خلال الحرب العالمية الثانية، وجد قائد حربي أمريكي يدعى "ماك آرثر" نفسه في وضع حرج في الفلبين ولا أمل له في الانتصار. حارب بكل شجاعة إلى أن جاء الأمر له بالانسحاب، أخبر جنوده بالأمر، لكنه تركهم بعد أن وعدهم بالعودة "سأعود لكم ثانية". لم يكن له ضماناً بإمكانية عودته. لكنه عاد وأنقذهم بالتأكيد. يسوع أعزائي، وعد تلاميذه ونحن، أنه سيمضي ليعد لنا منازل سماوية، وسيعود ليأخذنا نكون في نفس المكان الذي يكون هو فيه. هنيئاً لنا في تصديق وعد يسوع والاستعداد لملاقاته قريباً في ديار المجد.

علامات الأزمنة.

"قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟" (متى ٢٤: ٣)

إنَّ كُلَّ شَخْصٍ مِمَّا لَدَيْهِ فَضُولٌ بِخُصُوصِ الْمُسْتَقْبَلِ. فَلِسَبَبٍ أَوْ لآخَرٍ، نَحْنُ نُحِبُّ أَنْ نَرَى مَا سَيَحْدُثُ مُسْتَقْبَلًا. كان هذا حَالُ تَلَامِيذِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَيْضًا، لَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ أَظْهَرُوا إِعْجَابَهُمْ بِأُبْنِيَةِ الْهَيْكَلِ الْفَخْمَةِ، وَسَمِعُوا رَدَّ مُعَلِّمِهِمُ الْمَحْبُوبِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: "أَمَّا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يَتْرُكُ هَهُنَا حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ!" (متى ٢٤: ٢). دَفَعَهُمْ جَوَابُ يَسُوعَ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَلَى انْفِرَادٍ عِنْدَ وُصُولِهِمْ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي يَحْدُثُ فِيهِ دِمَارُ الْهَيْكَلِ. كَانَ سُؤْلُهُمُ الْهَامَ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ. مَتَى يَكُونُ هَذَا (الْخَرَاب)؟ مَا هِيَ عَلَامَةُ مَجِيئِكَ؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةُ انْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟

الطَّرِيقَةُ التَّكْمِيلِيَّةُ الَّتِي كَتَبَهَا مَتَّى وَمَرْقُسُ وَلَوْحًا عَنِ سُؤْلِ التَّلَامِيذِ لِيَسُوعَ تُوضِّحُ لَنَا الشَّعْفَ الشَّدِيدَ لَهُمْ لِمَعْرِفَةِ الْعَلَامَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوا الْفَاصِلَ بَيْنَ التَّوَقُّعَيْنِ فَقَدْ أَخْطَأَ التَّلَامِيذُ إِذْ ظَنُّوا أَنَّ خَرَابَ الْهَيْكَلِ هُوَ عَلَامَةُ عَلَى نَهَايَةِ الْعَالَمِ. لَمْ يُجِبْ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ عَنْ أَسْئَلَتِهِمْ بِتَفْصِيلِ حَوَادِثِ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلِ، وَيَوْمَ مَجِيئِهِ الْعَظِيمِ كُلًّا عَلَى حِدَةٍ، لَكِنَّهُ دَمَجَ بَيْنَ ذَيْنِكَ الْحَادِثَيْنِ.

لَقَدْ عَبَّرَ التَّلَامِيذُ بِسُؤَالِهِمْ عَمَّا يَدُورُ فِي أَذْهَانِ كُلِّ الْبَشَرِ عَنْ اسْتِيقَاقِهِمْ لِمَعْرِفَةِ الْمُسْتَقْبَلِ. وَلَكِنَّ السَّيِّدَ لَمْ يُحَدِّدْ أَزْمَنَةً مَكْتَفِيًّا بِتَقْدِيمِ الْعَلَامَاتِ حَتَّى لَا يَخْدَعَهُمُ الْمُسْحَاءُ الْكَذْبَةُ. وَمَا هِيَ عَلَامَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ، التَّلَامِيذُ كَانُوا مُقْتَنِعِينَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ (الْمَسِيحُ الْآتِي)، وَكَانُوا مُتَوَقِّعِينَ مَجْدَهُ الْمُسْتَقْبَلِي فِي نَهَايَةِ الْعَالَمِ لِيَدْخُلَ الْعَصْرَ الْمَسِيحَانِي الْأَبَدِيَّ. تَبَّأَ الْمَسِيحُ فِي مَتَّى ٢٤ لَوْحًا ٢١: ٢٥ وَمَرْقُسُ ١٣: ٢٤-٢٦ عَنْ عَلَامَاتٍ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، مُحَدِّدًا أَنَّ "الشَّمْسُ تُظْلِمُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْوءَهُ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَسَاقُطُ، وَالْقُوَّاتُ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ، يَلِيهَا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ عَلَى سَحَابٍ مَجْدٍ. كَمَا رَأَى يُوحَنَّا هَزَّةَ أَرْضِيَّةٍ كَبِيرَةٍ سَتَسْبِقُ عَلَامَاتُ السَّمَاءِ (رُؤْيَا ٦: ١٢). تَحَقَّقَتْ هَذِهِ النُّبُوءَةُ فِي ٢١ تَشْرِينَ الثَّانِي (نُوفَمْبَر) سَنَةِ ١٧٥٥ الْمَعْرُوفَةِ بِزَلْزَالِ لَشِبُونَةِ - عَاصِمَةِ الْبُرْتُغَالِ، حَيْثُ دَمَّرَ قَلْبُ الْمَدِينَةِ وَلَوْحَظَ تَأْثِيرُهُ فَوْقَ مَسَاحَةِ تَقْرُبُ مِنْ ٤ مِلْيَافَيْنِ مِيلٍ مُرَبَّعٍ.

الْعَلَامَةُ الَّتِي تَبِعَتْهَا هِيَ إِظْلَامُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، لَقَدْ تَمَّتْ هَذِهِ النُّبُوءَةُ فِي ١٩ أَيْيَارَ (مَآيُو) ١٧٨٠ حَيْثُ حَلَّ ظِلَامٌ فَائِقُ الطَّبِيعَةِ عَلَى شِمَالِ الْقَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَسَادَ الرَّأْيُ الْعَامُ شُعُورٌ قَوِيٌّ أَنَّ يَوْمَ الدِّينُونَةِ غَدَا فِي مَتْنَاوَلِ الْيَدِ. أَمَّا تَسَاقُطُ النُّجُومِ فَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ النُّبُوءَةُ فِي ١٣ تَشْرِينَ الثَّانِي (نُوفَمْبَر) ١٨٣٣ عِنْدَمَا انْهَمَرَ وَابِلٌ عَظِيمٌ مِنَ الْبَرْدِ، هُوَ الْعَرَضُ الْأَكْثَرُ شُمُولًا تَمَّ قِيَاسُهُ فِي سُقُوطِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ بِمَا يُعَادِلُ ٦٠٠.٠٠٠ شَهَابٍ فِي السَّاعَةِ. تَحَقَّقَ مَا أَعْطَاهُ الْمَسِيحُ مِنْ عَلَامَاتٍ لِلْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، الَّتِي آتَتْ فِي دِقَّةٍ مُتَتَابِلَةٍ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي أَنْبَأَ بِهِ الْمَسِيحُ، وَجَّهَتْ انْتِبَاهَ الْكَثِيرِينَ إِلَى نُبُوءَاتِ الْمَجِيءِ الثَّانِي.

ذَكَرَ الْمُخْلَصُ أَيْضًا زَمَانَ ضَيْقٍ عَاشَهُ تَلَامِيذُهُ حِينَ تَعَرَّضُوا لِاضْطِهَادٍ عَظِيمٍ بَعْدَ صُعُودِهِ لِلسَّمَاءِ، ثُمَّ أَعْطَاهُمْ عَلَامَةً لِلْخَرَابِ الْقَادِمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى وَسِيلَةِ الْهَرُوبِ حَيْثُ قَالَ فِي لَوْحًا ٢١: ٢٠-٢١ "وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ، فَحِينَئِذٍ اْعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ خَرَابُهَا. حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلْيَهْرُبُوا خَارِجًا، وَالَّذِينَ فِي الْكُورِ فَلَا يَدْخُلُوهَا".

تَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُونَ كَلَامَ سَيِّدِهِمْ وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. نَعِيشُ أَهْلُهَا الْأَحْيَاءُ الْآنَ وَقَتًا نَحْتَاجُ فِيهِ أَنْ نَرْفَعَ رُؤُوسَنَا لِأَنَّ نَجَاتَنَا تَقْتَرِبُ، لِنَسْهَرَ وَنُصَلِّيَ فِي كُلِّ حِينٍ، كَيْ نَكُونَ أَهْلًا لِلنَّجَاةِ مِنَ الَّذِي يَأْتِي وَنَقِفَ بِفَرْحٍ قُدَّامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ مُتَذَكِّرِينَ قَوْلَ فَادِينَا "وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ" (مَرْقُسُ ١٣: ١٣). يَا نَفْسِي صَبِرًا، الرَّبُّ آتٍ سَرِيعًا، وَسَنَرَاهُ، حَتْمًا نَرَاهُ. فَلْنَنْضَمَّ لَجَوْقَةِ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ لِلتَّرْحِيبِ بِهِ، وَلِقْيَاهُ عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ عَنِ قَرِيبٍ. آمِينَ.

سَبَبُ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً

"وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ."

(مَتَّى ٢٤: ٣٦)

يبدو أن هذه الآية تُقدِّمُ إجابةً واضحةً ومُحدَّدةً عن سؤال التلاميذ "متى يكون هذا"؟ كلا، لا يمكن أن يعرف أحد متى سيأتي يسوع ثانية. ولكن هذه الآيات لا تقول إنه لن يعرف أحد أبداً متى سيأتي المسيح ثانية. يقول معظم باحثي الكتاب المقدس أن يسوع، الذي هو مُمَجَّد الآن في السَّماء، يعرف متى سيعود، في إشارة إلى أن عبارة "ولا حتى الابن" لا تعني أن يسوع لن يعرف أبداً متى سيعود. نقرأ في سفر أعمال الرُّسل ١: ٧ ما قاله يسوع لتلاميذه "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ". يُريدنا المُخَلَّص أن نسهو ونكون مُستعدين لأي وقت وساعة يعود إلينا ثانية. أما عن السؤال لماذا سيأتي يسوع؟ سنذكر بعضاً من الأسباب الهامة لرجوعه: سيأتي ثانية ليُحَقِّق وعده لتلاميذه في يوحنا ١٤: ٣-١ بأنه سيصعد للسماء ليُعدَّ لهم منازل سماوية وبعد أن يُعدها سيأتي ثانية ليأخذنا لنعيش معه أفرح الأبدية. لننذكر أن صاحب الوعد صادق وأمين، وسيأتي كما وعد. سيأتي أيضاً ليُردَّ له كُلُّ الاعتبار والمجد. لقد كان آخر مشهد رآه الناس ليسوع وهو على الصليب وعلى رأسه إكليل الشوك والدماء تُغطي كُلَّ جسمه. في مجيئه الثاني سيعود بمجد الآب ومجده ومجد الملائكة مُنتصراً كَرَّبُ الأرباب.

سيعود لعالمنا من جديد ليُحَقِّق وعده لرئيس الكهنة بعد أن سألَهُ "أأنت المسيح ابن المبارك؟" فأجابه يسوع "أنا هو. وسوف تُبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القُوَّة وآتياً في سحاب السماء" (مَرْقُس ١٤: ٦٢). "سيكون ممَّن يرون قدومه الكهنة والشيوخ الذين حكموا عليه بالموت سترتفع صرخات عويلهم وهم يحاولون الهروب من حضرة ملك الملوك، وفي كهوف الأرض العميقة التي قد انشقت بفعل انحلال العناصر يحاولون الاختباء، ولكن عبثاً" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٦٩٦).

سيأتي كي يجمع شمل المفديين من كُلِّ زمان ومكان. لقد وعد تلاميذه ونحن في يوحنا ١٤: ٣ "آتي أيضاً وأخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً". ها هو يُحضِرُ كنيسة التي أحبها كنيسة مجيدة لا دنس فيها مقدسة وبلا عيب. ها هم المفديين يقومون بأجساد مُمَجَّدة لاستقبال عريسهم المسيح.

سيعود فادينا ليدين الأحياء والأموات، ويُحاسب كُلَّ واحد كما يكون عمله خيراً كان أم شراً، كما أكَّد ذلك مسيحنَا القُدُّوس في مَتَّى ١٦: ٢٧ "فإنَّ ابنَ الإنسانِ سوفَ يأتي في مجدٍ أبيه معَ ملائكته، وحينئذٍ يجازي كُلَّ واحدٍ حسبَ عمله". سيعود فادينا ليؤكِّد ملكه العتيد على الأرض بحسب ما أوضحه الرسول بطرس بعد أن شفى مع يوحنا أعرج من بطن أمه فقال في أعمال ٣: ١٩-٢١ "فتوبوا وأرجعوا لتُحمي خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الربِّ. ويرسل يسوع المسيح المُبَشِّرَ به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله، إلى أزمنة ردَّ كُلِّ شيءٍ، التي تكلم عنها الله بقم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر".

نفس الفكرة نراها في مَتَّى ١٧: ١١ حين سألَه تلاميذه عن مجيء أيليا فأكد لهم المسيح "إنَّ إيليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كُلَّ ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم". نعم أعزائي، واجبنا أن نحمل رسالة ردَّ كُلِّ شيء قبل رجوع المسيح.

سيأتي ملك المجد ليقيم الموتى، ويضع حداً للشَّرِّ والشرير حيث نقرأ عن ذلك في رؤيا ٢٠: ١٠ "وإنَّ إبليسَ الذي كان يُضلُّهم طُرحَ في بحيرة النار والكبريت، حيثُ الوحش والنبي الكذاب". بينما يكون مجيء المسيح ثانية يوم دمار وهلاك للأشعار، سيكون للأبرار يوم فرح وتهليل إذ ينظرون إلى السماء ويرون سحابة من الملائكة يتوسطهم المسيح آتياً في كُلِّ مجده. يا له من يوم مجيد سيعود ربُّنا الذي انتظرناه طويلاً المجد لاسمه أبد الدهور. ها صاحب الوعد يفي بوعدِهِ، ويعود ليجمع شملنا بصحبته هذه أمنيته لك قارئ العزيز.

مجيء يسوع والكرازة بالإنجيل

"وَيُكْرَزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى."

(متى ٢٤: ١٤)

أوضح الرب يسوع في حديثه عن نهاية العالم، أن الكرازة بالإنجيل للعالم أجمع هي من أعظم علامات المنتهى. واليوم فإن أخبار نعمة الله السارة تذاغ في العالم منذ ما يزيد عن ألفي سنة، وستستمر إلى أن يأتي المسيح على سحاب المجد. يُركّز هذا الإنجيل أن المسيح مات عن خطايا العالم جميعه، وأنه قام من الأموات وجلس عن يمين الآب، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. هذا ما أوضحه يسوع لتلاميذه ولنا وهو جالس معهم على جبل الزيتون. يبرز هنا سؤال "ما هو إنجيل الملكوت، ولماذا سمي بهذا الاسم؟" يشمل الإنجيل "إنجيل النعمة" حسب ما أوضحه الرسول بولس في أعمال ٢٠: ٢٤ "ولكنني لست أحسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله". يُحرر إله الإنجيل الناس من خطاياهم، ويأتي بهم إلى خلاصه، وإلى ملكوت السماوات كما نقرأ في رؤيا ١: ٩ "أنا يوحنا أخوكم وشريكم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره". نجد التركيز على الملكوت واضحاً في الإنجيل.

يُشدّد إنجيل النعمة على غفران الخطايا، فداء الله، ونيل الحياة الأبدية، أمّا إنجيل الملكوت فيسلط الضوء على حكم الله وسلطانه. منذ أن بدأ الرب يسوع كرازته نادى قائلاً "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (متى ٤: ١٧). ما أروع أن نعرف إنجيل الملكوت، ونعيش بموجب مبادئه، بعد ذلك، نذيع إنجيل الخلاص كشهادة إلى العالم أجمع. هذا ما نراه في ترجمة الكتاب المقدس إلى أكثر من ٧٣٥٩ لغة، تشمل أكثر من ٩٦٪ من سكان العالم. وما زال أكثر من مليار ونصف من سكان العالم بدون كتاب مقدس كامل.

يوجد في تصرف الكنائس المسيحية الآن، تنوع كبير من الإمكانيات تستخدمه في نشر بشارة الإنجيل إلى المسكونة: وكالات خدمة، مؤسسات تربوية وطبية، كازنون، محطات راديو وتلفزيون، موجات الراديو القصيرة تحمل بشارة الإنجيل إلى كل بلدان العالم تقريباً. تضم كنيسة السبتيين الأذنتست أعضاء يتكلمون ٧٠٠ لغة و ١٠٠٠ لسان (لهجة) ويذيعون البشارة في ١٩٠ بلداً. يؤمنوا أن العمل الطبي والتربوي يلعب دوراً أساسياً في إتمام البشارة.

تدير كنيسة المجيئين السبتيين قرابة ٦٠٠ مستشفى وعيادة ومستوصف. كما أن دور النشر ال ٥١ تنتج مطبوعات في ١٩٠ لغة، إلى جانب محطات إذاعية على الموجة القصيرة تغطي ٧٥٪ من سكان الأرض. إذ يبارك الروح القدس هذه الإمكانيات، سنرى عمل الله يصير قُدماً إلى الأمام.

خير مثال على معنى التضحية في خدمة الله نجدها في حياة رجل من أفريقيا حاصل على شهادة جامعية يدعى "بليات سابا" وزوجته. ذهبت العائلة مع أولادها الاثنين إلى قرية صغيرة في مالاوي. رفض سكان القرية أن يعيشوا بينهم، عاشوا على شجرة كبيرة. أصيب أحد الأولاد بمرض الملاريا ومات، لكن الوالدين رفضا ترك المكان. بعد وقت قصير مات الولد الثاني، أصر الأب والأم على البقاء، ثم ماتت الزوجة، ومع ذلك، بقي الأب في مكانه. أخيراً، اقتنع سكان القرية أن "بليات" يحبهم حقاً، كما تأكدوا من محبة الله لهم، وسمحوا له بإقامة العديد من المدارس المسيحية في قريتهم.

قال يسوع لتلاميذه ولنا "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها". نقرأ عمّا عمله الرسل "وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات والتأعية. آمين" (مقرس ١٦: ٢٠ و ١٥). هذه المأمورية ما يريدنا المسيح أن نعملها للعالم شهادة لهم، ونعد آخرين ليكونوا معه في أمجاده السماوية عن قريب. هل ستضم صوتك معي كي نقول للرب المجد "هاأنذا أرسلني".

هرمجدون

"فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ "هَرْمَجْدُون" (رؤيا ١٦: ١٦)

كانت "مجدو" المعروفة أيضاً بـ "تل مجدو" بلدة فلسطينية قديمة تطل على مرج "ابن عامر" على بُعد ٢٩ كلم جنوب شرق حيفا، وعلى بُعد ٢٤ كلم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. أما كلمة "هرمجدون" هار تعني جبل، ومجدون هو اسم وادي، فالكلمة تعني "جبل مجدو". تميّز موقع مجدو الاستراتيجي كممر تجاري وعسكري يربط ما بين مصر وبلاد ما بين النهرين، كما كانت أيضاً على الطريق الشمالي الغربي- والجنوبي الشرقي، الذي يربط المدن الفنيقية بمدينة القدس ووادي نهر الأردن.

تعرضت مجدو للدمار على يد المصريين، لكن الملك سليمان استردها وأعاد بنائها كمركز حربي. استمرت المدينة لحوالي سنة ٤٥٠ قبل الميلاد، وقد عُثر فيها على نحو ٤٠٠ قطعة من العاج تعود للفنيين. خلال الحرب العالمية الأولى، دارت معركة بين الإنكليز بقيادة "ادموند ألنبي" والجيش التركي في مجدو أدت إلى هزيمة نهائية للجيش العثماني في الشرق الأوسط. كلمة "هرمجدون" كما عنت باليونانية تدل على مكان حيث اجتمعت قوى الشر للقتال ضد الله. وردت كلمة "مجدو" في يشوع ١٧: ١١ و ٢٠ أخبار الأيام ٣٥: ٢٢ بنفس الصيغة في رؤيا ١٦: ١٦، كما لاحظنا أن العهد القديم لم يذكر كلمة "هرمجدون"، لذا، ومن سياق النص في سفر الرؤيا، نستنتج أنها تمثل آخر محاولة من الشيطان ليحصل على ولاء وعبادة سكان كوكب الأرض.

في إشعياء ١٤: ١٣ نقراً "أنت قلت في قلبك: أضعد إلى السماوات. أرفع كرسيي فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال". نجد كيف دبّت الكبرياء في قلب لوسيفر وحاول أن يصير مثل العلي، فجبل الاجتماع هو ما عنى به الرائي يوحنا ليصف "هرمجدون" ومحاولة الشيطان الأخيرة ليصير مثل الله ويجلس على جبل الاجتماع. جاءت هرمجدون ضمن الضربة السادسة في رؤيا ١٦: ١٢-١٦ حيث سكب الملك السادس جامه على النهر الكبير الفرات فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس. ثم رأى يوحنا ثلاثة أرواح خرجت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب، ويصفها الرائي بأرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم، لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء. فجمعهم إلى الموضع هرمجدون. ستكون أوقات خداع عظيمة تضم ثلاث قوى التي هي أرواح شياطين مضلة، لذا، ستكون هرمجدون مواجهة روحية، وليست معركة حربية كما يظن البعض. لا عجب أن يحذرنا يسوع في رؤيا ١٦: ١٥ "ها أنا آتي كلبص! طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عريته".

بالنسبة لنشفا نهر الفرات الذي هو رمزي مثل هرمجدون. هناك إجماع بين اللاهوتيين أن المدينة العظيمة التي انقسمت إلى ٣ أجزاء هي بابل تحت الضربة السابعة والتي في الواقع تشير إلى روما. كان نهر الفرات في زمن دانيال النبي يمر في وسط بابل. وعندما جاء كورش الفارسي للهجوم على بابل قام بتحويل مجرى نهر الفرات، وسار بجيشه في مجرى النهر، واحتل المدينة ودمرها.

أما جفاف نهر الفرات في زمن المنتهى فمصدره الله الذي يرسل ملاكه ليظهر لجميع الذين وضعوا ثقتهم في قادتهم الروحيين زيف ما علّموهم من تعاليم مضلة، مصدرها بابل الروحية فينقلوا عليهم ويحاربوهم.

يصف سفر يوثيل ٣: ٩-١٦ دعوة الأمم من كل ناحية للقتال، أما الإشارة إلى المنجل والحصاد فتشير إلى الدينونة، هذا ما نراه في الضربتين السادسة والسابعة حيث ستصل هرمجدون إلى نهايتها بمجيء ملك الملوك ورب الأرباب. أعطني ربي النصيب الصالح لأكون معك في ديار المجد عن قريب.

كيف سيأتي المسيح؟

"هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ." (رؤيا ١: ٧)

في إنجيل متى ٢٤ تكلم الرب يسوع عن علامات المنتهى ووقت ضيق كبير، تلاه ظلمة الشمس وتساقط النجوم من السماء. وقال في الآية ٣٠ "وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ".

ما مَيَّزَ هذه الآية هو أن السحاب هو علامة ابن الإنسان. يذكر الكتاب المقدس كلمة سحاب في ثلاث مناسبات ١- عند صعود المسيح إلى السماء "وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ". ٢- وفي مشهد الدينونة في دانيال ١٣: ٩ جاء ابن الإنسان على سحاب السماء إلى القديم الأيام. ٣- ما قاله الرائي يوحنا عندما رأى يسوع في السماء "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ".

يبحث الناس في أيامنا عن رجاء يُعَشِّ أَمَلَهُمْ عندما نَعَصِفُ بهم التجارب، وقد عَبَّرَ أحدهم عن ذلك بقوله "ما يعني الأوكسجين للرئتين، هكذا الأمل للنفس البشرية". الرجاء شَمْعَةٌ تُبْرِقُ دَرْبَ حَيَاتِنَا، وكَلِمَةُ اللَّهِ حَافِلَةٌ بالعديد من الآيات عن أفضل رجاء - ذاك هو رجائنا المبارك بمجيء يسوع ثانية.

قَبْلَ صُعودِ الْمُخْلِصِ لِلسَّمَاءِ، وعد تلاميذه والمؤمنين به في كُلِّ زمان ومكان، بأنه "سيأتي ثانية". تَبَّأُ كِتَابُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنْ مَجِيءِ الْمَسِيحِ. لَكُلِّ آيَةٍ تَبَّأَتْ عَنْ مِيلَادِهِ كَطِفْلٍ فِي بَيْتٍ لَحْمٍ، هُنَاكَ ثَمَانِي آيَاتٍ عَنْ مَجِيئِهِ الثَّانِي، والمذكور في كُلِّ سفر من أسفار العهد الجديد ما عدا فيلمون.

في أعمال الرسل الأصحاح الأول، رأى التلاميذ سيدهم المحبوب يصعد إلى السماء من جبل الزيتون، وفيما هم شاخصين للسماء "إِذَا مَلَكَانِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ وَقَالَا "أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بِالْكُمُ وَأَقْفَيْنِ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ" (أعمال ١: ١١).

أَكَّدَ لَهُمُ الْمَلَكَانِ أَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ الَّذِي غَادَرَهُمْ وَرَأَوْهُ مُنْطَلِقًا لِلسَّمَاءِ، سَوْفَ يَعُودُ إِلَى الْأَرْضِ، وسيكون مجيئه واقعيًا وشخصيًا مثلما كان ذهابه.

سيكون مجيء المسيح حَدَثًا منظورًا ولقاء حيًا بشخص منظور. وَقَدْ حَذَّرَ يَسُوعُ تلاميذه أَنَّ مجيئه سيكون مثل لَمَعَانِ الْبَرْقِ، غير تارك المجال لأي شك حول رؤية رجوعه. يُوكِّدُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بوضوح أَنَّ الْأَبْرَارَ وَالْأَشْرَارَ سَيُشْهِدُونَ سَوِيَّةَ مَجِيئِهِ. كَمَا قَالَ الرَّائِي يُوْحَنَّا "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ". وَقَدْ نَبَّهَ الْمَسِيحُ إِلَى رَدِّ فِعْلِ الْأَشْرَارِ بقوله "وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ" (متى ٢٤: ٣٠).

سَتَكُونُ عَوْدَتُهُ أَيْضًا مَسْمُوعَةً، وَسَتُعْرَفُ بِالصَّوْتِ كَمَا بِالنَّظَرِ. يُوكِّدُ الرَّسُولُ بُولُسُ بَأَنَّ "صَوْتَ الْمَلَائِكَةِ وَبُوقَ اللَّهِ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ (١ تسالونيكي ٤: ١٦). سيكون رجوعه أيضاً مجيداً، يأتي كَفَاتِحٍ، بِقُوَّةٍ "فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ". (متى ١٦: ٢٧). يَصِفُ صَاحِبُ الرُّؤْيَا مَجْدَ عَوْدَةِ الْمَسِيحِ بِطَرِيقَةٍ مُثِيرَةٍ، وَيُصَوِّرُهُ رَاكِباً عَلَى حِصَانٍ أبيض وقائد جيوش السماء بأعداد لا تحصى. فَالَسْنَا الْفَائِزِينَ لِلْمَسِيحِ الْمُمَجَّدِ بَارِزِينَ لِلْعَيَانِ.

(رؤيا ١٩: ١١-١٦). أَكَّدَ الرَّسُولُ بُولُسُ أَنَّ مَجِيءَ الْمَسِيحِ سَيَكُونُ حَدَثًا مُفَاجِئًا "حِينَ يَقُولُ الْعَالَمُ سَلامًا وَأَمَانًا حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلَاكٌ بَغْتَةً كَالْمَخَاضِ لِلْحَبْلِى فَلَا يَنْجُونَ" (١ تسالونيكي ٥: ٣و٢).

شَبَّهَ الْمَسِيحُ أَيَّامَنَا بِجِيلٍ مَا قَبْلَ الطُّوفَانِ، حَيْثُ كَانَ النَّاسُ مُشْغُولِينَ بِأُمُورِ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحُ الْفُلِّكَ وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ. أُعْطِنِي إِلَهِي أَنْ أَرَكَ آتِيًا عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ آمِينَ.

أَيُّ أَنْاسٍ نَحْنُ؟

"فِيمَا أَنْ هَذِهِ كُلُّهَا تَنْحَلُّ، أَيُّ أَنْاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟"

(٢ بطرس ٣: ١١)

إذ أوشكت حياة الرسول بطرس على الانتهاء، عَلَّمَ عن مجيء يوم الرَّبِّ وَحَدَّرَ القطيع الصَّغِيرَ أَنَّهُ فِي الْيَّامِ الْآخِرَةِ سَيَأْتِي قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ بِشَأْنِ حَقِيقَةِ رَجُوعِ الْمَسِيحِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَهْلِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، واعتقادهم الخاطئ أَنَّ الْعَالَمَ سِيدُومُ إِلَى الْأَبَدِ. تَدَخَّلَ اللَّهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ فِي التَّارِيخِ لِیُعْلِنَ دِينُوتَهُ عَلَى عَالَمِ الْخَطِيئَةِ الرَّافِضِ لِلْمَسِيحِ- بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ لَهُمْ فِتْرَةً زَمَنٍ نِعْمَةٍ مِثْلَ مَا حَدَّثَ عِنْدَ الْخَلِيقَةِ، الطوفان، وَبُرْجَ بَابِلَ وَعَلَى الصَّلِيبِ أَيْضًا.

يَحْتَنُا تَحْذِيرَ بَطْرُسَ عَلَى عَدَمِ التَّعَلُّقِ بِأُمُورِ هَذَا الْعَالَمِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا سَتَنْحَلُّ وَتَحْتَرِّقُ عِنْدَ مَجِيءِ يَوْمِ الدِّينُونَةِ وَهَلَاكِ الْفُجَّارِ. إِنَّ غَضَبَ اللَّهِ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ فِي حَيَاتِنَا قَدْ وَقَعَ عَلَى الْمَسِيحِ: بِدِيلِنَا وَمُخْلَصِنَا، لَكِنْ سَيَأْتِي يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ "كَفَى" حَيْثُ يَتَزَلْزَلُ كُلُّ شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ- كُلُّ مَا هُوَ لَيْسَ لِلْمَسِيحِ - وَكُلُّ شَيْءٍ مُتَّعِلٌّ بِنِظَامِ عَالَمِ الْفُجَّارِ الْأَشْرَارِ. وَهُنَا يَطْلُبُ بَطْرُسُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعِيدُوا النَّظَرَ بِمَعْنَى حَيَاتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْآنَ، وَيَهَيِّبُ بِهِمْ أَنْ يَعِيشُوا فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى.

كَيْفَ سَنَعِيشُ بَيْنَمَا السَّمَاءُ تَطْلُ زُرْقَاءَ وَالشَّمْسُ تُعْطِينَا دَفْعَ حَرَارَتِهَا؟ أَيُّ أَنْاسٍ نَكُونُ الْيَوْمَ؟ يَقُولُ بَطْرُسُ بِوُجُودِ جَوَابٍ وَاحِدٍ فَقَطْ وَهُوَ عَكْسُ مَا يُعَلِّمُهُ الْمُعَلِّمُونَ الْكَذِبَةَ: عَلَيْنَا أَنْ نَعِيشَ أَصْحَابَ سُلُوكٍ مُقَدَّسٍ يَتَّصِفُ بِالتَّقْوَى عَنْ طَرِيقِ تَجَنُّبِ كُلِّ سُلُوكٍ خَاطِئٍ وَحَيَاةِ الْخَطِيئَةِ.

لَيْسَتْ الْمَسْأَلَةُ مَاذَا نَعْمَلُ بِأَجْسَادِنَا، لَكِنَّهَا مَنْ نَكُونُ؟ يُشَجِّعُنَا بَطْرُسُ عَلَى الْعِيشِ بِطَهَارَةٍ وَقِدَاسَةٍ وَنَسْلُكٍ فِي تَقْوَى، لِيَكُونَ تَرْكِيزُنَا لَيْسَ عَلَى أُمُورِ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي سَيَحْتَرِّقُ، لَكِنْ أَنْ نُقْوِيَ عِلَاقَتَنَا بِدِيلِنَا وَمُخْلَصِنَا- لَنَعْرِفَهُ أَكْثَرَ- وَنُحِبَّهُ أَكْثَرَ، وَنَتَّبِعَهُ عَنْ قُرْبٍ يَوْمًا بَعْدَ آخَرٍ.

يُعَلِّقُ أَمِيرُ الْوُعَاظِ "سَبِيرَجِن" عَلَى السُّؤَالِ: أَيُّ أَنْاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا؟ فيقول: "الْمَلِكُ آتٍ إِلَى عَرْشِهِ لِيَحْكُمَ. هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَذْهَبَ إِنْسَانٌ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ وَهَنَّاكَ يَخُونُهُ، أَوْ أَنْ يَجْلِسَ فِي مَحْضَرِ عَرْشِ الْمَلِكِ، الْمُتَوَقَّعِ دُخُولَهُ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ، وَيتَكَلَّمَ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ! الْمَلِكُ قَادِمٌ، وَهُوَ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَأَنْتَ تَقِفُ عِنْدَ بَابِهِ، فَأَيُّ نَوْعٍ مِنَ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ؟ كَيْفَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَفْعَلَ الْخَطِيئَةَ ضِدَّ شَخْصٍ قَرِيبٍ جَدًّا مِنْكَ؟".

مُعْظَمُ النَّاسِ فِي يَوْمِنَا هَذَا، وَبِالتَّأَكِيدِ فِي زَمَنِ بَطْرُسَ، يُحَاوِلُونَ أَنْ يَجِدُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ عَنْ طَرِيقِ بِنَاءِ شَيْءٍ يَدُومُ لَوَقْتٍ طَوِيلٍ، رُبَّمَا ثَرَوَةً كَبِيرَةً تُشْعِرُهُمْ بِالنَّجَاحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ امْتِلَاكِهِمْ مَا كَانُوا يَحْكُمُونَ بِهِ. آخَرُونَ، عَمِلُوا وَتَعَبُوا، وَأَصْبَحُوا قَادَةَ فِي مَجَالِ عَمَلِهِمْ. مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ مَا كَانَ يُعَلِّمُهُ الْمُعَلِّمِينَ الْكَذِبَةَ فِي زَمَنِ بَطْرُسَ حَيْثُ رَكَّزُوا اهْتِمَامَهُمْ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ، وَحَيَاةِ الْإِنْحِلَالِ الْخُلُقِيِّ، وَتُفَنِّنُوا فِي ذَلِكَ بِحَيْثُ أَنْكَرُوا الدِّينُونَةَ وَمَجِيءَ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً. يَقُولُ لَهُمْ بَطْرُسُ "وَهَذِهِ أَيْضًا سَتَحْتَرِّقُ".

عَاشَ وَلَدٌ صَغِيرٌ مَعَ أَهْلِهِ فِي بَيْتٍ، وَاعْتَادَ أَنْ يَرَى يَافِطَةً مَعْلَقَةً عِنْدَ مَطْلَعِ الدَّرَجِ كَانَ يَرَاهَا مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ فِي الْيَوْمِ فِي صُغُودِهِ وَنُزُولِهِ. وَعِنْدَمَا كَبُرَ وَتَرَوَّجَ، عَلَّقَهَا فِي الْمَطْبَخِ كَي يَرَاهَا أَوْلَادُهُ أَيْضًا. تَقُولُ كَلِمَاتُ تِلْكَ الْيَافِطَةِ "نَعِيشُ حَيَاةَ وَاحِدَةٍ فَقَطْ، سَرِيعًا مَا تَزُولُ. مَا نَفْعَلُهُ فَقَطْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ سَيَبْقَى".

سَيَصْمُدُ أَمَامَ تِلْكَ الدِّينُونَةِ الْمُحَرِّقَةِ فَقَطْ هُوَ الْقِدَاسَةُ، وَالتَّقْوَى، وَمَا يَرْمُزَانِ إِلَيْهِمَا. هَكَذَا حَيَاةٌ مَنْ يَعِيشُ لِلْمَسِيحِ سَيَنْعَمُ بِغْنَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. الْعَالَمُ مَنْ حَوْلَنَا مَشْغُولٌ بِأُمُورِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ. مَا أَحْوَجُنَا أَعْرَائِي أَنْ نُدْرِكَ أَهْمِيَّةَ الْيَّامِ الْآخِرَةِ الَّتِي نَعِيشُ بِهَا، وَنُفْتَدِي الْوَقْتِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطَى حِسَابًا عَنْ أَعْمَالِهِ خَيْرًا كَانَتْ أَمْ شَرًّا.

أَدْرَكَ بَطْرُسُ أَهْمِيَّةَ أَيَّامِنَا فَقَالَ "وَأِنَّمَا نَهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ اقْتَرَبَتْ، فَتَعَقَّلُوا وَاصْحُوا لِلصَّلَوَاتِ". (١ بطرس ٤: ٧). لِنَتَعَلَّمَ فِي مَدْرَسَةِ الْمَسِيحِ لِنَكُونَ مِثْلَهُ، وَنَعِيشَ حَيَاتَهُ، اسْتِعْدَادًا لِمَلِاقَاتِهِ قَرِيبًا عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ آمِينَ.

ها أنا آتي، فاستعد

"لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَنْتَوْنُ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ." (متى ٢٤: ٤٤)

جَلَسَ يَسُوعُ مَعَ تَلَامِيذِهِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ حَيْثُ كَانَ الْهَيْكَلُ يَدُو أَمَامَهُمْ وَاضِحًا، وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ عَنْ أُمُورِ قَرْيَةِ الْحُدُوثِ، وَعَنْ إِيمَانِنَا هَذِهِ، كَيْفَ سَيُصَلَّبُ وَيَمُوتُ، وَبَعْدَ قِيَامَتِهِ سَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، حَيْثُ نَنْتَظِرُ رَجُوعَهُ إِلَيْنَا كَمَلِكٍ وَقَاضٍ عَنْ قَرِيبٍ، كَمَا أَوْضَحَ لَهُمْ أَنْ لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ السَّاعَةَ أَوْ الْوَقْتَ الَّذِي سِيرْجَعُ فِيهِ. الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ لِنَسْتَعِدَّ لِقُدُومِهِ هِيَ أَنْ نَكُونَ دَوْمًا مُسْتَعِدِّينَ كَمَا أَوْصَانَا فَادِينَا أَنْ نَعِيشَ كُلَّ يَوْمٍ كَمَا لَوْ يَظْهَرُ فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ.

تَحْتَوِي الْأَسْفَارُ الْمُقَدَّسَةُ عَلَى مِائَاتِ الْوَعُودِ بِمَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً مُذُنْ أَنْ وَعَدَ تَلَامِيذَهُ وَنَحْنُ فِي إِنْجِيلِ يُوَحْنَا ١٤: ٣-١ بَأَنَّهُ سَيَمْضِي لِيُعِدَّ لَهُمْ وَلَنَا مَنَازِلَ، وَمَتَى انْتَهَى مِنْ أَعْدَادِ بَيْوتِنَا السَّمَاءِيَّةِ، سَيَأْتِي ثَانِيَةً لِيَأْخُذَنَا إِلَيْهِ لِنَعِيشَ مَعَهُ أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ. فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنْ عِلَامَاتِ الْمُنْتَهَى أَوْصَانَا الْمُخْلِصَ فِي لَوْقَا ٢١: ٣٤-٣٦ بِضُرُورَةِ السَّهَرِ وَالصَّلَاةِ لَنَكُونَ فِي اسْتِقْبَالِهِ عِنْدَمَا يَعُودُ فَقَالَ "فَاحْتَرِزُوا لَا تُفْسِكُمْ لَيْلًا تَتَّقِلُ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرِ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ، فَيَصَادَفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً". وَإِذَا يَأْتِي فَجَاءَةً، يُقَدِّمُ يَسُوعُ نَصِيحَتَهُ لَنَا قَائِلًا "اسْهَرُوا إِذَا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسِبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْمُرْمَعِ أَنْ يَكُونَ، وَتَقْفُوا قَدَامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ".

يَنْطِقُ الرَّسُولُ يَهُوذَا بِالْوَيْلِ عَلَى الْأَشْرَارِ الَّذِينَ ضَلُّوا وَسَلَكُوا بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ وَكَيْفَ تَتَبَّ عَنْهُمْ أَخْنُوخُ السَّابِعُ مِنْ آدَمَ وَهُوَ يُخْبِرُنَا عَنْ مَجِيءِ الْمَسِيحِ الثَّانِي فَيَقُولُ فِي الْآيَتَيْنِ ١٤-١٥ "وَتَتَبَّ عَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ السَّابِعُ مِنْ آدَمَ قَائِلًا: "هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رِبَوَاتٍ قَدِيسِيَّةٍ، لِيَصْنَعَ دِينُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمْ الَّتِي فَعَرَوْا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةُ فُجَّارٍ".

سَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللَّهِ ٣٠٠ سَنَةً قَبْلَ انْتِقَالِهِ لِلسَّمَاءِ حَيْثُ نَقَرَا فِي تَكْوِينِ ٥: ٢٤ "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لَأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ". لَقَدْ دَرَبَ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ لِيَكُونَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ، وَكَانَ هَدَفَ حَيَاتِهِ أَنْ يُرْضِيَ اللَّهَ بِاسْتِمْرَارٍ. فِي عَصْرِنَا هَذَا، قَبْلَ عَوْدَةِ يَسُوعَ عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ، نَحْتَاجُ أَعْرَائِي أَنْ نَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ بِحَيْثُ تَذَوُّبٍ إِرَادَتَنَا فِي إِرَادَتِهِ، لِيَكُونَ لَنَا اخْتِبَارٌ رُوحِيٌّ عَمِيقٌ يُؤْهِلُنَا لِنَقِفَ قُدَامَهُ بِلَا لَوْمٍ عِنْدَمَا يَعُودُ إِلَيْنَا. وَفِي زَمَنِ الضِّيقِ الْقَادِمِ عَلَيْنَا، سَيَمُرُّ إِيمَانُنَا بِعَاصِفَةٍ وَبِهْتَرٍ، لَكِنَّ ثَبَاتَنَا فِي الْمَسِيحِ هُوَ الَّذِي يَحْمِينَا وَقَتَ التَّجَارِبِ. "يُحَسِّنُ بِكُلِّ مَنَّا أَنْ يَقْضِيَ سَاعَةً كُلَّ يَوْمٍ بِالتَّأَمُّلِ فِي حَيَاةِ الْمَسِيحِ.

يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَأَمَّلَ فِي حَوَادِثِ حَيَاتِهِ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً وَلِنَجْعَلَ عُقُولَنَا تُصَوِّرُ كُلَّ مَنْظَرٍ عَلَى حِدَةٍ وَتَتَأَمَّلَ فِيهِ وَعَلَى الْخُصُوصِ أَحْدَاثَ حَيَاتِهِ الْأَخِيرَةِ. فَإِذَا نَتَأَمَّلَ فِي كِفَارَتِهِ الْعَظِيمَةِ لِأَجْلِنَا، سَتَكُونُ ثِقَتُنَا بِهِ دَائِمَةً وَتَسْتَقِظُ مَحَبَّةُ قُلُوبِنَا بَعَمَقٍ أَزِيدُ وَيَسْكُنُ رُوحُهُ فِيْنَا". (رُوحُ النُّبُوَّةِ، مُسْتَهْتِ الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٦٩).

يُذَكِّرُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ فِي الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ مِنْ رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى تَسَالُونِيكِي بِأَنَّ مَجِيءَ يَوْمِ الرَّبِّ سَيَكُونُ "كَلْصٍ فِي اللَّيْلِ" وَكَيْفَ نَسْتَمِرُّ مَا تَبَقِيَ مِنْ وَقْتِنَا فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ. يَبْدَأُ بِتَذَكِيرِنَا بِأَنْ نَعِيشَ بِسَلَامٍ مَعَ بَعْضِنَا الْبَعْضَ، فَإِذَا جَاءَ الْمَسِيحُ غَدًا، هَلْ سَيَسُودُ السَّلَامُ عَلَى عِلَاقَاتِنَا أَمْ الْمَشَاكِلُ؟ ثُمَّ يَنَاشِدُنَا أَنْ نَسْنِدَ الضَّعْفَاءَ وَنُعَامِلَ الْجَمِيعَ بِطَوْلِ الْبَالِ، وَيُحَذِّرُنَا أَنْ نَعَامِلَ الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، بَلْ نَسْعَى دَائِمًا لِنَعْمَلَ الْخَيْرَ لِجَمِيعِ النَّاسِ.

هَكَذَا نَكُونُ مُسْتَعِدِّينَ وَنُعِدُّ آخَرِينَ لِلتَّحْرِيبِ بِعُودَتِهِ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ. وَلَكِي نَسْتَعِدَّ لِمَا سَيَأْتِي عَلَى عَالَمِنَا بِشَكْلِ مَفَاجِئٍ مِنْ أَحْدَاثِ النِّهَايَةِ، نَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ جَادَّةٍ لِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَالْعِيشِ بِمَوْجِبِ مَبَادِئِهَا. فَلْنُحْصِنْ عُقُولَنَا بِحَقَائِقِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِنَتَّبَتَ فِي الصَّرَاحِ الْأَخِيرِ الْعَظِيمِ.

تَقُولُ السَّيِّدَةُ أَلَن هَوَايْتُ "وَحَدَّاهُمُ الَّذِينَ كَانُوا دَارِسِينَ بَجْدِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَقَبِلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ هُمُ الَّذِينَ سَيَحْصُلُونَ عَلَى الْحِمَايَةِ مِنَ الضَّلَالَةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي سَتَأْسِرُ الْعَالَمَ كُلَّهُ" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، الصَّرَاحُ الْعَظِيمُ، صَفْحَةُ ٦٧٦). يَسُوعُ آتٍ قَرِيبًا، فَهَلْ أَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لِلِقَائِهِ لَتَسْمَعَ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ "أَدْخُلْ إِلَى فَرْحِ سَيِّدِكَ". لَهُ كُلُّ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ أَبَدَ الدُّهُورِ.

حَقُّ اللَّهِ الْحَاضِرِ لِيَأْمِنَا

"افْتَحُوا الْأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الْأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الْأَمَانَةَ." (إشعياء ٢٦: ٢)

يبدأ النبي إشعياء هذا الأصحاح بترنيمة ابتهاج تسبيحة لأورشليم مدينة الله، بسبب ما تمتعت به من قُوَّة وحصانة مع أبواب مفتوحة وبرٍّ لسكانها وأمانة وسلام. إنَّها دعوة لجميع عارفي الحقِّ ليتبعوا طريق الحقِّ كي يدخلوا أبواب المدينة المقدَّسة. ليتبعوا الرَّبَّ يسوع الَّذي هُوَ "الطريق والحقُّ والحياة". يدعونا الرَّسول بُطرس في رسالته الثانية ١: ١٢ لنكون راسخين بالحقِّ "لذلك لا أهمل أن أذكركم دائماً بهذه الأمور، وإن كنتم عالمين ومُثبتين في الحقِّ الحاضر". أعطى الله حقَّه الحاضر لكلِّ زمان ومكان، بدءاً بالذبيحة التي صنَّع الرَّبُّ الإله من جلدها أقمصاً لأدم وحواء. بعد ذلك، كان الخاطئ يأخذ حملاً ويضع يديه عليه مُعترفاً بخطاياها، فيقع ذنبه على الخروف البريء الَّذي كان يُشير إلى حمل الله يسوع الحامل خطايا العالم.

وإذ جاء يسوع، تغيَّر الحقُّ الحاضر، إذ يعترف الخاطئ بذنوبه مبشرة ليسوع ولا أحد غيره. في تكوين ٦ إذ رأى الله أن شرَّ الإنسان قد ملأ الأرض، قرَّر له المجد بأن يدمر الأرض بالطوفان. فأرسل رسالة إنذار بواسطة نوح الَّذي حذَّر النَّاس ودعاهم للنَّجاة بالدُّخول إلى الفُلك.

هلَّ للهِ رسالة إنذار بحقِّه الحاضر لِيَأْمِنَا الأخيرة؟ يُعطينا المُخلَّص جوابه في متى ٢٤: ٣٧ "وكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ". شَبَّهَ الْمَسِيحُ جِيلَ مَا قَبْلَ الطَّوْفَانِ بِجِيلِ النِّهَايَةِ، حَيْثُ كَانَ النَّاسُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ، دُونَ مُرَاعَاةٍ لِرِسَالَةِ الْإِنذار الَّتِي قَدَّمَهَا نُوحٌ، فَجَاءَ الطَّوْفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ". لكنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا كَلَامَ رِسَالَةِ نُوحِ الَّتِي وَعَظَهَا عَلَى مَدَى ١٢٠ سَنَةً دَخَلُوا الْفُلكَ وَنَجَوْا، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَمَانِيَةَ أَنْفُسٍ فَقَط. أَمَلِي أَنْ تَتَّعِظَ وَتَسْتَعِدَّ لِمَا سَيَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ وَيَكُونُ نَصِيبُنَا مَعَ الْمَفْدِيِّينَ.

قَبْلَ تَجَسُّدِ يَسُوعِ كَطِفْلٍ فِي بَيْتِ لَحْمٍ، أَرْسَلَ اللَّهُ رِسَالَةَ الْحَقِّ الْحَاضِرِ لَذَلِكَ الْوَقْتِ بِوِاسْطَةِ سَابِقِهِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ الَّذِي أَعَدَّ الطَّرِيقَ لِمَجِيءِ الْمَسِيحِ الْأَوَّلِ. كَانَتْ رِسَالَتُهُ وَاضِحَةً "تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً" (متَّى ٣: ٢-٣). حَمَلَ الْمَعْمَدَانِ رِسَالَةَ إِعْدَادِ النَّاسِ لِقُدُومِ الْمَخْلُصِ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ، وَأُعْطِيَ لَهُ امْتِيَازٌ مَعْمُودِيَّةٌ يَسُوعَ لَيْسَ لِأَنَّهُ خَاطِئٌ - حَاشَا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَهُوَ الْقُدُّوسُ - بَلْ لِيُكَمِّلَ كُلَّ بَرٍّ. هَكَذَا مُسِّحَ الْمَسِيحِ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ لِيَبْدَأَ خِدْمَتَهُ الْعَلَنِيَّةَ.

خَصَّصَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ آخِرَ ثَلَاثِ سَنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ لِيُعَلِّمَ مِبَادِيَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. أَحَبَّ النَّاسَ وَسَعَى لِخَيْرِهِمْ، خَفَّفَ آلامَهُمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ. أَجْرَى الْمُعْجَزَاتِ وَأَقَامَ الْمَوْتَى. نَطَقَ بِالْحَقِّ إِذْ عَلَّمَ الْجُمُوعَ. كَانَ مُتَوَاضِعاً حَيْثُ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذُلَ نَفْسَهُ فِدِيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.

عَلَّمَنَا مَعْنَى الْغُفْرَانِ بِحَيَاتِهِ وَتَعَالِيَمِهِ. وَفِي مُحَاكَمَتِهِ، وَقَفَ أَمَامَ بِيلاطُسَ الْوَالِي الرُّومَانِي، فَسَّالَهُ "أَفَأَنْتَ إِذَا مَلِكٌ. أَجَابَ يَسُوعُ "أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهَذَا قَدْ آتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي" (يوحنا ١٨: ٣٧ - ٣٨). سَأَلَهُ بِيلاطُسُ "مَا هُوَ الْحَقُّ" سُؤَالٌ عَجِيبٌ. كَانَ الْحَقُّ مُتَجَسِّداً أَمَامَهُ وَمَعَ ذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْهُ. عَزِيزِي، هَلْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ، وَأَمَنْتَ بِالْحَقِّ كَمَا عَاشَهُ وَعَلَّمَهُ؟ حَانَ الْوَقْتُ لِنُوكِدَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْحَقُّ الْحَاضِرُ. هُوَ الْجَوَابُ لِكُلِّ تَسْأُلاتِنَا. لَا نَعْرِفُ عَنْهُ مِنْ كُتَابِ الْإِنْجِيلِ فَحَسْبُ، بَلْ مِنْ مَلَائِينَ الَّذِينَ ضَحُّوا بِحَيَاتِهِمْ لِيَشْهَدُوا لِحَقِّهِ الْحَاضِرِ. فَهُوَ الْكَائِنُ الْأَسْمَى الْكَرِيمُ وَمُصَمِّمُ الْحَيَاةِ. هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ اللَّهَ؟ فَاخْتَرِ مَسِيحَ التَّارِيخِ.

لَدِيهِ إجاباتٌ لِجِيلِ النِّهَايَةِ الَّذِي نَحْنُ جُزْءٌ مِنْهُ. كُلُّ مَا لَدَيَّ مِنْ أَسْئَلَةٍ حَوْلَ قِصْدٍ وَمَعْرِىِ الْحَيَاةِ وَمَصِيرِنَا، يُجِيبُ عَلَيْهَا بِرَجَاءٍ عَمِيقٍ. فَاللَّهُ الْمُتَجَسِّدُ! يَسُوعُ! هُوَ الْحَقُّ الْحَاضِرُ. هُنِيئاً لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، سَيَعُودُ عَنْ قَرِيبٍ لِيُعِيدَ الْحَقَّ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَيَسْتَرْدِّ بِاسْتِحْقَاقٍ مَلَكُوتَ الْمَجْدِ. لَهُ السُّجُودُ وَالْكَرَامَةُ. آمِينَ.

البشارة الأبدية

"ثُمَّ رَأَيْتُ مَلَكَآ آخَرَ طَائِرًا فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مَعَهُ بَشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ، لِيُبَشِّرَ السَّاكِنِينَ عَلَى الْأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ." (رؤيا ١٤: ٦)

تَرَدَّدَ كَلِمَةُ بَشَارَةِ أَبَدِيَّةٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فَقَطْ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَإِنَّ الْإِنْجِيلَ هُوَ الْأَخْبَارُ السَّارَةُ: بَشَارَةُ الْخَلَاصِ بِالْمَسِيحِ فَادِينَا. يُعْطِينَا الرَّسُولُ بُولَسَ تَعْرِيفًا رَائِعًا لِمَفْهُومِ الْإِنْجِيلِ فِي ١ كورنثوس ١٥: ١-٤ فيقول "وَأَعْرِفْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ وَقَبَلْتُمُوهُ وَتَقُومُونَ فِيهِ".

وَيَشْمُلُ هَذَا الْإِنْجِيلَ الَّذِي قَبْلَهُ بُولَسَ أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ. وَهَذَا يَشْمُلُ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ حَيْثُ تَنَبَّأَ إِشْعِيَاءُ ٥٣: ٦ عَنْ آلامِ الْمَسِيحِ وَحَمْلِهِ لَخَطَايَانَا عَلَى الصَّلِيبِ. "كُلُّنَا كَعَنَمٌ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلٌّ وَاحِدٌ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا". أَخْبَارُ الْإِنْجِيلِ السَّارَةُ نَجِدُهَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَيْضًا.

وَيُتَابَعُ بُولَسَ تَعْرِيفَ الْإِنْجِيلِ فِيَقُولُ "وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ". عَاشَ يَسُوعُ حَيَاةً كَامِلَةً، ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَامَ مِنَ الْمَوْتِ وَصَعِدَ إِلَى الْآبِ، وَسَيَأْتِي بِمَجْدٍ عَظِيمٍ عَنْ قَرِيبٍ. يُؤَكِّدُ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ٤: ٢ أَنَّ الْإِنْجِيلَ قَدْ كُرِّرَ لَهُمْ وَلَنَا فِيَقُولُ "لَأَنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَدْ بَشَّرْنَا كَمَا أَوْلَيْتُكَ، لَكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ الْخَبَرِ أَوْلَيْتُكَ. إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً بِالْإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا". كَانَ الْخَلَاصُ لَهُمْ وَلَنَا بِالْإِيمَانِ وَالنِّعْمَةِ. أَطَاعَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهَ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا لِأَنَّهُ آمَنَ بِمَوَاعِيدِ اللَّهِ. احْتَاجَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى سَفْكِ دَمٍ، وَهَذَا مَا عَمِلَهُ اللَّهُ لَادَمَ وَحَوَّاءَ حَيْثُ سَفَكَ دَمَ ذَبِيحَةٍ كِي يَصْنَعَ لَهُمَا أَقْمَصَةً مِنْ جِلْدٍ مُؤَكِّدًا أَنَّ أَوْرَاقَ التِّينِ مِنْ صُنْعِ أَبِيْنَا الْأَوَّلِينَ لَا تَسْتُرُهُمَا، بَلْ دَمُ يَسُوعَ حَمَلَ اللَّهُ حَامِلَ خَطَايَا الْعَالَمِ. إِذْ حَانَ وَقْتُ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، عَبَّرَ الْمَلَائِكَةُ الْمُهْلِكُ عَنْ الْبُيُوتِ الَّتِي كَانَتْ دَمُ الذَّبِيحَةِ عَلَى قَائِمَتِهَا، وَتَمَّ نَجَاتُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ. فِي خُرُوجِ ٢٠: ١-٢ تَكَلَّمَ اللَّهُ كَيْفَ أَخْرَجَ شَعْبَهُ مِنْ أَرْضِ الْعِبُودِيَّةِ بِالدَّمِ الَّذِي سَفَكَ مِنْ أَجْلِنا عَلَى الصَّلِيبِ، وَهُوَ الْيَوْمَ، يُحَرِّرُنَا مِنَ عِبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ بِدَمِهِ أَيْضًا.

يُؤَكِّدُ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ عَلَى إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ وَمَرَاحِمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْنَا، وَكَيْفَ صَارَ لَنَا مُخَلِّصًا، ثُمَّ يَقُولُ فِي الْأَصْحَاحِ ٦٣: ٩ "فِي كُلِّ ضَيْقِهِمْ تَضَاقِقُ، وَمَلَائِكَةُ خَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ". صَارَ الْمَسِيحُ وَاحِدًا مِنَّا وَتَضَاقِقَ بَضِيقِنَا إِذْ كُنَّا كَخِرَافٍ لَا رَاعِي لَهَا. يَسُوعُ مُخَلِّصُنَا قَادِرٌ أَنْ يَنْتَشِلَنَا مِنَ الضَّيْقِ، وَبِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ، يَفْكَ مَشَاكِلَ حَيَاتِنَا وَيَرْفَعُ نَفُوسَنَا لِنَتَّقَفَ عَلَى صَخَرِ الدُّهُورِ. لَهُ كُلُّ مَجْدٍ وَكَرَامَةٍ.

يُصَبِّحُ الْإِنْجِيلُ وَاسْطَةَ لِيَزْرَعَ اللَّهُ نَامُوسَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَفِي هَذَا يَقُولُ سَفَرُ الْعِبْرَانِيِّينَ ١٠: ١٦ و١٧ "هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعَاهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ نَوَامِيشِي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِي أَذْهَانِهِمْ. وَلَنْ أَذْكَرَ خَطَايَاهُمْ وَنَعْدِيَّاتِهِمْ فِي مَا بَعْدَ". فَيَنْزِعُ مِنْ قُلُوبِنَا قَلْبَ الْحَجَرِ وَيَسْتَبْدِلُهُ بِقَلْبٍ لِحِمِي يُحْسِنُ بِدَفءِ مَحَبَّتِهِ لَنَا. صَدَقَ مَنْ قَالَ "كَانَ يَسُوعُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ كِي يَأْتِيَ وَيَمُوتَ مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ". دَفَعَ يَسُوعُ ثَمَنَ خَطَايَا الْعَالَمِ، وَصَارَ فَادِي الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، وَوَقَّرَ لَهُمْ خَلَاصًا كَامِلًا.

تَحْكِي الْقِصَّةَ عَنْ ابْنِ مَرَضٍ وَاضْطَرَّ الْأَطْبَاءَ لِإِجْرَاءِ عَمَلِيَّةٍ جَرَّاحِيَّةٍ لَهُ. احْتَاجَ الْإِبْنُ إِلَى دَمٍ وَصَادَفَ أَنَّ دَمَ الْآبِ كَانَ مِنْ نَفْسِ الْفَصِيلَةِ. فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، كَانَ الْمُتَبَرِّعُ يُعْطَى دَمُهُ مَبَاشَرَةً إِلَى شَرِيَانِ الْمَرِيضِ. تَمَدَّدَ الْآبُ وَتَمَّ سَحْبُ الدَّمِ مِنْ ذِرَاعِهِ إِلَى جِسْمِ الْإِبْنِ، فَقَالَ الْآبُ لِلْمَرَضِ "إِذَا احْتَاجَ الْأَمْرُ خُذْ كُلَّ دَمِي".

هَذَا مَا عَمِلَهُ يَسُوعُ وَهُوَ يَسْفِكُ دَمَهُ مِنْ أَجْلِ خَطَايَاكَ عَلَى الصَّلِيبِ. الْمَسِيحُ يُحِبُّكَ، فَاقْبَلْ عَطِيَّةَ خَلَاصِهِ، وَاشْكُرْهُ عَلَى ذَبِيحَتِهِ وَبَشَارَةِ الْخَلَاصِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَتَكُونَ مَعَهُ فِي أَمْجَادِ السَّمَاوِيَّةِ عَنْ قَرِيبٍ.

خافوا الله واعطوه مجداً

"قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "خَافُوا اللَّهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا." (رؤيا ١٤: ٧)

كيف يمكن لخوف الله أن يكون أخباراً سارة لجيل النهاية، وماذا نعني بخوف الله؟ هل المقصود هنا الخوف من الله؟ يُعَلِّمُنَا الإنجيل أَنَّ اللَّهَ مُحِبَّةٌ، وَمَحَبَّتُهُ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ غَيْرُ مُشْرُوطَةٍ. يُخْبِرُنَا الْحَبِيبُ عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْمَحَبَّةِ فِي يوحنا ١٨: ٤ "لَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لِأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ". تعني كلمة "خوف" في الكتاب المقدس أن نُوقِّرَ اللَّهَ وَنَحْتَرِمَهُ، وَنَشْعُرُ بِالْهَيْبَةِ فِي حَضْرَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ. في مزمور ٨٩: ٧ نقرأ "إِنَّهُ إِلَهُ مَهُوبٌ جَدًّا فِي مَحْفَلِ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ، وَمَخَوْفٌ كَثِيرٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُحِيطِينَ بِهِ". فَالْخَوْفُ وَالاحْتِرَامُ لهُمَا نَفْسُ الْمَعْنَى حَيْثُ وَقَارَ اللَّهُ يُرَى فِي تَقْدِيرِ جَمِيعِ الْمُحِيطِينَ بِهِ. يُوضِحُ خُرُوجُ ٢٠: ٢٠ نَوْعَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ حَيْثُ قَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ "لَا تَخَافُوا".

لَأنَّ اللَّهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لَا تُخْطِئُوا". أَنْ نَخَافَ مِنَ اللَّهِ، وَالْخَوْفُ الَّذِي يُبْعِدُنَا عَنِ اللَّهِ هُوَ الْخَوْفُ مِنَ الْخَطِيئَةِ. الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ نَتِيجَةُ طَبِيعِيَّةٍ لِسُقُوطِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا مَا اخْتَبَرَهُ آدَمُ وَحَوَّاءُ حِينَ سَقَطَا فِي التَّجَرِبَةِ، فَخَافَا وَاخْتَبَأَا مِنَ اللَّهِ. لَا دَاعِيَ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ بِمَحَبَّتِهِ حَطَّمَ الْخَوْفَ فِي حَيَاتِنَا. يُلَخِّصُ سُلَيْمَانُ خَتَامَ الْأَمْرِ فِي الْجَامِعَةِ ١٢: ١٣ "اتَّقِ اللَّهَ، وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ كُلُّ وَاجِبِ الْإِنْسَانِ". الرَّحْمَةُ وَالنِّعْمَةُ وَغُفْرَانُ الْمَسِيحِ يَجْعَلَانَا نَحْتَرِمُ اللَّهَ. كَانَ اللَّهُ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمِ لِنَفْسِهِ غَيْرِ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ. تَحْمَلُ الْمَخْلُصُ عِقَابَ خَطَايَانَا حَيْثُ ذَاقَ الْمَوْتَ الثَّانِي عَلَى الصَّلِيبِ لِأَجْلِنَا. أَعْطَانَا اللَّهُ الْغُفْرَانَ بِالصَّلِيبِ. لَا نَعْتَقِدُ عَزِيزِي أَنْ خَطَايَاكَ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَغْفِرَهَا الْمَسِيحُ. ثِقْ بِمَحَبَّتِهِ. يَسُوعُ يُحِبُّكَ مُحِبَّةً تَسْتَحِقُّ مِنْكَ كُلَّ تَوْقِيرٍ وَتَقْدِيرٍ لَجَلَالِهِ الْإِلَهِيِّ، إِنَّهُ غَافِرُ خَطَايَاكَ، هَلْ تَقُولُ مِثْلَ قَائِدِ الْمُنَّةِ "بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ".

فِي قَلْبِ الْبَشَارَةِ الْأَبَدِيَّةِ دَعَاةٌ لِمَجِيدِ اللَّهِ. هَذَا مَا تَكَلَّمَ عَنْهُ بُولَسُ فِي أَفَسَسَ ٢: ٨-٩ أَنَّنَا بِالنِّعْمَةِ مُخْلَصُونَ، بِالْإِيمَانِ كَهَبَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ بِالْأَعْمَالِ، حَتَّى لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. وَقَدْ أَهَابَ بَنَا أَنْ نَفْتَخِرَ بِالرَّبِّ فَقَط. نَحْنُ عَمَلُهُ مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِنَسْلُكٍ فِيهَا. وَلَا عَجَبُ أَنْ يَذْكُرَ الرَّائِي فِي رُؤْيَا ٧: ٩-١٠ جَمْعًا عَظِيمًا لَا يُحْصَى مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَشَعْبٍ يُعْطُونَ الْمَجْدَ لَخَلَاصِ الْهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمْلِ. سَيَكُونُ لَنَا مَكَانًا فِي السَّمَاءِ بَيْنَ هَذَا الْحَشْدِ الْكَبِيرِ مِنَ النَّاسِ، شُكْرًا لَكَ رَبِّي لِهَذَا الْإِمْتِيَازِ.

عِنْدَمَا نَدْرِكُ أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ هَبَّةٌ، نَقْبَلُ بِشَكْلِ شَخْصِيٍّ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْهَبَّةُ دَاخِلِيَّةً وَأَبَدِيَّةً، بِحَيْثُ أَنْ إِيْمَانَنَا وَقُبُولَنَا لِلْمَسِيحِ يُغَيِّرُ قُلُوبَنَا وَيُجَدِّدُ حَيَاتِنَا. يُصَلِّي بُولَسُ لِمُؤْمِنِي كُولُوسِي أَنْ يَنِمُوا فِي مَعْرِفَةِ مَشِيئَةِ اللَّهِ لِيُتِمُّوا فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَيُرَكِّزُوا عَلَى الْإِيمَانِ الْعَامِلِ بِالْمَحَبَّةِ، حَتَّى بِمَا نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ نُمَجِّدَ اللَّهَ. رَكَزَ الْمَسِيحُ فِي عِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ عَلَى مُشَارَكَةِ النُّورِ مَعَ الْآخَرِينَ فَقَالَ فِي مَتَّى ٥: ١٦ "فَلْيُضَيُّ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". يَعْنِي مَجْدَ اللَّهِ أَنْ نُشَارِكَ نُورَ حَقِّ الْإِنْجِيلِ مَعَ الْآخَرِينَ، وَالسَّمَاحَ لِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ أَنْ تَشْعُرَ مِنَّا.

أَمَّنْ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا، وَانْتَظَرَ ٢٥ سَنَةً لَتَحْقِيقِ وَعْدِ اللَّهِ بِوَلَادَةِ اسْحَقَ عِنْدَمَا بَلَغَ مِنَ الْعُمَرِ ١٠٠ سَنَةً. كَانَ جَسَدُهُ مُمَاتًا، كَذَلِكَ سَارَةُ كَانَتْ عَاقِرًا وَمُتَقَدِّمَةً فِي الْعُمَرِ، لَكِنَّهُ تَقَوَّى بِالْإِيمَانِ مُعْطِيًا الْمَجْدَ لِلَّهِ.

لِذَا، كَانَ اسْحَقُ مُعْجَزَةً لِنِعْمَةِ اللَّهِ. يُوكِّدُ بُولَسُ ذَلِكَ فِي غَلَاطِيَّةِ ٣: ١٦ "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ: "وَفِي الْأَنْسَالِ" كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: "وَفِي نَسْلِكَ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ". هَكَذَا بِالْمَسِيحِ تَبَارَكَ الْعَالَمُ، فَأَعْطَاهُ عَزِيزِي التَّوْقِيرَ وَالْمَجْدَ اللَّائِقَيْنِ بِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ، لَهُ كُلُّ إِجْلَالٍ وَحَمْدٍ مَدَى الْأَيَّامِ.

ساعة دينوته

"قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "خَافُوا اللَّهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دِينُوته". (رؤيا ١٤: ٧)

في رسالة الملك الأول في رؤيا ١٤ نجد خوف الله وتقديم المجد له مرتبطان بساعة الدينوته. أول من ذكر الدينوته كان أخنوخ السابع من آدم، حين شبه الأشرار القتل الذين سلكوا في طريق قايين بأموح بحر هائج وتجوم تائهة في قتام الظلام، هؤلاء تنبأ عنهم أخنوخ حيث يأتي الرب ليصنع دينوته، ويعاقب الفجار على جميع أعمال فجورهم. (يهوذا ١١-١٥). أما توقيت الدينوته وعلاقتها بأطول نبوءة في الكتاب المقدس، وهي نبوءة ٢٣٠٠ سنة، فرأها النبي دانيال في رؤيا في دانيال الأصحاحين ٨ - ٩.

صلى دانيال وصام طالبا معنى الرؤيا التي شاهدها، فأرسل له الرب جبرائيل الملك، كي يوضح له بداية هذه النبوءة "فَاعْلَمْ وَأَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبَنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُنْتَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الأَزْمَةِ". (دانيال ٩: ٢٥). صدر هذا الأمر لتجديد اورشليم وبنائها سنة ٤٥٧ ق.م عندما نضيف ٦٩ أسبوعا أي ٤٨٣ سنة نصل إلى سنة ٢٧م إذ تعمّد المسيح على يد يوحنا المعمدان، ومُسح بالروح القدس في السنة الـ ١٥ من سلطنة طيباريوس قيصر (لوقا ٣: ١-٢).

في الأسبوع الأخير من نبوءة ٧٠ أسبوعا، نقرأ ما قاله جبرائيل في دانيال ٩: ٢٧ "وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسْطِ الأُسْبُوعِ يُبْطَلُ الذَّبِيحَةُ وَالتَّقْدِمَةُ، وَعَلَى جَنَاحِ الأَرَجَاسِ مُحْرَبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيَصِبَّ الْمُقْضِيُّ عَلَى الْمُخْرَبِ". في وَسْطِ الأُسْبُوعِ أي سنة ٣١م مات المسيح على الصليب إتماما للنبوءة، أما نصف الأسبوع الأخير فانهتت سنة ٣٤م برجم استفانوس أول شهيد في المسيحية (أعمال ٧: ٥٩-٦٠) ثُمَّ انتقلت بشارة الإنجيل إلى الأمم على يد بولس وبرنابا. (أعمال ١٣: ٤٦) كان ذلك في سنة ٣٤م.

عندما نقتطع السبعين أسبوع أو ٤٩٠ سنة من ٢٣٠٠ نصل إلى سنة ١٨٤٤م ماذا حدث في هذه السنة؟ في دانيال ٨: ١٤ نقرأ "إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، فَيَتَبَرَأُ الْقُدْسُ". نجد في سياق هذا الأصحاح ٤ معان لتبرئة القدس ١- بدأ المسيح خدمته كرئيس كهنة في السماء. ٢- تطهير المقدس النهائي والعايدن فيه من خطاياهم. ٣- تعتبر هذه التبرئة جزءا من الدينوته. ٤- يلي هذا التطهير وعمل الدينوته، نغش بوق اليوبيل، ودمار الأمم بجر قطع بغير يدين، وإعطاء المسيح ميراثه ومملكته لقيديسيه.

كان تطهير المقدس السماوي رمزا للدينوته التحقيقية التي بدأت في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٤٤م في نهاية نبوءة ٢٣٠٠ سنة، وهذا التاريخ كان يرمز إلى دخول رئيس الكهنة الأرضي مرة واحدة في السنة إلى قدس الأقداس في يوم الكفارة، حيث يتم تطهير الهيكل والاعتراف بخطايا جميع الشعب.

وإذ مات يسوع على الصليب، انشق حجاب الهيكل معلنا انتهاء نظام الذبائح. رأى الحبيب يوحنا هيكل الله في السماء وبه تابوت العهد حيث نقرأ "وَانْفَتَحَ هَيْكَلُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ، وَظَهَرَ تَابُوتُ عَهْدِهِ فِي هَيْكَلِهِ، وَحَدَّثَتْ بُرُوقٌ وَأَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَزَلْزَلَةٌ وَبَرْدٌ عَظِيمٌ" (رؤيا ١١: ١٩).

في الرسالة إلى العبرانيين الأصحاح التاسع، نجد مقارنة بين المسكن الأرضي والسماوي حيث المسيح رئيس كهنتنا، وسيط العهد الجديد دخل إلى السماء بعينها "وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأعْظَمِ وَالْأَكْمَلِ، غَيْرِ المَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيْ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ، دَخَلَ بَدَنَ نَفْسِهِ دَخْلًا مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا" آية ١١ و ١٢. لَقَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ الدينوته وَلَنْ يَدُومَ عَالَمُنَا إِلَى الأَبَدِ. وَإِذْ يَرِدَ أَسْمُكَ أَمَامَ الدِّيانِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي هُوَ شَفِيعٌ وَدَيَّانٌ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ، وَقَدْ فِدَاكَ بِدَمِهِ لِكَيْ يُخَلِّصَكَ، مَاذَا سَيَكُونُ مَوْقِفُكَ مِنْ فَاذِيكَ الْحَبِيبِ؟ يسوع آت قريباً. مَنْ لِي رَبِّي فِي السَّمَاءِ غَيْرَكَ فَاذِيًّا وَمُخْلِصًا. لَكَ الْمَجْدُ وَالتَّسْبِيحُ دَائِمًا.

اسجدوا للخالق

"وَأَسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنْابِيعِ الْمِيَاهِ." (رؤيا ١٤: ٧)

نجد في رسالة الملاك الأول: البشارة الأبدية إنجيل الأخبار السارة إلى شعوب العالم قائلاً بصوت عظيم "خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعته دينوته"، تليها دعوة للسجود لله "صانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه". جميع هذه - جزءاً من إنجيل النهاية قبل مجيء المسيح ثانية. وفي عبادتنا لله الخالق، نعود إلى البداية، إلى أصل الإنسان الذي خلق على صورة الله، مما يجعلنا نعتمد عليه في وجودنا ونثق به لرجاء مستقبلنا. هذا ما أكدّه بولس بقوله "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال ١٧: ٢٨).

واحدة من حقائق الكتاب المقدس الأساسية هي أن الله خالق الكل، وبها يبدأ سفر التكوين "في البدء خلق الله السماوات والأرض" يؤكد إشعياء ٤٠: ٢٨ هذه الحقيقة فيقول "أما عرفت أم لم تسمع؟ إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعبأ. ليس عن فهمه فحص". ويدعونا صاحب المزامير في مزمور ٩٥: ٦ لنسجد لله بارينا فيقول: "هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا".

تسجد الخلائق السماوية لصانعها بأنشودة الولاء هذه "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقُدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كانتة وخلقت" (رؤيا ٤: ١١).

إذ انتهى الله من عمله خالقاً "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. وكان مساءً وكان صباح يوماً سادساً" (تكوين ١: ٣١). نقرأ ما حدث بعد ذلك "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقَدَّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً" (تكوين ٢: ٢-٣). "إن أهمية السبت على أنه تذكّار للخلق هي كونه يذكّرنا دائماً بالسبب الحقيقي للعبادة اللائقة بالله. فلنكون هذه الحقيقة ماثلة أبداً أمام أذهان الناس، سن الله شريعة السبت في جنة عدن. وينبغي ألا تنسى إطلاقاً. إن حفظ السبت علامة من علائم الولاء للإله الحقيقي "الذي صنع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه". ويتبع ذلك أن الرسالة التي تأمر الناس بالسجود لله وحفظ وصاياه تأمرهم على الخصوص بحفظ الوصية الرابعة (يوم السبت)" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٤٧٨ - ٤٧٩).

الدعوة لعبادة الخالق مستندة على السبت المذكّر الدائم بما عمله الله لأجلنا، وجزء من آخر رسالة إنذار للعالم. كما يذكّرنا بقوة الله الخلاقة وتأثيرها على القلب البشري. وفي هذا يقول بولس "إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً". (٢ كورنثوس ٥: ١٧). إن السبت مرتبط بإعادة الخلق، الراحة، القداسة والحياة الأبدية. يصلي داود في مزمور ٥١: ١٠ "قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي". تبقى الحقيقة أعزائي أن المسيح هو المخلص والخلص به وحده.

لقد سجد المجوس للطفل المولود إذ رأوا فيه الرب المتجسد، الذي استحق منهم عناء الطريق الطويل، لكي يقدموا له قلوبهم بعبادة صادقة قبل تقديم هداياهم الثمينة الممسوحة بروح النبوة (إشعياء ٦٠: ٦). كما سجد له تلاميذه بعد القيامة. "وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له" (متى ٢٨: ١٦).

في أحداث العالم النهائية، ستصبح عبادة الخالق موضوع خيار شخصي بين عبادة الله خالق السماوات والأرض، وبين تقديم ولاء العبادة للمخلوق المتمثل بالوحش. بين حفظ يوم الله السابع السبت حسب وصية الله، وبين حفظ أول أيام الأسبوع يوم الأحد. يسوع يحبك ويطلب منك الطاعة حسب ما أوصانا "إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي" (يوحنا ١٤: ١٥). يا رب، شكراً لعظيم محبتك لي، ساعدني أن أعبدك بالروح والحق، وأسجد لاسمك القدوس لأنك مستحق كل مجد وكرامة وسجود مدى الأيام.

سَقَطَتْ بَابِلُ

"ثُمَّ تَبِعَهُ مَلَكَ آخَرُ قَائِلًا: "سَقَطَتْ! سَقَطَتْ بَابِلُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، لِأَنَّهَا سَقَتْ جَمِيعَ الْأُمَمِ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ زَنَاهَا!" (رؤيا ١٨: ٨)

بَعْدَ أَنْ دَرَسْنَا مَا تَقُولُهُ رِسَالَةُ الْمَلَكِ الْأَوَّلِ فِي رُؤْيَا ١٤، نَنْتَقِلُ إِلَى الرِّسَالَةِ الثَّانِيَةِ عَنْ سُقُوطِ بَابِلِ الرُّوحِيَّةِ. تَعْنِي كَلِمَةُ بَابِلِ (الْبَلْبَلَةُ أَوْ التَّشْوِيشُ). الْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ، أَنَّ مَوْضُوعَ هَذِهِ الْبَلْبَلَةِ يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَأَخْلَاقِهِ، تَعَامُلِهِ لِلخَطِيئَةِ وَالْخُطَاةِ، وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَمْنَحُنَا فِيهَا الْخِلَاصَ.

"سَقَطَتْ بَابِلُ" تُشِيرُ إِلَى نِهَايَةِ الْبَلْبَلَةِ بِشَأْنِ صِفَاتِ اللَّهِ، الَّتِي يَحْتَاجُ الْعَالَمُ أَنْ يَرَاهَا فِي آخِرِ رِسَالَةِ رَحْمَةٍ تُقَدِّمُ لِعَالَمِ هَالِكٍ. هَذَا مَا نَرَاهُ فِي سِفْرِ الرُّؤْيَا ١٨: ١-٤ حَيْثُ سَتَكُونُ نِهَايَةُ الْبَلْبَلَةِ الرُّوحِيَّةِ بِنِهَايَةِ مَا تُنَادِي بِهِ هَذِهِ الْقُوَّةُ وَتَأْثِيرُهَا عَلَى الْعَالَمِ.

تَعْنِي كَلِمَةُ "سَقَطَتْ" فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ- الَّتِي كُتِبَ بِهَا الْعَهْدُ الْجَدِيدُ- "هَلَاكٌ، نِهَايَةُ سُلْطَتِهَا". تَقُولُ الرِّسَالَةُ بَأَنَّ "جَمِيعَ الْأُمَمِ قَدْ شَرِبَتْ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ زَنَاهَا". يَرْمِزُ الزَّنَى الرُّوحِي إِلَى عَدَمِ الْأَمَانَةِ فِي بَعْدِ الْإِنْسَانِ عَنِ اللَّهِ، وَتَبْنِي تَعَالِيمٍ تَتَعَارَضُ مَعَ تَعْلِيمِ حَقِّ كَلِمَةِ اللَّهِ.

لَقَدْ شَارَكَتِ الْأُمَمُ تَعَالِيمَ الْبَلْبَلَةِ، وَاتَّخَذَتْ مَعَ بَابِلَ فِي تَحْدِي سُلْطَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ، فَنِهَايَةُ بَابِلَ تَعْنِي نِهَايَةَ الْأُمَمِ الَّتِي تَبْنَتْ تَعَالِيمُهَا. هُنَا تَطْهَرُ الْحَاجَةُ إِلَى الْكَرَازَةِ بِإِنْجِيلِ الْمَلَكُوتِ شَهَادَةً لَجَمِيعِ الْأُمَمِ، ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى. تُمَثِّلُ بَابِلَ عَكْسَ مَا يُعَلِّمُهُ الْإِنْجِيلُ، وَتُحَاوِلُ جَاهِدَةَ التَّشْوِيشِ عَلَيْهِ. فَالْبَشَارَةُ الْأَبَدِيَّةُ تُشَارِكُ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ.

يُخْبِرُنَا يَسُوعُ عَنِ الضِّيقِ وَالْاضْطِهَادِ اللَّذَانِ يُصَاحِبَانِ الْكَرَازَةَ بِالْإِنْجِيلِ، وَالَّذِي سَيَنْتَهِي بِأَوْقَاتٍ صَعْبَةٍ يَتَعَرَّضُ لَهَا الْمُنَادُونَ بِالْبَشَارَةِ الْأَبَدِيَّةِ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ الْأَسْمَ دَلِيلُ الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ، لِذَا يُوضَحُ اللَّهُ لِمُوسَى رُوحَةَ صِفَاتِهِ فَيَقُولُ "الرَّبُّ إِلَهُ رَحِيمٌ وَرَوْوُفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَفَى. غَافِرُ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيئَةِ". (خروج ٣٤: ٦-٧).

هَلْ اخْتَبَرْنَا هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي تَعَامُلِنَا مَعَ فَادِي نَفُوسِنَا، وَسَمَحْنَا لِرُوحِهِ أَنْ تُعَزِّزَ هَذِهِ الْمَزَايَا فِي حَيَاتِنَا؟ يَمْتَازُ أَصْحَاحُ ٥٣ مِنْ سَفَرِ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ بِوَصْفِ نَبِيِّ لَأَلَامِ الْمَسِيحِ وَمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِ خِلَاصِنَا، وَكَيْفَ حَمَلَ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ، كَمَا عَفَرَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، وَسَامَحَ وَصَلَّى مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ عَذَّبُوهُ وَصَلَّبُوهُ. بَعْدَ مَوْتِهِ مَاذَا عَمِلَ الْجُنُودُ؟

أَلْقُوا الْقُرْعَةَ عَلَى ثِيَابِهِ، كَانَتْ الْحَيَاةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ مُقَامَرَةً، لَمْ يَتَغَيَّرِ الْحَالُ الْيَوْمَ مَعَ كَثِيرِينَ بِنَفْسِ النَّظَرَةِ. مِثْلُ هَذِهِ الدِّيَانَةِ مُقَامَرَةٌ تَقْصُصُهَا يَقِينِيَّةُ الْخِلَاصِ الَّتِي أَنْجَرَهُ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. لَا تُوجَدُ خَطِيئَةٌ مَهْمَا عَظُمَتْ لَمْ يَحْمِلْهَا يَسُوعُ عَلَى الصَّلِيبِ. نَحْتَاجُ أَنْ نَقْبَلَ بِالْإِيمَانِ مَا عَمَلَهُ اللَّهُ بِالْمَسِيحِ، حَيْثُ دَفَعَ بِالْكَامِلِ ثَمَنَ خَطَايَانَا وَقَدَانَا بِدَمِهِ الطَّاهِرِ. كَمَا سَامَحَنَا فَادِينَا، عَلَيْنَا أَنْ نُسَامِحَ وَنَغْفِرَ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا.

أَكَّدَ الْمُخْلَصُ أَنَّ مِفْتَاحَ فَهْمِ نِهَايَةِ الْعَالَمِ، وَسُقُوطِ بَابِلَ، وَمَجِيئِهِ الثَّانِي هُوَ الْكَرَازَةُ بِالْإِنْجِيلِ شَهَادَةً لَهُمْ. وَعِنْدَ إِتِمَامِ الْكَرَازَةِ بِالْإِنْجِيلِ، سَيَأْتِي الْمُنْتَهَى وَتَنْتَهِي الْبَلْبَلَةُ بِسُقُوطِ بَابِلَ. فِي هَذَا الْوَقْتِ، مَعَ وُجُودِ مُعَلِّمِينَ كَذَبَةٍ وَرِسَائِلِ كَذَبَةٍ، وَقَتُ الْحُرُوبِ وَالْمَجَاعَاتِ وَالْأُوبَيْتَةِ، وَقَتُ انْعِمَاسِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُشَاكَلَةِ أَهْلِ الْعَالَمِ، يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ آخِرُ عَلَامَةٍ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ الْكَرَازَةُ بِالْإِنْجِيلِ. الْإِنْجِيلُ هُوَ قِصَّةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ الثَّابِتَةِ وَالْبَاقِيَةِ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ. وَقَدْ بَرَهَنَ لَهُ الْمَجْدُ عَلَى عَظِيمِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ بِحَيَاةِ وَمَوْتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

يَدْعُو اللَّهُ شَعْبَهُ لَعَرَسِ هَذِهِ النِّعْمَةِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَأَنْ يَشْعُورُوا بِصِفَاتِ اللَّهِ فِي وَجهِ الضِّيقِ وَالظُّلْمِ. يَأْخُذُنَا هَذَا إِلَى رُؤْيَا ١٨و١٩ حَيْثُ سُقُوطُ بَابِلَ يَحْدُثُ وَقَتَ الْكَرَازَةِ بِالْبَشَارَةِ الْأَبَدِيَّةِ، إِذْ تَسْتَنِيرُ الْأَرْضُ بِبَهَاءِ حَقِّ اللَّهِ وَعَظِيمِ صِفَاتِهِ. يَدْعُونَا الْمَسِيحُ لِنَكُونَ شُهُودًا لَهُ، وَنَعَكْسُ ذَاتِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ لَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. يَدْعُونَا الْإِنْجِيلُ لِنَكُونَ مِثْلَ فَادِينَا الْحَبِيبِ لَهُ الْمَجْدُ، كَيْ نَكُونَ مُسْتَعِدِّينَ لِنَكُونَ مَعَهُ فِي أَمْجَادِهِ السَّمَاوِيَّةِ عَنْ قَرِيبٍ.

سِمَةُ الْوَحْشِ

"وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ. وَلَا تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَارًا وَلَيْلاً لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُ سِمَةَ اسْمِهِ." (رؤيا ١٤: ١١)

تبدأ رسالة الملاك الثالث قائلة "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ فَهُوَ أَيْضاً سَيَشْرَبُ مِنْ خَمَرٍ غَضَبَ اللَّهِ الْمَصْبُوبِ صَرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَامَ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ." (رؤيا ١٤: ٩-١٠). يُمَثِّلُ الْوَحْشُ فِي النُّبُوءَاتِ الْكِتَابِيَّةِ بِحَسَبِ دَانِيال ٧: ١٧ و ٢٣ مَمْلَكَةً أَوْ قُوَّةً أَرْضِيَّةً. وَفِي ضَوْءِ رُؤْيَا ١٣ نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْقُوَى تَرْمِزُ إِلَى رُومَا الْبَابَوِيَّةِ، كَمَا نَجِدُ أَنَّ سِمَةَ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ بَدَلًا مِنْ عِبَادَتِهِ فِي يَوْمِ سَبْتِهِ الْمُقَدَّسِ.

هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ لِلْكَنِيسَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ يَقْبَلُونَ هَذِهِ السِّمَةَ؟ لَا. لَنْ تُصْبِحَ سِمَةُ الْوَحْشِ مَوْضُوعَ امْتِحَانٍ مَا لَمْ تُصْبِحِ النُّبُوءَاتُ الْكِتَابِيَّةُ بِشَأْنِهَا وَاضِحَةً. نَقْرَأُ فِي رُؤْيَا ١٣: ١٥-١٧ عَنْ حِصَارِ اقْتِصَادِي وَاضْطِهَادٍ وَتَهْدِيدٍ بِالْقَتْلِ لِمَنْ يَرْفُضُ قَبُولَ سِمَةِ الْوَحْشِ. يَتِمُّ هَذَا بِالتَّعَاوُنِ مَعَ الْحُكُومَاتِ لَا سِوَمَا الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِفَرْضِ مَا سَنَّتَهُ مِنْ قَانُونٍ يَفْرِضُ عِبَادَةَ اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي اخْتَارَتْهُ.

يُوضِّحُ سَفَرُ الرُّؤْيَا أَنَّ قَبُولَ هَذِهِ السِّمَةِ يَكُونُ عَلَى الْجَبْهَةِ أَوْ الْيَدِ الْيُمْنَى. تَرْمِزُ جَبْهَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُؤْمِنُ بِهِ حَقِيقَةً بِعَقْلِهِ، بَيْنَمَا تُشِيرُ الْيَدُ إِلَى مَا يَعْمَلُهُ بِغَضِ النَّظَرِ عَمَّا يُؤْمِنُ بِهِ. سَيَرُضِّخُ الْكَثِيرُونَ لِهَذِهِ الْقَوَانِينِ نَتِيجَةَ الْحِصَارِ الْاِقْتِصَادِيِّ.

يُوضِّحُ سَفَرُ الرُّؤْيَا ١٣: ١٨ "عَدَدُ الْوَحْشِ فَإِنَّهُ عَدَدُ إِنْسَانٍ. وَعَدَدُهُ سِتْمِئَةٌ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ" الْعَدَدُ سِتَّةٌ هُوَ عَدَدُ إِنْسَانٍ، إِذْ خُلِقْنَا فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ، بَيْنَمَا رَقْمُ ٧ يُمَثِّلُ الْكَمَالَ وَالتَّامَامَ إِذْ أَنْهَى اللَّهُ خَلْقَتَهُ فِي ٧ أَيَّامٍ. لِذَا، فَإِنَّ سِمَةَ الْوَحْشِ فِي تَعَارُضٍ مُبَاشِرٍ مَعَ وَصَايَا اللَّهِ، مِمَّا يَجْعَلُهَا مَوْضُوعَ عِبَادَةِ الْوَحْشِ، مُقَابِلَ عِبَادَةِ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ حِفْظِ وَصَايَاهُ.

إِنَّ مَنْ يَحْفَظُونَ يَوْمَ اللَّهِ السَّابِعَ يَوْمَ السَّبْتِ مُنْذُ الْخَلْقَةِ وَإِلَى الْآبَدِ، يَرَوْنَ فِيهِ عَلَامَةً أَوْ خَتْمًا يُشِيرُ إِلَى مَا عَمَلَهُ اللَّهُ لِأَجْلِنَا. نَجِدُ فِي وَصِيَّةِ السَّبْتِ ٣ مِيزَاتٍ لِلخَتْمِ: ١- الاسم: الرَّبُّ الْإِلَهُ. ٢- اللَّقَبُ: الْخَالِقُ. ٣- سُلْطَةُ الْحُكْمِ: السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ. يُلْقَى بُولَسُ فِي أَفْسُسَ ١: ١٣ الضَّوءَ عَلَى الْخَتْمِ فَيَقُولُ "الَّذِينَ فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ إِنْجِيلَ خَلَاصِكُمْ الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ".

يُخْبِرُنَا دَانِيال ٧: ٢٥ أَنَّ الْقَرْنَ الصَّغِيرَ "رُومَا الْبَابَوِيَّةَ" يَطُنُّ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالسَّنَةَ. وَاضِعًا سُلْطَةَ الْكَنِيسَةِ فَوْقَ وَصَايَا اللَّهِ وَيَوْمِهِ الْمُقَدَّسِ. بَعْدَ الْإِصْلَاحِ الدِّينِيِّ، انْضَمَّ الْبُيُوتِسْتَانُ إِلَى الْكَاثُولِيكِ فِي حِفْظِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأُسْبُوعِ يَوْمَ الْأَحَدِ بِالرَّغْمِ مِنْ اقْتِنَاعِ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ، بَأَنَّ لَا مَرْجِعَ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ يَنْصُ عَلَى ذَلِكَ. لِذَا، يُصْبِحُ يَوْمُ الْأَحَدِ سِمَةً تُظْهِرُ تَعْظِيمَ الْإِنْسَانِ فَوْقَ اللَّهِ، وَيَرْمِزُ إِلَى سُلْطَةِ الْإِنْسَانِ كِي تَعْلُو عَلَى نَامُوسِ اللَّهِ. عَلَامَةٌ بَأَنَّ نَاخِذَ كَلِمَةِ الْإِنْسَانِ فِي مَكَانِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَسُلْطَتُهُ فَوْقَ سُلْطَةِ الْإِنْجِيلِ.

هَلْ سَنَذْكُرُ يَوْمَ السَّبْتِ كَعَلَامَةٍ لِعَمَلِ اللَّهِ الْكَامِلِ، قُوَّتِهِ، وَخَلَاصِهِ؟ أَمْ سَنَحْنِي بِاحْتِرَامِ لِبَاعَةِ وَصَايَا النَّاسِ؟ إِذَا رَغَبْنَا فِي الثِّقَةِ فِي قُوَّةِ اللَّهِ لِخَلَاصِنَا، وَلَيْسَ فِي سُلْطَةِ الْإِنْسَانِ، سَيَبْقَى شَيْءٌ عَظِيمٌ لِنَقُومَ بِهِ، أَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ بَطْرُسُ وَالرُّسُلُ "يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ" (أَعْمَالُ ٥: ٢٩).

إِنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِسُلْطَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ كدستورٍ وَحِيدٍ لِإِيمَانِنَا، وَالْمِقْيَاسِ الَّذِي سُنْدَانُ جَمِيعًا بِمُوجِبِهِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْفَظُوا سَبْتَ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ كَمَا نَصَّتْ عَلَيْهِ الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ فِي وَصَايَا اللَّهِ الْعِشْرَ.

عِنْدَمَا نَعْرِفُ اللَّهَ، وَنَخْتَارُ أَنْ نَخْدُمَهُ وَنَعْبُدَهُ حَسَبَ كَلِمَتِهِ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تَمْنَحُنَا الْحَيَاةَ. يَسُوعُ هُوَ الْكَلِمَةُ. هُوَ خَلَاصُنَا وَحُكْمَتُنَا وَبِرَّتَانَا. فِي النِّهَايَةِ، فَإِنَّ قُوَّةَ عِبَادَتِهِ تَكْمُنُ فِي كَلِمَتِهِ. أَمْلِي أَنْ يَبْقَى خَتْمُ اللَّهِ حَافِظُنَا، وَنَحْنُ نَعْبُدُهُ فِي يَوْمِهِ الْمُقَدَّسِ الْآنَ، وَفِي سَمَاءِ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ بِصُحْبَةِ جَمِيعِ الْمَفْدِيِّينَ. لِيُبَارِكَ الرَّبُّ قَرَارَكَ بِطَاعَتِهِ آمِينَ.

ما يقوله الكتاب عن السماء.

"أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمَجَدَ اسْمِكَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلَالَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ."

(مزمو ٨: ١)

هذا المزمور الثامن كَتَبَهُ الْمَلِكُ دَاوُدَ كَتْرَنِيْمَةَ تَسْبِيحٍ لِلرَّبِّ إِلَهِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَإِذْ نَظَرَ إِلَى جَمَالِ الطَّبِيعَةِ وَعَظْمَةِ السَّمَاءِ، بِالمُقَارَنَةِ مَعَ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ، أُعْطِيَ لاسْمِ اللَّهِ كُلِّ الْحَمْدِ وَالتَّعْجِيدِ. فَالْجَمَالَ وَالنِّظَامَ وَالتَّنَوُّعَ الَّذِي نَرَاهُ فِي الطَّبِيعَةِ، يَدْفَعُنَا لِنُنْحِنِي إِجْلَالًا لِلْخَالِقِ، وَنُعْطِيهِ كُلَّ الْمَجْدِ. لَكِنْ إِيْمَانُهُ يُذَكِّرُهُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، وَمِيزَةً عَنْ بَاقِي الْمَخْلُوقَاتِ كَسَيِّدٍ وَتَاجِ الْخَلِيقَةِ.

اللَّهُ إِلَهٌ كُلُّ النَّاسِ بِحَقِّ كَوْنِهِ خَالِقُهُمْ هُوَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ "سَيِّدُنَا وَإِلَهَانَا". وَإِذْ رَاقَبَ دَاوُدُ النُّجُومَ وَالْأَفْلَاقَ فِي اللَّيْلِ، رَأَى جَانِبًا آخَرَ مِنْ عَظْمَةِ الْخَالِقِ وَمَجْدِهِ فَقَالَ "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مزمو ١٩: ١).

السَّمَاءُ بِالتَّأَكِيدِ مَكَانٌ حَقِيقِيٌّ، وَيتَكَلَّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ وُجُودِهَا وَعِلَاقَتِنَا بِهَا عَنْ طَرِيقِ الْإِيْمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، لَكِنْ لَا تُوجَدُ آيَاتٌ كِتَابِيَّةٌ عَنْ مَوْقِعِهَا الْجُغْرَافِيِّ. هُنَاكَ آيَاتٌ عَدِيدَةٌ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ السَّمَاءَ "فَوْقَ" الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ عِنْدَمَا رَأَى مَا فَعَلَهُ النَّاسُ فِي بِنَاءِ "بُرْجِ بَابِلَ" "هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبْلِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ" (تكوين ١١: ٧).

كَمَا يَصِفُ دَاوُدُ السَّمَاءَ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُشْرِفُ فِيهِ اللَّهُ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، وَفِي مَزْمُورِ ١٠٣: ١١ يَقُولُ "لَأنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْأَرْضِ قَوِيَّتُ رَحْمَتِهِ عَلَى خَائِفِيهِ". أَمَّا الرَّبُّ يَسُوعُ فِي حَدِيثِهِ مَعَ نِيْقُودِيْمُسَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يوحنا ٣: ١٣).

يَقُولُ سَفَرُ أَعْمَالِ الرِّسَالِ ١: ٩-١١ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ "ارْتَفَعَ" إِلَى السَّمَاءِ، وَعِنْدَمَا أَخَذَ اللَّهُ يُوْحَنَّا إِلَى السَّمَاءِ فِي رُؤْيَا ٤: ١ قَالَ "اصْعَدْ إِلَى هُنَا..." هَذِهِ الْمَقَاطِعُ الْكِتَابِيَّةُ قَادَتِ إِلَى النَتِيْجَةِ إِلَى أَنَّ السَّمَاءَ فِي مَكَانٍ أَبْعَدَ مِنَ الْغُلَافِ الْجَوِيِّ لِلْأَرْضِ وَأَبْعَدَ مِنَ النُّجُومِ. وَلَكِنْ، حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ رُوحٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُشِيرَ "السَّمَاءُ" إِلَى مَكَانٍ يَسْكُنُ فِيهِ بَعِيدًا عَنَّا. فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَّا دَائِمًا عِنْدَمَا نَدْعُوهُ (يعقوب ٤: ٨)، وَيشْجَعُنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنْهُ (عبرانيين ١٠: ١-٢٢).

بِالتَّأَكِيدِ، يَجِبُ أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي السَّمَاءِ حَيْثُ الْقُدِيسِينَ وَالْمَلَائِكَةَ كَمَكَانٍ مُحَدَّدٍ، لِأَنَّ الْقُدِيسِينَ وَالْمَلَائِكَةَ كَخَلَائِقِ اللَّهِ يُوجَدُونَ فِي مَكَانٍ وَزَمَانٍ مُحَدَّدٍ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا يُقَالُ إِنَّ الْخَالِقَ "فِي السَّمَاءِ" فَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي نِطَاقٍ يَخْتَلِفُ عَنَّا، وَلَيْسَ فِي مَكَانٍ مُخْتَلِفٍ. "أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، جَعَلْتَ جَلَالَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ".

السَّمَاوَاتُ مَجِيدَةٌ، وَأَعْمَالُ اللَّهِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ عَيْنُ الْإِنْسَانِ أَنْ تَرَاهَا رَائِعَةٌ الْمَجْدِ، لَكِنَّ مَجْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُمَا. تَعَجَّرُ الْكَلِمَاتُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ أَنْ تُوفِيَ مَجْدَ اللَّهِ حَقَّهُ. فَالْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ الَّتِي وَضَعَهُمَا اللَّهُ فِي الْإِنْجِيلِ سَتَدُومُ مَدَى الزَّمَنِ، وَعَبْرَ الْأَبَدِيَّةِ، وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقَلِّلَ مِنْ قِيَمَةِ هَذَا الْمَجْدِ، فَالسُّلْطَانُ وَالْعَظْمَةُ هِيَ مِنْ اسْتِحْقَاقِ رَبِّنَا يَسُوعَ إِلَى الْأَبَدِ. إِنَّ كَوْنَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ قَرِيبٌ مِنْ أَوْلَادِهِ عَلَى الْأَرْضِ، هُوَ أَمْرٌ يُعَبِّرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. يَذْكُرُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ السَّمَاءَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً. لَكِنْ، حَتَّى مَعَ هَذَا التَّكْرَارِ، لَا يُوجَدُ وَصْفٌ تَفْصِيلِيٌّ لِمَكَانِهَا. رُبَّمَا قَصَدَ اللَّهُ أَنْ يُخْفِيَ مَكَانَهَا كَسِرٍّ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأَهَمِّ بِالنِّسْبَةِ لَنَا أَنْ نُرَكِّزَ عَلَى إِلَهِ السَّمَاءِ أَكْثَرَ مِنْ وَصْفِ مَكَانِهَا. يُرَكِّزُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَلَى غَرَضِ السَّمَاءِ أَكْثَرَ مِنْ مَا هِيَ أَوْ مَكَانِهَا. أَمَّا السَّمَاءُ، مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَهِيَ لِلشَّرَكَةِ وَالْفَرَحِ الْأَبَدِيِّ، وَالْأَهَمُّ مِنْ هَذَا الْعِبَادَةِ حَوْلَ عَرْشِ اللَّهِ.

يَبْدَأُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِاللَّهِ الْخَالِقِ حَيْثُ نَقَرًا "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ". قُوَّةُ اللَّهِ الْجَبَّارَةِ هَذِهِ تُرَى فِي اتِّسَاعِ رُفْعَةِ الْكَوْنِ الَّذِي خَلَقَهُ. سَيَكُونُ هَذَا مَجَالُ تَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ السَّمَاوِيَّةِ. لِنَضُمْ أَصَوَاتَنَا أَغْزَائِي إِلَى إِمَامِ الْمَرْنَمِينَ فِي مَزْمُورِ ١٤٨: ٤ "سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَيَا أَيُّهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ". لَكَ يَلِيقُ بِاسْمِكَ الْمَجْدُ الدَّائِمُ يَا صَانِعَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَيْثُ سَتَأْتِي لِي تَأْخُذُنَا إِلَى بَيْتِنَا هُنَاكَ. آمِينَ.

كَمْ سَمَاءٌ هُنَاكَ؟

"مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ."

(١ كورنثوس ٢: ٩)

يُقَارَنُ الرَّسُولُ بولس الحِكْمَةُ البَشَرِيَّةَ مَعَ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ مِنْ هَذَا الْأَصْحَاحِ. حِكْمَةُ الْإِنْسَانِ مُسْتَنَدَةٌ عَلَى مَا نُلَاحِظُهُ مِنْ أَحَاسِيسِ الْبَشَرِ، وَتَعْمَلُ مِنْ خِلَالِ الْمَنْطِقِ الْإِنْسَانِي. وَقَدْ قَدَّرَهَا الْمُتَقَفُونَ كَثِيرًا فِي زَمَنِ بولس. فَالْمَنْطِقُ وَالْمَعْرِفَةُ نَالَا الثَّنَاءِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لَكِنَّ لَيْسَ بِمَقْدَارِ حِكْمَةِ الْأَشْرَارِ.

الْمُشْكَلَةُ فِي الْحِكْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ، هِيَ أَنَّهَا لَا تَصِلُ إِلَى مُسْتَوَى حِكْمَةِ اللَّهِ. فَحِكْمَةُ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ تَظْهَرَ، ثُمَّ نُؤْمِنُ بِهَا، وَإِلَّا سَتَبْقَى سِرًّا وَمَخْفِيَّةً. وَلَا عَجَبَ، فَلَقَدْ أَسَّسَ اللَّهُ حِكْمَتَهُ قَبْلَ بَدْءِ الزَّمَنِ، حَيْثُ تَضَمَّنَتْ عَلَى الدَّوَامِ خِطَّةَ اللَّهِ كِي يُقَدِّمَ ابْنَهُ ذَبِيحَةً لِيَدْفَعَ ثَمَنَ خَطِيئَةِ الْإِنْسَانِ، مِمَّا يُنْبِغُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُشَارِكُوا مَجْدَهُ إِلَى الْأَبَدِ.

يَقْتَبِسُ بولس مِنْ إِشْعِيَاءَ ٦٤: ٤ حَيْثُ يُلَخِّصُ هَذِهِ الْأَفْكَارَ وَيُظْهِرُ دَافِعَ اللَّهِ فِي حِكْمَتِهِ الْمَكْتُومَةِ كِي يُظْهِرَهَا لَشَعْبِهِ. فَكَتَبَ إِشْعِيَاءَ قَائِلًا "وَمُنْذُ الْأَزَلِ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يَصْغَوْا. لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهًا غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ". أَحَبَّ اللَّهُ الْخَالِقَ شَعْبَهُ، حَيْثُ أَعَدَّ لَهُمْ أَمْجَادَ الْإِبْدِيَّةِ كِي يُشَارِكَهَا مَعَهُمْ. لَا يُمَكِّنُ أَنْ نُدْرِكَ ذَلِكَ بِدُونِ إِيمَانٍ. تَحَدَّثَ التَّلْمُودُ الْيَهُودِيَّ عَنْ ٧ سَمَاوَاتٍ، لَكِنَّا نَرَى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، ٣ اسْتِخْدَامَاتٍ لِكَلِمَةِ "السَّمَاءُ".

وَنَجِدُ أَنَّ كَلِمَةَ "السَّمَاءُ" مَذْكُورَةٌ ٢٧٦ مَرَّةً فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَحده. فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ - نَقْرَأُ أَنَّ اللَّهَ - لَهُ الْمَجْدُ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ الطَّبَقَاتِ الْعَالِيَا مِنَ الْجَوْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا حَيْثُ نَعِيشُ وَتَنْتَفَسُ وَنَحْيَا، وَالتِّي نُسَمِّيهَا السَّمَاءَ الْأُولَى وَهِيَ السَّمَاءُ الَّتِي يَطِيرُ فِيهَا الطَّيْرُ، هَذَا الْجَوْ الْمُحِيطُ بِنَا. وَلِذَلِكَ قَالَ عَنْهَا الْكِتَابُ طَيْرَ السَّمَاءِ (تكوين ١: ٢٦).

هُنَاكَ سَمَاءٌ ثَانِيَّةٌ، أَعْلَى مِنْ سَمَاءِ الطَّيْرِ، وَهِيَ سَمَاءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ. أَيْ الْفَلَكَ أَوْ الْجَلَدِ "وَدَعَا اللَّهُ الْجَلَدَ سَمَاءً" (تكوين ١: ٨). نَرَى ذَلِكَ عِنْدَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الْأَرْضِ. وَقَالَ اللَّهُ لَتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

(تكوين ١: ١٤-١٧). تَحَدَّثَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ عَنْ تَسَاقُطِ "نُجُومِ السَّمَاءِ" فِي (مَرْقَسَ ١٣: ٢٥). فِي حَدِيثِهِ عَنْ عِلَامَاتِ الْمُنْتَهَى. وَهَذِهِ السَّمَاءُ فِيهَا السَّحَابُ وَمِنْهَا يَسْقُطُ الْمَطَرُ (تكوين ٨: ٢).

وَيُمْكِنُ أَنْ تَطِيرَ فِيهِ الطَّائِرَاتُ، وَتَحْتَ السَّحَابِ، أَوْ فَوْقَ السَّحَابِ. وَفِي الْآيَةِ ١٧ مِنْ تَكْوِينِ ١، نَرَى نَفْسَ الْكَلِمَةِ "السَّمَاءُ" تُشِيرُ إِلَى الْكَوْنِ وَالْفَلَكَ بِالْكَامِلِ، كُلُّ الْكَوْنِ مَخْلُوقٌ مِنْ مَجَرَّاتٍ تَسِيحُ فِي الْفَضَاءِ. وَهَذَا الْكَوْنُ يَخْبِرُنَا بِمَجْدِ وَجَلَالِ اللَّهِ.

وَالسَّمَاءُ الثَّالِثَةُ، الَّتِي لَا يُعْرَفُ مَوْقِعُهَا، هِيَ مَكَانُ سُكْنَى اللَّهِ. وَقَدْ وَعَدَ الْمَسِيحُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعِدَّ لَهُمْ مَكَانًا فِي السَّمَاءِ (يُوحَنَّا ١٤: ٢). وَالسَّمَاءُ أَيْضًا هِيَ الْمَكَانُ الْإِبْدِي الَّذِي سَيَعِيشُ فِيهِ الْمَفْدِيينَ مِنْ هَابِيلَ وَمِنْ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى رَجَاءِ الْقِيَامَةِ هُنِيئًا لَهُمْ إِذْ مَاتُوا فِي الرَّبِّ. فَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْمَسِيحِ لَنْ يَهْلِكَ بَلْ سَتَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْإِبْدِيَّةُ (يُوحَنَّا ٣: ١٦).

وَكَانَ الرَّسُولُ بولس قَدْ "اخْتِطَفَ ... إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ". وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ بِالْإِفْصَاحِ عَمَّا رَأَاهُ وَاخْتَبَرَهُ هُنَاكَ (كُورِنْثُوسِ الثَّانِيَةِ ١٢: ٩-١٠). وَهِيَ أَيْضًا مَكَانُ الْفَرْدُوسِ. وَقَدْ عَدَّتْ السَّمَاءُ مَكَانَ عَرْشِ اللَّهِ وَسُكْنَاهُ. وَقَدْ اتَّسَعَ مَفْهُومُ السَّمَاءِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِيَشْمَلَ مَمْلَكَةَ اللَّهِ وَتَابِعِيهِ مَعَهُ.

كَانَ لِلرَّسُولِ يوحَنَّا امْتِيَازٌ أَنْ يَرَى الْمَدِينَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَيُخْبِرُنَا عَنْهَا (رُؤْيَا ٢١: ٢٧). وَلَقَدْ شَهِدَ يوحَنَّا بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ (الْأَرْضَ الْجَدِيدَةَ) يَوْجِدُ "مَجْدَ اللَّهِ" (رُؤْيَا ٢١: ١١). أَيْ حُضُورَ اللَّهِ نَفْسِهِ. حَيْثُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ لَيْلٌ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ هُوَ نُورُهَا، فَلَا حَاجَةَ بَعْدَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (رُؤْيَا ٢٢: ٥). وَفِي صَلَاتِنَا قَائِلِينَ "لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ" نَنَالُ طَلِبَاتِنَا أَكْثَرَ مِمَّا نَتَوَقَّعُ، عِنْدَمَا يَنْقُلُ فَادِينَا أَوْرَشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى كُوكَبِ الْأَرْضِ لِنَعِيشَ مَعَهُ بِفَرَحٍ أَجْيَالِ الْإِبْدِيَّةِ السَّعِيدَةِ، وَسَيَتَحَقَّقُ وَعْدُهُ لَنَا "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا".

الحياة في السماء

"وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: "هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ." (رؤيا ٢١: ٣)

في الهيكل الأرضي، سَكَنَ اللَّهُ فِي قُدْسِ الأقداس، حيثُ كان رئيس الكهنة يدخله في يوم الكفارة مرةً واحدةً في السنة. أمّا في الأبدية، فسيكونُ الله مع شعبه دائماً. وحسب ما قرأنا "هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ". سيفرح القديسون بشركة وثيقة مع الله. نفس ما مرَّ به آدم وحواء من تواصل في جنة عدن مع الله دوماً إلى أن سقطا في الخطيئة. في سكنى فادينا المسيح مع الذين آمنوا به، وقبلوه مُخلصاً لحياتهم، نرى مسار قصة الفداء بوضوح، حيث سيكون لاتقياه فرصة كاملة ليكونوا معه في شركة ودية كاملة. لن ينصب خيمته بيننا، بل سيسكنُ معنا بالكامل ويكون "عمانويل" أي الله معنا.

هذا الصوت الأخير العظيم في سفر الرؤيا الذي سمعهُ يوحنا كان أخباراً هامةً احتاج أن يسمَعها، ألا وهو إعلان عن الله. وفي كلِّ مرةٍ يُذكر فيها الملاك جبرائيل في الأسفار المقدسة، كان يُعلن فيها مجيء الله إلى الأرض. وعلى الأرجح، كان صاحب الصوت هو جبرائيل. قد نسأل عن كلمة "الناس" الذين سيسكن الله معهم، والرب يسوع يجيب عن هذا السؤال في يوحنا ١٠: ١٦ "وَلِي خِرَافٌ آخَرٌ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِي بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعَ صَوْتِي، وَتَكُونَ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدٌ".

هؤلاء رعيّة المسيح من كلِّ أمةٍ وقبيلةٍ ولسانٍ وشعبٍ جاءوا ليكونوا مع راعيهم الصالح مُخلصنا يسوع المسيح. هذا الحشد العظيم من الناس هو إتماماً لنبوذة زكريا ١١: ٢ القائلة "فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا فَأَسْكُنُ فِي وَسْطِكَ، فَتَعْلَمِينَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ". هنا يصلُ الله في سكناه معنا قِمةً الأهمية وقصده العظيم في الفداء.

نرى هذا بوضوح في سكنى المسيح بالروح وَسَطَ كنيسته، وفي قلوب شعبه، ومن المجد السماوي والفرح مع فادي نفوسهم، من عيشهم معه ليس في خيمة الاجتماع أو في الهيكل، بل في مدينة سماوية لها أساسات حيث صانعها وبارئها هو الله. سيكون يسوع هناك في جسده الممجّد ويملك عليهم كملكهم". يا له من امتياز عظيم لنكون مع حبيبنا يسوع إلى أبد الأبد.

عند نهاية الزمن الألفي أو ال ١٠٠٠ السنة المذكورة في رؤيا ٢٠: ٧، ينزل المسيح إلى الأرض من جديد، مع القديسين وأورشليم الجديدة، لهدفين، فهو سيضع حداً للصراع العظيم بتنفيذه قرارات الدينونة الألفية، وهو سيظهر ويُجدد الأرض حتى يستطيع أن يؤسس فوقها مملكته الأبدية. ثم "يكون الرب ملكاً على كل الأرض" (زكريا ١٤: ٩) بكل معنى الكلمة (إيمان الأدفنتست السبتيين، صفحة ٦٢٥).

سيتم عهد النعمة، بكل بركاته ووعوده، المتمركزة في المسيح، ستصل إلى قِمةٍ إتمامها حيثُ منتهى السعادة بَصُحبة الرب الإله، إتماماً لما قاله داود في مزمور ١٤٤: ١٥ "طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي لَهُ كَهَذَا. طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي الرَّبُّ إِلَهُهُ". ستكون أورشليم الجديدة، مدينة الله المقدسة، تحمل نفس اسم المدينة التي مات فيها يسوع على الصليب وحقق فدائنا. لن يكون لنا أي دور في كل هذا، إنما سيكون الكل هدية محبة من أب عطوف يكون لهم إلهاً، وهم سيكونون له شعباً. سيكون هذا أعظم مجد سماوي ويعود الزمن الذي سنلتقي به مع محط آمالنا رب المجد مع هبوب ربح النهار.

عزيزي، كتب إشعيا في آخر أصحابين عن الحياة في السماء وكيف يبنون بيوتاً ويسكنون فيها، الذئب والحمل يريان معاً، حيث لا وجع وألم. أُملي ألا ننسى أهم شيء في حياتنا هناك بأن نلتقي بفادي نفوسنا يسوع، ونعيش معه أجيال الأبدية. صلاتي بأن نكون جميعاً هناك بفرح ونعيم.

١٠ أوصافِ للسماءِ من سفر الرؤيا.

"وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَلٍ عَظِيمٍ عَالٍ، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ." (رؤيا ٢١: ١٠)

كان يُوحنا في الروح وفي أفكار عقله ونفسه رأى السماء الجديدة والأرض الجديدة، حيث انطبعت تلك الرؤيا على عقله، وبقي متأثراً بها لبقية حياته. كان ذات الاختبار عظيماً أيضاً في حياة الرسول بولس حين أخذ إلى السماء الثالثة. رأى يُوحنا من قمة جبلٍ عظيم عال المدينة المحبوبة أُورشليم السماوية كعروس مُزينة لرجلها. رأى أسوار وبوابات وأساسات هذه المدينة العظيمة عروس المسيح، المكونة من الذين آمنوا به من كل عصر ومكان حشد كبير لم يستطع أحد أن يُعده. سُميت مُقدَّسة لوجود الله في وسطها. إليكم ١٠ أوصاف جميلة لمدينة الله المحبوبة وموطن المقدَّسين أبد الدهور.

١- للسماء منازل يُعدها الله لنسكن فيها مع يسوع. وعد يسوع في إنجيل يوحنا ١٤: ٢-٣ أن يصعد للسماء كي يُعد لنا منازل سماوية لنعيش فيها حيث يكون مسيحنا المبارك ليسكن معنا حيث يكون أباً لنا ونحن أولاده وبناته. وأعظم ما في هذا الوعد، أنه بعد أن يُعد لنا بيوتنا في السماء، سيأتي ثانية لتكون معه أجيال الأبدية. سنعيش هناك مع "الطريق والحق والحياة" حيث إتمام رجائنا في المسيح يسوع.

٢- ستكون السماء مدينة تُبنى للعبادة. يؤكد ذلك كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢٢ "بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلٍ صِهْيَوْنَ وإلى مدينة الله الحيِّ أُورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة". نجد هنا وصفاً جميلاً للسماء "مدينة الله الحي" بتصميم الله الرائع. وكما وصفها كاتب بأنها ستكون "مكاناً بركات لا يمكن تصوُّرها". سيجتمع كل المكتوبة أسماءهم في سفر حياة الخروف، والذين تكملوا بذبيحة المسيح على الصليب، سينضمون للملائكة في حضرة الله القدوس.

٣- ستأتي جميع الأمم والشعوب لعبادة المسيح. رأى يوحنا "جمع كثير من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف مُتسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل. وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لأهلنا الجالس على العرش وللخروف". (رؤيا ٧: ٩-١٠). في دخول يسوع الانتصاري إلى أُورشليم ركب على أتان وكان تلاميذه والشعب يصرخون "أوصنا مبارك الآتي باسم الرب". (يوحنا ١٢: ١٢). سيكتمل التسبيح في السماء بجوقة السماء العظيمة.

٤- ستفيض السماء بالسلام والفرح والتسبيح. يصف يوحنا في رؤيا ٧: ١٥-١٧ الذين أتوا من الضيقة العظيمة واقفين أمام عرش الله يخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله، حيث يسوع يرعاهم ويقودهم إلى ينابيع ماء حية ويُعزِّيهم. ٥- بروق ورعود في السماء وتابوت العهد. نقرأ عن ذلك في رؤيا ١١: ١٩ "وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله وحدثتُ بروق وأصوت ورعود وزلزلة وبرد عظيم". سيُرى مجد الله عبر كونه الواسع، وتابوت عهده أبدي بملك لا ينتهي.

٦- سيقود يسوع جيوشاً راكباً على فرس أبيض. هذا مشهد الدينونة، سيأتي ملك الملوك وربُّ الأرباب حيث ستتحني أمامه كل رُكبة مما في السماء وعلى الأرض مُعترفين به رباً لمجد الله. ٧- لآلئ ثمينة تُزين السماء. نرى ذلك في رؤيا ٢١: ٩-١١ ستلمع مدينة الله وأساساتها بكل حجر كريم يشع من مجد الله. سيكون نور هذه المدينة يُضيء كل لؤلؤة براقعة.

٨- سماء بأبواب من اللآلئ وشوارع من ذهب. لا حاجة فيها لنور الشمس لأن يسوع سيكون نورها.

٩- سيكون فيها شجرة الحياة، تُعطي ثمرها في كل شهر.

١٠ - سيُنير نور الله السماء. نعم، تعال أيها الرب يسوع نحن بانتظار رؤياك ربِّي على سحاب السماء. سنرى وجه المحبوب يسوع هناك ليُرحب بنا في بيتنا السماوي آمين.

سما جديدة وأرضاً جديدة

"ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ." (رؤيا ٢١: ١)

رأى يوحنا في رؤيا سماً جديدةً وأرضاً جديدةً، تعدد رأي علماء اللاهوت بشأن معنى سما وأرض جديدتين، فمنهم من رأى أن ذلك يعني اندثار كامل للقديم، والبعض الآخر رأى فكرة التجديد. أصحاب فكرة زوال الأرض والسما يشير إلى ما قاله بطرس في رسالته الثانية ٣: ٧ "وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ الْكَائِنَتَانِ الْآنَ، فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عِنْدَهَا، مَحْفُوظَةٌ لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلَاكَ النَّاسِ الْفَجَارِ".

أما الذين يؤمنون أن السما والأرض ستخضع للتجديد فيقولون إن الله عندما أهلك الأرض بالطوفان في زمن نوح، برزت أرض جديدة عند انحسار المياه.

تعني كلمة "جديد" باليونانية "جديد في النوعية أو طازج، كذلك جديد في الزمن"، كما أن "السما" لا تشير إلى السما الثالثة وهي سكنى الله، بل السما (الجو) التي تحيط بالأرض. السما والأرض، التي خلقهما الله بكلمته، وملأهما بكل شيء جميل، قد لعنتا بسبب خطيئة الإنسان، وأصاب الموت الجليدية استمرت في القضاء على كل الأشياء الجميلة التي صنعها الباري.

يجب أن تستبدل سماوات جديدة وأرضاً جديدة حيث أن قبضة الموت المدمرة قد انتهت للأبد، واللجنة المفروضة على الإنسان في انفصال نهائي عن الله، سوف تزول وتنتهي إلى غير رجعة، حيث دفع المسيح بدمه ثمن خطايانا على الصليب كي لا يهلك كل من يؤمن به. في البدء خلق الله الشمس لتعطي أشعتها الدافئة غامرة الأرض بنورها، وأيضاً عملها لتفصل بين النور والظلمة. لكن إذ يصل الله بخطة الفداء إلى نهايتها المجيدة، لن يكون للشمس حاجة لتشرق في النهار والقمر في الليل، لأن الرب نفسه سيكون نورنا، حيث ليس فيه ظلمة البتة، وسيكون المسيح سراجنا الوحيد الذي نحتاجه - لأنه "شمس برنا الأبدية".

تقول الآية أيضاً "وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ". تشكل البحار الآن ٧٥٪ من سطح الأرض وهذا ضروري للبيئة ولحياة المخلوقات الحية والنباتات. ربما أراد الله القضاء على الصحاري على كوكبنا بخلق بحيرات تملأ الأرض الجديدة بالغابات، والمزارع والأزهار لتبدو أجمل.

"يُخْبِرُ الْأَصْحَا حَانَ الْأَوَّلَانَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ عَالِماً كاملاً كوطن للكائنات البشرية التي خلقها. ويتحدث الأصحاحان الأخيران من الكتاب المقدس أيضاً عن خلق الله عالماً ثانياً للبشرية، ولكن هذه المرة يتعلق الأمر بإعادة خلق الأرض، واستعادتها من الخراب الذي أحدثته فيها الخطيئة".

"وإذا، فالأرض الجديدة هي، قبل كل شيء، هذه الأرض، وليس مكاناً آخر في الفضاء الخارجي. وهي حتى لو تجددت ستبقى مألوفة، معروفة: موطناً. وهذا حسن! ومع ذلك فهي جديدة بمعنى كون الله سيُرِبل عن وجهها كل شائبة أحدثتها الخطيئة" (إيمان الأدينتست السبتيين، ٦٣٩ - ٦٤٠).

"إن النار التي تحرق الأشرار تطهر الأرض. وكل أثر من آثار اللعنة يمحي. ولكن يبقى مُذكر واحد، ذلك أن فادينا سيظل حاملاً في جسده سمات صلبه. ففي رأسه الجريح وجنبه ويديه ورجليه توجد الآثار الوحيدة للعمل القاسي الذي قد أحدثته الخطيئة. وسمات اتصاعه هي أسمى كرامة له، ومدى دهور الأبد ستكون جروح جلجثة مبعث الحمد له وإعلاناً لقدرته" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٧٢٧).

ستبقى مدينة الله الحيّ أورشليم السماوية سكنى الله مع شعبه حيث سنراه عندئذٍ وجهاً لوجه، وسنمثل في حضرته ونرى مجد وجهه. عظيم أنت ربي فيما أبدعت يدك من كون جميل، لي كامل الثقة فيما ستخلق من سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر. أعطني أرجوك ذاك النصيب الصالح أن أكون معك في ديار المجد، إذ تعود ممجداً عن قريب.

الزَّمن الألفي

"مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى. هُوَ لَا لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً لِلَّهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ." (رؤيا ٢٠: ٦)

المفهوم الكتابي للزَّمن الألفي موجود بشكل حصري في رؤيا ٢٠ ويُذكر في ٣ آيات من هذا الأصحاح فقط. هذه الآيات من أكثر الآيات تأثيراً في العهد الجديد وأكثرها صعوبة. هل لهذه الآيات بعداً مستقبلياً مُستنداً إلى وعد الله بأنهم "سيكونون كهنة لله والمسيح"؟ ماذا يقول يوحنا في الواقع عما رآه في الرؤيا "وَرَأَيْتُ عُرُوشاً فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْماً" (رؤيا ٢٠: ٤). لا ذكر في هذه الآيات لمعركة هرمجدون أو بقعة معينة على هذه الأرض. ما رآه يوحنا كان أجساد قديسين مُقامين في السماء، حيث رأى عُرُوشاً جَلَسُوا عَلَيْهَا وَأُعْطُوا حُكْماً. نقرأ في رؤيا ٤: ٤ عن ٢٤ شيخاً جالسين على عُرُوش ولايسين ثياباً بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب.

أُعْطِيَ هُوَ الْوَعْدُ فِي رُؤْيَا ٥: ١٠ بِأَنْ يَمْلِكُوا عَلَى الْأَرْضِ. وَسَيَتِمُّ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ الْجَدِيدِ بَعْدَ أَلْفِ السَّنَةِ. عِنْدَمَا الْقَدِيسُونَ "سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ" (رؤيا ٢٢: ٥). أَمَّا رُؤْيَا تَقْيِيدِ الشَّيْطَانِ فِي رُؤْيَا ٢٠: ١-٣ فَسَتَتِمُّ عَلَى الْأَرْضِ، بَيْنَمَا الْآيَاتُ الَّتِي تَلِيهَا تَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ حَسَبَ وَعْدِ الْمَسِيحِ بِأَنْ يَأْخُذَ أَحْبَائِهِ إِلَى الْمَنَازِلِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ، كَمَا وَعَدَ الْغَالِبِينَ بِأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ.

وهذا تأكيد من سفر الرؤيا للقديسين سَيُقِيمُهُمْ لِيَمْلِكُوا مَعَهُ خِلَالِ الـ ١٠٠٠ السَّنَةِ. هُنَا نَجِدُ الْبَرَكَةَ فِي رُؤْيَا ٢٠: ٦ "مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى. هُوَ لَا لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ". لَنْ يَسُودَ الْمَوْتُ الثَّانِي عَلَيْهِمْ، مِقَارَنَةً مَعَ دِينُونَةِ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ أَسْمَائُهُمْ فِي سَفَرِ الْحَيَاةِ فَقَدْ طُرِحُوا فِي بُحِيرَةِ النَّارِ.

بِالنِّسْبَةِ لِلْأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ شَيْخاً فِي رُؤْيَا ٤: ٤ فَهُمْ الْاِثْنِي عَشَرَ سَبْطاً مِنْ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ وَالْاِثْنِي عَشَرَ رَسُولاً مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ وَهَذَا يَتِمَّاشَى مَعَ وَعْدِ الْمَسِيحِ فِي مَتَّى ١٩: ٢٨ "مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنِي عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْاِثْنِي عَشَرَ". كَمَا أَنَّ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْجَدِيدَةِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ وَرُسُلِ الْمَسِيحِ الْاِثْنِي عَشَرَ (رؤيا ٢١: ١٢ و ١٤).

قَبْلَ أَنْ يُلْقَى الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ فِي "بُحِيرَةِ النَّارِ" آخِيراً، سَيُحِينُ الْوَقْتُ لِلَّهِ لِيُنْصَفَ اسْمُهُ وَصِفَاتُهُ الَّتِي أُسِيءَ فَهْمُهَا عِبْرَ الْأَزْمَانِ بِأَمَجْدٍ طَرِيقَةٍ أَمَامَ الْكَوْنِ بِأَسْرِهِ، حَتَّى بِاعْتِرَافِ الْأَشْرَارِ أَنْفُسَهُمْ. هَا جَلَسَتِ الْمَحْكَمَةُ الْآخِرَةُ لِلشَّيْطَانِ وَأَتْبَاعِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ قَدْ عُقِدَتْ، وَأَنَّ لِلْعَدَالَةِ أَنْ تَأْخُذَ مَجْرَاهَا مِنْذُ أَنْ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْكَوْنِ، وَسَتُرَى بَوْضُوحُ آثَارِ وَنَتَائِجِ الْخَطِيئَةِ. نَقْرَأُ وَصْفَ مَا يَجْرِي فِي رُؤْيَا ٢٠: ١١-١٥.

تُصَوِّرُ كَاتِبَةُ مُلْهَمَةٍ مَشَاهِدَ أَظْهَارِ الْمَسِيحِ نَفْسَهُ أَمَامَ عَيُونِ أَعْدَائِهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "وَفَوْقَ الْمَدِينَةِ عَلَى ارْتِفَاعٍ شَاهِقٍ يُوجَدُ عَرْشُ عَالٍ وَمُرْتَفَعٌ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْقُولِ. وَعَلَى هَذَا الْعَرْشِ يَجْلِسُ ابْنُ اللَّهِ وَحَوْلَهُ رَعَايَا مَلَكُوتِهِ. إِنَّ مَجْدَ اللَّهِ يُحِيطُ بِأَبْنِهِ وَبِهَاءَ حُضُورِهِ يَمَلَأُ مَدِينَةَ اللَّهِ وَيَفِيضُ خَارِجَ الْأَبْوَابِ وَيَمَلَأُ الْأَرْضَ كُلَّهَا. تَمُرُّ أَمَامَ أَعْيُنِ الْأَشْرَارِ فُرْصَةُ التَّوْبَةِ وَرَفْضُهُمْ لِرَحْمَةِ اللَّهِ لَهُمْ" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٧١٨-٧١٩).

يَقِفُ الْأَشْرَارُ مُدَانِينَ أَمَامَ مَحْكَمَةِ السَّمَاءِ، وَتُظْهِرُ صِفَاتُ اللَّهِ وَعَدْلُهُ فِي أَرْوَعِ صُورِهَا وَيُتَوَجَّحُ يَسُوعُ أَمَامَ الْكَوْنِ بِأَسْرِهِ وَسَطَ تَسْبِيحِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُقَدَّسِينَ قَائِلِينَ "مُسْتَحَقُّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْعِزَّةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!" (رؤيا ٥: ١٢).

لَقَدْ بَانَ زَيْفُ اتِّهَامَاتِ الشَّيْطَانِ ضِدَّ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَاضِحَةً أَمَامَ الْكَوْنِ. هَكَذَا يَصِلُ الزَّمنُ الْأَلْفِيُّ بِنُزُولِ نَارٍ مِنَ السَّمَاءِ لِتَحْرِقَ الْأَشْرَارَ وَتُطَهِّرَ الْأَرْضَ اسْتِعْدَاداً لِنُزُولِ أَوْرَشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ مَدِينَةِ اللَّهِ الْحَيِّ وَالْمُقَدَّسِينَ إِلَى الْأَبَدِ. عَزِيزِي، هَلْ سَتَضْمُّ صَوْتَكَ إِلَى جَوْقَةِ التَّرْنِيمِ السَّمَاوِيِّ قَائِلاً "عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكُ الْقَدِيسِينَ!" لَكَ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ يَا سَيِّدِي يَسُوعُ.

كيف تستعدّ للسماء.

"انظروا! اسهروا وصلّوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت." (مرقس ١٣: ٣٣)

ضمن ما قاله السيّد المسيح عن علامات المنتهى في مرقس ١٣: ٣٢-٣٧ نجد توصيات المخلص بضرورة السهر واليقظة والاستعداد، حيث لا نعلم الساعة أو الوقت الذي يأتي بهما ابن الإنسان. وقد نهانا يسوع عن الانشغال بالملذات، والتعلق بالخيرات الأرضية كما قال فادينا أيضاً "فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادقكم ذلك اليوم بغتة" (لوقا ٢١: ٣٤).

وأما عبارة "اسهروا" فتشير الى العدول عن النوم ليلاً. وتكررت هذه العبارة أربع مرات (مرقس ١٣: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧)، مما يدل على تركيزه على السهر. وهذا التكرار دليل على هول التجارب التي يتعرض التلاميذ لها، والخطر عليهم منها. أدرك سليمان ضرورة السهر لحماية البيت من هجوم العدو المفاجئ (مزور ١٢٧: ٢-١). وأما فيما يتعلق بالمؤمن، فالهدف من السهر هو أن يكون المؤمن مستعداً للقاء الرب، عندما يعود فجأة. لذا يدعونا للاستعداد الروحي لعودة ربّ المجد. فالسهر إذا هو إعداد التدابير لمواجهة احتمال طول أمد انتظار عودة الربّ ما دامت ساعة العودة لا يمكن توقعها، "فاسهروا إذا، لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة" (متى ١٣: ٣٥). نحن بحاجة للسهر في كل ساعة ودقيقة لئلا يفوتنا مجيء ابن الإنسان.

بعد أن ركّز المسيح على ضرورة الاستعداد لمجيئه الثاني، أوضح ذلك بمثل عن إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبده مسؤولية الاعتناء بما يملك، بعد أن وعدهم بأنه سيعود. إذا قرأنا المثل بتمعّن، نلاحظ أنه يطرح أسئلة عديدة. فقد يأتي ربّ البيت في أي ساعة من ساعات الليل. يوضح المثل بأن هذا السيد قد قام بسفر طويل. فقبل أن يذهب، سلّم عبده مسؤولية بيته، وحدّد لكل واحد مهمته: فلو كان سفره قصيراً، لما أوصى بكلّ هذه الاستعدادات. ولكن إذ كان غيابه سيطول، أوصانا قائلاً: "اسهروا إذا، لأنكم لا تعلمون متى يأتي ربّ البيت، أمساء، أم نصف الليل، أم صباح الديك، أم صباحاً" (مرقس ١٣: ٣٥). إن هذه الأوقات تدلّ على أقسام الليل الأربع حسب التقسيم الروماني.

دخل سائح منزلاً خلويًا فسيحاً ذا حديقة منظمّة فسأل البستاني، وكان عجوزاً ظهرت على وجهه علامات السرور والنشاط. كم من الزمن قضيته هنا؟ أجابه ٢٤ سنة، فسأله أيضاً، وهل يأتي سيدك إلى هنا كثيراً؟ فأجابه لم يأت كل هذه السنين إلا ٤ مرات وكانت آخر مرة منها منذ ١٢ سنة. ثمّ سأله السائح: وكيف تقبض إذا رأتبك؟ فأجابه، من وكيله فإنه يرسله لي، وها تراني أعيش وحيداً على هذه الكيفية هنا، ويندر أن يأتي إليّ سائح نظيرك. وقال له السائح: "لكني أراك منظمّاً للحديقة، وكلّ شيء في غاية الترتيب والنظافة كأنك تنتظر قدوم سيدك غداً". فأجابه البستاني الأمين، "بل كأي انتظر قدومه هذا النهار".

من حيث أننا نهمل الوقت المحدد لرجوع فادينا، علينا أن يكون استعدادنا واضحاً، لنبقى يقظين وساهرين حتّى في أي وقت يعود مخلصنا، نرغب بعودته بترقب دائم، وبأخلاق تليق بسيد حياتنا. يبقى السؤال أعزائي، ماذا يتوقع يسوع منا وهل نحن جاهزون لنلبي توقّعاته؟ كان أولئك العبيد في المثل ينظرون إلى المستقبل بأمل أن يعود سيدهم ويجدهم أمناء في تطبيق ما أوصاهم به. لذا، يؤكد إشعياء ٦٤: ٤ بأن الربّ سيكرم من ينتظرونه "ومنذ الأزل لم يسمعو ولم يصغوا. لم تر عيناً إلهاً غيرك يصنع لمن ينتظره".

أوكل إلينا السيّد الربّ هبات ومواهب كي نستخدمها لنكون مستعدين ونعدّ آخرين لرجوع رجائنا المبارك. يا ربّ، ساعدني أن أقرأ كلمتك وأستعد لمجيئك عن قريب. طهرني من كلّ خطيئة وحرّني من تعلقي بالعالم ومسراته، هنيئاً للساهرين والمنتظرين لأعظم حدث سيشهده العالم. نعم، آمين. تعال أيها الربّ يسوع. وما أحلى أن تعود إلينا.

العيش بمفهوم سماوي

"عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَائِيَّتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ." (مزمو ٣٩: ٤)

يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَى مَزْمُورِ ٣٩ عَلَى أَنَّهُ تَرْنِيمَةٌ فِي طَلَبِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَأَيْضًا مَغْفِرَتِهِ. كَمَا أَنَّ دَاوُدَ يَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ لِيُظْهِرَ رَحْمَتَهُ مِنْ نَحْوِهِ، وَيُسَاعِدَهُ لِيَجِدَ طَرِيقَ الْبِرِّ. مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا كِبْشَرُ أَنْ نَسْقُطَ فِي الْخَطِيئَةِ، لِذَا، تَتَضَارَبُ عَوَاطِفُنَا فِي سَعِينَا نَحْوَ خِلَاصِ اللَّهِ، فَيَكُونُ هَذَا الْمَزْمُورُ سَبَبَ عَوْنٍ لَنَا. عَرَفَ دَاوُدَ مَنَزَلَتَهُ أَمَامَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ يُظْهِرُ لَهُ الرَّحْمَةَ وَيُعِينُهُ فِي الظُّرُوفِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا، عِنْدَمَا يَقَعُ فِي التَّجَارِبِ. الْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَزَائِلَةٌ، فَمَا أَجْمَلُ أَنْ نَضَعَ حَيَاتِنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، لِأَنَّهُ يَعْتَنِي بِنَا. إِذْ صَمَتَ لِسَانُ الْمُرْتَمِ عَنْ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ ضِدَّ الشَّرِّيرِ الْمُقَاوِمِ لَهُ، تَكَلَّمَ قَلْبُهُ مَعَ إِلَهِهِ، وَدَخَلَ فِي حِوَارٍ حَتَّى مَعَ نَفْسِهِ، فَانْتَشَفَ وَسَطَ آلامِهِ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنْ جِهَةٍ ضَعْفِهَا وَقَصَرِهَا. هَذِهِ الْحَقِيقَةُ يَعْرِفُهَا كُلُّ بَشَرٍ، لَكِنْ يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلَانِيَةِ الْبَحْثَةِ، وَبَيْنَ قَبُولِهِ كإِعْلَانٍ إِلَهِيٍّ فَعَّالٍ فِي أَعْمَاقِهِ الدَّاخِلِيَّةِ. إِنَّ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْحِكْمَةِ يَقُومُ عَلَى تَذَكُّرِ أَنْ حَيَاتِنَا عَلَى الْأَرْضِ أَشْبَهُ بِالْخِيَالِ، وَأَنْ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ إِنْ لَمْ تَهَيِّئْنَا لِلْعَالَمِ الْأَفْضَلِ الْأَبَدِيِّ، هِيَ أَدْنَى بِكَثِيرٍ مِنْ شَوْقِ الْإِنْسَانِ التَّقِيِّ.

يُرَكِّزُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَلَى قِصَرِ الْحَيَاةِ الزَّمْنِيَّةِ كَحَقِيقَةٍ هَامَةٍ تَمَسُّ إِيْمَانَنَا الْحَيَّ وَكِيَانَنَا الْأَبَدِيَّ. هُنَا لَا يَطْلُبُ دَاوُدُ أَنْ يُعْلَنَ لَهُ اللَّهُ عَنْ زَمَانِ انْتِقَالِهِ، بَلْ أَنْ يُذَكَّرَهُ دَائِمًا وَيُعَرِّفَهُ جَيِّدًا بِقِصَرِ أَيَّامِ عُزْبَتِهِ لِيَصِيرَ إِنْسَانًا أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ حَكْمَةً. أَدْرَكَ الرَّسُولُ بَوْلَسَ ضَعْفَهُ، وَإِذْ اعْتَرَفَ بِوُجُودِ نِهَايَةِ الْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ قَالَ "أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءَ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْعَرَضِ لِأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فِيلِبِّي ٣: ١٢-١٣).

مِنْ الْمُهْمِ لَنَا أَنْ نُدْرِكَ نِهَايَةَ الْحَيَاةِ، كِي نَتَهَيَّأ لِنَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ كُلَّ يَوْمٍ، مُدْرِكِينَ قُدُومَ النِّهَايَةِ السَّعِيدَةِ الَّتِي فِيهَا تَتَحَقَّقُ جَمِيعُ وَعُودِ اللَّهِ لَنَا لِلْعَيْشِ بِأَمْجَادِهِ عَنْ قَرِيبٍ، إِذْ يَعُودُ ثَانِيَةً عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. "يُذَكِّرُ دَاوُدَ أَنَّهُ، بِمَا أَنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةً، يَتَوَجَّبُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي الْوَحِيدَ لَوْجُودِ الْإِنْسَانِ هُوَ عِلَاقَتُهُ بِاللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَبَدِيٌّ". "بِوَيْسَ".

يَهَيْبُ بَنَا الرَّسُولُ بَوْلَسَ لَا نَنْظُرُ لِلْحَيَاةِ بِمَنْظَرٍ مُعْتَمٍ لِأَنَّ أَبْنَاءَ نُورٍ، وَلَيْسَ أَبْنَاءَ ظُلْمَةٍ فَيَقُولُ "جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلَا ظُلْمَةٍ" ١ تسالونيكي ٥: ٥ وَقَدْ ذَكَرْنَا الرَّبَّ يَسُوعَ قَائِلًا "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ" متى ٥: ١٤ لِنَسْمَحَ لَشَمْسِ الْبِرِّ أَنْ تَطْرُدَ كُلَّ ظُلْمَةٍ مِنْ حَيَاتِنَا لِمَجْدٍ مِنْ أَحِبَّائِنَا وَقَدَانَا.

قَدْ نَشْغَلُ تَفْكِيرَنَا فِي مَعْرِفَةِ كَمْ تَبَقَّى لَنَا مِنْ سَنِينَ لِنَعِيشَهَا، وَالْجَوَابُ لِذَلِكَ "لَا نَعْرِفُ" وَمَعَ ذَلِكَ، هُنَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ نَعْرِفُهُ، أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعِيشَ السَّنِينَ وَالْأَيَّامَ لِلْمَسِيحِ وَمَعَهُ. لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَعْرِفَ عِدَدَ الْأَيَّامِ الْمُتَبَقِّيَةِ لَنَا عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنْ كَيْفَ نَقْضِي هَذِهِ الْأَيَّامَ. هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَنَوْعِيَةِ الْحَيَاةِ. نَوْعِيَةُ الْحَيَاةِ الْجَيِّدَةِ مَصْدَرُهَا اللَّهُ. فَهُوَ لَهُ الْمَجْدُ، يَجْعَلُ حَيَاتِنَا تَسْتَحِقُّ الْعَيْشَ، وَأَنْ نَحْيَاهَا بِامْتِيَازٍ لِأَجْلِهِ.

صَلَّى مُوسَى رَجُلُ اللَّهِ هَذِهِ الصَّلَاةَ "إِخْصَاءَ أَيَّامِنَا هَكَذَا عَلَّمْنَا فَنُوتِي قَلْبَ حَكْمَةٍ". (مزمو ٩٠: ١٢). يُعَلِّقُ الْلاهوتِي "وَايزر" عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ فَيَقُولُ "يُلَاحِظُ الشَّاعِرُ أَنَّ جُزْءًا مِنْ طَبِيعَةِ الْخَطِيئَةِ هُوَ أَنَّ النَّاسَ بِالْكَادِ يُدْرِكُونَ الْحَقِيقَةَ الْمُطْلَقَةَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْخَطِيئَةِ، لِأَنَّهُمْ يَعِيشُونَ لِحَاضِرِهِمْ فَقَطْ".

إِذْ نَعِيشُ أَيَّامَ عُزْبَتِنَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، لِنُحْصِيَ أَيَّامِنَا كِي نُكْرِمَ إِلَهَنَا فِيهَا. وَعِنْدَمَا تُوَجِّهَكَ الصَّعَابُ، مَجِّدِ اللَّهَ، وَإِذْ تَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ، لِيَلْهِجْ لِسَانُكَ بِتَعْظِيمِ الْمَسِيحِ وَتَسْبِيحِ اسْمِهِ الْقُدُّوسِ، عَلَيَّ الرَّبِّ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ وَأَكْرِمِ رَبَّ الْمَجْدِ عَلَى الدَّوَامِ. "لَاسْمِ يَسُوعَ هَلِّلُوا، لَتَسْجُدِ الْأَمْلاكُ، إِكْلِيلُ مُلْكٍ كُلُّوْا رَبَّ الْجَمِيعِ ذَاكَ" آمِينَ.

الفصل الحادي عشر

تشرين الثاني "نوفمبر"

المسيح في سفر الرؤيا



أَقْوَالُ أَمِينَةٍ وَصَادِقَةٍ

"ثُمَّ قَالَ لِي: "هَذِهِ الْأَقْوَالُ أَمِينَةٌ وَصَادِقَةٌ. وَالرَّبُّ إِلَهُ الْأَنْبِيَاءِ الْقَدِيسِينَ أَرْسَلَ مَلَكَهٗ لِيُرِيَ عِبِيدَهُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَرِيعًا." (رؤيا ٢٢: ٦)

بهذه الآية، يتحوّل الرائي يوحنا من وصف أُورشليم الجديدة إلى نَصَائِحٍ وَوَعُودٍ. وَقَدْ أَكَّدَ الْمَلَكُ لِيُوحَنَّا أَنْ كَلِمَاتِ سَفَرِ الرُّؤْيَا أَمِينَةٌ وَصَادِقَةٌ، مَسْنُودَةٌ بِشَهَادَةِ الْمَسِيحِ، وَمَلَكَهٗ، وَعَبْدُهُ يُوحَنَّا. اللَّهُ، الَّذِي أَوْحَى رُوحَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنْ قُدُومِ الْمَسِيحِ وَحَيَاتِهِ وَفِدَائِهِ الْعَظِيمِ لَنَا، هُوَ الضَّامِنُ لِمَصْدَاقِيَةِ سَفَرِ الرُّؤْيَا، وَقَدْ أَرْسَلَ مَلَكَهٗ لِيُرِيَ عِبِيدَهُ مَا لَا بُدَّ أَنْ يَحْدُثَ عَنْ قَرِيبٍ. نَشْكُرُ فَادِينَا الَّذِي أَعْطَانَا أَنْ نَعْرِفَ عَنْ الْمُسْتَقْبَلِ مَا يَكْفِي، لِنُدْرِكَ أَنْ يَسُوعَ سَيَأْتِي عَنْ قَرِيبٍ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَعِيشَ كُلَّ يَوْمٍ نَخْدُمُهُ بِأَمَانَةٍ إِلَى أَنْ نَرَاهُ بِسَلَامٍ.

نَرَى أَمَانَةً وَصَدَقَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ، لِأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ الَّذِي نَطَقَ بِهَا هُوَ صَادِقٌ وَأَمِينٌ. وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. جَاءَ هَذَا الْحَقُّ مِنَ السَّمَاءِ، حَيْثُ تَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَ تَلْمِيذِهِ يُوحَنَّا، وَأَرْسَلَ مَلَكَهٗ مِنَ السَّمَاءِ، مِنْ هُنَاكَ، تَكَلَّمَ أَيْضًا مَعَ الْآبَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ مُوضِحًا لَهُمْ حَقَائِقَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. يُوضِحُ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ ٤٠: ٨ ثَبَاتَ كَلِمَةِ اللَّهِ فِيَقُولُ "يَسَّ الْعُشْبُ، دَبَلُ الرَّهْرِ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ". هُنَا أَلْقَى مِرْسَاتِي وَثِقْتِي عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا اللَّهُ بِحَقٍّ، وَكَلَّ وَعْدَ لَهُ صَادِقٌ وَأَمِينٌ. طُوبَى لِمَنْ يَخْدُمُهُ بِأَمَانَةٍ، لِأَنَّ إِلَهَنَا صَادِقٌ وَأَمِينٌ.

يَجِدُ الْمُؤْمِنُونَ فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا أَوْضَحَ وَأَسْمَى أَمَالِهِمْ. فَمَنْ زَمَنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، كَانَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ قُدُمًا إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ الَّذِي سَيُضَعُّ حَدًّا لِلزَّمَنِ الْحَاضِرِ، وَيُؤَسِّسُ اللَّهُ عَالَمًا جَدِيدًا. وَقَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا الْمَلَكُوتُ، سَيَكُونُ صِرَاعًا بَيْنَ قُوَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، حَيْثُ تَعْمَلُ قُوَى الشَّرِّ بِأَكْثَرِ حِدَّةٍ، حَيْثُ تُسَلِّطُ عُدْوَانَهَا عَلَى مَنْ يَسْلُكُونَ فِي طَرِيقِ الْبِرِّ. حَتْمًا، سَيُصَلُّ الصِّرَاعُ إِلَى نَهَائِيَّتِهِ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، سَيَتَدَخَّلُ اللَّهُ وَيُنْهِيَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةِ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ، وَيُؤَسِّسُ مَلَكُوتَ الْمَجْدِ حَيْثُ سَيَسْكُنُ اللَّهُ مَعَ شَعْبِهِ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ.

وَمَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ، فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ خُصُوصًا الَّذِينَ تَأَلَّمُوا مِنْ نِيرَانِ الْاضْطِهَادِ عَلَى أَيْدِي الرُّومَانِ- صَارَ اهْتِمَامُهُمْ هُوَ: كَمْ سَتَطُولُ مُدَّةُ هَذَا الضِّيقِ؟ وَإِذْ وَصَلَ الْقَرْنُ الْمِيلَادِي الْأَوَّلُ إِلَى نَهَائِيَّتِهِ، صَارَتْ عِبَادَةُ الْإِمْبَرَاطُورِ سَائِعَةً، لَيْسَ فِي مَدِينَةِ رُومَا فَحَسَبَ، بَلْ فِي مُخْتَلَفِ أَرْجَاءِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْوَاسِعَةِ. وَعِنْدَمَا رَفَضَ الْمَسِيحِيُّونَ أَنْ يَعْبُدُوا الْإِمْبَرَاطُورَ، تَعَرَّضُوا لِمُخْتَلَفِ الْعُقُوبَاتِ الْقَاسِيَةِ، وَاسْتَشْهَدَ الْعَدِيدُ مِنْهُمْ بِسَبَبِ تَمَسُّكِهِمْ بِعِبَادَةِ خَالِقِهِمْ. لِذَا، كَانُوا يَتَوَقَّفُونَ لَانْتِهَاءِ هَذَا الضِّيقِ وَالْعَذَابِ.

تَحْتَ هَذِهِ الظُّرُوفِ، كَتَبَ الْحَبِيبُ يُوحَنَّا سَفَرَ الرُّؤْيَا، وَأَرْسَلَهُ إِلَى السَّبْعِ الْكُنَائِسِ الَّتِي فِي آسِيَا الصُّغْرَى، بِهَدَفِ تَقْوِيَةِ إِيمَانِ أَعْضَائِهَا، وَالتَّأَكِيدِ لَهُمْ أَنَّ عَمَلَ قُوَى الشَّرِّ ضِدَّهُمْ سَيَنْتَهِي يَوْمًا مَا. كَانَ لَدَى يُوحَنَّا الثِّقَّةُ أَنَّ أَحْدَاثًا مُرَبِّعَةً سَتَأْخُذُ مَجْرَاهَا أَوَّلًا، فَأَرَادَ تَحْذِيرَ إِخْوَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ فِي الْإِيمَانِ، وَتَحْضِيرَهُمْ لِلْأَحْدَاثِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي سَيَمُرُّونَ بِهَا. أَتَبَعَ يُوحَنَّا كِتَابَاتِ نَبَوِيَّةٍ فِي أَسْفَارِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مِثْلَ دَانِيَالٍ وَجُزْءٍ مِنْ حَزْقِيَالٍ وَأَقْسَامٍ مِنَ الْأَنَاجِيلِ الثَّلَاثِ الْأُولَى، حَيْثُ نَجِدُ أَحْدَاثًا تَمُّ التَّنَبُّؤُ عَنْ حَدُوثِهَا قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ.

كَانَ يُوحَنَّا مَنفِيًّا إِلَى الْجَزِيرَةِ الصَّخْرِيَّةِ بِطُمُسَ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ الدِّينِيِّ، وَهُنَاكَ، سَمِعَ صَوْتًا عَالِيًّا يُخْبِرُهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا يَرَاهُ وَيُرْسِلَهُ إِلَى الْكُنَائِسِ السَّبْعِ فِي آسِيَا. كَانَ ذَلِكَ صَوْتُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْمَقَامِ مِنَ الْمَوْتِ، وَالَّذِي صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، حَامِلًا رِسَائِلَ لِكَنِيسَتِهِ عَبْرَ عُصُورِ الزَّمَنِ وَإِلَى أَنْ يَأْتِيَ.

هَكَذَا نَرَى أَنَّ رِسَالَةَ سَفَرِ الرُّؤْيَا هِيَ لِتَشْجِيعِ الْأَتْقِيَاءِ لِمُوَاجَهَةِ الضِّيقَاتِ مِنْ أَجْلِ إِيمَانِهِمْ، عَنْ قَرِيبٍ، سَيُمَسِّحُ يَسُوعُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَيُرْحَبُ بِهِمْ إِلَى بَيْتِهِمُ السَّمَاوِيِّ، حَيْثُ فَرَحَ حُضُورَ رَبِّ الْمَجْدِ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَيَكُونُ عَظِيمًا. هُنِيئًا لِلْأَتْقِيَاءِ الْقَلْبَ لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ.

رسالة يسوع لكنيسته عبر الزمن.

"وفي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَارِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ، مُتَسَرِّباً بِثَوْبٍ إِلَى الرَّجْلَيْنِ، وَمُتَمَنِّطاً عِنْدَ ثَدْيَيْهِ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ." (رؤيا ١: ١٣)

أحبَّ يوحنا يسوع حباً عظيماً، وتبعه طيلة مدة خدمته العلنية، سارَ معه كلَّ الطريق، سمع تعاليمه ورأى معجزاته عن قرب، وها قد أُعطيَ له امتياز أن يرى في رؤيا لمحة من سيده المقام من الأموات، والحي في السماء، ابن الإنسان يتجلى في مجده. أوكل إليه المسيح أن ينقل إلينا ما سيأتي عن قريب، ويكتب ما يرى ويسمع في سفر رؤيا يسوع المسيح. نفَسَ يوحنا هذا، رأى القبر الفارغ، وابن الله المحبوب حي في وسطهم، ورآه صاعداً إلى السماء. وما أن رآه لباساً ثوباً طويلاً واضعاً منطقة من ذهب حول صدره ويتمشى وسط المنابر السبعة، حتى عرف فيه معلمه الحبيب، فسقط على وجهه كميت وسجد له.

كانت تلك رؤيا الله الأزلي كُلِّي القدرة واقفاً أمامه مُحاطاً بالسبعة المنابر، والتي تمثل الكنيسة المسيحية في مختلف العصور إلى أن يأتي ثانية. أمام رسول المحبة يوحنا، وقَفَ الألف والياء- البداية والنهاية- ملك الملوك وربُّ الأرباب. في الوقت ذاته، هو يسوع المسيح الذي سارَ على الأرض بتواضع، رَجُلٌ أوجاع ومُختبرُ الحزن، الذي رفضه شعبه وحكموا عليه بالموت صلباً، نفس هذا -ابن الله وابن الإنسان- وقَفَ في عظمته ومجده أمام يوحنا كنور من نور، إله حق من إله حق- في ملء مجده كخالق الكل.

كانت المنابر تُستعمل قديماً كمصابيح زيت، وبداخلها فتيلة لتُثير لمن حولها. أوصى الله موسى أن يصنع المنارة من ذهب نقي لتوضع في المقدس، حسب المثال الذي أظهر له في الجبل. المنابر التي رآها يوحنا كانت أعظم حيث شاهد يسوع يتمشى فيما بينها مما يشير إلى حضوره وسط كنيسته إلى انتهاء الدهر حسب وعده في إنجيل متى ٢٨: ٢٠ "وها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاء الدهر". آمين.

يَنقُشُ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا عَلَى كَفِّ يَدِهِ، يَشْفَعُ فِينَا عَلَى الدَّوَامِ، فَهُوَ مرساة حياتنا عند الضيق، ودرع نفوسنا على مدى الأيام. وكون هذه المنابر من ذهب، يدلُّ على عظيم المحبة التي أحبَّ المخلص كنيسته. أحبَّاء المسيح هم أعلى ما يملك على الأرض، لذلك، يهتم بهم ويحبهم، فقد بذل نفسه ليموت عنهم ويفتديهم.

كان الكهنة- لا سيما رئيس الكهنة- يلبسون ثوباً طويلاً من كتان فاخر مُشابهاً لما وصفَ يوحنا ثوبَ يسوع في الرؤيا، يسوع رئيس كهنتنا وهو أيضاً ديان الجميع، كانت ثيابه ملوكية، وفي نفس الوقت كهنوتية. شعرُ المسيح في الرؤيا كان أبيضاً يرمز إلى الطهارة وكونه بلا خطية. تماماً مثل وصف دانيال ٧: ٩ في رؤيا حيث نقرأ "لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة". المنطقة التي كان يلبسها حول صدره من ذهب تدلُّ على سموه ونقاء صفاته "كشمس البر". وهذا ما تنبأ عنه إشعياء ١١: ٥ حيث قال "ويكون البر منطقةً مثنيته، والأمانة منطقةً حقويه". "ومع أن يسوع الآن قد صعد إلى محضر الله، وهو جالس على عرش الكون، فإنه لا يزال مُحفظاً بطبيعته الرحيمة الرقيقة. واليوم نجد أن نفس ذلك القلب الرقيق العطوف لا يزال يرثي لكل البشر في آلامهم وبلاياهم. وتلك اليد المثقوبة تمتد اليوم لتزجل البركات بغزارة لشعبه الذين في العالم. إن الشخص الذي قد سلم نفسه للمسيح هو أعلى في نظره من كل العالم. والمخلص كان بكل سرور يجتاز في آلام جلجثة وعذاباتها حتى تخلص نفس واحدة وتأتي إلى ملكوته" (روح النبوة، مُشتهى الأجيال، صفحة ٤٥٦).

عزيزي، يسوع يُحبك ويريد أن يراك في ملكوته عن قريب. ولو كنت أنت الشخص الوحيد على وجه الأرض، لكان على استعداد أن يموت ليفتدك. في هذا اندهشي أيتها السماوات وتحيري أيتها الأرض. شكراً لك ربِّي لأجل عظيم محبتك لي آمين.

سَبْعَةُ كَوَاكِبٍ فِي يَمِينِ الْمَسِيحِ

"وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تَضِيءُ فِي قُوَّتِهَا." (رؤيا ١: ١٦)

يُخْبِرُنَا يُوْحَنَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ يَسُوعَ مُمَسِّكٌ بِالسَّبْعَةِ كَوَاكِبِ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى، وَفِي آيَةِ ٢٠ يَشْرَحُ سِرَّ السَّبْعَةِ الْكَوَاكِبِ فَيَقُولُ "السَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ هِيَ مَلَائِكَةُ السَّبْعِ الْكُنَائِسِ" الَّتِي أُمِرَ يُوْحَنَّا أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهَا. أَمَّا الْكَوَاكِبُ أَوِ الْمَلَائِكَةُ فَهُمْ قَادَةُ هَذِهِ الْكُنَائِسِ الرُّوحِيِّينَ. نُلَاحِظُ أَيْضاً أَنَّ كَلِمَةَ "مَلَكَ" فِي الَّلُغَةِ الْيُونَانِيَّةِ تَعْنِي "مُرْسِلٌ" أَيْ الَّذِينَ اسْتَلَمُوا هَذِهِ الرِّسَائِلَ وَنَقَلُوهَا إِلَى أَعْضَاءِ الْكُنَائِسِ وَرُعَاتِهَا، كَمَا قَدْ تَعْنِي مَلَائِكَةُ حَقِيقِيِّينَ. تَرْمِزُ يَدُ اللَّهِ إِلَى قُوَّتِهِ الدَّاعِمَةِ لِلْكَنِيسَةِ. رَغْمَ صُعُوبَةِ عَمَلِ الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ، إِلَّا أَنَّ رَأْسَ الْكَنِيسَةِ- يَسُوعَ الْعَظِيمَ- يَحْمِي كَنِيسَتَهُ وَخُدَّامَهُ لِأَنَّهُمْ يَنْتَمُونَ إِلَيْهِ وَيَعْمَلُونَ عَمَلَهُ. وَقَدْ أَكَّدَ الْفَادِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ "وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدَيَّ" (يُوْحَنَّا ١٠: ٢٨).

فِي إِنْجِيلِ مَرْقَسِ ١: ٢ نَقَرْنَا عَنِ الْمَكْتُوبِ فِي الْأَنْبِيَاءِ "هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَائِكِي، الَّذِينَ يَهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ". الْمَقْصُودُ "بِمَلَائِكِي" هُنَا هُوَ ١- يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. ٢- تَلَامِيذُ الْمَعْمَدَانِ. ٣- تَلَامِيذُ الْمَسِيحِ، وَجَمِيعُهُمْ كَانُوا مِنَ النَّاسِ الْأُمْنَاءِ. هَكَذَا نَرَى أَنَّ مَلَائِكَةَ الْكُنَائِسِ السَّبْعَةِ، هُمْ رُعَاةُ وَكَارِزِينَ يُعْمَلُونَ تَحْتَ قِيَادَةِ مَسِيحِهِمُ الْمُبَارَكِ، وَيَشْعُرُونَ بِالْأَمَانِ تَحْتَ يَدِ يَسُوعَ الْقَوِيَّةِ. هُنِيئاً لِمَنْ وَجَدَ الْأَمَانَ فِي الْأَذْرُعِ الْأَبَدِيَّةِ.

يَسُوعُ عَلَى تَوَاصُلٍ مُسْتَمِرٍّ مَعَ شَعْبِهِ، يُلَاحِظُ تَقَوَاهُمْ وَتَكْرِيسَهُمْ لَهُ. يَر_اقِبُ دَائِماً مَا إِذَا نُورٌ مَنَارَتِهِمْ يَخْبُو. الْمَسِيحُ هُوَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ.

رَأَى يُوْحَنَّا سَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِ يَسُوعَ وَهَذَا السَّيْفُ يَرْمِزُ إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ. سَيْفٌ مَاضٍ فِي قَرَارَاتِهِ وَفَعَالٍ فِي تَنْفِيذِ دِينُونَتِهِ، حَسَبَ مَا نَقَرْنَا فِي الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ٤: ١٢ "لَأنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَقَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ". اسْتَعْمَلَ الرُّومَانُ سَيْفَ ذُو حَدَّيْنٍ لِقَتْلِ أَعْدَائِهِمُ بِالطَّعْنِ. فَكَلِمَةُ اللَّهِ تُدِينُ الشَّرِيرَ، وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ الثَّانِي كَمَا نَقَرْنَا "وَطَرَحَ الْمَوْتُ وَالْهَآوِيَّةُ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ. هَذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي" (رؤيا ٢٠: ١٤).

شَاهَدَ يُوْحَنَّا أَيْضاً وَجْهَ يَسُوعَ يُضِيءُ كَالشَّمْسِ فِي شِدَّةِ قُوَّتِهَا، وَهَذَا يُدَكِّرُنَا بِحَادِثَةِ التَّجَلِّيِّ عِنْدَمَا أَخَذَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ الثَّلَاثَةَ بِطَرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوْحَنَّا وَصَعَدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ حَيْثُ نَقَرْنَا مَا قَالَهُ الْبَشِيرُ مَتَّى ١٧: ٢ "وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَصَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيَضَاءً كَالنُّورِ". وَلَا عَجَبَ إِذْ أَنَّهُ شَمَسَ الْبَرِّ. طَالَمَا بَقِيَ نُورُ كَنِيسَتِهِ مُشْرِقاً بِدَفِّ مَحَبَّتِهِ، فَلَا دَاعِيَ لِلخَوْفِ حَيْثُ يَدُ الْمَسِيحِ الْقَوِيَّةِ تَحْفَظُهَا أَمِينَةً لَهُ عَلَى الدَّوَامِ.

وَحَيْثُ يُبْقِي الْخَالِقُ الْكَوَاكِبَ مُشْعَةً بِالنُّورِ وَيُحْفَظُهَا فِي مَسَارَاتِهَا، هَكَذَا خُدَّامَهُ الَّذِينَ يَتَحَرَّكُونَ بِإِرَادَتِهِ وَيُضِيئُونَ بِنُورِهِ قُدَّامَ النَّاسِ كِي يُمَجِّدُوا أَبَاهُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. عِنْدَمَا طَلَبَ يَسُوعُ مِنْ يُوْحَنَّا أَنْ يَكْتُبَ رِسَائِلَ إِلَى السَّبْعِ كُنَائِسِ، كَانَتْ مَجْمُوعَاتُ مَسِيحِيَّةٍ قَدْ تَأَسَّسَتْ فِي ٧ مُدُنٍ ذُكِرَتْ بِالْأَسْمِ. تِلْكَ الْمُدُنُ ارْتَبَطَتْ بِبَعْضِهَا بِطَرُقٍ رُومَانِيَّةٍ وَاسْتَهَرَّتْ بِمَوْقِعِهَا التِّجَارِيِّ وَبِغْنَاهَا. هَلْ كَانَتْ تِلْكَ الرِّسَائِلُ لِكُنَائِسٍ مَحَلِّيَّةٍ، أَمْ إِنَّهَا تُمَثِّلُ سَبْعَةَ وُجُوهِ مِنْ اخْتِبَارِ الْكَنِيسَةِ كُكُلٍ مِنْ زَمَنِ يُوْحَنَّا وَإِلَى نِهَآيَةِ الْعَالَمِ؟

صَحِيحٌ أَنَّ لَهَا تَطْبِيقَ مَحَلِّيٍّ، فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ، كَانَتْ هَذِهِ الرِّسَائِلُ تَنْتَهِي بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكُنَائِسِ". هُنِيئاً لِمَنْ تَسْنَدُهُ يَدُ الْمَسِيحِ الْيُمْنَى، لِيَشْعُرَ مَعَهَا بِالْأَمَانِ. أَمْلِي أَنْ تَجِدَ الرَّاحَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ بِالْمَسِيحِ وَتُبَارِكُهُ مَعَ دَاوُدَ قَائِلاً "وَالْغَنَى وَالْكَرَامَةُ مِنْ لَدُنْكَ، وَأَنْتَ تَسْلُطُ عَلَى الْجَمِيعِ، وَبِيَدِكَ الْقُوَّةُ وَالْجَبَرُوتُ، وَبِيَدِكَ تَعْظِيمٌ وَتَشْدِيدٌ الْجَمِيعِ". (١ أخبار الأيام الأول ٢٩: ١٢). الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ لَاسْمِكَ رَبِّي وَإِلَهِي.

أَفْسُسُ كَنِيسَةَ فَقَدَتْ مَحَبَّتَهَا الْأُولَى.

"لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنْكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى." (رؤيا ٢ : ٤)

كَانَ يُوحَنَّا فِي يَوْمِ الرَّبِّ السَّابِعِ - يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ - يَوْمَ رَاحَتِهِ مُنْذُ الْخَلِيقَةِ - عِنْدَمَا سَمِعَ وَرَائَهُ صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ قَائِلًا "وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسْيَا: إِلَى أَفْسُسَ، وَإِلَى سَمِيرْنَا، وَإِلَى بَرْغَامُوسَ، وَإِلَى ثْيَاتِيرَا، وَإِلَى سَارْدُوسَ، وَإِلَى فِيلَادَلْفِيَا، وَإِلَى لَاوْدِيَّةَ" (رؤيا ١ : ١١). هُنَاكَ ٦ صِفَات مُشْتَرَكَةٍ فِي كُلِّ رِسَالَةٍ عَنْ ظُرُوفِ تِلْكَ الْكَنَائِسِ تُسَاعِدُنَا فِي فَهْمِ بَعْضِ التَّعَابِيرِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي كِتَابَتِهَا. ١- مَعْنَى وَأَهْمِيَّةُ اسْمِ الْكَنِيسَةِ ٢- حَقَائِقُ تَخُصُّ الْمَدِينَةَ ٣- مَدْحٌ إِيْجَابِيٌّ لِلْكَنِيسَةِ ٤- التَّوْبِيخُ (فِي ٥ رِسَائِلٍ) ٥- الْمَشُورَةُ ٦- الْوَعْدُ لِلْغَالِبِينَ. نَجِدُ نَصَّ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي سِفْرِ الرُّوْيَا أَصْحَاحَ ٢ - ٣.

أَوَّلُ رِسَالَةٍ هِيَ لِكَنِيسَةِ أَفْسُسَ، وَالَّتِي يَعْنِي اسْمُهَا "مُسْتَحَبٌّ، مَرْغُوبٌ فِيهِ". كَانَتِ الْمَدِينَةُ تَقَعُ فِي مَوْقِعٍ جُغْرَافِيٍّ جَمِيلٍ. وَقَدْ سُمِّيَتْ حَقًّا "مَدِينَةُ التَّغْيِيرِ" بِسَبَبِ تَغْيِيرِ الْمَوْقِعِ الَّذِي بُنِيَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ. نَسْتَطِيعُ بَجَدَارَةٍ أَنْ نَقُولَ إِنَّهَا تُمَثِّلُ الْعَصْرَ الْمَسِيحِيَّ الْأَوَّلَ، حَيْثُ لَمْ تَشْهَدْ آيَةً قِطْرَةً فِي التَّارِيخِ مِنْ تَغْيِيرِ فِي الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ مِثْلَ الْقُرْنِ الْأَوَّلِ الْمِيلَادِيِّ. وَيَعُودُ ذَلِكَ إِلَى حَقَائِقِ الْإِنْجِيلِ الْمُقَدَّسِ، وَأَقْوَالِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الَّتِي اجْتَاكَتِ الْعَالَمَ مِثْلَ زَوْبَعَةٍ. كَانَتْ أَفْسُسُ مَرْكَزًا تِجَارِيًّا هَامًّا، وَاعْتَبِرَتْ بَوَابَةَ التَّجَارَةِ الْبَرِّيَّةِ لِمَقَاطَعَةِ آسِيَا بِمَرْسُومٍ حُكُومِيٍّ. اِشْتَهَرَتِ الْمَدِينَةُ بِمَعَابِدِهَا الدِّينِيَّةِ لِلْآلِهَةِ، مِثْلَ "دِيَانَا" حَيْثُ كَانَ مَعْبَدُهَا وَاحِدٌ مِنْ عَجَائِبِ الْعَالَمِ الْقَدِيمَةِ السَّبْعَةِ.

وَصَلَّتْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَى يَدِ "أَكِيلَا وَبَرِيَسْكِيلا" زَوْجٍ وَزَوْجَةٍ مِنَ الْمَكْرُسِينَ لِلْحَقِّ، كَمَا قَضَى الرَّسُولُ بُولُسُ فِي أَفْسُسَ ٣ سَنِينَ كَمَا نَقَرْنَا فِي أَعْمَالِ الرُّسُلِ ١٨ : ١٨ - ٢٦. قَدْ يَكُونُ تِيْمُوثَاوُسُ رَاعِي كَنِيسَةِ أَفْسُسَ عِنْدَمَا كَتَبَ الرَّائِي يُوْحَنَّا رِسَالَتَهُ إِلَيْهَا. يَسُوعُ يَمْدَحُ مُؤْمِنِي أَفْسُسَ عَلَى غَيْرَتِهِمْ، وَوُقُوفِهِمْ لِلْحَقِّ حَيْثُ نَقَرْنَا "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنْكَ لَا تَقْدُرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الْأَشْرَارَ، وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلًا، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ" (رؤيا ٢ : ٢). كَانُوا أَعْضَاؤَهَا مُخْلِصِينَ لِمَبْدَتْهُمْ بِمَوْجِبِ مَقْيَاسِ كَلِمَةِ اللَّهِ. يَمْدَحُهُمْ يَسُوعُ لِأَنَّهُمْ يُبْغِضُونَ أَعْمَالَ النُّقُولَاوِيِّينَ الَّتِي يُبْغِضُهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ أَيْضًا. كَانَ هَؤُلَاءِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْهَرَاطِقَةِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مَسِيحِيَّينَ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ، حَيْثُ انْتَشَرَ بَيْنَهُمُ الزُّنَى وَعِبَادَةُ الْأَبَاطِرَةِ الرُّومَانِ، وَلَمْ يَجِدُوا أَيْ التَّزَامَ مِنْ جَانِبِهِمْ بِحِفْظِ وَصَايَا اللَّهِ. رَغْمَ تَعَبِهِمْ وَغَيْرَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِ الْمَسِيحِ، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ "لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنْكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى".

لَقَدْ خَسَرُوا غَيْرَتَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمُ الْأُولَى لِلَّهِ، مِمَّا أَضْعَفَ مَحَبَّتَهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. بَدَأَ "سِرُّ الْإِثْمِ" عَمَلُهُ الْمُدْمِرُ فِي حَيَاتِهِمْ، فَلَا شَيْءَ يَحُلُّ مَحَلَّ الْمَحَبَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ.

يُشِيرُ عَلَيْهِمْ يَسُوعُ بِعَمَلِ ٣ أَشْيَاءَ: تَذَكَّرُوا، تَوْبُوا، وَارْجِعُوا إِلَيَّ. تَذَكَّرُوا الْمَحَبَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي مَلَأَتْ قُلُوبَكُمْ، تَوْبُوا عَنْ خَطَايَاكُمْ سَيِّمًا وَأَنْتُمْ فِي وَضْعٍ سَيِّئٍ بِدُونِي. ارْجِعُوا إِلَيَّ كَمَا ابْتَدَأْتُمْ، وَإِلَّا سَأَتِي وَأُزْحِجُ مَنَارَتَكُمْ مِنْ مَكَانِهَا. تُشَبِّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ عِلَاقَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِخَالِقِهِمْ، بِالْعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ وَإِخْلَاصِ الزَّوْجِينَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ، فَإِذَا فَقَدَا مَحَبَّتَهُمَا الْوَاحِدَ نَحْوَ الْآخَرِ، يَنْتَهِي حَالُهُمَا بِالطَّلَاقِ. فَرِسَالَةُ يَسُوعَ لَكُمْ وَلِي "فَلْيُضَيُّ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مَتَّى ٥ : ١٦). أَمَّا وَعْدُ الْمَسِيحِ لِلْغَالِبِينَ فَهُوَ "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسْطِ فَرْدُوسِ اللَّهِ" (رؤيا ٢ : ٧).

أَقَامَ اللَّهُ شَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ. وَبَعْدَ الْخَطِيئَةِ حُرِمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَكْلِ مِنْهَا. لَكِنَّ وَعْدَ يَسُوعَ لِلْغَالِبِينَ - لَكُمْ وَلِي - بِأَنْ نَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ الْجَدِيدَةِ عِنْدَمَا يَأْتِي عَنْ قَرِيبٍ. أَمْلِي أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ، أَنْ نَسْمَعَ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لَنَا، تَذَكَّرْ عَظِيمَ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ لَنَا، وَنَتُوبَ عَنْ خَطَايَانَا وَنَعُودَ إِلَيْهِ لِنَبْدَأَ طَرِيقَ الْإِسْتِعْدَادِ كِي نَرَاهُ فِي مَجْدِهِ سَرِيعًا. صَلَاتِي أَنْ يَكُونَ هَذَا النِّصِيبُ الصَّالِحُ لَنَا وَجَمِيعٍ مَنِ احْتَبَّ. آمِينَ.

أمانتي للرب رغم التجارب

"كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ." (رؤيا ٢: ١٠)

الكنيسة الثانية التي طَلَبَ الرَّبُّ يسوع من يوحنا أن يَكْتُبَ رِسَالَةً لَهَا (رؤيا ٢: ٨-١١) هي "سَمِيرْنَا" والتي تَعْنِي "رائحة طَيِّبَةٍ" تُشَبِّهُ الْمُرَّ الَّذِي يَرْمُرُ إِلَى آلامِ الْمُخْلِصِ. تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْكَنِيسَةُ بِالضِّيقِ وَالْاضْطِهَادِ، الَّذِي عَانِيَ مِنْهُ أَعْضَاؤُهَا نَتِيجَةً إِيْمَانِهِمْ بِالْمَسِيحِ، وَرَفْضِهِمْ عِبَادَةَ الْأَبَاطِرَةِ الرُّومَانِ، وَبِيزْرُ اسْمِ "بُولِيكَارِب" (يُعتَقَدُ أَنَّ يوحنا وَجَّهَ الرِّسَالَةَ لَهُ) أُسْقِفَ تِلْكَ الْكَنِيسَةَ الَّذِي أُحْرِقَ حَيًّا لِرَفْضِهِ انْكَارِ إِيْمَانِهِ بِالْمَسِيحِ سَنَةَ ١٦٨ م. وَقَفَّ أَمَامَ مَجْمَعِ الْيَهُودِ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُنْكِرَ إِيْمَانَهُ بِيسوع فَقَالَ: "خَدَمْتُهُ لَسْتُ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَلَمْ يَسْأَلْنِي إِلَيَّ أَبَدًا خِلَالَهَا، فَكَيْفَ أَلْعَنُ سَيِّدِي الْمَسِيحَ الَّذِي خَلَّصَنِي؟" فَأَحْرِقُوهُ حَيًّا بَعْدَ أَنْ رَفَضَتْ الْأَسْوَدُ افْتِرَاسَهُ.

كَانَتْ سَمِيرْنَا مَدِينَةً تِجَارِيَّةً هَامَّةً عَلَى السَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ لِأَسْيَا الصَّغْرَى وَاسْمُهَا الْحَالِي "إِزْمِير" وَهِيَ ثَالِثَ مَدِينَةٍ فِي الْأَهَمِّيَّةِ بِتُرْكِيَا. وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِمَدَارِسِهَا لِلطَّبِّ وَالْعُلُومِ. بَدَأَ يسوع "الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، الَّذِي كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ" رِسَالَتَهُ لَهُمْ قَائِلًا "أَنَا أَعْرِفُ أَعْمَالَكَ وَضَيْقَكَ وَفَقْرَكَ مَعَ أَنَّكَ غَنِيٌّ" (رؤيا ٢: ٨-٩). يَشْعُرُ الْمُخْلِصُ بِآلامِ هَؤُلَاءِ الْمَسِيحِيِّينَ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، الَّذِينَ تَأَلَّمُوا وَاضْطَهَدُوا نَتِيجَةً إِيْمَانِهِمْ وَعَاشُوا فَقْرًا مَادِّيًّا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ بِالرُّوحِ. لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْعِزَاءِ لِلْمُضْطَهَّدِينَ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ أَيْضًا.

وَاجَهَتْ الْكَنِيسَةُ فِتْرَةً "١٠ أَيَّامَ نَبَوِيَّةٍ" عَشْرَ سِنَوَاتٍ مِنَ الضِّيقِ (بِمَوْجِبِ الْيَوْمِ النَّبَوِيِّ يُسَاوِي سَنَةً زَمْنِيَّةً فِي سِفْرِ الْعَدَدِ ١٤: ٢٤ وَحَزَقِيَال ٦: ٤) ٣٠٣-٣١٢ م إِلَى أَنْ اعْتَلَى قُسْطَنْطِينُ الْعَرْشَ، حَيْثُ اسْتَشْهَدَ الْكَثِيرُونَ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ بِالْمَسِيحِ. مَا أَرُوَعُ وَعَدَ الْفَادِي لَنَا "كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ". هَذَا الْوَعْدُ الَّذِي جَلَبَ الْعِزَاءَ لِجَمِيعِ الْمُضْطَهَّدِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ عَبْرَ الْأَزْمِنَةِ. يَعِدُ الرَّبُّ يسوع الْغَالِبِينَ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، إِذْ يَأْتِي قَرِيبًا عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. هُنِيئًا لَنَا فِي صَبْرِنَا وَصُومُونَا أَمَامَ التَّجَرُّبَةِ وَالضِّيقِ.

الْكَنِيسَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي خَاطَبَهَا يسوع هِيَ كَنِيسَةُ "بِرْغَامُوس" وَمَعْنَاهَا "عُلُو - ارْتِفَاعٌ، وَقَدْ بُنِيَتْ عَلَى جَبَلٍ" نَقَرْنَا عَنْهَا فِي رُؤْيَا ٢: ١٢-١٧. امْتَدَّتْ فِتْرَةُ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ إِلَى سَنَةِ ٥٣٨ م، كَمَا أَنَّ لَهَا دُرُوسًا رُوحِيَّةً لِيَوْمِنَا. تَمَيَّزَتْ بِرْغَامُوس بِكُونِهَا الْمَدِينَةُ الْعَاصِمَةُ لِمُقَاطَعَةِ آسْيَا لِقَرْنَيْنِ وَنِصْفٍ. إِلَى جَانِبِ أَهْمِيَّتِهَا السِّيَاسِيَّةِ، فَقَدْ اشْتَهَرَتْ كَمَرْكَزٍ ثَقَافِيٍّ، حَيْثُ كَانَ بِهَا مَكْتَبَةٌ شَهِيرَةٌ تَحْتَوِي عَلَى مِئَتَيْ أَلْفٍ مَخْطُوطَةٍ، كَمَا كَانَتْ مَوْطِنَ الطَّبِيبِ الشَّهِيرِ "غَالِين" الَّذِي دَرَسَ فِي مَدْرَسَةِ الطَّبِّ هُنَاكَ. وَكَانَ فِيهَا مَعَابِدٌ دِينِيَّةٌ، أَهْمُهَا مَعْبَدُ الْإِمْبَرَاطُورِ أَعُصْطُسٍ حَيْثُ اشْتَهَرَتْ عِبَادَةُ الْأَبَاطِرَةِ. كُلُّ هَذِهِ الْمُؤَشِّرَاتِ خَلَقَتْ صُعُوبَاتٍ عَدِيدَةً لِلْمَسِيحِيِّينَ فِيهَا، حَيْثُ كَانَتْ الْوُثْنِيَّةُ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

وَلَا عَجَبَ أَنْ يُسَمِّيَهَا يسوع "الْمَكَانَ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ الشَّيْطَانُ، وَكُرْسِيَّهُ". يُقَدِّمُ يسوع نَفْسَهُ لِمُؤْمِنِي بَرْغَامُوسِ كَالَّذِي "لَهُ السَّيْفُ الْمَاضِي ذُو الْحَدَيْنِ" رُؤْيَا ٢: ١٢ كَانَ لِلْحَاكِمِ الرُّومَانِيِّ الْقُوَّةَ لِقَتْلِ مَنْ يُرِيدُ، بِمَا فِيهِمُ الْمَسِيحِيِّينَ، لَكِنْ يسوع يُؤَكِّدُ لَهُمْ بِأَنَّهُ صَاحِبُ السُّلْطَانِ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ. مَدَحَ الْمَسِيحُ إِيْمَانَ أَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ، رَغْمَ وُجُودِ كُرْسِيِّ الشَّيْطَانِ هُنَاكَ، لَكِنْ بَعْضًا مِنْهُمْ أَحْبَبُوا الْعَالَمَ الْحَاضِرَ، وَأَنْكَرُوا إِيْمَانَهُمْ بِخَالِقِهِمْ، انْضَمُّوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَبَاطِرَةِ الرُّومَانِ مِثْلَ مَا عَمِلَ بَلْعَامُ قَدِيمًا حِينَ أَغْوَى الشَّعْبَ لِيَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ وَيَزْنُوا مَعَ النِّسَاءِ فِي مُوَابٍ. شَهِدَ الْقَرْنَانِ الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ مِيلَادِي اخْتِلَاطَ الْمَسِيحِيَّةِ بِالْأَوْثَانِ، وَابْتِعَادَ الْكَثِيرِينَ عَنْ طَهَارَةِ الْإِنْجِيلِ كَمَا عَاشَهُ وَعَلَّمَهُ الْمَسِيحُ يسوع.

نَدَاءُ السَّيِّدِ الرَّبِّ لِهَذِهِ الْكَنِيسَةِ وَلَنَا أَنْ نَتُوبَ وَنُجَدِّدَ صِلَتَنَا بِرَبِّ الْمَجْدِ مَسِيحِنَا الْمُبَارَكِ. أَمَّا وَعْدُهُ لِلْغَالِبِينَ فَهُوَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنَ "الْمَنِّ الْمُخْفَى" طَعَامَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَعِدُهُمْ بِأَنْ يُعْطِيَهُمْ حَصَاةً بَيضاءَ عَلَيْهَا اسْمُ جَدِيدٍ أَوْ صِفَاتٌ وَأَخْلَاقٌ جَدِيدَةٌ تَعَكِّسُ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ لَهُمْ. رَبِّي، سَاعِدْنِي أَنْ أَكُونَ أَمِينًا لَكَ وَحَدَّكَ لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي إِلَى الْمُنْتَهَى.

تَمَسَّكْ بِإِيْمَانِكَ

"وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ." (رؤيا ٢: ٢٥)

في رؤيا ٢: ١٨-٢٩ يُرسل يسوع رسالته إلى كنيسة ثياتيرا والتي يعني اسمها "تضحية الندم" وينطبق هذا الاسم على حال الكنيسة التي ضحّت ببساطة الإيمان واستبدلته بديانة من صنع الإنسان، طعّت عليها الأعمال الصالحة كطريق للخلاص. خاطب يسوع "ابن الله" هذه الكنيسة ونحنؤكد أن عيناه كلهيب نار فهو فاحص القلوب، وكل شيء مكشوف أمامه. اشتهرت هذه المدينة بتجارة الأقمشة وصبغها باللون الأرجواني، حيث تبنت نقابات عمال الإشراف على هذه التجارة. وقد بُني معبد لإله الشمس "أبولو" فيها، حيث كانت تُقام احتفالات تُشرف عليها نقابات عمال المدينة، يتخللها شرب الخمر وأعمال مُخلّة للآداب مع زانيات الهيكل.

يُثني يسوع على مؤمني ثياتيرا قائلاً "أنا عارف أعمالك ومحبّتك وخدمتك وإيمانك وصبرك، وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى" (رؤيا ٢: ١٩). مع ذلك، يلاحظ الربّ انخداع البعض بتعاليم امرأة قالت عن نفسها بأنها "نبية" في وسطهم كانت تحثهم أن يأكلوا ما ذُبِح للأوثان ويزنوا، وقد سمّاها يسوع بـ "إيزابل" المرأة الشريرة، التي قادت زوجها الملك آخاب لعبادة البعل في السامرة. يربط سفر الرؤيا "إيزابل" ببابل العظيمة أم الزواني، حيث سيكون مصيرها في بحيرة النار المتقدّة. سيُعطي المسيح كل واحد بحسب أعماله.

تشمل فترة هذه الرسالة- الكنيسة خلال العصور الوسطى- حيث جاء الارتداد الروحي من الداخل، واستبدل كهنوت المسيح، بنظام الكهنة الأرضيين ضمن طقوس القدّاس. والذين لم يتبعوا التقاليد وتعاليم الكنيسة، بل تمسكوا بطهارة الإنجيل، تعرّضوا للاضطهاد والقتل. ينصح المخلص هؤلاء قائلاً "تمسكوا بما عندكم إلى أن أجيء".

وللغالبين منهم ومنا يعدّ المسيح ١- سلطان فوق الأمم، ٢- انتصار على كل الأعداء، ٣- يُعطي يسوع نفسه - كوكب الصبح المنير- لدعم كنيسته حيث بعد الظلمة الروحية، ظهر نور الإصلاح الديني.

نجد رسالة المخلص للكنيسة الخامسة ساردس في رؤيا ٣: ١-٦ حيث يعني اسمها "الذي يبقى" أو "هروب البقية" بقي في الواقع بقية أمانة لله بعد قرون من الارتداد والاضطهاد. ومن هرب منهم بدأ يضعف سريعاً وكان على استعداد للموت روحياً، ولا عجب أن يُسمّى اللاهوتي "رامسي" ساردس بالمدينة الميتة. بُنيت هذه المدينة على ارتفاع ١٥٠٠ قدم، وصارت فيما بعد عاصمة "مملكة ليدا" كواحدة من أغنى ممالك العالم القديم. ومع تحصيناتها القويّة، تمت السيطرة عليها نتيجة إهمال حُرّاس الأسوار.

يقدّم يسوع نفسه لكنيسة ساردس على أن له ٧ أرواح والسبعة الكواكب. كانت هذه الكنيسة بحاجة إلى كامل روح الله كي يبعث فيها الحياة. يعرف يسوع وضع هذه الكنيسة بأن لها اسم، لكنها في الواقع ميتة. لذا، يهيب الربّ بهم بأن يتذكروا محبتهم الأولى له، وروعة تضحيته من أجلهم بالسهر والتوبة، وإلا سيأتي عليهم كدّيان في ساعة لا يعلمونها. ما أجمل أن نتذكّر محبة يسوع لنا ورحمته علينا قبل فوات الأوان.

تنطبق فترة هذه الكنيسة على زمن ما بعد الإصلاح الديني حيث قاد رجال أمعاء مثل "مارتن لوثر، وجون نوكس، وغيرهم" العالم إلى العودة إلى الكتاب المقدّس كدستور الإيمان المسيحي. وللبقية الأمانة التي بقيت على ولائها لربّ المجد، يأتي وعده بأن يمشوا معه بثياب بيض (رمز الطهارة) لأنهم مُستحقّون إذ عاشوا مبادئهم الديني في حياتهم بأمانة. تبقى الحقيقة أعزائي، أن الله لن يهمل أو يترك شعبه في ساردس، أو في أي مكان من العالم. ولمن يغلب، يُعطى أروع وعد بأن يبقى اسمنا في سفر الحياة، وننال اعتراف فادينا بنا لنعيش معه أجيال الأبدية. في ذلك اليوم يتحقّق الوعد "افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة" (إشعيا ٢٦: ٢). هنيئاً للغالبين وهم يدخلون مدينة الله السماوية بفرح لا ينطق به ومجيد. آمين.

هَذَا واقِفٌ عَلَى الباب وأَقْرَعُ

"إِنِّي كُلُّ مَنْ أَحِبُّهُ أُوبِخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ." (رؤيا ٣: ١٩)

سادس كنيسة تستلم رسالة من يسوع كانت "فيلادلفيا" ومعناها "محبّة أخويّة" في رؤيا ٣: ٧-١٣، لا تبعد كثيراً عن ساردس. بُنيت على تلة واسعة بين واديين خصيبين. أحد هذه الأودية يُشكّل "بوابة طبيعيّة" - باب مفتوح "إلى الشرق، وقد ساهم في نجاح تجاري وثقافي لهذه المدينة. واليوم بُنيت على أنقاضها في تركيا مدينة سُميت "الأشهير"، أي المدينة الحمراء، نسبة إلى التلال المحيطة بها، والتي لها اللون البني المحمر. تشمل فترة هذه الكنيسة من ١٧٩٠-١٨٤٠م. كانت فيلادلفيا مدينة لنشر الثقافة اليونانية والآسيوية واللغة إلى شرقي ليديا وفريجية، وفيما بعد صارت مركزاً لنشر المسيحية، لذا سُميت "مدينة البشارة".

يُشير يسوع إلى نفسه بأنّه "القدّوس الحقّ الذي له مفتاح داود الذي يفتح ولا أحد يُغلق ويغلق ولا أحد يفتح". (رؤيا ٣: ٧). يُوصف السيّد المسيح بأنّه القدّوس، ذات السُلطة والجبروت، حيث يفتح باب البركة ولا يستطيع أحد أن يغلقه. ويبرّر هذا وضع الكنيسة رغم ضعفها، استطاعت أن تبقى أمانة وسط الضيقات. الباب المفتوح لهذه الكنيسة، هو باب الفرص التي متى فتحها يسوع، فلن تستطيع قوى العدو أن تغلقها.

وحيث أنّهم حفظوا كلمة الله بثبات وصبر، سيُحفظهم المسيح من ساعة التجربة، التي تأتي للسّاكنين على الأرض، عند نزول الضربات السبع الأخيرة على الذين لهم سمة الوحش. خلال زمن هذه الكنيسة، حدثت ظاهرتا ظلمة الشمس، وتساقط النجوم، وانتهت نبوءة ٢٣٠٠ سنة حيث بدا اهتمام الناس كبيراً بأحداث النهاية والدينونة.

كانت النتيجة بدء جمعيات الكتاب المقدّس بتوزيع كلمة الله حول العالم مع تركيز على الكرازة بالإنجيل. يعدّ يسوع لمن يتمسك بالحقّ، أن يجعله عموداً في أورشليم السّماوية، واسم يسوع مكتوباً عليه.

الكنيسة السابعة والأخيرة هي كنيسة "اللاودكيين" والتي تعني "دينونة الناس"، وأناس مُبرّرين" نقرأ عنها في رؤيا ٣: ١٤-٢٢. تميّزت لاودكية بموقعها على الطريق التجاري بين أفسس وسوريا، مما جعلها واحدة من أعظم المراكز التجارية في العالم القديم. كما عرفت بصوفها الأسود الناعم، الذي استُخدم لصناعة الأقمشة والسجاد، كما اشتهرت بمدرستها الطيبة لمعالجة أمراض العين، باستخدام مسحوق فريجية مخلوطاً بالزيت.

ونتيجة لغناها، تميّز أهلها بالكبرياء والاكتفاء الذاتي، حيث رفضوا مساعدة من الإمبراطورية لإعادة بنائها بعد تعرّضها لزلزال مدمر. كان الماء يأتيها من مصدرين: ماء بارد من كولوسي، وآخر من الينابيع الحارة في "هيرابولس" وما أن يصل الماء إلى لاودكية، حتى يصبح فاتراً مثل الفتور الروحي الذي وصّفهم به المسيح. يُقدّم يسوع نفسه لهذه الكنيسة بأنّه "الشاهد الأمين والصادق والخالق" القادر أن يُنقذ مؤمني هذه الكنيسة من كونهم فاترين وغير حارين بالروح، غير قادرين أن يروا أنّهم فقراء وعُمي كي يميزوا شقائهم.

يُشير عليهم يسوع أن يشتروا منه ثلاثة أشياء: ١- ذهباً مصقّى بالنار لكي تستغني، وقد عرّف بطرس هذا الذهب بالإيمان الحقيقي (١ بطرس ١: ٧). ٢- وثياباً بيضاء ترمز إلى الخلاص كما جاء في (إشعياء ٦١: ١٠). ٣- كحلّ لعينهم كي يُبصروا، وقد صلى بولس من أجل المؤمنين في (أفسس ١: ١٧-١٨) ولنا "كي تستنير أذهانهم ليعلموا دعوة المسيح لهم وغنى مجده" كانوا بحاجة لتأثير الروح القدس، كي يروا حالتهم الروحية ويتخلّوا عن كبريائهم، ومحبة النفس كي يحصلوا على غنى المسيح.

عزيزي، يسوع واقفٌ على باب قلبك يطلب منك أن تفتح له الباب كي يدخل إليه لتكون لك معه شركة حيّة في أمجاده السّماوية عن قريب. فكن حاراً في إيمانك، وكُن غيوراً وتُب، كي تغلب كما غلب فاديك وتنال منه إكليل البر إذ تجلس معه في عرشه.

الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي

"قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي."

(رؤيا ٤ : ٨)

بَعْدَ أَنْ انْتَهَى يُوْحَنَّا مِنْ كِتَابَةِ الرِّسَالِ لِلْكُنَائِسِ السَّبْعَةِ، وَمَعَ بَدَايَةِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْ سِفْرِ الرُّؤْيَا، رَأَى أَبَاً مَفْتُوحاً فِي السَّمَاءِ، وَسَمِعَ صَوْتاً كَصَوْتِ الْبُوقِ دَعَاهُ لِيَصْعَدَ فِي رُؤْيَا لِيُشَاهِدَ "مَا لَا بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هَذَا". وَلِلْوَقْتِ صَارَ فِي الرُّوحِ، لِيرَى عَرْشاً مَوْضُوعاً فِي السَّمَاءِ، وَرَأَى الْجَالِسَ عَلَى الْعَرْشِ بِمَجْدِهِ وَجَمَالِهِ، وَسَطَ تَسَابِيحِ الْمُحِيطِينَ بِعَرْشِهِ الْبَهِيِّ. نَرَى فِي هَذَا الْأَصْحَاحِ تَحَوُّلاً مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ، إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي سَتَحْدُثُ مُسْتَقْبَلاً فِي بَاقِي أَجْزَاءِ الرُّؤْيَا. هُنَيْئاً لَنَا إِذْ نُنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تُرَى لِأَنَّهَا أَبَدِيَّةٌ.

فِي رُؤْيَا مُشَابِهَةٍ نَجِدُ فِي دَانِيَالِ ٧ : ٩ مَا رَأَاهُ إِذْ وُضِعَتْ عُرُوشُ وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الْيَّامَ شَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ لِبَنِيٍّ وَعَرْشُهُ لَهِيْبٌ نَارٌ. كَمَا شَاهَدَ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ أَيْضاً، إِشْعِيَاءُ وَمِيخَا وَحَزَقِيَالُ إِلَى جَانِبِ اسْتَفَانُوسَ قَبْلَ اسْتَشْهَادِهِ وَالرَّسُولِ بُولَسَ. رَأَى إِشْعِيَاءُ ٦-٥ رُؤْيَا السَّيِّدِ جَالِساً عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ مَعَ السَّرَافِيمِ وَاقِفِينَ فَوْقَهُ وَهَذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مَلَأَ كُلَّ الْأَرْضِ". كَانَ لِتِلْكَ الرُّؤْيَا تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ عَلَى إِشْعِيَاءَ بِحَيْثُ تَابَ، وَقَبِلَ دَعْوَةَ اللَّهِ لَهُ. يَرَى يُوْحَنَّا ٢٤ عَرْشاً يَجْلِسُ عَلَيْهَا ٢٤ شَيْخاً لَابِسِينَ ثِيَاباً بَيَاضاً وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ "يُرْمِزُ هَذَا الْعَدَدُ إِلَى شَعْبِ اللَّهِ عِبَرِ الْعُصُورِ ١٢ سِبْطاً لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَإِلَى ١٢ تَلْمِيذاً لِلْمَسِيحِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ". وَعَنْ قَرِيبٍ، سَنَمْلِكُ مَعَهُ حَسَبَ وَعْدِهِ. يَصِفُ يُوْحَنَّا رُوعَةَ الْمَجْدِ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا الْمَسِيحُ الْمَلِكُ، بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ يَشَبَ وَعَقِيقٍ، وَيُحِيطُ بِالْعَرْشِ قَوْسٌ فُزِحَ فِي الْمَنْظَرِ شَبُهَ الزُّمُرَّدِ كَمُذَكِّرٍ لِلنَّاسِ لِعَهْدِ اللَّهِ، وَوَعْدِهِ مَعَهُمْ بَعْدَ الطُّوفَانِ. ثِقْ عَزِيزِي بِاللَّهِ، لِأَنَّهُ صَادِقٌ فِي وَعُودِهِ، وَأَمِينٌ فِي تَطْبِيقِهَا مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ.

تَذَكَّرْنَا الْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ وَالْأَصْوَاتَ الْخَارِجَةَ مِنَ الْعَرْشِ، بِمَا حَدَّثَ عِنْدَمَا نَزَلَ اللَّهُ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ، فَصَارَ الْجَبَلُ يَدْخُنُ وَيَرْتَجِفُ مِنْ هَيْبَةِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ. أَمَّا السَّبْعَةُ الْمَصَابِيحُ الْمُتَقَدَّةُ، وَسَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ، فَتُرْمِزُ إِلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي يَبْحَثُ عَنْ نَفُوسٍ تَتَوَقَّعُ لِقَائِهِ. ثُمَّ رَأَى يُوْحَنَّا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ ٤ كَائِنَاتٍ تَكْسُوها عِيُونٌ مِنَ الْأَمَامِ وَمِنْ الْخَلْفِ تُشَبِّهُ الْأَسَدَ وَالْعَجَلَ وَالثَّالِثَ مِثْلَ وَجْهِ إِنْسَانٍ وَالرَّابِعَ يُشَبِّهُ النَّسْرَ الطَائِرَ، وَكَانَ لِكُلِّ كَائِنٍ مِنْهَا سِتَّةُ أَجْنَحَةٍ.

وَقَدْ اتَّفَقَ اللَّاهُوتِيُّونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتَ تُرْمِزُ إِلَى تَرْكِيزِ كِتَابِ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى جَانِبِ مُمَيِّزٍ مِنْ شَخْصِيَّةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ. يُتَابَعُ الرَّائِي يُوْحَنَّا وَصَفَ مَا يَحْدُثُ عِنْدَ عَرْشِ اللَّهِ، حَيْثُ الْكَائِنَاتُ الْأَرْبَعَةُ لَا تَزَالُ نَهَاراً وَلَيْلاً قَائِلَةً "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي".

أَوَّلُ كَائِنٍ لَاحَظَهُ يُوْحَنَّا فِي غُرْفَةِ الْعَرْشِ، كَانَ اللَّهُ الْآبُ جَالِساً عَلَى عَرْشِهِ، الَّذِي تَلِيْقُ بِهِ عِبَادَةُ الْكَائِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ. الْكَائِنُ الثَّانِي كَانَ الرُّوحُ الْقُدُسُ الْأَقْنُومُ الثَّانِي مِنَ الثَّلَاثِ الْأَقْدَسِ. يَظْهَرُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فِي رُؤْيَا هَ بِكَوْنِهِ الْمُسْتَحَقُّ أَنْ يَفْتَحَ السَّفَرَ وَيَفْكُ خُتْمَهُ. إِنْ تَكَرَّرَ كَلِمَةُ "قُدُّوسٌ" ٣ مَرَّاتٍ يُرَكِّزُ عَلَى قِدَاسَةِ اللَّهِ، وَعَظَمَتِهِ، فِي الْمَاضِي، وَالْحَاضِرِ، وَالْمُسْتَقْبَلِ. تُخْبِرُنَا كَلِمَةُ اللَّهِ "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ" (عِبْرَانِيِّينَ ١٣ : ٨).

لَمْ لَا نَنْضَمْ إِلَى الْجَوْقَةِ السَّمَاوِيَّةِ فِي تَسْبِيحِ الثَّلَاثِ الْأَقْدَسِ- الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ- فِي قِدَاسَتِهِ اللَّامْحُدُودَةِ وَأَزَلِيَّةِ وُجُودِهِ، حَيْثُ هُوَ الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي سَيَأْتِي. وَعَنْ الْمَجْدِ الَّذِي يَنْتَظِرُنَا فِي السَّمَاءِ كَتَبَ بُولَسَ "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١ كُورِنْثُوسَ ٢ : ٩).

هُنَيْئاً لِلْمُسْتَعْدِينَ لِاسْتِقْبَالِ رَبِّ الْمَجْدِ وَالتَّرحيبِ بِعُودَتِهِ عَنْ قَرِيبٍ. لَهُ التَّسْبِيحُ الدَّائِمُ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

البداية والنهاية

"أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ" يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. (رؤيا ١: ٨)

يُعَرِّفُ الرَّائِي يُوحَنَّا مُخَلِّصَهُ يَسُوعَ "بِالْأَلِفِ وَالْيَاءِ"، وَالتَّركِيزُ هُنَا هُوَ عَلَى أَرْلِيَّةِ الْمَسِيحِ بِكَوْنِهِ "الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ". وَيُؤَكِّدُ أَبْدِيَّتَهُ إِلَى كَنِيسَةِ سَمِيرْنَا بِقَوْلِهِ "الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ" (رؤيا ٢: ٨). فَهُوَ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي. أَمَّا لَقَبُهُ "الرَّبُّ الْكَائِنُ"، فَيُذَكِّرُنَا أَنَّهُ إِلَهِنَا الْمُسْتَحَقُّ عِبَادَتِنَا إِذْ هُوَ مَوْجُودٌ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ. "هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، فَهُوَ خَالِقُ الْكُلِّ". (يوحنا ١: ٣-٢). إِنَّهُ كُلِّي الْقُوَّةُ قَادِرٌ أَنْ يُبِيدَ أَعْدَائَهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَلَا شَيْءٍ يُصْعَبُ عَلَيْهِ. مَا أَرُوعَ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى إِلَهِنَا الْقَدِيرِ، وَنَتَّقَ فِي مَعُونَتِهِ.

عندما نَدْرُسُ صفاتِ اللَّهِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِأَرْلِيَّتِهِ نَقْرَأُ "أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ". إِذْ ظَهَرَ اللَّهُ لِمُوسَى مِنَ الْعُلْيَقَةِ الْمُتَقَدَّةِ سَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ، فَأَجَابَهُ الْخَالِقُ "أَهْيَهُ الَّذِي أَهْيَهُ". (ومعناه أَنَا الَّذِي هُوَ أَنَا، أَوِ الْكَائِنُ الدَّائِمُ) وَقَالَ: "هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ" (خروج ٣: ١٣). إِذْ وَصَلَ يَهُوذَا الْأَسْخَرِيُوطِي لَتَسْلِيمِ الْمَسِيحِ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْجُنُودِ وَالْكَهَنَةِ، سَأَلَهُمْ يَسُوعَ "مَنْ تَطْلُبُونَ" أَجَابَهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَنَا هُوَ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ "إِنِّي أَنَا هُوَ رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ". (يوحنا ١٨: ٤-٦). إِذْ أَشْرَقَ وَجْهُ الْمُخَلِّصِ بِنُورٍ سَمَاوِيٍّ، فَأَمَامَ هَذَا الْمَجْدِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَقِفُوا، فَتَرَجَعُوا وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَوْتَى.

وَاحِدَةً مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُمَيِّزُ اللَّهَ عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ -لَهُ الْمَجْدُ- بِطَبِيعَةِ أَبْدِيَّةٍ، إِذْ هُوَ يَتَعَدَّى كُلَّ مَحْدُودِيَّاتِ الْوَقْتِ، فَهُوَ خَالِقُ الزَّمَنِ، إِذْ لَيْسَ لَهُ بَدَايَةٌ أَوْ نِهَايَةٌ، مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ ذَلِكَ بِالتَّامِّ. يَبْدَأُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِالْآيَةِ الْمَعْرُوفَةِ "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (تكوين ١: ١). وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ أَنْ بَرَزَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَى الْوُجُودِ، نَجِدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي الْعَدِيدِ مِنْ آيَاتِ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ مِثْلَ مَزْمُورِ ٩٠: ٢ "مَنْ قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ الْجِبَالُ، أَوْ أَبْدَأَتِ الْأَرْضُ وَالْمَسْكُونَةُ، مُنْذُ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ". كَمَا أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ نِهَايَةٌ كَمَا يُؤَكِّدُ مَزْمُورِ ١٠٢: ٢٧ "وَأَنْتَ هُوَ وَسُنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ". مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا مِنْ إِلَهٍ.

صِفَةُ أُخْرَى لِأَرْلِيَّةِ مُخَلِّصِنَا الْحَبِيبِ أَنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ، كَمَا تَقُولُ الرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ١٣: ٨ "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ". كَذَلِكَ مَقَاصِدُهُ أَيْضًا لَا تَتَغَيَّرُ كَمَا نَقْرَأُ فِي مَزْمُورِ ٣٣: ١١ "أَمَّا مَقَاصِدُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ، وَأَفْكَارُ قَلْبِهِ تَدَوُّمٌ مَدَى الدُّهُورِ" (التَّرْجُمَةُ التَّفْسِيرِيَّة). وَلَا عَجَبَ، أَنَّ خِطَّةَ الْخِلَاصِ قَدْ أُعِدَّتْ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَبَقِيَ مُتَمَسِّكًا بِهَا لِلنَّهَايَةِ. أَلَا يَجْعَلُكَ هَذَا أَيُّهَا الْآبُ مَصْدَرُ ثِقَتِنَا بِالْكَامِلِ؟

يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ اللَّهُ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ، حَيْثُ أَنَّ صِفَاتِ وَأَسْمَاءَ اللَّهِ تَنْطَبِقُ عَلَى الْمَسِيحِ. فَقَالَ إِسْعْيَا ٩: ٦ نَقْرَأُ "لأنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَّاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ".

فَيَسُوعُ أَبَدِيٌّ، مَوْجُودٌ فِي وَسْطِنَا، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَبَاقٍ لَا يَتَغَيَّرُ. يَسُوعُ الْمَسِيحُ مُسَاوٍ لِلَّهِ الْآبِ وَالرُّوحُ الْقُدُّوسُ، وَهَذَا وَاضِحٌ عِنْدَ الْمَعْمُودِيَّةِ حَسَبَ أَمْرِ الْمُخَلِّصِ "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ" (مَتَّى ٢٨: ١٩).

الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي نَعْرِفُ بِهَا اللَّهَ الْقَدِيرَ وَالْأَبَدِيَّ، وَالَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ - هِيَ أَنْ نَعْرِفَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ. هَلْ قَابِلَتُهُ عَزِيزِي عَلَى دَرْبِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَأَمْنَتِ بِهِ، وَدَخَلَتْ فِي عِلَاقَةِ خِلَاصِيَّةٍ مَعَهُ؟ يَسُوعُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ يَقَرُّ مَصِيرَكَ الْأَبَدِيَّ. اقْبَلْهُ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّهُ يَسُوعُ اللَّهُ الْقَدِيرُ، الْأَبَدِيُّ، الْمَوْجُودُ مَعَكَ حَسَبَ وَعْدِهِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. وَعَنْ قَرِيبٍ، سَيُرْحَبُ بِكَ إِلَى بَيْتِكَ السَّمَاوِيِّ مَعَ جَمِيعِ الْمَفْدِيِّينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْقُدِّيسِينَ.

لا يكون زمان بعد

"وَأَقْسَمَ بِالْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا وَالْبَحْرَ وَمَا فِيهِ: أَنْ لَا يَكُونَ زَمَانٌ بَعْدُ!" (رؤيا ١٠: ٦)

نجد في الأصحاح العاشر من سفر الرؤيا وقفة ما بين البوقين السادس والسابع. زمن هذه الوقفة كان حوالي سنة ١٨٤٠ م حيث بدأت يقظة روحية عظيمة في العالم، في نفس الفترة، تقشّى الإلحاد في العالم، حيث أعد الطريق للبوق السابع والدينونة الأخيرة. لهذه الوقفة هدفان: ١- لوصف حالة شعب الله خلال زمن النهاية. ٢- كما تصفُ مُرسلية شعب الله في ذلك الزمن. رأى يوحنا في بداية الأصحاح العاشر ملاكاً قوياً نازلاً من السماء مُتسربلاً بسحابة، وعلى رأسه قوس قزح، ووجهه كالشمس حاملاً سفراً صغيراً.

نرى نفس هذا الوصف ليسوع في رؤيا ١٣: ١٦-١٧ وحسب إجماع اللاهوتيين كان ذاك الملاك الجبار هو المسيح. نفس قوس القزح رمزاً لعهد المحبة، والسحابة دليل ألوهيته. كما لاحظنا الغيوم والمجد تطللان جبل سيناء عند نزول الله عليه. يقف هذا الملاك العظيم على البحر والأرض مما يدل على أن رسالته تشمل العالم كله. كانت الرسالة التي يحملها "في سفر صغير مفتوح". وحقبة بأن السفر كان "مفتوحاً" تشير بأنه كان مغلقاً من قبل. لقد أغلق سفر دانيال النبي وختم لوقت النهاية بأمر من الله. "فجاء إلى حيث وقفت، ولما جاء خفت وخرت على وجهي. فقال لي: "افهم يا ابن آدم. إن الرؤيا لوقت المنتهى" (دانيال ٨: ١٧).

السفر الصغير المفتوح الذي كان يحمله بيده له علاقة بالسفر المختوم بسبعة ختم في رؤيا ٥، والذي استطاع يسوع أن يفتح ختمه. يحتوي هذا السفر الصغير على وصف لوقت النهاية، واختبار شعب الله في آخر الأيام، كما هو مكتوب في رؤيا ١٢-٢٢. لقد أوضح المسيح هذه الأمور لشعبه بواسطة ملاكه ليحضرهم لما سيأتي في نهاية تاريخ العالم. لقد ذاع رسالته وصرخ بصوت عظيم كما يرمجر الأسد. يوضح هذا أن بشارة الملاك هي من الله، لأنها رسالة خاصة لشعبه. في مزمور ٢٩: ٣-٩ نجد أن صوت الله يُشار إليه بالرعد.

كان يوحنا على وشك كتابة ما قالته الرعود، لكن أمر الله له كان "اختتم على ما تكلمت به الرعود السبعة ولا تكتبه". (رؤيا ١٠: ٤). كل نبوءة نافعة لخلاص البشرية ظهرت في الكلمة النبوية. وهي ما كتبه يوحنا في رؤيا ١٢-٢٢، كي يعرف شعب الله ما سيأتي به المستقبل. لم يُسمح للرأي يوحنا أن يكتب ما سمعه، حتى عندما ندرس أحداث النهاية لا نتكهن بما لم يُوح به الله. ها الملاك الواقف على الأرض والبحر يرفع يده اليمنى نحو السماء، وبصوت عظيم يحلف بالأبدي خالق السماوات والأرض وكل ما فيهما "أن لا يكون زمان بعد". وفي أيام صوت الملاك السابع سيكمل سر الله ويعلنه لعبيده الأنبياء.

هناك تشابه ما بين رؤيا ١٠ ودانيال ١٢، غير أن دانيال يتكلم عن نبوءة ١٢٦٠ سنة واجه المؤمنون بالمسيح خلالها اضطهاداً على يد قوى "ضد المسيح" والذي انتهى بقيام الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨ م، بعد هذا الحدث سيأتي زمن النهاية، والذي فيه يجب أن يصبر شعب الله بانتظار عودة المحبوب يسوع. يتكلم دانيال ١٢ عن وقت النهاية حين يحدث زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة يتساءل دانيال "يا سيدي ما هي آخر هذه" فقال له "اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية" (دانيال ١٢: ٨-٩).

في رؤيا ١٠: ٨-١١ نقرأ ما قاله الملاك عن السفر الصغير الذي متى أكله فسيجعل جوفه مرراً، ولكن في فمه سيكون حلو كالعسل. يمثل هذا اختبار المؤمنين الذين أصيبوا بخيبة أمل عندما لم يأت المسيح سنة ١٨٤٤ لكنه دخل إلى قدس الأقداس السماوية، مبتدئاً الدينونة الحقيقية قبل مجيئه ثانية. رجائي أن نكون جميعاً معه في أمجاده السماوية، حيث سنقضي الأبدية السعيدة بصحبته. له كل مجد وتسبيح مدى الأيام. آمين.

المَمْلَكَة الأَبَدِيَّة

قائلين "نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لِأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكَتْ." (رؤيا ١١: ١٧)

تبدأ هذه الآية تسبيحة شُكر على لسان الأربعة والعشرين شيخاً، الَّذِينَ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ لِعِبَادَةِ خَالِقِهِمْ. قائلين "نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ". فَعَلَّ الشُّكْرَ هَذَا نَرَاهُ فَقَطْ فِي سَفَرِ الرُّوْيَا، وَيَعْنِي دَوَامَ الشُّكْرِ. شَخْصِيَّةً هَذِهِ التَّسْبِيحَةُ هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، مَالِكُ الْكُلِّ، وَهُوَ يَمْلِكُ الْآنَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَسُلْطَانِ كَرَبِّ الْجَمِيعِ، وَاللَّهُ بِحَقِّ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فِي أَعْمَالِ خَلِيقَتِهِ، وَالْحِفَافِ عَلَيْهَا، وَفِي تَتْمِيمِ الْفِدَاءِ، الَّذِي أَقَامَ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ مُنْتَصِراً، حَيْثُ كُلُّ أَلْقَابِهِ تَلِيْقُ بِهِ بِالتَّامِّ، عِنْدَمَا تَظْهَرُ مَمْلَكَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ.

يَبْقَى ادْرَاكُنَا لِعَظَمَةِ اللَّهِ ذَا تَأْثِيرٍ عَلَى عِبَادَتِنَا. إِذْ نَرَاهُ مَصْدَرُ كُلِّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَمَوْهَبَةٍ تَامَّةٍ، كَمَا رَأَاهُ يَعْقُوبُ ١: ١٧، سَنُدرِكُ مَدَى امْتِنَانِنَا لِنِعْمَتِهِ وَلُطْفِهِ. وَبِالتَّالِي، نُعْطِيهِ شُكْرَ قَلْبِنَا الْعَمِيقِ. إِذْ نَرَى قُدْرَتَهُ، نَرَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَيْهِ، فَنُسَلِّمُ أَنْفُسَنَا لَهُ، حَاجَاتِنَا، وَكُلَّ تَجَرِبَةٍ نَتَعَرَّضُ لَهَا. وَحَيْثُ أَنَّهُ سَيِّدُ الْأَبَدِيَّةِ، سَنَتَوَقَّعُ لِقَاءَ الْأَبَدِيَّةِ مَعَهُ. كُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الرَّائِعَةِ، تَزْرَعُ فِي قُلُوبِنَا رُوحَ الْامْتِنَانِ الْعَظِيمِ لِمَسِيحِنَا الْقُدُّوسِ.

نَرَى فِي الْأَصْحَاحِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ سَفَرِ الرُّوْيَا تَشَابُهًا مَعَ صَلَاةِ الْمَسِيحِ قَبْلَ أَنْ يُقِيمَ لِعَازَرٍ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا ١١: ٤١ "وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقٍ، وَقَالَ: "أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمَعْتَ لِي". نَفْسُ تَسْبِيحَةِ الشُّكْرِ نَرَاهَا فِي الْمُنَاسَبَتَيْنِ. كَمَا نَرَى قِيَامَةَ لِعَازَرٍ وَفِي رُؤْيَا ١١ نَرَى تَسْبِيحَةَ ال ٢٤ شَيْخاً بَعْدَ قِيَامَةِ الشَّاهِدِينَ فَوْقَهَا عَلَى أَرْجُلِهِمَا. تَمَّ التَّرْكِيزُ فِي هَذِهِ التَّرْنِيمَةِ عَلَى اللَّهِ الْقَدِيرِ "الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي" الْخَالِقِ. لَقَدْ وَجَدَ قَبْلَ خَلِيقَتِهِ، وَحُضُورَهُ أَعْلَى مِنْ خَلِيقَتِهِ، حَيْثُ يَقُودُهَا. وَبِالْبَاقِي إِلَى الْأَبَدِ فِي حُكْمِ خَلِيقَتِهِ.

وَفِي كَوْنِهِ اللَّهُ الْقَدِيرُ، الْبَاقِي إِلَى الْأَبَدِ وَالَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ، نَرَاهُ عَظِيمَ فِي خِلَاصِهِ إِلَى التَّامِّ، وَفِي عُنَايَتِهِ بِشَعْبِهِ، بِكُمْ وَبِي. عَظِيمٌ فِي شَفَاعَتِهِ إِذْ هُوَ كَاهِنُنَا الْأَعْظَمُ السَّمَاوِيِّ، فَقَدْ وَضَعَ كُلَّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ، عَوْنُ لَشَعْبِهِ فِي الضِّيقاتِ، وَلَهُ اسْمُهُ فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، وَسَتَجِثُّ لَهُ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقٍ، وَعَلَى الْأَرْضِ مُعْتَرِفَةً بِاسْتِحْقَاقِهِ وَعِدَالَتِهِ أَمَامَ الْكَوْنِ بِأَسْرِهِ. كَمَا زَوَّدَ أَتْبَاعَهُ بِقُوَّةٍ مِنَ الْأَعَالِي لِيَكْرِزُوا بِإِنْجِيلِهِ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ، حَيْثُ جَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ قُوَاتٌ وَعَجَائِبٌ كَثِيرَةٌ.

وَيَخْتَمُ ال ٢٤ شَيْخاً تَسْبِيحَتَهُمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "لِأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكَتْ" رُؤْيَا ١١: ١٧ إِذْ صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى السَّمَاءِ، جَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْآبِ، وَزَوَّدَ أَتْبَاعَهُ بِقُوَّةِ رُوحِهِ الْقُدُّوسِ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ، حَيْثُ زَوَّدَهُمْ بِقُوَّةٍ بِحَيْثُ انْضَمَّ إِلَى الْكَنِيسَةِ ٣٠٠٠ شَخْصٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. سَيُمَارِسُ رَبُّ الْمَجْدُ قُوَّتَهُ الْعَظِيمَةَ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ، سَيَحْكُمُ كَمَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ، وَالْآنَ سَتَرَى عَظَمَةَ مَمْلَكَتِهِ تَحْتَ السَّمَاءِ حِينَ يَسْتَرِدُّ مُلْكُ الْكُلِّ. عَظِيمٌ أَنْتَ رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَجْدِ.

إِذْ نَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَنَعِيشُ فِي الْحَاضِرِ، وَنَنْظُرُ إِلَى الْمَاضِي، نَتَوَقَّعُ أَيْضاً رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، حَيْثُ نَعِيشُ لِحِظَةً بِلِحْظَةٍ بِوَحْيِ هَذِهِ الرُّوْيَا، وَإِذْ نَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ، نَتَعَلَّمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَظْهَرَهَا اللَّهُ لَنَا. وَفِي صِرَاعِنَا الْيَوْمِيِّ مَعَ قُوَى الشَّرِّ، نَسْمَعُ صَرْخَةَ يَسُوعَ عَلَى الصَّلِيبِ "قَدْ اكْمَلْ". لَقَدْ قَهَرَ إِبْلِيسُ الَّذِي صَارَ بَعْدَ قِيَامَتِهِ عَدُوًّا مَهْزُومًا.

إِلَهِي الْمَجِيدِ وَالْقَدِيرِ، أَتَيْتَ لِإِتْقَادِ خَلِيقَتِكَ فِي شَخْصِ يَسُوعَ ابْنِ الْإِنْسَانِ، صَرْتَ وَاحِداً مَنَّا لِتُخَلِّصَنَا وَتَفْتَدِينَا. كَيْفَ سَنَتَوَقَّفُ عَنْ تَقْدِيمِ الشُّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ، لِمَا قَدَّمْتَهُ لَنَا؟ عَظِيمَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا. لَكَ الْقُوَّةُ وَالسُّلْطَانُ يَا إِلَهِي الْبَارِ وَالْقُدُّوسِ. أَعْنِي أَنْ أَرَكَ إِذْ تَأْتِي ثَانِيَةً بِمَجْدٍ عَظِيمٍ.

قياس هيكل الله

"ثُمَّ أُعْطِيتُ قَصَبَةً شَبَهُ عَصَا، وَوَقَفَ الْمَلَكُ قَائِلًا لِي: "قُمْ وَقِسْ هَيْكَلَ اللَّهِ وَالْمَذْبَحَ وَالسَّاجِدِينَ فِيهِ" (رؤيا ١١: ١)

يُعطينا هذا الأصحاح فهماً أوسع عن كيفية انتشار إنجيل المسيح الأبدي لكل "شُعُوبٍ وَأُمَمٍ وَالسَّنَةِ وَمُلُوكٍ كَثِيرِينَ". (رؤيا ١٠: ١١). كما نرى أيضاً إعادة تجديد رسالة "المقدس" - وَخِدْمَاتِهِ فِي سِيَاقِ الدِّينُونَةِ - الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الْبَشَارَةِ الْنَهَائِيَّةِ. تَشْمُلُ رِسَالَةُ الْمَقْدَسِ ثَلَاثَةَ مَرَحِلٍ: تَزْوِيدُ الدَّيْبِيحَةِ لِلخَلَاصِ، الدِّينُونَةُ الْنَهَائِيَّةُ لِمُسْكَلَةِ الْخَطِيئَةِ، وَاسْتِعْدَادُ شَعْبِ اللَّهِ لِمَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً. بَعْدَ أَنْ أُعْطِيَ يُوْحَنَّا قَصَبَةً شَبَهُ عَصَا، أَخْبَرَهُ الْمَلَكُ قَائِلًا "قُمْ وَقِسْ هَيْكَلَ اللَّهِ وَالْمَذْبَحَ وَالسَّاجِدِينَ فِيهِ". قَبْلَ قُرُونٍ مَضَتْ، رَأَى حَزَقِيَال (٤٠ - ٤٣) فِي رُؤْيَا كَائِنٍ سَمَاوِيٍّ قَاسَ الْهَيْكَلَ وَمَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ. كَانَ الْهَدَفُ مِنَ الْقِيَاسِ هُوَ تَجْدِيدُ الْهَيْكَلِ عَلَى الْأَرْضِ، الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا، فِي مُحَاوَلَةٍ لِتَأْكِيدِ اسْتِرْدَادِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَعْبِهِ قَدِيمًا. نُعْطِينَا رُؤْيَا حَزَقِيَالِ صُورَةً عَنْ مَعْنَى قِيَاسِ الْهَيْكَلِ فِي زَمَنِ يُوْحَنَّا. اسْتَعْمَلَ الْهَيْكَلُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ كَرَمَزٌ لِلْكَنِيسَةِ (٢ كورنثوس ٦: ١٦). مَعَ ذَلِكَ، فَهَذَا الْمَقْهُومُ لَا يَتِمَاشَى مَعَ سِيَاقِ مَا رَأَى يُوْحَنَّا، لِأَنَّ الْعَابِدِينَ لَا يُصَوِّرُونَ كَهَيْكَلًا، بَلْ كَعَابِدِينَ فِي الْهَيْكَلِ. وَلَا يُشِيرُ إِلَى هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ الَّذِي دَمَرَهُ الرُّومَانُ سَنَةَ ٧٠م.

الْهَيْكَلُ الْمَقْصُودُ هُنَا، هُوَ الْهَيْكَلُ فِي السَّمَاءِ، الَّذِي نَشَاطَاتُهُ تَحْتُلُّ أَجْزَاءَ رِئِيسَةِ مِنَ سَفَرِ الرُّؤْيَا. يَسْتَعْمَلُ الْحَبِيبُ يُوْحَنَّا صُورَةَ الْمَقْدَسِ الْأَرْضِيِّ وَالْهَيْكَلِ، لِيُشِيرَ إِلَى الْهَيْكَلِ السَّمَاوِيِّ وَالْآثَاتِ الْمَوْجُودِ فِيهِ. فَعَمَلُ قِيَاسِ الْهَيْكَلِ مَعَ الْمَذْبَحِ وَالْعَابِدِينَ - هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ - كَانُوا يُذَكِّرُونَ مَعًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ فِي سِيَاقِ "يَوْمِ الْكَفَّارَةِ" (لَاوِين ١٦: ١٦ - ١٩)، الَّذِي كَانَ يُعْتَبَرُ أَقْدَسَ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ ضَمَّنَ الْأَعْيَادِ الدِّينِيَّةِ. كَانَ يَوْمُ "قِيَاسِ" أَيْ "دِينُونَةِ" عِنْدَمَا تَعَامَلُ اللَّهُ مَعَ خَطَايَا شَعْبِهِ. وَفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ كَانَ يَوْمُ الْقِيَاسِ يُشِيرُ إِلَى الدِّينُونَةِ الْنَهَائِيَّةِ.

الْقَصْدُ مِنَ الدِّينُونَةِ، هُوَ تَقْرِيرُ مَنْ الَّذِينَ يَخْدُمُونَ اللَّهَ، وَمَنْ لَا يَخْدُمُونَهُ. تَأْخُذُ هَذِهِ الدِّينُونَةُ مَجْرَاهَا قَبْلَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْأَبْرَارَ أَجْرَهُمْ وَالْأَشْرَارَ دِينُونَتَهُمْ. فَقِيَاسُ الْهَيْكَلِ يُشِيرُ إِلَى الدِّينُونَةِ الَّتِي تَسْبِقُ رُجُوعَ فَادِينَا الْحَبِيبِ، وَهِيَ تَخُصُّ شَعْبَ اللَّهِ - الْعَابِدِينَ فِي الْهَيْكَلِ. هَذَا الْقِيَاسُ يُوَازِي خَتَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ فِي رُؤْيَا ٧: ١ - ٤، وَالَّذِي يُعَرِّفُ مَنْ سَيُخْتَمُ - أَيْ الْمُتَمَتِّعِينَ بِاللَّهِ وَالْأَمْنَاءِ لَهُ. هَكَذَا نَرَى أَنَّ تَجْدِيدَ الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ هُوَ جُزْءٌ أَسَاسِيٌّ مِنَ الْبَشَارَةِ الْنَهَائِيَّةِ لِلْإِنْجِيلِ. لِذَا، فَإِنَّ تَجْدِيدَ الْمَقْدَسِ لَهُ أَهْمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِسُلْطَانِ اللَّهِ. فَالْقَصْدُ مِنَ رِسَالَةِ الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ، هُوَ أَنْ يُنْصَفَ صِفَاتُ اللَّهِ أَمَامَ الْكُلِّ جَمِيعًا، وَيُعِيدَ اسْتِحْقَاقَهُ لِيَكُونَ حَاكِمَ الْكُلِّ. يُتَابَعُ الرَّائِي يُوْحَنَّا طَلَبَ الْمَلَكِ مِنْهُ فِي رُؤْيَا ١١: ٢ "وَأَمَّا الدَّارُ الَّتِي هِيَ خَارِجُ الْهَيْكَلِ، فَاطْرَحْهَا خَارِجًا وَلَا تَقْسُهَا، لِأَنَّهَا قَدْ أُعْطِيتُ لِلْأُمَمِ، وَسَيَدُوسُونَ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا". كَانَتِ الدَّارُ الْخَارِجِيَّةُ هِيَ مَكَانٌ يَسْتَطِيعُ الْأُمَمُ الْمَجِيءُ إِلَيْهِ، لَكِنْ لَمْ يَسْمَحْ لَهُمْ بِدُخُولِ السَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَمَنْ يَجْرُؤُ مِنْهُمْ عَلَى الدُّخُولِ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ.

فِي لَوْقَا ٢١: ٢٤ يَجْعَلُ يَسُوعُ كَوْنُ أُورُشَلِيمَ مَدُوسَةً مِنَ الْأُمَمِ، كَرَمَزٌ لِضَيْقِ شَعْبِ اللَّهِ عَلَى يَدِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَالْإِنْجِيلِ خِلَالِ فِتْرَةٍ ٤٢ شَهْرًا أَيْ ١٢٦٠ سَنَةً مِنْ ٥٣٨ - ١٧٩٨مَ حَيْثُ قَامَتِ الثَّوْرَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ بِوَضْعِ نَهَايَةِ لِهَذَا الضَّيْقِ عَلَى أَنْ يَتَجَدَّدَ فِي آيَامِنَا الْآخِرَةِ.

أَعْزَائِي، عَنْ قَرِيبٍ سَيَنْتَهِي الصِّرَاحُ الْعَظِيمُ، أَنْتُمْ وَأَنَا هَيْكَلُ اللَّهِ الْحَيِّ، وَقَدْ وَعَدَ مَسِيحُنَا أَنْ يَسْكُنَ بَيْنَنَا، وَيَكُونُ لَنَا إِلَهًا وَنَحْنُ شَعْبُهُ.

أَمْلِي أَنْ تُقَوِّيَ عِلَاقَتَنَا بِفَادِي نَفْسِنَا الْقُدُّوسِ، كَيْ نَكُونَ أَهْلًا لِلْعَيْشِ مَعَهُ عَنْ قَرِيبٍ. سَتَعُودُ أُورُشَلِيمُ السَّمَاوِيَّةُ مَوْطِنَنَا الْأَبَدِيَّ، وَنَعِيشُ بِصُحْبَةِ الْمَفْدِيِّينَ مَدَى أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ السَّعِيدَةِ. لِنَعَزِمِ بِنِعْمَةٍ مُخْلَصِنَا أَنْ نَلْتَقِيَ جَمِيعًا هُنَاكَ حَوْلَ عَرْشِ الْمَجِيدِ الْحَبِيبِ.

أَحْيَاءُ شَاهِدِي اللَّهِ

"ثُمَّ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ وَالنِّصْفِ، دَخَلَ فِيهِمَا رُوحُ حَيَاةٍ مِنَ اللَّهِ، فَوَقَفَا عَلَى أَرْجُلِهِمَا. وَوَقَعَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَهُمَا." (رؤيا ١١: ١١)

تُلْقِي رُؤْيَا ١١: ٤ الضَّوءَ عَلَى الشَّاهِدِينَ فَتَقُولُ "هَذَانِ هُمَا الرِّبِّيُّونَتَانِ وَالْمَنَارَتَانِ الْقَائِمَتَانِ أَمَامَ رَبِّ الْأَرْضِ" وَفِي زَكْرِيَّا ١١: ٤-١٤ نَرَى أَنَّ الرِّبِّيُّونَتَانِ تُمَثِّلَانِ كَلِمَةَ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ نُورٌ. لَكِنَّ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ إِلَى جَانِبِ كَوْنِهَا نُورٌ، فَهِيَ أَيْضًا تَشْهَدُ لِنِعْمَةِ اللَّهِ. قَالَ يَسُوعُ "بِأَنَّ الْكُتُبَ تَشْهَدُ لَهُ" (يُوحَنَّا ٥: ٣٩)، وَيَقُولُ أَيْضًا بِأَنَّ "بِشَارَةَ الْمَلَكُوتِ سَيُكْرَزُ بِهَا شَهَادَةً لْجَمِيعِ الْأُمَمِ" (مَتَّى ٢٤: ١٤).

تَوْضُحُ السَّيِّدَةِ هَوَايَتِ مَفْهُومِ الشَّاهِدِينَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "فَالشَّاهِدَانِ يَرْمُزَانِ إِلَى كُتُبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ. فَكِلَاهُمَا شَهَادَةٌ هَامَّةٌ لِأَصْلِ شَرِيعَةِ اللَّهِ وَدَوَامِهَا. وَكِلَاهُمَا يَشْهَدَانِ لِتَدْبِيرِ الْخَلَاصِ. فَرَمُوزُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَذَبَائِحِهِ وَنُبُوءَاتِهِ تُشِيرُ إِلَى مُخْلَصٍ آتٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَأَنَا جِيلُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَرِسَائِلُهُ تُخْبِرُنَا عَنْ مُخْلَصٍ قَدْ آتَى بِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا الَّتِي أُنْبِئَ بِهَا عَنْهُ بِوَسْطَةِ الرَّمُوزِ وَالنُّبُوءَاتِ" (رُوحُ النُّبُوءَةِ، الصِّرَاعُ الْعَظِيمُ، صَفْحَةُ ٢٩٨).

تَذَكُّرُ النُّبُوءَةِ عَنِ الشَّاهِدِينَ أَنَّهُمَا لِابْسِينَ مُسَوَّحَا (رُؤْيَا ١١: ٣) وَهَذَا رَمَزٌ لِلنُّوحِ وَالْحُزْنِ. وَقَدْ تَمَّ اسْكَاةُ الْعَهْدِينَ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ عَنْ طَرِيقِ تَغْلُغْلِ الْإِرْتِدَادِ دَاخِلَ الْكَنِيسَةِ، وَفِيمَا بَعْدَ الْهُجُومِ عَلَى الْكَنِيسَةِ، بِوَسْطَةِ أَعْدَاءِ الْإِيمَانِ الطَّاهِرِ. لَكِنَّ كَانَ لِكُلِّ "شَاهِدٍ" نَفْسَ الشَّهَادَةِ بِأَنَّ مَعَ انْتِهَاءِ نُبُوءَةِ ١٢٦٠ سَنَةٍ (٣ سِنِينَ وَنِصْفٍ) سَتَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْأَسْفَارُ الْمُقَدَّسَةُ بِقُوَّةٍ جَدِيدَةٍ. كَانَ لِلشَّاهِدَانِ قُوَّةٌ لَغَلْقِ السَّمَاءِ كَمَا صَلَّى إِبِلْيَا أَلَا يَكُونُ مَطَرٌ لثَلَاثَ سِنِينَ وَنِصْفٍ، وَهَكَذَا كَانَ. لِنَتَذَكَّرِ أَعْزَائِي أَنَّ فِتْرَةَ ثَلَاثِ سِنِينَ وَنِصْفٍ تُسَاوِي نُبُوءَةَ ١٢٦٠ سَنَةٍ.

فِي رُؤْيَا ١١: ٧-٨ نَقَرْنَا عَنِ الْوَحْشِ الصَّاعِدِ مِنَ الْهَآوِيَةِ، قَدْ صَنَعَ حَرْبًا مَعَ الشَّاهِدِينَ (الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ) وَقَتْلَهُمَا "وَتَكُونُ جُثَّتَاهُمَا عَلَى شَارِعِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُدْعَى رُوحِيًّا سَدُومَ وَمَصْرَ، حَيْثُ صُلِبَ رَبُّنَا أَيْضًا". تَرْمِزُ "الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ" إِلَى كُلِّ الْمَدُنِ وَالْقَوَى الَّتِي قَاوَمَتِ إِرَادَةَ اللَّهِ، وَانْتَشَرَ فِيهَا الشَّرُّ وَالْإِنْحِطَاطُ الْخُلُقِيُّ وَالْعَصْيَانُ، مِثْلَ أُورُشَلِيمَ الَّتِي رَفَضَتْ مُخْلَصَهَا وَقَتْلَتْهُ، هَكَذَا هَذِهِ الْقَوَى سَتُحَارِبُ الْكَنِيسَةَ وَالْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ.

عِنْدَمَا تَحْدَى فِرْعَوْنُ مَصْرَ إِلَهَ السَّمَاءِ، حَوَّلَ لَهُ الْمَجْدَ أَنْهَارَ مَصْرَ إِلَى دَمٍ، بِالْمُقَابِلِ فَإِنَّ الضَّرْبَةَ الثَّلَاثَةَ مِنَ الضَّرَبَاتِ السَّبْعِ الْأَخِيرَةِ فِي رُؤْيَا ١٦: ٤ سَتُحَوَّلُ الْمَاءُ إِلَى دَمٍ. نَفْسُ التَّحْدِي نَجْدُهُ بَعْدَ الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ حِينَ مُنِعَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ وَتَحَوَّلَتْ بَارِيسُ إِلَى سَدُومَ جَدِيدَةٍ مَعَ تَظَاهُرَاتٍ ضِدَّ شَخْصِ الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ. وَمَا أَنَّ انْتَهَتْ فِتْرَةُ الثَّلَاثِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ قَمْعِ الْكَنِيسَةِ وَكَلِمَةِ اللَّهِ مِنْ تَشْرِينِ الثَّانِي ١٧٩٣ م - حُزْرِيَانِ ١٧٩٧ م حَتَّى قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الشَّاهِدِينَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مَحَلَّ تَكْرِيمٍ كَدُسْتُورِ إِيْمَانِ الْعَالَمِ الْبُرُوسْطَنْتِي.

وَمَا أَنَّ انْتَهَتْ الثَّوْرَةُ الْفَرَنْسِيَّةِ، حَتَّى تَأَسَّسَتْ جَمْعِيَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْبَرِيطَانِيَّةِ سَنَةَ ١٨٠٤ م. تَلَاهَا انْتِشَارُ يَقْظَةٍ رُوحِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَاهْتِمَامٍ خَاصٍ بِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. "دَخَلَ فِيهِمَا رُوحُ حَيَاةٍ". نَجِدُ هُنَا نَفْسَ اللُّغَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عِنْدَمَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. وَاحِدَةٌ مِنَ نَتَائِجِ الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ كَانَتْ انْتِشَارُ وَاسِعٌ لِلْبِشَارَةِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَالْحَقِّ الْحَاضِرِ لِلْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ. صَاحَبَ إِهْتِمَامِ النَّاسِ الْوَاسِعِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ حَدُوثُ زَلْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ قَتَلَتْ ٧٠٠٠ نَسَمَةَ عُسْرَ سَكَّانِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ.

يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا فِي رُؤْيَا ١٦: ١٨ بِحُدُوثِ زَلْزَلَةٍ أَعْظَمَ تَضَرُّبُ بَابِلَ الرُّوحِيَّةِ نَتِيجَةُ قَسَاوَةِ قُلُوبِ سَاكِنَيْهَا. وَإِذْ تَقْتَرِبُ نَهَايَةُ الْعَالَمِ وَتَعُمُّ رِسَالَةُ الْإِنْجِيلِ الْعَالَمَ كُلَّهُ، سَيُضِيئُ مَجْدُ اللَّهِ الْمَسْكُونَةُ. ظَنَّ إِبِلْيَا أَنَّهُ الْأَمِينُ الْوَحِيدُ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَظْهَرَ لَهُ وَجُودَ ٧٠٠٠ شَخْصٍ لَمْ يَحْنُوا رُكْبَةً لِلْبَعْلِ. أَمْلِي أَنْ تَبْقَى لِخَالِقِكَ أَمِينًا، حَافِظَ الْعَهْدِ وَمُؤْمِنًا بِكَلِمَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، كَيْ يَمْنَحَكَ إِكْلِيلَ الْبَرِّ إِذَا يَأْتِي وَأَجْرَتُهُ مَعَهُ. وَلِإِلَهِنَا كُلِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ أَبَدَ الدُّهُورِ.

كوكبُ الصُّبحِ المنيرِ

"أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوَكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ." (رؤيا ٢٢: ١٦)

يَذْكُرُ العهد الجديد لَقَبَ يسوع الجميل "كوكبُ الصُّبحِ المنيرِ" ٣ مَرَّاتٍ في الآياتِ التَّالِيَةِ (٢ بطرس ١: ١٩، رؤيا ٢: ٢٨، و١٦: ٢٢). كَانَ يسوع كما وَصَفَهُ يوحنا ١: ٩ "النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ". وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَفْسِهِ فِي يوحنا ٨: ١٢ قَائِلًا "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبَعْنِي فَلَا يَمَشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ". وَفِي رؤيا ٢: ٢٨ يُؤَكِّدُ الْفَادِي الْمَسِيحُ أَنَّهُ "كَوَكَبُ الصُّبْحِ". إِنَّ كَوَكَبَ الصُّبْحِ يُضِيءُ بَيْنَمَا الظَّلامُ بَاقٍ، يَسْحَبُ أَذْيَالَهُ قُبِيلَ شُرُوقِ النَّهَارِ. وَشُرُورُ الدَّهْرِ الْحَالِيِّ مَا هِيَ إِلَّا ظُلْمَةٌ، وَهِيَ هِيَ كَوَكَبُ الصُّبْحِ، مُؤَشِّرٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي مَجِيئِهِ الثَّانِي لَنَكُونُ مَعَهُ كُلَّ حِينٍ مَعَهُ فِي مَمْلَكَتِهِ الْكَامِلَةِ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ.

وهذا الاسم يُعْلِنُ أَنَّ الْعَالَمَ الْآنَ فِي لَيْلٍ وَظُلْمَةٍ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ غِيَابِ الْمَسِيحِ - لَهُ الْمَجْدُ - عَنْهُ، وَأَيْضًا لِأَنَّ الْعَالَمَ تَحْتَ سَيَادَةِ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ "سُلْطَانُ الظُّلْمَةِ". وَإِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي هَذَا الْعَالَمِ فِي لَيْلٍ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ لَيْلٍ وَلَا ظُلْمَةٍ (١ تسالونيكي ٥: ٥)، بَلْ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ وَأَبْنَاءِ النَّهَارِ، لِذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَنَامَ بَلْ أَنْ يَسْهَرَ وَيَصْحُو مُنْتَظِرًا مَجِيءَ الرَّبِّ كَكَوَكَبِ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ. لِذَلِكَ يُشَجِّعُ الرُّسُولُ بُولُسُ الْمُؤْمِنِينَ قَائِلًا "قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنُخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ" (رومية ١٣: ١٢).

وكوكبُ الصُّبحِ يَظْهَرُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ وَلَا يَتَمَتَّعُ بِرُؤْيَيْهِ إِلَّا السَّاهِرُ الْمُتَنَبِّهُ، لِذَلِكَ إِنْ كَانَ الْعَالَمُ الْآنَ يَسْتَغْرِقُ فِي النَّوْمِ الْعَمِيقِ، وَالْأَشْرَارُ مُنْغَمَسُونَ فِي الْخَطِيئَةِ وَالْمَلَذَاتِ وَمَحَبَةِ الْمَالِ، لَكِنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْأَتْقِيَاءَ أَنْ يَنْتَظِرُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ وَهُمْ سَاهِرُونَ وَمُشْتَاقُونَ لِمَجِيئِهِ الْقَرِيبِ. أَنْ يُصْبِحَ الرَّبُّ يسوع لَنَا كَوَكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ، مَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ فِعْلًا الرَّبُّ الْمُهَيْمِنُ عَلَى حَيَاتِنَا. مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ أَنْ يُشَجِّعَنَا فِي أَوْقَاتِنَا الْعَصِييَةِ، وَأَنْ يُؤَازِرَنَا لِنَغْلِبَ الشَّرَّ وَالتَّحَدِّيَّاتِ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِحَيَاتِنَا قَصْدًا وَرَجَاءً. نَقْرَأُ فِي يوحنا ٧: ٢ أَنَّ يسوع قَدْ ذَهَبَ إِلَى الْهَيْكَلِ فِي عِيدِ الْمَظَالِ، حَيْثُ يَقْضِي الشَّعْبُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي مَظَالٍ لِيَتَذَكَّرُوا حَيَاتِهِمْ حِينَ كَانُوا بِلَا وَطَنٍ، يَرْتَحِلُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ. وَلِيَتَذَكَّرُوا كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَهُمْ فِي تَجَوَّاهِهِمْ هَادِيًا طَرِيقَهُمْ بِسَحَابَةٍ تَظْلِلُهُمْ نَهَارًا، وَعَمُودَ نَارٍ يَنِيرُ لَهُمْ لَيْلًا. لِذَلِكَ كَانُوا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ عِيدِ الْمَظَالِ، يُضِيئُونَ أَرْبَعَةَ مَصَابِيحَ ضَخْمَةٍ فِي الدَّارِ الْخَارِجِيَةِ لِلْهَيْكَلِ، وَهَذِهِ الْمَصَابِيحُ تُضِيءُ كُلَّ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ، لِيَذْكُرُوا كَيْفَ كَانَ اللَّهُ نُورًا يَرْعَاهُمْ وَيَهْدِيهِمْ وَيَقُودُهُمْ. فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ الَّذِي تَضَاءُ فِيهِ هَذِهِ الْأَنْوَارُ، وَقَفَ الْمَسِيحُ وَقَالَ: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ، أَنَا الَّذِي أَهْدِيكُمْ، أَنَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي كَانَ مَعَكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَأَنَا مَعَكُمْ الْآنَ. أَنَا كَوَكَبُ الصُّبْحِ، أَنَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي يُنِيرُ حَيَاتَكُمْ".

إِنَّ كَوَكَبَ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ هُوَ أَسْطَعُ الْكَوَاكِبِ جَمِيعِهَا. فِي اللَّيْلِ تُوجَدُ نُجُومٌ، وَلَكِنْ حِينَ يَطْلُعُ كَوَكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ، تَخْبُو أَضْوَاءُ النُّجُومِ الْآخَرَى أَمَامَ هَذَا الْكَوَكَبِ السَّاطِعِ. هُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. إِنَّ هَذَا الْكَوَكَبَ يُعْلِنُ عَنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَظُهُورِهِ يَعْنِي أَنَّ اللَّيْلَ كَادَ أَنْ يَنْتَهِيَ، وَأَنَّ النَّهَارَ يُوشِكُ أَنْ يَجِيءَ. حِينَ جَاءَ الْمَسِيحُ أَعْلَنَ عَنْ مَجِيءِ فَجْرِ جَدِيدٍ، وَخَلِيقَةٍ جَدِيدَةٍ، حِينَ نَقْبُلُ الْمَسِيحَ نَدْخُلُ فِي فَجْرِ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ، وَنَحْيَا فِي نُورٍ إِنْ نَحْنُ قَبْلِنَاهُ، لَكِنْ الْمَشْكَلَةُ أَنَّ كَثِيرِينَ يَرَفُضُونَهُ لِأَنَّهُ يَكْشِفُ أَخْطَاءَهُمْ. النُّورُ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً.

لَكِنْ إِنْ قَبْلْنَا النُّورَ، نَدْخُلُ فِي حَيَاةٍ مُنِيرَةٍ جَدِيدَةٍ فِي فَجْرِ يَوْمٍ جَدِيدٍ لَا يَنْتَهِي. ثُمَّ إِنَّ كَوَكَبَ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ مَا دَامَ مَوْجُودًا فِي السَّمَاءِ فَالْكَلِّ يَرَاهُ، وَيَتَمَتَّعُ الْجَمِيعُ بِنُورِهِ. لِيُعْطِنَا الرَّبُّ حَيَاةً جَدِيدَةً وَفَجْرًا جَدِيدًا لَنَكُونُ مَعَهُ فِي الْآبِ إِلَى الْأَبَدِ. التَّسْبِيحُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ لَكَ يَا نُورَ حَيَاتِنَا أَيُّهَا الْكَوَكَبُ الْمُنِيرُ، أَنْتَ رَبُّ حَيَاتِنَا الرُّوحِيِّ لِنَعِيشَ بِنُورِكَ مَدَى الْآيَّامِ. آمِينَ.

راكب الحصان الأبيض

"ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضٌ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ." (رؤيا ١٩: ١١)

في رؤيا الأصحاح السادس ٨-١ نجد واحداً من الأختام السبعة يفتح يسوع حيث سمع يوحنا صوتاً كصوت رعد قائلاً "هَلُمَّ وَانْظُرْ" وإذا به يرى "فَرَساً أبيضاً والجالس عليه معه قوسٌ وقد أُعطي إكليلاً وخرج غالباً ولكي يغلب". وعندما فتح يسوع الأختام الأربعة الأولى، رأى ٤ فرسان بألوان مختلفة مع راكبيها. الخيول في سفر الرؤيا تُصاحب الحرب والانتصار. وقبل يوحنا، رأى زكريّا ٤ خيول مع راكبيها مشابهة لما رآها الرائي يوحنا. تُساعدنا الفرسان التي رآها زكريّا على فهم ما جاء في رؤيا ٦.

يحمل الراكب على الفرس الأبيض "قوساً وقد أُعطي إكليلاً وخرج غالباً ولكي يغلب" (رؤيا ٦: ٢). يرمز اللون الأبيض إلى الطهارة والجمال والفرح. في رؤيا دانيال ٧: ٩ نقراً "كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَ عَرْشٌ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الْيָامِ. لِبَاسُهُ أبيضٌ كَالثَلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ".

كان القادة الرومان في زمن يوحنا يركبون حصاناً أبيضاً ليحتفلوا بانتصاراتهم العظيمة. سيعود المسيح إلى أرضنا منتصراً ركباً على حصان أبيض. كما أن مشهد الديونة النهائية سيتم على عرش أبيض. استعمل القوس في الحرب للقتل عن بُعد. أما الفائزون بالألعاب الأولمبية قديماً، فكانت أكاليل الغار توضع على رؤوسهم.

يرمز ركب الحصان الأبيض إلى انتشار إنجيل يسوع المسيح، والذي ابتدأ يوم الخميس في ربح نفوس كثيرة للمسيح. بعد صعود يسوع للسماء وجلسه على العرش السماوي، بدأ حرباً كبيرة ضد قوى الشر، حيث تمت الكرازة بمناطق كثيرة ربحها المخلص لملكوته.

هكذا انتشرت الكرازة بالإنجيل بقوة الروح القدس، حيث اعتمد الآلاف في يوم واحد. مع ذلك، سيستمر "انتصار الإنجيل" عبر التاريخ، إلى أن يصل إلى ذروته في وقت المنتهى حسب قول يسوع في متى ٢٤: ١٤ "وَيُكْرَزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِّجَمِيعِ الْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى".

في رؤيا ١٩: ١١-١٦ يرى يوحنا يسوع في رؤيا في مجيئه الثاني ليتعامل مع الأشرار، ركباً على حصان أبيض، كملك منتصر تحيط به جند السماء من الملائكة "ليحكم بالعدل ويحارب"، عيناه كلهيب نار تخترق قلب كل إنسان، إذ يعرف كل كلمة وعمل يقوم به. والجالس على الفرس الأبيض، يدعى "أميناً وصادقاً"، مشيراً إلى وعد المسيح بتخليص شعبه، ولأنه صادق وأمين، سيُشن الحرب النهائية ببر كي يؤسس عدالته الأبدية.

ستنهي هذه الحرب العداوة ضد المؤمنين به، وتُهيئ الطريق لملكوته الأبدية. يلبس المسيح على رأسه تيجان كثيرة - رمزاً لقوته وسلطانه المطلق كملك الملوك ورب الأرباب. نجد نفس هذا اللقب في رؤيا ١٧: ١٤ حيث يرى المسيح كخروف غالب في معركته ضد الوحش وأعوانه. يُسمى يسوع هنا "كلمة الله" حيث نقراً "وَمَنْ فَمَهُ يَخْرُجُ سَيْفٌ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الْأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بَعْضًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمَرٍ سَخَطَ وَغَضَبَ اللَّهِ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤيا ١٩: ١٥). من المهم ملاحظته أن السلاح المستعمل في الحرب النهائية، هي كلمة الله الكتاب المقدس مما يؤكد أن معركة "هرمجدون" ليست معركة حربية، إنما هي روحية. سينكشف خداع الشيطان على حقيقته أمام الكون جميعه. سيأتي المسيح ثانية مع جميع أجناد السماء راكبين على خيل بيض لابسين أثواب بر المسيح.

سينتصر المسيح على كل الأنظمة الدينية المرتدة محققاً ما قاله بولس "وَجِينَدُ سَيُستَعْلَنُ الْإِثْمَ، الَّذِي الرَّبُّ بِيَدِهِ بَنَفَخَ فَمَهُ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ" (٢ تسالونيكي ٢: ٨). هنيئاً لمن يرافق المسيح في انتصاره على قوى الشر ويكون معه في أمجاده.

ما معنى يسوع حمل الله

"بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعِدَّهُ، مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ
وَالْأَلْسِنَةِ، وَقِفُّونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ، مُتَسَرِّبِينَ بِثِيَابٍ بَيَضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ."
(رؤيا ٧: ٩)

بَعْدَ أَنْ سَمِعَ يُوْحَنَّا الْعَدَدَ ١٤٤٠٠٠ الَّذِي يُمَثِّلُ الْكَنِيسَةَ الْمُنتَصِرَةَ، وَهُمْ شَعْبُ اللَّهِ الْمُخْتَوَمِينَ، آخِرَ جِيلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَى جَمْعَ غَفِيرٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعِدَّهُ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ، وَقَفُّونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ. يُوضَحُ يُوْحَنَّا هَوِيَّةَ هَذَا الْجَمْعِ فِي رُؤْيَا ٧: ١٤-١٥ فَيَقُولُ "هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيْقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَضَوْا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخُرُوفِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ، وَيَخْدُمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحُلُّ فَوْقَهُمْ". نَرَى مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ هَذَا الْحَشْدَ الْكَبِيرَ الْجِيلَ الْأَخِيرَ الَّذِي سَيَعِيشُ خِلَالَ الضِّيْقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنُزُولِ الضَّرَبَاتِ السَّبْعِ الْأَخِيرَةِ. اللَّهُ يُحِبُّ جَمِيعَ الْأَمْنَاءِ لَهُ دُونَ تَمْيِيزٍ.

عِنْدَمَا يُسَمَّى يَسُوعُ "حَمَلُ اللَّهِ" فِي يُوْحَنَّا ١: ٢٩ و٣٦، يُشَارُ إِلَيْهِ كَذَبِيحَةٍ كَامِلَةٍ لِلخَطِيئَةِ. وَلَكِي نُدْرِكُ مَنْ هُوَ يَسُوعُ، وَمَا قَامَ بِهِ مِنْ أَجْلِنَا، عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ، الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى نُبُوءَاتٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْمَسِيحِ "كَحَامِلِ ذَبِيحَةٍ إِثْمٍ". (إِسْعِيَاء ٥٣: ١٠). نَرَى فِي الْوَاقِعِ، أَنَّ كُلَّ نِظَامِ الذَّبَائِحِ الَّذِي أَسَّسَهُ اللَّهُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ يَهَيِّئُ الطَّرِيقَ لِقُدُومِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ- ذَبِيحَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، وَمُعْطِي كَفَّارَةٍ لَخَطَايَا شَعْبِهِ. (رُومِيَّة ٨: ٣).

كَانَتْ لَذَبِيحَةِ الْحَمَلَانِ دَوْرَهَا الْهَامُّ فِي حَيَاةِ شَعْبِ اللَّهِ قَدِيمًا وَنِظَامِ ذَبَائِحِهِمْ. عِنْدَمَا أَشَارَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى يَسُوعَ "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!" (يُوْحَنَّا ١: ٢٩). ظَنَّ سَامِعُوهُ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْهَامَّةِ، سَيِّمًا وَأَنَّ عِيدَ الْفِصْحِ كَانَ قَرِيبًا. كَانَ هَذَا الْعِيدُ وَاحِدًا مِنَ الْأَعْيَادِ الدِّينِيَّةِ، الَّذِي يَتَذَكَّرُونَ خِلَالَهُ نَجَاةَ الشَّعْبِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ عَلَى يَدِ مُوسَى. يُمَكِّنُ- فِي الْوَاقِعِ- الْإِشَارَةَ إِلَى ذَبْحِ خُرُوفِ الْفِصْحِ وَوَضْعِ الدَّمِ عَلَى قَائِمَتِي عَثَبَاتِ الْبُيُوتِ، كَصُورَةٍ جَمِيلَةٍ لِعَمَلِ يَسُوعَ الْكَفَّارِيِّ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِنَا.

ذَبِيحَةُ هَامَّةٍ أُخْرَى لِلْحَمَلَانِ كَانَتْ- الذَّبِيحَةُ الْيَوْمِيَّةُ فِي هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ. فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، كَانَ يُذْبَحُ حَمَلٌ فِي الْهَيْكَلِ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ. أَشَارَتْ هَذِهِ الذَّبَائِحُ الْيَوْمِيَّةُ إِلَى الذَّبِيحَةِ الْكَامِلَةِ لِلْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ. صَادَفَ مَوْتَ عَلَى الصَّلِيبِ - فِي الْوَاقِعِ - مَوْعِدَ تَقْدِيمِ الذَّبِيحَةِ الْمَسَائِيَّةِ فِي الْهَيْكَلِ. كَانَ مُعَاوَرُو السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَى عِلْمٍ بِمَا قَالَهُ كُلُّ مَنْ إِرْمِيَا وَإِسْعِيَاء اللَّذَيْنِ تَبَّأَ عَنْ قُدُومِ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ "كَشَاةً تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ" (إِرْمِيَا ١١: ١٩ وِإِسْعِيَاء ٥٣: ٧). الَّذِي آلامُهُ وَذَبِيحَتُهُ ضَمِنَتْ الْفِدَاءَ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِيَسُوعَ "حَمَلُ اللَّهِ" الْفَادِي الْعَظِيمِ.

قَدْ تَبْدُو فِكْرَةُ نِظَامِ الذَّبَائِحِ غَرِيبَةً بَعْضُ الشَّيْءِ لَنَا الْيَوْمَ، لَكِنْ مَفْهُومُ الدَّفْعِ أَوْ التَّعْوِيزِ مَا زَالَ مَأْلُوفًا لَنَا. نَعْلَمُ أَنَّ "أُجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رُومِيَّة ٦: ٢٣). وَأَنَّ خَطَايَانَا قَدْ فَصَلَتْنَا عَنْ اللَّهِ. نُدْرِكُ أَيْضًا مَا يُعَلِّمُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ الْجَمِيعَ أَخْطَاوُا وَأَعُوزُهُمْ مَجْدُ اللَّهِ (رُومِيَّة ٣: ٢٣)، وَلَيْسَ بَارٍ وَلَا وَاحِدٌ أَمَامَ اللَّهِ. وَلَئِنَّا أَخْطَأْنَا، وَانْفَصَلْنَا عَنْ خَالِقِنَا، نَقَفَ أَمَامَهُ مُذْنِبِينَ. لِذَا، فَالْأَمَلُ الْوَحِيدُ لَنَا هُوَ إِيجَادُ طَرِيقَةٍ لِنَتَصَالَحَ مَعَهُ، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا قَامَ بِهِ اللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ لِيَمُوتَ عَلَى الصَّلِيبِ. مَاتَ الْمَسِيحُ لِيُكَفِّرَ عَنِ الْخَطَايَا، وَيَدْفَعَ قَصَاصَهَا لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

فَمِنْ خِلَالِ مَوْتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ كَذَبِيحَةِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ عَنِ الْخَطَايَا، وَقِيَامَتِهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ لَنَا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ بِهِ. لِذَا، فَإِنَّ حَقِيقَةَ كَوْنِ اللَّهِ نَفْسَهُ قَدْ دَبَّرَ ذَبِيحَةَ الْفِدَاءِ، وَالْكَفَّارَةَ عَنِ خَطَايَانَا هِيَ جِزءٌ مِنَ الْأَخْبَارِ السَّارَةِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ.

أَدْرَكَ الْمَعْمَدَانِ سَابِقَ الْمَسِيحِ إِتِمَامَ نُبُوءَةِ ال ٧٠ أَسْبُوعًا عِنْدَمَا أَشَارَ إِلَى يَسُوعَ كَحَمَلِ اللَّهِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ قَالَ الْمَسِيحُ عَنْهُ "لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مَتَّى ١١: ١١). لِنَضُمُ أَصَوَاتِنَا فِي تَسْبِيحِ فَادِي نُفُوسِنَا حَمَلِ اللَّهِ اسْتِعْدَادًا لِلْقِيَامَةِ عَنْ قَرِيبٍ. آمِينَ.

ماذا تقول كلمة الله عن ذبيحة الحمل؟

"وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخُرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ." (رؤيا ١٢: ١١)

في أيامنا هذه، من المهم لنا أن نعرف ونتذكر أن الله قد دعانا لنكون غالبين للعالم. فلا داعي كي نخاف أو نقلق مما سيحدث في العَدَد لأننا مُنْتَصِرِينَ بالمسيح يسوع، وهذا ما أكدّه الحبيب في ١ يوحنا ٥: ٤ "لأن كل من وُلِدَ مِنَ اللَّهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهَذِهِ هِيَ الْعَلْبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيْمَانُنَا". لنسر في هذه الحياة عالمين أن دم الحمل قد غطانا، وأنا مُخَلَّصُونَ من قصاص الخطيئة، حيث دفع يسوع الثمن كاملاً، وحررنا من دينونتها حيث مات المسيح مكاننا، وقهر الموت، ونجّانا من عبودية الخوف من الموت.

لنُخبر اختبَارَ عمل الله في حياتنا، حيث شهادتنا لمحَبَّتِهِ وأمانته، هي مصدر قُوَّةٍ وَعَوْنٍ لنا، ولَمَنْ يَسْمَعُ كَلِمَاتِنَا، تُعْطِيهِ الْعَلْبَةُ عَلَى الْعَالَمِ وَالتّي هي إِيْمَانُهُمْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. يُؤَكِّدُ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي ٢ تيموثاوس ١: ٧ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْخَوْفِ، لَذَا عَلَيْنَا أَلَّا نَسْمَحَ لِلْخَوْفِ أَنْ يَقُودَنَا فِي اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى تَهْدِيدَاتِهِ. بِقَوْلِهِ "لأن الله لم يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ" مَعَ أَنَّ رُؤْيَا ١٢: ١١ لَا يَتَكَلَّمُ عَنِ الْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ كَوَسِيلَةٍ لِلتَّغْلِبِ عَلَى عَدُوِّ نَفْسِنَا، كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ عَنْ انتصار بدم الحمل وكلمة شهادته.

من موقع "كلمة الحياة" الفصل السابع بعنوان "هوذا حمل الله" اقْتَبَسْتُ هذه المقاطع.

"إن عبارة "حمل الله" كُتِبَ لقلب للمخلص، قد وردت مرتين في إنجيل يوحنا، ومرة واحدة في رسالة بطرس الرسول الأولى. وكلمة "خروف"، الواردة في سفر الرؤيا لا أقل من ٢٨ مرة، هي حمل أي خروف صغير. ودرس هذه العبارات، يُساعدنا على فهم قيمة هذا اللقب العظيم لدى يوحنا الحبيب، الذي اتكأ على صدر يسوع وعرف، ربما أكثر من أي رسول آخر، سر محبة المسيح الفادية.

نرى في شهادة يوحنا المعمدان للمسيح، أول ذكر ليسوع بقوله في يوحنا ١: ٢٩ و٣٥-٣٦ "وَفِي الْعَدَدِ نَظَرَ يُوْحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!" وَفِي الْعَدَدِ أَيْضًا كَانَ يُوْحَنَّا وَاقِفًا هُوَ وَاثْنَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، فَنَظَرَ إِلَى يَسُوعَ مَاشِيًا، فَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ!".

"إنه الحمل الذي يذبره الله كفارة وذبيحة عن الخطيئة. وكما تعلمنا الرسالة إلى العبرانيين بكل جلاء أن لنا في يسوع إتمام كل تعاليم العهد القديم عن الدم الذي يكفر عن الخطيئة، فهو المرموز العظيم لجميع طقوس الذبائح وعبادات البشر، إنه حمل الله الذي هو مشتهى كل الأمم.

وإن كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢٢ يتدرج بنا حتى يصل إلى نهاية مذهشة، فيقيم مقارنة بين مجد جبل سيناء الذي أعطيت الشريعة الأدبية عليه، والمجد الأعظم الذي أوجد من أجلنا، على جبل صهيون فيقول: "بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صَهْيُونَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللَّهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمُ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رِبَوَاتِ هُمْ مَحْفَلُ مَلَائِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللَّهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ".

"كيف يهب سفك الدم مغفرة الخطيئة؟ ما هو أصل الذبائح؟ من أين صار لها هذه الأهمية؟ نرى في ديانات الشرقيين وفي العبادات الكفارية عند جميع الشعوب- ثلاثة معاني رئيسية في الكفارة وهي النيابة والرضاء والكفاية. وهذه المعاني تنطبق تماماً على ذبيحة المسيح على الصليب: فالمسيح مات نيابة عنا كما مات الحمل نيابة عن اسحق على جبل المريا؛ وموت المسيح أدى ذلك الرضا عن الخطيئة، وأرضى العدل، واشترى العفو، كما فعل رش الدم على القائمتين عندما قتل الملاك المهلك أبكار المصريين؛ وموته كفاية لأنه لن يموت بعد، بل أتم على الصليب بتقدمته الواحدة "ذبيحة تامة كاملة كافية وتقدمة ورضاء عن خطايا كل العالم".

كَمْ أَشْكُرُكَ رَبِّي الْبَارَّ مِنْ أَجْلِ عَظِيمِ فِدَائِكَ مِنْ أَجْلِي، سَاعِدْنِي أَنْ أَعِيشَ لِمَجْدِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي.

يسوع حمل الفصح

"وفي وَسَطِ الشُّيُوخِ خُرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ." (رؤيا ٥: ٦)

طَلَبَ مِنَ الرَّائِي يُوحَنَّا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فَوْقَ، فَرَأَى خُرُوفًا قَائِمًا، كَانَ يَرْمُزُ فِي كِلَا الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ إِلَى الْمَسِيحِ، فِي طَهَارَتِهِ وَبِرَاءَتِهِ، فِي وَدَاعَتِهِ وَاتِّصَاعِهِ، فِي صَبْرِهِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ، وَخَاصَّةً فِي سَاعَةِ الْأَلَمِ وَالْمَوْتِ، وَالَّذِي كَانَتْ الذَّبَائِحُ تَرْمُزُ إِلَيْهِ كَحَمَلِ اللَّهِ الْحَامِلِ خَطَايَا الْعَالَمِ. لَقَدْ ذُبِحَ الْمَسِيحُ عَلَى أَيْدِي الَّذِينَ صَلَّبُوهُ وَمَاتَ، لَكِنَّهُ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَهُوَ الْآنَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ، لَكِنَّ آثَارَ الْمَسَامِيرِ وَالْحَرْبَةِ فِي يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ وَجَنْبِهِ كَانَتْ ظَاهِرَةً. وَهُوَ الْآنَ قَائِمٌ فِي وَسَطِ الْعَرْشِ، إِذْ يُمَثِّلُ الْوَسِيطَ الْوَحِيدَ بَيْنَ اللَّهِ وَشَعْبِهِ تُحِيطُ بِهِ الْكَائِنَاتُ السَّمَاوِيَّةُ.

كَانَ خُرُوفُ الْفَصْحِ يَرْمُزُ إِلَى خَلَاصِ شَعْبِ اللَّهِ قَدِيمًا مِنَ أَرْضِ الْعُبُودِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ دَمُهُ يَشِيرُ إِلَى دَمِ الْمَسِيحِ الْمَسْفُوكِ عَلَى صَلِيبِ جُلْجُلَةٍ. يَكْتُبُ الرُّسُولُ بُولَسُ عَنْ مَعْنَى الْفَصْحِ بِمَوْتِ الْمَسِيحِ فَيَقُولُ فِي ١ كُورِنْثُوسَ ٥: ٧ "لَأنَّ فَصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا".

تَوْضُحُ الْأَخْتِ هَوَايَتِ إِتِمَامِ الرَّمَزِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "كَانَ ذُبِحَ خُرُوفُ الْفَصْحِ رَمَزًا لِمَوْتِ الْمَسِيحِ. وَقَدْ تَمَّتْ هَذِهِ الرُّمُوزُ لَيْسَ فَقَطْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَوَادِثِ، بَلْ أَيْضًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى وَقْتِ حُدُوثِهَا. وَبَعْدَمَا أَكَلَ الْمَسِيحُ الْفَصْحَ مَعَ تَلَامِيذِهِ سَنَ ذَلِكَ الْعِشَاءَ الَّذِي كَانَ لِإِحْيَاءِ ذِكْرِ مَوْتِهِ عَلَى أَنَّهُ "حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، الصَّرَاعُ الْعَظِيمُ، صَفْحَةُ ٤٤٠).

فِي إِنْجِيلِ مَتَّى ٢٦: ٢٠-٣٠ أَكَلَ يَسُوعُ الْفَصْحَ مَعَ تَلَامِيذِهِ وَالَّذِي كَانَ أَيْضًا "الْعِشَاءَ الْآخِرَ". يَرْمُزُ الْفَصْحُ إِلَى خَلَاصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ أَرْضِ الْعُبُودِيَّةِ حِينَ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدِ مُوسَى. أَمَّا فَرِيضَةُ الْعِشَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَتُشِيرُ إِلَى جَسَدِ يَسُوعَ الْمَكْسُورِ عَلَى الصَّلِيبِ، وَسَفْكَ دَمِهِ الطَّاهِرِ تَكْفِيرًا لِخَطَايَانَا.

أَنْهَى مَوْتَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ عَمَلَ الْفِدَاءِ، كَيْ يُخَلِّصَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنْ لَعْنَةِ الْخَطِيئَةِ حَيْثُ صَارَ لَعْنَةً مِنْ أَجْلِنَا. أَمَلِي أَنْ يُعْطِنَا الرَّبُّ قَبَسًا لِمَا تَعْنِيهِ آلامُ الْمَسِيحِ وَمَوْتِهِ، لِتَكُونَ لَنَا نَتَائِجُ هَذَا الْفِدَاءِ مِنْ حَمَلِ اللَّهِ يَسُوعَ فَصْحَنَا الَّذِي ذُبِحَ لِأَجْلِنَا. يَصِفُ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ قُوَّةَ دَمِ يَسُوعَ الْمَسْفُوكِ إِذْ يَحْمِنَا مِنْ إِتِهَامَاتِ إِبْلِيسَ، يُطَهِّرُنَا مِنْ خَطَايَانَا، وَيُعْطِنَا طَرِيقًا لِلْوُصُولِ إِلَى قُدْسِ الْأَقْدَاسِ.

نَسْتَطِيعُ الْمُطَالَبَةَ بِمَا هُوَ لَدَيْنَا، عِنْدَمَا نُصَلِّي مِنْ خِلَالِ دَمِ يَسُوعَ، وَرُوعَةَ الْخَلَاصِ الَّذِي صَارَ لَنَا بِدَمِهِ. اللَّهُ صَادِقٌ بِمَا وَعَدَ بِهِ بِأَنْ يَحَقِّقَ مَا يُؤْمِنُهُ الدَّمُ لَنَا، فَإِذَا وَثَقْنَا بِقُوَّةِ دَمِ الْمَسِيحِ، يَهْتَمُّ اللَّهُ بِالْبَاقِي. سَاعِدْنِي يَا رَبِّي أَنْ أَتَوَسَّلَ بِدَمِ يَسُوعَ فِي الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ وَالْهَامَّةِ أَيْضًا، وَأَنْ أَفْهَمَ عَظِيمَ خَلَاصِكَ الْعَجِيبِ مِنْ أَجْلِي. مَاتَ يَسُوعُ كَيْ نَنَالَ الْفِدَاءَ، وَمَاتَ أَيْضًا كَيْ نَعِيشَ مُنْتَصِرِينَ.

لَا يُرِيدُنَا الشَّيْطَانُ أَنْ نَعْرِفَ مَنْ نَكُونُ فِي الْمَسِيحِ. إِذْ تُصَيِّحُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ وَاضِحَةً لَنَا، سَيَكُونُ تَصَرُّفُنَا مُخْتَلَفًا، سَنَسِيرُ بِسُلْطَانِ جَدِيدٍ بَحِثَ نَسْتَعْنِي عَنْ أُمُورٍ كُنَّا مُتَعَلِّقِينَ بِهَا أَصْبَحْنَا الْآنَ نَرَاهَا غَيْرَ ضَرُورِيَّةٍ، وَتَوَقَّفْنَا عَنْ مُمَارَسَتِهَا. أَتَى يَسُوعَ كَحَمَلِ اللَّهِ وَقَطَعَ عَهْدًا جَدِيدًا مَعَنَا. نَرَى ذَلِكَ إِذْ أَكَلَ الْفَصْحَ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: "اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا" (مَتَّى ٢٦: ٢٧-٢٨).

تَوَكَّدْ كَلِمَةَ اللَّهِ أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ هُوَ "حَمَلُ الْفَصْحِ الْحَقِيقِي". وَيُؤَكِّدُ الرُّسُولُ بَطْرُسُ عَلَى أَنَّ الْحَمَلَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ "بَلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ". (١ بطرس ١: ١٩)، الَّذِي يَفْدِي الْبَشَرَ بِدَمِهِ الثَّمِينِ (١ بطرس ١: ١٨-١٩) وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْدَمُوا لِلَّهِ عِبَادَةً رُوحِيَّةً مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ، نَابِعَةً مِنْ حَيَاةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا (١ بطرس ٢: ٥). فَقَدْ تَرَكَ الْمُؤْمِنُونَ ظُلُمَاتِ الْخَطِيئَةِ لِيَسِيرُوا فِي نُورِهِ الْعَجِيبِ (١ بطرس ٢: ٩). وَبِمَا أَنَّهُمْ، بِفَضْلِ دَمِ الْحَمِ قَدْ قَهَرُوا إِبْلِيسَ، يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَرْتَلُوا "تَرْنِيمَةَ مُوسَى وَتَرْنِيمَةَ الْحَمَلِ" لَمْ لَا تُشَارِكْ مَعَ جَوْقَةِ التَّرْنِيمِ السَّمَاوِيَّةِ هَذِهِ؟

الحَمَلُ رمزُ المسيحية العَظيم

"فَسَيَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ عَلَى الْأَرْضِ، الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ فِي سَفَرِ حَيَاةِ الْخُرُوفِ الَّذِي دُبِحَ." (رؤيا ١٣: ٨)

يبدو إنجيل النعمة في غاية البساطة بحيث يفهمه طفل صغير- أن الله قد أرسل ابنه الحبيب، ليموت في مكاننا- ليُكفِّرَ عن خطايانا، ويأخذ القصاص الذي نستحقه نحن وُحَدْنَا. في الوقت ذاته نجد إنجيل النعمة صعباً على عقول الناس والملائكة- أن على الله أن يُرسل ابنه الأوحَدَ ليموتَ عَنْ خطايا العالم، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءٌ لَهُ- كِي كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ فِي عَمَلِهِ الْكَامِلِ عَلَى صليبِ جُلُجَّةٍ يَنالُ الْخَلاصَ، وَيُصْبِحَ ابْنًا لَهُ بِالتَّبَنِّي، وَوَارِثًا لِمَلَكُوتِهِ. لَمْ يَكُنْ صَلَبُ يَسُوعَ مُفَاجَأَةً لِلَّهِ حِينَ صَلَّبُوا رَبَّ الْمَجْد. اللَّهُ فِي حِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَعِلْمِهِ الْأَبَدِيِّ، أَعَدَّ الْخِطَةَ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، كِي يُرْسِلَ ابْنَهُ الْحَبِيبَ لِيَكُونَ حَمَلُ اللَّهِ لَخَلاصِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ.

سَقَطَ الْجِنْسُ الْبَشَرِيُّ فِي الْخَطِيئَةِ عِنْدَمَا أَعَوَتْ الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُو إبليس والشيطان الإنسان ليخطئ، غَيْرَ أَنَّ ثَمَنَ الْخَطِيئَةِ يُمْكِنُ دَفْعَهُ فَقَطْ بِسَفْكِ دَمِ حَمَلِ اللَّهِ الْبَرِيِّ، حَيْثُ هُوَ وَحْدَهُ الذَّبِيحَةُ الْمَقْبُولَةُ لَخَطَايَا الْإِنْسَانِيَّةِ، وَكُلُّ مَنْ يَتَّقُ بِهِ لِلْخَلاصِ، يَكُونُ اسْمُهُ مَكْتُوبًا فِي سَفَرِ حَيَاةِ الْخُرُوفِ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، شَرِيطَةً أَنْ يَبْقَى أَمِينًا لِلْمَسِيحِ عَلَى الدَّوَامِ. الشُّكْرُ لِلَّهِ، أَنَّ حَمَلُ اللَّهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ تَطَوَّعَ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، كِي يَفْتَدِينَا بِمَوْتِهِ عَلَى صليبِ جُلُجَّةٍ نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِهِ، أَمَّا مَنْ يُنْكِرُونَ اسْمَهُ، فَسَيَمْحُو أَسْمَاءَهُمْ مِنْ سَفَرِ حَيَاةِ الْخُرُوفِ.

الْحَمَلُ خُرُوفٌ صَغِيرٌ عَاجِزٌ عَنِ الدَّفْعِ عَنْ نَفْسِهِ ضِدَّ أَيِّ عَدُوٍّ. عِنْدَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقَطِيعِ، تَبْقَى نَسَبَةُ بَقَاةٍ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ضَعِيفَةً. إِمَّا أَنْ يَفْتَرَسَهُ وَحْشٌ، أَوْ يَضِلَّ طَرِيقَهُ وَيَمُوتَ. يَبْزُرُ هُنَا السُّؤَالُ، لِمَاذَا أَصْبَحَ الْحَمَلُ رَمْزًا بَارِزًا لِلْمَسِيحِ؟ طَلَبَ اللَّهُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَهُ ذَبِيحَةً، وَفِي طَرِيقَهُمَا لَجَبَلٍ مُرِّيًّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لابْنِهِ إِسْحَقَ "اللَّهُ يَرَى لَهُ الْخُرُوفَ لِلْمُحَرَّقَةِ يَا ابْنِي" (تكوين ٢٢: ٨). قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ فِي النِّهَايَةِ كَبْشًا كَذَبِيحَةٍ. تُعْطِينَا هَذِهِ الْقِصَّةُ نَمُودَجًا لِتَقْدِيمِ اللَّهِ حَمَلًا كَتَقَدِّمَةٍ كَامِلَةٍ لِلذَّبِيحَةِ.

إِنَّ أَهَمِّيَّةَ مَعْنَى الْحَمَلِ كَذَبِيحَةٍ نَجْدُهَا فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ حَيْثُ أَوْصَى اللَّهُ شَعْبَهُ قَدِيمًا لِيُقَدِّمُوا خُرُوفَ ذَبِيحَةِ الْفَصْحِ، وَيُعِيدُوا أَحْيَاءَ هَذِهِ الذِّكْرِ سَنَوِيًّا. يُعْلِنُ لَنَا إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ ٥٣: ٧ عَنْ مَوْقِفِ خَادِمِ اللَّهِ الْمُتَأَلِّمِ فِي آلامِهِ فَيَقُولُ "ظَلَمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهَهُ. كَشَاةٌ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَتَنْجَعَةٌ صَامِتَةٌ أَمَامَ جَارِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهَهُ". كُلُّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ أَعَدَّتْ شَعْبَ اللَّهِ قَدِيمًا لِمَجِيءِ حَمَلِ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ يَسُوعَ. وَمَعَ قُدُومِ يوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، قَالَ عَنْ يَسُوعَ حِينَ رَأَاهُ مُقْبِلًا إِلَيْهِ "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا ١: ٢٩).

عَاشَ يَسُوعُ تَفَاصِيلَ هَذِهِ النُّبُوءَةِ كَحَمَلِ اللَّهِ، حِينَ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ طَوْعًا دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ حَيْثُ صَارَ الذَّبِيحَةُ الَّتِي حَرَّرَتْنَا مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ. هَكَذَا، صَارَ الْحَمَلُ الْمَعْرُوفُ بِضَعْفِهِ رَمْزًا لِلْقُوَّةِ قَاهِرًا الشَّرَّ مِنْ خِلَالِ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ الْكَامِلَةِ. يَظْهَرُ الْحَمَلُ مِنْ جَدِيدٍ، فِي سَفَرِ الرُّوْيَا كَرَمَزٍ لِلْقُوَّةِ، وَصَارَ مَحَوْرَ عِبَادَةِ كُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ حِينَ رَأَاهُ يوحَنَّا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ كَمَا نَقَرْنَا "وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ خُرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" (رؤيا ٥: ٦).

لَا عَجَبَ أَنَّ الْحَمَلَ، صَارَ رَمْزًا شَائِعًا لِلْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى، وَكَذَلِكَ رَمْزًا لِلشَّعْبِ الْمَسِيحِيِّ، الَّذِي كَانَ يُشَارُ إِلَيْهِ كَخُرُوفٍ، تَحْتَ رِعَايَةِ الرَّاعِي الصَّالِحِ، يَسُوعَ الْمَسِيحِ. سَيَبْقَى الْحَمَلُ رَمْزًا لِلْقُوَّةِ الَّتِي تُنَاقِضُ طَبِيعَتَهُ الضَّعِيفَةَ، مُذَكِّرَةً إِيَّانَا بِالْحَقِيقَةِ الْقَائِلَةِ إِنَّ "ضَعْفَ اللَّهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!" (١ كورنثوس ١: ٢٥). وَكَيْفَ أَنْ اللَّهُ يَعْمَلَ مِنْ خِلَالِ ضَعْفِنَا لِيَأْتِيَ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ.

الْمَجْدُ لَكَ رَبِّي يَسُوعَ مِنْ أَجْلِ فِدَائِكَ الْعَظِيمِ، عِنْدَمَا مِتَّ كَحَمَلِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ خَلاصِي وَخَلاصِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ، سَاعِدْنِي أَنْ أَقْبَلَ هِبَةَ الْخَلاصِ، وَأَعِيشَ لِمَجْدِكَ إِلَى أَنْ أَرَكَ عَنْ قَرِيبٍ لِإِشَارِكَ جَوْقَةَ السَّمَاءِ فِي تَسْبِيحِ اسْمِكَ مَعَهُمْ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

التطويات السبع في الرؤيا

"طُوبَى لِلْمَدْعُوعِينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ!" (رؤيا ١٩: ٩)

إلى جانب التسع تطويات التي نجدها في عظة المسيح على الجبل، بالمقابل، نجد ٧ تطويات في سفر الرؤيا. تُشكّل البركات (التطويات) السبع في سفر الرؤيا الرائع، سلسلة ذهبية من المواعيد المجيدة المليئة بالراحة والتشجيع لجميع المؤمنين. والوحيد بين كل أسفار الوحي، الذي تأتي فيه التطويات ٧ مرات لمن يقرأ ومن يسمع أقوال النبوة. ومع وجود الضربات التي ستنسكب على الأشرار، لكننا نسمع فيه ترنيمات متوالية من القديسين الممجدين في السماء مع عريسنا ورأسنا المعبود يسوع المسيح.

نقرأ التطوية الأولى في رؤيا ١: ٣ "طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النَّبُوءَةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لَأَنْ الْوَقْتَ قَرِيبٌ". تُشير هذه الآية إلى عائلة المؤمنين في وقت العبادة، حيث يقرأ أحدهم من هذا السفر بصوت عالٍ، فينال القارئ والسامعين بركة كلمات الحياة هذه. تدل هذه البركة على أهمية محتوى سفر الرؤيا للكنيسة في بداية عهدها وخاصة لنا الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.

التطوية الثانية "اكتب: طُوبَى لِلأَمْوَاتِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الرَّبِّ". "لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالهم تَبْعُهُمْ" (رؤيا ١٤: ١٣). تتكرر كلمة "اكتب" ١٢ مرة في سفر الرؤيا للتنبيه إلى أهمية الأمور التي يُطلب من الرائي كتابتها. هم مَبَارَكُونَ في التمسك بإيمانهم ورجائهم، مَبَارَكُونَ في المشاركة بمعرفة الراحة الباقية لشعب الله. كما ينالوا البركة في استراحتهم من أتعابهم. همهم الأساسي أن يكونوا مع المسيح.

البركة الثالثة "طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لئلا يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ" (رؤيا ١٦: ١٥). رسالته هذه التطوية هي السهر الدائم. كان الحارس الروماني في زمن يوحنا يتعرض للسخرية إذا وجد نائماً أثناء الحراسة، فينزع عنه المفتش ملابسه الخارجية، ويتركه معرضاً لإهانات زملاءه. الموقف يدعو ليقظة دائمة لمنع النعاس الروحي حيث البركة هي من نصيب الساهرين.

التطوية الرابعة "طُوبَى لِلْمَدْعُوعِينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ!" (رؤيا ١٩: ٩). ما أعظمه من امتياز وشرف، ويا للفرح الذي لا يُعبّر عنه، أن نشترك في ذلك الاحتفال المجيد، حيث سنسمع جوقة الكون في تسبيح أجناد السماء للخالق العظيم. صدق بولس إذ يقول في ١ كورنثوس ٢: ٩ "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ". أُملي أن نكون جميعاً مشتركين في عشاء عرس الخروف.

البركة الخامسة "مَبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الْأُولَى. هَؤُلَاءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ". هنيئاً لهم إذ يعبرون دون أذى من العناصر التي ستدمر الأشرار مثل القش، حيث قداسة الله ستحمي، وتُنشِط، وتُحيط بهؤلاء المَبَارَكِينَ، كما حَمَتِ الْفَتِيَّةُ الثَّلَاثَةُ فِي أَتُونِ النَّارِ. هنيئاً للسائرين في قداسة الرب هنا.

التطوية السادسة "هَآ أَنَا آتِي سَرِيعًا. طُوبَى لِمَنْ يَحْفَظُ أَقْوَالَ نُبُوءَةِ هَذَا الْكِتَابِ" (رؤيا ٢٢: ٧). مَبَارَكٌ مَنْ يَصُوغُ أَفْكَارَهُ، وَخَطَطَهُ، وَحَيَاتَهُ، وَرَجَائَهُ بِأَقْوَالِ هَذِهِ النَّبُوءَةِ. لَقَدْ أُعْطِيتَ رَسَائِلَ هَامَّةٍ فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا كِي تَهَيِّمَ عَلَى عُقُولِ شَعْبِ اللَّهِ، وَتَسْتَحْذُو عَلَى اهْتِمَامِهِمْ. البركة السابعة "طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الْبُؤَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ" (رؤيا ٢٢: ١٤).

الطاعة تُرى عند الامتحان العظيم، لذا نرى أهمية آخر بركة في الرؤيا تُعطى لحافظي وصايا الله إذ سيكون سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الْبُؤَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ. أُملي أن تكونوا جميعاً من مواطني مدينة الله السماوية، إذ يأتي عن قريب لِيَأْخُذَنَا إِلَى بَيْتِنَا السَّمَاوِيِّ هُنَاكَ.

يسوع الحمل والراعي

"لَأَنَّ الْخُرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنْابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ." (رؤيا ٧: ١٧)

نُرَكِّزُ أحياناً على آلام يسوع على الصليب بحيث نفشل في إدراك نتائجها. قادت آلام المسيح إلى فداء الإنسانية. وسيملك المفديون معه إلى الأبد. تُعطينا هذه الصورة أملاً وشجاعة. يُذكرنا عيد القيامة بموت المخلص وقيامته، بإله ترك السماء ليعيش على أرضنا، ثم عاد إلى السماء، وسيأتي بمجد عظيم عن قريب. هذه القيامة هي قصة راعي صار حملاً، ثم صار راعياً من جديد.

من أعظم الصور عن الله في الأسفار المقدسة هي صورة الراعي. وقد خطَّ الملك داود العديد من الآيات من سفر المزامير نذكر منها "الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَا يُعْزِي شَيْءٌ" (مزمو ٢٣: ١). "أَمَّا نَحْنُ شَعْبُكَ وَعَنَمَ رَعَايَتِكَ نَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ. إِلَى دَوْرٍ قَدُورٍ نُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِكَ" (مزمو ٧٩: ١٣). "لأنَّه هُوَ إِلَهُنَا، وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَعَنَمُ يَدِهِ" (مزمو ٩٥: ٧). ما أروعها من صورة عن إلها في رعايته ومحبته لنا.

ما قاله داود يُذكرنا باهتمام الراعي بقطيعه في كلِّ الأوقات- يسهر عليه لا سيما الخراف الضالَّة، فوجود الراعي كان ضماناً للخراف، إذ يضيع أحدهم يجده، وإن سقط يحمله، وإن تأذى، يشفيه. يعرف كلَّ حمل باسمه، والخراف تميزُّ صوته عندما يُناديها ولا تستجيب لصوت الغريب. يُذكرنا إشعياء ٥٣: ٦ بحاجتنا إلى راعي الصالح فيقول "كُلُّنَا كَعَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ".

فكما تحتاج الخراف إلى راعيها، كي يقودها إلى المراعي الخضراء والمياه العذبة، يحميها من الذئاب عند هجومها، هكذا نحتاج نحن عندما يُهاجمنا عدوُّ النفوس إبليس إلى يد فادينا، كي نتشلىنا منه وتحمينا عندما نُضلُّ طريقنا. نحتاج إلى مُخلص يعرف الآمن وأحزاننا، لا يتخلَّى عنا، بل يقودنا بلطف إلى برِّ الأمان. وعندما نُضلُّ سبيل البرِّ، لا يتركنا، بل يبحثُ عنا. نحتاجه أن يسمع أنات قلوبنا ويخلصنا. نحتاج إلى مَنْ لا يُوبِّخنا عندما تزل أقدامنا، بل يحملنا على ذراعيه بالقرب من قلبه. بحسب نظام الذبائح، كان الخاطئ يأتي بحمل لا عيب فيه إلى الهيكل، ويضع يده على رأس الحمل الوديع والبريء ويعترف بخطاياها، فتنتقل ذنوبه إلى الحمل، ثم يذبح ويسيل دمه ليموت عن خطايا ذابحه - حياة حياة.

عندما رأى يوحنا يسوع قادماً إليه قال "هُوَ ذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا ١: ٢٩). يسوع، الراعي الصالح، صار الحمل، وضحى بحياته من أجل خطايانا. وقد زودنا النبي إشعياء ٥٣: ٤-٧ بتفاصيل أحداث الصليب وموت المسيح فادينا. تغيَّرت الصورة عندما علَّق الله المتجسّد يسوع على صليب العار، وصار الراعي حمل الذبيحة. مات حملاً وديعاً لا خطيئة فيه، وأخذ مكاننا على الصليب.

سَفَكَ دَمَهُ لِيُغْفَرَ خطايانا. لَمْ يبقَ يسوع مُعلّقاً على الصليب، بل مات، لكنّه قام من الموت. لَمْ يَكُنْ للشيطان الكلمة الأخيرة، وما ظنّه هزيمة قد تحوّل إلى انتصار. الحمل الذي ذُبح قد صار الراعي ثانية. نشكرك راعي الصالح على انتصارك لأجلنا. تحكي القصة عن سُجناء في عام ١٩٤١ وكان من بينهم راهب مسيحي. جاء الأمر في أحد الأيام بحُكم الموت على ١٠ منهم، نادوا على أسمائهم، لكنَّ واحداً منهم عندما سَمِعَ اسمه قال "تمهّل، عندي زوجة وأطفال".

عندئذ، تقدّم الراهب إلى الأمام وقال "سأخذُ أنا مكانه" فسار مع التسعة الباقين إلى الموت. أمّا الذي نال الحرية فعند خروجه من السجن كتب على قبر الراهب "هنا يرقد من مات من أجلي". قارئ العزيز، مات يسوع من أجلك، وهو الآن حيٌّ في السماء، وفي مجيئه ثانية، سيقْتَادُكَ إلى ينابيع مياه حيّة، ويمسحُ كلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِكَ. أملي أن يملئ هذا الرجاء المبارك حياتك بالبهجة والسلام.

عشاء عرس الخروف

"لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ! لَأَنَّ عُرْسَ الْخُرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا." (رؤيا ١٩: ٧)

في الرؤيا التي رآها يوحنا في الأصحاح ١٩، شاهدَ جُمُوعُ سَمَاوِيَّةٍ تُسَبِّحُ اللَّهَ لَأَنَّ عِشَاءَ عُرْسِ الْخُرُوفِ عَلَى وَشَكِّ أَنْ يَبْدَأَ. إِنَّ مَفْهُومَ عِشَاءِ الْعُرْسِ يُمَكِّنُ إدْرَاكَهُ بِشَكْلِ أَفْضَلٍ، فِي ضَوْءِ عَادَاتِ الْعُرْسِ فِي زَمَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ. كَانَ لِعَادَاتِ الْعُرْسِ ٣ أَقْسَامٍ رَئِيسِيَّةٍ. أَوَّلًا، عَقْدَ الزَّوْجِ يَتِمُّ بِتَوْقِيعِ الْوَلَدِيِّ الْعَرِيسِ وَالْعُرُوسِ، بَعْدَ أَنْ يَدْفَعَ الْوَلَدُ الْعَرِيسَ أَوْ الْعَرِيسُ نَفْسَهُ الْمَهْرَ لِلْعُرُوسِ أَوْ الْوَلَدِيَّهَا. تَبْدَأُ هَذِهِ الْخُطْوَةُ بِفَتْرَةِ الْخُطُوبَةِ، نَفْسُ الْفَتْرَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا يَوْسُفُ وَمَرْيَمُ عِنْدَمَا اكْتَشَفَ يَوْسُفُ أَنَّ مَرْيَمَ حَامِلٌ بِيَسُوعَ.

الْخُطْوَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ عَادَاتِ الزَّوْجِ تَحْدُثُ بَعْدَ سَنَةٍ، عِنْدَمَا يَذْهَبُ الْعَرِيسُ يُحِيطُ بِهِ أَصْدِقَاؤُهُ وَيَسِيرُونَ حَامِلِينَ مَشَاعِلَ مَضِيئَةٍ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ إِلَى بَيْتِ الْعُرُوسِ، عَبْرَ الشَّوَارِعِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى بَيْتِهَا، وَسَطَ الْأَغَانِي وَالْأَهْزَاجِ. أَمَّا الْعُرُوسُ إِذْ تَعْلَمُ بِوَقْتِ قُدُومِ الْعَرِيسِ مُسَبِّقًا، لَذَا تَجْمَعُ وَصِيفَاتِهَا وَتَنْصُمُ مَعَهُنَّ فِي مَوْكَبٍ يَنْتَهِي بِهِمْ إِلَى بَيْتِ الْعَرِيسِ. تُشَكِّلُ هَذِهِ الْعَادَاتُ أَسَاسًا لِمَثَلِ الْعِشْرَةِ عِزَارَى فِي مَتَّى ٢٥: ١-١٣.

الْمَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ عِشَاءُ الْعُرْسِ وَالَّتِي قَدْ يَطُولُ لِأَيَّامٍ عَدِيدَةٍ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ عُرْسِ قَانَا الْجَلِيلِ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا ٢: ١-٢. مَا رَأَى يُوحَنَّا فِي الرُّوْيَا كَانَ عِشَاءَ عُرْسِ الْخُرُوفِ (الْمَسِيحِ) وَعُرُوسِهِ (الْكَنِيسَةِ) فِي مَرْحَلَتِهَا الثَّالِثَةِ. مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخُطُوبَتَانِ السَّابِقَتَانِ قَدْ انْتَهَتَا. الْخُطْوَةُ الْأُولَى قَدْ تَمَّتْ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَمَا وَضَعَ كُلُّ مُؤْمِنٍ إِيْمَانَهُ بِالْمَسِيحِ كَمُخْلِصٍ. وَالْمَهْرُ قَدْ دَفَعَهُ الْوَلَدُ الْعَرِيسَ (اللَّهُ الْآبَ) أَلَا وَهُوَ دَمُ الْمَسِيحِ الْمَسْفُوكِ مِنْ أَجْلِ الْعُرُوسِ أَيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا.

وَالْكَنِيسَةُ عَلَى الْأَرْضِ الْيَوْمَ "مَخْطُوبَةٌ" لِلْمَسِيحِ، تَمَامًا مِثْلَ الْعِشْرِ عِزَارَى فِي الْمَثَلِ، فَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَانْتِظَارِ قُدُومِ الْعَرِيسِ يَسُوعَ لِيَأْخُذَ عُرُوسَهُ إِلَى بَيْتِهَا السَّمَاوِيِّ. إِنَّ عُرْسَ الْخُرُوفِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ، عِبَارَةٌ عَنْ صُورَةٍ كَثِيرَةٍ الْإِسْتِخْدَامِ فِي الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ. فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، نَرَى شَعْبَهُ يُلْقَبُ بِصِفَتِهِ عُرُوسَ اللَّهِ، الَّتِي غَالِبًا مَا تَكُونُ غَيْرَ وَفِيَةِ زَوْجِهَا كَمَا كَتَبَ عَنْ عَدَمِ أَمَانَتِهَا لِصَانِعِهَا فِي سَفَرِ هُوشَع ٢: ٢ "حَاكِمُوا أَمُكُم حَاكِمُوا، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرَاتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا، لَكِي تَعْرِلَ زَنَاهَا عَنْ وَجْهَهَا".

وَفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، تُذَكِّرُ الْكَنِيسَةُ بِصِفَتِهَا عُرُوسَ الْمَسِيحِ، الَّتِي تَنْتَظِرُ يَوْمَ عَرْسِهَا "فَإِنِّي أَعَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللَّهِ، لِأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لِأَقْدِمَ عِذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ" (كُورِنْثُوسِ الثَّانِيَةِ ١١: ٢).

فِي رُؤْيَا ١٩: ٩ نَسْمَعُ وَعْدَ الْبَرَكَةِ عَلَى الْمَدْعُوعِينَ لِهَذِهِ الْوَلِيمَةِ حَيْثُ نَقْرَأُ "طُوبَى لِلْمَدْعُوعِينَ إِلَى عِشَاءِ عُرْسِ الْخُرُوفِ!". وَلَكِي يَكُونُ الْعُرْسُ جَمِيلًا تَمَّ الْإِعْدَادُ لَهُ بِعِنَايَةٍ، حَيْثُ أَخَذَ وَقْتًا طَوِيلًا فِي الْإِعْدَادِ وَالتَّجْهِيزِ. كَانَتْ الدَّعْوَةُ بِعِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ قَدْ أَعَدَّتْ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. حِينَ قَبِلَ يَسُوعُ أَنْ يَمُوتَ لِخِلَاصِ الْبَشَرِيِّ. وَتَكَلَّمَتِ النُّبُوءَاتُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَنْ عُرْسِ الْخُرُوفِ.

بَدَأَ يَسُوعُ الْإِعْدَادَ لِلْعُرْسِ مُتَجَوِّلاً يَصْنَعُ خَيْرًا وَسَلَامًا. وَقَدَّمَ دَعْوَةَ الْعُرْسِ لِلْجَمِيعِ: الْيَائِسَ وَالطَّمُوحَ، الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، الْعَلِيلَ وَالصَّحِيحَ، الْخَاطِئَ وَالْبَارَّ. يَتَكَلَّمُ بُولَسُ الرُّسُولُ عَنِ الْعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ، وَقَدْ قَارَنَهَا بِعِلَاقَةِ الْمَسِيحِ بِشَعْبِهِ، فَكَمَا أَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ، هَكَذَا الْمَسِيحُ هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ. وَفِي أَفْسُسَ ٥: ٢٥-٢٧ يَذْكُرُ مَقُومَاتِ تَحْضِيرِ الْكَنِيسَةِ نَفْسَهَا كَيْ تَكُونَ كَنِيسَةً مُجِيدَةً مُقَدَّسَةً وَبَلَا عَيْبٍ. هَذَا مَا يَتَوَقَّعُ مِنَّا الْمَسِيحُ كَيْ نَقْبَلَ دَعْوَتَهُ لِحُضُورِ أَعْظَمِ عِشَاءٍ يَشْمُلُ جَمِيعَ الْأَبْرَارِ مِنْ هَابِيلَ إِلَى آخِرِ بَارٍ أَمَّا عَنْ الْأَحْيَاءِ الْأَبْرَارِ، يَقُولُ بُولَسُ "يَتَغَيَّرُونَ فِي لَحْظَةٍ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ وَيَصْعَدُ الْكُلُّ لِمِلَاقَةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ".

عَزِيزِي، يَسُوعُ فَاتِحًا ذِرَاعَاهُ بِمَحَبَّةٍ، وَاقِفًا عَلَى بَابِ قَلْبِكَ وَيَقْرَعُ، طَالِبًا مِنْكَ أَنْ تَفْتَحَ الْبَابَ وَتَقْبَلَ دَعْوَتَهُ. صَاحِبِ الدَّعْوَةِ هُوَ مُخْلِصُكَ يَسُوعُ، لِمَ لَا تُجَهِّزُ الْحَلَّةَ الْبَيَاضَ وَتُطَهِّرَ قَلْبَكَ لِتَنْعَمَ بِحُضُورِ رَبِّ الْمَجْدِ وَتَفْرَحَ بِلُقِيَاةٍ عَنْ قَرِيبٍ. لَكَ رَبِّي يَلِيقُ كُلُّ حَمْدٍ وَتَسْبِيحٍ، وَلا سَمَكَ الْكَرَامَةِ وَالْقُدْرَةِ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

٩ عِبَادَةُ الْحَمَلِ الْمُسْتَحَقِّ

"لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخُرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ"

(رؤيا ٥: ١٣)

يبدأ الأصحاح الخامس من الرؤيا بالجالس على العرش، وعن يمينه سفرًا يحتوي على الرؤيا التي استلمها يوحنا. ومثل أي وثيقة هامة، كان السفر محتومًا في الواقع بسبعة أختام يمكن أن تُكسر من قبل من له السلطة على فتحها فقط. وحيث سيظهر هذا السفر أمورًا ذات أهمية عالمية، فالشخص الذي سيفتح أختامه يجب أن يكون له سلطانًا على شؤون العالم. بكى يوحنا كثيرًا "لأنه لم يوجد أحدٌ مستحقًا أن يفتح السفر ويقرأه ولا أن ينظر إليه" (رؤيا ٥: ٤). لم يكن أي واحد في الخليقة مستحقًا أن يفتح السفر.

بعد ذلك، قال ليوحنا واحد من الشيوخ "لا تبك" "هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داود، ليفتح السفر ويفك ختموه السبعة". (الآية الخامسة). يسوع المسيح صاحب السلطان والعليم بكل شيء، وله الحق في إظهار مقاصد الله وعمل دينوته، لأنه سلم نفسه لذبيحة الموت كحمل الله.

بعدها، يأتي المسيح ليأخذ السفر من يد القدير، لكن، قبل أن يفتحه تصدح الكائنات الأربعة والشيوخ، بتسبيح رب المجد يسوع، الذي بموته أحضر كثيرين من كل الأمم إلى الله، ليشاركوا عن قريب انتصاره الكامل على الصليب من أجلهم. إلى جانب الكائنات الأربعة والأربعة والعشرون شيخًا، ينضم آخرون من ملائكة السماء مُرنمين للحمل، تشترك جميع الخلائق في تسبيح الله القدير الجالس على العرش والحمل الذي قهر قوة الخطيئة. الله يُعبد كخالق وفادي ومُهيمن على الكون، ومخلص لشعبه.

نقرأ في رؤيا ٥: ٧-١٠ عما حدث عندما أخذ يسوع السفر سجدًا الجميع أمام المسيح وهم يحملون "جامات من ذهب مملوءة بخورًا هي صلوات القديسين" ما أروع أن نعلم أن صلواتنا هي كبخور تصعد أمام الله. فلا نتردد في سكب تضرعاتنا أمام فادينا يسوع في امتنان عظيم له.

يستمر التسبيح في الآيتين التاسعة والعاشر بهذه الكلمات "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختموه، لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكًا وكهنة، فسنملك على الأرض". تُرجم هذه الترنيمة في تنويع الحمل المنتصر، كما أنها تشرح سبب استحقاق المسيح أن يُنفذ خطة الله لهذه الأيام الأخيرة، لأنه ذبح واشترانا بدمه نحن الذين قبلنا ذبيحة موته من كل بقاع العالم. اشترانا - أنتم وأنا - بدمه الثمين إذ دفع قصاص خطايانا وتعدياتنا بموته على الصليب. ما أعظمك يا أبتاه.

يدخل يوحنا في جولة تسبيح سماوية جديدة تضم عشرات الألوف من الجند السماوي المجتمعين حول العرش وهم يسجدون للحَيِّ إلى أبد الآبدين قائلين في الآيتين ١٢-١٣ "مستحق هو الخُرُوفُ المذبُوحُ أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة!". سمع يوحنا استجابة كل خلائق السماوات والأرض قائلة "لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخُرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ". رائع أعزائي أن نلاحظ أن نفس التسبيح المقدم لله الجالس على العرش، مقدم أيضًا لحمل الله المسيح لأنه مستحق كل المجد والكرامة.

عشنا لحظات رائعة في تنويع المسيح كملك، ورئيس كهنتنا الأعظم في هيكل الله عند صعوده للسماء، إذ أن انتصاره على الصليب، جعله مستحقًا أن يفتح السفر ويفك ختموه مما جعله ملك الكون الشرعي. لقد تم وعدُهُ بإرسال الروح القدس في يوم الخمسين بعد تمجيده. يجلس المسيح على عرش الكون إلى جانب أبيه السماوي إذ أعطي له كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض.

يعيش الرسول بولس أجواء التسبيح للمسيح في أفسس ١: ٢٠ - ٢١ "الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضًا". لنعيش أجواء التسبيح لحمل الله يسوع الآن، استعدادًا لتتابع تسبيحنا له في أمجاده السماوية عن قريب. آمين.

الوهية المسيح في العهد الجديد.

"أَنَا الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ." (رؤيا ٢٢: ١٣)

أَرَادَ أَحَدُ اللاهوتيين دَحْضَ ادِّعَاءِ بَعْضِ الَّذِينَ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَسِيحِيِّينَ مِنْ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَا يُعَلِّمُ بَأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ. وبعد بحث عميق في الأسفار المقدسة، لا سيما العهد الجديد، ليجد كم من برهان على الوهية يسوع فيها، وجد تركيز كبير من جانب كتاب العهد الجديد على إثبات أن يسوع هو الله "ظهر في الجسد". وبعد مراجعة لكتب العهد الجديد، ومقارنة آيات عن الموضوع، وجد أكثر من ١٢٠ آية أو فقرة تؤكد الوهية المسيح تبارك اسمه. في ادعاء المسيح بأنه الله، قبل السجود له، وأكد مقدرة أن يعمل أعمال تليق بالله وحده.

ففي إنجيل متى مثلاً، يدعى اسمه "عمانوئيل" والذي يعني "الله معنا" إشارة إلى تجسده - الله صار إنساناً. نفس التركيز ذكره يوحنا ١: ١ و ١٤ الذي أشار إلى الكلمة الذي هو الله، "والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا". نرى أيضاً في الأناجيل، أن يسوع شفى أناساً كثيرين بأمراض كثيرة، وأظهر سلطانه على "المجانين والمصرّوعين والمفلوجين فشفاهم". (متى ٤: ٢٤). كما قبل سجود الأبرص له، ولمسه بكلمة قائلاً "أريد فاطهر" (متى ٨: ٣). أثبت شفاؤه هذا أنه الله. كما شفى كثيرين عند لمسه مثل المرأة النازفة الدم.

أثبت أيضاً سلطانه على عناصر الطبيعة، إذ جاء ماشياً على الماء في إحدى الليالي، فسأله بطرس أن يأتي إليه ماشياً على الماء، وإذ خاف بدأ يغرق، فصرخ "يا ربُّ نجني" (متى ١٤: ٣٠ و ٣٣). ونج يسوع بطرس لعدم إيمانه. وبعد أن سكنت الرياح نقراً أن "الذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: "بالحقيقة أنت ابن الله!". عاملوه على أنه الله لأنه تصرف كذلك. وأكد لسامعيه مساواته بالله إذ قال "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). كان ليسوع سلطاناً على الموت إذ أقام ابنة يابروس، وابن أرملة نابين، وقبل موته بقليل أقام صديقه "لعازر" بعد ٤ أيام من دفنه، كما أكد لأختيه مريم ومرثا قائلاً "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا" (يوحنا ١١: ٢٥).

يذكرنا بولس في ١ تسالونيكي ٤: ١٤ برجاء القيامة فيقول "لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الرّاقدون بيسوع، سيخضروهم الله أيضاً معه". كما يؤكد يوحنا في رؤيا ١: ١٨ أن له مفاتيح الهاوية والموت. جاء يسوع المسيح ليُدمر بموته ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، فليسوع مفاتيح الموت والهاوية.

هذا يعني أنه سيأتي اليوم، الذي سيسمع فيه الأموات صوت ابن الإنسان وسيقامون! فصوت يسوع المسيح الذي له مفاتيح الموت، سيقم الجميع! إننا لم نعد الآن تحت عبودية الموت، لم نعد مقيدون بالموت. إن كنت آمنت برئيس الحياة، بيسوع المسيح الرب والمخلص.

كان يسوع الله في سلطانه على يوم السبت حيث قال "فإن ابن الإنسان هو ربُّ السبت أيضاً" (متى ١٢: ٨). وقد مارس سلطته المستمرة على السبت. في متى ٩: ٢ قال يسوع للمفلوج "ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك". وإذ ظن بعض الكتبة أنه يجدف، لأن الله وحده يغفر الخطايا، أكد لهم يسوع أن لابن الإنسان سلطان أن يغفر الخطايا. بعد ذلك شفى المفلوج. فالمغفرة والشفاء انطلقا معاً من يسوع كونه الله الابن.

أظهر مجده لتلاميذه على جبل التجلي. ومن قبض معرفته بالمستقبل، أعطانا يسوع علامات المنتهى في متى ٢٤ وتفاصيل أحداث النهاية لنكون مستعدين لمجيئه الثاني عن قريب. أدرك بولس كامل الوهية المسيح إذ قال: "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوون فيه، الذي هو رأس كل رياسة وسلطان" (كولوسي ٢: ٩ - ١٠).

إذ نصل إلى تسبيح الجند السماوي في سفر الرؤيا، ندرك أزلية المسيح حيث هو البداية والنهاية. الذي كان ميتاً وهو حي إلى أبد الأبد، هذا هو الله مخلصك يسوع المسيح، الذي يحبك ويريد أن يقضي الأبدية معك في أمجاده السماوية. فهل تقبله سيد حياتك حاضراً ومستقبلاً؟

العبادة في سفر الرؤيا

"وَهُمْ يَتَرَكِّمُونَ كَثْرَتِيْمَةَ جَدِيْدَةِ أَمَامِ الْعَرْشِ وَأَمَامِ الْأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْتِيْمَةَ إِلَّا الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ اشْتَرَوْا مِنَ الْأَرْضِ." (رؤيا ١٤: ٣)

يُوجَد الكثير من الرموز في سفر الرؤيا، تبدو صعبة للبعض، مثل الوحوش والتنين والضفادع. لكن موضوع الرؤيا الأساسي هو العبادة. يتناول السفر ما سيجري في الأيام الأخيرة، لمن يعبدون الوحش وسمته، كما يظهر خلائق سماوية ترنم تسايح لله. تُعَوِّد فكرة العبادة حسب الترتيب التالي: ١- السجود "للحي إلى أبد الأبد". (رؤيا ٥: ١٤). ٢- اسجدوا لـ "الكائن والذي كان والذي يأتي لأنك أخذت قُدْرَتِكَ الْعَظِيْمَةَ وَمَلَكَتْ" (رؤيا ١١: ١٧). ٣- عبادة الذي يأخذ "المجد والكرامة والقُدْرَةَ" (رؤيا ١١: ١٤). نرى إذا أن تركيز الرؤيا على الربّ وحده- خالقنا، ومُخْلِصنا، وقاضينا- المُسْتَحَقُّ كُلُّ السُّجُودِ والتسبيح.

من أعظم الأمثلة عن قُدْرَةِ اللَّهِ نَجْدَهَا عندما نَدْرُسُ النجوم والكواكب. وإذ ننظر عبر التلسكوب العملاق إلى السماء في الليل نصاب بالذهول لجمال وتنوع هذه الكواكب في كون الله الواسع. هذا ما شعر به يوحنا في أول رؤيا شاهد بها يسوع حيًّا في السماء ووجهه يضيء كالشمس في قوتها فقال "فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمِيَّتٍ، فَوَضَعَ يَدُهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلًا لي: "لَا تَخَفْ، أَنَا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ" (رؤيا ١: ١٧). فالله الذي نُعْبُدُهُ هُوَ خَالِقُ هَذَا الْكَوْنِ الْعَجِيبِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ، وَمَنْ نَحْنُ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ إِلَهٍ عَظِيمٍ مِثْلِهِ؟

نجد في سفر الرؤيا العديد من الأصحاحات تدور حول مشاهد، يُسَبِّحُ بها الملائكة والخلائق السماوية ربّ المجد يسوع. يبقى السؤال أعزائي، "ماذا يمكننا أن نتعلم من مشاهد العبادة هذه؟" يمكننا أن نتعلم الكثير منها، ولكن الشيء الهام هو: تأثير ما يحدث في السماء على الأرض، وما يحدث بالأرض على السماء.

فالسما والأرض أقرب مما نتصور، ويرينا سفر الرؤيا هذا القرب، حيث نجد الناس والملائكة المرة تلو الأخرى، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ عَلَى مَا عَمَلَهُ عَلَى الْأَرْضِ. فالمسيح هو الخالق والمخلص والديان. نحمده لقداسته، ونُسَبِّحُ اسْمَهُ لتقديم نفسه كذبيحة لأجلنا جميعاً. نشكره لأجل عدالته وأحكامه.

إذ ننقل إلى رؤيا الأصحاح ١٣، نجد إنجيل الخلاص بالمسيح يسوع، وقصة الصراع العظيم الدائر بين المسيح والشیطان. يُحاول الشيطان تدمير سلطة وقوة الله، والمعركة التي ابتدأت في السماء تجري الآن على الأرض. وعمل عدو النفوس إبليس عبر التاريخ سيصل إلى نهايته في آخر جولة من الصراع حول العبادة. وستكون حول من لا يعبدون الوحش وصورته، الذين سيواجهون ضيق شديد من العدو. إذ يعلم الشيطان أن يسوع قد هزمه على الصليب، لكنه سيستمر في حربه إلى النهاية، في خداع ما أمكنه من الناس.

في الأصحاح ١٤ من الرؤيا ننضم إلى الرائي يوحنا في مشهد سماوي حيث نرى ١٤٤٠٠٠ الذين افتدوا من الأرض، يقفون أمام الله في السماء، والذين أسمائهم مكتوبة في سفر الحياة. تُتابع في هذا الأصحاح موضوع العبادة بين من يعبدون الله خالقهم، ومن يعبدون وصايا وشرائع الناس.

وفي الآيات ٦-١٢ من رؤيا ١٤، نجد آخر رسائل يُقدِّمها الله لنا، حيث نجد الخليقة، الديونة والخلاص، الإنجيل والطاعة، حفظ الوصايا وتحذير ضد من يفضلون طاعة الناس على طاعة الله.

كمؤمنين ينتظرون عودة سيدهم، ندرك أهمية يوم الله السابغ: السبت، المرتبط ضمناً بالخليقة والعبادة. عن قريب، سيصبح الولاء لله تحدي كبير بالنسبة لنا، فهل نحن مُستعدين للصمود لولائنا لله مهما كان الثمن؟ تذكر عزيزي ما قاله يسوع للمُجْرَب "لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ". هنيئاً لك في ثبات ولائك لفاديك المسيح، كي تعبده حاضراً وتنعّم بتسبيح اسمه مدى أجيال الأبدية السعيدة. هذا ما أرجوه لك مع بركة ربّ المجد.

عبادتنا على الأرض تحضير للسماء

"بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعِدَّهُ، مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ
وَالْأَلْسِنَةِ، وَقِفُّونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ، مُتَسَرِّبِينَ بِيَابٍ بَيَضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ."
(رؤيا ٧: ٩)

ومَعَ الْخَتْمِ السَّادِسِ (رؤيا ٦: ١٣-١٧) يرى يوحنا زلزلة عظيمة وتساقط نجوم السماء حيث قد حان يوم غضب الخروف الجالس على العرش، وينتهي بسؤال حيث نقرأ في الآية ١٧ "لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم. ومن يستطيع الوقوف؟" جاء الأصحاح السابع ليعطي جواباً عن القادرين على الوقوف، الذين خُتموا وهم ١٤٤٠٠٠ حيث نقرأ عن صفاتهم في رؤيا ١٤: ٥-١. وقد صادف ذلك ظهور الحركة المجيئية حيث اختبار شعب الله خلال زمن النهاية، ويُلهم الانتصار.

بالنسبة للرقم ١٤٤٠٠٠ فيُشير رمزياً إلى مجموع جيل النهاية من كلا العهدين القديم والجديد الذين مَرُّوا بضيق في مُختلف العصور، وصَبَرُوا إلى المنتهى، والمستعدين لرجوع المسيح وينتقلون دُونَ أن يروا الموت (١ كورنثوس ١٥: ٥١-٥٣). لا نال الانتصار في حياتنا المسيحية بأعمالنا الصالحة، لكن إذ يجلس يسوع مُنتصراً على العرش، فإن انتصاره هو الذي يمنحنا العلبة. وإذ تُثبت فيه نكون أعظم من مُنتصرين.

تصف ألن هوايت صفات المُنتصرين فتقول "أولئك الذين أكرموا شريعة الله في وقت اعتبرها العالم المسيحي باطلة، وملايين من كل الأجيال الذين استشهدوا لأجل إيمانهم. لقد انتهت حربهم وأحرزوا الانتصار. لقد أكملوا السعي وأخذوا الجعالة. وسُعف النخل التي في أيديهم هي رمز الانتصار، والثياب البيض هي رمز بر المسيح الخالي من العيب الذي صار لهم الآن" (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٧١٨).

هل تعجبت عزيزي عما ستكون عليه السماء؟ بينما لا تُعطينا الأسفار المُقدَّسة الكثير عن حياة السماء، لكن الرائي يوحنا، كتب ما رآه وأعطانا صورة عن صالة عرش الله في رؤيا الأصحاح الرابع. يصف جمالها ووسط الأحجار الكريمة، مثل اليشب والعقيق وقوس القُرح حول العرش، وقدام العرش بحر زجاج شبه البلور.

لم يكن الله وحده في غرفة العرش، بل كان حوله ٢٤ شيخاً جالسين يلبسون ثياباً بيضاء وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. بالإضافة إلى سبعة مصابيح نار مُتقددة وكائنات أربع مملوءة بروح الله في تسبيح دائم.

لا تتوقف هذه الكائنات عن تسبيح الله نهائياً وليلاً قائلة "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإله القادر على كل شيء، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي". (رؤيا ٤: ٨). أما ال ٢٤ شيخاً (الذين يُمثلون المفديين في كل العصور) يسجدون أمام الله الحي إلى أبد الأبد، ويطرحون أكاليهم أمام العرش قائلين "أنت مُستحق أن تأخذ المجد والكرامة والقُدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وُخلقت" (رؤيا ٤: ١١).

إذا أردنا أن نصف السماء بكلمة واحدة فستكون: عبادة. هذا ما سنفعله هناك، سنكون في النهاية قادرين على عبادة الله بطريقة تُشبع أرواحنا، وتُعطي المجد لمن يستحقه. فكل محاولة للعبادة على هذه الأرض، هي تجربة لذلك الاختبار الحقيقي. لقد سمح الله ليوحنا برؤية لمحة مما يمكننا أن نتوقعه، كي نكون بنعمة الله مُستعدين. يُريدنا إدراك أن عيشنا الآن، كما لو كنا أمام العرش، يُؤهلنا للوصول إلى العرش مُنتصرين.

ما تعنيه العبادة هو أن نُعطي الله كل كرامة، وقُدرة، ومجد التي هي ملكه في الأصل. هذا ما لاحظته الرائي عندما سمح له أن يصعد إلى غرفة العرش السماوي. لك التسبيح أيها الآب السماوي رب السماء والأرض. ولك يا فادينا يسوع، كل الشكر لعظيم الخلاص الذي وفرته بدمك الثمين، لقد أحبتنا إلى المنتهى، وستأتي لتأخذنا إلى الديار السماوية.

يا روح الله القُدوس، تعال إلى قلوبنا، وجدّد حياتنا لتكون تسبيح دائم للقادر على كل شيء الآب والإبن والروح القدس. لك الحمد والمجد أبد الدهور. آمين.

اعبدوا مسيح الرؤيا

"إِ عْلَانُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ اللَّهُ، لِيُرِيَ عِبِيدَهُ مَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ، وَبَيْنَهُ مُرْسَلًا يَبْدَأُ مَلَائِكَةً لِعَبْدِهِ يُوحَنَّا." (رؤيا ١ : ١)

في الجزء الأخير من القرن الأول، بالقرب من الساحل التركي، تقع جزيرة قاحلة، كانت بطمس مستعمرة رومانية، لقطع أحجار ضخمة للهيكل والأبنية الملكية. وصل إليها قارب يحمل يوحنا آخر تلاميذ المسيح الأحياء، وآخر تلميذ من التلاميذ الثلاثة المقربين إليه، وآخر أعداء الإمبراطورية الرومانية. وصل يوحنا سجيناً منفياً في الثمانينات من عمره، ومع ذلك، كان مجبراً على العمل يومياً في محاجر الجزيرة.

وفي الكهف الذي عاش فيه، كان لديه الكثير من الوقت ليتأمل في الستين سنة التي خدّم بها سيده المحبوب. وإذا كانت تهبّ عواصف حوله من بحر إيجة، كان يتذكر كيف هدأ يسوع عاصفة بحر الجليل. وإذا رأى أحد السجناء يموت، تذكر كيف أقام المخلص صديقه لعازر. أعانته الروح القدس ليتذكر أروع الذكريات عن معلمه المسيح.

مهما بعدت المسافات وطال الزمان، بقي الحبيب قريباً من سيده المحبوب. شهد حياة وتعاليم ومُعجزات الفادي يسوع، عاين موته وقيامته وصعوده للسماء. لكن الرب أظهر له في الرؤيا ما سيكون عن قريب، وطلب منه أن يكتب ما يراه في سفر، ويُرسله إلى السبع الكنائس التي في آسيا الصغرى.

سمع توما عن قيامة المسيح وظهوره لباقي التلاميذ، وحيث أنه لم يكن موجوداً بينهم، شك في الأمر، وطلب أن يضع يده في مكان المسامير ويتلمس آثار الطعنة في جنبه. بعد أسبوع، ظهر يسوع للتلاميذ وكان توما بينهم، فحقق له ما طلب بوضع يده في آثار المسامير وفي جنبه، تأثر توما لما حدث وقال ليسوع "رَبِّي وَإِلَهِي!" (يوحنا ٢٠ : ٢٨). عرف "وليام تمبل" أسقف كاتدرائي من ١٩٤٢ - ١٩٤٤ العبادة بهذه الكلمات "أن تعبد يعني أن يسرع ضميرك إلى قداسة الله، أن تغذي عقلك بحق الله، أن تنقي خيالك بجمال الله، وتفتح قلبك لمحبهته، وتكرس إرادتك لقصده".

يدعونا الله كي نعبده من خلال أسمائه الإلهية. يزخر رؤيا يسوع المسيح بكنز ذهبي حقيقي حيث يظهر المسيح نفسه على صفحاته، بأكثر من ٦٧ اسماً ولقباً إلهياً نستطيع من خلالها تمجيد اسمه القدوس. ما أروع أن ندرس بإمعان ما تعنيه هذه الأسماء والألقاب، سيما، وأنها آتية من غرفة العرش السماوي، وعلى لسان الجند والخلائق السماوية وهم يسبحونه ليلاً ونهاراً. لنزرع في حياتنا روح العبادة، مثل مثالنا يسوع إذ نقرأ عنه "وفي الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلأ، وكان يصلي هناك" (مرقس ١ : ٣٥).

لتكن كلمة الله قوتنا الروحي اليومي، ونحن نطبق مبادئها ونعيش بموجبها، وبشكل خاص حياة فادينا يسوع. تقدم لنا السيدة هوايت هذه النصيحة "يُحسن بنا أن نقضي ساعة كل يوم بالتأمل في حياة المسيح. ينبغي لنا أن نتأمل في حوادث حياته واحدة فواحدة، وعلى الخصوص أحداث حياته الأخيرة". (روح النبوة، مُشتهى الأجيال، صفحة ٦٩).

افتح قلبك وتحدث إلى فاديك المسيح بالصلاة كما تفتح قلبك لصديق. سلم للرب طريقك ودعه يقود حياتك إلى طريق البر، واشكره على عظيم محبته وخلصه العجيب لأجلك على الدوام.

كان يوحنا معزولاً في بطمس، بعيداً عن بيته، بعيداً عن جميع الناس ما عدا السيد الرب. وإذا كان بالروح يعبده في سبته المقدس، ظهر له يسوع بأروع رؤيا سماوية. أعزائي، لا توجد حدود لما يمكن لله أن يعمل من خلالنا. حتى في صباننا، نستطيع مثل داود، أن نخدمه لنصبح فيما بعد رعاة صالحين لمجد من أحبنا. وكما كان المسيح مع يوحنا، يمكن أن يكون معنا في البيت والعمل، وفي أي مكان نوجد فيه.

لنعبد معاً مسيح الرؤيا، مسيح الأجيال، رب المجد، إلها الآتي عن قريب. لنعزم أن نكون معه في أمجاده السماوية عن قريب.

يسوع مُستحقَّ العبادة

"فَقَالَ لِي: "انْظُرْ لَا تَفْعَلْ! لِأَنِّي عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَقْوَالَ هَذَا

الكِتَابِ. اسْجُدْ لِلَّهِ!" (رؤيا ٢٢: ٩)

أَكَّدَ يُوْحَنَّا أَنَّ أَقْوَالَ سفر الرؤيا بخصوص ما ينبغي أن يكون سريعاً أميناً وصادقة، وكرَّر وعَد يسوع "ها أنا آتي سريعاً". هنيئاً لِمَن يحفظ أقوال نبوة سفر الرؤيا. بَعْدَ أَنْ رَأَى وَسَمِعَ يُوْحَنَّا ذَلِكَ، خَرَّ أَمَامَ رِجْلَيْ الْمَلَكِ لِيَسْجُدَ لَهُ، لَكِنَّ الْمَلَكَ مَنَعَهُ. شَرَحَ لَهُ أَنَّهُ عَبْدٌ مِثْلُ يُوْحَنَّا وَزَمِيلٌ لَهُ وَمَعَ إِخْوَتِهِ فِي الْمَسِيحِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ نُبُوَّةَ سفر الرؤيا. هَذِهِ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي يَمْنَعُ الْمَلَكُ يُوْحَنَّا مِنَ السُّجُودِ لَهُ (رؤيا ١٩: ١٠). بَعْدَ أَنْ أَوْضَحَ الْمَلَكُ الْأَسْبَابَ لِعَدَمِ السُّجُودِ لَهُ قَالَ لِيُوْحَنَّا "اسْجُدْ لِلَّهِ".

سَنَكُونُ أَغْزَائِي مَعَ ١٠ سَبَابَ لِكُونِ الْمَسِيحِ مُسْتَحَقَّ السُّجُودِ.

١- يسوع يستحقُّ عبادتنا لِأَنَّهُ حَمَلَ اللَّهُ الْحَامِلَ خَطَايَانَا. نَقَرَأُ فِي يُوْحَنَّا ١: ٢٩ "وَفِي الْعَدِ نَظَرَ يُوْحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!". مَاتَ يَسُوعَ الْمَوْتَ الَّذِي كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَصِينَا لِأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتَ. تَأَلَّمَ فِي مَكَانِنَا وَأَخَذَ غَضَبَ اللَّهِ الْكَامِلَ ضَدَّ خَطَايَانَا، وَضَمَّنَ لَنَا غُفْرَانًا كَامِلًا. ٢- الرَّبُّ يَسُوعَ مُسْتَحَقَّ سُجُودِنَا لِأَنَّهُ خَبِرَ الْحَيَاةَ. يَقُولُ الْمَسِيحُ فِي يُوْحَنَّا ٦: ٣٥ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ "أَنَا هُوَ خُبْرُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا". وَعَدَ الْمُخْلِصَ أَنْ يُشْبِعَ نَفْسَنَا بِحَيْثُ لَنْ نَجُوعَ أَوْ نَعْطَشَ رُوحِيًّا أَبَدًا. إِنَّهُ الْمَصْدَرُ الْحَقِيقِيُّ الْوَحِيدُ لَتَغْذِيَةِ وَحْيَاةِ الْخُطَاةِ الْمُحْتَاجِينَ لِلْخَلَاصِ.

٣- يَسْتَحِقُّ رَبُّ الْمَجْدِ عِبَادَتَنَا لِأَنَّهُ نَوْرُ الْعَالَمِ. نَقَرَأُ فِي يُوْحَنَّا ٨: ١٢ "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمَشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ". نَعِيشُ فِي عَالَمٍ مُظْلَمٍ بِالْخَطِيئَةِ حَيْثُ يَقُومُ النَّاسُ بِعَمَلِ الشَّرِّ. نَشْكُرُ بَارِينَا أَنْ يَسُوعَ يَشِيعُ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ، وَيُعْطِي رَجَاءً لِمَنْ لَا رَجَاءَ لَهُ، وَهَدَايَةً لِمَنْ لَا هَدَفَ لَهُ.

٤- يَبْقَى الْمَسِيحُ مُسْتَحَقًّا عِبَادَتَنَا لِأَنَّهُ الرَّاعِي الصَّالِحُ إِذْ يَقُولُ "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَنْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخُرَافِ". تَطَوَّعَ لِلذَّهَابِ إِلَى الصَّلِيبِ نِيَابَةً عَنِ خُطَاةِ عَاصِينَ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْوَحِيدَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَتَصَالَحَ بِهِ مَعَ إِلَهٍ قُدُوسٍ هُوَ قِصَاصُ الْمَوْتِ. نَحْنُ ضَعْفَاءُ، وَعَاجِزِينَ مِثْلَ خُرَافٍ ضَالَّةٍ لَا رَاعِي لَهَا، نَسِيرُ طَرِيقَ الْخَطِيئَةِ وَالذَّمَارِ، لَكِنَّ يَسُوعَ يَصِلُ إِلَيْنَا فِي انْسِحَاقِنَا وَيَأْسِنَا، دُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ أَنْ نَجْمَعَ قِطْعِنَا الْمُبْعَثَةَ وَنَنَالَ عَطْفِهِ. بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، يَنْتَشِلُنَا كِرَاعِينَا الصَّالِحَ وَيَضَعُ حَيَاتَهُ لِأَجْلِنَا.

٥- يَسْتَحِقُّ الْمَسِيحُ سُجُودَنَا، لِأَنَّهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ، كَمَا أَكَّدَ لِمَرْيَمَ وَمَرْتَا عِنْدَ قِيَامَةِ لِعَازَرِ فِي يُوْحَنَّا ١١: ٢٥-٢٦. يُمْكِنُنَا مِنْ خِلَالِهِ أَنْ نَنَالَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ إِذَا اخْتَرْنَاهُ مُخْلِصًا لَنَا. نَشْكُرُهُ مِنْ أَجْلِ فِدَائِهِ، الَّذِي سَيُتِيحُ لَنَا أَنْ نَعِيشَ مَعَهُ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ. ٦- رَبَّنَا يَسُوعَ مُسْتَحَقَّ عِبَادَتَنَا، لِأَنَّهُ طَرِيقُ الْخَلَاصِ الْوَحِيدِ. اسْمَعْ عَزِيزِي مَا قَالَهُ عَنْ نَفْسِهِ "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِي" (يُوْحَنَّا ١٤: ٦). يَسُوعَ الْبَابَ الْوَحِيدَ لِنَدْخُلَ فِي عِلَاقَةِ حُبِّيَّةٍ مَعَ اللَّهِ.

٧- يَسْتَحِقُّ الْمَسِيحُ سُجُودَنَا، لِأَنَّهُ مُعْطِي الْفَرَحِ الْكَامِلِ الَّذِي لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَنْزِعَهُ مِنَّا (يُوْحَنَّا ١٥: ١١ و ١٦: ٢٢). الْفَرَحُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ الرَّبُّ أَنْ يُعْطِيَنَا، هُوَ فَرَحٌ عَمِيقٌ الْجَذُورِ يَمْنَحُ الثِّقَّةَ وَالسَّلَامَ فِي مَوَاعِيدِهِ مَهْمَا كَانَتْ ظُرُوفُنَا.

٨- يَسُوعَ مُسْتَحَقَّ عِبَادَتَنَا لِأَنَّهُ أَعْطَانَا هِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَمَا نَجَدُهَا فِي يُوْحَنَّا ١٤: ١٦. لَدِينَا وَعْدُهُ أَنْ رُوحَ الْحَقِّ هَذَا سَيُعِيشُ فِيْنَا لِلْأَبَدِ، وَلَنْ يَخْذُلَنَا.

٩- يَسْتَحِقُّ مَسِيحُنَا السُّجُودَ لِأَنَّهُ رَبُّنَا الْحَيُّ الْمَقَامُ مِنَ الْأَمْوَاتِ (أَعْمَالُ ٢: ٢٣-٢٤).

١٠- يَسْتَحِقُّ الْفَادِي عِبَادَتَنَا لِأَنَّهُ مَلَكُنَا الْآتِي (رُؤْيَا ١: ٧-٨). إِنَّهُ الْبِدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ. مَا أَعْظَمَ أَنْ نُهْدِيكَ يَا رَبَّ الْمَجْدِ كُلَّ تَسْبِيحٍ وَسُجُودٍ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ.

سما جديدة في الرؤيا

"ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ." (رؤيا ٢١: ١)

هناك ثلاثة معاني لكلمة "السما" ١- تعني السما مكان سُكنى الله. يقول داود "الرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَهُ، وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ" (مزمور ١٠٣: ١٩). كما يُذَكِّرُ عرش الله وعلاقته بجبل الله. ٢- تُشير السما أيضاً إلى الكواكب اللامتناهية، والمجموعات الشمسية في الكون.

يقول داود الملك "إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلٌ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرُ وَالنُّجُومُ الَّتِي كَوَّنْتَهَا" (مزمور ٨: ٣). ما أعظم الخالق فيما أبدعت يده من روعة القمر والنجوم والأجرام السماوية التي تعكس مجد خالقها له المجد أبدي الدهور. ٣- يتكلم الكتاب المقدس أيضاً عن السما كالغلاف الجوي الذي يُحيط بالأرض، كما نرى في أسبوع الخليقة "فَعَمَلَ اللَّهُ الْجَلْدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلْدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلْدِ. وَكَانَ كَذَلِكَ. وَدَعَا اللَّهُ الْجَلْدَ سَمَاءً" (تكوين ١: ٨ و٩).

وعَدَّ الرَّبُّ يَسُوعَ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى السَّمَاءِ لِيُعَدَّ لَنَا مَنَازِلَ لِنَعِيشَ فِيهَا (يوحنا ١٤: ١-٣). والمفديون، الذين قبلوا خلاص الله، سيحصلون على أجساداً جديدة بدون لعنة الخطيئة. لن يكون هناك أعمى أو أصم أو أعرج في السما. مع أن يسوع صعد إلى السما، ليبنى لنا منازل، يُشير الكتاب المقدس إلى أن المُخْلِصِينَ سَيَبْنُونَ هُنَاكَ بِيُوتَهُمُ الْخَاصَّةَ، وَيَزْعُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ ثَمَارَهَا، كما يُوَضِّحُ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ ٦٥: ٢١ "وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَعْرِسُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا". "وفي الأرض الجديدة سيستمتع المفديون بممارسة الأعمال والمسرات التي كان آدم وحواء يُسعدان بها في البدء. وسيعيشون حياة حياة جنة عدن. حياة الجنة والحقل" (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٥٨٦).

وَعَدَّ يَسُوعُ أَنْ يُعَدَّ مَنَازِلَ فِي السَّمَاءِ لِمَنْ يَقْبَلُوا خِلاصَهُ. يُعَدُّ مَنَازِلَ حَقِيقَةً بِمَوَادِّ بِنَاءٍ حَقِيقَةٍ، لِأَنَّا حَقِيقِينَ لَنَسْكُنُوهَا. بماذا تُشَبِّهُ السَمَا؟ ١- سيكون كل شيء جديداً. هذا ما أكدَّه الرائي يوحنا حين قال "ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوْحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّاةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا" (رؤيا ٢١: ٢ و٣).

٢- لن يكون هناك ألم أو دموع "وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤيا ٢١: ٤). "ليس للألم وجود في السما. ولن تكون هناك دموع ولا مواكب جنازات ولا شارات حداد. ويؤكد إشعيا ٣٣: ٢٤ "لَا يَقُولُ سَاكِنٌ: "أَنَا مَرَضْتُ". الشَّعْبُ السَّاكِنُ فِيهَا مَغْفُورُ الْإِثْمِ". ٣- ستكون السما مكان سلام تام حيث يصفها النبي إشعيا ٦٥: ٢٥ "الذُّنُوبُ وَالْحَمَلُ يَرْعِيَانِ مَعًا، وَالْأَسَدُ يَأْكُلُ التَّنِّ كَالْبَقَرِ. أَمَّا الْحَيَّةُ فَالتُّرَابُ طَعَامُهَا. لَا يُؤْذُونَ وَلَا يَهْلِكُونَ فِي كُلِّ جَبَلٍ قُدْسِي، قَالَ الرَّبُّ". ستعود للأرض بهائها، كما كانت قَبْلَ السَّقُوطِ، حيث كانت الحيوانات تعيش بسلام ووثام.

٤- سيكون فيها كروماً وثماراً. يذكر النبي إشعيا ٦٥: ٢١ في نفس الاصحاح قائلاً "وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَعْرِسُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا". ٥- وحدائق مثمرة "تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالْأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِجُ الْفَقْرُ وَيُبْرِهُرُ كَالنَّرْجِسِ" (إشعيا ٣٥: ١). وفي العشاء الأخير قَبْلَ آلامه وصلبه قال المسيح لتلاميذه "إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي" (متى ٢٦: ٢٩). وهذا يعني أن في السما ستكون كروماً تُثمر عبداً حقيقياً. كما يُشير الكتاب المقدس إلى السما كوطن حيث نقرأ "ولكن الآن يَتَتَعَوَّنَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيُّ سَمَاوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحْيِ بِهِمُ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" (عبرانيين ١١: ١٦). والأهم من الكل أن المسيح سيكون هناك، ويسكن معنا في سما المجد، مدينته المحبوبة عن قريب.

اشتياقي لبيتي السماوي

"فَإِنَّا فِي هَذِهِ أَيْضًا نَحْنُ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنًا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ."

(٢ كورنثوس ٥: ٢)

مُنْذُ أَنْ طُرِدَ أَبَوَانَا الْأَوَّلَانِ مِنْ جَنَّةِ عَدْنِ، وَحَنِينَ الْإِنْسَانِ إِلَى السَّمَاءِ فِي إِزْدِيَادٍ. كَانَ بُولُسُ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا أَنَّ حَيَاتِنَا عَلَى الْأَرْضِ وَقْتِيَّةٌ، وَمَسْكَنُنَا شَبَهُهُ بِخِيْمَةٍ تُبْلَى عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ بِاتِّظَارِ أَنْ نَلْبَسَ جَسَدَ الْخُلُودِ، وَنَعِيشَ فِي بَيْتِنَا السَّمَائِيِّ. وَقَدْ شَبَّهَ هَذَا الشُّوقَ بِالْأَيْنِ فِي رُومِيَّةِ ٨: ٢٣ وَوَصَفَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بِكَوْرَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَحْنُ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيِّ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا". كَانَ شُوقَ قَلْبِهِ أَنْ يَأْتِيَ يَسُوعَ لِيَعِيشَ مَعَهُ فِي بَيْتِهِ السَّمَائِيِّ فِي دِيَارِ النِّعَمِ وَيَقْضِيَ الْأَبَدِيَّةَ هُنَاكَ.

تَمَيَّزَ رِجَالُ وَنِسَاءُ الْإِيمَانِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِهَذَا الْحَنِينِ إِلَى عِلَاقَةٍ أَسْمَى مَعَ اللَّهِ. كَانَتْ الْبَقِيَّةُ النَّقِيَّةُ مِنْهُمْ تَنْظُرُ مِنْ خَلْفِ الصُّورَةِ غَيْرِ الْوَاضِحَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، إِلَى مَا وَرَاءَ الْحِجَابِ إِلَى ذَلِكَ الْوَطَنِ الرَّائِعِ، لَكِي يَطْرَحُوا كُلَّ أَحْمَالِهِمْ وَهَمُومِهِمْ وَمَصَاعِبِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَيَنْتَقِلُونَ إِلَى ذَلِكَ الْوَطَنِ الَّذِي أُعِدَّ لَهُمْ، وَلِكُلِّ مَنْ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ. وَقَدْ عَبَّرَتِ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ هَذَا الشُّوقِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "وَلَكِنْ الْآنَ يَنْتَعُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَآوِيًّا. لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِجِ بِهِمُ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهُهُمْ، لِأَنَّهُ أُعِدَّ لَهُمْ مَدِينَةٌ" (عبرانيين ١١: ١٦).

سَتَكُونُ لَنَا فِي السَّمَاءِ أَجْسَادًا حَقِيقِيَّةً، وَأَجْسَامًا مُتَحَرِّرَةً مِنَ الْمَرَضِ وَالْأَلَمِ وَالْمَوْتِ فِي السَّمَاءِ. يُؤَكِّدُ الرَّسُولُ بُولُسُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَيَقُولُ "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَآوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخْلَصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيَعْبُرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضَعَ لِنَفْسِهِ كُلِّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢٠ و ٢١). كَانَ لَهُ جَسَدًا بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَلَنَسْمَعْ مَا قَالَهُ لِتَلَامِيذِهِ "أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي" (لوقا ٢٤: ٣٩). سَنَكُونُ فِي السَّمَاءِ قَادِرِينَ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحِبَّائِنَا رَغْمَ زَوَالِ الْعَاهَاتِ الْجَسْمِيَّةِ وَالْمَرَضِ وَالْأَلَمِ.

سَنَنْعَمُ بِأَجْسَادٍ خَالِدَةٍ، تُشَبِّهُ جَسَدَ يَسُوعَ بَعْدَ الْقِيَامَةِ. لَنْ يَحْدِثَ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ إِلَى الْعِلِّيَّةِ وَالْأَبْوَابِ مُغْلَقَةٍ، وَخَاطَبَ تَلَامِيذَهُ بِالسَّلَامِ. تَبْقَى الْحَقِيقَةُ أَعْزَائِي، أَنَّنَا سَنَقْضِي الْقِسْمَ الْأَكْبَرَ مِنْ وُجُودِنَا الْمُسْتَقْبَلِي عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ، الَّتِي سَيُعَادُ خَلْقُهَا وَتَجْدِيدُهَا كَمَا كَانَتْ فِي كَمَالِهَا الْأَصْلِيِّ.

وَالسَّمَاءُ كَمَا رَأَاهَا يوحنا الحبيب، هِيَ مَدِينَةٌ جَمِيلَةٌ نَازِلَةٌ مِنَ السَّمَاءِ مَلِئَةٌ بِالْأَجْنَادِ السَّمَاءِيَّةِ، تُحِيطُ بِالسَّامِ وَالْأَبْرَارِ - مَدِينَةٌ مَزِينَةٌ كَعُرُوسٍ لِرَجُلِهَا. السَّمَاءُ أَيْضًا هِيَ سُكْنَى اللَّهِ حَيْثُ هُنَاكَ أَيْضًا عَرْشُهُ، الْمَلَائِكَةُ هُنَاكَ وَالرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. بَعْدَ الْخِلَاصِ الَّذِي تَمَّمَهُ يَسُوعُ عَلَى الصَّلِيبِ صَارَتِ السَّمَاءُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ. وَلَا عَجَبَ أَنْ قَالَ مُخْلَصُنَا الْحَبِيبُ مُشِيرًا إِلَى صَلْبِهِ "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ". (يوحنا ١٢: ٣٢). صَارَ فَادِينَا الْقُدُّوسُ الْمَغْنَطِيسُ الَّذِي جَذَبَ الْأَرْضَ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَ خِلَاصَنَا أَقْرَبَ مِمَّا كَانَ.

السَّمَاءُ وَطَنًا أَفْضَلَ حَيْثُ اللَّهُ رَئِيسُ إِيْمَانِنَا هُوَ الْبَانِي وَالْمُبْدِعُ فِي خَلْقِهِ. نَظَرَ يوحنا الحبيب فِي رُؤْيَا ٢١ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ حَيْثُ سَيَسْكُنُ اللَّهُ مَعَ شَعْبِهِ، وَهُوَ سَيَكُونُ إِلَهُا لَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا. أَعْزَائِي، الرَّبُّ يَسُوعُ آتٍ عَنْ قَرِيبٍ. لَقَدْ مَضَى لِيُعَدَّ لَكُمْ وَلِي مَنَازِلَ سَمَآوِيَّةٍ نَقْضِي فِيهَا أَجْيَالًا لَا تَنْتَهِي مِنَ الْأَبَدِيَّةِ السَّعِيدَةِ. وَيُقَدِّمُ لَكُمْ الدَّعْوَةَ لِتَأْتُوا إِلَيْهِ وَتَقْبَلُوا الْخِلَاصَ الَّذِي أُعِدَّ لَكُمْ "هَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَاتَّعَشَّ مَعَهُ وَهُوَ مَعِيَ" (رؤيا ٣: ٢٠).

إِنَّهُ صَوْتُ يَسُوعَ يَطْلُبُ الدُّخُولَ. فَهَلْ سَتَفْتَحُ لَهُ قَلْبَكَ كِي يَمْلُكَ عَلَيْهِ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَحَسْبُ، بَلْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ بِصُحْبَتِهِ عَنْ قَرِيبٍ. اسْمَحْ لِيَسُوعَ أَنْ يُطَهِّرَ حَيَاتَكَ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَيُعْطِيكَ الْقُوَّةَ لِتَعِيشَ لَهُ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا. إِنَّ الْمَسِيحَ الْمُخْلَصَ فَاتِحًا ذِرَاعَاهُ لِاسْتِقْبَالِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَجِيدِ، وَالتَّرحيبُ بِكَ إِلَى بَيْتِكَ السَّمَائِيِّ. هُنِيئًا لَكَ فِي قَرَارِكَ إِلَى جَانِبِ الْمَسِيحِ.

الفصل الثاني عشر

كانون الأول "ديسمبر"

رَبُّ الْمَجْدُ



ما يقوله الكتاب عن المجد

"حَدِّثُوا بَيْنَ الْأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ." (مزمو ٩٦: ٣)

كان لسفر المزامير دوراً هاماً في حياة المسيحيين، فهي ترانيم استعملها الأفراد والعايدين أيضاً. إذ نقرأ المزامير، نراها تتحدث إلى مشاعرنا سواء للفرح أو الحزن. بالنسبة لمزمور ٩٦، فهو ترنيمة تتويج للرب كملك، وفيها دعوة للأرض بالابتهاج، ولشعبه بمشاركة الأمم بشاره خلاص الله.

أملني أن تتحدث كلمات هذا المزمور إلى قلبك. إذ تُرَنِّم الأرض بألحان أغاني طيورها الجميلة، فهل تتوقف وتُصغي إليها. الشكر لله، الذي يُعطينا كل يوم فرصاً، لنُرَنِّم لفادينا كُرب وملك على حياتنا، ويدعونا كي نُنشد مجده لكل الشعوب، ونُذيع خلاصه يوماً بعد يوم، من خلال إيماننا ومواهبنا وتجاربنا في الحياة.

يُعتبر مجد الله موضوع أساسي في الأسفار المقدسة، وفي كل ما يعملهُ الله. يُعرف الكتاب المقدس مجد الله على أنه صفاته وأخلاقه وأعماله غير المنظورة، التي يُظهرها بشكل ظاهر ومعروف. يقول النبي إشعياء ٦: ٣ وهو يُعطي المجد لله "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مَلَأَ كُلَّ الْأَرْضِ".

وعندما تُصبح صفات الله، مثل مجده، ظاهرة بشكل علني للعالم، تكون ما يُشير الكتاب إليه بـ "مجد الله". بدا هذا واضحاً في اختبار موسى، إذ طلب أن يرى مجد الله، فكان جوابه أن عدد صفاته مثل الرحمة والوفاء، الرأفة والمغفرة. يُقر صاحب المزامير داود بأن الكون والسموات التي خلقها الله تعلن مجده. نقرأ في مزمو ١٩: ١ "السَّمَاوَاتُ تَحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْقَلْبُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ". لقد خلق البارئ الإنسان على صورته ومثاله كي يُعطي المجد، وقد أوضح ذلك إشعياء ٤٣: ٧ "بِكُلِّ مَنْ دُعِيَ بِاسْمِي وَلِمَجْدِي خَلَقْتُهُ وَجَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ".

ومن أروع الأمثلة على مجد الله، نراها في شخص المحبوب يسوع له كل تسبيح. فالمسيح يسوع مجد الله بأروع صورة، لأنه أظهر الأب بأعظم قدر حيث أنه كان (الله ظهر في الجسد). يوضح كاتب الرسالة إلى العبرانيين ١: ٣ الفكرة فيقول "الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ".

عندما نسال: "مَا هُوَ مجد الله؟" فنحن نسال في الواقع "مَنْ هُوَ مجد الله؟" فالمسيح هو بهاء مجد الله، ويسوع المسيح هو مجد الله. كان مجد الله يرى في العهد القديم، على أنه سحابة أو كُرة من نار، لكن مجد الله ليس سحاباً أو ناراً، لكنه انعكاس أخلاق الله بشكل علني، في حياة وصفات الذين أحبهم إلى المنتهى. ومجد الله كما يُعلم الكتاب المقدس هو يسوع المسيح. نقرأ عن مُخلصنا يسوع في كولوسي ١: ١٥ "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ". وعن تجسده ومجده، نقرأ في يوحنا ١: ١٤ "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً".

في خطابه الوداعي في العلية قبل أن يُصلب، تكلم يسوع عن الآب، ورابط المحبة التي تجمعهم معاً، فقال له فيلبس "يَا سَيِّدُ أَرْنَا الْآبَ وَكَفَانَا" "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تُعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرْنَا الْآبَ؟" (يوحنا ١٤: ٩). جاء يسوع كي يُرينا الله في محبته، في روعة صفاته، وفي عطائه الذي لا يعرف الحدود. قام يسوع بكل هذا لأنه أراد تمجيد الآب.

يبقى الإنجيل جوهرياً لمجد الآب، لأنه يُظهر الله أكثر من أي عمل في التاريخ. الله يُظهر نفسه من خلال أعماله، ومن خلال الصليب والقيامة، نستطيع أن نرى أخلاق الله بأوضح صورة ممكنة. فالإنجيل هو ذروة محبة يسوع، والمسيح هو مُنتهى صورة الله غير المنظور.

وهذا يعني أن ما نعرفه عن الله يمكن رؤياه بأوضح صورة في المسيح. وما نعرفه عن المسيح، يظهر بأوضح هيئة في الإنجيل. المجد لك يا سيدي الرب لعظيم محبتك، ساعدني أن أشرق بنورك، كي يرى الناس أعمالك الصالحة في حياتي ويمجدوك على الدوام.

٩ مجد المسيح

"وَأَمَّا بُطْرُسُ وَاللَّذَانِ مَعَهُ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ." (لوقا ٩: ٣٢)

بعد سنوات عديدة من العمى، خضع رجلٌ في الخمسينيات من عمره لعملية جراحية في عينيه، استطاع بعدها أن يرى بمساعدة عدسات قوية. وعندما وصل إلى بيته من المستشفى، شرعَ حالاً في تحقيق حلم طال انتظاره بأن يذهب سيراً على الأقدام في الجيرة حول بيته. بعد دقائق قليلة عاد إلى البيت، ورمى نفسه على سريره، ودقن رأسه في الوسادة. سألته زوجته بقلق عن أي سوء تعرض له. فأجابها: "لم أستطع أن أحتمل أكثر من ذلك. لقد أثر الضوء على عيني، لكن الجمال من حولي هو ما أثر علي أكثر. أوجه الأطفال، الأشجار والأزهار، الطيور والعيوم. لم أستطع استيعاب هذا النور وهذا الجمال كله دفعة واحدة".

هل تساءلت عن شعور تلاميذ المسيح بطرس ويعقوب ويوحنا إذ أخذهم يسوع إلى جبل عال ليصلوا معه، أخيراً غلبهم سلطان النوم فناموا، وإذ سطع نور مجد يسوع من حولهم ومعه موسى وإيليا، ومع كل هذا الجمال والوحي والمجد، فلا عجب أنهم لم يكونوا قادرين على تحمل ما جرى أمامهم.

حاول بطرس أن يقول شيئاً بهذه المناسبة، فقال جيد أن نضع لكم ثلاث مظال. وهو لا يعلم ما يقول، لكن مجد تلك الحادثة بقي ماثلاً في عقله فكتب يقول "إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معانين عظمتة. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: "هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به" ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس" (٢ بطرس ١: ١٦-١٨).

كي نفهم معنى التجلي، علينا أن نفهمه في مضمونه. حاول لوقا تدرجياً إظهار شخصية المسيح. كان لدى الناس مفاهيم عديدة - منهم من قالوا أنه يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا أو واحد من الأنبياء، لكن بطرس بوحى إلهي اعترف أن يسوع هو المسيح الله. بعد ذلك، أخبرهم المخلص عن موته القريب وقيامته. أزعجهم هذا الكلام، ولم يفهموا معناه رغم ترديد نفس القول مراراً. فهموا المسيح كملك، لكنهم لم يستوعبوا أن عليه أن يتألم ويدخل في مجده.

أكد الفادي يسوع أن من الحاضرين قوماً سيرونه في مجده "حقاً أقول لكم: إن من القيامة ههنا قوماً لا يدوقون الموت حتى يروا ملكوت الله". (لوقا ٩: ٢٧). وقد عني بهذا القول، أن بعضاً من تابعيه سيخسرون حياتهم من أجله، وبعضاً منهم سيرون ملكوته الآتي قبل استشهادهم، لأن رؤية المسيح في مجده، تعني رؤية صورة لذلك اليوم عندما سيعود ليملك.

نرى إذاً أن قصد التجلي كان لتشجيع التلاميذ الثلاثة وافهامهم، أنه حتى معلمهم عليه أن يتألم ويموت، وأن عليهم أن يتبعوه على درب الصليب، فإن مجد يسوع المستقبلي وكل تابعيه مضمون.

ترتكز حياة المسيحي على معرفة أعمق بالمسيح، فهو مثل لؤلؤة جميلة، تظهر جوانب مختلفة لمجده في نور كلمة الله. كان يسوع يصلي أن ينبثق مجده كالشمس من خلف الغيوم. كان ذاك المجد الذي تشارك فيه مع الله الآب قبل خلق العالم. إنه نفس المجد، الذي يملكه الآن إذ يجلس عن يمين الآب. فألوهية المسيح الكاملة، وبشريته الكاملة، متحدتان معاً في شخصه الكريم للأبد.

رغم ما يمثله موسى وإيليا من أهمية في قيادتهما واختيار المسيح لهما ليكونا في السماء، إلا أن الرسالة التي حملها ليسوع كانت لتشجيعه على مواصلة خطة الفداء، يبقى المسيح أعظم منهما لأن بموته خلاصاً لهما. عزيزي، تمم يسوع قصد الله بموته من أجل فداك وفدائي، لم لا تعطه المجد في حياتك اليوم، وتستعد لتراه في مجده عن قريب، إذ يعود ليأخذك معه إلى ديار النعيم؟

حَقَائِقُ عَنِ التَّجَلِّيِّ

"وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيَضاءَ كَالنُّورِ." (متى ١٧: ٢)

تَصِفُ هَذِهِ الْآيَةُ أَكْثَرُ اللَّحْظَاتِ نُورًا فِي حَيَاةِ كُلِّ مَنْ بَطرس ويعقوب ويوحنا، وَأَكَّدَتْ تِلْكَ اللَّحْظَةَ هَذَا النُّورَ السَّاطِعَ وَالَّذِي بَدَأَ حَقِيقِيًّا. كَانَ مُعَلِّمُهُمْ يَسُوعُ ابْنُ إِلَهِ السَّمَاءِ. وَكَلِمَةُ "تَجَلِّي" فِي مَعْنَاهَا بِالْيُونَانِيَّةِ تَعْنِي تَغْيِيرَ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى، كَمَا نَرَاهَا فِيمَا قَالَهُ بولس في ٢ كورنثوس ٣: ١٨ "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَظَرِينَا مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ".

ارْتَبَطَتْ تِلْكَ اللَّحْظَةُ بِوُجُودِ كُلِّ مَنْ مُوسَى وَإِيلِيَا. شَعَّ وَجْهُ مُوسَى بَعْدَ أَنْ قَضَى وَقْتًا مَعَ اللَّهِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءِ، لَكِنَّ ذَلِكَ الْأَشْعَاعَ كَانَ أَنْعَكَاسًا لِمَجْدِ اللَّهِ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَدْ شَعَّ مِنَ الدَّخْلِ بِمَجْدِهِ، الَّذِي كَانَ لَهُ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ قُدُومِهِ لِعَالَمِنَا. هَكَذَا، رَأَى التَّلَامِيذُ الثَّلَاثَةَ يَسُوعَ فِي حَالَةٍ تُمَثِّلُ طَبِيعَتَهُ كَابِنٍ لِلَّهِ.

عَاشَ التَّلَامِيذُ لَحْظَاتٍ مَجْدِ اللَّهِ فِي شَخْصِ سَيِّدِهِمْ يَسُوعَ، لَحْظَاتٍ انْطَبَعَتْ عَلَى عُقُولِهِمْ لَوْ قَدْ طَوَّلَ حِينَ شَاهَدُوا مَجْدَ مُعَلِّمِهِمُ الْمَحْبُوبِ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْجَبَلِ فَلَمْ يَذْكُرِ الْإِنْجِيلُ اسْمَهُ. يَذْكُرُ كُلُّ مَنْ مَتَّى وَمَرْقُسُ أَنَّ يَسُوعَ صَعِدَ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ.

بِهَذَا التَّجَلِّيِّ، حَقَّقَ يَسُوعُ وَعْدَهُ الْوَاردَ فِي مَتَّى ١٦: ٢٨ "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ". وَصَفَتْ السَّيِّدَةُ هَوَايَتِ رُوحَةِ ذَلِكَ التَّجَلِّيِّ. "كَانَ يَسُوعُ مُحَاطًا بِنُورِ السَّمَاءِ، كَمَا سَيُظْهِرُ عِنْدَ مَجِيئِهِ "ثَانِيَةً بَلَا خَطِيئَةٍ لِلخَّلَاصِ" لِأَنَّهُ سَيَأْتِي "بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقُدِيسِينَ" عِبْرَانِيِّينَ ٩: ٢٨، مَرْقُسُ ٨: ٣٨. لَقَدْ تَمَّ أَنْتَظِدَ وَعْدَ الْمُخْلَصِ لِتَلَامِيذِهِ. فَعَلَى الْجَبَلِ كَانَ مَلَكُوتُ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ مُثَلًّا بِكَيْفِيَّةِ مُصْعَرَةٍ - بِكَيْفِيَّةِ فَالْمَسِيحِ هُوَ الْمَلِكُ، وَمُوسَى يُمَثِّلُ الْقُدِيسِينَ الْمُقَامِينَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَإِيلِيَا يُمَثِّلُ الْقُدِيسِينَ الَّذِينَ سَتَتَغَيَّرُ أَجْسَادُهُمْ" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، مُسْتَهْيُ الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٤٠٠).

تَتَوَلَّى الْبَشِيرُونَ مَتَّى ١٧: ١-١٣، وَمَرْقُسُ ٩: ٢-١٣، وَلُوقَا ٩: ٢٨-٣٦ قِصَّةَ التَّجَلِّيِّ، لَكِنَّ الطَّبِيبَ لُوقَا قَدَّمَ تَفَاصِيلَ إِضَافِيَّةَ لَا نَجْدُهَا فِي مَتَّى وَمَرْقُسَ نَذْكُرُ أَهْمُهَا. يَذْكُرُ الْإِنْجِيلُ بِحَسَبِ لُوقَا أَنَّ التَّغْيِيرَ فِي هَيْئَةِ يَسُوعَ، حَدَثَ بَيْنَمَا كَانَ الْمَسِيحُ يُصَلِّي (لُوقَا ٩: ٢٩). يَذْكُرُ أَيْضًا فِي الْآيَةِ ٣٢ أَنَّ التَّلَامِيذَ الثَّلَاثَةَ "فَكَانُوا قَدْ تَنَقَّلُوا بِالنُّومِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ". أَضَافَ لُوقَا أَنَّ بَطْرُسَ قَدْ اقْتَرَحَ إِقَامَةَ ثَلَاثِ مَظَالٍ بَيْنَمَا كَانَ مُوسَى وَإِيلِيَا يُغَادِرَانِ الْمَكَانَ، حَيْثُ نَقَرَا فِي آيَةِ ٣٣ مِنْ لُوقَا ٩ "وَفِيمَا هُمَا يُبَارِقَانِهِ قَالَ بَطْرُسُ لِيَسُوعَ: "يَا مُعَلِّمُ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هُنَا. فَلْنُصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلِإِيلِيَا وَاحِدَةً".

قَدْ نَسَأَلَ عَنْ مَوْضُوعِ الْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ مُوسَى وَإِيلِيَا مَعَ يَسُوعَ عَلَى جَبَلِ التَّجَلِّيِّ. نَقَرْنَا عَمَّا دَارَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحَادِيثَ "إِنَّ مَوْضُوعَ حَدِيثِ مُوسَى وَإِيلِيَا مَعَ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ لِتَتَوِيحِ الْمَسِيحِ مَلَكًا، بَلْ كَانَ لِمَوْتِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكْمِلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. آتِيَا لِيَتَحَدَّثَا مَعَ يَسُوعَ عَنْ مَنَاطِرِ آلامِهِ وَعَذَابِهِ، وَلِيُعَزِّيَاهُ بِبِقِيْنِ عَطْفِ السَّمَاءِ عَلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ عِمَادُ هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ رَجَاءُ الْعَالَمِ وَخَلَاصُ كُلِّ النَّاسِ" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، مُسْتَهْيُ الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٤٠١).

كَانَ التَّلَامِيذُ مَعَ يَسُوعَ عِنْدَمَا شَعَّ بِنُورِ مَجْدِهِ، لِأَنَّهُمْ يُشَارِكُونَهُ مَجْدَهُ، فَقَدْ كَانَتْ صَلَاتُهُ فِي يُوحَنَّا ١٧: ٢٤ "أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ". وَفِي وَسَطِ مَظَاهِرِ الْمَجْدِ، سَمِعَ التَّلَامِيذُ صَوْتًا مِنَ السَّحَابَةِ يَتَكَلَّمُ بِجَلَالٍ مَهِيبٍ جَعَلَ الْجَبَلَ كُلَّهُ يَهْتَزُّ "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا".

رَأَوْا بِعُيُونِهِمْ وَسَمِعُوا بِأَذَانِهِمْ أَشْيَاءَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا أَفْهَامُ النَّاسِ، وَتَأَكَّدُوا بِالْحَقِيقَةِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ الَّذِي قَدْ شَهِدَ لَهُ الْآبَاءُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَأَنَّهُ هَكَذَا تَعْتَبِرُهُ دِيَارُ السَّمَاءِ. أَحْبَابِي، سَيَعُودُ الْمَسِيحُ بِمَجْدِهِ عَنْ قَرِيبٍ لِيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ، مَا أَرُوعَ أَنْ نَكُونَ مِنْ مُسْتَقْبَلِيهِ، وَلِنَقْلُ مَعَ التَّلَامِيذِ "جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هُنَا". وَنَنَعَمُ بِصُحْبَتِهِ مَدَى دَهْوَرِ الْأَبَدِيَّةِ. آمِينَ.

أَهْمِيَّةُ التَّجَلِّيِّ

"لأننا لم نتبع خرافات مُصَنَّعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ." (٢ بطرس ١: ١٦)

يعتقد الكثير من الناس، بأن ادعاءات المسيحية هي مجرد خرافات مُصَنَّعة وحكايات وأساطير. حتى في أيام الرسول بطرس، كانت مُجَادَلَات قد انتشرت حول مصداقية رسالة الإنجيل، ومعها انتشرت التعاليم الكاذبة على أيدي المُعَلِّمين الكذبة. يُقدِّم بطرس شهادته الشخصية حيث رأى جلال المسيح بأم عينيه عندما كان معه على جبل التجلي، فكان بذلك شاهد عيان. وإذ وعظ عن قوة المسيح وعودته المجيدة، لم يتبع أي نص لشخص آخر، بل تكلم من اختباره الخاص. رأى بطرس الكثير من مُعْجَزَات المسيح وعرف أن ما علّمه هو الحق.

من بين الثلاثة الذين صعدوا مع يسوع إلى الجبل كان بطرس. تلميذ للمسيح تفاخر بولائه ومحبة الكبيرة لسيده، منذ أن ترك القارب والشباك وتبعه. مشى مع المُخْلِص كُلَّ الطريق، واستغرب كيف أن ابن الله المُتَجَسِّس، دَيَّرَ بمنشفة ويقوم بدور الخادم عندما غسل أرجل تلاميذه قبل تناولهم العشاء الأخير. عاش حزن تلك الليلة التي أُسْلِمَ فيها يسوع وآلام بستان جسيماني، وإذ جاءوا للقبض عليه، استل بطرس سيفه ليدافع عن سيده، لكن المسيح وبَّخه لأن سلاح المومن هو إيمانه بمُخْلِصه. في الوقت ذاته، رأى بطرس مجد المسيح في التجلي على الجبل المقدس، مما أثر على حياته خصوصاً بعد تأكيد المسيح عُفْرانه له بعد أن أنكره.

ماذا عني بطرس بقوله "كنّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ"؟ ليس مجد طبيعته الإلهية بالإيمان، وبأعين فهمهم، بينما يعتبر آخرون يسوع كمُجَرَّد إنسان، وليس بالمُعْجَزَات التي أجراها، والتي أظهر فيها مجده وعظمته، حيث كان الرسل شهود عيان لجميعها، لكن ذاك المجد والعظمة التي استقرت عليه عندما تجلّى على الجبل أمامهم، وشعَّ وجهه كالشمس، وغطى جميع جسده وثيابه أيضاً. كما ظهر موسى وإيليا بأجسام مجيدة. كان ذلك مُقَدِّمة لقوته ومجيئه بمجده ومُجَدِّ أبيه ومُجَدِّ الملائكة. كان التجلي بُرْهَاناً من جانب الرسل على عظمة المسيح.

يُعتبر التجلي تمجيد حدث لجسم يسوع حيث شعَّ وجهه وجسمه كلمعان الشمس، وفي وقت التجلي، كانت خدمة يسوع الأرضية تُوشِكُ على نهايتها. اعترف بأنه المسيح وتنبأ عن موته وقيامته. الآن، كان عليه أن يُظهر لِمَحَّة من مجده لتلاميذه الثلاثة، وقد أخبرهم أن لا يخبروا أحداً عما جرى إلا بعد قيامته من الموت.

وقد أعطى التجلي بُرْهَاناً آخر، أن يسوع هو ابن الله الإلهي. لم يكن من قبيل الصدفة أن يحدث التجلي بعد إقرار يسوع نفسه بأنه المسيح، الذي ترك سماء المجد ليأتي إلى الأرض.

كان لظهور موسى وإيليا مع المسيح، أهمية لاهوتية عظيمة، ولهذا السبب تم اختيارهما للحضور إلى يسوع على جبل التجلي. تحدّث موسى مع الله على جبل سيناء، واستلم منه الوصايا العشر التي هي مقياس دينونة البشر. وبسبب خطيئته في مريّة، لم يُسمَح له بدخول أرض الموعد. لقد خضع موسى للموت، ولكن لم يكن له أن يبقى في القبر، فلقد أعاده المسيح إلى الحياة. وهو يُمثّل أولئك الذين سيخرجون من قبورهم في قيامة الأبرار. أما إيليا، نبي الله العظيم فقد شهد لله على جبل الكرمل، وتحدّى أنبياء البعل وأثبت أن الرب هو الله.

لقد أُنْصِدَ إيليا إلى السماء دون أن يرى الموت، فيُمثّل الأحياء الأبرار الذين سيتغيرون في طرفة عين عند مجيء المسيح، ويصعد الجميع لمُلاقاة الرب في الهواء. أعطى صوت الله "هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا". إثباتاً آخر لدعوة وبُوءة يسوع، وأقر أن المسيح قد نال مسرة الله في كل شيء قاله وعمله.

أحبائي، صلاتي أن تتمكّن من سماع صوت الله يُنادينا كي نصعد معه إلى الجبل لنرى عظيم محبته وروعة تضحيته لأجل خلاصنا. سيعود عن قريب، فلنستعد لرؤية مجده ومجد الله ومجد الملائكة إذ نُرحَّب به، رباً وفادياً لحياتنا.

مجدُّ الله والتجليُّ

"وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نِيرَةٌ ظَلَّتْهُمْ، وَصَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرُرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا." (مَتَّى ١٧: ٥)

قَبْلَ أَيَّامٍ مِنْ تَجَلِّيِّ الْمَسِيحِ، حَيْثُ ظَهَرَ جَلَالَ قِدَاسَتِهِ وَلَمَعَانَ مَجْدِهِ عَلَى يَسُوعَ وَتَلَامِيذِهِ الثَّلَاثَةِ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ، نَجَدَ الْمُخَلَّصَ يُخْبِرُ تَابِعِيهِ، أَنَّهُ سَيَعُودُ بِمَجْدِهِ لِيُؤَسِّسَ مَلَكُوتَهُ الْمَوْعُودُ بِهِ. وَفِيمَا تَحَدَّثَ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْهَامِ، أَضَافَ قَائِلًا "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَدُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ" (مَتَّى ١٦: ٢٨). لَقَدْ حَقَّقَ وَعْدَهُ إِذْ أُعْطِيَ لِتَلَامِيذِهِ الثَّلَاثَةِ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا امْتِيازَ رُؤْيَا التَّغْيِيرِ عَلَى مَعْلَمِهِمُ الْمَسِيحَ "وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيَضاءَ كَالنُّورِ" (مَتَّى ١٧: ٢).

إِذْ خَيَّمَتِ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ وَمُوسَى وَإِيلِيَا سَحَابَةٌ، هُنَا تَذَكَّرُ التَّلَامِيذُ عُمُودَ السَّحَابِ الَّذِي ظَلَّلَ خِيَمَةَ الْجَمَاعَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، وَكَذَلِكَ "السَّحَابُ الَّذِي مَلَأَ بَيْتَ الرَّبِّ عِنْدَ تَدَشِينِ سُلَيْمَانَ لِلْهَيْكَلِ". ظَهَرَ مَجْدُ اللَّهِ تِلَاةَ صَوْتٍ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرُرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا". أَكَّدَ ذَلِكَ الصَّوْتُ أَنَّ لَا حَاجَةَ لِمَسْكَنِ مَصْنُوعٍ بِالْأَيْدِي، فَبَشَّرِيَّةَ يَسُوعَ كَانَتْ مَسْكَنُ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ كَمَا نَقَرْنَا "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا". (يُوحَنَّا ١: ١٤). وَفِي رُؤْيَا ٣: ٢١ "هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ".

سُمِعَتِ نَفْسُ الْكَلِمَاتِ "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ" عِنْدَ مَعْمُودِيَّةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، حَيْثُ رَكَزَتْ عَلَى عَظَمَةِ شَخْصِيَّةِ الْمُخَلَّصِ، لَكِنْ فِي التَّجَلِّيِّ خَاطَبَتِ الْكَلِمَاتُ عُقُولَ وَقُلُوبَ التَّلَامِيذِ بِشَأْنِ مَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، الَّذِي سَيُحَقِّقُهُ فِي أُورُشَلِيمَ. لَقَدْ أَطَاعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ حَتَّى الْمَوْتَ، هَكَذَا، أَظْهَرَ نَفْسَهُ مُسْتَحَقًّا لِمَحَبَّةِ الْآبِ. فَفِي سَاعَةِ الظُّلْمَةِ وَمَا بَدَأَ فَشَلًا، إِلَى جَانِبِ الْعَذَابِ وَالْمَوْتِ، كَانَ يُحَقِّقُ مَسَرَّةَ اللَّهِ الَّذِي قَبْلَ ذُبِيحَتِهِ الْكَامِلَةِ. وَمَا قَالَهُ اللَّهُ "لَهُ اسْمَعُوا" صَارَ لَهُ أَهْمِيَّةٌ جَدِيدَةٌ، إِذْ قَالَ يَسُوعُ "السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ" (مَتَّى ٢٤: ٣٥).

كَانَ مَشْهَدُ التَّجَلِّيِّ مَثَارَ خَوْفٍ لِلتَّلَامِيذِ الثَّلَاثَةِ، كَمَا نَقَرْنَا فِي لُوقَا ٩: ٣٤ "وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ ذَلِكَ كَانَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّتْهُمْ. فَخَافُوا عِنْدَمَا دَخَلُوا فِي السَّحَابَةِ". كَانَ لظُهُورِ مَجْدِ اللَّهِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ أَنَّ الشَّعْبَ تَرَاوَعُوا، وَاضْطُرَّ مُوسَى لِأَنْ يَلْبَسَ بُرْقَعًا عَلَى وَجْهِهِ إِذْ كَانَ يَشْعُرُ بِمَجْدِ اللَّهِ.

وَفِي اخْتِبَارِ إِشْعِيَاءَ عِنْدَمَا رَأَى السَّيِّدَ الرَّبَّ عَلَى عَرْشِهِ قَالَ فِي الْأَصْحَاحِ ٦: ٥ "وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسٌ الشَّفَقَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسٍ الشَّفَقَتَيْنِ، لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ رَأَتْهُ الْمَلِكُ رَبُّ الْجُنُودِ". طَلَّبَ مُوسَى أَنْ يَرَى وَجْهَ اللَّهِ، لَكِنَّهُ أَوْضَحَ لَهُ اسْتِحَالَةَ ذَلِكَ إِذْ قَالَ "لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ". ثُمَّ وَضَعَهُ فِي نَقْرَةٍ صَخْرَةٍ وَسَتَرَهُ بِيَدِهِ إِلَى أَنْ اجْتَازَ.

مَا زَالَ وَعْدُ يَسُوعَ بِأَنْ يَأْتِيَ ثَانِيَةً بَاقٍ إِلَى يَوْمِنَا، وَصَوْتُ اللَّهِ يَأْمُرُنَا قَائِلًا "لَهُ اسْمَعُوا". دَاوُمُوا عَلَى سَمَاعِ صَوْتِهِ، وَقِرَاءَةِ كَلِمَتِهِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ سَيَأْتِي الْآتِي وَلَا يَبْطِئُ لِيُؤَسِّسَ مَلَكُوتَ مَجْدِهِ كَمَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ. لِنَجْتَهِدْ فِي سَمَاعِ مَا يَقُولُهُ وَتَطْبِيقِهِ فِي حَيَاتِنَا، وَلِنُشْجَعَ وَاحِدُنَا الْآخَرِ فِي مُشَارَكَةِ حَقِّ إِنْجِيلِ النِّعْمَةِ الْمَجِيدِ، عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ لِأَجْلِ خَطَايَانَا وَقَامَ ثَانِيَةً كِي كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.

يَقُولُ أَمِيرُ الْوُعَاظِ "سِيرَجَن" فِي وَصْفِ التَّجَلِّيِّ "كَانَتْ مُنَاسَبَةً عَظِيمَةً، مَعَ ذَلِكَ، لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتُ أَفْضَلِ يَصِفُ بِهَا اللَّهُ ابْنَهُ مِنْ ذَلِكَ الصَّوْتِ عَلَى الْجَبَلِ، وَبِالتَّأَكِيدِ إِذَا كَانَ الرَّبُّ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَنْ يَقُومَ خُدَّامُهُ بِذَلِكَ؟ نَعِظُ بِأَفْضَلِ صُورَةٍ عِنْدَمَا نَعِظُ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ".

رَائِعٌ أَنْتَ رَبِّي فِي مَجْدِكَ إِذْ يَعْكُسُ الْمُؤْمِنُونَ بِكَ صِفَاتِكَ فِي حَيَاتِهِمْ، وَيَسْمَعُوا صَوْتَكَ عَلَى أَمَلِ رُؤْيَاكَ عَنْ قَرِيبٍ.

فَرَحٌ فِي رَجَاءِ الْمَجْدِ

"الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ، إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ." (رومية ٥: ٢)

في بداية الإصحاح الخامس من رومية، يصف بولس ماذا يحدث لِمَنْ يُؤْمِنُونَ بالمسيح، فَقَدْ تَبَرَّرُوا بِالْإِيمَانِ أَمَامَ اللَّهِ، وَلَهُمُ الْآنَ وَإِلَى الْأَبَدِ سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ. لَمْ نَعُدْ أَعْدَاءَ مُعَرَّضِينَ لِعُضْبِهِ بِسَبَبِ خَطَايَانَا. وَقَبْلَ ذَلِكَ، يَذْكُرُ إِبْرَاهِيمُ أَبُو الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيلُ اللَّهِ كَمَثَالٍ، الَّذِي آمَنَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا. ثُمَّ يُضِيفُ بُولُسُ أَنَّ يُمْكِنَنَا الْحُصُولَ عَلَى أَهَمِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ، أَلَا وَهُوَ نِعْمَةُ اللَّهِ بِإِيمَانِنَا بِالْمَسِيحِ. تَعْنِي النِّعْمَةُ نَيْلَ صَلاَحٍ لَا نَسْتَحِقُّهُ. مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا هُوَ دِينُونَةُ اللَّهِ وَعُضْبُهُ بِسَبَبِ خَطَايَانَا، لَكِنْ أُعْطِينَا بَدَلًا مِنْهَا، نِعْمَةُ اللَّهِ.

كَمَفْدِيٍّ لِلَّهِ وَوَارِثِينَ مَعَ الْمَسِيحِ، يَحْسِبُنَا اللَّهُ كَأَبْرَارٍ بِنِعْمَتِهِ مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ. وَنَفْرَحُ مَعَ التَّلَامِيذِ وَالرُّسُلِ فِي وَعْدِ اللَّهِ الْأَكِيدِ لِرَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ، عِنْدَمَا تَتَغَيَّرُ أَجْسَادُنَا فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، لِنَصِيرَ مِثْلَ جَسَدِهِ الْمَجِيدِ فِي مَجِيئِهِ ثَانِيَةً. فِكْرَةُ الْفَرَحِ هُنَا تُعْطِي الثِّقَةَ وَالْفَرَحَ.

تَسْتَعْمَلُ بَعْضُ التَّرْجُمَاتِ وَمِنْهَا الْعَرَبِيَّةُ "ونفتخر على رجاء المجد" أو "الافتخار" الافتخار في الانجاز البشري "قد أبطل" (رومية ٣: ٢٧)، لَكِنَّ الْاِفْتِخَارَ بِسَبَبِ مَا أُعْطِينَا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ، هِيَ مُنَاسِبَةٌ كَمَا نَقْرَأُ فِي رُومِيَّةِ ٣: ٢٣ "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ". لَقَدْ ضَاعَ مَجْدُ اللَّهِ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ، لَكِنَّهُ سَيَعُودُ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِهِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. حَاشَا أَنْ نَفْتَخِرَ إِلَّا بِالْمَسِيحِ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا.

عِنْدَمَا يَسْتَعْمَلُ بُولُسُ كَلِمَةَ "الرجاء" فِي سَفَرِ رُومِيَّةٍ، فَمِنْ الْمُهْمِ فَهْمُ مَا تَعْنِيهِ الْكَلِمَةُ أَلَا وَهُوَ النَّظَرُ قُدْمًا بِتَوَقُّعٍ إِلَى حَدُوثِ شَيْءٍ لَا نَسْتَطِيعُ رُؤْيِيَتَهُ بَعْدَ. كَيْفَ نَحْتَفِلُ بِهَذَا الرَّجَاءِ الْعَظِيمِ؟ فَقَدْ وُضِعَ أَمَامُنَا فِي كَلِمَةِ اللَّهِ الْقَدِيرِ الْمَكْتُوبَةِ، مُوقِّعَةً بِدَمِ ابْنِهِ الْحَبِيبِ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ الْحَيَّةِ، وَمَخْتَوِمَةً بِرُوحِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ.

أَمَّا رَجَاؤُنَا فِي مَجْدِ اللَّهِ فَهُوَ رَغْبَتُنَا الصَّادِقَةُ، وَتَوَقُّعُنَا بِفَرَحٍ تَحْقِيقَ وَعْدِ اللَّهِ لَنَا فِي وَقْتِ الْمُنْتَهَى، الْمَوْسَسَ عَلَى أَسَاسِ كَلِمَةِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ وَصِفَاتِهِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ، عِنْدِيذٍ، سِنَرَاهُ وَجْهًا لُوجَهُ فِي مِلءِ مَجْدِهِ، وَتَسْكَبُ بَرَكَاتِهِ الْغَزِيرَةُ عَلَيْنَا. مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، نَقِفُ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ، مَا هِيَ اسْتِجَابَتُنَا وَنَحْنُ نُدْرِكُ رُوعَةَ نِعْمَةِ الْمَسِيحِ؟ نَفْرَحُ بِالتَّأَكِيدِ، عَالَمِينَ أَنَّ لَنَا هَذَا الرَّجَاءَ الْأَكِيدَ بِالمُشَارَكَةِ بِمَجْدِهِ لِلْأَبَدِ. إِنَّ مَجْدَ اللَّهِ يَنْحَصِرُ فِي شَخْصِهِ الْكَرِيمِ وَكُلِّ مَا يَرْمُزُ إِلَيْهِ. وَالْآنَ إِذْ تُبَرَّرْنَا وَنَلْنَا غُفْرَانَ خَطَايَانَا، سَنَخْتَبِرُ مَجْدَ اللَّهِ بِالْكَامِلِ عِنْدَمَا يَعُودُ يَسُوعُ لِيُؤَسِّسَ مَلَكُوتَ الْمَجْدِ عَنْ قَرِيبٍ.

وَإِذْ نَفْرَحُ بِهَذَا الرَّجَاءِ تَكُونُ اسْتِجَابَتُنَا عَظِيمَةً. أَظْهَرَ اللَّهُ أَنَّ مَجْدَهُ عَظِيمٌ جَدًّا لِأَنَّهُ أَبَدِيٌّ، كَمَا يَقُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ١١: ٣٦ "لَأنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ". تُرَى عَظَمَةُ مَجْدِ اللَّهِ فِي أَنَّهُ بَاقٍ لِلْأَبَدِ فِي دِيمُومَتِهِ.

يَسُوعُ هُوَ الَّذِي يُقَدِّمُنَا لِلآبِ فِي كُونِهِ الْمُبَرَّرِ وَالْوَسِيطِ يُزِيحُ السِّتَارَ الَّذِي يَحْجِبُ اللَّهَ وَنِعْمَتَهُ عَنَّا، وَيُرْحَبُ بِنَا إِلَى حَضْرَتِهِ. وَمِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ نَقِفُ، وَنَسْنَقِي وَاقِفِينَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

وَإِذْ نَنْظُرُ بِشَوْقٍ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَزْدَادُ فَرَحُنَا. يَسُوعُ الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، قَادِرٌ أَنْ يُعِيدَنَا إِلَى اللَّهِ، وَيُقَدِّمَنَا إِلَى مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي تَتَوَاجَدُ بِهَا الْيَوْمِ. يَسُوعُ مَصْدَرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ كَمَا أَوْضَحَهَا فِي يُوَحَنَّا ١٧: ١ "أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَيَبْسُوعُ الْمَسِيحِ صَارًا".

يَهَيْبُ بِنَا الرَّسُولُ بُولُسُ أَنْ نَعِيشَ لِلْمَسِيحِ كُلِّ يَوْمٍ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ، بِانْتِظَارِ وُصُولِ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ حَيْثُ يَقُولُ "مُنْتَظَرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخْلَصِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ". (تِيطُسَ ٢: ١٣). أَدَمُ يَا رَبِّ فَرَحْنَا بِانْتِظَارِ قُدُومِكَ ثَانِيَةً، وَأَعْطَانَا ذَلِكَ النَّصِيبَ الصَّالِحَ أَنْ نُشَارِكَ مَجْدَكَ يَا فَادِيَنَا الْقُدُوسَ وَالْبَارَّ. لِكَ كُلِّ التَّسْبِيحِ وَالْعَظَمَةِ وَالْمَجْدِ عَلَى الدَّوَامِ. آمِينَ.

لينظروا مجدي

"أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلَاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي، لَأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ." (يوحنا ١٧: ٢٤)

في الليلة الأخيرة التي اجتمع فيها يسوع لتناول عشاء الفصح، أراد أن يظهر محبة الآب لهم، وحبّه هو كي يُعَدَّ تلاميذه ليكونوا معه في المنازل السماوية التي سيُعدها لهم، حيث أنه الطريق والحق والحياة. شَرَحَ لهم أن الإيمان به هو طريق الخلاص الوحيد، وليس أي عمل صالح من جانبهم. هنا وفي نهاية صلاته الشفاعية، كرّر المُخلص وعده لجميع المؤمنين به بأن يُعطيهم الحياة الأبدية، وتغيّر شامل حيث سيلبسون الخلود عند قيامتهم إذ يسمعون صوت يسوع يُناديهم كي يقوموا لملاقاته (١ كورنثوس ١٥: ٥٠ - ٥٥).

تؤكد كلمة الله أن سيرتنا هي في السماويات، هناك موطننا الباقي عندما يأتي يسوع ثانية ليأخذنا إلى بيتنا السماوي، الذي ذهب المسيح ليُعده لنا في بيت أبيه. قبل ساعات قليلة من صلب يسوع، كذبيحة لخطية العالم أجمع، صُلِّيَ إلى الآب لأجل تلاميذه ولنا جميعاً الذين نثق فيه كمُخلصنا، عبر شهادتهم الأمانة.

"أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلَاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي، لَأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يوحنا ١٧: ٢٤).

يستجيب الله دائماً صلوات ابنه الحبيب، ويوما ما، سيأتي المسيح ثانية من عرش الله، حيث هو الآن جالساً عن يمين الآب، ليأخذنا لنكون معه في السماء. يا له من يوم مجيد، عندما ننظر مجده، "مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا". (يوحنا ١: ١٤). عبر الفادي بصلاته هذه عن رغبته بأن نكون معه في المجد، كي كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاسْمِهِ، مُنْذُ يَوْمِ الخمسين وإلى زَمَنِ الْمُنتَهَى، يكون معه في مجده. يا له من أساس عظيم لرجائنا في السماء، ورجاء كُلِّ مُؤْمِنٍ بأن نكون مع المسيح. كانت تلك رغبة الرسول بولس بأن يكون "مُغْتَرِبًا عَنِ الْجَسَدِ وَمُقِيمٌ عِنْدَ الرَّبِّ" (٢ كورنثوس ٥: ٨-٩).

نحاول على هذه الأرض، في فترة عُمرنا القصيرة، أن نجد مجداً لأنفسنا، وذلك لكسب المجد في عُيُونِ الْآخَرِينَ. فالمجد الحقيقي يأتي من الرَّبِّ، وقد تاق السيد المسيح أن يُشارك مجده الأبديّ معنا الذي كان له قبل تجسده ومجيئه لعالمنا. حتى الآن، ويسوعنا الحيّ جالس عن يمين الآب يتوق كي يُشارك مجده معنا، كما يشترك لتجلس إلى جانبه، نَتَطَلَّعُ إليه في كُلِّ مجده، ومجد الملائكة أيضاً. لِنَنْظُرْ بِشَوْقٍ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ فِي تَرْقُبٍ وَانْتِظَارٍ الْيَوْمَ الَّذِي سَنَرَى فِيهِ مَسِيحَنَا الْمُبَارَكِ، وجهاً لوجه، في كُلِّ مجده.

سيكون استجابة صلاة كاهننا الأعظم السيد المسيح أكيدة كما أن كلمته أمانة وصادقة. كما تستند هذه الصلاة المجيدة لأجلنا على ثبات كلمة الله، وكُلُّ الَّذِينَ وَثِقُوا بِدَمِّ الْمَسِيحِ وَعَمِلُوا الْخَلَاصِيَّ عَلَى الصَّلِيبِ، كَبَدِيلِ الْخَطَاةِ، قَدْ غَطَّاهُمْ وَأَلْبَسَهُمْ بِهِ، وسيرى الجميع عن قريب مجد المسيح الذي أعطاه الآب الذي أحبه قبل إنشاء العالم. تنقلنا السيدة ألن هوايت إلى مشاهد تحقيق صلاة المسيح من أجلنا في السماء فتقول: "ثم يسمع شعبُ الله صوتاً رائعاً وصافياً وموسيقياً قائلاً لهم: "انظروا فوق".

فإذ يرنون بأنظارهم إلى السماء يرون قوسَ العهد. يُبْتَنُونَ أَنْظَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَوْنَ مَجْدَ اللَّهِ وَابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِساً عَلَى عَرْشِهِ. ومرةً أخرى يسمع صوت موسيقى منتصر يقول: "ها هم آتون! ها هم آتون قديسون وأمناء وبلا عيب. لقد حفظوا كلمة صبري، وسيمشون بين الملائكة". وحينئذ ستَهْتَفُ تلك الشفاه الشاحبة المرتعجة، شفاه الذين قد ثبتوا على إيمانهم، هَتَافَ الْإِنْتِصَارِ " (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٦٨٨).

أصليّ أبي السماوي أن أكون ضمن من يُشْهِدُونَ تَرَانِيمَ الْإِنْتِصَارِ هَذِهِ فِي سَمَاءِ الْخُلُودِ، وأراك هناك مع جميع مُحِبِّيك في مجدك العظيم.

المسيح فينا رجاء المجد

"الَّذِينَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غَنَى مَجْدِ هَذَا السِّرِّ فِي الْأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ". (كولوسي ١: ٢٧)

كان للرسول بولس فضل في توضيح الكثير من أساسيات المسيحية، حيث استلّم حقائق مُعَيَّنة من المسيح المُقام والمُجَدِّد- أسرار كانت مخفية في العصور الماضية. وقد أُعطي غنى نعمة الله للكنيسة من خلال بولس، حقائق صعبة يعجز العقل البشري عن إدراكها. مع ذلك، اختار الله نفسه أن يعلن للكنيسة المسيحية سر غنى مجده بين الأمم، والذي هو "المسيح فيكم رجاء المجد". كانت خطة الله أن يتعمق شعبه في أسرار المعرفة الإلهية بمَعُونَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، والتي ستكون نتائجها أخلاق تليق بمجده.

سرٌ مجيد آخر هو انضمام الأمم لغنى مجده. جاء هذا الاعلان صدمة لشعبه قديما الذين ظنوا أن امتيازات الخلاص محصورة فيهم، لكن كما يقول الكتاب أن "ليس عند الله مُحَابَاةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ". (أعمال ١٠: ٣٤). فرحمته تمتد إلى كُلِّ مَنْ يَقْبَلُهُ، حيث شدد بولس على شمول خطة خلاص الكون بأسره. فحلّول يسوع في القَلْبِ الْبَشَرِيِّ، هو دَلَالَةٌ لِهَذَا السِّرِّ الْأَبَدِيِّ.

إنَّ تَطَوُّرَ النِّمُو الْمَسِيحِيِّ يَنْتَقِلُ مِنْ مَرَحَلَةٍ نِعْمَةِ اللَّهِ، إِلَى مَرَحَلَةٍ أُخْرَى مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ. وإذ ينمو المسيحي في الإيمان، يَنْتَقِلُ مِنْ مَجْدِ التَّبَرِيرِ عَبْرَ مَرَاكِزٍ عَدِيدَةٍ إِلَى التَّقْدِيسِ، إِلَى أَنْ يَنْتَقِلَ أَخِيرًا إِلَى التَّجِيدِ السَّمَاوِيِّ، حيث سيكون أخيراً مع المسيح في ملكوته إلى أبد الأبد.

في المسيح، نال الحياة والصحة، قوتنا الروحي اليومي والمجد الأبدي. ولا يسكن روح الله بشكل دائم في المؤمن، لكن حياة المسيح المُقام تُعطى للمُخَلَّصِينَ بِالنِّعْمَةِ مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ فِيهِ. نُصِيح - في المسيح- مِنْ مُوَاطِنِي السَّمَاءِ، وَرِثَةُ اللَّهِ، وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، غِنَى سِرِّ هَذَا الْمَجْدِ بَيْنَ الْأُمَمِ: "المسيح فيكم رجاء المجد".

هذا السرُّ العجيب قد أُعطيَ لَنَا بِوِاسِطَةِ بُولُسِ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الْعُصُورِ الْمَاضِيَةِ: الْمَسِيحُ فِيكُمْ، الْمَسِيحُ فِي، الْمَسِيحُ فِي كُلِّ غُضُو مِنْ جَسَدِ الْمَسِيحِ: "المسيح فيكم رجاء المجد". هذه الحقيقة المجيدة تستحقُّ شُكْرَنَا وَتَسْبِيحَنَا عَلَى الدَّوَامِ. لِنَعِشْ كُلَّ يَوْمٍ كِي نَكُونَ مُسْتَحَقِّينَ تَسْبِيحِهِ وَمَجْدِهِ.

مشاركة خبر يسوع المسيح ينبغي أن يكون هو نمط حياة المؤمن في (كولوسي ١: ٢٦-٢٩) نقرأ: "السر المكتوم منذُ الدهور، ومنذُ الأجيال، لكنّه الآن قد أُظْهِرَ لِقَدِّيسِيهِ الَّذِينَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هَذَا السِّرِّ فِي الْأُمَمِ الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ، الَّذِي نَادَى بِهِ مُنْذَرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِكُلِّ حِكْمَةٍ لِكِي نُخْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَتَعَبْتُ أَيْضًا مُجَاهِدًا بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي بَقُوَّةٍ". على المسيحي أن يعيش حسب رجائه، لأنّه في هذه الحياة لا يرى مواعيد الله تتم في حياته.

إنَّ الْخَطِيئَةَ تَبْقَى عَالِقَةً فِيهِ، وَهِيَ تُزْعِجُهُ، وَتُعَكِّرُ صَفْوَةَ حَيَاتِهِ. إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ وَسُلْطَانَهُ عَلَى الْمَسْكُونَةِ بِأَسْرَها يَبْقَى مَحْجُوبًا عَنِ النَّظَرِ. ومع ذلك، فإنَّ الْمَسِيحِيَّ يَرْجُو الْإِنْتِصَارَ التَّامَّ وَالنِّهَايَ عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَقَدُومَ مَلَكُوتِ اللَّهِ بِشَكْلٍ ظَاهِرٍ. وهذا الرجاء ليس بأمر وهميٍّ أو خياليٍّ، إِذْ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَنَ فِي كَلِمَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّ ذَلِكَ سَيَتِمُّ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، عِنْدَ عَوْدَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى عَالَمِنَا. الرجاء المسيحي هو رجاء حيٍّ، وليس هُنَاكَ حَيَاةٌ بِدُونِهِ.

فكيف إذاً أعرف أن حياتي ستكون مجيدة؛ لأنَّ المسيح في! وهذا هو رجائي في حياة صحيحة، ومُزْدَهَرَةٌ، وَنَابِضَةٌ بِالْحَيَاةِ، وَنَاجِحَةٌ! لَقَدْ أَقَامَنِي مَعَهُ وَأَجْلَسَنِي مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، وَهَذِهِ هِيَ ثِقَتِي أَنَّنِي لَنْ أَخِيبَ أَبَدًا فِي الْحَيَاةِ طَالَمَا يَسُوعُ مَعِي، وَهُوَ رَجَائِي فِي الْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ وَالْأَبَدِيَّةِ. سَاعِدْنِي إِلَهِي أَنْ أَبْقِيَ هَذَا الرَّجَاءَ حَيًّا فِيَّ، وَأَعِيشْ لِمَجْدِكَ عَلَى الدَّوَامِ. آمين.

الكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً

"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً."

(يوحنا ١: ١٤)

كان البعض يعتقد في زَمَن يوحنا أن يسوع لم يكن إنساناً كاملاً، بل كان روحاً أو سَراباً، لذا خَصَّصَ يوحنا أوَّل ١٨ آية في الأوصاح الأوَّل من إنجيله لدحض هذا الافتراء الكاذب، مُؤكِّداً أن يسوع كان إنساناً حقيقياً بجسم كامل. وأكَّد أنَّ الله الكلمة قد صار إنساناً، وعاش بين الناس وَنَصَبَ خِيَمَتَهُ بَيْنَهُمْ. وَكُنْتِجَةُ لِهَذَا التَّجَسُّدِ أَنَّهُ تَجَرَّبَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، وَلَكِنْ بَدُونِ خَطِيئَةٍ كَمَا تَقُولُ كَلِمَةُ اللَّهِ "لَأَنَّ لَنَا رَبِّيسَ كَهَنَةٍ غَيْرِ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لَضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، بَلَا خَطِيئَةٍ". (عبرانيين ٤: ١٥).

تعني كلمة "حَلَّ بَيْنَنَا" في اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ "المَسْكَن" أي خيمة الاجتماع التي كَانَتْ تَرْمُزُ قَدِيماً إِلَى حُضُورِ اللَّهِ بَيْنَ شَعْبِهِ. بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، عاش يسوع بَيْنَنَا بَهِيئَةً بَشَرِيَّةً، تماماً مِثْلَمَا كَانَ اللَّهُ قَدِيماً يُخَيِّمُ بِحُضُورِهِ وَسَطَ شَعْبِهِ. وعندما يقول يوحنا أنَّ "الكَلِمَةَ صَارَ جَسَداً" يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ صَارَ إِنْسَاناً مِنْ خِلَالِ يَسُوع. وهذا يعني أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي كَانَ مَعَ اللَّهِ مِنْذُ الْأَزَلِ (يوحنا ١: ١-٢). يُظْهِرُ الْآبُ لَنَا كَابِنَ اللَّهِ الْوَاحِدَ (يوحنا ٣: ١٦).

يَصِفُ يُوْحَنَّا هُنَا "التَّجَسُّدَ" كَأَعْظَمِ حَدَثٍ بَارَزَ فِي التَّارِيخِ. اللَّهُ: الْكَامِلُ فِي عَدْلِهِ وَقِدَاسَتِهِ، فِي قُدْرَتِهِ اللَّامَحْدُودَةِ، فِي عَظَمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ- لَيْسَ رِداءَ الْبَشَرِيَّةِ، وعاش بَيْنَنَا فِي يَسُوع، كَمَا هُوَ كَالهُ وَإِنْسَانٍ (يوحنا ١: ١٨). كما يُشِيرُ تَجَسُّدُهُ أَيْضاً إِلَى أَنَّ يَسُوعَ قَدْ تَمَّ جَمِيعُ نُبُوءَاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عَنْهُ.

عاش يوحنا مَعَ يَسُوعَ وَكَانَ وَاحِداً مِنَ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدَ الْكَلِمَةِ الْمُتَجَسِّدِ. نَظَرَ إِلَيْهِ بِاعْجَابٍ وَسَجَدَ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ- رَبِّهِ وَإِلَهِهِ. عاشَ وَسَارَ مَعَهُ وَلَمَسَهُ لَأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ سَنِينَ- اسْتَمَعَ بِانْتِبَاهٍ لِكَلِمَاتِ النِّعْمَةِ وَانْدَهَشَ بِحَقِّهِ الْمُدْهَشِ- مُرَاقِباً كَيْفَ تَمَّ نُبُوءَاتِ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ- وَنَظَرَ مَجْدَهُ، مَجْدَ وَحِيدِ الْآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. رَأَى فِيهِ مَجْدَ الْإِلَهِ الْأَزَلِيِّ، يَشْعُ فِي وَجْهِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَقَدْ انْعَكَسَتْ صِفَاتُ الْإِلَهِ الْحَيِّ فِي شَخْصِ ابْنِ الْآبِ الْوَاحِدِ- اللَّهُ - الْإِنْسَانِ- يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْبَارِّ.

رَاقِبْ يُوْحَنَّا وَبَاقِي التَّلَامِيذِ الْمَرَّةَ تَلَوْ الْأُخْرَى كَمَا لِحَيَاةِ ابْنِ الْإِنْسَانِ بَلَا خَطِيئَةٍ، وَالْمَجْدَ الصَّادِرَ عَنْهُ كَانَ انْعِكَاساً لَصُورَةِ مَجْدِ الْآبِ- مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. صَارَ ابْنُ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ فِي شَخْصِ ابْنِ الْإِنْسَانِ الْبَارِّ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَصَلَاحٍ، مُؤَهَّلاً لِيَكُونَ مُخْلَصُنَا الْكَامِلَ وَذُبِيحَةَ لِحَطَايَانَا. وَكَلِمَةُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدِ، صَارَ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْإِنْسَانِ مَمْلُوءاً حَقّاً، الَّذِي أَهْلُهُ لِيَصِيرَ مَصْدَرٌ وَحْيِ اللَّهِ الْكَامِلِ.

كَتَبَتْ أَلَن هَوَايْتُ تَصِفُ رُوعَةَ تَجَسُّدِ الْفَادِي بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ "تَعْنِي بَشَرِيَّةُ ابْنِ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ لَنَا. إِنَّهَا السَّلْسَلَةُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتِي تَرْتَبُطُ نُفُوسُنَا بِالْمَسِيحِ، وَمِنْ يَسُوعَ بِاللَّهِ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُحَوَّرَ دِرَاسَتِنَا. كَانَ الْمَسِيحُ إِنْسَاناً حَقِيقاً، وَأَعْطَى بُرْهَانَ تَوَاضُعِهِ إِذْ صَارَ إِنْسَاناً". (رِسَائِلُ مُخْتَارَةٍ، الْجُزْءُ الْأَوَّلُ، صَفْحَةُ ٢٤٤). تُشِيرُ "الكَلِمَةُ" بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ "لُوغُوس" إِلَى يَسُوعَ. وَكُلُّ مَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مُرْكَزٌ فِي الْمَسِيحِ - مَصْدَرُ الْحَقِّ الْكَامِلِ. لَذا، يُعْطِينَا إِنْجِيلُ يُوْحَنَّا الْأَوْصَاحِ الْأَوَّلَ لِمَحَةِ عَنْ عِلَاقَةِ الْآبِ/الابْنِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَسُوعَ بَهِيئَةً بَشَرِيَّةً. وَجَدَ مَعَ الْآبِ مِنْذُ الْأَزَلِ (آيَةُ ١) كَمَا تَشَارَكَ فِي خَلْقِ كُلِّ شَيْءٍ (آيَةُ ٣)، وَهُوَ "نُورُ كُلِّ النَّاسِ". (آيَةُ ٤). وَفِي الْكَلِمَةِ (يَسُوعَ) يَحِلُّ كُلُّ مِلءِ الْإِلَهِيَّةِ جَسَداً (كُولُوسِي ٢: ٩).

لَكِنَّ اللَّهَ رُوحٌ، لَا تَرَاهُ عَيْنُ الْإِنْسَانِ. وَرِسَالَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَفِدَاةِ اللَّهِ الَّتِي نَقَلَهَا الْأَنْبِيَاءُ بَقِيَتْ مُهْمَلَةً لِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ. فَقَدْ وَجَدَ النَّاسُ سَهْلاً عَلَيْهِمْ عَدَمَ الْإِصْغَاءِ لِرِسَالَةِ إِلَهِ لَا يَرُونَهُ، وَاسْتَمَرُّوا فِي خَطِيئَةِ عَصْيَانِهِمْ. وَالْحَقُّ صَارَ جَسَداً، وَجَاءَ لِيَعِيشَ بَيْنَنَا. صَدَّقَ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ إِذْ قَالَ لِيُوسُفَ الْبَارِّ "وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عَمَّا نُؤَيِّلُ الَّذِي تَفْسِيرُهُ اللَّهُ مُعْنَا" (مَتَّى ١: ٢٣). هَذَا يَسُوعَ الَّذِي يُحِبُّكَ وَيُرِيدُ أَنْ يَرَاكَ مَعَهُ فِي أَمْجَادِهِ عَنْ قَرِيبٍ. فَاقْبَلْهُ الْآنَ.

ماذا أفعل يسوع؟

"قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: "فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟" (متى ٢٧: ٢٢)

رَعِمَ شَعْبِيَّةُ يَسُوعَ، وبراءته الأكيدة، وبالمقارنة مع مُجرِمٍ مُحْتَرَفٍ، طَلَبَ الشَّعْبُ إِطْلَاقَ سَرَّاحِ الْمُجْرِمِ. اِنْدَهَشَ الْحَاكِمُ وَظَنَّ أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ الْإِخْتِيَارُ لِلشَّعْبِ، فَبِالتَّأَكِيدِ سَيَخْتَارُونَ الْحُرِّيَّةَ لِيَسُوعَ بَدَلًا مِنْ قَاتِلٍ. تُشِيرُ سَجَلَاتُ مِنْ خَارِجِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، إِلَى أَنَّ بِيلاطُسَ لَمْ يُظْهِرْ أَيْ إِحْتِرَامَ لِلْكَهَنَةِ وَلَا لِلنَّاسِ أَيْضًا. كَانَ لَدَى بِيلاطُسَ كَحَاكِمِ السُّلْطَةِ لِإِطْلَاقِ سَرَّاحِ يَسُوعَ، لَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، رَغِبَ فِي إِرْضَاءِ الشَّعْبِ، فَأَحْضَرَ يَسُوعَ وَمُجْرِمٌ يُدْعَى "بَارَابَاسَ" أَمَامَ حَشْدٍ مِنْ حَاسِدِي الْمَسِيحِ وَرَاغِبِينَ بِمَوْتِهِ وَسَأَلَهُمْ "مَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ؟" فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِظْهَارِهِ كإِنْسَانٍ بَرِيءٍ. لَمْ يَكُنْ بِيلاطُسَ بَرِيئًا إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُ تَحْذِيرًا بِوَاسِطَةِ زَوْجَتِهِ الَّتِي رَأَتْهُ فِي حُلْمٍ وَأَكَّدَتْ لَهُ أَنَّ الْمَسِيحَ إِنْسَانٌ بَرِيءٌ قَائِلَةٌ لَهُ "إِيَّاكَ وَذَاكَ الْبَارَّ".

وَاجَهَ بِيلاطُسَ قَرَارًا صَعَبًا حَيْثُ إِزْدَادَ الضَّغْطُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّخْلِ، كَانَ يَعْرِفُ الصَّحِيحَ، وَأَنَّ يَسُوعَ كَانَ بَرِيئًا، أَمَّا الضَّغْطُ الْخَارِجِي، فَأَتَاهُ مِنَ الشَّعْبِ الَّذِينَ دَفَعُوهُ لِعَمَلٍ مَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظُلْمٌ. حَاوَلَ أَنْ يُمَارِسَ الضَّغْطَ عَلَى الْمُحْتَشِدِينَ لِاتِّخَاذِ الْقَرَارِ بِوَضْعِهِمْ أَمَامَ خِيَارَيْنِ: يَسُوعَ أَمْ بَارَابَاسَ. فَاخْتَارُوا بَارَابَاسَ.

طَلَبَ بَعْدَهَا مَاءً كِي يَغْسِلَ يَدَاهُ مِنَ الْجُرْمِ. لَا تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ مُحَايِدًا تَجَاهَ يَسُوعَ، إِمَّا أَنْ تَرَاهُ "ابْنَ اللَّهِ" أَوْ تَرْفُضَهُ، إِمَّا أَنْ تَقْبَلَ بِمَوْتِهِ مِنْ أَجْلِكَ أَمْ لَا. فَقَدْ قَالَ لَهُ الْمَجْدُ: "مَنْ لَيْسَ مَعِيَ فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لَا يَجْمَعُ مَعِيَ فَهُوَ يَفْرُقُ" (لوقا ١١: ٢٣). الْقَرَارُ عَزِيزِي هُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ. صَلَاتِي أَنْ تَقْبَلَ عَطِيَّةَ الْخُلَاصِ مِنْ فَادِيكَ الْمَسِيحِ.

وَضَعَ يَسُوعَ الْفَرِيسِيِّينَ الْمُجْتَمِعِينَ فِي مَوْقِفٍ مُشَابِهٍ عِنْدَمَا سَأَلَهُمْ قَائِلًا: "مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟" قَالُوا لَهُ: "ابْنُ دَاوُدَ". (متى ٢٢: ٤٢). يَفْرُضُ هَذَا السُّؤَالُ نَفْسَهُ عَلَيْنَا بِإِلْحَاحٍ حَيْثُ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ، لِأَنَّ رَأْيَنَا فِي رَبِّ الْمَجْدِ، سَيُقَرَّرُ كَيْفَ سَيَتَعَامَلُ هُوَ مَعَنَا؟ يَنْقُلُنَا الرَّائِي يُوْحَنَّا فِي رُؤْيَا ٢٠: ١١-١٥ إِلَى مَشْهَدِ الدِّينُونَةِ حَيْثُ تَظْهَرُ جَمِيعُنَا أَمَامَ الْجَالِسِ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ أَبْيَضٍ وَنُدَانٌ بِحَسَبِ أَعْمَالِنَا.

إِذْ نَأْخُذُ بَعَيْنَ الْإِعْتِبَارِ الطَّبِيعَةَ الْمُمَيَّزَةَ لِلرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، مُحَاوِلِينَ إِظْهَارَ شَيْئًا مِنْ مَجْدِ شَخْصِيَّتِهِ وَعَظَمَةِ عَمَلِهِ، يَأْتِي السُّؤَالُ: "مَنْ هُوَ يَسُوعَ الْمَسِيحُ، وَمَا هِيَ طَبِيعَتُهُ؟ يَقُولُ الْمُخَلَّصُ فِي يُوْحَنَّا ٥: ٣٩ "فَتَشْأَوُ الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي". وَبُرُوحُ الْحَقِّ فِي قُلُوبِنَا، لِنَسْمَعَ كَلِمَاتِ فَادِينَا "ذَاكَ يَمُجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مَعًا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مَعًا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يُوْحَنَّا ١٦: ١٤-١٥). يَسُوعَ مَمَجَّدٌ فِي أَرْزَلِيَّتِهِ فَهُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ. مَجِيدٌ فِي اسْمِهِ وَأَلْقَابِهِ إِذْ يُسَمِّيهِ إِشْعِيَاءُ ٩: ٦ "عَجَبِيًّا مُشِيرًا إِلَيْهَا قَدِيرًا أَبَا أَبَدِيًّا رَئِيسَ السَّلَامِ".

عَظِيمٌ فِي ارْتِبَاطِهِ بِالْآبِ، وَمُمَجَّدٌ فِي إِخْتِبَارِ شَعْبِهِ، إِذْ إِنَّهُ فَادِيهِمْ، وَرَاعِيهِمُ الصَّالِحِ، وَصَدِيقِهِمْ، وَرَبَّهُمْ. مُمَيَّزٌ فِي فِدَائِهِ الْعَظِيمِ، وَمَجِيدٌ فِي جُلُوسِهِ عَنْ يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الْأَعَالِي، وَفِي عَمَلِهِ الْآنَ كَرُئِيسِ كَهَنَةِ يَتَشَقَّقُ فِيْنَا فِي الْمَقْدَسِ السَّمَاوِيِّ قَبْلَ رَجُوعِهِ إِلَى عَالَمِنَا كَمَلِكِ الْمُلُوكِ، وَرَبِّ الْأَرْبَابِ. إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدِ، الَّذِي اتَّخَذَ طَبِيعَةَ بَشَرِيَّةٍ كَامِلَةٍ بِمَحْدُودِيَّاتِهَا (لَكِنْ دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ فِي الْوُهْنِيَّةِ) كِي يَخْدِمَ الْبَشَرِيَّةَ وَيَكُونَ بَدِيلَهَا وَمِثَالَهَا.

الْمَسِيحُ إِلَهٌ كَامِلٌ وَإِنْسَانٌ كَامِلٌ جَمَعَ فِي شَخْصِهِ الْكَرِيمِ هَاتَانِ الصِّفَتَانِ، إِنَّهُ رَئِيسُ إِيمَانِنَا وَمُكَمِّلُهُ. هَلْ سَتَقْبَلُهُ مُخَلَّصًا شَخْصِيًّا لِحَيَاتِكَ؟ مَا تَقَرَّرُهُ الْآنَ، يُقَرَّرُ مَصِيرُكَ الْأَبَدِيَّ، وَأَيْنَ سَتَقْضِي الْأَبَدِيَّةَ. مَاذَا سَتَفْعَلُ بِيَسُوعَ؟ سَأَلُ حَيَاتِكَ الْيَوْمَ. هَلْ سَتَعِيشُ لَهُ، أَمْ لِإِرْضَاءِ نَفْسِكَ؟ هَلْ سَتَقْبَلُهُ، أَمْ تَرْفُضُهُ؟ الْآنَ وَقْتُ مَقْبُولٍ، الْيَوْمَ يَوْمُ خُلَاصٍ.

يَسُوعُ فَاتِحُ ذِرَاعَاهُ كِي يُرَحِّبَ بِكَ إِلَى أَمْجَادِهِ السَّمَاوِيَّةِ. هُوَ يَقْرَعُ عَلَى بَابِ قَلْبِكَ طَالِبًا أَنْ تَفْتَحَ لَهُ الْبَابَ، وَتَقْبَلَهُ فَادِيًا لِحَيَاتِكَ. لِيُبَارِكَ رَبُّ الْمَجْدِ قَرَارَكَ فِي قُبُولِهِ وَالْعِيشِ لِمَجْدِهِ عَلَى الدَّوَامِ. آمِينَ.

سَبَبُ تَجَسُّدِ اللَّهِ إِنْسَانًا

"اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَرٌ." (يُوحَنَّا ١: ١٨)

في البدء كان الله- الآب، والابن، والروح القدس، يسكن الأبدية في تآلف حبي يجمع الثالوث الأقدس، ويتحد في ثلوث مبارك من الشركة الحلوّة. وابنه الأوحد ابن الله الأبدي، الذي هو منذ البدء يرتاح في حضن الآب، صار يسوع الناصري، الإنسان الكامل، والله المتجسد. وُلِدَ من عذراء مباركة، تألم على يد بيلاطس البُنطي، ومات وقُبر. قام في اليوم الثالث كاسراً قوّة الخطيئة والموت، ومُعطيّاً جميع الواثقين بذبيحة موته أن يعرفوا القدوس، لأنّه كان بنفسه رؤيا الله الكاملة والنهائية للجنس البشريّ.

اختار الله أن يُظهر نفسه بطرق عديدة في الماضي. مع أن موسى ويعقوب ومنوح وزوجته، قيل إنهم رأوا الله، وتمنّى أيوب أن يراه بعينه، وسيراه القديسون كما هو ويكونوا في منتهى الفرح، مع ذلك، فالمقصود هنا هو الله الابن الذي ظهر لمؤمني العهد القديم بهيئة بشريّة، وسيراه المفديون في السماء بمجده العظيم.

يؤكد لنا الرسول بولس في ١ تيموثاؤس ٦: ١٦ أن الله روح لا يستطيع أحد أن يراه ولا حتّى بأعين إدراكنا فيقول "الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقُدرة الأبدية. آمين." يرى الله في أعمال الخليقة، وفي طرق عنايته، في الوعود، وفي نظام الذبائح قديماً، لكن فوق الكل، يرى في المسيح بهاء مجد الله ورسم جوهره، وابن الله الأوحد.

إذ صار يسوع إنساناً، وضع جانباً مجده السماوي ليعيش بيننا. يبقى السؤال لماذا قام بذلك؟ تُعطينا الأسفار المقدّسة أسباب عديدة لتجسّده. ١- أراد أن يُظهر الله للناس بأكثر شموليّة. فمن رغب أن يعرف عن الله، فلينظر ليسوع. كان المُخلص يؤكد لتلاميذه أن ليس أحد يأتي إلى الآب إلا به. فقال له فيلبس "يا سيّد، أرنا الآب وكفّاناً". وقال له يسوع في يُوحنا ١٤: ٩ "أنا معكم زمناً هذه مدّته ولم تعرّفني يا فيلبس! الذي رأيته فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت: أرنا الآب". ٢- جاء ليأتي بالخلص لكلّ البشريّة. نجد الكثير من وعود العهد القديم للآباء والأنبياء تتعلّق بالخلص لجميع الشعوب، وبميلاد المُخلص تحقّقت هذه الوعود. يتناول الرسول بولس هذا الأمر في رسالته إلى مؤمني رومية ١٥: ٩و٨ فيقول "إن يسوع المسيح قد صار خادماً الختان، من أجل صدق الله، حتّى يُثبت مواعيد الآباء. وأمّا الأمم فمجدّوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب: "من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتّل لاسمك".

٣- جاء كي يموت عن خطايا العالم. عندما دخلت الخطيئة إلى العالم، وضع الله نظام الذبائح البديلة حيث تطلب موت الذبيحة. مع ذلك، فإن ذبائح الحيوانات لم تمحو الخطيئة. كان المطلوب هو ذبيحة كاملة.

تمّ هذا عندما صار الله إنساناً، إذ جاء المسيح ومات على الصليب لأجل خطايانا. فقد دفع دمه قصاص خطايانا ومات بديلاً عنا. ٤- جاء المسيح ليتفهم ضعفات المؤمنين ككاهن أعلى عظيم. عاش يسوع، الله-الإنسان، على الأرض وتعرّض لتجارب البشر دون خطيئة فهو قادر أن يرثي لضعفائنا، ويكون عوناً لنا عند الحاجة.

٥- جاء يسوع كي يُعده الإنسان لموطنها السماوي. صار ابن الله إنساناً كي يستطيع الناس أن يتأهّلوا لطبيعة جديدة حيث يوماً ما سنكون مثله. لنرى ما يقوله الحبيب في ١ يُوحنا ٣: ٢ "أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ما ذا سنكون. ولكن نعلم أنّه إذا أظهرنا كُونا مثله، لأننا سَراهُ كما هو". أمّا الرسول بولس فيتكلّم عن هذا التغيير في فيلبي ٣: ٢١ "الذي سيغيّر شكل جسدنا ليُكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كلّ شيء". صلاتي لك عزيزي أن تعيش لمجده في حياتك اليوم، لتختبر فرح الحياة المجيدة في موطن النعيم، وتنعم بالعيش مع فاديك الحبيب يسوع المسيح الذي ينتظرك هناك.

كامل في بشريته

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيِ إِبْلِيسَ." (عبرانيين ٢: ١٤)

تؤكد هذه الآية حقيقة لا يمكن التجاهل عنها وهي أن الله، في شخص ابنه الأزلي، صار إنساناً من لحم ودم وتشارك بهما معنا. بدون هذا التجسد كان فداؤنا أمراً مستحيلاً، حيث ستبقى كل البشرية ميّنة بخطاياها وعاجزة عن قهر الموت. كان من المستحيل أن يفدي الإنسان نفسه، لأن الجميع أخطأوا وأعوّزهم مجد الله. لذا، كان دم إنسان كامل بلا خطيئة كافياً ليخلص الجنس البشري المحكوم عليه بالهلاك. وبسبب خطيئة الإنسان لم يوجد مثل هذا الإنسان حيث ليس بار ولا واحد. وكوّن الإنسان خاطئاً ومحدوداً، وقعت عليه دينونة الله القدوس والعدل بحكم الموت كنتيجة مُحتملة واحدة. الله في عظيم نعمته برهن على محبته لنا، إذ ونحن بعد خطاة أرسل ابنه الأوحَد ليصير واحداً منّا. أخذ ابن الله الأزلي جسد تواضعنا، وافندانا من لعنة الخطيئة. تشرح تلك الخطوة سبباً آخر لماذا صار يسوع، الموعود به، بشراً كي يكون "مؤسس" الخلاص، وقد سمحت له بشريته بأن يختبر نفس ما تتعرض له نحن. وصارت حياته الكاملة، وموته الكفاري، وقيامته المجيدة مثلاً حقيقياً لنا، خصوصاً وأن حياته الكاملة، وذبيحته بلا خطيئة "دمرت" الشيطان وقوة الموت.

يشير العهد الجديد بوضوح إلى أن يسوع اتخذ جسماً بشرياً، حيث الكلمة صار جسداً. فقد وُلد في بيت لحم وكبر في القامة والنعمة. تعب وعطش، غضب، ومات. كما كان له جسماً حقيقياً بعد قيامته من الموت. وعبر صفحات الإنجيل المقدس، نجد مشاعر يسوع وعواطفه بوضوح. فعندما سمع كلمات الإيمان من قائد المئة "تعجب". وفي إنجيل متى ٢٦: ٢٨ يقول "نفشي حزينة جداً حتى الموت. أمكثوا ههنا واسهرُوا معي".

وعند قبر لعازر، يُخبرنا يوحنا ١١: ٣٣ - ٣٥ "فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر". وبُطلنا سفر العبرانيين ٥: ٧ على ما مر به يسوع فيقول: "الذي، في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديداً ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه".

من الصعب علينا إدراك كيف يمكن أن يكون للرب يسوع عقل بشري وعقل إلهي. هناك آيتان تسلطان الضوء على هذه الحقيقة. ففي لوقا ٢: ٥٢ نقرأ: "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة، عند الله والناس". والآية الثانية في مرقس ١٣: ٣٢ "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب". يُجادل البعض بأنه إذا كان يسوع حقاً الله، والله يعرف كل شيء، فكيف لا يعلم يسوع متى سيكون مجيئه؟ هل غاب عن بالك عزيزي، ما قاله بولس عن يسوع في فيلبي ٢: ٧ "لكنه أخلى نفسه، أخذاً صورة عبداً، صائراً في شبه الناس". كان يعلم ما أراد له الله أن يعرف.

تؤكد الأسفار المقدسة أن يسوع يعرف كل الأشياء كإله، ولا يعرف كل الأشياء كإنسان. لا نرى في هاتين الطبعيتين أي تناقض. إلى جانب ما قاله لتلاميذه بعد القيامة في أعمال ١: ٧ "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه". فحباً بهم وحرصاً على صون الحق من أيدي العابثين، لم يرد لهم أن يعرفوا الأزمنة والأوقات.

كان ليسوع أيضاً إرادتان: واحدة إلهية والأخرى بشرية، وقد قال في يوحنا ٦: ٣٨ "لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني". وأكد في صلاته قبل الصليب "ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (متى ٢٦: ٣٩). يسوع عزيزي هو أروع إله-إنسان لأنه إله كامل وإنسان كامل والوسيط الوحيد بين الله والناس. فهل تشاركني في تقديم الولاء والسجود لشخصه الكريم؟

الإله الحقُّ والحياة الأبدية

"وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.
هَذَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ." (١ يوحنا ٥: ٢٠)

رَكَزَ يُوحَنَّا عَلَى أَمْرَيْنِ هَامَيْنِ لِلْمُؤْمِنِينَ: ١- تَجَسَّدَ يَسُوعَ وَحَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَانُوا أَمْرًا حَقِيقِيًّا فِي جَوْهَرِ الْإِنْجِيلِ. وَإِذِ اخْتَبَرَ أَلَامَ الْإِنْسَانِيَّةِ، اسْتَطَاعَ يَسُوعَ أَنْ يَتَلَمَّسَ مَا نَمُرُّ بِهِ نَحْنُ، وَقَدْ تَمَّ أَيْضًا عَمَلُ الْمَوْعُودِ بِهِ إِذْ قَالَ عَنْهُ الْمَعْمَدَانِ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ! هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي" (يوحنا ١: ٢٩-٣٠). ٢- يُعْطِينَا يَسُوعَ إِنْآرَةً لِأَذْهَانِنَا لِنَعْرِفَ الْحَقَّ كَيْ نَنَالَ الْخَلَاصَ، وَيَكُونُ لَنَا شَرَكَةٌ مَعَ اللَّهِ. وَهَذَا مَا أَكَّدهُ الْحَبِيبُ فِي ١ يُوَحَنَّا ٣: "وَأَمَّا شَرَكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الْآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". يُعْطِي الْإِيمَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْآرَةً رُوحِيَّةً كَيْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. أَشَارَ يُوحَنَّا مِنْ خِلَالِ إِنْجِيلِهِ وَالرِّسَالَةِ، إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ كَاللَّهُ الْمُتَجَسَّدِ- الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا، الَّذِي عَاشَ بَيْنَنَا، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا. وَرَكَزَ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلَّهِ، الْحَقُّ الْوَحِيدُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحَيَاةُ الْوَحِيدَةُ فِي اللَّهِ- الَّذِي فِيهِ وَحْدَهُ الْحَيَاةُ فِي مِلْئِهَا، وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَغُفْرَانُ الْخَطَايَا.

كَانَ لَدَى الْبَشِيرِ يُوحَنَّا ثِقَةً عَظِيمَةً فِي الْمَسِيحِ، وَطَاعَةً لَوْصَايَاهُ، مَكْنَتُهُ أَنْ يَعْرِفَ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ بِالْجَسَدِ، وَصَالِحَ الْإِنْسَانِ مَعَ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ الْإِبْنِ، كَيْ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.

هَذِهِ الْإِنْآرَةُ الرُّوحِيَّةُ نَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَيْهَا إِذْ يُعْطِيهَا لَنَا الْمَسِيحُ فَنَجِدُهَا فِي مَعْرِفَتِنَا لَهُ. أَظْهَرَ لَنَا اللَّهُ بِوَسْطَةِ ابْنِهِ الْحَقِّ حَيْثُ هُوَ مِفْتَاحُ وَتَرْكِيزُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ. نَصِلُ إِلَى رُؤْيَا شَخْصِيَّةٍ وَأَخْلَاقِ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ النَّظَرِ لِلْمَسِيحِ. يَسُوعَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ الْحَقُّ الْمُتَمَثِّلُ بِابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا عَنْ يَسُوعَ الَّذِي كَانَ أَعْظَمَ مِنْ إِنْسَانٍ، إِذْ هُوَ اللَّهُ بِالْكَامِلِ وَالْإِنْسَانُ بِالْكَامِلِ الْإِلَهُ الْحَقِيقِيَّ وَالْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. لَا يُمْكِنُنَا تَفْضِيلُ الْوَاحِدِ عَنِ الْآخَرِ حَيْثُ أَنَّهُ: إِلَهُ كَامِلٌ وَإِنْسَانٌ كَامِلٌ.

يَصِفُ تَلْمِيزُ الْمَسِيحِ مَتَّى ١: ٢٣ تَجَسُّدَهُ إِذْ يَقُولُ: "وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عَمَّا نُؤْيِلُ" الَّذِي تَفْسِيرُهُ: "اللَّهُ مَعَنَا". وَتَصِفُ كَلِمَةً "عَمَّا نُؤْيِلُ" مَفْهُومَ التَّجَسُّدِ - اللَّهُ صَارَ إِنْسَانًا. وَكَوْنُ الْمَسِيحِ "اللَّهُ مَعَنَا" تَتَّفَقُ مَعَ مَا قَالَهُ يُوحَنَّا وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى تَجَسُّدِ يَسُوعَ الْكَلِمَةِ الَّذِي كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ (يُوَحَنَّا ١: ١).

وَإِذْ وَعَظَ الْمَعْمَدَانِ - سَابِقُ الْمَسِيحِ عَنِ الْمَلَكُوتِ قَالَ "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ". كَانَ يُتِمُّ نُبُوءَةَ إِشْعِيَاءَ ٤٠: ٣ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ إِعْدَادِ طَرِيقِ اللَّهِ. كَانَ قَصْدُ يُوحَنَّا أَنْ يَرَى النَّاسَ عَظْمَةً يَسُوعَ، وَخُصُوصًا قُدْرَتَهُ عَلَى صُنْعِ الْمُعْجَزَاتِ.

عِنْدَمَا أَطْعَمَ الْخَمْسَةَ آلَافَ بِقَلِيلٍ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ وَبَعْضِ الْأَرْغَفَةِ، انْدَهَشَ الشَّعْبُ لِمَا قَامَ بِهِ وَآمَنُوا أَنَّهُ "إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ!". (يُوَحَنَّا ٦: ١٤). بَعْدَهَا أَرَادُوا أَنْ يُنْصَبُوهُ مَلَكًا لَكِنْ مَلَكُوتَهُ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ. أَمَّا مُعْجَزَتُهُ الْأَخِيرَةُ، إِقَامَةُ لِعَازَرٍ مِنَ الْمَوْتِ، فَكَانَتْ رَمْزَ قُدْرَتِهِ، وَأَيْضًا بُرْهَانًا مَا وَعَدَ بِهِ تَلَامِيذَهُ مِنْ أَنَّهُمْ سَيَقُومُونَ لِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْمَجْدِ. لِذَا، فَالْقَصْدُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا لِإِثْبَاتِ أَنَّ يَسُوعَ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ اللَّهُ.

بَعْدَ يَوْمٍ حَافِلٍ بِالتَّعْلِيمِ وَالشِّفَاءِ، صَرَفَ يَسُوعَ الْجُمُوعَ وَأَمَرَ تَلَامِيذَهُ أَنْ يَذْهَبُوا بِالسَّفِينَةِ. "وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتْ السَّفِينَةُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَخَدَهُ. وَرَأَهُمْ مُعَذِّبِينَ فِي الْجَذْفِ، لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ" (مَرْقَسَ ٦: ٤٧-٤٨). رَغَمَ الْمَسَافَةِ وَالظَّلَامِ، رَأَهُمُ الْمُخْلَصُ مُعَذِّبِينَ. بُهَتُوا وَتَعَجَّبُوا إِلَى الْغَايَةِ. رَبِّي، أَنْتَ مَعَنَا فِي ضَيْقِنَا، أَظْهَرَ رَحْمَتَكَ لَنَا، أَنْتَ إِلَهُ عَظِيمُ كُلِّ الْقُدْرَةِ، أَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هَبْنَا الْقُوَّةَ لِنَعِيشَ لِمَجْدِكَ مَدَى أَيَّامِ حَيَاتِنَا. لَكَ الْقُدْرَةُ وَالتَّسْبِيحُ يَا فَادِيَّ وَإِلَهِيَّ الْقُدُّوسَ.

الوَهِيَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ

"أَجَابَ تُومًا وَقَالَ لَهُ: "رَبِّي وَإِلَهِي!" (يُوحَنَّا ٢٠: ٢٨)

في عَشِيَّةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، جاء يسوع إلى العَلِيَّةِ والأبواب مُغْلَقَةً، وَوَقَفَ فِي وَسْطِ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمْ سَلَامٌ لَكُمْ. أَرَاهُمْ يَدِيهِ وَجَنِبِهِ. فَفَرَحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ. وَلَمْ يَكُنْ تُومًا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَامُ مَعَهُمْ. أَخْبَرُوهُ التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ بِأَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا الرَّبَّ. كَانَ لَقَبُ تُومًا "الشَّكَاكُ" وَلَمْ يُصَدِّقْ كَلَامَ التَّلَامِيذِ وَقَالَ لَهُمْ "إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدِيهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ إِبْصِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ يَدِي فِي جَنِبِهِ، لَا أُؤْمِنُ" (يُوحَنَّا ٢٠: ٢٥). "بَعْدَ ثَمَانِيَةِ كَانِ تَلَامِيذِهِ أَيْضًا دَاخِلًا وَتُومًا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ سَلَامٌ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ لَتُومًا: "هَاتِ إِبْصِعَكَ إِلَى هُنَا وَأُبْصِرْ يَدِي، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا. أَجَابَ تُومًا وَقَالَ لَهُ: "رَبِّي وَإِلَهِي! قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومًا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا" (يُوحَنَّا ٢٠: ٢٦-٢٩). لَا يَذْكُرُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِيمَا إِذَا لَمَسَ تُومًا مَكَانَ جُروحِ يَسُوعَ، لَكِنَّ مَعْرِفَةَ يَسُوعَ بِنَوِيَاهُ كَانَتْ بِمِثَابَةِ صَدَمَةٍ لَهُ، فَتَأَثَّرَ بِمَا رَأَاهُ وَاعْتَرَفَ بِالْمَسِيحِ رَبًّا وَإِلَهًا. لَمْ يَدْحَضْ يَسُوعُ مَا قَالَهُ تُومًا لِأَنَّهُ كَانَ اللَّهُ. وَتَبَوَّيَخَ رَقِيقٌ قَالَ لَهُ الْمَخْلُصُ "هَنِيئًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا".

تَطَوَّرَ إِيمَانُ التَّلَامِيذِ بِيسوع كَالِهًا وَمُخْلَصًا لَهُمْ مِنْذُ زَمَنِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، إِلَى آخِرِ فُصُولِ سَفَرِ الرُّؤْيَا. وَإِذْ رَافَقُوهُ لِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ فِي خِدْمَتِهِ الْعَلَنِيَّةِ، رَأَيْنَا بَذْرَةَ إِيمَانِهِمْ تَنْمُو وَتَتَأَصَّلُ جَذُورَهَا، وَتُزْهِرُ إِلَى إِيمَانٍ رَاسِخٍ لَا يَتَرَعَزُعُ. أَدْرَكَ بُطْرُسُ بَوْحِي مِنَ اللَّهِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ، ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ، وَرَكَزَ يُوحَنَّا فِي مَضْمُونِ انْجِيلِهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ، ابْنُ اللَّهِ، وَبِالْإِيمَانِ بِهِ نَنَالُ الْحَيَاةَ بِاسْمِهِ.

تَمَيَّزَ يَسُوعُ بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ بِالْآبِ لِيَدُلَّ عَلَى وُثُوقِ الْعِلَاقَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ اللَّهِ أَبِيهِ. فَفِي مُسْتَهَلِّ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ خَاطَبَ اللَّهُ قَائِلًا "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مَتَّى ٦: ٩). وَعِنْدَ مَعْمُودِيَّتِهِ خَاطَبَهُ اللَّهُ "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ"، وَتَحَدَّثَ عَنْ مُشَارَكَتِهِ لِلآبِ فِي إِقَامَةِ الْمَوْتَى وَالْدِينُونَةِ. وَفِي يُوحَنَّا ٥: ٢٣ تَكَلَّمَ عَنِ الْإِكْرَامِ الْمُتَبَادَلِ بَيْنَهُمَا "لِكِي يُكْرَمَ الْجَمِيعُ الْإِبْنُ كَمَا يُكْرَمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يُكْرَمُ الْإِبْنُ لَا يُكْرَمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ". وَفِي بُسْتَانِ جَثْسِيمَانِي اسْتَعْمَلَ لَقَبَ "يَا أَبْنَاهُ"، وَقَبْلَ مَوْتِهِ نَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ "يَا أَبْنَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي". (لُوقَا ٢٣: ٤٦).

فِي انْجِيلِ مَتَّى ١١: ٢٥-٢٧ نَرَى تَشَارُكَ الْإِبْنِ وَالْآبِ فِي السُّلْطَةِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَيَصِفُ الْلاهوتِيَّةَ ه. ر. مَا كُنْتُ نَشِطًا فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ بِأَنَّهَا "الْأَكْثَرُ أَهَمِّيَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسِيحِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. إِذْ تَتَكَلَّمُ عَنِ التَّرَابُطِ الْمُفَيِّدِ بَيْنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ". فِي يُوحَنَّا ٥: ١٦-٤٧ نَجِدُ الْمَخْلُصَ يُشَدِّدُ عَلَى مُسَاوَاتِهِ بِالْآبِ إِذْ وَاجَهَهُ نُهُمُ التَّجْدِيفِ مِنْ قَادَةِ الْيَهُودِ لِكَوْنِهِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلًا لِنَفْسِهِ بِاللَّهِ. وَهَدَّدُوهُ بِعُقُوبَةِ التَّجْدِيفِ أَلَا وَهِيَ الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ.

فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ، أَنْكَرَ الْمَسِيحُ التَّهَمَ الْمَوْجَّهَةَ إِلَيْهِ مُؤَكِّدًا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ الْحَقَّ - وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِاقْتِبَاسِ نَامُوسِهِمْ بِضُرُورَةِ وُجُودِ الْعَدِيدِ مِنَ الشُّهُودِ (يُوحَنَّا ١٠: ٣٤-٣٥). وَقَالَ لَهُمْ بِأَنَّ يُؤْمِنُوا فِيهِ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.

يُصَرِّحُ يُوحَنَّا بِأَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ الْكَلِمَةُ الْأَبَدِيَّةُ، خَالِقُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَلَا شَيْءَ بَرَزَ إِلَى الْوُجُودِ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْكَلِمَةِ. وَهُوَ فِي الْبَدءِ كَانَ مَعَ اللَّهِ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَزَلِيَّتَهُ. وَقَدْ قَبِلَ يَسُوعُ السُّجُودَ وَالْعِبَادَةَ مِنْ قِبَلِ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ تَلَامِيذُهُ، وَالْأَبْرَصَ وَغَيْرِهِمْ. وَنَرَى فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْكَائِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ تُشَدُّ نَهَارًا وَلَيْلًا لِلْمَسِيحِ "قُدُّوسًا".

هَكَذَا، فَتَحْنُ نُصَلِّيَ لِيَسُوعَ كَرَبًّا، نُعْبُدُهُ وَنُسَبِّحُ اسْمَهُ كَالِهٍ. وَنَضُمُّ صَوْتَنَا إِلَى تَلْمِيذِهِ تُومًا إِذْ رَأَى بُرْهَانَ الْقِيَامَةِ وَاضِحًا قَالَ "رَبِّي وَإِلَهِي". أَمْلِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ اعْتِرَافًا مِنْكَ بِيسوع رَبًّا وَإِلَهًا وَمُخْلَصًا شَخْصِيًّا لِحَيَاتِكَ. عَلَى أَمَلِ رُؤْيَا فِي مَجْدِهِ عَنْ قَرِيبٍ، لِتَسْمَعَ كَلِمَاتِ التَّرْحِيبِ بِكَ إِلَى مَوْطِنِ الْمَجْدِ. الرَّبُّ يَبَارِكُ قَرَارَكَ وَحَيَاتَكَ لِمَجْدِهِ عَلَى الدَّوَامِ. آمِينَ.

عَظْمَةُ الْمَسِيحِ وَمَجْدُهُ

"لأنه يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيئًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا،
أَبَا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ." (إشعيا ٩: ٦)

اتَّخَذَ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ طَبِيعَةَ بَشَرِيَّةٍ كَامِلَةٍ اتَّحَدَتْ بِطَبِيعَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ فِي شَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِمْتَامًا لِنُبُوءَةِ إِشْعِيَاءَ الرَّائِعَةِ. وَإِذْ صَارَ وَاحِدًا فِي الْأُسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَدَ الْمُخَلِّصُ كَابَنَ بَكْرٍ لِلْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ: "يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ"، حَيْثُ سَيُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ. وَكَأَقْنُومُ ثَانٍ مِنَ الثَّالُوثِ الْأَقْدَسِ، كَانَ الْمُخَلِّصُ ابْنُ اللَّهِ الْأَوْحَدِ: "وَنُعْطَى ابْنًا"، لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَ مَحَبَّتِهِ، يَسُوعَ الْمَسِيحَ، لِيَصِيرَ فَادِينَا. فَكُلُّ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ أُعْطِيَتْ لِهَذَا الشَّخْصِ الْمُمَيِّزِ لَهَا خَتَمَ الثَّالُوثِ الْأَبَدِيِّ مَحْفُورٌ فِي نَسِيجِهَا.

لَا أَحَدٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْعَى "عَجِيئًا" حَيْثُ نَقَرْنَا فِي كَلِمَةِ اللَّهِ أَنَّ اسْمَهُ عَجِيئًا. وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُشِيرُ الْكَامِلُ، لِأَنَّ فِي الْمَسِيحِ نَجْدَ حِكْمَةِ اللَّهِ مُجَسَّدَةٍ. وَقَدْ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَتَوْقِيرِ الرَّبِّ. فَالْمَسِيحُ يَسُوعُ هُوَ بِالْحَقِيقَةِ "مُشِيرُنَا الرَّائِعُ". لِلَّهِ وَحْدَهُ الْعَظْمَةُ، صَاحِبُ السُّلْطَةِ وَالْجَلَالِ كِي يُدْعَى "إِلَهًا قَدِيرًا". وَكَوْنُهُ أَزَلِيًّا، فَلَمَّا أَنْ نُسَمِّيه "أَبَا أَبَدِيًّا". وَهُوَ الْوَحِيدُ الْمُمَيِّزُ، فِي شَخْصِ الْمَحْبُوبِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، سَفَكَ دَمَهُ الطَّاهِرَ كِي يَمُنَّ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاسْمِهِ سَلَامًا مَعَ اللَّهِ- سَلَامَ اللَّهِ الْكَامِلِ الَّذِي يَفُوقُ الْوَصْفَ وَالْإِدْرَاكَ. لِذَا، اسْتَحَقَّ بِجِدَارَةٍ أَنْ يُدْعَى "رَئِيسَ السَّلَامِ".

الطِفْلُ الَّذِي نَحْتَفِلُ بِمِيلَادِهِ فِي عِيدِ الْمِيلَادِ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيرُ الَّذِي حَلَّ بَيْنَنَا. يَسُوعُ صَارَ وَاحِدًا مَنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا عدا الْخَطِيئَةَ، وَخَلَّصَنَا مِنْ خِلَالِ فِدَائِهِ الْكَامِلِ عَلَى الصَّلِيبِ وَقِيَامَتِهِ. صَحِيحٌ، أَنَّهُ هَذَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ الْعَاصِفَةِ، وَأَكِيدُ أَنَّهُ قَهَرُ الْمَوْتِ. إِنَّهُ اللَّهُ. لَكِنَّ أَعْظَمَ مُعْجَزَةٍ نَجَدَهَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِالْحَقِيقَةِ هِيَ، أَنَّ يَسُوعَ هُوَ اللَّهُ. اللَّهُ الْمُتَجَسَّدُ الَّذِي جَاءَ إِلَيْنَا. وَإِذْ نَرَى رَوْعَةً وَجَمَالَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَنَتَأَمَّلُ بَعْمَقٍ فِي مَغْزَاهَا، تُصَيِّنُنَا الدَّهْشَةَ.

لَكِنَّ هَذَا جَمَالَ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَالْإِنْجِيلِ، إِذْ إِنَّهَا الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي نَخْلُصُ بِهَا مِنْ خَطَايَانَا. اسْتَطَاعَ يَسُوعُ أَنْ يَقَهَرَ التَّجَرِبَةَ وَالْخَطِيئَةَ، وَهُوَ الْقَادِرُ أَنْ يَحْمِلَ الْعَدَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَالِدَيْنُونَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ نَصِينَا وَنَتِيجَةُ لَخَطَايَانَا.

اللَّهُ: الْمُشِيرُ، الْأَبَدِيُّ، الْقَدِيرُ، وَرَئِيسُ السَّلَامِ، الْأَقْنُومُ الثَّانِي مِنَ الثَّالُوثِ الْأَقْدَسِ، وَضَعَ مَجْدَهُ جَانِبًا لِيُولَدَ فِي الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي خَلَقَهُ- ابْنُ الْإِنْسَانِ. أُعْطِيَ لَنَا مِنْ قَبْلِ الْآبِ كَابَنَ اللَّهِ، هَدِيَّةَ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِعَالَمِ هَالِكٍ لِكِي يَنَالَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ الْخِلَاصَ. وَيُشِيرُ النَّبِيُّ إِشْعِيَاءُ إِلَى اللَّهِ الْقَدِيرِ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْأَصْحَاحِ ٢١: ١٠ فَيَقُولُ: "تَرْجِعُ الْبَقِيَّةُ، بَقِيَّةٌ يَغْفُوبُ، إِلَى اللَّهِ الْقَدِيرِ". هُنَا نَجِدُ تَأَكِيدَ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ بِالْبُرْهَانِ الْأَكِيدِ أَنَّ الْمُخَلِّصَ، ابْنَ اللَّهِ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، هُوَ اللَّهُ، إِلَهُ الْقَدِيرِ.

نَحْتَاجُ أَعْزَائِي إِلَى تَأَكِيدِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، فَعَظْمَتِهِ، وَسُمُوِّهِ، وَمَجْدِهِ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ، وَقُدْرَتِهِ اللَّامِحْدُودَةِ، أَعْبَدُ مِنْ اسْتِيعَابِ إِدْرَاكِنَا. إِنَّهُ اللَّهُ الْقَدِيرُ، وَالْآبُ الْأَبَدِيُّ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، إِلَهُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، لَهُ أَسْمَاءُ مَجِيدَةٌ، يَعْجُزُ لِسَانُنَا عَنْ تَرْدِيدِ التَّسْبِيحِ الدَّائِمِ لِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ.

شُكْرًا لَكَ يَا رَبِّ مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا نَسْتَحَقُّهَا، وَكُلِّ الْأَصْحَابِ وَالْجِيرَانِ الَّذِينَ وَضَعَتْهُمْ الْعَنَاءُ الْإِلَهِيَّةُ فِي طَرِيقِنَا، سَاعِدْنَا أَنْ نُجِبَهُمْ، وَنُظْهِرَ لَهُمْ جَمَالَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّتُنَا بِهَا. أَعْطِنَا يَا سَيِّدَ غَيْرَةِ بُولَسَ عَلَى حَقِّكَ حَيْثُ نَقَرْنَا فِي أَعْمَالِ ١٧: ١٦ "وَبَيْنَمَا بُولَسُ يَنْتَظِرُهُمَا فِي أَتَيْنَا احْتَدَّتْ رُوحُهُ فِيهِ، إِذْ رَأَى الْمَدِينَةَ مَمْلُوءَةً أَصْنَامًا".

مَا أَرُوعَ أَنْ يَتَحَرَّكَ قَلْبُنَا مَحَبَّةً وَتَقْدِيرًا لِلْمَسِيحِ. صَلَاتِي أَنْ يَعْرِفَ كَثِيرُونَ مِنْ خِلَالِ حَيَاتِنَا، وَعَائِلَاتِنَا، وَكَنِيسَتِنَا، يَسُوعَ- اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، الَّذِي لَيْسَ ثَوْبَ بَشَرِيَّتِنَا، وَصُلْبَ لِيَدْفَعَ ثَمَنَ خَطَايَانَا وَيَفْتَدِينَا. يَسُوعُ، أَنْتَ اللَّهُ الْقَدِيرُ، عَظِيمٌ فِي مَحَبَّتِكَ، وَرَائِعٌ فِي مَجْدِكَ، يَا إِلَهُنَا الْقَدِيرُ، رَئِيسَ السَّلَامِ، وَسَتَاتِي عَنْ قَرِيبٍ بِلا خَطِيئَةٍ لِلْخِلَاصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَكَ. لَكَ كُلُّ التَّسْبِيحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ أَبَدَ الدُّهُورِ. آمِينَ.

طُرُق نَمَجْدُ بِهَا اللَّهِ

"بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلَامِيذِي." (يُوحَنَّا ١٥: ٨)

في إنجيل يوحنا ١٥، يتحدث السيد المسيح عن ثبات الأغصان بالكرمة حيث يقول "أنا الكرمة وأنتم الأغصان". وعمق هذا الثبات يأتي بثمر كثير، لأننا بدونها لا نقدر أن نفعل شيئاً. يوضح يسوع هنا إلى أن قوته وإرادته، تجعلان الثبات الروحي ممكناً، كي يُنتج ثماراً روحية تليق بالتوبة. وكمؤمنين بالمسيح، مولودين في عائلة الله، وأعضاء في جسد المسيح، نتمتع باتحاد أبدي مع ربنا يسوع المسيح- ودعوة لنعيش لمجد الآب السماوي. فهو راعينا ونحن غنم مرعاه. هو أبونا ونحن أبناءه وبناته.

خلال مُرسليته على الأرض، أوحى أعمال يسوع للآخرين كي يمجّدوا الله الآب. كما أوضح أنه تصرف بموجب إرادة الله الآب. عندما يعتمد شعب الله على كلمته، ويطيعوا إرادته، فإنه يتمجد فيهم. فخدمتنا له هي أيضاً الدليل لنا، وللآخرين بأننا بالحقيقة، مولودين ثانية. كما يحدد المسيح أن حمل ثمار الروح هو برهان علاقتنا به. يُشارك الرسول يعقوب ١٤-١٧ ما قاله المخلص بتركيز مختلف حيث يقول إن "الإيمان بدون أعمال ميت". أمني أن يعكس إيماننا أعمالاً لمجد من أحبنا. وحيث أن خلاصنا بالمسيح يعتمد على الإيمان، وأن الإيمان هو النبع الذي تفيض منه الأعمال الصالحة، نتوقع أن نجد ترابطاً قوياً بين الإيمان وإعطاء المجد لله في جميع تصرفاتنا. في رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٨: ١-٢٠ نرى التأكيد على أن كل النعم في المسيح يسوع هي نعم.

لقد أعطى الله مواعيده لشعبه، والمسيح هو إتمام هذه الوعود، إنه غاية وقصد هذه المواعيد التي أعطيت قديماً. وعظ بولس أن هذه الوعود كانت نعم في المسيح. ويُلخص ما قاله في الآية ٢٠ "لأن مهمما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم" وفيه "الآمين"، لمجد الله، بواسطتنا". هكذا، نمجد الله بالثقة في مواعيده. وخير مثال على هذا هو خليل الله إبراهيم الذي آمن بالله ووعوده فحسب له براً.

جانب ثانٍ نمجد فيه الله أكثر من أي شيء آخر هو عبادتنا. تُخبرنا كلمة الله أن لا شيء يسر الله أكثر من أن ندعوه باسمه بقلوب مخلصه، ونُعطي له المجد الذي يستحقه. يدعو الناس الذهاب إلى العمل، أو لعب كرة القدم عباداً، أو التمرين على البيانو. نستطيع أن نكرم الله بعمل كل هذه الأشياء، لكن العبادَة هي أن نضع جانباً كل أعمال أخرى، ونكرس عقولنا وقلوبنا كاملة للرب، كي تقبل كلمته، ونستجيب لها بالصلاة والترنيم- في العبادَة الفردية والجماعية. هناك الكثير من الآيات الكتابية حول العبادَة تُشير إلى الترنيم للرب وتسبيح اسمه القدوس. لنا امتياز أن نشارك جوقة الملائكة في تسبيح الله والحمل اليوم، وطيلة الأبدية السعيدة.

يهيبُ بنا كتاب العهد الجديد، أن نمجد الله في جميع تصرفاتنا، خصوصاً لبنيان الكنيسة، جسد المسيح. إذ نُؤمن بالرب يسوع لمجد الله الآب، ونعلن مجده في عبادتنا، يفيض روح الامتنان في كل حياتنا لمجد فادينا، خصوصاً في أعمال الخدمة التي تبارك كنيسة المسيح.

من أعظم الآيات التي تحت على تمجيد الله في كل شيء، هي ١ بطرس ٤: ١٠-١١ "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة، يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة. إن كان يتكلم أحد فكأقول الله. وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله، لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح، الذي له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين. آمين".

يُشجعنا بطرس على استخدام مواهبنا، مع كل القوة لخدمة إخوتنا وأخواتنا في الإنسانية، وتحتل بضيافة واحدنا الآخر، ليمجد الله في خدمة تامة لحاجات الآخرين، لا سيما الروحية منها. هذا نداء بطرس لكل واحد منا لنعيش لمجد فادينا في كل شيء، على أمل لقياءه عن قريب، على سحاب المجد. ليبارك رب المجد حياتنا.

رُؤْيَا مَجْدِ اللَّهِ.

"وَإِذَا مَلَكَ الرَّبُّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجَّدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا." (لوقا ٢: ٩)

تاه مُرْسَلٌ فِي مَنَاطِقَ بَعِيدَةٍ مِنْ "بُورْمَا"، أُلْقِيَ الْقَبْضُ عَلَيْهِ، وَتَمَّ اسْتِجْوَابُهُ. كَانَتْ تُهَمَّتُهُ بِأَنَّهُ جَاسُوسٌ، فَوُضِعَ فِي زَنْزَانَةٍ مُنْفَرَدَةٍ. بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، أُعْطِيَ خَاطِفُوهُ كِتَابًا مُقَدَّسًا. وَلَا كَثُرَ مِنْ ٨٠ يَوْمًا، كُلُّ مَا عَمَلُهُ كَانَ قِرَاءَةَ كَلِمَةِ اللَّهِ. لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ فِي الزَنْزَانَةِ لِيُشْغَلَ وَقْتُهُ، لَا صَحِيفَةً، أَوْ مَجَلَّةً وَلَا حَتَّى رَادِيو. أَخِيرًا، تَمَّ الْإِفْرَاجُ عَنْهُ، وَسُمِّحَ لَهُ بِالْعَوْدَةِ لِبِلَادِهِ. زَارَهُ صَدِيقٌ فِي بَيْتِهِ وَسَأَلَهُ: "مَا الَّذِي أَثَّرَ فِيكَ بِشَكْلِ خَاصٍ مِنْ قِرَاءَتِكَ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ طِيلَةَ هَذِهِ الْمُدَّةِ؟" أَجَابَهُ دُونَ تَرَدُّدٍ "كَانَ بِالْحَقِيقَةِ "مَجْدُ اللَّهِ". كُلُّ مَنْ يَخْتَبِرُ السَّيْرَ مَعَ اللَّهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَلْتَقِيَ بِمَجْدِهِ الْعَظِيمِ. رَجَائِي، أَنْ يَكُونَ هَذَا اخْتِبَارَ الْيَوْمِ، وَكُلُّ يَوْمٍ. هَلْ تَذْكُرُ مَعِيَ اخْتِبَارَ الرُّعَاةِ خَارِجَ بَيْتِ لَحْمٍ، عِنْدَمَا بَشَّرَهُمُ الْمَلَكُ بِوَلَادَةِ يَسُوعَ؟ كَانُوا يَحْرُسُونَ قِطْعَانَهُمْ فِي اللَّيْلِ، وَإِذَا ظَهَرَ لَهُمُ الْمَلَكُ الرَّبُّ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ، خَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. يُخْبِرُنَا الْبَشِيرُ لَوْكَأَنَّ مَنْظَرَ الْمَلَكِ وَالنُّورَ الَّذِي أَضَاءَ عَلَيْهِمْ، وَبِالطَّبَعِ جَوْقَةُ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي رَنَّمَتْ أُنْشُودَةَ السَّلَامِ، كَانَ مَصْدَرُ خَوْفٍ شَدِيدٍ لِهَؤُلَاءِ الرُّعَاةِ الْبُسْطَاءِ.

مَاذَا عَنْ اخْتِبَارِ مُوسَى عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهُ اللَّهُ أَنْ يَصْعَدَ لِمُقَابَلَتِهِ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ؟ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ ٣٣: ٢١-٢٢ طَلَبَ مُوسَى أَنْ يَرَى مَجْدَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ "لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ. هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. يَكُونُ مَتَى اجْتَاَزَ مَجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نَفْثَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى اجْتَاَزَ". نَرَى مِنْ اخْتِبَارِ مُوسَى أَنَّ مَجْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَمُنِيرٌ، لِذَا غَطَّى اللَّهُ مُوسَى بِيَدِهِ، لِتَكُونَ دِرْعًا يَحْمِيهِ.

رَعِمَ أَنَّ اللَّهَ وَمُوسَى تَحَادَثَا سَوِيَّةً، لَمْ يَسْتَطِعْ مُوسَى أَنْ يَرَى وَجْهَ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا طَلَبَ أَنْ يَرَى وَجْهَ خَالِقِهِ، شَرَحَ لَهُ اللَّهُ اسْتِحَالَةَ وُجُودِ الْخَاطِئِ وَالْخَطِيئَةِ فِي حَضْرَتِهِ، إِذْ سِيفُنِي مِنْ بَهَاءِ مَجْدِهِ. وَسَمَحَ لَهُ أَنْ يَرَى مَجْدَهُ مِنَ الْخَلْفِ. مِنَ الْمُهْمِ هُنَا أَنَّهُ رَعِمَ عَدَمَ اسْتَطَاعَةِ مُوسَى رُؤْيَا وَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَلَحَّ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ مِنْ مَجْدِهِ. لَقَدْ شَهِدَ قُوَّةَ اللَّهِ فِي شَقِّ مِيَاهِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَفِي تَجَوَّالِهِمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَانِ السَّحَابُ يَقُودُهُمْ نَهَارًا، وَعُمُودُ النَّارِ لَيْلًا. رَعِمَ عَنَايَةُ اللَّهِ وَمَظَاهِرُ حِمَايَتِهِ لِشَعْبِهِ، إِلَّا أَنَّ مُوسَى طَلَبَ الْمَزِيدَ مِنْ حُضُورِ مُخْلَصِهِ لِإِدْرَاكِهِ أَنَّ كُلَّ مَهَارَةٍ وَقُدْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ تَحْمِلُ الْمَزِيدَ مِنْ مَجْدِ الْخَالِقِ.

تُوجَدُ كَلِمَةُ "مَجْدٌ" ١٩٤ مَرَّةً فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَ١٩١ مَرَّةً فِي الْجَدِيدِ. قَدْ نَظُنُّ أَنَّهُ مَعَ كُلِّ هَذِهِ الْمَرَاجِعِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، سَيَكُونُ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا فَهْمُ مَعْنَى الْمَجْدِ. يُقَرَّنُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ مَجْدَ اللَّهِ بِمَا يَحْدُثُ فِي فِتْرَةِ عِيدِ الْمِيلَادِ، حَيْثُ تَزْدَانُ الْمَحَلَّاتُ بِكُلِّ أَنْوَارِ بَرَّاقَةٍ، وَتَتَلَأَّلُ أَشْجَارُ هَذَا الْعِيدِ بِكُلِّ مَا يُضِيءُ احْتِفَالًا بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ السَّعِيدَةِ. لَا سِيَّمَا الصِّغَارُ، الَّذِينَ تُبَهِّرُهُمْ مَحَلَّاتُ هَدَايَا الْعِيدِ، فَيَقِفُونَ وَأُنُوفُهُمْ عِنْدَ الرُّجَاجِ يَنْظُرُونَ إِلَى كُلِّ مَا يُفَرِّجُهُمْ مِنْ بَرِيقِ الْإِضَاءَةِ فِي الدَّخْلِ، يَأْتِي الْأَبُّ لِيَحْمِلَهُمْ، وَإِذَا يَرُونَ كُلَّ مَا فِي دَاخِلِ الْمَحَلِّ تَكْتَمِلُ فَرَحَتُهُمْ بِكُلِّ أَلْعَابٍ وَأَضْوَاءِ الْعِيدِ.

نُعْطِينَا هَذِهِ الذِّكْرَى صُورَةً عَنْ مَجْدِ اللَّهِ. وَكَوْنُ رُؤْيَانَا الْبَشَرِيَّةِ مُعْتَمَةً بِسَبَبِ أَنْانِيَّتِنَا فِي إِنْسَانِنَا الْعَتِيقِ، نَبْدَأُ فِي فَهْمِ الْمَجْدِ، إِذْ يَفْتَحُ رُوحُ اللَّهِ أَعْيُنَنَا لِهَذَا اللَّقَاءِ مَعَ اللَّهِ.

عَزِيزِي، كُنْ مِثْلَ مُوسَى، رَعِمَ كُلُّ مَا اخْتَبَرْتَهُ مِنْ حُلَاوَةِ السَّيْرِ مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَفِي حَضْرَتِهِ الْمَجِيدَةِ، سَتَرَى أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَهْمُكَ سَتَرَاهَا فِي ضَوْءٍ جَدِيدٍ مِنَ الْإِيحَاءِ وَالْقُوَّةِ فِي الْمَسِيحِ. وَمَعَ عَدَمِ اسْتَطَاعَتِنَا فَهْمَ مَجْدِهِ، هُنَاكَ جَوَانِبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ سَنَخْتَبِرُهَا، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ. وَحَيْثُ أَنَّهُ مُصَدِّرُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ فِي الْعَالَمِ، فَإِنَّ قَضَاءَ وَقْتٍ مَعَهُ هُوَ مَا يُؤَهِّلُنَا لِنَعِيشَ لَهُ بِجَدَارَةٍ.

لِنَجْعَلْ حُضُورَ الرَّبِّ أَوَّلَى أَوْلِيَائِنَا، وَسَنَخْتَبِرِ الْحَيَاةَ فِي مِلْئِهَا- حَيَاةٌ تُؤَكِّدُ الْحَقِيقَةَ الرَّائِعَةَ أَنَّنَا خُلِقْنَا عَلَى صُورَةِ الْقَدِيرِ وَلِمَجْدِهِ. لِنَكُنْ صَلَاتِنَا - يَا رَبُّ أَرْنِي مَجْدَكَ.

مَجْدُ قِيَامَتِهِ

"قَدْ فَنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ."
(رومية ٦: ٥٤)

أَتَذَكَّرُ يومَ ولادةِ ابني البكر، عندما أعطتني الممرضة إياه، كان صغيراً يزن خمسة كيلوغرامات، وما أن تناولته من يدها، حتى انتابني شعور غامر لم أشعر به في حياتي. لقد أحببته حباً ملأ قلبي وحياتي. بعد أيام قليلة عدت مع زوجتي إلى البيت، حملت ابني وكأني حملت حملاً من المسؤولية تجاه هذا المولود الجديد، وكيف سنربيه زوجتي وأنا، كي تكون حياته في تقوى الله وبركاته. لقد غير وجوده بيننا نظرتنا للحياة.

تبقى الحقيقة أيها الأعزاء أن جميعنا يحمل أحمالاً، منها ما هو سار، ومنها ما هو صعب ومُظلم. بعضنا يحمل أحمال ماضٍ مؤلم، وإذ نفكر بما حدث، نجد من الصعب نسيان ألم ماضينا. ونبقى نفكر فيه مرة بعد الأخرى. بعضنا يحمل ألم المرض في جسمه، أحياناً، يعجز الأطباء عن مساعدتنا. وقد نسمع في الأخبار عن انفجار هنا أو حرب هناك، مما يزيد حمل الألم بحيث نجد صعوبة في التخلص منه. ليس هذا حالنا فحسب، بل حال الكثيرين من حولنا، وحتى الذين يجلسون بجانبنا على مقاعد الكنيسة. السؤال الهام هو: "ماذا علينا أن نعمل بالأحمال التي نتعب من حملها، لأن هذه الأحمال تقرر كيف نسير في طريقنا مع الله.

كأتباع المسيح، لدينا قناعة عن هذه الأحمال، والطريق التي نسير فيها. قناعتنا نابعة من حقيقة أن يسوع قد قام من القبر، وأتينا قادرين أن نسير في جدّة الحياة. هذا ما اكتشفه الرسول بولس في رومية ٦: ٤-٥ يكتب هذه الكلمات ليُسجّع مؤمني كنيسة رومية كي يسيروا مع يسوع. يحثهم أن يعيشوا إيمانهم العزيز على قلوبهم. لقد دفنّا معه للموت في المعمودية، حتى كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة. كانت تلك قناعة بولس ومعه أوائل المسيحيين بأن قيامة المسيح من بين الأموات غيرت كل شيء.

كان بولس واضحاً بالنسبة لأهمية القيامة، حيث يقول في ١ كورنثوس ١٥: ١٤ "وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم". يسأل البعض قائلاً "أتريدني أن أبني حياتي على حدث حصل قبل ما يزيد عن ألفي سنة؟" جوابي لهم هو نعم.

صحيح أن كلمة الله قد صوّرت قيامة يسوع بقالب جميل، لكن شهادة المئات لهذا الحدث لها قيمتها أيضاً. نبدأ باستشهاد ١٠ من ١١ من تلاميذه لاقتناعهم بقيامة يسوع من القبر منتصراً. ثانياً، كيف تُفسّر صمود وانتشار المسيحية في القرن الأول ميلادي لو لم يقم المسيح من الأموات؟

ثالثاً، سجد إخوة يسوع له وعبدوه. يعقوب أخو يسوع رُجم في الشوارع سنة ٦٢ م بسبب اقتناعه بقيامة أخيه من القبر. هناك العديد من المؤرخين مثل "فلافيوس يوسيفوس" الذي ذكر محاكمة يسوع على يد بيلاطس البُنطي، وكيف طالب رؤساء الكهنة بصلبه، وكيف سلّمهم يسوع ليُصلب، وعن قيامته وظهوره لتلاميذه وآخرين. كأتباع المسيح، نؤمن أن طريق البداية هو الله. يا ربّي، أسلمك الكل. حاولت أن أحل مشاكل الروحية وفشلت، لا أستطيع أن أصل إلى الصلاح بنفسي، لذا، أسلمك نفسي.

تتبع العبادة الحقّة من رؤيا محبة الله اللامشروطة لنا. وإذ نقبل رؤيا مجد الله لنا، تتغير عبادتنا، وكذلك أسلوب حياتنا، حيث تتغير من مجد إلى مجد، لنشبه فاديننا. كما أن إعلان مجد الله يُغيّر الطريقة في علاقتنا مع الآخرين. لنكون لطفاء ومسامحين بعضنا بعضاً.

لا شيء أعزائي أعظم من المحبة، لنضمّ صوتنا إلى صوت النبي صفيان ٣: ١٧ إذ يقول "الرَّبُّ إِلَهك في وَسْطك جَبَّارٌ. يُخَلِّص. يَبْتَهِّجُ بِكَ فَرَحًا. يَسْكُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. يَبْتَهِّجُ بِكَ بِتَرْتُمٍ". لِيبارك الربُّ حياتنا لنسير بمجده كل أيام حياتنا. لك المجد والقدرة والتسييح أبد الدهور يا ربنا.

على خطى مجده العظيم

"قُومِي اسْتَتِيرِي لَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكَ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ. لَأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تَغْطِي الْأَرْضَ وَالظَّلَامُ الدَّامِسُ الْأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكَ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكَ يَرَى." (إشعياء ٦٠: ٢٥١)

عاش أهل أورشليم وقتاً طويلاً من الظلمة الروحية زمن الأسر البابلي، وفي عودتهم، واجهوا الكثير من المعاناة من الداخل والخارج. كذلك، عانوا من الظلمة الروحية نتيجة خطاياهم، مما أوجب دينونة الله عليهم. لم يقصد - له المجد - دمارهم، بل فدائهم. الآن، حان وقت فدائهم، وحان وقت الحصول عليه. كانوا يعيشون في ظلمة اليأس، وها نور الرب يشرق عليهم. حان وقت النهوض - جسدياً، وعاطفياً، وروحياً، لعمل ما يطلبه الله منهم ليكونوا نوراً لمن حولهم، وهذا ما يطلبه منا أيضاً. هناك ترابط كبير بين النور والمجد. ويصاحب بريق النور مجد الرب. ومع أن الظلمة تغطي الأرض والأمم، إلا أن مجد الرب يشرق على أحبائه الله، قديماً وحديثاً. ترمز الظلمة إلى النوم، بينما النهار يرمز إلى إشراق نور مجد الرب. يريد الله منا أن نخطو إلى قياس مجده، وفوق الكل، أن نشع بهذا المجد في حياتنا كشهادة لنعمته، حتى، عندما تبدو الأمور صعبة للغاية. لم لا نختبر مجد الله العظيم ليشرق علينا وجميع أحبائنا، مانحاً النعمة، والشفاء، والحماية أكثر من أي وقت مضى. عانت "ليندا" الكثير من الألم بشأن ابنها لمدة أربع سنوات. صرقت آلاف الدولارات على المحامين، والأطباء، والمرشدين، وبرامج التأهيل، لتتخذ ابنها البالغ من العمر ٢٣ سنة من الإدمان على المخدرات، دون أي جدوى. بعد أن شاهدت عظة على التلفزيون تحث على الثقة بالله، والصلاة إليه في طلب المعونة. بدأت ترفع همها، وحال ابنها إلى الله بالصلاة، دون أن تياس. آمنت وطالبت أن يشرق مجد الله العظيم في حياة ابنها. ولدهشتها، بدأ حال ابنها يتغير أمام عينيها. شاركت اختبارها مع القس مُعْطِيَةَ التَّسْبِيحِ والمجد لله الأب إذ أن حياة ابنها قد تجددت وهو يقرأ كتابه المقدس، ويؤمن بمخلصه يسوع المسيح وقد صار حراً بنعمته.

لأربع سنين، كان هذا الشاب غارقاً في وحل المخدرات، ولم يساعده أي شيء في هذا العالم، لكن، ما إن لمست نعمة الله حياته من خلال أمه المصلية، لم يتحرر من المخدرات فحسب، بل لمس مجد الله حياته وقلبه. عزيزي، إذا كان ابنك قد ابتعد عن طريق الرب، فلا داعي لليأس، آمن بقدرة المسيح ونعمته لتعيده إلى محبة يسوع، وآمن بمواعيده كي يحققها في حياة من تُصلي لأجلهم. نعيش أيها الأحباء أياماً أخيرة من عمر عالمنا، حيث تبدو الأمور أكثر عنفاً من ذي قبل، وفي أمانتك لله وحفظ وصاياه، ثق بمواعيده وأسلم.

يحمل الكتاب المقدس بالعديد من قصص نجاة الله لشعبه نذكر منها نجاة الشعب من الموت ليلة خروجهم من مصر، بينما امتلأت بيوت الفراعنة بالعويل نتيجة موت أبنائهم، لكن حماية الله لمست بيوت شعبه، وتمكنوا من الخروج سالمين. حول الرب الكارثة إلى نجاة، وليل العبودية إلى نور الحرية. والمسيح قادر أن يحول ليل الضيق في حياتك، إلى نور مجده على الدوام.

حمل يسوع عار وقصاص خطاياك وخطاياي على الصليب. وبسبب هذه التضحية، صار مجد يسوع من نصيبك. حان الوقت كي يشع نور مجد الله في حياتك. وإذ يرى هذا المجد فيك، سينعكس على من حولك، فيروا نور المسيح فيكم وفيهمجدوا الأب السماوي. لنسمح لنور مجد المسيح أن يعيد مجده فينا.

لننهض، ونترع عنا غبار الضيق واليأس، ورتاح في قوة عمل يسوع، الذي أتمه بكل أمانة وحقق مواعيده في حياتنا. ثق برّب المجد، وتوقع منه أن يحول ظلام ظروف حياتك إلى نور مجده. الرب يسوع يحبك، وينتظر أن يراك معه في ديار المجد عن قريب. له كل تسبيح ومجد مدى الأيام. آمين.

تأثير رؤى مجد الله

"وَنَحْنُ جَمِيعًا نَظَرِينَا مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ." (٢ كورنثوس ٣: ١٨)

يُشيرُ الرسول بولس في هذه الآية إلى اختبار موسى حيث قضى على الجبل ٤٠ نهاراً وليلاً مع الله، استلم فيها لوحى الحجر، وعليهما كُتبت وصايا الله العشر. وعند نزول موسى من الجبل "وَإِذَا جُلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ، فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ". (خروج ٣٤: ٣٠). اضطرَّ موسى أن يُغطِّي وجهه ببرقع من انعكاس حضور الله، كي يحمي شعبه من بهاء هذا المجد. إذ أن خطاياهم جعلتهم قساة القلوب، لذا، لم يستطيعوا تحمّل مجد الله. سمح الله لموسى أن يرى مجده كي يتغيّر بهذه الرؤيا، وهذا يحصل معنا اليوم إذ نرى مجد مُخلصنا، وبالتالي نصير مثله.

يَنزَعُ اللهُ هذا "الحجاب" بينه وبين شعبه عندما يأتون إليه من خلال الإيمان بالمسيح. وفي المسيح أيضاً قد عُفِرَتْ خطاياهم، لذا، فإنَّ عَمَلَ رُوحِ اللهِ الْقُدُّوسِ، هُوَ إِزَالَةُ حِجَابِ الْقَسَاوَةِ، والسماح لمجد الله بالظهور بيسوع. مع زوال هذا "البرقع"، يستطيع المؤمنون بالمسيح، بوجوه مكشوفة، أن ينظروا بشجاعة إلى المسيح، الذي هو مجد الله. وبهذا النظر، والإدراك، تبدأ طبيعة المسيح مرحلة تغيير الله لأولاده على شبه المسيح. يُوكِّد بولس أن هذا التغيير يحدث "من مجد إلى مجد" حسب وعده. وليس هذا لأي فضل منا كي نفتخر، بل هو عَمَلَ رُوحِ اللهِ فِي كُلِّ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. النظر إلى مجد الله، يقود إلى ما يُسميه علماء اللاهوت "التقديس التدريجي" والذي يعني أن نصير أكثر شبيهاً بفادينا، إذ نتغيّر بروحه مع مرور الزمن.

تُعَلِّمُنَا كَلِمَةُ اللهِ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ "بِهَاءُ مَجْدٍ وَرَسْمُ جَوْهَرِ اللهِ". وفي تجسّد ربنا، كان الرؤيا الكاملة لرحمة، ونعمة، وصلاح، واستعداد الآب السماوي للمغفرة. لَقَدْ شَمَلَ اللهُ كُلَّ طَبِيعَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ فِي الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ، فَإِذْ يُرَى مَجْدُهُ فِينَا، إِنَّمَا الْقَصْدُ مِنْهُ تَغْيِيرُنَا، لَنَكُونَ عَلَى شَبهِ مَسِيحِنَا الْمُبَارَكِ. أدرك الرسول بولس جيداً قصد وتأثير رؤية مجد الله في ٢ كورنثوس ٣: ١٨ "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَظَرِينَا مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ".

يقول لنا بولس: "إذ نرى مجد الله- نراه في محبته، ونعمته، وطول أناته، ورحمته- سيفتح الروح القدس أعيننا باستمرار، لنرى المزيد من صفات طبيعة المخلص وأخلاقه". وبالتالي المزيد من رؤيا الله كما لم نرها من قبل". ويقول لنا بصورة أكثر وضوحاً في رسالته إلى أهل أفسس ١: ١٧-١٨ "كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَتِيرَةً عَيْنُونُ أَذْهَانِكُمْ، لَتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ".

١- أول تأثير لمجد الله هو تغيير علاقتنا برّب المجد. عندما رأى موسى أخلاق الله في رحمته ونعمته ومحبته، نقرأ ما عَمَلَ فِي خُرُوجِ ٣٤: ٨ "فَاسْرَعَ مُوسَى وَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَسَجَدَ". لقد غمرته طبيعة هذا الإله العظيم، ونراه ساجداً لله في خُشُوع. أَحْبَابِي، "لَقَدْ فَهِمَ مُوسَى مَجْدَ اللهِ، وَأَرِيدُكُمْ أَنْ تَرَوْهُ أَيْضاً، أُرِيدُ أَنْ أَظْهَرَ مَنْ أَنَا، لَسْتُ إِلَهُ غَضَبٍ وَدِينُونَةٍ. طَبِيعَتِي هِيَ الْمَحَبَّةُ".

٢- التأثير الثاني لرؤية مجد الله هو تغيير في هيئة الإنسان، حيث رأى الشعب وجه موسى أن جلده يلمع، فَوَضَعَ مُوسَى بُرْقَعاً عَلَى وَجْهِهِ. فهئة الإنسان هي تعبير عمّا في قلبه، فكان وجه موسى انعكاساً لمجد الله في داخله. أضْمُ صلاتي لأجلكم ما صلاه الرسول بولس في أفسس ٣: ١٧-١٩ "لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَّيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ وَأَنْتُمْ مُتَّصِلُونَ وَمُتَّاسِسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، لِكَيْ تَمْتَلِكُوا إِلَى كُلِّ مَلَأِ اللهُ".

إِذَا آمَنْتَ تَرِينَ مَجْدَ اللَّهِ

"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "لَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنْ آمَنْتَ تَرِينَ مَجْدَ اللَّهِ؟" (يُوحَنَّا ١١: ٤٠)

يبدأ الأصحاح ١١ من إنجيل يُوحَنَّا بِمَرَضِ لِعَازَرِ أَخِي مَرثَا وَمَرِيمَ مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ عَنِيَا بِالْقُرْبِ مِنْ أُورُشَلِيمَ. "فَأُرْسِلَتْ الْأُخْتَانُ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ يَا سَيِّدُ هُوَذَا الَّذِي تَحِبُّهُ مَرِيضٌ". كَانَ يَسُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ الرِّسَالَةُ قَالَ: "هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، لِيَتِمَّ جَدُّ ابْنِ اللَّهِ بِهِ". بَقِيَ يَسُوعُ يَوْمَانِ حَيْثُ كَانَ يُعَلِّمُ وَيَشْفِي. بَعْدَ ذَلِكَ، قَالَ لِتَلَامِيذِهِ لِنَذْهَبْ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، اعْتَرِضْ تَلَامِيذَهُ قَائِلِينَ: "يَا مُعَلِّمُ، الْآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ، وَتَذْهَبُ أَيْضًا إِلَى هُنَاكَ" كَانَتْ حَيَاةُ الْمُخْلِصِ مَرهُونَةً بِتَوْقِيتِ السَّمَاءِ. شَبَّهَ يَسُوعُ الْمَوْتَ بِالنَّوْمِ وَقَالَ "لِعَازَرِ حَبِيبِنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لِأَوْقِظَهُ". (يُوحَنَّا ١١: ١١).

كَانَ الْمُخْلِصُ هُنَا سَيِّدَ الْمَوْقِفِ، وَمُهِمِّنَ عَلَى كُلِّ تَفَاصِيلِ الْأَحْدَاثِ، فَقَدْ عَرَفَ مَتَى مَاتَ لِعَازَرُ، بَيْنَمَا تَلَامِيذُهُ ظَنُّوا أَنَّهَا مُجَرَّدَ صُدْفَةٍ. لِذَا قَالَ لَهُمْ فِي يُوحَنَّا ١١: ١٥ "وَأَنَا أَفْرَحُ لِأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لِتُؤْمِنُوا. وَلَكِنْ لِنَذْهَبْ إِلَيْهِ!". عَرَفَ يَسُوعُ أَيْضًا طَبِيعَةَ مَرَضِهِ، كَانَ سَيَفْعَلُ شَيْئًا أَعْظَمَ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ شِفَاءِ لِعَازَرِ مِنْ مَرَضِهِ، وَسَيَقْوِي أَلْفَ مَرَّةٍ إِيمَانَ تَلَامِيذِهِ. لَمْ يَفْهَمِ التَّلَامِيذُ قَصْدَ الْمَسِيحِ، لَكِنَّهُمْ أَدْرَكُوا بِوُضُوحٍ سَيَطْرَتِهِ عَلَى تَفَاصِيلِ مَا يَحْدُثُ. لِيَكُنْ لَنَا الْيَقِينُ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ سَيِّدُ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَحَيَاتِنَا تَحْتَ سَيَطْرَتِهِ.

قَدْ نَسَأَلْ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِ وُضُولِ يَسُوعَ عِنْدَمَا سَمِعَ بِمَرَضِ صَدِيقِهِ لِعَازَرِ؟ كَانَ تَلَامِيذُهُ فِي صِرَاعٍ وَشَكٍّ إِذْ ظَنُّوا أَنَّ الْمُخْلِصَ قَدْ فَقَدَ عَطْفَهُ عَلَى صَدِيقِهِ لِعَازَرِ. قَالَ لَهُمْ فِي الْبَدَايَةِ أَنَّ هَذَا الْمَرَضَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَوْتِ، وَانْتَظَرُوا يَوْمَانِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَنَّ لِعَازَرَ قَدْ مَاتَ. بَدَتْ الْأُمُورُ مُعَقَّدَةً لَهُمْ، وَالْأَكْثَرُ دَهْشَةً كَانَتْ الْحَقِيقَةُ أَنَّ لِعَازَرَ كَانَ فِي الْقَبْرِ لِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ عِنْدَ وُضُولِهِمْ. نَقَرًا فِي الْآيَةِ ١٩ مِنْ يُوحَنَّا ١١ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ جَاءُوا لِيُعْبَرُوا مَرثَا وَمَرِيمَ بِوَفَاةِ أَخِيهِمَا لِعَازَرِ. وَصَلَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا مُتَأَخِّرًا، لَكِنَّ قَصْدَهُ كَانَ فِي مَوْعِدِهِ.

يُمَثِّلُ مَوْتَ لِعَازَرِ مَا يُعَانِيهِ الْخَاطِئُ بَعِيدًا عَنِ الْمَسِيحِ، فَنَحْنُ كَمَا يَقُولُ بُولَسُ أُمُوتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، بَعِيدِينَ عَنِ اللَّهِ، أَبْنَاءَ مَعْصِيَةٍ، بِدُونِ رَجَاءٍ. لَكِنَّ الْمَسِيحَ قَهَرَ الْمَوْتَ، إِذْ أَنَّهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. سَمِعَتْ مَرثَا بِقُدُومِ يَسُوعَ، فَخَرَجَتْ لِلِقَائِهِ، وَعَاتَبَتْهُ بِرَفْقٍ لِتَأَخُّرِهِ فِي الْوُضُولِ إِلَيْهِمَا، لَكِنَّ إِيْمَانَهَا تَمَثَّلَ فِي قُدْرَةِ يَسُوعَ أَنْ يُقِيمَ أَخَاهَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. أَكَّدَ يَسُوعُ لَهَا بِأَنَّهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِهِ وَإِنْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ". بَعْدَ وُضُولِ مَرِيمَ، ذَهَبَ يَسُوعَ مَعَهُمَا وَالْجَمْعَ الْمُرَافِقِ، وَقَدْ بَكَى حُزْنًا عَلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِ تَابِعِيهِ. ثُمَّ قَالَ يَسُوعَ لِمَرثَا: "أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنْ آمَنْتَ تَرِينَ مَجْدَ اللَّهِ؟".

يُقَارَنُ يُوحَنَّا بَيْنَ قِيَامَةِ لِعَازَرِ وَقِيَامَتِنَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. الْمَحَبَّةُ هِيَ عَمَلٌ مَا عَلَيْنَا أَنْ تَعْمَلَهُ، لِتُسَاعِدَ النَّاسَ لِيَرَوْا، وَيَكْنُزُوا مَجْدَ اللَّهِ كَقَمَّةِ فَرْحِهِمْ، كِي يَرَوْا وَيَكْتَفُوا بِمَجْدِ اللَّهِ. آمَنْتَ مَرثَا فِي يَسُوعَ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَرَى أَبْعَدَ مِنَ السَّطْحِ، بِشَأْنِ قِيَامَةِ أَخِيهَا. نَعْمَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ عِنْدَمَا تَوَاجَهْنَا الْمَشَاكِلَ، وَتَنْحَصِرُ عُقُولُنَا لِمَا سَيَعْمَلُهُ اللَّهُ. وَنَضَعُ ذَا الْجَلَالِ فِي مُسْتَوَى تَفْكِيرِنَا، وَنَحْدُ مَا بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَعْمَلَ، مُتَنَاسِينَ أَنَّ غَيْرَ الْمُسْتَطَاعِ لَدَى الْإِنْسَانِ، مُسْتَطَاعٌ لَدَى اللَّهِ.

لَمْ تُرِدْ مَرثَا أَنْ تَرَى جَسَدَ أَخَاهَا وَقَدْ بَدَأَ يُنْتِنُ وَيَتَحَلَّلُ، أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَسُوعَ عَلَى وَشَكِّ إِقَامَةِ أَخِيهَا. لَكِنَّ كَلِمَاتِ يَسُوعَ لَهَا جَذَبَتْ انتباهَهَا. "أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنْ آمَنْتَ تَرِينَ مَجْدَ اللَّهِ؟". عَلَيْنَا دَائِمًا أَنْ نَكُونَ فِي تَوَقُّعٍ كَبِيرٍ لِمَا يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلَ بِظُرُوفِنَا. أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ؟ هَلْ تَقُولُ بَأَنَّكَ تُؤْمِنُ بِمَا يُمَكِّنُ لِلَّهِ أَنْ يَعْمَلَ، ثُمَّ تَجْلِسُ وَتَقْلُقُ بِشَأْنِ ضَخَامَةِ الْمُسْكَلَةِ؟ هَلْ تُصَلِّي فِي تَوَقُّعٍ مَا يُمَكِّنُ لِلَّهِ أَنْ يُحَقِّقَ فِي حَيَاتِكَ؟ كِي نُخَبِّرَ الْآخَرِينَ كَمَا صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ. عِشْ لِمَجْدِهِ عَزِيزِي، وَرَاقِبِهِ يُحَقِّقُ مَجْدَهُ فِي حَيَاتِكَ؟

فَوَائِدُ مَجْدِ اللَّهِ

"لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ." (رومية ١١: ٣٦)

يُصَرِّحُ بولس في هذه الترنيمَة بِاتِّسَاعِ رُقْعَةِ الْكَوْنِ، وَيؤكدُ أَنَّ كَوْنَ اللَّهِ الْوَاسِعِ هُوَ مُلْكُ اللَّهِ، وَنَحْنُ بِبَسَاطَةِ جُزْءٍ مِنْهُ، وَنَعِيشُ عَلَيْهِ. فَاللَّهُ - لَهُ الْمَجْدُ - خَالِقُ الْكَوْنِ وَمَصْدَرُ كُلِّ شَيْءٍ صَالِحٍ. فَكَيْفَ نُعْطِيهِ شَيْئاً لَا يَمْلِكُهُ؟ كُلُّ شَيْءٍ وُجِدَ بِهِ، أَيْ أَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَوْجُودٍ، وَهُوَ نَشِيطٌ فِي تَسْيِيرِهِ حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ يَسْتَمِرُّ فِي الْوُجُودِ بِقَضَلِهِ. وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ، أَيْ كُلُّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ، إِنَّمَا خَلَقَهُ لِمَجْدِهِ. جَمِيعُهَا تَعَكْسُ الْمَجْدَ لَهُ.

كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٍ، إِنَّمَا يَخْدُمُ خَطَّتَهُ الْعَظِيمَةَ وَقَصْدَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَيُنْهِي بولس هذه الترنيمَة بِإِعْطَاءِ الْمَجْدِ لِلَّهِ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ. يَا لَهَا مِنْ طَرِيقَةٍ رَائِعَةٍ نُلَخِّصُ بِهَا مَا هِيَ اللَّهُ - لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. كُلُّ شَيْءٍ هُوَ مَصْدَرُهُ وَبِدَايَتُهُ. هُوَ نَبْعُ كُلِّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ، لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ. "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً، وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً" (يوحنا ١: ١٤). كُلُّ الْأَشْيَاءِ بِهِ خُلِقَتْ مَا يَرَى وَمَا لَا يَرَى. الْمَسِيحُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ، وَقَدْ رَأَيْنَا مَجْدَهُ فِي شَخْصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْبَارِّ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ.

يُخْبِرُنَا كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ١: ٢ عَنْ ابْنِهِ الْبَارِّ "كَلَمْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمَلَ الْعَالَمِينَ". فِي الْمَسِيحِ مَصْدَرُ كُلِّ قُوَّةٍ وَسُلْطَانٍ، لَهُ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ أَبَدَ الدُّهُورِ.

عِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ مَجْدِ اللَّهِ، نَتَكَلَّمُ عَنْ جَلَالِهِ، وَجَمَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ. فَهُوَ لَهُ الْمَجْدُ مُمَيَّزٌ فِي طَبِيعَتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ الرَّائِعَةِ. فَهُوَ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - يُرِيدُ أَنْ يُشَارِكَ شَعْبَهُ بِمَجْدِهِ، وَيُعْطِيهِمْ غِنًى هَذَا الْمَجْدِ. سَنَرَى مَعاً تِسْعَةَ فَوَائِدٍ لِهَذَا الْمَجْدِ. ١- وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِي الْمُؤْمِنِينَ فِي تَكْوِينِ ١٢: ١-٢ أَنْ تَتَبَارَكَ بِنَسْلِهِ كُلِّ أُمَمِ الْأَرْضِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ وَعْدُهُ بِمَجِيءِ الْمُخْلِصِ الْمَوْعُودِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ، وَالَّذِي تَمَّ فِي فَادِينَا الْحَبِيبِ كُلِّ غِنًى مَجْدِ اللَّهِ. عَظِيمٌ أَنْتَ رَبِّي فِي تَحْقِيقِ وَعْدِكَ فَأَنْتَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ. ٢- امْتِيازُ الْعِبَادَةِ. تُشِيرُ كَلِمَةُ اللَّهِ إِلَى امْتِيازِ الْعِبَادَةِ، وَنِيلِ مَوَاعِيدِ اللَّهِ. قَدْ نَسَى كَثِيراً امْتِيازَ أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ، وَنَرَى أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةُ هِيَ هَيْبَةُ مِنْهُ. كَانَ يُمْكِنُ لِلَّهِ أَنْ يُفْنِيَ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ عِنْدَمَا أَخْطَأَ آدَمُ وَحَوَّاءُ، لَكِنَّهُ بَدلاً مِنْ ذَلِكَ يَسْعَى وَيَجِدُ طَرِيقاً لِلتَّصَالُحِ مَعَنَا.

٣- الْعَهْدُ وَالنَّامُوسُ. امْتِيازَ آخِرٍ مُرْتَبِطٌ بِوَعْدِ اللَّهِ لإِبْرَاهِيمَ. عِنْدَمَا قَطَعَ اللَّهُ عَهْداً مَعَ إِبْرَاهِيمَ، ثَبَّتَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ ذَبَائِحِ شَقَّهَا مِنَ الْوَسْطِ (تَكْوِينِ ١٥: ٧-٢٠). وَإِذَا أُعْطِيَ وَصَايَاهُ الْعَشْرَ لِمُوسَى، رَافَقَ ذَلِكَ عَرْضَ لِمَجْدِ اللَّهِ، كَمَا أَنَّ سَفَرَ الْلاويِّينَ يُعْطِي تَفَاصِيلَ دَقِيقَةٍ لِلْعِبَادَةِ. ٤- التَّبَنِّي فِي عَائِلَةِ اللَّهِ. يَذْكُرُ بولس في رُومِيَّةِ ٩: ٤-١٣ مَعْنَى أَنْ نَكُونَ أَبْنَاءَ وَبَنَاتِ اللَّهِ، كَوَاحِدٍ مِنْ غِنَى الْمَجْدِ الْآتِي مِنَ اللَّهِ. فَعِنْدَمَا نَقْبَلُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مُخْلِصاً وَرَبّاً لَنَا، نُعْطَى التَّبَنِّي فِي عَائِلَةِ اللَّهِ. ٥- رَحْمَةُ وَخَنَانِ اللَّهِ. لِلرَّبِّ سُلْطَانٌ عَلَى حَيَاتِنَا بِالْخَلِيقَةِ وَالْفِدَاءِ. نَحْنُ خُطَاةٌ لَا نَسْتَحِقُّ هَذَا الْامْتِيازَ، لَكِنَّهُ يُظَهِّرُ نِعْمَتَهُ وَلَطْفَهُ عَلَيْنَا بِاسْتِمْرَارٍ. مَا أَعْظَمَكَ رَبِّي.

٦- فُرْصَةُ لِنَصِيرَ مِثْلَ الْمَسِيحِ، وَنَكُونَ أَبْرَاراً مِنْ خِلَالِهِ. فَالتَّبَرُّيرُ هُوَ أَنْ يَحْسِبُنَا اللَّهُ فِي عَيْنِيهِ أَبْرَاراً. وَلَا يَأْتِي هَذَا الْبَرُّ مِثْلاً، بَلْ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ كَوَاحِدٍ مِنْ غِنَى مَجْدِهِ مِنْ خِلَالِ دَمِ الْمَسِيحِ.

٧- الرُّوحُ الْقُدُسُ. لَدَيْنَا دُخُولٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ. نَتَوَاصَلُ مَعَ اللَّهِ، وَيَسْكُنُ رُوحَهُ فِيْنَا. يَا لَهُ مِنْ غِنَى حَقِيقِيٍّ. ٨- الْفِدَاءُ مِنَ الْمَوْتِ. عِنْدَمَا مَاتَ الْمَسِيحُ عَلَى الصَّلِيبِ، دَفَعَ الثَّمَنَ الَّذِي كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَدْفَعَهُ لَخَطَايَانَا، لِأَنَّ "أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ". (رُومِيَّةِ ٦: ٢٣). لَكِنْ يَسُوعُ مَاتَ كِي نَحْيَا نَحْنُ. لَقَدْ غُفِرَتْ خَطَايَانَا مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ بِحَيْثُ لَنْ نَحْتَاجُ أَنْ نَدْفَعَ قِصَاصَ الْمَوْتِ. ٩- الْمِيرَاثُ. غِنَى رَائِعٍ لِمَجْدِ اللَّهِ فِي وَعْدِهِ أَنْ يُعْطِيَنَا مِيرَاثاً كَأَبْنَاءَ وَبَنَاتٍ لَهُ.

وَقَدْ وَعَدَ الْمَسِيحُ أَبْنَاءَهُ بِهَبَّةِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. هُنِيئاً لِلْأَمْثَاءِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ بِصَبْرٍ أَيَّامَ غُرْبَتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، بِاتِّظَارِ رُجُوعِ سَيِّدِهِمُ الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ لِيَكُونُوا مِنْ مُوَاطِنِي مَلَكُوتِ الْمَجْدِ.

تمجيد الله في حياتي

"أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ إِلَهِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي، وَأُمَجِّدُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ." (مزمو ٨٦: ١٢)

تُعَبِّرُ هذه الآية جزءاً من صلاة الملك داود. يَتِمُّ تعريف الصلاة بأنها "فَتْحُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ كَمَا إِلَى صَدِيقٍ"، كَمَا أَنَّ الصلاة هي التَّحَادُثُ مَعَ اللَّهِ فِي تَوَاضُلٍ، نَحْنُ نَتَحَدَّثُ مَعَهُ، وَنَسْتَمِعُ إِلَيْهِ يَتَحَدَّثُ إِلَيْنَا. لِذَا، مِنَ الْمُهْمِّ لَنَا أَنْ نَهْدَأَ وَنَنْتَظِرَ لِنَسْمَعَ مِنْهُ. نَعَمْ، عَزِيزِي، خَالِقِ الْكَوْنِ، رَبُّنَا اللَّهُ، يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَكَ. يَحْمَدُ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ دَاوُدَ الرَّبِّ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ، وَلَا يَسْمَحُ لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْ يُلْهِمَهُ عَنْ تَقْدِيمِ الْحَمْدِ لِإِلَهِهِ. سَيُتَابَعُ تَقْدِيمُ الصلاة وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُعْطِيهِ الْمَجْدَ وَالتَّسْبِيحَ عَلَى الدَّوَامِ. إِذْ نُدْرِكُ طَبِيعَةَ الرَّبِّ إِلَهِنَا بِالْمَعْرِفَةِ وَالْحَقِّ، وَمَا قَدَّمَهُ لِأَجْلِنَا إِذْ دَفَعَ قَصَاصَ خَطَايَانَا، وَمَاتَ لِأَجْلِنَا بِابْنِهِ يَسُوعَ، سَيَكُونُ امْتِيَازٌ لَنَا بِأَنْ نُصَلِّيَ مَا صَلَّاهُ دَاوُدُ "أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ إِلَهِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي، وَأُمَجِّدُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ" (مزمو ٨٦: ١٢). أُمْنِيَّتِي يَا أَحِبَّائِي أَنْ نَجْعَلَ مِنَ الصلاة وَالتَّسْبِيحِ مَحَوْرَ حَيَاتِنَا لِأَنَّهُ مُسْتَحَقُّ كُلِّ مَجْدٍ وَتَسْبِيحٍ وَكَرَامَةٍ عَلَى الدَّوَامِ. كَانَتْ صلاة دَاوُدَ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ لِلرَّبِّ إِلَهِهِ. هَلْ هَذِهِ هِيَ صَلَاتُكَ أَيْضاً؟ وَهَلْ رَغْبَةُ قَلْبِكَ أَنْ تُسَرِّهَ فِي كُلِّ طَرُقِكَ؟ إِنَّهُ صَادِقٌ وَأَمِينٌ، ثِقْ بِهِ فَهُوَ اللَّهُ سَيِّدُ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ.

نَحْتَاجُ أَيْضاً إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ عِنْدَمَا تَسِيرُ الْأُمُورُ عَلَى مَا يُرَامُ، وَأَيْضاً عِنْدَمَا تَعْصِفُ بِنَا عَوَاصِفُ الْحَيَاةِ، بِالتَّأَكِيدِ، سَنَحْتَاجُ إِلَى رَحْمَتِهِ أَيْضاً. هَلْ سَتَسْمُو بِتَسْبِيحِكَ إِلَى دَرَجَةِ تَمْجِيدِ خَالِقِكَ وَفَادِكَ؟ أَدْرَكَ دَاوُدُ أَهْمِيَّةَ تَسْبِيحِ الرَّبِّ بِكَيَانِهِ فَقَالَ فِي مَزْمُورِ ١٠٣: ١ "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكَ اسْمُهُ الْقُدُّوسُ".

عَزِيزِي، مَجِّدْ مَعِيَ الرَّبَّ بِالاحتفال بِكَمَالِ طَبِيعَتِهِ، أَعْطِهِ الْمَجْدَ لِأَعْمَالِ يَدَيْهِ، سَبِّحْهُ لِعَظِيمِ إِحْسَانَاتِهِ، كَرِّسْ لَهُ الْكُلَّ، وَمَجِّدْهُ طِيلَةَ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، وَمَدَى أَجْيَالِ الْأَبَدِيَّةِ.

سَنَكُونُ مَعَ سَبْعَةِ طُرُقٍ تُمَجِّدُ بِهَا الرَّبُّ مُخَلِّصُكَ: ١- كُنْ شَاكِراً لَهُ، أَظْهَرْ لَهُ امْتِنَانَكَ لِمَا عَمَلَهُ فِي حَيَاتِكَ، وَقَانِعٌ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي بَارَكَكَ بِهَا. أَعْطِهِ الْمَجْدَ لِقِيَادَتِهِ لِحَيَاتِكَ، وَشَارِكْ رَوْعَةَ أَعْمَالِهِ مَعَ الْآخَرِينَ لِيَنَالُوا الْبَرَكَهَ أَيْضاً. ٢- سَبِّحْهُ بِتَرَانِيمِ الْحَمْدِ. ضُمِّ صَوْتَكَ مَعَ الْمُرَنِّمِ فِي مَزْمُورِ ٩٦: ١-٣ قَائِلاً: "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً. رَنِّمِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الْأَرْضِ. رَنِّمُوا لِلرَّبِّ، بَارِكُوا اسْمَهُ، بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلَاصِهِ. حَدِّثُوا بَيْنَ الْأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ". رَكِّزْ عَلَى اللَّهِ خِلَالَ التَّرْنِيمِ، وَسَلِّمْ إِرَادَتَكَ لَهُ بِالتَّمَامِ، دُونَ النَّظَرِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ. الاسْتِمَاعُ إِلَى تَرَانِيمِ الْعِبَادَةِ يُعَمِّقُ الشُّعُورَ بِالامْتِنَانِ لِلَّهِ فِي دَاخِلِكَ. ٣- اِتِّبَقْ عَلَى اتِّصَالِ مَعَ الرَّبِّ. يَقُولُ بُولْسُ فِي كُولُوسِي ٣: ١٧ "وَكُلُّ مَا عَمَلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللَّهَ وَالْآبَ بِهِ". تَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ قِضَاءَ وَقْتٍ مَعَ الْحَبِيبِ يَسُوعَ، مَعَ التَّرَكِيزِ عَلَى فِضَائِلِهِ عَلَيْكَ طِيلَةَ سَاعَاتِ الْيَوْمِ. صَلِّ بِاسْتِمْرَارٍ خِلَالَ النَّهَارِ لِتُذَكِّرَ نَفْسَكَ بِحُضُورِهِ مَعَكَ، مِمَّا يَعُودُ عَلَيْكَ بِالسَّلَامِ وَأَنْتِ تَجْعَلُهُ الْأَوَّلَ فِي حَيَاتِكَ. ٤- اخْدُمِ الْآخَرِينَ. يَقُولُ الرَّبُّ يَسُوعُ فِي مَتَّى ٢٠: ٢٦-٢٨ "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً، ابْنُ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ".

عَلَيْنَا، كَأَتْبَاعِ الْمَسِيحِ، أَنْ نَخْدُمَ الْآخَرِينَ فِي أَعْمَالِ رَحْمَةٍ، وَاضْعِينَ حَاجَاتِ الْآخَرِينَ قَبْلَ حَاجَاتِنَا. ٥- شَارِكْ أَخْبَارَ الْإِنْجِيلِ السَّارَةِ. تَرَكَ لَنَا يَسُوعُ مَأْمُورِيَّةَ الْكَرَازَةِ بِالْإِنْجِيلِ لِلخَلِيقَةِ كُلِّهَا، تَرْقُباً لِرُجُوعِهِ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ. ٦- حَقِّقْ قَصْدَهُ لِحَيَاتِكَ. يَقُولُ ١ بُطْرُسُ ٤: ١٠ "لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدُمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً، كَوُكُلَاءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ". اسْتَخْدِمْ قُدْرَاتِكَ وَمَوَاهِبَكَ لِنُشِرَ بَشَارَةُ الْحَقِّ وَخِدْمَةُ الْآخَرِينَ.

٧- عَيِّنْ مُسْتَنِيرَةً. صَلِّ مَعَ بُولْسِ أَفَسُسِ ١: ١٨ "مُسْتَنِيرَةً عَيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غَنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ".

سَاعِدْنِي رَبِّي، أَنْ أُمَجِّدَكَ فِي حَيَاتِي كُلِّ يَوْمٍ. آمِينَ.

قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزّاً

"قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللَّهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزّاً. قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ." (مزمور ٢٩: ١-٢)

تقديم المجد لله ليس أمراً سهلاً بالنسبة لنا، إذ تعودنا على طلب أشياء منه، بدلاً من تقديم الحمد والتسبيح له، ودعوة الآخرين كي يشاركونا في ذلك. قد تسأل عزيزي، ماذا أعطي للرَّبِّ وهو مالك الكل؟ من نحن كخلائق سقطت في الخطيئة، لنقدم لخالق الأكوان شيئاً يليق بمجده؟ يأتي السؤال في مزمور ١١٦: ١٢ "ماذا أريدُ للرَّبِّ من أجل كلِّ حسناته لي؟". صاحب المزامير داود يدعونا اليوم لتقديم الحمد لفادينا القدوس بثلاثة أمور: مجداً، وعِزّاً، وسُجوداً له في زينة مُقَدَّسَةٍ. تنطبق كلمة "أبناء الله" على الملائكة، (أيوب ١: ٦، ٢: ١) التي هي أرواح مُرسلة للعتيدين أن يرثوا الخلاص "ولتقديم الخدمة والمجد لله، وأيضاً تشملُ النَّاسَ الَّذِينَ نَالُوا التَّبَنِّيَ بيسوع المسيح. وقد قال المُخَلَّصُ في عِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ فِي مَتَّى ٥: ٩ "طوبى لصانعي السَّلام، لأنَّهم أبناءُ اللهِ يُدْعَوْنَ". فإذا كانت الملائكة تشعرُ بالامتنان لله ولا تنقطع عن تسبيح اسمه، فكَمَ بِالْحَرِيِّ نَحْنُ، أَلَا نَقْدِمُ الشُّكْرَ لِخالقنا كُلِّ أَيَّامِ حَيَاتِنَا؟ لَا تُحْدِثِ السَّمَاوَاتُ بِمَجْدِ اللهِ (مزمور ١٩: ١) فَحَسْبُ، لَكِنْ نَحْنُ الَّذِينَ خَلَقْنَا عَلَى صُورَتِهِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ، مُعْتَرِفِينَ بِمَجْدِهِ الإلهي وَجَبْرُوتِهِ، وَعَظِيمِ فَضَائِلِهِ عَلَيْنَا، بِرُوحِ مُنْكَسِرَةٍ وَوَدَاعَةٍ. يدعونا داود للسُّجود لله في زينة مُقَدَّسَةٍ، ليستَ خَارِجِيَّةً بَلْ زِينَةُ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِي. يُرْفَعُنَا صَاحِبُ الْمَزَامِيرِ مِنْ أَجْوَاءِ أَرْضِيَّةٍ إِلَى سَمَاوِيَّةٍ، بدعوة الملائكة لتسبيح الله عَظِيمِ الْقُوَّةِ كَمَا بَدَتْ فِي الْعَاصِفَةِ. نرى هذا الحمد في مزمور ٩٦: ٧-٨ "قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا قِبَائِلَ الشُّعُوبِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَقُوَّةً. قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. هَانُوا تَقْدِمْ وَأَدْخُلُوا دِيَارَهُ". عَظِيمُ هُوَ الْمُثُولُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، فَهَلْ وَجُودُنَا فِي بَيْتِ اللهِ هُوَ لِنَعْبُدَهُ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟ الْجَوَابُ نَرَاهُ فِي تَقْدِيرِنَا لِهَذَا، وَعَظِيمُ مَا قَامَ بِهِ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. وَفِي هَذَا يَقُولُ الْقُدِّيسُ "أَوْغُسطين" "أَنْتَ جَبَلَتْنَا يَا رَبُّ لِدَاتِكَ، وَلَنْ تَجِدَ قُلُوبَنَا الرَّاحَةَ مَا لَمْ تَجِدْهَا فَيْكَ".

إِذْ تَدْخُلُ بَيْتَ اللهِ، كُنْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ مَوْجُودِينَ فِيهِ، إِسْأَلْهُ أَنْ يَنْزِعَ كُلَّ شَرٍّ مِنْ قَلْبِكَ، أَسْجُدْ لِهَذَا فِي بَيْتِهِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ تَكْرِيسَ حَيَاتِكَ لَهُ، لَقَدْ اشْتَرَاكَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. أَعْبُدِ الرَّبَّ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لِأَنَّ يَسُوعَ يُسَرُّ بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ الْعَابِدِينَ. إِذْ تَقْتَرِبُ مِنْ عَرْشِ النِّعْمَةِ، تَجِدُ هُنَاكَ مَنْ دَفَعَ حَيَاتَهُ ثَمَنًا لِفِدَائِكَ، رَئِيسَ الْكَهَنَةِ شَفِيعُكَ السَّمَاوِيِّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ. قَدِّمْ لَهُ كُلَّ خُشُوعٍ، اعبده بِفَرَحٍ، وَلِيَكُنْ تَسْبِيحُهُ عَلَى لِسَانِكَ دَوَماً. تَدْعُونَا كَلِمَةُ اللهِ لِنَكُونَ حِجَارَةً حَيَّةً فِي بَيْتِ الرَّبِّ فِي ١ بطرس ٢: ٥ "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ بَيْنًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتاً مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ". عِنْدَمَا يُخْبِرُنَا دَاوُدُ أَنْ نُعْطِيَ الرَّبَّ مَجْداً وَعِزّاً، فَإِنَّهُ يَقُولُ لَنَا أَنْ نَعْتَرِفَ بِمَجْدِ مَسِيحِنَا، وَعَظَمَتِهِ. اللهُ كُلِّي الْقِدَاسَةَ، لِأَنَّهُ قُدُّوسٌ. وَجَبَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُدَهُ بِزِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ. جَرَّبَ مَعِيَ يَوْمًا هَذَا الْأُسْبُوعَ، تُخَصِّصُ فِيهِ سَاعَةٌ شُكْرٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَقْدِيمِ الْمَجْدِ لِسَيِّدِ الْأَكْوَانِ، فَادِيكَ الْحَبِيبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَدَعْ بَرَكَتَهُ تَمَلَأُ حَيَاتَكَ.

وَإِذَا تَنْظُرُ إِلَى الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ، وَمَا يُضَاقِقُكَ فِي حَيَاتِكَ الْخَاصَّةِ، قَدِّمْ لِلرَّبِّ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ. إِسْمَحْ لِحُضُورِهِ الْكَرِيمِ أَنْ يَمَلَأَ حَيَاتَكَ بِسَلَامِهِ، وَيَكُونَ أَسَاسَ فَرَحِكَ الْدَاخِلِيِّ. اسْتَرْخِ بِحَقِيقَةِ مَحَبَّةِ اللهِ لَكَ، وَغُفْرَانِهِ لَخَطَايَاكَ، مِمَّا يُغَيِّرُ مَفْهُومَكَ لِصِفَاتِهِ الْإِلَهِيَّةِ. صَلَاتِي أَنْ يَجْعَلَ اللهُ حَيَاتَكَ انْعِكَاساً لِمَجْدِهِ الْعَظِيمِ.

تَعَلَّمِ الْقِنَاعَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ حُضُورِ اللهِ، وَعِنَايَتِهِ الدَّائِمَةِ بِكَ. يَسُوعُ يُعِدُّ لَكَ مَنْزَلاً سَمَاوِيًّا، وَسَيَعُودُ قَرِيباً لِعَالَمِنَا لِيَأْخُذَنَا جَمِيعاً إِلَى سَمَاءِ النِّعِيمِ. قَدِّمْ لَهُ الْمَجْدَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ، وَإِلَهُ الرِّجَاءِ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيُقَوِّمُكَ لِمَجْدِهِ. آمِينَ.

صَوْتُ الرَّبِّ فَوْقَ الْمِيَاهِ

"صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلَهَ الْمَجْدِ أَرَعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْقُوَّةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْجَلَالِ." (مزمو ٢٩: ٣-٤)

يدعو داود كاتبُ هذا المزمور عَظَمَاءَ رجال الأرض كي يُعطوا التسبيح والكرامة لإله الكون العظيم. له وحده يُقدّم المجد، لأنّه وَضَعَ هؤلاء الرجال في مناصبهم لِيَتَقَدَّسُوا خَطَطُهُ الأبدية. هُوَ يَضَعُ العُظَمَاءَ في مراكزهم وهو يعزّل مَنْ يشاء، لأنّه إله المجد العظيم. لا أَحَدٌ يَجُرُّ نفساً دون إذنه، حيثُ مجده يُعْطِي السَّمَاوَاتِ. كَتَبَ داود هذا المزمور الجليل داعياً عَظَمَاءَ الأرض وجبابرة الملائكة، ليعبدوا الرَّبَّ في جَمال قُدْسِهِ، ويُقدّموا المجد والكرامة اللتين يَسْتَحَقُّهُمَا. إذ عَمِلَ رَاعِياً مُنْذُ صباه، كان لداود مُتَسَعاً مِنَ الْوَقْتِ لِيَشْهَدَ عَجَائِبَ اللَّهِ في خَلِيقَتِهِ، وهو يَرِاقِبُ الْبُرُوقَ وَيَسْمَعُ صَوْتَ الرُّعُودِ الْمُدَوِّي، مُعَلِّناً مَجْدَ اللَّهِ، حيثُ يُظْهِرُ الْكَوْنَ الطَّبِيعِيَّ أَعْمَالَ يَدَيْهِ الْقَدِيرَتَيْنِ. كَانَتْ آلِهَةُ الْأُمَمِ الْمُجَاوِرَةِ جَمَاداً لَا حَيَاةَ فِيهَا، مَصْنُوعَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ. وَلَا عَجَبَ أَنْ نَرَاهُ يُسَبِّحُ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. الَّذِي كَانَ، وَالْكَائِنُ، وَالَّذِي يَأْتِي، الرَّبُّ الْقَدِيرُ. يَقُولُ فِي الْآيَةِ الثَّالِثَةِ "صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلَهَ الْمَجْدِ أَرَعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ". خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَكُلَّ مَا فِيهَا بِكَلِمَةٍ فَمَه، بما فيها أصوات الرُّعُودِ وَبَرِيقِ الْبُرُوقِ وَدَوِيِّ صَدَاهَا عَبْرَ الْفَضَاءِ، تَأَثَّرَ كَثِيراً بما ورأى وَسَمِعَ، فَرَكَعَ هذا الإنسان - الَّذِي كَانَ بِحَسَبِ قَلْبِ اللَّهِ - إِلَى الْأَرْضِ سَاجِداً لِلَّهِ الْمُدهِشِ فِي عَظَمَتِهِ. كَانَ ذَاكَ نَفْسُ شُعُورِ مُوسَى وَشَعْبِهِ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ جِيْشِ فِرْعَوْنَ إِذْ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْبَحْرَ الْأَحْمَرَ فَأَنشَدُوا قَائِلِينَ "أَرْزَمَ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي، وَقَدْ صَارَ خَلَاصِي. هَذَا إِلَهِي فَأُمَجِّدُهُ، إِلَهَ أَبِي فَأَرْفَعُهُ" (خُرُوج ١٥: ١-٢).

يَسْتَخْدِمُ داود في مزمور ٢٩ قُوَى الطَّبِيعَةِ لِيَرْسِمَ صُورَةً رَائِعَةً لِقُوَّةِ وَجَلالِ اللَّهِ كُلِّي السُّلْطَانِ - أَنَا الْعَظِيمِ - مَا قَالَهُ اللَّهُ لِمُوسَى "أُهِيه" أَي أَنَا هُوَ أَنَا - نَفْسُ اللَّقَبِ اسْتَعْمَلَهُ الْمَسِيحُ. بَدَأَ صَوْتُ اللَّهِ فِي بَدْءِ الْخَلِيقَةِ قَائِلاً "لِيَكُنْ" فَكَانَ. وَنَفْسُ الصَّوْتِ سَمِعَهُ آدَمُ عِنْدَ سُقُوطِهِ بِالْخَطِيئَةِ "آدَمُ أَيْنَ أَنْتَ؟" وَنَفْسُ الصَّوْتِ طَلَبَ مِنْ نُوحٍ أَنْ يَبْنِيَ فُلْكَاً لِنَجَاةِ عَائِلَتِهِ، وَوَعَدَ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ مِنْ نَسْلِهِ يَأْتِي الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ تَبَارَكَ كُلُّ أُمَمِ الْأَرْضِ، وَبِصَوْتِهِ أَعْطَى مُوسَى وَصَايَا اللَّهِ الْعَشْرَ - مِقْيَاسَ دِينُونَةِ كُلِّ إِنْسَانٍ. مِثْلُ هَذَا الصَّوْتِ يَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ احْتِرَامٍ، وَرَهْبَةٍ، وَإِيمَانٍ، وَطَاعَةٍ.

نَقْرَأُ فِي أَيُوب ٣٧: ٥ عَنْ هَذَا الصَّوْتِ "اللَّهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَباً. يَصْنَعُ عَظَائِمَ لَا نُدْرِكُهَا". فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ نَسْمَعُ صَوْتَهُ يَهِيْبُ بِنَا "يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ، وَلِتُلَاحِظْ عَيْنَاكَ طُرْقِي" (أَمْثَال ٢٣: ٢٦). دَعَاةُ اللَّهِ لَنَا بِأَنْ نُعْطِيَ الْمَجْدَ الَّذِي يَسْتَحَقُّهُ، وَنُعْبُدَهُ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ. نُعْطِيهِ الْعَظَمَةَ الَّتِي تَلِيْقُ بِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ، وَنَقْضِي مَعَهُ وَقْتاً كُلَّ يَوْمٍ فِي تَأْمُلٍ لِرُوعَةِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّنَا فِيهَا. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، نُحَقِّقُ قَصْدَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقْنَا لِأَجَلِهِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ "رونالد مان" "ولله وحده الحق في ولائنا واهتمامنا. وينبغي أن تتخلل ربوبيته أكثر فأكثر كل زاوية من زوايا حياتنا. إنه مركز وجودنا، وهدف وجودنا القريب، وهدف وجودنا البعيد. فهو موضوع إيماننا ومادة إيماننا في نفس الوقت".

لِنَسْمَحْ لِهَذَا الْهَدَفِ أَنْ يُغَيِّرَ حَيَاتِنَا بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ. لِنَسْمَعْ صَوْتَهُ فَوْقَ الْمِيَاهِ، وَنَرَى عَظَمَتَهُ فِي الرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ، وَلَنْ نَغْفَلَ عَنْ صَوْتِهِ الْحَنُونِ يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، "هَذَا وَاقِفْ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعْ. إِنْ سَمِعَ أَحَدُ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رُؤْيَا ٣: ٢٠). يُرِيدُ يَسُوعُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى قَلْبِكَ، لِمَ لَا تَسْمَحُ لَهُ، وَتَقْبَلْ عَطِيَّةَ الْخَلَاصِ بِدَمِهِ الْمَسْفُوكِ عَلَى الصَّلِيبِ. لِيُبَارِكَ رَبُّ الْمَجْدِ قَرَارَكَ لِتَقْبَلَهُ مُخْلِصاً شَخْصِيّاً لِحَيَاتِكَ، وَتَنْعَمَ بِلِقْيَاهُ عَنْ قَرِيبٍ عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ.

يسوع مَعَنَا فِي الْعَاصِفَةِ

"الرَّبُّ فِي الزُّوْبَعَةِ، وَفِي الْعَاصِفِ طَرِيقُهُ، وَالسَّحَابُ غُبَارُ رِجْلَيْهِ." (ناحوم ١: ٣)

تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ، وَنَزَلَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ فِي عَاصِفَةٍ وَهْبُوبِ رِيحٍ، صَارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ. تَرْتَبِطُ الزُّوْبَعَةُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِغَضَبِ اللَّهِ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي رَفَضَتْ تَوْسُّلَاتِ رَحْمَتِهِ. يَصِفُ إِرْمِيَا ٤: ١٣ الْمَوْقِفَ بِقَوْلِهِ "هُوَذَا كَسَحَابٍ يَصْعَدُ، وَكَزُّوْبَعَةٍ مَرَكَبَاتُهُ. أَسْرَعُ مِنَ النَّسُورِ حَيْلُهُ".

مَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ أَمَامَ عَظَمَةِ اللَّهِ وَجَبَرُوتِهِ؟ فِي الْعَاصِفِ يَأْتِي، وَيُظْهِرُ فَائِقَ قُدْرَتِهِ عَلَى عُنَاصِرِ الطَّبِيعَةِ. وَفِي مَجِيئِهِ يُشَبِّهُ الْبَرْقَ عِبْرَ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ، تُحِيطُ بِهِ الْغَيُومُ كَمَرَكَبَاتِ الْخَيْلِ.

نَقَرًا فِي مَرْقَسِ ٤: ٣٥ أَمَرَ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ "لِنَعْبُرْ إِلَى الضَّفَّةِ الْمُقَابِلَةِ" كَانَ الْمُخْلِصُ مُرْهَقًا بَعْدَ يَوْمٍ مِنَ التَّعْلِيمِ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ الْجَلِيلِ الْجَمِيلِ، فَنَامَ عَلَى وَسَادَةٍ فِي مُؤَخَّرَةِ السَّفِينَةِ. كَانَتْ الرِّيحُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ شَدِيدَةً جَدًّا بِحَيْثُ وَجَدَ الْبَحَّارَةُ الْمُحْتَزِفُونَ صُعُوبَةً فِي السَّيْطَرَةِ عَلَى السَّفِينَةِ، وَفَقَدُوا كُلَّ أَمَلٍ فِي النِّجَاةِ. وَمِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ وَالْأَمْوَاجِ بَدَأَتِ السَّفِينَةُ تَمْتَلِئُ بِالْمَاءِ، وَابْتَدَأَتْ بِالْعَرَقِ. عِنْدَئِذٍ صَرَخُوا إِلَى مُعَلِّمِهِمُ الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ، وَأَيَقِظُوهُ قَائِلِينَ: "يَا مُعَلِّمُ، أَمَّا يَهْمُكَ أَنَّ نَهْلُكَ؟" (مَرْقَسِ ٤: ٣٨).

اسْتَيْقِظَ الْفَادِي مِنْ نَوْمِهِ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ "اسْكُتْ! اِبْكُم!". فَسَكَتَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. ثُمَّ اسْتَدَارَ إِلَى تَلَامِيذِهِ قَائِلًا "مَا بِالْكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لَا إِيمَانُ لَكُمْ؟". وَفِي وَسْطِ مَخَاوِفِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ "مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ؟" (مَرْقَسِ ٤: ٣٩-٤١). وَقَفَّ يَسُوعُ وَسَطَ تَلَامِيذِهِ وَالْعَاصِفَةِ تَتَوَّرُّ عَلَيْهِمُ وَالْأَمْوَاجُ تَصْدَمُهُمُ وَالْبُرُوقُ تَلْمَعُ عَلَى وَجْهِهِ، وَرَفَعَ يَدَهُ أَمْرًا لِلْبَحْرِ بِالْهُدُوءِ.

تُعَلِّقُ السَّيِّدَةُ "أَلَن هَوَايَتِ" عَلَى مَا حَدَثَ "عِنْدَمَا تَتَجَمَّعُ عَوَاصِفُ التَّجَارِبِ وَتَلْمَعُ الْبُرُوقُ الْمُخِيفَةُ وَتَطْفِئُ عَلَيْنَا الْأَمْوَاجَ فَإِنَّا نُصَارِعُ مَعَ الْعَاصِفَةِ وَحَدَّنَا وَقَدْ نَسِينَا أَنَّ هُنَالِكَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَنَا. إِنَّ الْإِيمَانَ الْحَيَّ بِالْفَادِي يَهْدِي بَحْرَ الْحَيَاةِ الْمُضْطَرِبِّ وَيُنْقِذُنَا مِنَ الْخَطَرِ بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَرَاهَا مُنَاسِبَةً" (رُوحُ النُّبُوَّةِ، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٣١٢).

بَيْنَ رِحَالَتِ الرُّسُولِ بُولَسَ الْعَدِيدَةِ، نَقَرًا فِي أَعْمَالِ الرُّسُلِ ٢٧: ١٩ - ٢٠ عَنْ صِرَاعِ مَرِيرٍ مَعَ الزُّوْبَعَةِ وَالْعَوَاصِفِ مَرَّ بِهَا بُولَسُ وَمَنْ مَعَهُ. "وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ رَمَيْنَا بِأَيْدِينَا أَثَاثَ السَّفِينَةِ. وَإِذْ لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ وَلَا النُّجُومُ تَظْهَرُ أَيَّامًا كَثِيرَةً، وَاشْتَدَّ عَلَيْنَا نَوَاءٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ، انْتَزَعْنَا أَخِيرًا كُلَّ رَجَاءٍ فِي نَجَاتِنَا". صَامَ الْجَمِيعُ وَصَلُّوا بَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ شَدِيدَةٍ لِمَقَاوِمَةِ النَّوَاءِ الْعَنِيفِ، وَقَفَّ بُولَسُ فِي وَسْطِهِمْ، وَأَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي يَعْبُدُهُ وَقَدْ كَرَّسَ لَهُ حَيَاتِهِ، أَرْسَلَ مَلَكَه قَائِلًا "لَا تَخَفْ يَا بُولَسُ".

يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرٍ. وَهُوَذَا قَدْ وَهَبَكَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ. لِذَلِكَ سُرُّوا أَيُّهَا الرِّجَالُ، لِأَنِّي أَوْثِقُ بِاللَّهِ أَنَّهُ يَكُونُ هَكَذَا كَمَا قِيلَ لِي" (أَعْمَالُ ٢٧: ٢٤-٢٥). أَنْقَذَ الرَّبُّ بُولَسَ وَمَعَهُ ٢٧٦ نَفْسًا. شَكَرًا لَكَ رَبِّي أَنَّكَ مَعَنَا فِي عَوَاصِفِ الْحَيَاةِ.

هَذَا مَا عَنْهُ النَّبِيُّ نَاحُومُ إِذْ قَالَ "الرَّبُّ فِي الزُّوْبَعَةِ، وَفِي الْعَاصِفِ طَرِيقُهُ". عَزِيزِي، مَهْمَا كَانَ طَرِيقُكَ حَافِلًا بِالْأَشْوَاكِ، تَذَكَّرْ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمُسَيِّرُ عَلَى الْعَاصِفَةِ. فِي الْوَاقِعِ، يَسْتَخْدِمُ اللَّهُ هَذِهِ الظُّرُوفَ الْعَاصِفَةَ بِطَرُقٍ قَوِيَّةٍ لِيُرِيكَ عَظِيمَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ، وَمَقْدَارَ اعْتِمَادِكَ عَلَيْهِ، لِتَرَى الْخَطِيئَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَتَتَغَيَّرَ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ، قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ. لَا تَخَفْ إِذَا اشْتَدَّتْ رِيَا حِجَابِ الْعَوَاصِفِ فِي حَيَاتِكَ فَالرَّبُّ أَقْوَى مِنْهَا، وَزَادَ فَيِضَانُ الْخَوْفِ حِدَّةً، يَسُوعُ إِلَى جَانِبِكَ لِيَمْنَحَكَ الْقُوَّةَ وَيُسَكِّتَ مَخَاوِفَكَ، لِيَحِلَّ مَكَانَهَا سَلَامُهُ فِي الْقَلْبِ.

قَدْ تَعَصَّفَ بِكَ الْعَاصِفَةُ، لَكِنَّ اتِّجَاهَهَا يَمِيلُ بِكَ نَحْوَ بَيْتِكَ السَّمَاوِيِّ. أَدْرَكَ دَاوُدَ حَاجَتَهُ إِلَى سَلَامٍ وَسَطَ الْعَاصِفَةِ فَكَتَبَ يَقُولُ فِي مَزْمُورِ ٢٩: ١١ "الرَّبُّ يُعْطِي عِزًّا لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلَامِ". قَدِّمِ لِلَّهِ الْمَجْدَ الشُّكْرَ وَالتَّسْبِيحَ، وَاشْكُرْهُ عَلَى سَلَامِهِ الدَّائِمِ فِي حَيَاتِكَ، إِنَّهُ رَئِيسُ السَّلَامِ، وَهُوَ حَافِظُكَ وَسَطَ الْعَاصِفَةِ.

هَلْ تُعْطِي اللَّهُ حَقَّهُ مِنَ الْمَجْد؟

"قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا قَبَائِلَ الشُّعُوبِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَقُوَّةً. قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. هَاتُوا تَقْدِمَةً وَادْخُلُوا دِيَارَهُ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ. ارْتَعِدِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الْأَرْضِ." (مزمو ٩٦: ٧-٩)

الرَّبُّ مُسْتَحَقُّ الْمَجْدِ اللَّائِقِ بِاسْمِهِ مِنْ كُلِّ الْأَرْضِ، وَمِنْ كُلِّ قَبَائِلِ الشُّعُوبِ، لِتُبَارِكَ نَفْسِي الرَّبِّ وَكُلُّ مَا فِي بَاطْنِي لِتُبَارِكَ اسْمُهُ الْقُدُّوسِ. وعند تقديم المجد لله، لا نُعْطِي شَيْئًا لَا يَمْلِكُهُ، بَلْ نُمَيِّزُهُ، إِذْ إِنَّ اللَّهَ كُلِّي الْمَجْدَ وَالْقُوَّةَ. وفي هذا يقولُ أَمِيرُ الْوُعَاظِ "سبيرجن" ما يلي "لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ أَوْ الْمَلَائِكَةُ أَنْ يُنْعَمُوا عَلَى اللَّهِ بِأَيِّ شَيْءٍ، لَكِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُمَيِّزُوا مَجْدَهُ وَعَظَمَتَهُ، فِي تَسَابِيحِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ". كما تشملُ العبادة تَسْبِيحَ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَعَظَايَاهُ، وَلَا عَجَبُ أَنْ الدَّعْوَةَ لِلْمَجْدِ هِيَ أَنْ يَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَجْدِهِ وَقُوَّتِهِ.

كما أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ قَدْ تَحَقَّقَ فِي نَسْلِهِ الْعَظِيمِ، يَسُوعَ الْمَسِيحِ، بِنَفْسِ الْمُسْتَوَى، يَدْعُو دَاوُدَ قَبَائِلَ الْأَرْضِ لِتَقْدِيمِ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ لِمُخْلَصِ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ. وَإِذَا نَأْتِي إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا نَأْتِي لِنَسْتَلِمَ مِنْهُ، وَأَيْضًا لِنُعْطِيهِ. نُعْطِيهِ وَقَتْنَا، وَاهْتِمَامَنَا، عِبَادَتَنَا، خِدْمَتَنَا، مَوَاهِبَنَا وَأَكْثَرَ بِكَثِيرٍ. وَنَحْصُلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ عَنْ طَرِيقِ التَّعْلِيمِ، وَاسْتِجَابَةِ صَلَوَاتِنَا. لَكِنَّ الْعِبَادَةَ هُنَا بِشَكْلِ رَئِيسِيَّ هِيَ تَقْدِيمُ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِمَاتِ لِلَّهِ.

تَحْتَاجُ هَذِهِ التَّقْدِمَاتُ إِلَى تَضَحِيَّةٍ مِنْ جَانِبِ الْعَابِدِينَ. وَمِنْ هُنَا يَقُولُ بُولَسُ فِي رُومِيَّةِ ١٢: ١ "فَاطْلُبُوا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بَرَأْفَةَ اللَّهِ أَنْ تَقْدِمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مُرْضِيَةً عِنْدَ اللَّهِ، عِبَادَتَكُمْ الْعَقْلِيَّةَ".

يَدْعُو دَاوُدُ الْعَالَمَ أَنْ يُمَيِّزُوا قُدَّاسَةَ اللَّهِ وَيُرُوا جَمَالَهَا. لَا نَرَى الْجَمَالَ وَالْقُدَّاسَةَ مُتَرَابِطَتَانِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا، لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ، هُنَاكَ جَاذِبِيَّةٌ فِي الْقُدَّاسَةِ تُقَرِّبُنَا لِلَّهِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ "سبيرجن" "خَوْفُ اللَّهِ هُوَ حَيَاءٌ عَلَى وَجْهِ الْقُدَّاسَةِ يُولِّدُ جَمَالَهَا". يَبْدُو جَمَالَ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ مَحَبَّتِهِ، نِعَمَتِهِ، عَدْلِهِ وَجَلَالِهِ.

يَدْعُو الرَّسُولُ بَطْرُسُ عَائِلَةَ اللَّهِ مِنَ الْعَابِدِينَ "بِتَأْ رُوحِيًّا ... لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس ٢: ٥). وَعَنْ التَّسْبِيحِ يَقُولُ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ١٣: ١٥ "فَبِالْمَسِيحِ، كَاهِنِنَا الْأَعْلَى، لِنُقَرِّبَ لِلَّهِ دَائِمًا ذَبِيحَةَ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ، أَيْ الثَّمَارِ الَّتِي تُنتِجُهَا أَفْوَاهُنَا الْمُعْتَرِفَةُ بِاسْمِهِ" (الترجمة التفسيرية).

إِرَادَةُ اللَّهِ فِي عِبَادَتِنَا أَنْ نَجْتَمِعَ مَعَ الْآخَرِينَ، لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ مُنْحَصَرَةً فِيْنَا. لَكِنْ نَجْتَمِعُ مَعًا لِنُقَدِّمَ لِلَّهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ مَجْدٍ وَتَسْبِيحٍ. نَجْتَمِعُ بِمَحَبَّةٍ حَسَبَ وَصِيَّةِ الْمَسِيحِ "أَحْبُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا". نَنْمُو مَعًا فِي اتِّحَادٍ حُبِّي يُظْهِرُ لِلْعَالَمِ أَنَّنَا تَلَامِيذُ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ. نَنْمُو بِحُبِّ كَلِمَةِ اللَّهِ - قُوَّةِ حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ.

نَنْمُو كَأَغْصَانٍ رَاسِخَةٍ فِي الْكَرْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِنَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فِي وَحْدَةِ الرُّوحِ. مَا أُرْوَعُ إِذْ نَجْتَمِعُ أَمَامَ اللَّهِ لِلْعِبَادَةِ، أَنْ نَتَكَاثَفَ مَعًا، وَإِذَا كَانَ فِي "الْإِتِّحَادِ قُوَّةً" فَهُنَاكَ بَرَكَاتُ اللَّهِ تَحُلُّ عَلَى الْعَابِدِينَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَهَدَفٌ وَاحِدٌ هُوَ تَمْجِيدُ اللَّهِ. يَقُولُ يَسُوعُ لَنَا "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ" أَنْتُمْ الْأَدَاةُ الَّتِي تُرْسِلُ أَمْوَاجَ حُضُورِهِ لِتَحْمِلَ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ إِلَى النَّاسِ. وَحَيَاةُ الصَّلَاةِ وَالشَّفَاعَةِ، هِيَ الْقُوَّةُ الضَّرُورِيَّةُ لِحَمْلِ الْإِنْجِيلِ لِعَالَمٍ مُتَعَطِّشٍ لِسَمَاعِهِ. اللَّهُ صَالِحٌ، وَالرَّبُّ مَحَبَّةٌ، يُرِيدُ أَنْ تَتَغَلَّعَلَ مَحَبَّتَهُ لِتَغْزُوا قُلُوبَ الْبَشَرِ. حَاجَتُنَا هِيَ أَنْ نَكُونَ وَاسِطَةً نَقْلَ مَجْدِ حُضُورِهِ الْيَوْمِ - حَتَّى نَصِلَ لِحَيَاةِ الْآخَرِينَ، وَنُشَارِكَ فَادِينَا فِي التَّشَفُّعِ لَهُمْ لِمَجْدِ اسْمِهِ.

أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدِنَا، يَا عَوْنَنَا وَعَزَائِنَا. أَنْظَرْنَا إِلَيْكَ، نَرْجُوكَ أَنْ تُحَقِّقَ مَوَاعِيدَكَ فِي حَيَاتِنَا. سَاعِدْنَا أَنْ نَكُونَ مَمْلُوءِينَ شَجَاعَةً، كَيْ لَا نَتَذَمَّرَ مِمَّا نُعَانِيهِ فِي حَيَاتِنَا، بَلْ نَنْتَظِرَ بِفَرَحٍ انْتِصَارَنَا بِمَعُونَتِكَ. اْمْنَحْنَا رُوحَ الْقُدُّوسِ، وَحَقِّقْ مَشِيئَتَكَ وَرِضَاكَ فِي حَيَاتِنَا عَلَى الْأَرْضِ، كَمَا هِيَ فِي السَّمَاءِ. وَإِذَا يَأْتِي السُّؤَالُ: "هَلْ أُعْطِيكَ مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْمَجْدِ؟ يَكُونُ جَوَابِي: سَاعِدْنِي رَبِّي أَنْ أَرَاكَ فِي قُدَّاسَتِكَ وَبِهَائِكَ، وَآتِي أَمَامَكَ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ بِتَسْبِيحِ قَمِي، وَأَرَى عَظِيمَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي قَدِيتَنِي بِهَا عَلَى الصَّلِيبِ، وَرُوعَةَ خِلَاصِكَ الْعَظِيمِ. سَيُلْهِجُ لِسَانِي بِإِعْطَاءِ الْمَجْدِ لَكَ إِذَا أَرَاكَ آتِيَا سَيِّدِي وَفَادِيَّ الْبَارَّ. آمِينَ.

مَلِكُ الْكَوْنِ

"لِلرَّبِّ الْأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا. لِأَنَّهُ عَلَى الْبَحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الْأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا." (مزمو ٢٤: ١-٢)

يبدأ هذا المزمور بحقيقة رائعة حول مُلكِيَّةِ هذا العالمِ وكُلِّ ما بداخله. العالم والنَّاسُ السَّاكِنِينَ فيه، يَنتمون لإله خَلاصنا. إِنَّهُ الخالق العظيم غير منظور، مُدَبِّرُ هذا الكون، وله يَنتمي كُلُّ ساكني الأرض. تعكس هاتان الآيتان ما جاء عَن خَلْقِ اللَّهِ للعالم في سفر التكوين الأصحاح الأول، وَقَدْ لَخَّصَ مزمور ٢٣: ٦ عَمَلَ الخالق فَقَالَ: "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبَنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا". إِذْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ المِياه. وَخَلَقَ اللَّهُ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، الْيَابَسَةَ وَالْبَحْرَ، السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، الْجِلْدَ الْفَاصِلَ بَيْنَ المِياهِ مِنْ فَوْقَ والمِياهِ مِنْ تَحْتِ، كُلُّ ذَلِكَ بِدَقَّةٍ لَا مُتَنَاهِيَةَ. لَذا، تُرْنَمُ ملائكةُ اللَّهِ عِنْدَ اكْتِمَالِ خَلْقِ الْكَوْنِ، وَفَرَحَتْ خَلَائِقُ السَّمَاءِ. "عِنْدَمَا تَرْنَمْتُ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ؟". (أيو ٣٨: ٧). تَوَجَّحَ الْبَارِي خَلِيقَتَهُ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ "سَيِّدَ وَتَاجِ الْخَلِيقَةِ" وَأَخْبَرَهُ أَنْ يُثْمَرَ وَيَتَكَثَّرَ لِيَمْلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، وَيَكُونَ سَيِّدًا عَلَيْهَا. كَانَ لِداودِ الْحَقُّ فِي تَسْبِيحِ اللَّهِ إِذْ تَأَمَّلَ فِي عَظَمَةِ رَبِّ الْمَجْدِ، وَرَوْعَةِ مَا صَنَعَ.

هَلْ سَنَنْصُمُ لِصَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَنَفْرَحَ مَعَهُ أَنَّ الْأَرْضَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، الْعَالَمَ وَسَاكِنِيهِ، يَنتمون لِصَانِعِهِمْ مَلِكِ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ، إِذْ أَنَّهُ "عَلَى الْبَحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الْأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا". تُوكِّدُ هَذِهِ الْآيَةُ فَكْرَتَانِ: الْمُلْكِيَّةُ وَالانْتِمَاءُ. تَتَحَدَّثُ الْأَوَّلَى عَنِ مُلكِيَّةِ اللَّهِ لِعَالَمِنَا، وَالثَّانِيَةِ عَنِ انْتِمَائِنَا لِلَّهِ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوَّلًا.

إِنَّهُ إِلَهُ الْأَزَلِيِّ، الَّذِي وَضَعَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِ شَعْبِهِ كِي يُؤْمِنُوا فِي ابْنِهِ الْأَوْحَدِ، وَيَنَالُوا غُفْرَانَ خَطَايَاهُمْ وَالْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. مِثْلُ هَذِهِ الرَّوْعَةِ فِي خَلْقِ كَوَكِبِ الْأَرْضِ، إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعَالَمِنَا وَلَنَا، لَدَرَجَةِ أَنَّهُ بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِيَمُوتَ عَنَّا وَيُخَلِّصَنَا. كَانَ خَلْقُ الْأَرْضِ تُحْفَةً رَسَامٍ عَظِيمٍ أَبَدَعَ فِي صُنْعِهَا وَاعْتَنَى بِهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي سَيَخْلُقُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا.

أَقْرَأَ إِبْرَاهِيمَ بِمِلْكِيَّةِ اللَّهِ لِكُونِنَا الْوَاسِعِ إِذْ قَالَ لِمَلِكِ سَدُومَ فِي تَكْوِينِ ١٤: ٢٢ "رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ إِلَهِي الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". وَقَدْ شَارَكَ دَاوُدَ فِي مَزْمُورِ ٢٤ تَسْبِيحِ خَلْقِ اللَّهِ لِلْأَرْضِ وَجَمِيعِ السَّاكِنِينَ فِيهَا. يُؤَكِّدُ سَفَرُ إِشْعِيَاءَ عَلَى تَقَرُّدِ الرَّبِّ إِلَهِهِ بِاعْتِبَارِهِ الْخَالِقَ الْوَحِيدَ وَصَانِعَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ: "يَا رَبَّ الْجُنُودِ، الْجَالِسَ فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ، أَنْتَ هُوَ إِلَهُ الْإِلَهِ وَحَدِّكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الْأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (إشعيا ٣٧: ١٦). يَتَحَدَّى اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ لِتَسْمِيَةِ أَيِّ شَخْصٍ يُمَكِّنُ مَقَارَنَتَهُ بِهِ فِي ضَوْءِ عَمَلِهِ الْفَرِيدِ فِي الْخَلْقِ: "فَبِمَنْ تُشَبِّهُونِي فَأَسَاوِيهِ؟" يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْفَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ عِيُونَكُمْ وَأَنْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟" (إشعيا ٤٠: ٢٥، ٢٦).

يُشِيرُ دَاوُدُ فِي مَزْمُورِ ٢٤: ٢ "لِأَنَّهُ عَلَى الْبَحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الْأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا" إِلَى كَيْفِيَّةِ فَضْلِ الْأَرْضِ عَنِ الْمِياهِ حَيْثُ أَنَّ "رُوحَ اللَّهِ كَانَ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِياهِ". وَإِذْ كَثُرَ شَرُّ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ، بَرَهَنَ الْخَالِقُ عَلَى مُلكِيَّتِهِ لِلْمِياهِ، فَأَرْسَلَ طُوفَانًا دَمَّرَ الْعَالَمَ. وَيُذَكِّرُنَا الرَّسُولُ بَطْرُسُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ: ٣: ٥-٦ أَنَّ الْأَرْضَ مُنْذُ الْقَدِيمِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ قَائِمَةٌ مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ، وَكَيْفَ هَلَكَ الْعَالَمُ بِالطُوفَانِ. مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْأَرْضَ بَعْدَ سَقُوطِ آدَمَ وَحَوَّاءَ بِالْخَطِيئَةِ، مَا زَالَ يَمْلِكُ الْأَرْضَ وَكُلَّ مَا فِيهَا.

وَإِذَا يَعُودُ رَبُّ الْمَجْدِ إِلَى عَالَمِنَا، سَيُزِيلُ اللَّعْنَةَ، وَيُعِيدُ الْأَرْضَ أَجْمَلَ مِمَّا كَانَتْ فِي جَنَّةِ عَدْنِ. إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَجِيدِ، عِشْ عَزِيزِي رَوْعَةَ خَلِيقَةِ اللَّهِ، وَأَشْكُرْهُ عَلَى عَظِيمِ مَحَبَّتِهِ لَكَ. فَقَدْ اشْتَرَاكَ بِدَمِهِ، وَفَدَاكَ عَلَى الصَّليبِ. أَنْتَ ابْنُهُ، وَأَنْتَ ابْنَتُهُ، لَمْ لَا نُعْطِهِ الْمَجْدَ مَعًا. نَحْنُ مُلْكُهُ بِالْخَلِيقَةِ وَالْفِدَاءِ.

كَمْ يَشْتَاقُ فَادِينَا أَنْ يُرَحِّبَ بِنَا إِلَى بَيْتِنَا السَّمَاوِيِّ الَّذِي يُعِدُّهُ لَكَ، فَهَلْ سَتَقْبَلُ دَعْوَتَهُ وَتَعِيشُ لِمَجْدِهِ؟ لِيَبَارِكَكَ مَلِكُ الْكَوْنِ حَيَاتِكَ، وَقَرَارَكَ لِلْعِيشِ لَهُ كَخَالِقٍ عَظِيمٍ أَحَبَّكَ إِلَى الْمُنتَهَى وَخَلَّصَكَ.

طاهر القلب واليدين

"مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ الطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلَا حَلَفَ كَذِبًا." (مزمو ٢٤: ٣-٤)

يُعَلِّمُ هذا المزمور معنى أن نقوم في موضع قُدْسِهِ. يُمَثِّلُ الصُّعُودَ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ مُسْتَوًى رُوحِيًّا عَمِيقًا يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ. يَرْمِزُ الْجَبَلُ غَالِبًا إِلَى هَيْكَلِ بَيْتِ الرَّبِّ كَمَا نَقَرَأُ فِي إِشْعِيَا ٢: ٢ "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التَّلَالِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الْأُمَمِ". عندما تصعد الجبل للمرة الأولى تجد صعوبة في التسلُّق، لكن مع الممارسة، تصبح أقوى ولا يهملك صعود الجبل. يُمَثِّلُ هذا حالتك الروحية، سؤالي لك الآن هو: ماذا تعمل لتزيد من لياقتك الروحية "لتصعد إلى جبل الرب؟".

لنتذكر أعزائي أن الأمر بالوقوف في مواضع قُدْسِهِ يصل إلى أبعد من الهيكل، لأن أكثر المواضع قداسة ينبغي أن تكون أماكن سكنا. يجب أن نخصص ونكرس بيوتنا لأغراض مقدسة، حيث يسود الأمان، وتتقوى المحبة، ويوجد التعاطف والتفاهم التي نحن بأمس الحاجة إليها. لا يستطيع أي منا أن يقف أمام الله معتمداً على بره. لكن بالمسيح، نستطيع الوقوف على جبل الرب في موضع قُدْسِهِ. مَنْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْوُقُوفِ؟ الطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ. هل أيادينا غير طاهرة أمام الله؟ أي شيء غير طاهر في أفكارنا ورغباتنا وكلماتنا وأعمالنا، وحياتنا، هل تساهلنا مع الخطيئة بحيث لم تعد تزعجنا، سواء كانت كبيرة أم صغيرة؟

من المؤكد أننا غير قادرين بأنفسنا أن ننقي أيدينا ونطهر قلوبنا. نحتاج إلى معونة يسوع لتحقيق ذلك. نحتاج إلى موته على الصليب ليغطي خطايانا، وإذا وضعنا إيماننا بالمسيح، وسرنا في قداسه، نمشي بأيدي طاهرة، ومتى تلوّثت أيدينا بمختلف أنواع الخطيئة، هنا تتغير الصورة، عندئذ، نأتي إلى الله طالبين نعمته لتغطي خطايانا. هكذا، نطلب منه المغفرة، ونعترف بخطايانا، ونطلب منه أن يطهرنا من كل إثم، هذا ما نحتاج أن نعمله أمام الله كل يوم. لتكن صلاتي في كل يوم "يا رب، ساعدني أن أجد في قلبي وحياتي، ما يحتاج إلى تطهير، وبمعونتك يصبح طاهراً. لم لا نطلب من الله أن يخلق فينا قلباً نقياً ويجدد روحه فينا؟

يريدنا داود أن ندرك عظمة الله في ضوء قوته وسلطته على حياتنا، وكل الأشياء على الأرض، إذ نقترّب من ملك المجد لنقف في حضرته. ولكي تكون أيادينا طاهرة، نحتاج إلى المشاركة في أعمال البر التي تؤهلنا لخدمة الله والعيش لمجده. لن نسمح لأيدينا أن تتلوّث بالخطيئة والشر. أوضح الرسول يعقوب ٤: ٨ ذلك بقوله "نقُّوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين". أما اتقياء القلب، فيرى الله دوافعهم ويفحص قلوبهم ليرى ما بداخلها.

ساعدنا ربّي أن تكون أعمالنا بمعونتك خالية من الأفكار الشريرة. أخيراً يذكر داود حمل الباطل والحلف الكاذب لمن أراد أن يبقى نفسه طاهراً في تفكيره وأعماله من الطرق الخاطئة. وبوصينا أن تكون علاقتنا جيدة مع مخلصنا والآخرين. لنعامل أعزائي واحداً الآخر بإخلاص نابع من التقدير والاحترام، كما أوصانا بولس في أفسس ٥: ٢٠-٢١ "شاكِّرينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلَّهِ وَالْآبِ. خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ".

كما سلّم يسوع نفسه للموت طوعاً من أجل خلاصنا. لن نرى الله أو نكون في حضرته ما لم نعامل واحداً الآخر بنفس المحبة المضحية التي أظهرها المسيح من نحونا. عندما نعمل ما يطلبه الله منا ننال بركاته إذ يعتني بنا، ويسد احتياجاتنا، ويقدم لنا العون في حينه. يعدنا بحياة أبدية مستقبلاً، وحياة في ملئها اليوم.

لنعش أحبائي لنحقق قصد الله لحياتنا بطهارة اليدين ونقاء القلب منتظرين وطالبيين سرعة مجيئه. إلى ذلك اليوم، لنصلي مع داود في مزمور ٥١: ١٠ "قَلْبًا نَقِيًّا أَخْلَقَ فِيَّ يَا اللَّهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدَّدَ فِي دَاخِلِي". استجب يا رب لمجد اسمك يا إلهي البار والقدوس. آمين.

ارْفَعْ رَأْسَكَ عَالِيًا

"ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ."

(مزمو ٢٤: ٧)

كَتَبَ الْمَلِكُ دَاوُدَ هَذَا الْمَزْمُورَ لِمُنَاسَبَةٍ خَاصَّةٍ يَدْعُو فِيهَا الْأَبْوَابَ الدَّهْرِيَّاتِ كِي تَفْتَحَ أَبْوَابَهَا لِيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ. إِنَّهُ الرَّبُّ إِلَهُ الْآتِي - مَلِكُ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ - لِيَدْخُلَ عَبْرَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ. نَقَرًا فِي أَخْبَارِ الْأَيَّامِ الْأَوَّلِ ١٥ عَنْ دَاوُدَ الَّذِي أَعَدَّ مَكَانًا لِتَابُوتِ الْعَهْدِ، حَيْثُ حَمَلَ بَنُو اللَّاوِيِّينَ التَّابُوتَ بَعْصِيَّ عَلَى أَكْتَافِهِمْ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى، تَخَلَّلَ صُعودَهُمْ هُتَافٌ وَمُوسِيقَى الرَّبَّابِ وَالْعِيدَانِ.

يَعْتَقِدُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ هَذَا الْمَزْمُورَ يَنْطَبِقُ عَلَى إِدْخَالِ تَابُوتِ الْعَهْدِ - الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى وَصَايَا اللَّهِ الْعَشْرِ - إِلَى هَيْكَلِ سُلَيْمَانَ، حَيْثُ امْتَلَأَ الْهَيْكَلُ بِمَجْدِ اللَّهِ. لَمْ نَرِ فِي هَاتَيْنِ الْمُنَاسَبَتَيْنِ تَرْدِيدَ ثُنَائِي جَوْقَةِ التَّرْنِيمِ السَّمَاوِيَّةِ تَرْحُبُ بِمَلِكِ الْمَجْدِ. فِي دُخُولِ يَسُوعَ الْإِنْتِصَارِيِّ إِلَى مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ وَسَطَ فَرَحَةِ الشَّعْبِ وَهُتَافِهِمْ "مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" ارْتَجَّتْ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً "مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتِ الْجُمُوعُ هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ" (مَتَّى ٢١: ١٠ - ١١). يَتَغَيَّرُ الْمَنْظَرُ إِلَى صُعودِ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ قِمَّةِ جَبَلِ الرِّيتُونِ إِلَى السَّمَاءِ. تَضَعُنَا السَّيِّدَةُ أَلَنَ هَوَايَتِ فِي أَجْوَاءِ وَصُولِ يَسُوعَ إِلَى السَّمَاءِ يَتَبَعُهُ جُمْهُورُ السَّبَايَا الَّذِينَ تَحَرَّرُوا عِنْدَ قِيَامَتِهِ.

يَسِيرُ مَعَهُمْ أَيْضًا الْأَجْنَادُ السَّمَاوِيُّونَ، ذَلِكَ الْمَوْكَبُ الْفَرَحُ بِهُتَافَاتِهِمْ وَأَغَانِي حَمْدِهِمْ، فَتَقُولُ: "وَفِيمَا هُمْ يَقْتَرِبُونَ مِنْ مَدِينَةِ اللَّهِ قَدَّمَ مَوْكَبُ الصَّاعِدِينَ مَعَ يَسُوعَ هَذَا الطَّلَبُ قَائِلِينَ "ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ". فَأُجَابُ الْحُرَّاسُ الْمُشْتَاقُونَ قَائِلِينَ "مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟" إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ هَذَا السُّؤَالَ لَا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَنْ هُوَ، بَلْ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا صَوْتَ التَّسْبِيحِ وَالبَهْجَةِ الْقَائِلُ: "الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ. ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ وَارْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ".

وَمَرَّةٌ أُخْرَى يُسَمَّعُ السُّؤَالُ: "مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟" لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَتَعَبُونَ أَبَدًا مِنْ أَنْ يَسْمَعُوا أَنَّ اسْمَهُ يُمَجَّدُ وَيُسَبَّحُ. فَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُرَافِقُونَ الرَّبَّ إِذْ يُجِيبُونَ قَائِلِينَ: "رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ" (مزمو ٢٤: ٧ - ١٠). حِينَئِذٍ تَفْتَحُ أَبْوَابُ مَدِينَةِ اللَّهِ عَلَى سَعَتِهَا فَيَدْخُلُ جَمَاهِيرُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَبْوَابِ فِي وَسْطِ عَاصِفَةٍ قَوِيَّةٍ مِنَ الْمَوْسِيقَى الْمُطْرِبَةِ (رُوحُ النُّبُوَّةِ، مُشْتَهَى الْأَجْيَالِ، صَفْحَةُ ٧٨٨).

يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي ٢ كُورِنْثُوسَ ٥: ١٥ "وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ كِي يَعِيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدَ لَا لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ". الْإِيمَانُ هُوَ الرِّابِطُ الْحَيُّ مَعَ يَسُوعَ، حَيْثُ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِينَا مِنْ خِلَالِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَالْمَسِيحُ الَّذِي يَحْيَا فِينَا جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيَخْدِمَ.

تَصَوَّرْ مَعِيَ حَالِ إِنْسَانٍ خَاطِئٍ مَشْغُولٍ بِحَاجَاتِهِ الْخَاصَّةِ وَمَشَاكِلِهِ، يَشْعُرُ بِالشَّقَاءِ لِعَدَمِ تَقْدِيرِ النَّاسِ لَهُ، فَيَنْحَنِي تَحْتَ حَمَلِ خَطَايَاهُ، لَكِنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ لِيُخَلِّصَ النَّاسَ مِنْ خَطَايَاهُمْ. جَاءَ كِي يُخَلِّصَنَا مِنْ مَحَبَّةٍ وَثَقَةٍ، وَخِدْمَةِ أَنْفُسِنَا. حَيْثُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: "أَحْبُبْ رَبِّي، أَتَّقِ بِكَ، وَسَأَخْدَمُكَ". أَنْتَ يَا إِلَهِي رَافِعُ رَأْسِي، حَتَّى أَسْتَطِيعَ أَنْ أُرَاكَ بِالْإِيمَانِ.

شَعَرَ دَاوُدُ بِثَقَلِ مُطَارَدَةِ شَاوُلَ الْمَلِكِ لَهُ، بِقَصْدِ قَتْلِهِ، فَانْحَنَتْ نَفْسُهُ فِيهِ. كَتَبَ يَقُولُ فِي مَزْمُورِ ٣: ٣ "أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَرُسْ لِي. مَجْدِي وَرَافِعْ رَأْسِي". لَقَدْ أَنْقَذْتَنِي يَا إِلَهِي مِنْ مَتَاعَبِي، رَفَعْتَ عَنِّي بُؤْسِي. يَا رَئِيسَ السَّلَامِ، أَعِدْ لِي بِهَجَّةٍ خَلَاصَكَ، اِزْرَعْ رُوحَكَ فِي قَلْبِي لِأُرَاكَ فِي مَجْدِكَ. بَيْنَمَا يُحَاوِلُ الْمَسِيحُ رَفْعَ نَفُوسِنَا إِلَى الْعُلَى، يُجَرِّبُ الشَّيْطَانُ دَفْعَنَا إِلَى أَسْفَلِ لِنَبْقَى مُثْقَلِي الْأَحْمَالِ.

صَلِّيْ مَعِيَ مَا قَالَهُ دَاوُدُ "أَسْمَعْنِي رَحْمَتَكَ فِي الْعُدَاةِ، لِأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. عَرَفْنِي الطَّرِيقَ الَّذِي أَسْلُكُ فِيهَا، لِأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي!" (مزمو ١٤٣: ٨). يَسُوعُ يَدْعُوكَ لِتَرْفَعَنَّ نَفْسَكَ إِلَيْهِ فَهُوَ رَافِعُ رَأْسِكَ كَمَا تَرْتَفَعُ الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا مَلِكُ الْمَجْدِ. لَهُ كُلُّ تَسْبِيحٍ وَحَمْدٍ أَبَدَ الدُّهُورِ. ارْفَعْ رَأْسَكَ عَالِيًا فَالْمَسِيحُ يُحِبُّكَ وَقَدْ مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ لِتَنْتَعِمَ عَزِيزِي بِأَفْرَاحِهِ السَّمَاوِيَّةِ عَنْ قَرِيبٍ.

رَبُّ الْمَجْد

"مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ." (مزمو ٢٤: ١٠)

يَمْتَلِكُ اللَّهُ دَائِمًا صِفَةَ الْمَجْدِ - فَهِيَ جُزْءٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ. نَرَى هَذِهِ الْحَقِيقَةَ عَبْرَ صَفَحَاتِ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ، وَفِي الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقَهُ. نَالَ مَجْدُ اللَّهِ اهْتِمَامَ دَاوُدَ مِنْ صِبَاهُ إِلَى شَيْخُوخَتِهِ، حَيْثُ حَاوَلَ اسْتِخْدَامَ تَعَابِيرٍ فِي الْمَزَامِيرِ الَّتِي كَتَبَهَا، لَا سِوَمَا مَزْمُور ٢٤. وَأَحَبُّهَا لِقَلْبِهِ كَانَ "مَلِكُ الْمَجْدِ".

هَذَا الْاسْمُ الْعَجِيبُ لِلرَّبِّ الْهَنَا وَمَذْكُورًا لَنَا بِعَظَمَتِهِ. إِنَّهُ الْخَالِقُ وَالْمَالِكُ لِهَذَا الْكَوْنِ، وَيدْعُونَا دَاوُدُ لِلْمُثُولِ فِي حَضْرَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ - مَلِكُنَا الْمَجِيدِ. رَأَى مُوسَى وَالشَّعْبُ صُورَةَ لِمَجْدِ اللَّهِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءِ حَيْثُ نَقَرُوا "وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارِ آكَلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ". (خروج ٢٤: ١٧). وَإِذْ أَكَمَلَ مُوسَى إِقَامَةَ "خِيَمَةِ الْجَمَاعَةِ" مَلَأَ بِهَاءَ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ. تَمَنَّى دَاوُدُ أَنْ تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ بِمَجْدِ اللَّهِ فَقَالَ "وَمُبَارَكُ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الْأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ" (مزمو ٤٠: ١٩).

يَصِفُ يوحَنَّا رُؤْيَا الْخَلَائِقِ السَّمَاوِيَّةِ تَسْبِيحَ عَظَمَةِ الْهَنَا وَتُعْطِيهِ "مَجْدًا وَكَرَامَةً وَشُكْرًا لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، أَنْتَ مُسْتَحِقُّ أَثْنَاءِ الرَّبِّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَانَتْهُ وَخُلِقَتْ" (رؤيا ٤: ١١ و٩). آمَنَ كُتَّابُ الْإِنْجِيلِ يَسُوعَ "رَبُّ الْمَجْدِ" الَّذِي تَمَّ نُبُوءَاتُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عِنْدَمَا صَارَ "عِمَانُؤِيلَ - اللَّهُ مَعَنَا" هَكَذَا، حَمَلَ وَعَكَسَ مَجْدَ اللَّهِ.

وَقَدْ ثَبَّتَ يَسُوعُ مَجْدَهُ فِي صَلَاتِهِ الشَّفَاعِيَّةِ قَبْلَ صَلْبِهِ إِذْ قَالَ: "وَالآنَ مَجْدُنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ". يَرِبُطُ الرَّسُولُ بُولُسُ هَذَا الْمَجْدَ بِشَكْلِ رَائِعٍ فِي ٢ كُورِنْثُوسَ ٤: ٦ "لِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي قَالَ: "أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ"، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

صَارَ تَجَسُّدُ مَجْدِ اللَّهِ فِي شَخْصِ الْمَحْبُوبِ يَسُوعَ وَعَمَلَهُ. (يوحَنَّا ١: ١٤). وَمَجْدُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ هُوَ الَّذِي سَيَمْلَأُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الْجَدِيدَةَ. وَإِذْ سَارَ يَسُوعُ عَلَى الْأَرْضِ، تَمَّ اخْفَاءُ مَجْدِ اللَّهِ عَنِ الْعُيُونِ مَا عَدَا بَعْضَ الْحَالَاتِ، عِنْدَمَا ظَهَرَ بِالتَّجَلِّيِ أَمَامَ تَلَامِيذِهِ. فِي أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، سِيرَى جَمِيعُ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيُخْدَمُونَهُ بِفَرَحٍ مَجْدَهُ (رؤيا ٢١). تُعْطِي كَلِمَةُ اللَّهِ أُهُمِّيَّةَ لِلْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ حَيْثُ اللَّهُ أَعْظَمُ كَائِنٍ مَجِيدٍ فِي الْكَوْنِ، وَتَعْتَبِرُ النَّاسُ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ عَلَى صُورَتِهِ مُشَارِكِينَ فِي هَذَا الْمَجْدِ بِشَكْلِ ضَعِيفٍ نَتِيجَةً سُقُوطِهِمْ فِي الْخَطِيئَةِ.

لِنَعْرِفَ مَجْدَ اللَّهِ الْكَامِلَ وَمَا يَبْدُو عَلَيْهِ فِي السَّمَاءِ، رَغْمَ وَصَفِ هَذَا الْمَجْدِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، يَبْقَى مُؤَشِّرًا ضَعِيفًا، فَكُلُّ جَمَالِ وَطِيبَةِ اللَّهِ فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ كَمَا نَعْرِفُهَا، لَا تُقَارَنُ بِمَجْدِهِ الْحَقِيقِيِّ. إِذْ تَفَكَّرَ بِمَجْدِ اللَّهِ، دَعُونَا نَتَذَكَّرُ رَبَّ الْمَجْدِ، الَّذِي هُوَ بِهَاءِ عَظَمَتِهِ، يَصِفُهُ دَاوُدُ إِذْ يَسْأَلُ "مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ الْقُدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ" (مزمو ٢٤: ٨). إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدِ، بِهَاءِ مَجْدِ الْآبِ، شَفِيعِنَا السَّمَاوِيِّ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا، لَهُ الْمَجْدُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ، مَلِكُ الْكَوْنِ مُكَلَّلًا بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ.

دُعِيَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ "رَبُّ الْمَجْدِ" الْمَجِيدِ فِي ذَاتِهِ وَقَدْ تَجَلَّى هَذَا الْمَجْدُ فِي قِيَامَتِهِ الْمَجِيدَةِ، وَصُعودِهِ لِلسَّمَاءِ، وَجُلُوسِهِ عَنِ يَمِينِ الْآبِ وَمَجِيئِهِ الثَّانِي عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. عَظِيمٌ فِي اهْتِمَامِهِ بِنَا، وَرَائِعٌ فِي مَحَبَّتِهِ وَنِعْمَتِهِ مِنْ نَحُونَا. يُعْطِي رُوحَهُ الْقُدُّوسَ لِمَنْ يَقْبَلُونَهُ بِالْإِيمَانِ. وَسَيُنِيرُ بِمَجْدِهِ الْمَدِينَةَ الْمَحْبُوبَةَ أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةَ. أَصْمُ صَوْتِي لِمَا صَلَّيْتُ لِأَجْلِ الرَّسُولِ بُولُسَ كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونَ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ (أَفْسُسَ ١: ١٧-١٨).

يَا رَبِّ، أَشْكُرُكَ وَأُعْظِمُ اسْمَكَ لِأَجْلِ عَظِيمِ لُطْفِكَ وَمَحَبَّتِكَ، قُدَّاسَتِكَ وَمَجْدِكَ. أَشْرُقُ بِمَجْدِكَ عَلَى حَيَاتِي، سَاعِدْنِي أَنْ أُعْطِيَكَ كُلَّ الْمَجْدِ فِي حَيَاتِي، بِانْتِظَارِ رُجُوعِكَ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ، لِكَيْ يُصْبِحَ مَلِكُ الْمَجْدِ رَبًّا وَمَسِيحًا لِحَيَاتِي. أَنْتَ بَنُورُكَ فِي قَلْبِي كَيْ أَخْبِرَ بِفَضَائِلِكَ. لَكَ التَّسْبِيحُ وَالْمَجْدُ بِاسْمِ الْمَسِيحِ. آمِينَ.

الصّحة
تبدأ بالأمل

الوعد



alwaad.tv/Subscribe



سأل يسوع يوماً تلاميذه "وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟" أَنْتُمْ الَّذِينَ سَرْتُمْ مَعِي وَاسْمَعْتُمْ
تعاليمي، ورأيتم عجايبِي، ونلتُم قُوَّةً مِنَ الْأَعَالِي لِتَكُونُوا لِي شُهُودًا- أَخْبِرُونِي بِصِرَاحَةٍ مَنْ
أَكُونُ بِالنِّسْبَةِ لَكُمْ؟ تَحَدَّثْ سَفَرُ أَيُوبَ ١١: ٨ عَنْ أَعْمَاقِ اللَّهِ "هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَمَاذَا
عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعَمَّقُ مِنَ الْهَآوِيَةِ، فَمَاذَا تَدْرِي؟ مَثَلُ جَوَابِهِمْ أُسَسَ الْإِيمَانَ الْمَسِيحِي
فِي شَخْصِ مُؤَسِّسِهِ الْمَسِيحِ - نُورِ الْعَالَمِ، صَدِيقِ الْخُطَاةِ، الْكَرَمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، غَافِرِ الْخَطَايَا،
الِدِيَانِ الْعَادِلِ، الصُّورَةِ الْمَنْظُورَةِ لِلَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، وَالطَّرِيقِ، وَالْحَقِّ، وَالْحَيَاةِ. أَجَابَ بِطَرُوسُ
بِلْسَانِ بَاقِي الرُّسُلِ "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!" (مَتَّى ١٦: ١٥-١٦). إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ
إِلَهَكَ حَقًّا، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأَعْلَى وَالْأَعْظَمُ وَالْأَسْمَى فِي حَيَاتِكَ. هَلْ أَعْمَالُكَ تَعْبِيرُ عَنْ
أَنْتَمَائِكَ لِي؟ وَهَلْ إِيْمَانُكَ وَمَحَبَّتُكَ انْعَكَاسٌ لِمَحَبَّتِي لَكَ؟ يَسُوعُ قِمَّةُ كُلِّ مَا فِي السَّمَاءِ
وَعَلَى الْأَرْضِ. فَرِيدٌ فِي شَخْصِيَّتِهِ وَتَعَالِيمِهِ، قَابِلُهُ عَلَى صَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، وَتَعَرَّفْ عَلَى
جَوَانِبِ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فِي التَّأْمُّلَاتِ الرُّوحِيَّةِ مِنْ "رَبِّ الْمَجْدِ". لِي الْيَقِينُ أَنَّكَ سَتَتَالِ
الْبَرَكَةَ، وَيَلْمَسُ بَرُوحَهُ الْقُدُّوسَ حَيَاتَكَ؟ يَتَنَاوَلُ هَذَا الْكِتَابُ تَعْرِيفَ الْقَارِئِ بِمَنْ يَكُونُ
السَّيِّدُ الْمَسِيحُ مِنْ خِلَالِ التَّعَرُّفِ بِصِفَاتِهِ وَتَعَالِيمِهِ كَمَا جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، حَيَاتِهِ
عَلَى الْأَرْضِ بِمَا فِيهَا عَظِيمُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي دَفَعَتْهُ لِفِدَائِنَا عَلَى الصَّلِيبِ. تَعَرَّفْ بِ "رَبِّ الْمَجْدِ"
أَمِنْ بِهِ، دَعُهُ يُغَيِّرُ قَلْبَكَ، اكْتَشِفْ رُوعَةَ شَخْصِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ، تَحَدَّثْ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ، وَاسْتَعِدْ
لِلْقَائِهِ عَنْ قَرِيبٍ عَلَى سَحَابِ الْمَجْدِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ حَيَاتَكَ عَلَى الدَّوَامِ.

أَحَبُّ الْمُؤَلِّفِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَقَبْلَهُ مُخْلِصًا شَخْصِيًّا لِحَيَاتِهِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً،
وَنَالَ شَرَفَ أَنْ يَكُونَ خَادِمًا لَهُ فِي رَعُوبَةِ الْعَدِيدِ مِنَ الْكِنَائِسِ فِي بُلْدَانٍ مُخْتَلَفَةٍ. عَمَلَ فِي
مَجَالَاتِ التَّعْلِيمِ وَالْإِرْشَادِ الصَّحِيِّ، وَالْعَمَلِ الْإِذَاعِيِّ وَالتَّلْفِزِيُونِيِّ. قَامَ بِتَرْجَمَةِ الْعَدِيدِ مِنَ
الْكِتَابِ، وَتَنْقِيحِ عِدَدٍ آخَرٍ مِنْهَا. يَنْعَمُ الْآنَ بِسَنِي التَّقَاعُدِ. بَرَزَ حُبُّهُ لِفَادِيهِ لِيُظْهَرَ فِي نَتَاجِ
هَذَا الْكِتَابِ "رَبِّ الْمَجْدِ" بِأَكُورَةِ أَعْمَالِهِ الرُّوحِيَّةِ، مُتَمْنِيًا لِكُلِّ مَنْ يَقْرَأُ بَرَكَةَ اللَّهِ الْقَدِيرِ،
اسْتِعْدَادًا لِمَجِيئِهِ عَنْ قَرِيبٍ حَيْثُ الْإِقْدَامُ حَوْلَ عَرْشِ الْمَجِيدِ الْحَبِيبِ. صَلَاتِي لَكُمْ مَا كَتَبَهُ
الرَّائِي يُوحَنَّا فِي (رُؤْيَا ٢٢: ٢٠-٢١) "نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا". آمِينَ. تَعَالَى إِلَهُ الرَّبِّ يَسُوعُ.
نِعْمَةً رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ."

القس فرنسيس صليبا



الشرق الأوسط للنشر

<https://www.middle-east-publishers.com/>